

أعيان العصر وأعيان النصر

لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي

توفي ٧٦٤ هـ

حقَّقَه

الدكتور علي أبو زيد

الدكتور محمود سالم محمد

الدكتور محمد موعِد

الدكتور نبيل أبو عَمشة

قدم له

مازن عبد القادر المبارك

الرقم الاصطلاحي: ١-١١٠, ١١٥٠
الرقم الدولي: ISBN: 1-57547-433-6

الرقم الموضوعي: ٩١٠

الموضوع: التراجم والسِّير والأنساب

العنوان: أعيان العصر وأعيان النّصر

التأليف: صلاح الدين خليل بن أبيك الصّفيدي

التحقيق: د. علي أبو زيد، ود. نبيل أبو عمشة،

ود. محمد موعد، ود. محمود سالم محمد.

قدم له: مازن عبد القادر المبارك.

الصف التصويري: دار الفكر - دمشق

التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق

التجليد الفني: علي الحمصي وشركاه-بيروت

عدد الصفحات: ٧٥٢ ص

قياس الصفحة: ٢٥×١٧ سم

عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع

والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي

والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن

خطي من

دار الفكر بدمشق

برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد

ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية

برقياً: فكر

فاكس ٢٢٣٩٧١٦

هاتف ٢٢١١١٦٦، ٢٢٣٩٧١٧

<http://www.fikr.com/>

E-mail: info @fikr.com



الطبعة الأولى

1418 هـ = 1998 م

بسم الله الرحمن الرحيم

أخذ مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي على عاتقه ومنذ قيامه أن يسهم في خدمة التراث بما يقدر عليه من خلال أقسامه المتعددة خدمة للعلم والباحثين ؛ ذلك أنه كثر في السنوات الأخيرة نشر الكتب التراثية على أيدي غير المتخصصين ، الذين لم يلتزموا في تحقيقهم أسلوباً علمياً منهجياً ، فظهرت في الأسواق طبعات سقيمة لأسفار جلييلة المضمون ، تطاول أعمال المجلين من المحققين ، أدت إلى اختلاط الغث بالسمين وأساءت إلى المكتبة العربية .

ومن هنا كلف المركز لجنة من الأساتذة الخبراء أوكل إليها الإشراف على شؤون التحقيق والنظر فيما يقدمه المحققون الأكفاء من أعمال وتقديم الصالح منها للنشر .

ويوالي اليوم بالتعاون مع دار الفكر المعاصر نشر إصداراته فيقدم كتاب (أعيان العصر وأعوان النصر) لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي .

نسأل الله أن يوفق المركز لخدمة التراث وأهل العلم إنه نعم المسؤول .

لجنة التحقيق والنشر في المركز

الصفدي

هو خليل بن أيبك بن عبد الله الألبكي ، الغاري ، صلاح الدين ، أبو الصفاء ، الصفدي الأصل ، الدمشقي الدار والوفاء^(١) .

كان والده عز الدين أيبك من أمراء المماليك في صفد ، وفيها وُلد ابنه خليل سنة ست وتسعين^(٢) وست مئة للهجرة .

وكان لمكانة أبيه الاجتماعية أثر في نشأته التي نشأها بين العرب ، فتشرب الثقافة والفصاحة منهم ، كما تمتع بحياة سعيدة مترفة في كنف أبيه ، مما أعانته على إشباع رغباته وتنمية مواهبه ، فحفظ القرآن صغيراً ، وكان أبوه شديد العناية به ، فمنعه « من الاشتغال حتى استوفى عشرين سنة ، فطلب بنفسه وقال الشعر الحسن ، ثم أكثر جداً من النظم والنثر والترسل والتوقيع »^(٣) .

ويبدو أنه كان في بداية أمره ميالاً إلى إتقان الخط والرسم ، فبرع في ذلك ، قال ابن حجر : « وتعانى صناعة الرسم فمهر فيها ، ثم حجب إليه الأدب فولع به ، وكتب الخط الجيد »^(٤) .

(١) ترجمته في : الدرر الكامنة : ٨٧/٢ ، وتاريخ ابن قاضي شهبة : ٢٢٧/٣ ، ووفيات ابن رافع : ٢٦٨/٢ ، وتذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه : ٢٦٨/٣ ، وبدائع الزهور : ٧/٢/١ ، والبدر الطالع : ٢٤٤/١ ، والذيل على العبر لابن العراقي : ١٣٤/١ ، والنجوم الزاهرة : ١٩/١١ ، والمنهل الصافي : ٢٤١/٥ ، والسلوك : ٨٧/١/٣ ، والبداية والنهاية : ٣٠٣/١٤ .

(٢) وقيل : ولد سنة (٦٩٧ هـ) . انظر البدر الطالع : ٢٤٣/١ . وفي تذكرة النبيه أنه رأى ولادته بخط الصفدي سنة (٦٩٦ هـ) .

(٣) الدرر الكامنة : ٨٧/٢ ، والبدر الطالع : ٢٤٤/١ .

(٤) الدرر الكامنة : ٨٧/٢ .

ولم يكتف الصفدي بما أخذه عن علماء بلده ، إذ « كانت له همة عالية في التحصيل » ، فبدأ يتنقل بين المدن ، ويأخذ عن علمائها ، فارتحل إلى دمشق ، وحلب ، والقاهرة ، وغيرها من حواضر العلم ، وأخذ عن لقيه فيها من العلماء .

وبدأ ذكر الصفدي يبرز بين علماء عصره وأدبائه ، وعُرف عندهم وعند أولي الأمر ، وأخذ يتسّم المناصب والوظائف المهمة في الدولة ، « وأول ما ولي كتابة الدرج بصفد ، ثم بالقاهرة » ^(١) . وولي « كتابة بيت المال بدمشق ، وكتابة الإنشاء بها وبالديار المصرية ، ثم ولي كتابة السّر بحلب ، وياشر وظائف جليّة » ^(٢) . قال ابن حجر : « وياشر كتابة السّر بحلب وقتاً ، وبالرجبة وقتاً ، والتوقيع بدمشق ، ووكالة بيت المال . وكان محبباً إلى الناس ، حسن المعاشرة ، جميل المودة . وكان في الآخر قد ثقل سمعه ، وكان قد تصدى للإفادة بالجامع » ^(٣) .

ويبدو أن الصفدي الذي أكثر من كتب التراجم لم ينسَ نفسه ، فقد أشار ابن العراقي إلى أن الصفدي ترجم نفسه بترجمة ، وكتب في أولها :

ترجمت نفسي جهلاً وذاك مني عجيب
لكن أمرك أضحى ومقتضاه الوجوب ^(٤)

شيوخه :

تلمذ الصفدي على معظم علماء عصره ، وأخذ عنهم ، وقد صرح بذلك في أثناء ترجمته لهم في كتابه هذا الذي جعله لتراجم علماء عصره ومشاهيره ، فكثيراً ما كان يذكر

(١) الدرر الكامنة : ٨٧/٢ .

(٢) المنهل الصافي : ٢٤٢/٥ .

(٣) الدرر الكامنة : ٨٧/٢ .

(٤) الذيل على العبر : ١٣٥/١ .

أخذه عن المترجم له وإجازته له ، وما إلى ذلك . ولا نريد أن نحصى كل شيوخه في هذه المقدمة ، بل يكفي أن نذكر أبرزهم ، الذين أسهموا في تكوينه الثقافي المتنوع .
فقد أخذ الأدب عن شهاب الدين محمود بن سليمان (ت ٧٢٥ هـ) ، ولازمه في حياته .

وأعجب بابن نباتة محمد بن محمد المصري (ت ٧٦٨ هـ) ، ونفى موهبته الشعرية عليه .

وأخذ النحو عن أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) .

وأخذ التاريخ والمغازي والسير عن فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس (ت ٧٣٤ هـ) ، والحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) .

وفي الحديث والرجال تتلمذ على الحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزري (ت ٧٤٢ هـ) .

وأخذ الفقه الشافعي عن القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة (ت ٧٣٣ هـ) .

وقرأ على الشيخ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٥٦ هـ) ، والشيخ علي بن محمد البندنجي (ت ٧٣٦ هـ) ، وسمع من يونس الدبوسي .

كما أنه حصل كثيراً من العلوم بنفسه ، فقرأ « شيئاً من الحديث ، وكتب بعض الطباقي »^(١) .

وقال ابن تغري بردي : « وكان بينه وبين علماء عصره وأدبائه مكاتبات ومراسلات »^(٢) .

(١) الدرر الكامنة : ٨٨/٢ .

(٢) المنهل الصافي : ٢٤٢/٥ .

وقد تنامت شهرة الصفدي بين علماء عصره ، وشهد له بالفضل والتقدم تلاميذه وشيوخه ، حتى إن عدداً من شيوخه أخذ عنه ، قال ابن حجر : « وقد سمع منه من أشياخه : الذهبي ، وابن كثير ، والحسيني ، وغيرهم »^(١) .

مكانته وأقوال العلماء فيه :

استطاع الصفدي أن يحصل علوماً مختلفة ، وأن يبدع فيها ويتقدم بين الناس على أثرابه ، إضافة إلى موهبة فذة ، وذكاء حاد ، ومقدرة كبيرة على التتبع والحفظ ، وحسن المعاشرة للناس . وقد شهد له بذلك كل من ترجم له ، فقد نقل ابن حجر عن الذهبي قوله في الصفدي : « الأديب البارع الكاتب ، شارك في الفنون ، وتقدم في الإنشاء ، وجمع وصنف »^(٢) . كما نقل عن الحسيني قوله : « كان إليه المنتهى في مكارم الأخلاق ، ومحاسن الشيم »^(٣) .

- ونقل ابن قاضي شعبة عن الذهبي قوله في (معجمه المختص) : « الإمام العالم الأديب البليغ الأكمل ، طلب العلم ، وشارك في الفضائل ، وساد في علم الرسائل ، وقرأ علم الحديث ، وكتب المنسوب ، وجمع وصنف ، والله يمدّه بتوفيقه . سمع مني وسمعت منه ، وله تواليف وكتب وبلاغة »^(٤) .

- وقال ابن إياس : « كان عالماً فاضلاً شاعراً ناظماً »^(٥) .

- وقال ابن كثير : « كتب الكثير من التاريخ واللغة والأدب ، وله الأشعار

(١) الدرر الكامنة : ٨٧/٢ .

(٢) الدرر الكامنة : ٨٧/٢ ، وتاريخ ابن قاضي شعبة : ٢٢٨/٣ .

(٣) الدرر الكامنة : ٨٨/٢ .

(٤) تاريخ ابن قاضي شعبة : ٢٢٨/٣ .

(٥) بدائع الزهور : ٧/٢/١ .

الفائقة ، والفنون المتنوعة ، وجمع وصنف وألف ، وكتب ما يقارب مئتين من المجلدات »^(١) .

- وقال ابن حبيب : « كان عالماً فاضلاً ، كاتباً مجيداً ، رئيساً جليلاً ، إماماً في معرفة الأدب ، رأساً في صناعة الإنشاء ، بارعاً في النظم والنثر »^(٢) .

- وقال ابن العراقي : « الإمام الأوحـد ... وله نظم فائق ونثر رائع . وكان رأساً في صناعة الإنشاء »^(٣) .

- وقال ابن تغري بردي : « كان إماماً بارعاً كاتباً ناظماً ناثرأ شاعراً »^(٤) .

- وكان لابن أبي حجلة رأي آخر في الصفدي نقله ابن إياس قال : « قال الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة : كان الصلاح الصفدي يسرق من معاني الناس في الأدبيات وينسبها إلى نفسه ، وقد وقع له مع الشيخ جمال الدين بن نباتة ما ذكره في كتاب (خبز الشعير) ، وأظهر سرقات الصلاح الصفدي فيه ، فلما أن تزايد هذا الأمر من الصلاح الصفدي قلت في معنى ذلك : وهو قولي :

إن ابن أبيك لم تنزل سرقاته تأتي بكل قبيحة وقبيح
نسب المعاني في النسيم لنفسه جهلاً فراح كلامه في الريح »^(٥)

شعره :

لم تتوقف موهبة الصفدي عند التأليف والترسل والتاريخ واللغة ، وما إلى ذلك

(١) البداية والنهاية : ٣٠٣/١٤ .

(٢) تذكرة النبيه : ٢٦٨/٣ .

(٣) الذيل على العبر : ١٣٥/١ .

(٤) النجوم الزاهرة : ١٩/١١ .

(٥) بدائع الزهور : ٨٢/١ .

من فنون القول والمعرفة التي أتقنها وصنف فيها المجلدات الكثيرة ، بل كان شاعراً فحلاً من شعراء عصره ، نظم في أغراض الشعر كلها وأجاد ، وله القصائد المطولة ، والمقطعات ، والأبيات المفردة ، وكثيراً ما كان يسمع الأبيات لغيره فيعجب بالمعنى ، ويدرك تقصير القائل عن الوفاء به ، فينظم هو في المعنى ذاته ما يراه أفضل مما قيل .

ولم يقتصر نظممه على الشعر ، بل له مشاركة جيدة في الفنون الشعرية المستحدثة ، فله الموشحات ، والأزجال ، والمواليا ، والألغاز والأحاجي ، وغير ذلك مما اشتهر في زمانه فأدلى ببلوه فيه .

وقد أكثر كُتب الأدب والتراجم من إيراد الأمثلة من شعره ونظمه ، ويكفي القارئ ما أورده الصفدي لنفسه في أثناء هذا الكتاب (أعيان العصر) من أشعار قالها في بعض من ترجم لهم مادحاً أو راثياً أو محبباً أو مستجيزاً أو ملغزاً أو حالاً للغز سئل عنه ، أو مقلداً أو معارضاً أو مبتدعاً .

ومرّ بنا بعض الإشارات إلى شعره ذكرها معاصروه في الحديث عن مكانته ، ومنها أيضاً ما قاله ابن تغري بردي : « كان إماماً بارعاً كاتباً ناظماً ناثراً شاعراً ، وديوان شعره مشهور بأيدي الناس ، وهو من الكثيرين » ^(١) . وقال ابن حبيب : كان « بارعاً في النظم والنثر ، ونظمه حسن كثير » ^(٢) .

ولعل ابن تغري بردي قد أنصف الصفدي عندما تحدث عن شعره قائلاً :

« وشعر الشيخ صلاح الدين المذكور كثير ، وفضله غزير ، وهو شاعر مجيد ، على أن جیده يزيد على رديئه . ولولا أنه كان ضنيناً بنفسه ، راضياً بشعره ، لكان يندر له الرديء ، ويكثر منه الجيد . فإنه كان غوّاصاً على المعاني ، مبتكراً للنكتة البديعة ، عارفاً بفنون الأدب . لكن رأيت من نظممه بخطه عندما يعارض بعض من تقدمه من

(١) النجوم الزاهرة : ١٩/١١ .

(٢) تذكرة النبيه : ٢٦٨/٣ .

محيدى الشعراء في معنى من المعاني اللطيفة ، فيأخذ ذلك المعنى أو النكتة فينظمها في بيتين ويجيد فيها بحسب الحال ، ثم ينظم أيضاً في ذلك المعنى بعينه بيتين آخر ، ثم بيتين ، ثم بيتين ، ولا يزال ينظم في ذلك المعنى وهو يقول : وقلت أنا ، إلى أن يملأ النظر وتسأمه النفس ويجه السمع ، فلو ترك ذلك ، وتحرى في قريضه لكان من الشعراء المحيدين لما يظهر لي من قوة شعره وحسن اختراعه ^(١) .

وأشار الشوكاني إلى اجترأ الصفدي على بعض معاني شيخه ابن نباتة فقال : « وكان يختلس معاني شعر شيخه ابن نباتة وينظمها لنفسه ، وقد صنف ابن نباتة في ذلك مصنفاً سماه : (خبز الشعر للمأكول المذموم) وبين سرقاته لشعره ^(٢) » .

مؤلفاته :

أثرى الصفدي المكتبة العربية بعدد كبير من الكتب في فنون شتى ، وأتى فيها بعلم غزير ، أخذه عن السابقين والمعاصرين ، ولونه بذوب نفسه وفكره ، وبإنشائه الرائع وأسلوبه البديع .

وقد نقل عن الصفدي أنه قال : كتبت بخطي أزيد من ست مئة مجلدة ، أو ثمان مئة مجلدة ^(٣) ، وهذا يدلنا على سعة علم الشيخ وغزارة إنتاجه ومشاركته العظيمة في ثقافته عصره .

كما أكثر كتب التراجم من الحديث عن مؤلفاته ووصف مضمونها وأسلوبه فيها ، ولست هنا صدد إحصائها ، بل سأكتفي بذكر أهمها :

(١) المنهل الصافي : ٢٥٧/٥ .

(٢) البدر الطالع : ٢٤٤/١ .

(٣) انظر : تاريخ ابن قاضي شعبة : ٢٢٩/٣ ، والبداية والنهاية : ٣٠٣/١٤ ، ومفتاح السعادة ، والدرر الكامنة : ٨٨/٢ .

١ - الوافي بالوفيات :

وسمّاه الصفدي مراراً في (الأعيان) باسم : (التاريخ الكبير) . وهو من أوسع كتب التراجم في المكتبة العربية ، وتميزت تراجمه في الغالب بالاختصار . وربما رأى بعض الباحثين أن كتابه (أعيان العصر) اختصار لكتابه (الوافي) ، وهذا غير صحيح ، لأنه لكل كتاب مزية وغاية ، وإن كنا نرى كثيراً من التراجم مكررة في الكتابين ، إلا أن هناك فروقاً واضحة تُدرك لأدنى مقابلة بين العاملين .

وقد قامت على تحقيق الكتاب ونشره الجمعية الاستشرافية الألمانية في بيروت ، وأشرف الكتاب على نهايته .

٢ - الفيث المسجّم في شرح لامية العجم :

عمد الصفدي في هذا الكتاب إلى شرح قصيدة الطغرائي المعروفة باسم (لامية العجم) فجاء الكتاب معبراً خير تعبير عن ثقافة الصفدي المتنوعة إذ تضمن إشارات كثيرة وفوائد متنوعة في فنون مختلفة ، ولم يقتصر على الشرح فحسب ، بل كان الشرح وسيلة لإبراز علمه وثقافته وتصيد شوارد الأشعار والأخبار والقضايا النحوية واللغوية ، وغير ذلك .

وقد طبع الكتاب في مجلدين ، غير ما طبعة .

٣ - تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون :

ويقع الكتاب في مجلد كبير ، شرح فيه رسالة ابن زيدون الجديدة ، فكشف غوامضها ، وأوضح رموزها وإشارات ، وفصل في أخبارها ، وشرح غريبها ، فجاء الكتاب حافلاً بالفوائد الأدبية واللغوية والتاريخية .

طبع الكتاب بتحقيق المرحوم الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم .

٤ - نُكْتُ الهميان في نُكْتُ العميان :

أورد فيه تراجم وأخباراً لكثير من علماء الأمة ومشاهيرها من العميان .

وهو جزء واحد طبع بعناية أحمد زكي بك ، في مصر .

٥ - نصره الثائر على المثل السائر :

ألفه رداً وتقداً لما جاء في كتاب (المثل السائر) لابن الأثير .

طبع بتحقيق الدكتور محمد علي سلطاني ، في مجمع اللغة العربية بدمشق .

٦ - فض الختام عن التورية والاستخدام :

مطبوع . ومضمونه واضح من عنوانه .

٧ - جنان الجناس :

طبع غير مرة .

٨ - تشنيف السمع بانسكاب الدمع :

طبع في القاهرة سنة ١٣٢١ هـ .

٩ - تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب :

طبع في وزارة الثقافة بدمشق (١٩٩١ م) بتحقيق إحسان بنت سعيد خلوصي ،

وزهير حميدان الصمام .

١٠ - كشف السر المبهم في لزوم ما لا يلزم :

وهو أبيات ومقطعات شعرية ، مخطوط .

قدمه أحد الطلبة رسالة ماجستير في جامعة دمشق ، منذ سنوات .

١١ - ألحان السواجع بين المبادي والمراجع :

وهو كتاب جمع فيه رسائله إلى بعض معاصريه . أحال عليه غير مرة في (أعيان

العصر) . وهو مخطوط .

١٢ - التذكرة :

وهو مجموع في الأدب والشعر كبير ، رتبّه حسب الموضوعات ، وقسمه إلى أبواب في أنواع الفضائل والردائل ، وفيه فوائد تاريخية واجتماعية ، وتراجم كثيرة لشعراء عصره وأدبائه جمع فيه كثيراً من أشعارهم وأخبارهم .
وهو مخطوط .

١٣ - أعيان العصر وأعوان النصر :

وسأفرده بمحدث مستقل .

وفاته :

توفي خليل بن أبيك الصفدي بالطاعون في دمشق ليلة الأحد العاشر من شوال ، سنة (٧٦٤ هـ) .

أعيان العصر وأعوان النصر :

١ - اسم الكتاب :

ثمة خلاف يسير في اسم هذا الكتاب في بعض المصادر ، إلا أنه لا يثير فيه شكاً ، ولا يحتاج إلى كبير مناقشة أو تحقيق ، لأن هذا الخلاف انبنى على تقديم وتأخير أسهم فيه اسم الكتاب نفسه وسجّته التي تحتمل الوجهين . ففي بدائع الزهور^(١) ، والنجوم الزاهرة^(٢) ، والسلوك^(٣) : (أعوان النصر في أعيان العصر) .

وفي البدر الطالع^(٤) ، والدرر^(٥) : (أعوان النصر وأعيان العصر) .

(١) ٧/٢/١ .

(٢) ١٩/١١ .

(٣) ٨٧/١/٢ .

(٤) ٢٤٣/١ .

(٥) ٨٧/٢ .

وفي المنهل الصافي^(١) : (أعيان العصر في أعوان النصر) .

بينما ورد اسمه صحيحاً في تاريخ ابن قاضي شعبة^(٢) : (أعيان العصر وأعوان النصر) .

٢ - موضوع الكتاب :

يقوم كتاب (أعيان العصر وأعوان النصر) على تراجم الأعلام الذين أدركهم الصفدي ، أو لقيهم في حياته ، أو أخذ عنهم ، أو كانوا في زمنه في جميع أنحاء الخلافة الإسلامية . وهذا يعني أنه تناول سير (الأعيان) منذ سنة ست وتسعين وست مئة (٦٩٦ هـ) حتى سنة أربع وستين وسبع مئة للهجرة .

ولم يقتصر حديثه على الشعراء والأدباء والعلماء ؛ بل تناول كل من كان له شأن ما ، ولذلك نراه يترجم للسلطين ، والأمراء على جميع مستوياتهم ، ولقادة الجند ، أو من يقوم على خدمة المساجد ودور العلم ، إضافة إلى الشعراء والأدباء والكتاب والقضاة ، ومن هنا جاء اسم الكتاب (أعيان العصر) ، وقد ضمّ بين دفتيه أزيد من ألفي ترجمة بقليل .

٣ - منهجه في تأليف الكتاب :

رتّب الصفدي تراجم الكتاب ترتيباً هجائياً ، فبدأ بحرف الألف وانتهى بالياء . وقد حافظ - من حيث الشكل - على هذا الترتيب . ثم حاول ترتيب التراجم ضمن الحرف الواحد ناظراً إلى الحرف الثاني ، وهنا نجده يقع في شيء من الخلل ، فأحياناً يقدم ما حقه التأخير ، ويؤخر ما حقه التقديم ، إلا أنه في الغالب يلتزم الترتيب الصحيح .

(١) . ٢٤٤/٥

(٢) . ٢٢٩/٣

ولم يفرد الصفدي النساء في باب مستقل ، مثل كثير من المترجمين ، بل جاءت تراجمهن في مواضعها من الأحرف . ويلاحظ القارئ قلة من ترجم لهن من النساء .

وفي نهاية كل حرف يتوقف الصفدي عند (الأنساب والألقاب) ، فيذكر الأعيان الذين اشتهروا بأنسابهم أو ألقابهم التي تبدأ بهذا الحرف ، ثم يذكر أسماءهم موحياً للقارئ أن تراجمهم في موضعها في ترتيب الأسماء ، وكان في معظم الأحيان يبدأ هذا القسم بعنوان (اللقب والنسب) أو (الألقاب والأنساب) ، وأحياناً قليلة لا يذكر هذا العنوان ، فكنا نستدركه ونضيفه .

٤ - منهجه في الترجمة :

يبدأ الصفدي بذكر اسم العلم كاملاً (الاسم والنسب واللقب والكنية) ، ثم يصفه بأوصاف تليق به وتبين مكانته العلمية والاجتماعية ومنزلته بين أقرانه وعند الصفدي ، فيتأق في عبارته ، وينفث فيها أحسن ما عنده من أساليب الإنشاء وأجل ما يتيسر له من السجعات . وهذا القسم من الترجمة كان يطول أو يُختصر حسب العلم المترجم له ومنزلته .

فإذا فرغ من ذلك تحدّث عن نشأته ، وأبرز أحداث حياته ، وأعماله ، وذكر شيوخه وتلاميذه ، وأشار إلى مؤلفاته إن وجدت ، وتحدّث عن أشعاره وانتقى منها أمثلة ، وربما عَقّب على هذه القطعة أو تلك الأبيات مستحسناً أو منتقداً أو معارضاً أو مقلداً ، وكثيراً ما كان يورد ما دار بينه وبين المترجم له من مساجلات أو معارضات أو مساءلات أو ألغاز ، وربما استغرق ذلك منه قسماً كبيراً من الترجمة ، فإذا كفّ عنه أحال القارئ المستزيد إلى كتابه (ألحان السواجع) أو أشار إلى أنه فصل أكثر في كتابه (التذكرة) .

وإذا كان العلم من الولاية أو الأمراء أو أولي الشأن ؛ فإنه يفصل في الحديث عما جرى في أثناء حكمه أو ولايته ، حتى تصبح الترجمة أحياناً تأريخاً يومياً أو شبه

يومي لأحداث حياة هذا العَلم (انظر مثلاً ترجمة محمد بن قلاوون) ، وهنا تلين عبارة الصفدي ، ويتخلى عن أسلوبه الإنشائي العالي إلى أسلوب السرد التاريخي المبسّط ، وكثيراً ما كان ينقل في هذه المواضع عبارات الناس كما هي ، أو كما تلفّظوا بها في حواراتهم ، ولذلك تشيع الكلمات العامية وجل العوام البسيطة أو الركيكة ، وكأنّ الصفدي في هذه الحالة ينقل نقلاً أميناً ما جرى وما قيل دون أن يتدخل في ذلك ، ولعل حرصه هذا على النقل الدقيق الأمين هو الذي جعله يتخلى عن أسلوبه الرفيع الذي يبدأ به الترجمة عادة .

ومن عادة الصفدي أنه يؤرخ لولادة المترجم له ولوفاته ، ولكنه يتخلى أحياناً عن أحد هذين الأمرين ، أو عنها معاً ، وسكوته هذا لا يعني أن التاريخ مجهول ، لأن بعض المصادر أوردته ، فإما أن يكون الصفدي غير متثبت من ذلك - ولذلك نجده في بعض المواضع يقول : « ومولده .. » و « وتوفي .. » ثم يترك فراغاً ولا يذكر السنة ، وكأنه ينتظر التثبت من الأمر ، فبقي الفراغ كما هو ولم يستدرك التاريخ - وإما أن يكون سها عنه .

وقد أتبع سنة في ذكر الوفيات لم يسبق إليها ، إذ كان يقدم لذلك بعبارة مسجوعة يستخلصها من اسم الرجل أو لقبه توحى بانقضاء أجله ، وكل عبارة تختلف عن الأخرى من أول الكتاب إلى آخره ، وهو بذلك يحاول مجازاة ابن زيدون الذي وقف يرد على معزیه بوفاة ابنته ، فلم يجب أحداً بعبارة قالها لمن سبقه .

وقد أعجب الصفدي بسرعة بديهة ابن زيدون ، ومقدرته وبيانه ، وأكبر فيه ذلك لاسيما أن ابن زيدون كان في حالة من الحزن لا تسمح له بالإبداع واختيار الأجود ، ولذلك حاول الصفدي مجاراته وتقليده في وفيات أعيانه ، وقد عبّر عن ذلك في مقدمة هذا الكتاب ، ومع أنه التزم بهذا الأسلوب وألزم نفسه به ، إلا أنه لم يفعله في عدد لا بأس به من التراجم .

وثمة ظاهرة في عدد من التراجم لا بد من الإشارة إليها ، إذ كان من عادته أن يأتي

بشيء من شعر العَلَم في أثناء الترجمة فيقول : « ومن شعره » ، مورداً بعض الأبيات . وقد لا تسعفه الذاكرة أحياناً ، أو أنه لم يكن حافظاً لشيء من شعر بعض المترجمين ، فيترك فراغاً في ظنه أنه سيستدرك ذلك فيما بعد ، وبقيت الفراغات كما هي دون استدراك ، وسيلاحظ القارئ هذا الأمر في أثناء الكتاب . ولعل هذا الأمر مع ما ذكرته من النقص في ذكر بعض الولادات أو الوفيات يحملنا على الظن أن يكون الصفدي قد كتب الكتاب دون أن يبيضه .

ويلاحظ القارئ أن هناك بعض الأخبار أو الأحداث تتكرر في الترجمة الواحدة ، في البداية والنهاية ، مما يحمل على الظن أيضاً أن الصفدي كتب هذه الترجمة على مدة متراخية ، أو أنه أخذ عن أكثر من مصدر ، بيد أن هذه الظاهرة تكاد تكون نادرة ، (انظر مثلاً ترجمة علي بن أحمد بن زفر) .

ومن النادر في تراجم هذا الكتاب أن بعضها كان يكرر دون أن يتضح لنا سبب ذلك ، كما فعل في ترجمة (محمد بن محمد بن عبد الرحمن القزويني) ، و (يوسف بن محمد بن منصور بن عمران) . ولا يشترط في هذا التكرار المطابقة في العبارة والأسلوب .

وربما كان هذا التكرار من مصادر الصفدي ، فيدركه وينبه عليه ، كما فعل في ترجمة (يوسف بن هبة الله) و (يوسف بن هلال) ، إذ قال في ترجمة الأخير : « قلت : الظاهر أنه هذا الذي تقدم آنفاً ، وإنما وهم أثير الدين في اسم أبيه » .

ومن النادر أيضاً أن الصفدي قد ترجم في هذا الكتاب لبعض الأعلام الذين ماتوا بعده ، ولكنهم عاشوا معظم حياتهم في حياته ، (انظر ترجمة عبد الله بن سعد بن مسعود) .

٥ - مصادر الكتاب :

استمد الصفدي مادة كتابه من مشاهداته وما سمعه وعلم به في المقام الأول ، فهو يترجم لأعيان عصره ، بيد أن ذلك لا ينفي أن يكون أخذ من مصادر أخرى مما يثري

الكتاب ويرفع من قيمة مضمونه ، وربما لجأ إلى ذلك في تراجم شيوخه أو من هم في منزلتهم ، أو في تراجم العلماء والأعيان الذين بعدوا عنه أو شحّت معلوماته عنهم .
وأبرز المصادر التي نقل عنها ، وصرح بذلك :

١ - الوافي بالوفيات ، له : نقل عنه وسمّاه : (التاريخ الكبير) .

وكثيراً ما تتطابق عبارة (الأعيان) وعبارة (الوافي) ، وإن كان يزيد في (الأعيان) ويأتي فيه بما لم يذكره في (الوافي) ، وهذا متوقع لأن طبيعة الكتاين - وإن تشابهت في الظاهر - إلا أنها مختلفة ، لأن (الوافي) أقرب إلى الاختصار لتّسع مضمونه ، و (الأعيان) يحتمل التفصيل والتّطويل ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن نعد كتاب (أعيان العصر) مختصراً لكتاب (الوافي بالوفيات) وإن كانت معظم تراجم الأول موجودة في الثاني .

٢ - تاريخ البرزالي : يعدّ كتاب البرزالي (شيخ الصفدي) مصدراً بارزاً لكثير من المؤرخين ، كابن كثير ، وابن حجر ، والذهبي وغيرهم ، لا للصفدي وحده ، فقد أخذوا عنه جميعاً وأكثروا كما أخذ الصفدي ، ونصّ على ذلك في مواضع كثيرة .

٣ - الذهبي : ويبدو أن أكثر نقوله عنه كانت من كتابه تاريخ الإسلام ، وقد صرّح بالأخذ عنه مراراً .

٤ - الطالع السعيد للأدقوي : صرح مراراً بالأخذ عنه ، وقد اتّكأ عليه في تراجم علماء صعيد مصر وأعيانهم ، ويلاحظ القارئ أن الصفدي كان يأخذ الترجمة منه حرفياً في الغالب ، وينص على ذلك أحياناً ، ويسكت أحياناً أخرى .

٥ - ابن سيّد الناس .

وقد صرّح الصفدي بالأخذ عن هؤلاء وغيرهم مراراً ، إلا أن هذه المصادر كانت أكثر شيوعاً في (أعيان العصر) .

٦ - الأعيان أنفسهم : صرّح الصفدي غير مرة أنه أخذ هذه الترجمة أو تلك الأخبار من صاحبها ، أو سمعها منه مباشرة (انظر مثلاً ترجمة علي بن الحسين بن قاسم بن منصور ، وترجمة علي بن داود) .

وربما نصّ على أنه طلب من الرجل نفسه أن يكتب ترجمة عن حياته كي يودعها الصفدي في كتابه ، فكان ذلك مزية له . (انظر مثلاً ترجمة علي بن داود بن يحيى) . كما أنّه صرّح أن ابن العوينة هو الذي أملى ترجمته على الصفدي .

٦ - تاريخ تأليف الكتاب :

ليس بين أيدينا ما يشير بوضوح إلى زمن محدد بدأ به الصفدي في تأليف هذا الكتاب ، إلا أنه يغلب على الظن أنه ألفه في مدة متراخية من الزمن تقترب من ثلاثة عقود على الأقل ، إن لم تزد عليها ، انتهت قبل وفاته بأيام ، ولذلك أكاد أقول أيضاً إن الصفدي كتب الكتاب مرة واحدة ولم يبيضه .

ومن دواعي هذا التخمين بعض الإشارات التي وردت في أثناء التراجم ، ففي ترجمة (أيدغمش علاء الدين أمير آخور الناصري) أشار إلى أنه كتبها سنة ست وخمسين وسبع مئة للهجرة ، وهذا يحملنا على التوقع أن يكون بدأ هذا الكتاب قبل هذا الزمن ، أو أنه بدأ بجمع تراجمه أولاً .

وامتدّ العمل في الكتاب حتى وفاة الصفدي تقريباً ، فقد ترجم لأعلام ماتوا قبيل وفاته بشهر أو أقل (انظر ترجمة أحمد بن بلبان ، وعلي بن أيك ، وعلي بن أبي بكر بن محمد) ، بل إنه ترجم لعلي بن إسماعيل بن جعفر الذي توفي يوم عيد رمضان ، أي قبل وفاة الصفدي بعشرة أيام فقط . ولذلك قدّرت أن يكون الصفدي كتب الكتاب مرة واحدة دون أن يبيضه .

٧ - منزلة الكتاب ومزاياه :

يعدّ كتاب (أعيان العصر) من أوثق مصادر القرن الثامن على الإطلاق ،

فالصفدي عاش حياته كلها تقريباً في هذا القرن ، وهو من أبرز أدبائه ، ومن أكثرهم علماً وخبرة ، إضافة إلى مكانته الاجتماعية ونشأته في بيت أمير ميسور أعانه على الرحلة في طلب العلم والأخذ عن معظم علماء عصره ، يعينه في ذلك حافظه جيدة ، وذاكرة قوية ، وموهبة مبدعة ، وهمة لا تعرف الفتور ولا التواني .

وأستطيع القول إن الصفدي سنّ للناس بعده سنة التأليف في هذا الفن (تراجم المعاصرين) ، فأنشأ بعده ابن حجر العسقلاني كتابه (إنباء الغمر بأبناء العمر) ، وتممه إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) في كتابه (إظهار العصور لأسرار أهل العصر) ، وترجم (بالتأريخ للأعيان من ٨٥٥ - ٨٨٥ هـ) . كما تممه أيضاً أحمد بن محمد الأنصاري ، ابن الحمصي الشافعي ، في كتابه (حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران) ، ترجم فيه لمعاصريه من سنة (٨٥١ هـ) حتى (٩٠٠ هـ) .

ولست بناس في هذا المقام ما كتبه الثعالبي في (يتيمة الدهر) ، والباخرزي في (دمية القصر) ، لأن هذه الكتب جنحت إلى تراجم الشعراء والأدباء ، والصفدي لم يترك علماً مشهوراً ، أو من كان له أدنى شأن يذكر إلا وترجم له ، فحوى بين دفتيه تراجم السلاطين والأمراء والقضاة والولاة والعلماء والأدباء والشعراء ، حتى إنه ترجم لبعض مؤذني المساجد .

وثمة أمور وقضايا مهمة نثرها الصفدي في ثنايا تراجمه تعدّ من مزايا هذا الكتاب ، وتعلي من قيمته ، ومن أبرزها ؛ إضافة إلى مضمونه :

١ - يعدّ الكتاب مصدراً أساسياً من مصادر حياة الصفدي نفسه ، ففيه إشارات كثيرة إلى تواريخ أحداث مهمة في حياته ، كتسلمه لبعض المناصب ، أو لإجازاته التي أخذها من العلماء ، أو لرحلاته ، وما إلى ذلك . ففي ترجمة محمد بن أحمد بن محمد الشيرازي يقول : « وفي هذا اليوم [الخميس ١٨ ربيع الأول سنة ٧٣١ هـ] دخلت أنا في ديوان الإنشاء بدمشق » .

- وفي ترجمة محمد بن أحمد بن تمام يشير إلى أنه أخذ منه إجازة سنة (٧٢٩ هـ) .
 وذكر في ترجمة محمد بن أبي بكر بن محمد بن طرخان أنه أجازه سنة (٧٢٨ هـ) .
 والأمثلة على ذلك كثيرة في الكتاب .
- ٢ - والكتاب أيضاً مصدر مهم لشعر الصفدي وأدبه : فقد أورد فيه قدراً كبيراً من أشعاره ومساجلاته ومعارضاته وألغازه وموشحاته ورسائله وتوقيعاته .
- ٣ - كما أنه بثَّ فيه كثيراً من آرائه النقدية وملاحظته على الشعراء والأدباء ، مما يُظهر منهجه النقدي ويكشف بعض جوانبه .
- ٤ - ويظهر في الكتاب جانب مهم من جوانب ثقافة الصفدي من خلال تقييداته التي نثرها بين التراجم وضبط فيها الأعلام والألقاب والأماكن .
- ٥ - ويعدُّ هذا الكتاب مصدراً أساسياً من مصادر الشعر والأدب لرجال القرن الثامن .
- ٦ - كما يستطيع الباحث أن يجد فيه كثيراً من القضايا الاجتماعية ، والعادات ، والتقاليد ، والأزياء ، والأسلحة ، التي كانت شائعة في عصر الصفدي ، إضافة إلى تواريخ بناء عدد من المساجد ودور العلم والقلاع وما إلى ذلك .
- ٧ - وفي الكتاب كثير من المصطلحات التي كانت مستخدمة في ذلك الوقت تتكشف للباحث .
- ٨ - يضاف إلى ذلك كثير من الفوائد اللغوية الفصيحة والعامية والأعجمية ، فهو مصدر مهم ورد فيه ألفاظ ومسميات وأساليب مختلفة ، ولا سيما التي جاءت بلهجاتها العامية في سياق الحوار والأزجال الشعبية ، مما يفتح الباب لعلماء اللغة وتطور الدلالة ليخرجوا منها بدراسات ونتائج ذات قيمة بارزة .

وفوق ذلك كله الكتاب وثيقة تاريخية مهمة لكاتب معاصر وشاهد عيان لأحداث القرن الثامن الهجري .

مخطوطات الكتاب :

لم نستطع الحصول على نسخة كاملة من الكتاب غير النسخة التي نشرها مصورة الأستاذ الدكتور فؤاد سزكين ، وقد سعى القائمون على مركز جمعة الماجد ببدبي جهدهم للحصول على نسخ أخرى من الكتاب ، فحصلنا على أجزاء متفرقة منه كانت تعيننا في أثناء التحقيق على حل بعض المشكلات أو سد بعض الثغرات ، وبقيت بعض أجزاء الكتاب مقتصرة على النسخة الوحيدة التي صورها د . سزكين ، وهي التي قام عليها تحقيق هذا الكتاب ونشره .

١ - نسخة الأصل :

قال د . سزكين مقدماً لهذه النسخة يصف الكتاب ومخطوطه : « لعل حجم الكتاب الذي نشره بهذه الطبعة التصويرية كان عبارة عن (١٢) مجلداً بخط يد المؤلف .

بقي بخطه المجلد (١٢) في طوبقابوسراي أحمد الثالث (٢٦٢١) ، والرابع في مكتبة لاله لي (١٩٩٦) .

والخامس في آياصوفيا (٢٩٩٦) .

والسابع في الإسكوريال (١٧٢٢) .

والثامن والتاسع في آياصوفيا (٢٩٦٨ و ٢٩٦٩) .

والثاني عشر في طوبقابوسراي أحمد الثالث (٣٠١٠) .

كما بقيت عدة مجلدات أخرى من الكتاب بغير خط المؤلف في مكتبات إستانبول وغيرها .

فالنسخة التي اعتمدها أصلاً لطبعتنا التصويرية هذه ، والمحفوظة في مكتبة عاطف أفندي في إستانبول تحت رقم (١٨٠٩) كان هلموت ريتز قد أشار إلى وجودها في مقالاته عن بعض كتب الصفدي التي نشرها سنة (١٩٢٩-١٩٣٠ م) ، وهي مستنسخة سنة (٩٧٢ هـ) شاملة جميع الكتاب في مجلد ضخم . وأكملنا خمس صفحات كانت تنقص منها (ج ٢/٣٢٦-٣٣٠) من الجزء الثامن الذي بقي بخط المؤلف في آيا صوفيا (٢٩٦٨) كما ذكر آنفاً .

وقد أخرج سزكين هذه النسخة في ثلاثة أجزاء :

- الجزء الأول : يبدأ بمقدمة المؤلف ثم بترجمة (أباجي) وينتهي بترجمة (صرغتمش) . وعدد صفحاته (٣٥٠) صفحة .

- الجزء الثاني : يبدأ بترجمة (الضفدع) وينتهي بترجمة (محمد بن حسينا) ، وعدد صفحاته (٣٤٤) صفحة .

- الجزء الثالث : يبدأ بترجمة (محمد بن الحشيشي) حتى آخر الكتاب ، وعدد صفحاته (٣٦٩) صفحة .

- في كل صفحة من المخطوط (٣٧) سطراً ، وفي كل سطر (١٦) كلمة .

- كتب المخطوط بخط نسخي مقروء .

- نسخ المخطوط عبد الرحمن بن أبي بكر العواجي نزيل مكة المشرفة ، وقد فرغ من نسخه نهار الجمعة ، الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وتسع مئة للهجرة النبوية الشريفة .

وقد ترك الصفدي عدداً من المواضع في الكتاب فارغة على أمل أن يملأها فيما بعد ، ولم يفعل ، وأبقى الناسخ على هذه الفراغات ، وهي في الغالب عندما يريد

أن يورد شيئاً من شعر المترجم له ، وأحياناً قليلة عند ذكر ولادة المترجم له أو وفاته كما أسلفت .

٢ - النسخة (ق) :

وهي بخط الصفدي ، إلا أنها ناقصة ، واجتمع لدينا أجزاء منها هي :

- الجزء الثاني : يبدأ بترجمة (إدريس بن عبد الله عماد الدين البني) وينتهي بترجمة (بهادر بن عبد الله السنجري) .

يقع هذا الجزء في (١٨٣) ورقة . في كل صفحة (١٧) سطراً ، وفي كل سطر اثنتا عشرة كلمة . وهناك بعض الفراغات فيه .

كتب بخط نسخي مقروء .

هذا الجزء في مكتبة طوبقايوسراي تحت رقم (٢٢٦٢١ A) .

- الجزء الخامس : يبدأ بأول حرف العين ، وينتهي بترجمة (عبد الحمود بن عبد الرحمن بن محمد) .

أوراقه (١٥٣) ورقة ، في كل صفحة (١٦) سطراً ، وفي كل سطر اثنتا عشرة كلمة .

كتب بخط نسخي مقروء ، وفيه بعض الفراغات .

هذا الجزء في مكتبة آيا صوفيا ، تحت رقم (٢٩٦٦) .

- الجزء السابع : يبدأ بترجمة (علي بن عيسى بن سليمان بهاء الدين) . وينتهي

بترجمة (عيسى بن يحيى بن أحمد بن محمود ضياء الدين الأنصاري) . أوراقه (١٣٥) ورقة ، في كل صفحة (١٤) سطراً ، في كل سطر (١٣) كلمة .

كتب بخط نسخي مقروء ، وفيه بعض الفراغات .

الجزء من محتويات مكتبة الإسكوريال تحت رقم (١٧٢٢) .

- الجزء الثامن : يبدأ بترجمة (غازان بن أرغون) ، وينتهي بترجمة (محمد بن أحمد بن يعقوب) .

أوراقه (١٥١) ورقة ، في كل صفحة (١٦) سطراً ، في كل سطر اثنتا عشرة كلمة .

كتب بخط نسخي مقروء ، وفيه بعض الفراغات .

هذا الجزء في مكتبة آيا صوفيا تحت رقم (٢٩٦٨) .

- الجزء الثاني عشر : يبدأ بترجمة (محمود بن علي بن مقبل تقي الدين الدقوقي) حتى آخر الكتاب .

أوراقه (١٥٤) ورقة ، في كل صفحة (١٧) سطراً ، في كل سطر اثنتا عشرة كلمة .

كتب بخط نسخي مقروء ، وفيه بعض الفراغات .

هذا الجزء في مكتبة طوبقاي سراي ، تحت رقم (٣٠١٠) A ، مجموعة أتقروي .

٣- النسخة (خ) :

يبدو أن هذه النسخة اختيارات من الكتاب ، فهي كاملة من حيث البداية والنهاية ، إلا أنها لا تحتوي على جميع التراجم ، بل اقتصر على المشاهير منهم في الغالب .

وهي نسخة جيدة ، كتبت بخط نسخي مقروء سنة (٨٣٣ هـ) .

عدد أوراقها (١٧٩) ورقة من القطع الكبير . في كل صفحة (٣٣) سطراً ، في

كل سطر (١٤) كلمة . ورقها (٢٩٨) . وهي من النسخ التي زودنا بها مركز جمعة الماجد بدبي .

٤ - النسخة (أ) :

نسخة ناقصة ، حصلنا على مجلدين منها :

- المجلد الأول يضم كل التراجم التي تبدأ بحرف الألف . ويقع في (١٧٠) ورقة ، في كل صفحة (٢٥) سطراً ، في كل سطر اثنتا عشرة كلمة .

- المجلد الثاني : يضم التراجم التي تبدأ بحرف العين . ويقع في (٢١٦) ورقة .

كتب المجلدان بخط نسخي جيد . وهذه النسخة جيدة ودقيقة عالية ، إلا أنها غير كاملة .

٥ - النسخة (س) :

هي نسخة ناقصة ، حصلنا على جزأين منها :

- الجزء الثالث : يبدأ بترجمة (سليمان بن حمزة المقدسي الجماعلي) ، وينتهي بترجمة (عطية بن إسماعيل اللخمي) .

أوراقه (٢٢٦) ورقة ، في كل صفحة (٢١) سطراً ، في كل سطر (١٢) كلمة . كتب بخط نسخي مقروء .

هذا الجزء في الأستانة تحت رقم (٥٨٧) .

- الجزء السابع : يبدأ بترجمة (محمد بن محمود) حتى آخر الكتاب .

عدد أوراقه (٤٠٣) ورقة . في كل صفحة (٢١) سطراً . في كل سطر (١٢) كلمة .

كتب بخط نسخي مقروء .

موجود في الأستانة ، تحت رقم (٥٧٨) .

هذان الجزءان مصوران عن نسخة وقف السيد مصطفى رئيس الكتاب بالأستانة ، موجودان في دار الكتب المصرية تحت رقم (١٠٩١) .

٦ - النسخة (ط) :

نسخة ناقصة ، حصلنا على ثلاثة أجزاء منها :

- الجزء السابع والجزء الثامن : يبدأان بترجمة (علي بن عبد الكريم بن طرخان) وينتهيان بترجمة (محمد بن أحمد بن علي بن عبد الكافي) .

عدد الأوراق (٢٢٦) ورقة . في كل صفحة (١٥) سطراً ، في كل سطر (١٦) كلمة .

هما في مكتبة طوب قبوسراي تحت رقم (١٢١٦ ، H ، E) .

- الجزء الثاني عشر : يبدأ بترجمة (محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن القويح) حتى آخر الكتاب .

عدد أوراقه (١٢٥) ورقة . في كل صفحة (١٥) سطراً ، في كل سطر (١٦) كلمة .

وهو في مكتبة طوب قبوسراي ، تحت رقم (١٢١٧) .

هذه النسخة تتطابق مع نسخة الأصل إلا في بعض المواضع . وقد نسخها أحمد بن مسعود النابلسي سنة (٨٧٠ هـ) .

٧ - النسخة (ز) :

نسخة ناقصة ، وقفنا على جزء واحد منها ، يبدأ بترجمة (عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك الأنصاري) ، وينتهي بترجمة (علي بن الحسين بن قاسم بن منصور بن شيخ العويثة) .

عدد أوراقه (١٢٨) ورقة ، في كل صفحة (١٥) سطراً ، في كل سطر (١٣) كلمة .

كتب هذا الجزء بخط نسخي دقيق مقروء ، وهو في مكتبة آيا صوفيا ، تحت رقم (١٥١٥) .

عملنا في التحقيق :

- اتخذنا النسخة الخطية الموجودة في مكتبة عاطف أفندي أصلاً ، وهي النسخة الوحيدة الكاملة التي صورها الدكتور فؤاد سزكين ، ثم نسخنا متنها ، وقابلنا أجزاء النسخ الأخرى التي حصلنا عليها مبينين الفروق بينها ، وقد أثبتنا في المتن ما قدرنا أنه الصواب .

- كما عارضنا تراجم الكتاب بما في (الوافي) وأثبتنا الفروق بين الكتابين .

- ذكرنا بعض مصادر تراجم الكتاب في الحواشي ، ولم نحاول الإكثار من ذلك ، إذ اكتفينا بأبرز المصادر .

- خرّجنا الآيات ، والأحاديث ، والأشعار ، والأمثال ، ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً .

- وثّقنا بعض الحوادث التاريخية والأخبار المهمة .

- شرحنا مصطلحات العصر الواردة في الكتاب .

- شرحنا من الألفاظ ما اعتقدنا أنه يحتاج إلى ذلك .

- عرّفنا بمواضع الأماكن وحددناها .

- قمنا بترقيم التراجم من أول الكتاب إلى آخره .

- صنعنا فهرس عامة للكتاب .

وقد حرصنا في هذا العمل على توخي الدقة في إخراج النص على أفضل وجه ممكن وتوثيق ما فيه ، وتجنبنا إثقاله بالخواشي المطولة ما وسعنا ذلك فطبيعة الكتاب لا تحتل التطويل .

وكما هو مطلوب في نشر النصوص العلمية ، أبقينا كلام المؤلف على حاله في تراجم الأعلام ، وفي المختارات التي حلّى بها تراجمه من الشعر والنثر والأخبار ، التزاماً منا بالمنهج العلمي الذي رسخت قواعده عند المستشرقين وعند المحققين العرب معاً ، لأن هذه النصوص هي وثائق علمية ولغوية وتاريخية تعبر عن مرحلتها التي كتبت فيها ويمكن للباحثين أن يفيدوا منها في دراساتهم .

وما لاشك فيه أنه قد واجهتنا صعوبات كثيرة وظروف معقدة في هذا العمل ، لم ندخر جهداً نستطيعه للتغلب عليها وتجاوزها ، فما وَفَّقنا فيه هو من فضل الله وتوفيقه وتيسيره ، وما تقاصرت همنا عن إدراكه فمن أنفسنا ، ونسأل الله العفو المغفرة ، ولعل أهل العلم والخبرة يلمسون لنا عذراً ويرشدوننا إلى ما فيه الخير والصواب لنا وللفتنا وتراثنا العظيم .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾

﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾

الكويت في : رمضان المبارك ١٤١٦ هـ

آذار ١٩٩٦ م

علي أبو زيد

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقني إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب ^(١)

الحمد لله الذي حكّم على أهل الوجود بالعدم ، وقَدَّرَهُ عليهم بالقدم ^(٢) ، وقضى به على الخلق فما أفاد معه محاذاةً حذيرٍ ولا مناداةً ندم ، وأورد الموت على فناء أعمارهم فأنهت وبناء أبشارهم ^(٣) فأنههم . نحمده على نعمه التي فسحت مدة الأجل ، ومنحت تراخي المهلة ولم تؤثر العَجَل ، ونزحت ^(٤) القلوب إلا من الأمن ، ودفعت ما عَظُم وجلّ من الوجَل .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هي الذخر يوم الفاقة ، والحق أن لا تردّ يوم المُحَاقَّة ^(٥) ، والفارط الذي قدّمناه ونحن نرجو لحاقه .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي حذّر معاطب الغرور ، وبصّر عواقب السرور التي تليها الشرور ، وأظهر كواكب الحقّ فهي في فلك البدور تدور ، فهو الذي :

لم أجِرْ غايةَ فكري منه في صِفَةٍ إلا وَجَدْتُ مداها غايةَ الأبد

(١) هذه المقدمة خلت منها : (خ) .

(٢) (أ) ، (ك) ، : « في القدم » .

(٣) جمع بَشْرَة ، وهو ظاهر الجلد .

(٤) نزحت القلوب : فرغت أو كادت تفرغ .

(٥) (أ) ، (ك) « يوم الحاقة » ، والحاقة : القيامة . والتحاق : التخاصم ، وحاقه : خاصه .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كانوا شجى في لهوات من كفر ، وكان الباطل بهم دجى حتى جلاوا الحق فلاح صباح الفلاح بهم وسفر ، وراضوا الزمان فاستقاد لهم من بعد ما تقاعس ونقر ، ورآهم الزمان جمال هذه الأرض في الحياة ، وبعد المئات جمال الكتب والسير ، فهم الذين سجع الحمام بمدحهم وصدح ، وشرح الخاطر وصفهم^(١) لما جال في سرد مناقبهم وشرح ، وإياهم أراد ابن الرومي لا من خاطبه ومد المدى لما مدح ، إذ يقول^(٢) :

أراؤكم ووجوهكم وحلومكم في الحادثات إذا دجئون نجوم
منها معالم للهدى ومصباح تجلو الدجى والأخريات رجوم

صلاة لا يمل الزمان دوامها ، ولا يرى الدهر انصرافها^(٣) وانصرامها ، مانبت في رياض الدياجي نرجس نجوم ، وراحت أطيوار الدراري على نهر المجرة وهي تحوم^(٤) ، وسلم تسلياً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد : فإن الوقوف على أخبار من تقدم ، وخرب ربع عمره بالموت وتهدم ، ووصف في حياته أو غادر للشعراء في رثائه لما تردى ماتردم^(٥) - مما تشوق النفوس إلى الوقوف عليه ، وتشوق بجملتها إليه ، فإنه : « في الزاهبين الأولين لنا بصائر »^(٦) ، وفي آثار من درج وأخباره أدلة للتأسي وأمائر ، وفي التفكير في مصارعهم

(١) (أ) ، (ك) : « واصفهم » .

(٢) ديوانه : ٢٣٤٥/٦ .

(٣) ليست في (أ) ، (ك) .

(٤) (أ) ، (ك) : « وهي على نهر المجرة تحوم » .

(٥) تلميح إلى مطلع معلقة عنتره :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

(٦) هو أول الأبيات التي أنشأها قس بن ساعدة في خطبته المشهورة في سوق عكاظ ، وروايته : في الزاهبين الأولين
من من القرون لنا بصائر

ما يُصلح الظواهر والضمائر . وقد حضّ القرآن على مثل هذا وحثّ ، ورمّ^(١) بوعظه مارقة من القسوة ورثّ . والتاريخ فنّ^(٢) لا يملّه طرف مطالع ، ولا يسأله سَمْعُ مصغٍ ولا مُراجع ، ولا يخلو من يقف على التواريخ من فائدة ، ولا يطوي صُحفها إلا وقد حصل منها على صِلَةٍ وعائِدة ، ولا تمرّ به كائنة إلاّ تنبّه لها وأجراها على ما في ذهنه من القاعدة ، وما كان التراجم في /التواريخ إلاّ كتاب وردّ من غايب ، أو خبر جاء به نجابٍ إما بالمحسن أو بالمعيب :

فلا تبخلوا معَ بَعْدكم بوجوهكم علينا ألاّ إنّ الوجوه هي الكتبُ

فكم قد سمعنا بوجودٍ ولم تتبين حاله ، ولا عرفنا حقّه ولا مِخَالَه^(٣) ، ولا علمنا ما انتصف به من ذمّ أو مدح ، ولا ما التحف به من موجب شكر أو قدح ، وربّما كان للإنسان قريبٌ وقد درّج ، أو لَزِمَ^(٤) وقد دخل هذه الدارَ وخرج ، ولا عِلْمٌ له بما عامله به زمانه ، ولا ما أحدث^(٥) له حَدَثَانُهُ :

وقد فارق الناسُ الأحبة قَبْلَنَا وأُعْيَا دواءَ الموت كلَّ طبيب^(٦)

فإذا راجعَ التواريخ كان كمن شاهدَ مَنْ مضى ، وعاینَ ما جرى به عليه القَدَرُ وقضى . وأنا أرى التاريخ والترجمة معاداً ثانياً في المعنى لا في الوجود ، ونشراً أوّلَ قبل نشر الرُّفَات إلاّ أنها لم يَفُضَّ عنها خَتَمُ اللُّحود .

وكنْتُ قد أنفقت مدّةً من العمر^(٧) ما وجدت لها عوضاً ، ولا حسبتها إلاّ لمعةً برقٍ

(١) (أ) ، (ك) : « ورام » . والرم : الإصلاح .

(٢) (أ) ، (ك) : « فنّ قَدْ » .

(٣) محاله : فساده وكيده ومكره .

(٤) أي ملازم .

(٥) (أ) ، (ك) : « حدث » . وحَدَّثَانُ الدهر : تَوْبُهُ وحوادثه .

(٦) « دواء » مطموسة في الأصل ، ثابتة في أ ، ك .

(٧) (أ) ، (ك) : « التي » .

أومضَ لي وَمَضَى ، في جمع تاريخي الكبير الذي سمّيته : (الوافي بالوفيات) ، وسقت فيه ذِكْرَ جَمَلٍ من الأعيان من زمن النبي ﷺ وإلى زمانِي ، وَنَصَبْتُ فيه نفسي دَرِيئَةً لمن طعن فيَّ أو رَمَانِي ، إِلَّا أَنَّهُ جاءَ مُطَوَّلًا ، وأصبح وجه مَضْمُونِهِ عن الاختصار والاختصار مُخَوَّلًا ، فأردت بعد فراغي منه أن أَقْتَصِدَ وأَقْتَصِرَ ، وأختارَ مِمَّا أَمْتَارَ وأختَصَّ وأختَصَرَ ، وأَجْعَ تاريخًا لمن أدركه عصري وجنى ثَمَرَ غُصْنِهِ هَضْرِي ، وضممتي وإياه دائرة وجودي أو نُقْطَةُ مِضْرِي ، أو كان في زمانِي ولم أره ، أو نقلَ الرواة الأثبات خبره :

أليسَ الليلَ يَجْمَعُ أمَّ عمروٍ وإيانا فذاك لنا تَدَانِي
وَتَنْظُرُ للهِلالِ كما أَرَاهُ وَيَعْلُوها النهارُ كما عَلَانِي^(١)

وما أحسنَ قولَ الآخرِ :

قال لي قائلٌ لأَيَّةِ حالٍ ترقبَ البدرَ ثمَّ تَهَوَى سِوَاهُ
قلت إمَّا لِشِبْهِهِ من حَبِوَةٍ أو لَأَنِّي أَرَاهُ وَهُوَ يَرَاهُ

وابتَدَأْتُ ذلك من سنة ستٍّ وتسعين وست مئة ، وهي سنة مولدي ، وَنَهَلْتُ مَوْرِدِي ، وَجَذَوْتُ مَوْقِدِي ، وَبَدَأْتُ^(٢) موعدي .

وَرَبَّيْتُ أَسْمَاءَ مَنْ فيه على حروف المعجم ، وَأَدْمَتُ غَيْثَ فَوَائِدِهِ الذي انسجم^(٣) وَجَعَجَعْتُ بِفَارِسِ الإطناب فيه ، فَكَّرْتُ وما فَكَّرْتُ ، وَحَجَّ وما أَحْجَمْتُ . وهو شيءٌ جَمَعْتُهُ لِنَفْسِي لِأَحَدٍ من أبناء جنسي ، وجعلتُهُ لي رَأْسَ مالٍ ، وبضاعةَ صَمَتِ الحلالِ المرقومة

(١) البيتان من قصيدة لجحدر بن مالك قالها لما سجنه الحجاج الثقفي ، وهي في أمالي القالي : ٢٧٧/٢ ، وشرح أبيات مغني اللبيب : ٢٠٨/٣ .

(٢) (أ) ، (ك) : « بداءة » ، وهما بمعنى .

(٣) في الأصل و (ك) : « أنجم » ، وأثبتنا ما في أ وهي أشبه .

والبرود الأسمال^(١) ، فمن رآه كثيراً ، وما حلّ من قبله محلاً أثيراً ، أو قابل صفحات وجهه بالإعراض ، أو أرسل سهام نظيره فما أصابت منه الأغراض ؛ فذلك أمرٌ به عليّ قضي الباري ، وشيء جرى به القلم وما هو إلا كالجبانة أزور فيها قبور أصحابي ، وأتردد منها إلى أحداث أترابي وأحابي ، وألتف في أكفان شبي الذي نزل بي وأقسم أنه ما يرحل إلا بي ، فقد ذكرت فيه جماعة رأيته وما رأيته ، ودانيتهم حق الصبة وما دانيتهم^(٢) ، ورثت حبال صبري التي ورثها لآرثيتهم ، ممّن انتفعت بعلومهم ، ورفعت بين نجومهم ، وشركت بعضهم في ماله ، وتركت النظر إلى البدر لأنه مافاز بمثل جماله ، ولا حاز مثل كاله :

ومعاذَ الإله أن أتعزّي عنه طول الزمان أو أتسلى

فكمّ فينّ ذكرته من جرّعتي ما غصص ، وجرّعتي رداء^(٣) الصبر وقلّص ، وتقدّم أمامي وهو يقودني إلى حفرتي بزمامي ، وغادرني بعده وحيداً ، وأخذ حظي معه وراح . وأهل هذا العصر يريدون شيئاً جديداً ، والله أبو عبادة البحري حيث يقول في رثاء المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان^(٤) :

أطلب أنصاراً على الدهر بعدما ثوى منها في التراب أوسي وخزرجي
مضواً أمماً قبلي وخلفت بعدهم أخاطب بالتأثير والي منبج^(٥) /

والله أسأل أن يجمعنا في دار كرامته ، ويمدّ علينا ظلّ لطفه ورحمته ، ويجرّينا على ما ألفناه وآلفناه من نعمته :

وإن أستطع في الحشر جئتكَ زائداً وهيئات لي يوم القيامة أشغال

(١) (أ) : « والأسمال » . وسمل الثوب : أخلق .

(٢) (أ) ، (ك) : « لآ دانيتهم » .

(٣) في الأصل « دواء » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ك) .

(٤) ديوان البحري ٤١٨/١ .

(٥) منبج : من قرى الشام ، شمال مدينة حلب ، وهي بلدة البحري :

اعترضت بهذه الجملة ، وزدتُ همَّ القلب هذه الحَمْلَة ، فإنها من المصدور نَفْثَة ، واستراحة في نصف الطريق مِّنْ أعياء وَلَبْثَة .

وأعود إلى ما كنت فيه ، وأفي له بحقه وأوفيّه ، فأقول : وقد ^(١) كنت رأيت فيما وقفت عليه من أخبار الوزير أبي الوليد أحمد بن زيدون المغربي أنّه لما كان بقرطبة وزيراً توفيت ابنته ، ولما فرغ من دفنها وقف للناس عند مُنْصَرَفِهِم من الجنّازة ليتشكروا لهم ، فقيل : إنّ ما أعاد في ذلك الموقف عبارةً قالها لأحد ^(٢) .

قلت : وهذا من التوسّع في العبارة والقدرة على التفنن في أساليب الكلام ، وهو أمرٌ صعبٌ إلى الغاية ، وأراه أنّه أشقّ ممّا يُحكى عن واصل بن عطاء وأنّه ماسّع ^(٣) منه كلمة فيها حرف راء ، لأنّه كان يلثغ بحرف الراء لثغةً قبيحة ، والسبب في تهوين هذا الأمر وعدم تهويله ؛ أنّ واصل بن عطاء كان يعدل إلى ما يرادف تلك الكلمة في معناها وليس فيها راء ، وهو كثيرٌ في كلام العرب ، فإذا أراد العدول عن لفظ : (فرس) قال : (جواد) أو (سابح) أو (صافن) ، أو العدول عن لفظ : (رمح) قال : (قنّاة) أو (صعدة) أو (يَزَيّ) أو غير ذلك ، أو العدول عن لفظ : (صارم) قال : (حسام) أو (لهنم) أو غير ذلك ، وأمّا ابن زيدون فأقول في حقّه : إنّهُ أَقْلٌ ما كان في تلك الجنّازة ، وهو وزير ^(٤) ، ألف رئيسٌ مِّنْ يتعيّن عليه أن يتشكّر له ، ويضطرّ إلى ذلك فيحتاج في هذا المقام إلى ألف عبارةٍ مضمونها التشكّر ، وهذا كثيرٌ إلى الغاية ، لاسيّما من محزونٍ فقد قطعاً من كبده :

ولكنّه صوبُ العقول إذا انبرتُ سحائبٌ منه أعقت بسحائب ^(٥)

(١) ليست في (أ) ، (ك) .

(٢) نفخ الطيب : ٥٦٥/٣ ، وقد نقل للقرني كلام الصفي الآتي عن كتابه (الوافي) .

(٣) (أ) ، (ك) : « لم تُسَمَّع » . وانظر الأغاني : ١٤٦/٣ .

(٤) « وهو وزير » ليست في (أ) ، (ك) .

(٥) البيت لأبي تمام من قصيدة مدح بها أبادلف العجلي ، مطلعها :

على مثلها من أربع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب

(ديوان أبي تمام : ٢١٤/١) .

وقد استعمل الحريري - رحمه الله تعالى - هذا في (مقاماته) ، فهو في كل مرة يجتمع فيها الحارث بن همام بأبي زيد ويحتاج إلى أن يقول : (فلما أصبح الصبح) ، تراه ^(١) يعبر بعبارة عن هذا المعنى بغير عبارته الأولى ، فتارة قال : (فلما لاح ابن ذكاء ، وألحف الجوّ الضياء) ، وتارة قال : (إلى أن أطلّ التنوير ، وحسر الصبح المنير) ، وتارة قال : (حتى إذا لالأ الأفق ذنب السرحان ، وأنّ انبلاج الفجر وحنان) ، وتارة قال : (إلى أن عطس أنف الصباح ، ولاح داعي الفلاح) ، وتارة قال : (فلما بلغ الليل غايته ، ورفع الصبح رايته) ، وهذا كثير في مقاماته ، وهو من القدرة على الكلام . وأرى الخطيب ابن نباتة ^(٢) - رحمه الله تعالى - ممن لا يلحق في هذا الباب ، فإنه أملى مجلدة معناها من أولها إلى آخرها : (يا أيها الناس اتقوا الله واحذروه ، فإنكم إليه راجعون) . وهذا أمرٌ بارعٌ معجز ، والناس يذهلون عن هذه النكتة فيه ، وقد خطر لي أنا مثل ذلك عند ذكر وفاة كل من الأعيان الذين أذكرهم في هذا التاريخ ، فإن اتفق لي مثل هذا فهو بحول الله وقوته ، وإنقاذ الجبان من دحض هوته ، وإلا فعذر المزلّة ^(٣) في هذا المقام واضح ، والإقالة من عثرته أمرٌ راجح ، وأعوذ بالله من إعجاب المرء بنفسه ، وجّره رداء الخيلاء وهو حقير في نوعه وجنسه .

وقد سميت الكتاب ^(٤) عندما أردت وضعه ، وقصدت تأليفه وجمعه (أعيان العصر وأعوان النصر) ، وبالله الاستغاثة والاستعانة ، وطلب الإنابة إليه في الإعانة على الإبانة ، والعيادة مما نحن به في هذا الزمان من الزمانة ، إنه وليّ الخيرات في الدنيا والآخرة سبحانه ، عليه توكلت وإليه أنيب .

(١) (أ) ، (ك) : « فتراه » .

(٢) عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة الفارقي (ت ٣٧٤ هـ) . وفيات الأعيان : ٢٨٣/١ .

(٣) (أ) ، (ك) : « المرء » ، وهي أشبه .

(٤) (أ) ، (ك) : « هذا الكتاب » .

حرف الهمزة

١ - أباجي *

الأمير سيف الدين ، النائب بقلعة دمشق .

أول ما عرفته ^(١) من شأنه وألفته من ترفع مكانه أنه كان في أعداد ^(٢) أمراء حلب ، وصار بعد ذلك ماله إلى دمشق والمنقلب . أظنه جاء إلى قلعة ^(٣) دمشق بعد موت الأمير علاء الدين مغلطاي المرتيني ^(٤) نائبها ، وذلك في سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، وضبط أمر القلعة ضبطاً تاماً ^(٥) ، وحفظ أمرها حفظاً عاماً ، خصوصاً في وقعة بينغاروس ^(٦) ومن بغى معه من تلك الروس ، لأنه حصنها ، وجملها بالآلات الحصار وحسنها ، وصابر أولئك الغاوين ، ولم يتحيز إلى فئة الباغين ، فشكر لذلك مقامه ، وزاد في القلوب احترامه . وهو زوج أخت الأمير سيف الدين طشبعغا الدوادار ^(٨) ، وكان شيخاً طوالاً ذا رِواء ، وقوام يحاكي القناة في الاعتدال والاستواء . قد قرّب منه الأجل

* النجوم الزاهرة ٣٠٠/١٠ ، والذيل التام ١٤٢ وفيه : إياجي . وذكر ابن كثير بعض أخباره في البداية والنهاية : ١٤٥/١٤ و ٢٥٦ .

(١) (أ) ، (ك) ، (خ) : « عرفت » .

(٢) (أ) ، (ك) : « أعداد » ، خ : « عدد » .

(٣) خلت منها (أ) ، (ك) ، (خ) .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها من حرف الميم .

(٥) (أ) ، (ك) ، (خ) : « أمراً تاماً » ، ولا وجه لها .

(٦) (أ) ، (خ) : « واقعة » . وفي الأصل ، و (أ) ، و (خ) : « بينغاروس » ، تحريف ، وستأتي

ترجمته في موضعها من حرف الباء .

(٧) (أ) ، (ك) ، (خ) : « في » .

(٨) ستأتي ترجمته في موضعها من حرف الطاء . والدوادار : حامل دواة الخبر .

وَتَدَلَّى ، ووصل إلى النقا ولم يبق إلا المصلى ، ولم يزل على حاله إلى أن نزل من القلعة على ظهره ، وانخطّ بعد الرفعة إلى قعر قبره .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم السبت عاشر شعبان سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

٢ - إبراهيم بن أحمد بن هلال*

القاضي برهان الدين الزرعي الحنبلي ، ناب في الحكم لقاضي القضاة علاء الدين بن المنجأ^(١) الحنبلي بدمشق .

مولده سنة ثمان وثمانين وست مئة^(٢) ، ووفاته في نصف شهر رجب الفرد يوم الجمعة سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

لم يحصد الموت من زرع له نظيراً ، ولا اجتلى الناس من حوران مثله قرأ منيراً ، أتقن الفروع ، وبهر فيها من الشروع ، وجوّد أصول الفقه وشغل فيها الناس ، وأوضح لهم فيه ما حصل من الإلباس ، وبرع في النحو وظهر ، ومارس غوامضه ومهر ، وقرأ الفرائض ، وأتى فيها وحده^(٣) بما لم يأت به ألف رائض ، واشتغل في الحساب^(٤) ، وغني بذهنه الوقاد عن الاكتساب ، وكتب المنسوب الفائق ، وسلك فيه أحسن الطرائق ، وكان الناس يأتون إليه بالمجلدات ليكتب عليها أسماءها ، ويؤزّن بكواكب حروفه سماءها ، رغبة في حسن خطّه^(٥) ليقوم مقام الفوائح المذهبة ، والأعمال التي هي لأهل الصنائع متعبة . ولقد كان قادراً على حكايات الخطوط المنسوبة ، والطرائق التي هي عند أرباب هذا الفن محسوبة ، فكم قد كمل من مجلد انخرم ، وأخمد من نار

* الوافي : ٣٠٨/٥ ، والدرر : ١٥/١ ، والشذرات : ١٢٩/٦ ، والمنهل الصافي : ٤٢/١ .

(١) ستأتي ترجمته في موضعها من حرف الميم .

(٢) (أ) : « ثمان وست مئة » .

(٣) (أ) ، (ك) : « حذوه » ، ولا وجه لها .

(٤) (أ) ، (ك) ، (خ) : « بالحساب » .

(٥) في الأصل : « خطّه » . تصحيف .

صاحبه الضَّرم ، فإذا رآه العارف لم يُنكر شيئاً من أمره ، ولا علم فاسده ^(١) ولو بحث فيه مُدَّة عمره ، والمكاتيبُ الشرعيَّة إلى الآن تشهد له بحُسْنِ العلام ، وتُمَدِّ لعيونِ الكتَّاب منها موائد وتعمل لهم فيها ولائم .

وكان حَسَنَ الشكل والعمَّة ، وافرَ العقل عاليِ الهِمَّة ، نُدِبَ في أيَّامِ صاحبِ شمس الدين غريال ^(٢) لنظر بيت المال ، فأبى وفكر في العُقْبى والمال ، وكان بصيراً بالفقوى ، جيّد الأحكام لا يقع منها في بُلوى ، يتوقَّد ذهنه من الذكاء والفطنة ، ويدرك الغوامض التي مضى الأوائل وفي قلوبهم منها إحنَّة ، وكان يميل إلى التسري بالأتراك ، ويقع معهنَّ في الحبائل ^(٣) والأشراك ، فكنت أراه جُمعةً في سوق الجواري ، وجمعةً في سوق الكتب ليجمع بذلك بين الدرِّ والدراري . وتعلَّم اللغة التركيَّة من جواريه ، وتكلَّم بها ، فقلَّ من يؤاخذه فيها لما يجاريه . هذا مع براعة في عبارته ، وفصاحة في كلامه ، وبلاغة في إشارته .

أخذ الأصول عن العلامة كال الدين بن الزمِّلَكَاني ^(٤) ، قاضي القضاة ، وجلال الدين القزويني ^(٥) لما كان خطيباً ، وغَضَّ برهان الدين المذكور من الشباب رطبياً . ورأيته يحضِّر دروسَ العلامة ابن تيمية كثيراً ، ويأخذ من فوائده ما شاد به مجدداً أثلاً أثيراً ، يجلس مُنصباً لا يتكلَّف لبحث ^(٦) ولا يتكلَّم ، ويرى أنه يتعلَّق بأهда به ويتعلَّم ، إلى أن قضى نَحْبَه وسكن تُرْبَه ، ولقي ربَّه ، رحمه الله تعالى .

(١) مطموسة في الأصل .

(٢) عبد الله بن صنيعة القبطي الوزير ، (ت ٧٣٤ هـ) . انظر الأعلام ٣١٠ ، وذيل العبر : ١٨٢ ، والدرر : ٢٦٢/٢ .

(٣) (ك) ، (خ) : « تلك الحبائل » .

(٤) ستأتي ترجمته في حرف الميم .

(٥) محمد بن عبد الرحمن بن عمر ، (ت ٧٣٩ هـ) . الدرر : ٣/٤ .

(٦) ليست في (أ) ، (ك) .

وكان قد دَرَسَ في الوقف الجديد الذي أوقفه الأمير سيف الدين بَكْتُمُر^(١) والي الولاية بمدرسة الشيخ أبي عمر^(٢) بالصالحية ، وكان درساً حافلاً حضره الأعيان في خامس عشرين شوال^(٣) سنة تسع عشرة^(٤) وسبع مئة ، ودرّس بالحنبلية^(٥) داخل باب الفرديس عاشر ذي القعدة سنة ست وعشرين وسبع مئة ، وحضره القضاة والفضلاء ، وأولّي^(٦) نيابة الحكم في مستهل جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وأعاد بالمدرسة الصدرية^(٧) وبالجوزية^(٨) والمسامرية .

٣ - إبراهيم بن أحمد بن عَقْبَة بن هبة الله بن عطاء *

القاضي صَدْرُ الدين بن الشيخ مُحيي الدين البَصْرَوِي الحنفي .

دَرَسَ وأفتى وأعاد [وأعان]^(٩) الطلبة وأفاد ، ولي قضاء حلب ، وأقام بها مدة يسيرة ، فما بلغ ما طلب ، ثُمَّ توجّه إلى مصر وسعى^(١٠) سعياً شديداً ، وحصل بقضاء

(١) المعروف بالحسامي ، وستأتي ترجمته في موضعها من حرف الباء .

(٢) واقفها وبانيها الشيخ أبو عمر المقدسي ، محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة ، توفي بدمشق (٦٥٨ هـ) ، الدارس : ٧٧/٢ ، وما بعدها .

(٣) قوله « في ... شوال » ليس في (أ) .

(٤) في الأصل : « تسع وعشرين » . وأثبتنا ما في (أ) ، (ك) ، (خ) . بدليل ماسيأتي .

(٥) الدارس : ٥٠/٢ ، وما بعدها .

(٦) الفضلاء : ليست في (أ) . وفيها : « تولى نيابة .. » .

(٧) واقفها صدر الدين بن المنجّأ . الدارس : ٦٧/٢ .

(٨) (أ) ، (خ) : « والجوزية » . والمدرسة الجوزية بسوق القمح بالقرب من الجامع الأموي ، أنشأها

مُحيي الدين ابن الشيخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي . الدارس : ٢٢/٢ .

والمسامرية : قبلي القيصرية الكبرى داخل دمشق ، بالقرب من مئذنة فيروز ، واقفها الشيخ مسمار ، وهو

الحسن بن مسمار الهلالي الحوراني المقرئ التاجر . الدارس : ٨٩/٢ .

* الوافي : ٣١١/٥ ، والبداية والنهاية : ٣٥٢/١٢ ، والشذرات : ٤٢٨/٥ ، والمنهل الصافي : ٣١/١ ، وعقد

الجمان : ٤١٥ ، وفيات سنة ٦٩٧ .

(٩) زيادة من (أ) و (ك) .

(١٠) (أ) ، (ك) : « وسعى بها » .

حلب تقليداً ، وعاد فأدركه الأجل بدمشق ، وبطل قلم حياته من الخط والمشق ، وتعجب الناس من حرصه الذي بلغ النهاية مع ما كان له بدمشق من الكفاية .

وولد بصرى سنة تسع وست مئة ، وتوفي رحمه الله تعالى في سنة سبع وتسعين وست مئة ، في حادي عشر رمضان .

٤ - إبراهيم بن أحمد بن حاتم بن علي*

الفقيه أبو إسحاق البعلبكي الحنبلي^(١) ، شيخ بعلبك .

أجاز له نصر بن عبد الرزاق^(٢) ، وابن رُوزَبة^(٣) ، وابن اللَّثِّي^(٤) ، وابن الأَواني^(٥) وابن القَبِيْطِي^(٦) ، وعدة .

وسمع من سليمان الإسْعَرْدِي^(٧) ، وأبي سليمان بن الحافظ ، وخطيب مرّدا^(٨) . واشتغل على الفقيه اليُونِنِي^(٩) ، وصحبه .

* الوافي : ٣١١/٥ ، والدرر : ٨/١ ، والشذرات : ٢٩/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٩/١ .

(١) ليست في (أ) ، (ك) .

(٢) (ت ٦٢٣ هـ) . الشذرات : ١٦١/٥ .

(٣) أبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة البغدادي القلانسي العطار الصوفي ، (ت ٦٢٣ هـ) . السير : ٢٨٧/٢٢ ، والشذرات : ١٦٠/٥ .

(٤) عبد الله بن عمر بن علي الحريري ، (ت ٦٣٥ هـ) . السير : ١٥/٢٣ .

(٥) في الأصل ، و (أ) و (ك) : « الأوني » ، وأثبتنا ما في الوافي : وهو إسماعيل بن أحمد بن الحسين العراقي الحنبلي الأواني ، (ت ٦٥٢ هـ) ، السير : ٣٠٥/٢٣ والأواني : نسبة إلى أوانبا ، بليدة كثيرة البساتين والشجر ، نزهة ، من نواحي دجيل بغداد . (معجم البلدان) .

(٦) أبوطالب عبد اللطيف بن أبي الفرج ، محمد بن علي ، (ت ٦٤١ هـ) ، السير : ٨٧/٢٣ ، والعبر : ١٦٨/٥ .

(٧) (أ) ، (ك) : « سلمان » ، تحريف . وهو سليمان بن إبراهيم بن هبة الله ، (ت ٦٣٩ هـ) ، الشذرات : ٢٠٤/٥ .

(٨) محمد بن إسماعيل بن أحمد المقدسي النابلسي الحنبلي ، (ت ٦٥٦ هـ) . السير : ٣٢٥/٢٣ ، والشذرات : ٢٨٣/٥ . ومردا : قرية قرب نابلس بفلسطين .

(٩) محمد بن عبد الله ، (ت ٦٥١ هـ) ، الشذرات : ٢٥٤/٥ .

كانت له وظائف ، ونسخ من العلم صحائف ، كتب (المغني)^(١) بقلمه ، وأدخله بنسخه تحت علمه ، وتفقّه لابن حنبل ، وكان يرى أنه في مذهبه من غيره أنبل ، مع تواضع ، لا يترفع ، ولا يتعرّف إلى الكبر ولا يتفرّع ، يبدأ من يلقاه بالكلام ، ويعامل الناس بالانقياد لهم والاستسلام ، إلى أن وافاه حِمَامُه وانحس من بدره تمامه .

وكانت ولادته في سنة إحدى وثلاثين وست مئة^(٢) ، ووفاته - رحمه الله تعالى - في سنة اثني عشرة وسبع مئة .

٥ - إبراهيم بن أحمد بن عيسى بن يعقوب *

العلامة ، شيخ القراء والنحاة ، أبو إسحاق الإشبيلي الفافقي .

شيخ سبّته ، حُمل صغيراً إلى سبته ، وسمع (التيسير)^(٣) من محمد بن جوبر^(٤) الراوي عن [ابن]^(٥) أبي جَمْرَة ، وسمع (الموطأ) و (الشفا)^(٦) وأشياء . وأكثر عن

(١) أغلب الظنّ أنّه المغني في الأصول لابن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي (ت ٦٢٠) وهو في عشر مجلدات ، السير : ١٦٥/٢٢ ، والكشف : ١٧٥٠/٢ ، ووقع في مطبوعة الوافي بلفظ « المنتقى » مصححاً على مطبوعة الدرر : ٨/١ ، وأشار محقق الوافي في الحاشية [٤] إلى أنّه في الأصل : « المعنى » .

(٢) وفيه نظر ، لأنّ مَنْ أجازوا له وسمع عنهم توفّوا قريباً من هذا التاريخ ، والأرجح أنّه ولد قبل ذلك .
* الوافي : ٣١٢/٥ ، والدرر : ١٢/١ ، والشذرات : ٢٨/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٢/١ .

(٣) في الأصل ، و (خ) : « اليسير » . تصحيف . والتيسير هو كتاب أبي عمرو الداني في القراءات . وهو مطبوع .

(٤) محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن جوبر ، أبو عبد الله الأنصاري البلنسي (ت ٥٥٦) . غاية النهاية : ١٦٠/٢ .

(٥) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في الوافي ، والدرر ، والمنهل .

وفي الأصل و (أ) : « حمزة » تصحيف ، وكذا وقع مصحفاً في أصل الوافي ، وبّنه محققه على ذلك . وابن أبي جَمْرَة هو محمد بن أحمد بن عبد الملك راوي التيسير ، (ت ٥٩٩) . غاية النهاية : ٦٩/٢ ، والشذرات : ٣٤٢/٤ .

(٦) الشفا في تعريف حقوق المصطفى ، للقاضي غياض . الكشف : ١٠٥٢/٢ ، وهو مطبوع .

أبي عبد الله الأزدي^(١) سنة ستين ، وقرأ بالروايات على أبي بكر بن مشليون^(٢) ، وقرأ كتاب سيبويه على أبي الحسين بن أبي الربيع^(٣) .

ساد أهل الغرب في لسان العرب ، وبلغ من النحو غاية الأمل وأقصى الأرب ، وألف كتاباً في شرح (الجمل) ، وانتهى فيه إلى مآرأه من الأمل ، ووضع مصنفاً في قراءة نافع ، ونفع بذلك كل كهل^(٤) ويافع ، وأصبح قلب أهل الشرق وهو خافق من التطلع إلى شيخ غافق ، وسكن لما ظعن من بلده في مدينة سبتة ، وقطع بها جمعة عمره وسبته ، حتى قضى نحبه ، وكدر الموت من الحياة شربه .

وولد سنة إحدى وأربعين وست مئة ، وتوفي رحمه الله تعالى في سنة ست عشرة^(٥) وسبع مئة .

٦ - إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن بن أحمد*

الشيخ الفقيه ، الإمام الصالح ، الخير المَعْمَر ، عز الدين العلوي الحسيني الغرافي^(٦) ، ثم الإسكندري ، الشافعي الناسخ .

(١) عبارة الوافي : « وأكثر عن أبي هريرة ، عن أبي عبد الله الأزدي » .

(٢) في الأصل و (أ) و (ك) : « سلبون » ، تصحيف وتحريف ، وابن مشليون هو محمد بن محمد بن أحمد بن مشليون ، أبو بكر بن أبي عبد الله الأنصاري البلنسي ، أستاذ مقرئ كبير ، توفي في حدود (٦٧٠ هـ) ، غاية النهاية : ٢٣٨/٢ .

(٣) عبد الله بن أحمد بن عبيد الله ، (ت ٦٨٨ هـ) ، البغية : ١٢٥/٢ .

(٤) في الأصل : « نهل » . تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ك) .

(٥) في المنهل الصافي : « توفي سنة عشرة وسبع مئة » .

* الوافي : ٣١٢/٥ ، والدرر : ١٠/١ ، والشذرات : ٨٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٤٠/١ .

(٦) الغرافي : نسبة إلى (غراف) ، نهر بين واسط والبصرة .

سمع بدمشق سنة اثنتين وخسين من حلية حفيده جمال الإسلام^(١) ، ومن الباذرائي^(٢) ومن الزين خالد^(٣) .

وسمع مجلب من تقيب الشرفاء ، وأجاز له الموفق بن يعيش النحوي^(٤) ، وابن رَوَاج^(٥) ، والجُمَيْزِي^(٦) ، وجماعة .

وحدث وهو ابن بضْعِ وعشرين سنة ، وأخذ عنه الوجيه السبتي^(٧) .

كان يرتق بالنسخ ، وعنده في ذلك ثُبُوتٌ ورَسَخٌ ، مع زهد ونزاهة ، وتقدم عند أهل الحِثْرِ ووجاهة . وكان أصغرَ من أخيه الشيخ تاج الدين الغرافي^(٨) بعشر سنين . ولما توفي أخوه صار هو في المشيخة مكانه ، وأسمع الحديث وشيّد أركانه ، وولي مشيخة دار الحديث النبهية^(٩) مكان أخيه ، وسلك طريقه في تأنيهِ وتراخيه .

قيل : إنه حفظ (وجيز) الغزالي^(١٠) ، وأحرزَ ما فيه من اللآلي ، وحفظ

(١) أبو الحسن علي بن مسلم بن محمد السلمي ، (ت ٥٣٣ هـ) . والشذرات : ١٠٢/٤ .

(٢) أبو محمد عبد الله بن أبي الوفاء ، (ت ٦٥٥ هـ) . السير : ٣٣٢/٢٣ ، والشذرات : ٢٦٩/٥ .

(٣) خالد بن يوسف بن سعد ، أبو البقاء النابلسي ، (ت ٦٦٣ هـ) . الشذرات : ٣١٣/٥ .

(٤) (ت ٦٤٣ هـ) . البغية : ٣٥١/٢ .

(٥) في الأصل : « رواج » وكذلك في المنهل . وفي « أ » : « دراج » ، تصحيف . وابن رواج هو عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن فتوح الإسكندراني (ت ٦٤٨ هـ) . سير أعلام النبلاء : ٢٣٧/٢٣ ، والشذرات : ٢٤٣/٥ .

(٦) في الأصل « المجيري » ، وفي « أ » : « المجيري » ، تصحيف ، والجُمَيْزِي هو أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة اللخمي شيخ الديار المصرية ، (ت ٦٤٩ هـ) . السير : ٢٥٣/٢٣ ، والشذرات : ٢٤٦/٥ .

(٧) عبد الرحمن بن حسن السبتي ، وجيه الدين ، (ت ٦٨٦ هـ) ، الإعلام : ٢٨٧ ، والنجوم الزاهرة : ٣٧٣/٧ .

(٨) علي بن أحمد ، ستأني ترجمته في موضعها .

(٩) في الوافي ، والمنهل : « النبهية » ، وفي حاشية المنهل : « دار الحديث النبهية بالإسكندرية ، وبها توفي ودفن صاحب الترجمة » .

(١٠) هو كتاب الوجيز في الفروع ، وهو عمدة في مذهب الشافعي ، الكشف : ٢ : ٢٠٠٢ .

(إيضاح) أبي علي^(١)، وأصبح يَسْرُدُ ما فيه وهو مليّ، وكان معين الدين المصغوني^(٢) يقوم بمصالحه، ويعينه بقضاء حوائجه ودفع^(٣) جوائحه، إلى أن فرغ مدى عمره، ووصل نهاية أمره.

ولد بالثغر سنة ثمانٍ وثلاثين وست مئة، وتوفي رحمه الله تعالى في خامس عشر المحرم سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة. وهو من ذرية موسى الكاظم رضي الله عنه.

٧ - إبراهيم بن أحمد بن محمد بن معالي *

الشيخ الإمام القدوة المذكر القانت، أبو إسحاق الرقي الحنبلي /، نزيل دمشق.

تلا بالروايات على الشيخ إبراهيم القفصي^(٤)، وصحب الشيخ عبد الصمد ابن أبي الجيش^(٥)، وعنى بالتفسير والفقه والتذكير، وبرع في الطب، وشارك في المعارف، وله بالوعظ إلى القلوب أيادٍ وعوارف، وكان يشير في كلامه إلى لطائف مُحَرَّكة، ويُهَيِّدُ لعبادته إلى السامعين فوائد بين النفوس والتقوى مُشَرَّكة^(٦)، طالما أجرى دمعاً، وخرق بالموعظة سمعاً، وجرّ لمن انتصب له رَفْعاً، هَزَّ الأعطاف إذا لفظ، ويحرك القلوب الغافلة إذا وعظ، على رأسه طاقية وخرقة صغيرة، ونفسه غنيّة

(١) هو كتاب الإيضاح العضدي لأبي علي الفارسي، في النحو، وهو مطبوع.

(٢) (أ): «المصغوني»، وفي هامش نسخة للدرر - بخط المؤلف: «صوابه: الصفوئي» ولم تقف على ترجمته.

(٣) (أ): «ورفع».

* الوافي: ٣١٢/٥، ومروءة الجنان: ٢٣٨/٤، وذيل العبر: ٢٣، والدرر: ١٤/١، والشذرات: ٧/٦، والمنهل الصافي: ٣٤/١.

(٤) لم يترجم له ابن الجزري في غاية النهاية، وجزم محقق الوافي أنه يوسف بن جامع القفصي، شيخ القراء ببيفداد (ت ٦٨٢ هـ)، وكذلك في المنهل وانظر غاية النهاية: ٣٩٤/٢.

(٥) عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الجيش المقرئ النحوي، (ت ٦٧٦ هـ)، الشذرات: ٣٥٣/٥.

(٦) (أ)، (ك): «مشرّكة»، تحريف.

عن الملوك وإن كانت حالته فقيرة ، صُنِعَ له منزلٌ ^(١) تحت المِئذنة الشرقية بالجامع الأموي من دمشق ، فلأزمه إلى أن شالت نَعَامَتُهُ ^(٢) ، وسكنت بعد ذاك التذكار نَامَتُهُ ^(٣) .

وله نظمٌ يترقق ، ونثرٌ بالبلاغة يتدفق ، وربما كان يحضر السماع ، ويجد الناسُ به مزيد انتفاع ، وحضوره بأدب ووقار ، وسكون لا تحرّكه نشوة العقار . وألف تفسيراً للفاخرة ، وأتى فيه بكلّ فائدةٍ سانحة ، وله تواليفٌ ومختصرات ، وتصانيف على المحاسن مُقتَدِرَات .

ولد سنة نَيْفٍ وأربعين وست مئة ، وتوفي ، رحمه الله تعالى ، سنة ثلاثٍ وسبع مئة في خامسَ عشرَ الحَرَم ، ومنْ نظمهُ :

يَزُورُ فَتَنْجِلِي عَنِّي هُمُومِي	لأنَّ جَلَاءَ هَمِّي فِي يَدَيْهِ
وَيَمْضِي بِالْمَسَرَّةِ حِينَ يَمْضِي	لأنَّ حِوَالَتِي فِيهَا عَلَيْهِ
وَلَوْلَا أَنَّهُ يَعِيدُ التَّلَاقِي	لَكُنْتُ أَمُوتُ مِنْ شَوْقِي إِلَيْهِ
ومنه أيضاً :	

لولا رجاءٌ نعيمي في دياركم	بالوَصْلِ ما كنتُ أَهْوَى الدارَ والوطنا
إنّ المساكن لا تخلو لساكنها	حقى يشاهد في أَثْنائها السَّكَنَا ^(٤)

(١) (أ) ، (ك) : « صنع منزلاً » .

(٢) في الأصل : « سالت نعامته » ، تصحيف . وشالت نعامته : ارتحل ، وهو كناية عن الموت .

(٣) في اللسان : « أسكت الله نأمته ، وهو من النثم : الصوت الضعيف ، أي نعمته وصوته ، ويقال : نأمتُه ، بتشديد الليم » اهـ .

(٤) في الوافي : « لا تخلو » ، تصحيف . والبيتان في المنهل .

٨ - إبراهيم بن أحمد بن ظافر*

القاضي بَرْهَانُ الدِّينِ البَرْلُوسِيُّ ، بَضَمَ البَاءَ الموحدة والراءَ وتَشْدِيدَ اللامَ وبعدها سِينٌ مَهْمَلَةٌ^(١) .

كَانَ فَقِيهًا وَيَبِينُ أَهْلَ الْعِلْمِ وَحِيهًا ، يُعَيِّنُ فِي قَضَاءِ الْقَضَاةِ ، وَيُحِبُّهُ كُلُّ مَنْ أَهَلَ مَذْهَبَهُ وَيَرْضَاهُ ، تَجَمَّلَ بِهِ مَذْهَبُ مَالِكٍ ، وَتَكَمَّلَ^(٢) بِهِ نُورُ الْقَمَرِ فِي اللَّيْلِ^(٣) الْحَالِكِ .

وَكَانَ نَاطِرَ بَيْتِ الْمَالِ بِالقَاهِرَةِ ، وَنَجْمُ أَمْوَالِ النُّجُومِ بِهِ زَاهِرَةٌ ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى حَالِهِ إِلَى أَنْ لَقِيَ رَبَّهُ ، وَنَوَّلَهُ مَا أَحْبَبَهُ .

وَوُفَاتِهِ فِي شَهْرِ صَفَرٍ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، وَوَلِيَ مَكَانَهُ فِي نَظَرِ بَيْتِ الْمَالِ الْقَاضِي نُورُ الدِّينِ الزَّوَاوِيُّ نَائِبُ الْمَالِكِيِّ .

٩ - إبراهيم بن أحمد بن أبي الفتح بن محمود**

القاضي الصدر^(٤) شَرَفُ الدِّينِ ابْنُ الشَّيْخِ الْعَالِمِ الْكَاتِبِ كَمَالُ الدِّينِ ابْنِ الْعِطَارِ .

كَانَ قَدْ بَاشَرَ جِهَاتِ أَخِيهِ عِنْدَ مَوْتِهِ ، وَهِيَ نَظَرُ الْأَشْرَافِ ، وَنَظَرُ الْبِيَارِ سِتَانِ

* الدُّرَرُ : ٩/١ .

(١) فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ : « بَرْلُوسٌ : بِفَتْحَتَيْنِ وَضَمِّ اللَّامِ وَتَشْدِيدِهَا : بُلَيْدَةٌ عَلَى شَاطِئِ نَيْلِ مِصْرَ قَرِيبِ الْبَحْرِ مِنْ جِهَةِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ » . ٤٠٢/١ . فِي الْقَامُوسِ : « بَرْلُوسٌ ، بِالضَّمِّ » .

(٢) (أ) ، (ك) « وَتَجَمَّلَ » .

(٣) قَوْلُهُ : « فِي اللَّيْلِ » خَلَّتْ مِنْهَا (أ) ، (ك) .

** لَمْ تَقَفْ عَلَى تَرْجُمَةٍ لَهُ .

(٤) لَيْسَتْ فِي (أ) ، (ك) .

الصغير ، ونظر المدرسة الظاهرية^(١) ، وبقي على ذلك إلى أن مات رحمه الله تعالى في تاسع المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .
ومولده بالكرك في الجفل سنة سبع مئة ، وكان شكلاً حسناً .

١٠ - إبراهيم بن أحمد*

القاضي الرئيس الكبير جمال الدين ، رئيس الأطباء بالديار المصرية ، المعروف بابن المُغَرَّبِي ، وسيأتي ذكر والده إن شاء الله تعالى في مكانه .

لم يكن لأحد مكانه عند السلطان الملك الناصر^(٢) ، ولا عُقِدَتْ على مثْل سَعَادَتِهِ الخناصر ، يدخل إلى السلطان في كلَّ يومٍ على الشمع ، فيشتمل عليه بالبصر ، ويصغي إليه بالسمع ، ويحكي له ما جرى^(٣) في بارحته عند الحريم ، وما اتفق له مع آرام وَجَرَّةَ وغزلان الصريم ، ويُفْضِي إليه بأسرارٍ لا يُودِعُهَا سواه ، ويقضي له كل ما وافق آفاق غَرْضِهِ ولَاءَمَ ولأَيْمَ هواه .

وكان فخر الدين ناظرُ الجيش يضيق منه ذَرْعُهُ ، وَيَذْوِي من سُبُومِ تَعَدِّيهِ عليه زَرْعُهُ .

وكانت إشاراته عند سائر أهل الدولة مقبولة ، وطبائعهم على ما يراه من العزل والولاية مقبولة ، وقلَّ أن يكونَ يَوْمٌ خِدْمَةٍ وما عليه تشريف ، ولا لَهُ فيه أَمْرٌ في تَجَدُّدِ السعد ولا تصريف .

(١) داخل بابي الفرج والفراديس بينها ، بناها الملك الظاهر بيبرس (ت ٦٧٦) ، الدارس : ٢٦٢/١ ، وهي الآن مكتبة عامة بدمشق .

* الوافي : ٣١٤/٥ ، والدرر : ١٦/١ ، والمنهل الصافي : ٣٥/١ .

(٢) محمد بن قلاوون ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) (خ) : « ما جرى له » .

وحاول جماعة ممن هو قريب من السلطان إبعاده ، وتعب كل منهم فما بلغه الله^(١) / قصده ولا أتم له مراده :

إذا أنت أعطيت السعادة لم تبَلْ ولو نظرتُ شُراً إليك القبائل
ولم يزل على حاله إلى أن حشَج ، ولم يكن له من ذلك الضيق مَخْرَج ، ووصل
الخَبَرُ إلى دِمَشْق بوفاته في أواخر ذي القعدة سنة ست وخسين^(٢) وسبع مئة .

وكان مليح الوجه طريف^(٣) اللباس ، مُتَكِناً من السلطان ، أراد القاضي
شرف الدين النشو^(٤) أن يُنْزله من عَيْن السلطان بكل طريق فلم يتَّجه له فيه عمل ،
فعمل أوراقاً بما على الخاص من الديون من زمان من تقدّمه ، وذكر فيه جملاً كثيرة
باسم القاضي جمال الدين ابن المغربي ؛ من ثَمَن رصاص وبرّ وحرير وغيره ، ودخل
وقرأ الأوراق على السلطان ، ليعلم أن له أموالاً متّسعة يتكسّب فيها ويتجرّ على
السلطان ، وأعاد ذكر جمال الدين مرّات ، فما زاد السلطان على أن قال : هذا القاضي
جمال الدين ، لا تؤخّر له شيئاً أطلع الساعة وادفع له جميع ماله .

وكان قد توجه مع السلطان إلى الكرك ، وأقام عنده يخدم حريمه ، وحظاياه
وخواصّه من مماليكه وجواريه في أمراضهم .

وكان يدخل إليه كل يوم على الشمع قبل كل ذي وظيفة راتبه^(٥) من أرباب
الأقلام ، ويسأل عن مزاج السلطان وأحواله وأعراضه في ليلته ، ثم في بقية أمراض

(١) (أ) ، (ك) ، (خ) : « بلغه الله فيه » .

(٢) في المنهل : « سنة نيف وأربعين وسبع مئة تقريباً » .

(٣) (أ) : « طريف » .

(٤) عبد الوهاب بن فضل الله ، ناظر الخاص ، توفي سنة ٧٤٠ هـ . وستأتي ترجمته .

(٥) عبارة الوافي : « وظيفة برّاتية » !

الدَّور والحريم والأولاد ، ويسأله عن أحوال المدينة وما^(١) تَجَدَّدَ فيها وما لَعَلَّه لوال^(٢) أو أمير أو قاض أو مُحْتَسِب إلى غيرهم من الرعايا ، فيُطْلعه على ما عنده ويسمعه السُّلطانَ منه قَبْلَ الناس كُلِّهم ، وصار لذلك يُخشى ويُرجى ، ولا يَقْدِرُ أحدٌ يَرُدُّ له شَفَاعَةً ، وقلَّ أن يَمُرَّ يومٌ خدمةٍ وما رأيتُه قد لبس فيه تشريفاً إمّا من جهة السلطان ، أو من جهة الدَّور ، أو من جهة أولاد السلطان ، أو من جهة بنات السلطان ، أو من جهة أمراء الدولة الكبار ، أو من جهة خَاصِكيَّة السُّلطان^(٣) ، وهذا أمرٌ زائد عن^(٤) الحد ، هذا إلى ماله من المعلوم الوافر ، وأنواع الرواتب ، وكل من يُزَكَّى في الطب بالشام ومصر ، وماله من الأملاك والمتاجر ، ولعلَّ هذا لم يتفق لغيره ، لا في المدة ، ولا في المادَّة ، ومع ذلك فكان مُقْتَصِداً في نفقته على نفسه وعلى عِيَاله ، فما كان في مصر إلّا قارون هذا القرن : ﴿ وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾^(٥) .

١١ - إبراهيم بن أحمد بن محمد بن سليمان *

القاضي أمين الدين ابن القاضي شهاب الدين بن غانم

كاتبُ الإنشاء بدمشق ، هو من بيت رياسة وكتابة إنشاء ، وسيأتي ذكر حماعة من أهل بيته في هذا التاريخ ، كلُّ واحدٍ منهم في مكانه .

كان هذا أمين الدين ينظم البيتين والثلاثة ، ويُجيد في بعضها لِمَا لَهُ في البلاغة من الوراثَةِ ، وَيَنْدُرُّ له النَصَفُ والْبَيْتُ ، وَيُطْرَبُ به الحَيِّ والمَيِّتُ ، لأنَّه كانت قريحته

(١) (أ) : « بما » .

(٢) أي : وما لَعَلَّه وقع لوال .. وهي قريبة ممّا في الوافي ، والمنهل .

(٣) هم خاصَّة السُّلطان من المماليك ، يلازمونه في كلِّ أوقاته .

(٤) (أ) ، (ك) : « على » .

(٥) [الزخرف : ٣٢/٤٣] .

* الدرر : ١٣/١ .

نظامه ، ومواده من العلم ما خالطت لَحْمَه ولا عظامه ، وكانت تقع ^(١) له في أثناء المحاورات ألفاظاً على طريقِ الاتباع . يَخْلُصُ من خصومه فيها بالباع والذراع ، وكان خَفِيفَ الرُّوح لدى المجالس ، يَخْلُطُ جدَّ الملائك بِمُجَوِّن الأبالس ، وله على بلوغ مآربه قُدْرَةٌ وتمكَّنْ ، وفي التوصل إلى مقاصده ذَلَّةٌ وتمسكُنْ ، قد جَبَلَ الله على ذلك طِبَاعَه ، وألَّفَ الناسُ في ذلك لُطْفَه وانطباعه ..

ولم يزل على حاله إلى أن خانت ^(٢) الأَمِين مَنِيَّتُهُ ، ووارت قامَتَه حَنيئُهُ .

وتوفي ، رحمه الله تعالى ، في بُكْرَةِ الإثنين ثالثَ جُمَادَى الآخرة سنة إِحْدَى وَسِتِّينَ وسبع مئة ، جُؤًا باب الفرج بدمشق ، ودفن بالصالحية من يَوْمِهِ .

ومَوْلَدُهُ تَقْرِيباً في سنة سبع وتسعين وست مئة .

دخل إلى ديوان الإنشاء بدمشق سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

وكان والده في مُدَّة مَقَامِهِ بِالديارِ المِصرِيَّة عند القاضي فخر الدين ناظر الجيش ^(٣) ، يطلبه فيتوجه في كل سنة إلى زيارة والده ، وَيَعُود على البريد بعناية القاضي فخر الدين ، وكان فيه كَيْسٌ ودَعَابَةٌ ، وعنده غَشْرَةٌ ولطف ، وإذا كان له أَرْبٌ في شيء توَصَّل إليه بكلِّ طريق وناله ، وإذا فرغ أَرْبُهُ شَرَدَ وَقَطَعَ الرَّسْنَ ، وما يعود يَلُوي على إلفٍ ولا وَطَنَ ، / فكنّا - جَمَاعَةُ الديوان - نَعْرِفُ ذلك منه ، وأنّه متلَوٌّ ذو استحالة .

وكنْتُ في وقتِ عَزْمِي على الحجِّ في سنة خمس وخمسين وسبع مئة قد اتَّفَقَ معي ومع القاضي ناصر الدين كاتب السر ^(٤) بالشام على أنّه ^(٥) يَحْجُّ معنا ، وأعطانا على ذلك

(١) قوله « وكانت تقع » ليست في « خ » .

(٢) (أ) : « خانت » .

(٣) هو مَنْ يَتَوَلَّى ديوان الجيش ويشرف على عددٍ من الموظفين الذين يتولون أموره الإدارية .

(٤) هو الذي يوقِّع القصص - أي الطلبات - بدل السلطان ، ويقرأ عليه الرسائل ويتولَّى الإجابة عنها .

(٥) (أ) ، (ك) ، (خ) : « على أن » .

مواثيق وعهوداً ، فلما حَقَّتْ النُّهْضَةُ غَابَ عَنَّا ، ولم نَظْفَرْ بِهِ ، فلما عُدْتُ مِنَ الْحَجِّ كَتَبْتُ إِلَيْهِ مِنَ الطَّرِيقِ :

أَفْدِي الَّذِينَ غَدَتُ مُحَافَظَتِي عَلَى مِثْلَاقِهِمْ دُونَ السَّوَرَى تُغْرِينِي
قَالُوا اسْتَحَلَّتْ وَخُنْتُ عَهْدَكَ قُلْتُ مَا أَنَا فِي مُحَبَّتِكُمْ أَمِينَ الدِّينِ
ذَاكَ ابْنُ غَانِمٍ يَسْتَحِيلُ وَيَسْتَحْيِي أَنْ لَا يَرَاهُ الدَّهْرُ غَيْرَ خَوْوُنِ

إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فِيهِ كَرَمٌ وَجُودٌ وَتَوَاضَعٌ وَاعْتِرَافٌ بِالتَّقْصِيرِ فِي فَنِّهِ ، وَكَانَ فِي وَقْتٍ قَدْ كَتَبَ إِلَى الْقَاضِي نَاصِرِ الدِّينِ كَاتِبِ السَّرِّ الشَّرِيفِ وَنَحْنُ بِمَرْجِ الْعُسُولَةِ ^(١) أَيْبَاتاً فَكَتَبَ جَوَابَهُ الْقَاضِي نَاصِرُ الدِّينِ فِي وَزْنِهِ وَرَوِيَّهِ ، وَمِنْ جُمْلَةِ الْجَوَابِ :

أَيَا مَنْ غَدَا يَسْتَوْعِبُ الْوَقْتَ مَدْحُهُ لِنَقْصِ فِعَالٍ وَهَوَقَوْلٍ مُلْفَقٍ
إِذَا مَا شَكَرْتَ اللَّهَ زَادَكَ رِفْعَةً فَشَكَرَكَ إِيَّاهُ شِعَارٌ مُوَفَّقٍ
تُسَوِّدُ أَوْرَاقاً وَتَكْتُبُ مَآثِئاً وَيُظْهِرُ مِنْكَ الْقَوْلُ وَهُوَ مُزَوَّقٍ
وَنَظْمُكَ عِنْدِي جَوْهَرٌ وَنَظَامُهُ بَلِيغٌ وَهَذَا النَّظْمُ بِالصَّدَقِ أَلْيَقُ

فَتَأْدَى ^(٢) أَمِينَ الدِّينِ وَقَالَ : قَدْ تَبْتُ عَنْ نَظْمِ الشَّعْرِ ، فَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ إِرْتِجَالاً :

تَابَ أَمِينَ الدِّينِ مِنْ نَظْمِهِ وَخَلَصَ الْأَقْوَامُ مِنْ ذَمِّهِ
فَقَالَ لَا عُدْتُ إِلَى مِثْلِهَا فَقُلْتُ لَمْ تَهْرَبْ مِنْ سَهْمِهِ
فَقَالَ لِي وَاللَّهِ لَوْ أَنَّهُ مِسْكَ لَمَّا مِلْتُ إِلَى شَمِّهِ
فَقَدْ كَفَى مَا نِلْتَهُ مِنْ أَذَى وَمَا التَّقَى قَلْبِي مِنْ هَمِّهِ

وَكَتَبَ إِلَيْهِ الْقَاضِي نَاصِرُ الدِّينِ أَيْضاً فِي ذَلِكَ :

إِنْ كَانَ قَدْ تَابَ بِلَا مَرِيَّةٍ وَأَحْسَنَ التَّوْبَةَ مِنْ جُرْمِهِ

(١) مِنْ قَرَى دِمَشْقَ ، مَنْزِلٌ لِلْقَوَائِلِ فِيهِ خَانَ عَلَى يَوْمٍ مِنْ حِمصَ ، وَقَارَا . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٢٠٤/٤ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « فَنَادَى » ، تَصْحِيفٌ .

وقدّم الإخلاص في فعله
[منها ^(١)] :
وقَوْلُه دَلٌّ على حَزْمِه

وإن أعاد القول فيما بدا
فإنني مُستأنف همّة
منه ولاح الزيف في نظميه
في منعه القول وفي ذمه
وكتبت أنا إليه أيضاً :

إن أمين الدين مُذْتابا
وكانت الأعطاف من نظميه
أغلق للأبواب أبوابا
وكيف ينسى لذة طالما
وشره تهتز إجابا
ما زال مُذْشَبَّ على نظميه
دار لها بالكعب دُولابا ^(٢)
وحتى رأينا رأسه شابا
وذهنته في كل معنى إذا
حاوله يسبق شبابا ^(٣)
فإن يكن أُمسى غشياً كما
يزعم أعطناه ركباً

وكتب أمين الدين إليّ ، وقد تخلّفت عنهم في بعض السفرات إلى مَرَجِ العسولة :
خليلي ما المَرَجُ الخصب بطيب
وما هو إلا مَرَجٌ بعد بُعد
إذا لم ير إبراهيم وجه خليله ^(٤)
ولو زاره جال الندى بنخيله ^(٥)
وكتب إليّ وقد حصل لي يرقان :

حاشاك من ألم ألم بمهجة
قد مسّها ألم من اليرقان

(١) زيادة من (أ) ، (ك) ، (خ) .

(٢) (أ) ، (ك) : « أنسى » لها باللب .

(٣) في الأصل : « الشبابا » ولا يستقيم بها الوزن .

(٤) « إبراهيم » هو صاحب الترجمة ، و « خليله » هو المصنّف خليل بن أبيك ، وهذا من التوجيه .

(٥) المارج : الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد .

وَكُفَيْتَ كُلَّ مِلْمَةٍ وَمَخَافَةٍ
مُتَمَتِّعًا مُتَنَعِمًا فِي جَلْقِ الْ
وَتَرَى بِهَا أَتْرَافَهَا وَكَوَاعِبَهَا
يَا أَوْحَدًا فِي جَيْلِهِ بِجَمِيلِهِ
مُنْذَا يَضَارِعُ بَحْرَ شَعْرِكَ فِي الْوَرَى

وَكُنْتُ قَدْ كَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ جَوَابًا مِنْ رَحْبَةِ مَالِكِ بْنِ طُوقٍ ^(١) فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَسَبْعِ

مِئَةٍ :

كِتَابِكَ نُورٌ صُنَّتْهُ بِجَفْوَنِي
أَتَانِي فَلَا وَاللَّهِ مَا احْتَجْتُ بَعْدَهُ
وَنَفْسَ مَنْ ضَيْقِ بَرْجَةِ مَالِكِ
فَمَا الطَّرْفُ إِذْ أَبْصَرْتَهُ بِسَهْدِ
تَغَاذَلْنِي أَلْفَاظُهُ فِي سَطُورِهِ
وَأَنْظُرُ فِي مَنْشُورِهِ مُتَنَزِّهًا
غَدَوْتُ آمِينَ الدِّينَ بِالْفَضْلِ بَادِيَا
بَعَثْتُ مَثَالًا مَا ظَفَرْتُ بِمِثْلِهِ
فَمَا كُلُّ حُسْنٍ مِثْلُهُ بِكَمَلِ
بِضَائِعِهِ تَجَلُّو عَلَيْنَا مَحَاسِنَا
لَأَنَّ الَّذِي وَشَى مَطَارِفَ حُسْنِهَا
أَضَعْتُ أَنَا فَضْلِي وَأَصْبَحَ حَافِظُهَا

(١) هي بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات أسفل من قرقيسيا ، أحدها مالك بن طوق بن عتاب التغلبي في خلافة المأمون ، معجم البلدان : ٣٤/٣ .

(٢) (أ) ، (خ) : « بغدها » .

(٣) (أ) : « منذ أبصرته » .

(٤) (أ) : « تجلُّو علي » .

١٢ - إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليُسْر شاكِر بن عبد الله*

الشيخ الأصيل تقيّ الدين التنوخي . كان من جُمْلَةِ الشهود ، وهو كثير السكون ، قليل الكلام .

سَمِعَ من السَّخَاوِي^(١) ، وابن قُمَيْرَةَ^(٢) ، وعز الدين بن عساكر^(٣) ، وتاج الدين القرطبي^(٤) ، وغيرهم .

قال شيخنا علم الدين البرزالي^(٥) : قرأت عليه مشيخة ابن شاذان الكبيرة وغيرها .

وتوفي رحمه الله تعالى سابع جمادى الأولى سنة اثنتين وسبع مئة ، ودفن بسفح قاسيون .

١٣ - إبراهيم بن منير**

الشيخ الصالح الزاهد العابد البقاعي ، المعروف بابن الصيَّاح^(٦) .

كان من كبار الصُّلَحَاء الأخيار ، ومَن يَتَفَتَّت المِسْك حسداً إذا ذُكِرَتْ عنه الأخبار ، له سِيَاءُ الْوَلَايَةِ ، وعليه طِلَاوَةُ الْقُرْبِ والعناية ، انعزل عن الناس ، ووجد

* الدرر : ١٨/١ .

(١) علم الدين عليّ بن محمد بن عبد الصمد المقرئ النحوي ، (ت ٦٤٣) ، البداية والنهاية : ١٧٠/١٣ ، والشذرات : ٢٢٢/٥ .

(٢) يحيى بن أبي السعود نصر بن أبي القاسم ، (ت ٦٥٠) ، السير : ٢٨٥/٢٣ ، والشذرات : ٢٥٣/٥ .

(٣) محمد بن أحمد بن محمد الدمشقي ، (ت ٦٤٣) ، السير : ٢٤٩/٢٣ ، والشذرات : ٢٥٣/٥ .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها من حرف الميم .

(٥) تمييزاً لها من مشيخته الصغرى . الكشف : ١٦٩٧٢ .

** الدرر : ٧٣/١ ، والإعلام : ٣٠٦ .

(٦) (أ) : « المعروف بالصيَّاح » .

في الوحشة الإيناس ، أنجمع فامتدت له المعارف ، وانخزل فأجزلت له العوارف ، وكان متوحشاً من نوعه ، نافراً عن الذي لا يراه في طوعه ، يمشي في الجامع كأنه مُريب ، وَيَنْفِرُ حَتَّى تَقُولَ : هذا غريب ، لا يأنس بإنسان ولا يتألف بإحسان ، من رآه قال : هذا طافح السُّكْرَةِ ، لافح الجُمْرَةِ ، سافح العَبْرَةِ ، جامع الخطْرة إلى الحَضرة ، جانح الفكرة إلى الخلاص من العَثرة .

ولم يزل على حاله إلى أن دعاه مولاه فأسرع ، واخضّر له القبر فأمرى وأمرع . وتوفي رحمه الله تعالى في أول ليلة الأربعاء مستهلّ المحرم ، سنة خمس وعشرين وسبع مئة . وحمله الناس على الأعناق والرؤوس والأصابع ، ودفن بمقابر باب الصغير ^(١) ، وسبب موته أنه استدفاً بمجمرة فاحترق ، ودخل حجاب المنون واخترق ، وكان له بيت في المئذنة الشرقية يأوي إليه ، وكان كثيراً ما يقول : يادائم المعروف ، يادائم المعروف الذي لا ينقطع أبداً ولا يُحصى عدداً ، يا الله .

ورثاه الأديب جمال الدين محمد بن نباتة بقوله ^(٢) :

عَلَى مِثْلِهَا فَلْتَهُمُ أَعْيُنُنَا الْعَبْرَى	وَتَطْلُقُ فِي مَيْدَانِهَا الشُّهْبَ وَالْجُمْرَا ^(٣)
فَقَدْنَا بَنِي الدُّنْيَا فَلَمَّا تَلَفْتِ	وَجَوْهَ أَمَانِينَا فَقَدْنَا بَنِي الْأُخْرَى
لَفَقْدِكَ إِبْرَاهِيمَ أُمَسْتَ قُلُوبُنَا	مُوجَّجَةً لَا بَرْدَ فِي نَارِهَا الْحَرَى ^(٤)
وَأَنْتِ بَجَنَاتِ النِّعَمِ مَهْنَأُ	بِمَا كُنْتَ تُبْلِي فِي تَطَلُّبِهِ الْعُمَرَا

(١) (أ) : « الباب الصغير » . وهو أحد أبواب مدينة دمشق من الناحية الجنوبية ، سمي بذلك لأنه أصغر أبوابها . والمقابر المشار إليها تقابل الباب ، وهي أكبر مقابر دمشق وأشهرها ، خطط دمشق : ١١٦ .

(٢) القصيدة في ديوانه : ٢٢٠ ، بزيادة بيت في آخر القصيدة عما هنا .

(٣) في الديوان : « والحمر » ، تصحيف .

(٤) في الأصل و (ك) « موجّه » ، ولا معنى لها ، وأثبتنا ما في (أ) والديوان .

عَرِيتَ وَجَوَّعْتَ الْفُؤَادَ فَحَبَّذَا
بَكَى الْجَامِعُ الْمَعْمُورُ فَقَدْكَ بَعْدَمَا
وَفَارَقْتَهُ بَعْدَ التَّوْطُنِ سَارِيًّا
كَأَنَّ مَصَابِيحَ الظُّلَامِ بِأَفْقِهِ
كَأَنَّ الْحَارِيبَ الْقِيَامَ بِصَدْرِهِ
مَضِيَّتَ وَخَلَّفَتِ الدِّيَارُ وَأَهْلَهَا
فَإِنَّ لِسَهَامِ اللَّيْلِ بَعْدَكَ إِنِّهَا
وَمَنْ لِعَفَافٍ عَنْ ثَرَاءٍ ثَنِ الْوَرَى
سَيَعْلَمُ كُلٌّ مِنْ ذَوِي الْمَالِ فِي غَدٍ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مِنْ مُتَيْقِظٍ
وَمِنْ ضَامِرِ الْكَشْحَيْنِ يَسْبِقُ فِي غَدٍ
أَيَعْلَمُ ذُو التَّسْلِيكِ أَنَّ جَفُونَنَا
وَأَنَّ الْأَسَى وَالْحَزْنَ قَدْ جَالَ جَوْلَةً
أَلَّا رَبَّ لَيْلٍ قَدْ حَمَى فِيهِ مِنْ وَغَى
إِذَا ضَحَكَ السَّمَارُ حَجَبَ ثَغْرِهِ
إِلَى اللَّهِ قَلْبًا بَعْدَهُ فِي تَغَابُنٍ
لَقَدْ كُنْتُ الْقَاهِ وَصَدْرِي مُحْرَجٌ
وَأَلْتَمَّ يَمْنَاهُ وَفَكْرِي ظَامِئٌ
أُمُولَايَ إِنِّي كُنْتُ أَرْجُوكَ لِلدُّعَا
سَقَى الْقَطْرُ أَرْضًا قَدْ حَلَلَتْ بِتَرْهَا

مَسَاكِنُ فِيهَا لَا تَجُوعُ وَلَا تَعْرِى^(١)
لَبِثْتَ عَلَى رَغَمِ الدِّيَارِ بِهِ عُمْرًا
إِلَى جَنَّةِ الْمَأْوَى فَسُبْحَانَ مَنْ أَسْرَى
لِفَقْدِكَ نِيرَانُ الصَّبَابَةِ وَالذِّكْرَى
لِفَرْقَةٍ ذَاكَ الصَّدْرُ قَدْ قَوَّسَتْ ظَهْرًا
بِضَيْعَةٍ تَشْكُو الشَّدَائِدَ وَالْوُزْرًا
مُعْطَلَةٌ لَيْسَتْ تَرَأْسُ وَلَا تُبْرَى
عَبِيدَ الْأَمَانِي وَأَنْثَنِيَتْ بِهِ حُرًّا^(٢)
إِذَا نَصَبَ الْمِيزَانَ مَنْ يَشْتَكِي الْفَقْرَا
صَبُورٍ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ بِشَرِّ صَبْرًا
إِلَى غَايَةِ مَنْ أَجْلَهَا تُحَمَّدُ الضُّمْرَا
عَلَى شَخْصِهِ النَّائِي قَدْ انْتَثَرَتْ دُرًّا
فَمَا أَكْثَرَ الْقَتْلَى وَمَا أَرْخَصَ الْأَسْرَى^(٣)
حَمَى الشَّامِ وَالْأَجْفَانُ غَافِلَةٌ تَكْرَى
كَذَلِكَ يَحْمِي الْعَابِدُ الثَّغْرَ وَالثَّغْرَا
إِلَى أَنْ أَرَى صَفَّ الْقِيَامَةِ وَالْحَشْرَا^(٤)
فَيَفْتَحُ لِي يَسْرًا وَيُشْرَحُ لِي صَدْرًا
كَأَنِّي مِنْهَا أَلْتَمَّ الْوَابِلَ الْغَمْرَا
فَلَا تَنْسَنِي فِي الْخُلْدِ لِلدُّعَا الْكِبْرَى
وَإِنْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي بِتَرْبَتِكَ الْقَطْرَا^(٥)

(١) اقتبس قوله تعالى : ﴿ إِنْ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرِى ﴾ [طه : ١١٨/٢٠] .

(٢) (أ) ، (ك) : « بني » ، وفي الديوان : « عن ثرى وبني » .

(٣) في الديوان : « كالخزن » .

(٤) في الأصل : « لي الله » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ك) والديوان .

(٥) (أ) ، (ك) : « بدعوتك » . وفي الديوان : « برويتك » .

١٤ - إبراهيم شاه بن بارنباي*

هو إبراهيم شاه ، وجده سوتاي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في مكانه من حرف السين .

لما قُتِلَ طغاي بن سوتاي ، على ما يأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى ، قام ابن أخيه إبراهيم شاه هذا مقامه في الحكم على ديار بكر من جهة المغل^(١) ، فتزوج ابنة الملك الصالح شمس الدين صاحب ماردين^(٢) ، ومقامه بالمؤصل ، وكان يظهر المودة لصاحب مصر ويؤوئ بخلاف ذلك بالإثم والإضرار مكرراً منه ودهاءً ، وفخراً بذلك على غيره وبهاءً . وكانت رسله^(٣) تفد على الأبواب الشريفة ، وتعود إليه^(٤) بالهدايا والتحف الظريفة ، وهو يدعي أنه من جملة من وادها ، وقام على من عاداها في وقت أو حادها ، فتصل إليه التشاريف^(٥) الثينة ، والكتب التي تنزل منها على قلب مثله السكينة .

وكان قد قُتِلَ عمه طغاي في بعض حروبه التي اتفقت ، وسالت سيول وقعتها واندفعت ، ولما وقف عليه قتيلاً نزل إليه وبكى ، وحط رأسه على حجره^(٦) وأتكا ، واعتذر إليه ، وذاك^(٧) يجود بنفسه ، وينظر إلى مكان رمسه . لا جرم أن إبراهيم شاه

* الدرر : ١٩/١ .

(١) المغل : المغول .

(٢) هو ابن الملك غازي بن قره أرسلان ، تولى الحكم بعد وفاة والده سنة ٧١٢ هـ ، ودام حكمه ٥٤ عاماً .
الدرر : ٢١٦/٣ ، والشذرات : ٣٠/٦ .

(٣) مطموسة في الأصل .

(٤) ليست في (أ) ، (ك) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « التصاريف » . وأثبتنا ما في (أ) و (ك) و (خ) ، وهي أشبه .

(٦) (أ) ، (ك) : « وحط حجره على رأسه » .

(٧) في الأصل : وذلك ، ولا وجه لها .

ما تهنأ بعده ، وزار عن قريبٍ لَحْذَه ، لأنه مرض بالفالج وما نَجح فيه مداواة طبيبٍ ولا مُعَالِج ، وبقي قريباً من سَتَتين على جنبه مُلْتَقَى ، لا يَتَرَفَع إلى عافيةٍ ولا يَتَرَقَّى / . وقيل : إن الشيخ حسن بن هندو^(١) حاكم سِنْجَار دَسَّ عليه من سَمِّه ، وأعدمه نسيم الحياة وشتمه .

وكانت وفاته في سنة إحدى وخمسين وسبع مئة .

١٥ - إبراهيم بن بركات بن أبي الفضل *

الشيخ الصالح أبو إسحاق الصوفي البَغْلَبَكِّي الحَنْبَلِي المعروف بابن قُرَيْشَة .

أحد الإخوة ، شيخ الخانقاه الأَسَدِيَّة بدمشق^(٢) ، وإمام تربة بني صَطْرَى^(٣) . سَمِعَ من ابن عبد الدائم^(٤) ، وعليّ بن الأُوحد^(٥) ، وابن أبي اليُسْر^(٦) ، وأبي زكريّا بن الصيرفي^(٧) وغيرهم .

وروى الكثير ، واشتهر ، وسمع منه جماعة ، وأجاز لي بخطّه في سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة بدمشق .

كان شيخاً ذا شِيبة مُنَوَّرَة ، وشِكَاةٍ بالمهابة مُسَوَّرَة ، حَسَنَ المُلْتَقَى لمن يعرفه ،

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .

* الوافي : ٣٣٧/٥ ، والدرر : ٢٠/١ ، والشذرات : ١٢٤/٦ ، والنهل الصافي : ٥٨/١ .

(٢) داخل باب الجاية ، أنشأها أسد الدين شيركوه . الدارس : ١٠٩/٢ .

(٣) (أ) : « صرصرى » . تحريف . وهي عند الركنية بسفح جبل قاسيون ، الدارس : ١٩٧/٢ .

(٤) أحمد بن عبد الدائم بن نمرة ، مسند الشام وفقهها ، (ت ٦٦٨) ، البداية والنهاية : ٢٥٧/١٣ ، والشذرات : ٣٢٥/٥ .

(٥) عبد الله بن محمد بن علي القرشي الزبيري ، ابن الأُوحد . (ت ٦٧٨ هـ) ، الشذرات : ٣٦١/٥ .

(٦) إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر التنوخي الدمشقي ، مسند الشام ، (ت ٦٧٢ هـ) ، الشذرات : ٣٣٨/٥ .

(٧) أبو زكريّا يحيى بن أبي منصور الحَرَاني الحنبلي ، ويعرف بابن الحيشي ، (ت ٦٧٨ هـ) ، الشذرات :

٣٦٢/٥ ، والإعلام : ٢٨٣/٨ .

كثير الإنصاف لمن اجتمع به وإن كان ما يُنصفه^(١) ، حُلُو المذاكرة ، ظريف المحاضرة ، قد صحب المشايخ ورآها ، ودخل غاب أسدُم وعَراها ، عليه أنسُ الفقراء ، وحِشمة الأُمراء .

روى عنه علَمُ الدين البرزالي في حياته ، وَغَيْرُهُ . وعاش هُوَ من بعد ذلك وما انقطع سَيَرُهُ ، ولم يزل على حاله إلى أن لبس كَفَنه ، وَلَحْدَهُ اللاحِدُ وَدَفَنَهُ .

ولد سنة ثمان وأربعين وست مئة ، وتُوفي ، رحمه الله تعالى ، سنة أربعين وسبع مئة بجبل الصالحية .

١٦ - إبراهيم بن أبي بكر بن عبد العزيز*

شمس الدين الكتّبي الجَزَري ، المعروف بالفاشوشة ، ويُعرف بابن شمعون . كان يُذكر أنه سمع من فخر الدين بن تيمية^(٢) .

كان يتجر بالكتب باللبّادين^(٣) ، ويدخر منها كل ما يطلبه من عاج إلى ملة أو مال إلى دين .

وكان يتشيع ، ويرى أن عَرَفَهُ بذاك يتضوّع وهو يتضيع .

احتَرقت كتبه في حَرِيق اللبّادين المشهور^(٤) ، وذهب له في ذلك خمسة آلاف مجلدة على ماهو مذكور ، ولم يبق له إلا ماهو في العَرَض ، أو في العارية التي رَمَق منها عَيْشَهُ على بَرَض^(٥) .

(١) (أ) : « لا ينصفه » .

* الوافي : ٣٣٨/٥ ، تالي الوفيات : ٢٩ ، والشذرات : ٤٥٦/٥ .

(٢) محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد ، ت ٦٢٢ ، الإعلام : ٢٥٦ ، والسير : ٢٨٨/٢٢ ، والشذرات : ١٠٢/٥ .

(٣) أشار إليه صاحب الدارس غير مرة ، انظر مثلاً : ٣٠٠/٢ ، ٣٠٧ .

(٤) قال الذهبي في العبر - أحداث سنة (٦٨١ هـ) : « في ليلة حادي عشر رمضان احترقت اللبّادين وجميع أسواقها الفوقانية والتحتانية ، وقواسيرها » ، العبر : ٣٣٢/٥ .

(٥) البرض : التبّلغ بالقليل من العيش .

توجّه في أيام الكامل بن العادل^(١) إلى مصر في تجارة ، واتفق أن حضرت بنت
بُوري المغنية مجلس الكامل وغنّت :

يَا طَلْعَةَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ مِنْ جَاوِرِ هَجْرِكَ مَنْ مُجِيرِ

فأعجبَ السلطانَ ذلكَ ، وطلب الزيادةَ عليه ، فتوجّهتُ إلى شمس الدين
المذكور ، وسألته الزيادةَ على ذلك ، فنظم لها :

قَسَمًا بِدَيْجُورِ الشُّعُورِ وَبِصُّبْحِ أَسْفَارِ الثُّغُورِ
وَبِأَشْمِرِ خُلُوعِ الْمِعَا طِفِّ وَاللَّمَى أَمْسَى سَمِيرِ
مَالِ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا فِعْلُ اللَّوَاظِظِ فِي الصَّدُورِ

فَحَضَرَتْ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَغَنَّتْهُ بِالْأَبْيَاتِ فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ ، وَأَطْلَقَ لَهَا كُلَّ مَا فِي
الْمَجْلِسِ ، ثُمَّ إِنَّ شَمْسَ الدِّينِ عَرَضَ لَهُ مَرَضٌ ، فَنَقَلَتْهُ ابْنَةُ بُورِي إِلَى دَارِهَا وَخَدَمَتْهُ إِلَى
أَنْ عُوْفِي ، فَقَالَتْ لَهُ : كُلُّ مَا فِي هَذَا الْبَيْتِ هُوَ مِنْ إِحْسَانِكَ ، وَحَكَتْ لَهُ مَا جَرَى ،
وَمِنْ شَعْرِهِ :

قَالُوا بِهِ يَبَسَ وَقَرُطَ قَسَاوَةٌ وَكَانَهُ فِي الْحَالَتَيْنِ حَدِيدٌ
فَأَجَبْتُهُمْ : كَذِبًا وَمَيْنًا قَلْتُمْ مِنْ أَيْنَ يَشْبَهُ طَبْعُهُ الْجُلُودُ
وَمِيَاهُ جَلَقَ كُلُّهَا مُنْحَازَةٌ فِي بَعْضِهِ فَهُوَ الْفَتَى الْحَمُودُ
أَلْفَاظُهُ (بَرْدَى) وَصُورَةُ جِسْمِهِ (ثُورًا) وَأَمَّا كِذْبُهُ (فَيَزِيدُ)^(٢)

ولد سنة اثنتين وست مئة ، وتوفي سنة سبع مئة .

(١) هو الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب (ت ٦٣٥) ، السير :

٢٠١/٢٣ ، وبدائع الزهور : ٢٥٨/١/١ .

(٢) (ثورا) و (يزيد) من فروع بردى ، وفي البيت تورية .

١٧ - إبراهيم بن أبي بكر بن أحمد بن يحيى بن هبة الله بن الحسين بن يحيى بن محمد بن علي*

القاضي شمس الدين أبو إسحاق ابن قاضي القضاة نجم الدين ابن قاضي القضاة صدر الدين ، ابن قاضي القضاة شمس الدين بن سنا الدولة .

كان مَدْرَسَ الركنية بدمشق^(١) ، وعنده انقطاعٌ ومحبةٌ للفقراء .

روى عن خطيب مرّدا ، وسمع من الفقير محمد اليونيني^(٢) .

وتوفي رحمه الله تعالى ثامن شهر ربيع الأول / سنة عشر وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة ثمان وأربعين وست مئة .

١٨ - إبراهيم بن حباسة**

القاضي سعد الدين ، مُستوفي دمشق وحلب وصَفَد .

كان مَلِيحَ الشَّكْالَةِ ، سَدِيدَ الْمَقَالَةِ ، دَرَبَ صَنَاعَةِ الدِّيَّانِ وَخَبَرَهَا ، وَتَمَّ تَقْصُّهَا وَجَبَرَهَا^(٣) ، وَكَانَ - كَمَا كَانَ يُقَالُ - يَدَاً وَفَكَاً ، وَنَحْرِيراً لَا يَرَى النَّاقدَ فِيهِ شَكَاً .

وَلِيَ اسْتِيفَاءَ صَفَدٍ مُدَّةً ، وَرَأَى فِيهَا مِنَ السَّعَادَةِ ضُروباً عَدَّةً . وَتَوَجَّهَ إِلَى بَابِ السُّلْطَانِ فِي وَاقِعَةِ سَنَجَرِ السَّاقِي ، وَانْتَصَرَ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ رُوحَهُ فِي التَّرَاقِي .

ثُمَّ إِنَّهُ تَقَلَّ إِلَى اسْتِيفَاءِ حَلَبَ ، فَامْتَرَى فِيهَا ضُرُوعَ السَّعَادَةِ وَحَلَبَ ، ثُمَّ تَقَلَّ^(٤) إِلَى

* الدُّرَرُ : ٢١/١ .

(١) مدرسة للشافعية في زقاق بني مفلح أمام المقمية ، واقفها ركن الدين بن كوس (ت ٦٣١) ،

الدارس : ١٩٠/١ .

(٢) تقدمت ترجمة خطيب مرّدا ، واليونيني ، في ترجمة إبراهيم بن أحمد بن حاتم بن علي .

** لم تقف على ترجمة له .

(٣) (أ) : « حبرها » .

(٤) (أ) : « انتقل » .

استيفاء النظر بدمشق ، وهو على سَعْدِه مقيم ، وحظُّه الزائد يستغني عن التقويم ، إلى أن فُوز^(١) ، وحصل على ما تحوَّز .

وتوفي رحمه الله تعالى ، في ثالث عشر المحرم سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

كان أولاً نصرانياً ، وباشر عمالة خان سلاّر لما عمّر الجاولي . قال لي : حصلت فيه خمسين ألف درهم . ثم إنه أسلم وعمل استيفاء صفد ، ورأى فيه خيراً كثيراً ، ولما وقعت فتنة علم الدين سنجر الساق^(٢) بينه وبين الأمير سيف الدين أرقطاي^(٣) نائب صفد ، جهّزه إلى مصر ، فانتصر الساق عليه قدام السلطان ، وجهر الجميع إلى عند تنكز^(٤) نائب الشام ، فتأخر بعده ولحقه ، ودخل إلى تنكز وحاققه ، فنصره الله عليه . وعاد إلى صفد وأقام مدة ، ثم إنه رُسم له بحلب فتوجّه إليها وأقام مدة ، ثم جهز إلى دمشق مستوفي النظر ، فأقام بها مدة إلى أن مات .

١٩ - إبراهيم بن الحسين بن صدقة بن إبراهيم *

شرف الدين أبو إسحاق البغدادي المُخرمي الدمشقي .

سمع من ابن اللّتي ، وأبي نصر بن عساكر^(٥) ، وأبي الحسن بن مُقَيَّر^(٦) ، ومُكرّم بن أبي الصقر^(٧) ، وجعفر الهمداني^(٨) .

(١) فوز : مات .

(٢) ت (٧٤٥) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .

* الوافي : ٣٤٣/٥ ، والدرر : ٢٣/١ ، والشذرات ١٩/٦ وفيها إبراهيم ابن أبي الحسن .

(٥) عبد الرحيم بن محمد بن الحسن بن عساكر ، (ت ٦٣١) ، العبر : ١٢٦/٥ .

(٦) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن منصور بن المقيّر البغدادي ، (ت ٦٤٣) ، السير : ١١٩/٢٣ .

(٧) مكرّم بن محمد بن حمزة القرشي الدمشقي ، (ت ٦٣٥) . الشذرات : ١٧٤/٥ .

(٨) جعفر بن علي بن هبة الله الهمداني الإسكندراني أبو الفضل المقرئ ، (ت ٦٣٦) ، السير : ٣٦/٢٣ ،

والشذرات : ١٨٠/٥ .

وأجاز له ابن صَبَّاح^(١) والنَّاصِح^(٢) وأبو الوفاء محمود بن مَنْدَه^(٣) .

تفرّد وروى الكثير وعُمّر دهرًا ، وأصفت له الحياة الشهيّة نهرًا ، وكان حَسَن الأخلاق ، تزكو محاسنه على الإنفاق^(٤) ، يَوْمٌ في مَسْجِد ، وَيُغَيّر في التَّسْمِيع وَيُنْجِد ، إلى أن نزل ضريحه ، وسكّن الموتُ رِيحَه .

ولد سنة أربع وعشرين وست مئة ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وسبع مئة .

٢٠ - إبراهيم بن الحسن بن عليّ بن عبد الرفيّع الرّبّعي المالكي*

قاضي تونس .

سمع من محمد بن عبد الجبار الرُّعَيْنِيّ سنة خمس وخمسين (كتاب البخاري) عن أبي محمد بن حوط الله ، وذكر أنّه سمع (الموطأ) عن ابن حوط الله عن أبي عبد الله بن زَرْقُون^(٥) ، قال : سمعت (أربعين السَّلَفِي)^(٦) على الفقيه عُثْمَان بن سفيان التيمي سنة

(١) أبو صادق الحسن بن يحيى بن صَبَّاح الخنزومي المصري نشو الملك ، ت (٦٢٢) . السير : ٣٧٢/٢٢ ، والشذرات : ١٤٨/٥ .

(٢) أبو الفرج عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الشامي ناصح الدين (ت ٦٣٤) ، السير : ٦/٢٣ ، والشذرات : ١٦٤/٥ .

(٣) محمود بن إبراهيم بن سفيان بن مندة العبدي الأصبهاني مسند وقته ، (ت ٦٢٢) ، الشذرات : ١٥٥/٥ .

(٤) (أ) : « الآفاق » : تحريف .

* الوافي : ٣٤٣/٥ ، والدرر : ٢٣/١ ، وللمنهل الصافي : ٦٠/١ .

(٥) محمد بن سعيد بن أحمد ، ت (٥٨٦) . السير : ١٤٧/٢١ ، والشذرات : ٩٦/٥ .

(٦) أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصفهاني ، (ت ٥٧٦) ، ويعرف كتابه باسم « الأربعين البلدانية » . ٥٤/١ .

ثَمَانٍ وخَمْسِينَ عَنْ الْحَافِظِ ابْنِ الْمُفَضَّلِ ^(١) ، وَسَمِعْتُ (مَقَامَاتِ الْحَرِيرِيِّ) عَلَيْهِ أَنَا [و] ^(٢) ابْنَ جَبْرِ ^(٣) عَنِ الْخُشْعِيِّ .

كَانَ بِمَدِينَةِ تُونِسَ قَاضِيًا ، وَبِمَا قَسَمَ لَهُ فِي الْعِلْمِ رَاضِيًا ، يَنْتَقِي وَيَنْتَخِبُ ، وَيَذْخَرُ أَجْرَهُ عِنْدَ اللَّهِ وَيَحْتَسِبُ .

اخْتَصَرَ (كِتَابَ التَّفْرِيعِ) ، وَسَمَّاهُ (السَّهْلَ الْبَدِيعَ) ^(٤) ، وَالْكِتَابَ الْمَذْكُورَ لِابْنِ الْجَلَّابِ ^(٥) فِي مَذْهَبِ مَالِكٍ .

وَعَمَّرَ زَمَنًا طَوِيلًا ، وَوَجَدَتْ مَدَّةَ حَيَاتِهِ إِلَى الطَّوْلِ سَبِيلًا ، إِلَى أَنْ اجْتَحَفَهُ سَيْلُ الْمَنِيَّةِ ، وَقَطَعَ مِنَ السَّيْرِ ^(٦) لَذَّةَ الْهَنِيَّةِ .

وُلِدَ سَنَةَ سِتٍّ ^(٧) وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَتَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ .

٢١ - إِبْرَاهِيمُ بْنُ خَالِدِ بْنِ عَبَّاسِ الْأَنْصَارِيِّ الدَّمَشْقِيِّ *

الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ بْنِ النَّحَّاسِ .

كَانَ رَجُلًا عَارِفًا بِالسَّعْيِ وَالتَّقَدُّمِ ، وَالتَّعْمِيرِ وَالتَّهْدِيمِ ، قَفَزَ مِنْ سَوْقِ النَّحَّاسِ إِلَى أَنْ صَارَ تَقْدَى كَفَّهُ وَتُبَّاسَ .

(١) عَلِيُّ بْنُ الْمُفَضَّلِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَقْدِسِيُّ الْإِسْكَندَرَانِيُّ ، (ت ٦١٢) ، السَّيْرُ : ٦٧٢٢ .

(٢) زِيَادَةُ يُقْتَضِيهَا السِّيَاقُ ، ثَابِتَةٌ فِي الْوَاقِفِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : «أَبُو جَبْرِ» ، وَلَا وَجْهَ لَهَا ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) وَالْوَاقِفِ ، وَالْمُرَادُ هَهُنَا رَحْلَةُ ابْنِ جَبْرِ (ت ٦١٤) ، سَمِعَهَا الْمُؤَلَّفُ عَنْ صَاحِبِ التَّرْجُمَةِ عَنِ الْخُشْعِيِّ .

(٤) الْكَشْفُ : ٤٢٧/١ .

(٥) أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْجَلَّابِ الْمَالِكِيُّ ، (ت ٣٧٨) ، السَّيْرُ : ٣٨٢/١٦ .

(٦) (أ) : «الْعَيْشُ» .

(٧) فِي الْأَصْلِ «ثَلَاثُ» ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) وَالْوَاقِفِ ، وَالْمَنْهَلُ ، وَهِيَ الصَّحِيحَةُ .

* لَمْ نَقِفْ عَلَى تَرْجُمَةٍ لَهُ .

وتولّى بدمشق ولاية الحَرْب ، وتحدّث في الوَصْل والقَطْع والضَّرْب ، ولم يزل إلى أن ضَعَفَ بصره ، وقلّ في ذلك ناصره ، وناب عنه وَلَدَهُ مَدَّةً ^(١) إلى أن عَمِيَ ، وجاش صدره بالحَقْدِ وَحَمِي ، فَعُزِلَ عن الولاية ، وذهبت تلك العناية ، ثمّ إنه لبث مَدَّةً إلى أن ما حَمَلَ النحاسُ التطريق ، وغصَّ وَهْيٌ في حُلُقُومِهِ بالرقيق .

وتوفي رحمه الله تعالى عاشر [ذي] ^(١) القعدة سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

كان أولاً هو وأبوه من سَوَق / النحاس بدمشق . وكان يخدم الأمراء ، وبالع في خدمة الأقرم ^(٢) قَبْلَ النيابة ، فلما تولّى النيابة تولّى مدينة دمشق في ولاية الحَرْب ، وكان له ثَرَوَةٌ ^(٣) وأملاك وسعادة ، ولم يزل إلى أن ضَعَفَ بصره وناب عنه ولده إلى أن عَمِيَ فَعُزِلَ ، ولُزِمَ بَيْتُهُ إلى أن مات .

٢٢ - إبراهيم بن صابر*

مَقْدَمُ الدَّوْلَةِ ، عَهْدِي بِهِ مَقْدَمُ الدَّوْلَةِ في سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، وأظنه كان فيها من قبل ذلك .

وكان السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الناصر مُحَمَّد بن قلاوون يَعْظُمُهُ وَيَطْلُبُهُ وهو في دَسْتَةٍ ^(٥) دار العدل ، ويقول : يا إبراهيم تعال ، فيجيء إليه وَيُدْنِيهِ حتى يَضَعَ فَمَهُ في أذنه ، وَيُسِرُّ إِلَيْهِ ما يَأْمُرُهُ بِهِ ، ومِثْلُ الْأَمِيرِ سَيْف الدّين الْأَكْوَزِ الْآتِي ذَكَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ^(٦) واقف ، حتى صار أَرْفَعَ مِنَ الْحِجَابِ وَمِنْ غَيْرِهِمْ .

(١) ليست في (أ) .

(٢) زيادة من (أ) .

(٣) أقوش نائب دمشق ، ستأتي ترجمته في موضعها من حرف الألف .

(٤) في الأصل : « مروة » ، وأثبتنا ما في (أ) .

* الدرر : ٢١/١ ، وفيه : « إبراهيم بن أبي بكر بن شداد بن صابر » .

(٥) الدست كرسى من أربعة كراسي لِكِتَابِ يَكْتُبُونَ بما يريد السلطان ويضعون توقيعهم بدله يأذنه نيابة عنه ، وترسل للتنفيذ ، ويقال : كراسي الدست ، وتوقيع الدست ، أو كتبة الدست .

(٦) في حرف الألف .

وكان ضَخْمًا طويلاً ، عارفاً بما يعانیه من التقدمة نبيلاً ، ابتزَّ الناسَ أموالَهُمْ في المَصَادِرَاتِ ، وتناولها في الأوائل والمبادرات . فحصل أموالاً جَمَّةً ، وأملاًكاً ماحِصَّلاًها^(١) قبله ذوهِمَّة ، ورتبته السلطان وعشرة من رجاله يَمْشُونَ في ركاب شرف الدين النَشَوِ^(٢) ناظر الخاص لما جَرَحَ تلك الجراحة ، وكان لا يُؤَدِّنُ الفجر^(٣) إلَّا وهو في رجاله على الباب ، فإذا رَكِبَ كانوا معه إلى أن يدخل القلعة ، وإذا نزل منها مَشَوْا في ركابه إلى أن يدخل بيته ، هكذا أبدأ في السفر والحضر ، ولكنه بعد ذلك تَسَلَّمَهُ عند غضب السلطان عليه ، فكان يُعاقبه ويضربه ، فيقول : يا مُقَدِّمَ إبراهيم ، فيعتذر^(٤) إليه بأنَّه مأمور .

ومات هو^(٥) وجماعة من أهله وجماعة من المَصَادِرِينَ تحت مَقَارِعِهِ ، إلَّا أَنَّهُ مع ضخامته وطوله لم يكن فظاً غليظ القلب ، بل كان فيه رحمة ورفق بالضعيف ، واصطناع للمسكين ، وإيثار للفقير ، ولم يزل على حاله في الوجاهة مدة حياة السلطان الملك الناصر ، وأقام بعده ، لكنه ليس في تلك العظمة إلى أن توفي في سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، والظاهر أَنَّهُ نَكِبَ قَبْلَ موته وصودر ، والله أعلم .

٢٣ - إبراهيم بن سُلَيْمَانَ *

ابن الشيخ الإمام العالم رضي الدين الحموي الآب كرمي .

- نسبة إلى أب كرم ، بُليدَة صَغِيرَة قَرِيبَة من قَوْنِيَه كثيرة الفواكه - الرومي

الحنفي المعروف بالمنطقي .

(١) في الأصل : « ماحِصَّله » . وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أشبه .

(٢) عبد الوهاب ، وستأتي ترجمته في موضعه .

(٣) كذا في الأصل ، وفي (أ) و (خ) « المؤدِّن » .

(٤) في الأصل : « فيعذر » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٥) في الدرر : توفي سنة (٧٤٢) .

* البداية والنهاية : ١٥٧/١٤ ، والدرر : ٢٧/١ ، والدارس : ٤٤٢/١ ، والشذرات : ٩٧/٦ ، والمنهل

الصابي : ٦٤/١ ، وقد خلت من ترجمته (خ) .

كان شيخاً عليه وقار ، ومهابة لا يعتريها احتقار ، أبيض الشيبة طويلاً ، حسن الطلعة أسيلها ، يعرف المنطق جيداً ، ويُدعى فيه سيّداً ، تفرد بهذا الفن في زمانه ، وكأنه فيه أرسطو أوانه ، وكان لَيْنَ العريكة ، كأنه من سهولته تريكة ، محسن^(١) إلى الطلبة والتلاميذ والأصحاب ، باذل البشر لمن أمه يتلقاه بالترحاب . وكان ديناً ، خيراً أميناً ، حجّ سبع مرات ، ونال ما قدره الله له فيها من المبررات ، ولم يزل على حالة إلى أن خرس المنطقي ، وأتاه ما كان يرتقب ويتقي .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الجمعة سادسَ عَشْرِي^(٢) شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة . وحضر جنازته جماعة .

وقرأ عليه جماعة من الأعيان والأفاضل ، وكان مُدَرِّس القايمازية التي تحت القلعة^(٣) ، وتولاها بعده قاضي القضاة عماد الدين الطرسوسي الحنفي^(٤) .

٢٤ - إبراهيم بن سليمان بن أبي الحسن بن ريان*

القاضي كمال الدين ابن القاضي جمال الدين الطائي ، وسيأتي ذكر والده في مكانه إن شاء الله تعالى .

كان من جملة موقعي حلب ، ووقع في الدّست قبل موته بقليل . وكان يكتب المنسوب الرائق ، ويراعي فيه الأصل الفائق ، فتخال طروسه حدائق ونباتاً^(٥) في

(١) (أ) : « محسنا » .

(٢) في النهل : « خامس عشرين ... » .

(٣) أنشأها صارم قايماز النجمي أستاذار صلاح الدين الأيوبي ، الدارس : ٤٣٧/١ ، وفي النهل : « بالقيازية » .

(٤) علي بن أحمد بن عبد الواحد ، (ت ٧٤٨) ، وفيات ابن رافع : ٢٥١/١ ، والدرر : ١٨/٣ .

* الدرر : ٢٦/١ .

(٥) (أ) ، (خ) : « أو نباتا » .

خَدَي غَلَامَ مَراهُق ، وتظن أنها برود يمانية وليست مهارق ، وكان يُعرب جيداً ويُعرب ، ويأتي بما هو أغرب من عنقاء مُعُرب^(١) ، إلا أن الأجل تحيِّف كَمَالَهُ ، وأدخل على أَلِفِ قَدِهِ مِنَ المنون الإِمالة . وتوفي رحمه الله تعالى^(٢) في يوم الثلاثاء ، ثالث عشري ذي القعدة سنة ست وخسين وسبع مئة . ومولده بصفد في حدود العشرين وسبع مئة فيما أظن .

وكتبت / إلى أخيه القاضي شرف الدين حُسَيْن^(٣) أعزَّيه فيه ، وأوَّل الكتاب قصيدةً ، وهي :

تَعَزَّ يَا بَاهِرَ السَّناء	وطيَّب الأَصْل والثَّنَاء
واصبر لتحظى بخير حَظٍّ	مَنْ غير حَضٍّ يَوْمَ اللِّقاء ^(٤)
واثبت لفقْدِ الكمالِ يَأْمَنُ	كأَلِه خافق اللِّواء ^(٥)
أَكْرَمُ بِهِ من أخِ كَرِيمٍ	قد فاقَ في الفَهم والذِّكاء
مَكْمَلُ الذَّاتِ قد تجلَّى	بالحلم والعلم والوفاء ^(٦)
يُمْنَاهُ كم قد برت يَراعاً	كأنَّه السيف في المَضَاء
ووشَّعت طَرَسَهَا ووشتْ	بالزَّهر من أحرف الهجاء ^(٧)
غلطت فيما أراه حقاً	إذ ليس والزَّهرُ بالسَّواء
لأنَّ زَهَرَ الرِّياضِ يَندوي	وذا يُرى دائماً الرِّواء ^(٨)

(١) العنقاء المغرب : طائر عظيم يبعد في طيرانه ، وربما عد من عجائب الدنيا ، وقيل هو طائر خرافي يضرب المثل به في الشيء الذي يسمع به ولا يرى ، (ثمار القلوب : ٤٥٠ ، واللسان : غرب) .

(٢) (أ) : « مجلب في » .

(٣) (ت ٧٠) ، والدرر : ٥٥/٢١ .

(٤) (أ) : « حظ » ، (خ) : « حظر » .

(٥) (أ) : « دلفقي » .

(٦) (خ) : « تحلى » . وفي (أ) : « بالحكم » .

(٧) (أ) : « ورصَّعت » .

(٨) (أ) ، (خ) : « وزهر ذا » .

فأله ابن الوحيد ثانٍ
إعرابه ساذ في البرايا
طار (ابنُ عصفور) منه خوفاً
وكان غُضناً رطباً ثناه الـ
وراح غُضّاً خفيف حمْلٍ
وليس مثل الذي رثاه
ستون عاماً كانت أمامي
وأثقلت بالذنوب ظهري
دع ذا فخطبي بـه جسم
كان جميل الصفات قرداً
وجُمْلَةً الأمر فيه أني
إن فراق الكمال صعبٌ

في صحّة الوضع والصفاء
إذ شأده مُحْكَم البناء^(١)
لما تعرّى منه (الكسائي)
ردى إلى روضه البقاء
من الخطايا يوم الجزاء
عَنَيْتَ نَفْسِي ذَاتَ الشَّقَاءِ
لم أدرِ حقّ غَدَتِ ورائي
وأستعني داعي الفنّاء
جلّ وَعَذْبِي إلى الرثاء
في الجهرِ مِنْهُ وفي الخفاء
أقول قولاً بلا رياء
حقّ على البدر في السماء

وكان هو قد كتب إليّ من حلب في أوائل سنة خمس وخمسين وسبع مئة : يَقْبَلُ
الأرض التي هي من براعته ويراعته مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ^(٢) ، ومن لفظه وخطّه مَقَاصُ
النفيسين من الدّرين ، فأضحت بذلك في الشام شامة ، وغدا برقّ فضلها لامعاً لِمَنْ
شامه . وَيُنْهِي بَعْدَ أَشْوَاقِ تَفْيءٍ^(٣) سطور الطروس في غضونِها ، وأثنية تَسْتَنْزِلُ الْوُرُقَ
بأطواقها من غصونها .

إنه ما برح يتذكر مولانا وفوائده ويشاهدها ، ويتعاطى نشوة فضّ الختام
ويتعاهدها ، ولم يزل له من أمثلة مولانا^(٤) الواردة إلى أخيه الملوك كؤوس مدام ، ولها

(١) (أ) : « سار » .

(٢) اسم كتاب في اللغة للإمام حسن بن محمد الصغاني (ت ٦٥٠) ، وكنى به ههنا عن الشعر والنثر .

(٣) في الأصل : « تغنى » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وهي أنسب .

(٤) ما بين « مولانا » و « مولانا » ساقط من (أ) .

من ميم مسك قصيدته الميمية ختام ، ومن مخبات شرح اللامية عرائس^(١) تُجَلَى على الأفهام ، وإنما فيها أماكن تحتاج إلى مُقابلة على النسخة الأصلية ، ومواطن لم تكن مرآتها في قراءتها جلية ، وتمت تركت فعسلت^(٢) مطالعها إذ كانت من الكتابة خلية ، فاختار المملوك حيث اسمه إبراهيم أن يطرب بنوبته في نُسخته الخليلية ، فإن اقتضى رأي مولانا أن يُنعم بتجهيز النسخة الصحيحة الكاملة ليقابل عليها نُسخته التي حرّمها^(٣) الكاتب ما يجب من المقابلة ، ومنعها من جبرها بالتصحيح فاستحقّ المقابلة^(٤) ، ليحكم المملوك جوهرية معانيها الصّحاح ، ويُزيل تعجُّبه من فساد هذه النسخة المنسوبة إلى الصّلاح ، وإنْ تعذّر تجهيزها جملةً فليكن^(٥) مجلداً بعد مجلد ليقابل عليها ويعيدها^(٦) إلى خليله ، و (العود أحمد) إن شاء الله تعالى .

فكتبت أنا إليه الجواب ارتجالاً من رأس القلم :

لا يُنكر الناسَ قطُّ شوقي إلى كمال حوى المعالي^(٧) /
فالبدر أفنى الظلام سيرا ليرزق الفوز بالكمال

يقبل الأرض حيث ابن مُقلّة لتلك الكتابة شاخص ، والفاضل^(٨) لذلك الترسل ناقص ، والميداني لتلك البلاغة على عقيقته ناكص ، تقبيل من زكا وده ، وتأكد في المحبة عهدّه ، وتجدد في الثناء على مر الزمان ورده ، وعذب في الدعاء ورده ، فما نبع إلا

(١) في الأصل : « غرائس » ، تصحيف . وشرح لامية العجم للمصنف .

(٢) أي اضطربت .

(٣) (أ) : « خرّمها » .

(٤) تورية بالجبر والمقابلة ، من علم الحساب .

(٥) في الأصل و (خ) : « فيكون » ، وهي ضعيفة .

(٦) في الأصل : « ويعيده » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٧) في الأصل : « لا ينظر » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٨) هو القاضي الفاضل وزير صلاح الدين .

وأينع بالإجابة وَرَدَهُ ، ورود المشرب الذي حلا ، وغلا قَدْرُهُ في البلاغة وعلا ، وشاع ذكره لما ملأت محاسنه المَلَأَ ، واتضح معناه في ليل سطورهِ التي أَسَدَفَت فقال « أنا ابن جلا » ، وَضَمَّهُ^(٧) إلى صدره فشفى به عليل^(٨) مهجته ، ورفعهُ على ناظرهِ فَقَضَى له بتجديد بَهْجَتِهِ ، وَفَضَهُ عن طروس فَضَةٍ^(٩) ، أو الدراري الثابتة في أوجها لا المنقضة ، فَسَرَّهُ إِذْ فَسَّرَهُ ، وَصَدَّقَ بِمُعْجَزَاتِهِ لَمَّا تَصَوَّرَهُ ، وَشَنَّفَهُ وَقَلَّدَهُ وَسَوَّرَهُ ، وَوَرَدَ مَنْهَلَ فضله الْمُصَفَّى ، ورأى مالو رآه الخياط^(١٠) لَمَزَقَ حُللَ الرِّقَاقِ^(١١) ، وعلم أَنَّ الكتاب من قبله في نَقْص وإبراهيمَ الذي وَقَى ، وقال : هذا الفن الفذ الذي مات ، وما رآه أبو حيان في جَيَّان^(١٢) ، وهذه الفضائل التي ضَوَّعَ رِياها بَنُو رِيَّان ، وهذا النثر الذي شكا الْفَقْرَ إليه صاحب القلائد^(١٣) ، وهذا السجع الذي لا يتناول إلى قصوره أصحاب البيوت ولا أرباب القصائد ، وهذا البيان الذي حَمَلَتْ إليه عين الجاحظ ، وهذا البديع الذي لاقَ بالأسماع وراق في اللواحق ، وهذا وهذا وهذا ، إلى أن لم نجد للوصف ملجأ ولا للعطف ملاذاً .

وانتهى إلي ما أشار إليه مولانا من شرح اللامية التي في خدمته ، والنسخة التي أسقمها الناسخ وساقها إلى حوزته ، وما تحتاج إليه مع جبر مولانا من المقابلة التي يصح ما بها من السقم ، ويسلك^(١) بها من الصواب أرشد نَعَم^(٢) ، وقابل المملوك ذلك

(١) في الأصل : « وضمته » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٢) (أ) : « غليل » .

(٣) زيادة في (أ) ، و (خ) : « وسجعات ألفاظها في الأدب غضة بضة ، وكلمات كأنها الدرر المنفضة » .

(٤) لقب لغريما شاعر .

(٥) السري الرفاء ، شاعر سيف الدولة . وفي العبارة تورية .

(٦) موطن أبي حيان الأندلسي ، من بلاد الأندلس .

(٧) قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، لأبي النصر الفتح بن عيسى بن خاقان ، (ت ٥٣٥) ، الكشف :

١٣٥٤/٢ .

(٨) (أ) : « ويسلك كاتبها » .

(٩) (أ) ، (خ) : « لقم » .

بالامتثال ، وتحقق أنّ ذلك من جملة الإحسان والشفقة على المملوك حتى لا يُنسب إليه جهل ولا نقصان ، والمملوك مُعتقد^(١) في فضائل مولانا ما يغنيه عن ذلك ، ولَوْ أَمَعَنَ النظرَ في أغلاطها ، وأنعم ، بِجُودِهِ ، التأمّلَ لُصَوًّا ليلها الحالِك ، وجعلها في الصّحة مناراً يَهْتَدِي به السالك ، فهو لا يأتي على لحن إلّا أعربه ، ولا خطأ إلّا صوّبه ، ولا نقص إلّا أتمّه ، ولا مشكل إلّا ونور ليلته المدلّمة ، على أنّ المملوك ما يُفرح بأن يرى الأصل عنده كاملاً ، ولا يرى السعد لُضْمَ أجزائه شاملاً ، ولا تزال الأجزاء مفرّقة^(٢) في العاريّة جزءاً بعد جزء ، إمّا لجدّ من الطالب وإمّا لهُزءٌ ، فإن اقتضى الرأي العالي تجهيز النسخة التي في خدمته ليتولى المملوك مقابلتها بنفسه ، ويتشرف بخدمة مولانا بين أبناء جنسه فلمولانا علو الرأي وشرّفه ، وفردوس الأمر وعُزّفه ، إن شاء الله تعالى .

٢٥ - إبراهيم بن صالح بن هاشم*

الشيخ عز الدين أبو إسحاق بن العجمي الحلبي الشافعي .

سمع بدمشق من خطيب مرّداً ، ولم يكن بالمتكثير ، وكان آخر من روى بالسماع ، عن^(٣) الحافظ ابن خليل^(٤) .

كان من بيت علم ورياسة ، وحلم وسياسة ، وحدث بدمشق وحلب ، وقصده الناس بالسعي والطلب .

وأخذ عنه الشيخ شمس الدين الذهبي وغيره ، ولم يزل إلى أن نعب غراب يئنه ، وقام في القبر ملء عينه .

(١) في الأصل : « فيعتقد » ، وأثبتنا ما في (أ) وهي أقرب .

(٢) (أ) : « متفرقة » .

* الوافي : ٢١/٦ ، والدرر : ٢٧/١ ، والنجوم : ٤٩/٢ ، والشذرات : ٩٥/٦ ، والمنهل الصافي : ٨٣/١ .

(٣) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والمنهل .

(٤) شمس الدين يوسف بن خليل بن قزّاجه ، عبد الله الدمشقي الحافظ المحدث ، (ت ٦٤٨) ، السير :

١٥١/٢٣ ، والشذرات : ٢٤٢/٥ .

تُوفي ، رحمه الله تعالى ، سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وكان من أبناء التسعين ، كان عنده عن الحافظ ابن خليل ثلاثة أجزاء رواها غير مرة ، وقدم دمشق غير مرة ، فحدث بها ، ورحل الناس إليه .

٢٦ - إبراهيم بن عبد الله*

الشيخ الصالح الكردي المشرقي المعروف بالهذمة ، كان عابداً زاهداً ، صابراً لفقره مجاهداً ، منجماً عن الناس ، منقطعاً عن مخالطة الأنداس ، ماله مطعم في مطعم ، ولا مطمح إلى قوت وإن عم به من أنعم .

انقطع بقرية بين^(١) القدس ، والحليل ، ورَضِيَ بذلته^(٢) بين يدي الملك الجليل ، فأصلح لنفسه مكاناً وزرعَه ، وغرس به شجراً أطعمَه من رغبه في ذاك وأطعمَه / وتأهل بعد ثمانين وست مئة ، وجاءته الأولاد على كبر ، وكان أمرُه في ذلك من العبر ، وقُصِدَ بالزيارة ، وظهرت علامة كرامته والأمانة ، وحكى عنه كرامات عدة ، وجُلِّيتْ من بركاته ليالٍ مُسَوِّدة . ولم يزل إلى أن طُفِيَ مِصْبَاحُه ، وطغى من الموت اجتياحه .

وتوفي رحمه الله سنة ثلاثين وسبع مئة .

٢٧ - إبراهيم بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد**

زين الدين أبو إسحاق بن نجم الدين بن تاج الدين بن^(٣) الشيرازي الدمشقي .

* الوافي ١/ ٣٨ ، والدرر : ١/ ٣٢ ، والشذرات : ٦/ ١٥٨ ، والمنهل الصافي : ١/ ٨٨٧ .

(١) في الأصل « من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والدرر ، والمنهل .

(٢) (أ) : « بلذته » .

** الوافي : ٦/ ٤٢ ، والدرر : ١/ ٣٦ ، والمنهل الصافي : ١/ ٩٨ ، والشذرات : ٦/ ٣٣ .

(٣) قوله : « تاج الدين بن » ليس في (أ) و (خ) . وفي المنهل : « تاج الدين الشيرازي » .

كان شيخاً جليلاً ، مُسْنِداً نبيلاً ، يَشْهَدُ مع العُدُول ، وماله عن الخير عُدُول ، له في مَسْجِدِ إِمَامَةِ ، والبهاء وِراءَهُ وأَمَامَهُ .

وكان قد سمع من السخاوي ، وكريمة^(١) ، وتاج الدين بن حَمُويه^(٢) وجده وعدة .

وخرَجَ له الشيخ الإمام صلاح الدين العلائي^(٣) مشيخة وتفرد بعدة أجزاء .

ولم يزل يُسَمِّعُ الطَلَبَةَ ، وما به من ذلك قَلْبَةً ، إلى أن سكن الثرى ، وعَدَمَ من الحياة القرى .

ولد سنة أربع وثلاثين وست مئة ، وتوفي رحمه الله سنة أربع عشرة وسبع مئة .

٢٨ - إبراهيم صارم العَوَّاد *

كان في صِنَاعَةِ الطَّرَبِ كاملاً ، وعِلْمُهُ بدقائقها شاملاً ، لعب بِالْكَمَنْجَا إلى أن لم يجد الأستاذ^(٤) فيها له منه مَنَاجَا ، وفاق في فنِّها ، فلم يكن كَمَنْ رَاحَ ولا كَمَنْ جَا ، وأَمَّا الطَّارُ فكلَّ قلب طَارَ إليه ، وتخيل أن^(٥) الشمس والبدر في يديه ، ولم ير الناس مثله مَنْ يُطَرِبُ ، ولا ألطفَ من حركاته كما صَرَخَ في يَدَيْهِ يَضْرِبُ ، وما يرى أحداً أنه مَلِكٌ فيه غَيْرُهُ ما مَلَكُ ، ولا أنه سلكَ في إِتْقَانِهِ ما سَلَكَ ، وأَمَّا العُودُ فكان إبراهيم فيه إبراهيم الموصلي^(٦) ، بل لو عاصره لتحقق أنه مِثْلُ بَطْنِ عَوْدِهِ فارغٌ غَيْرُ مُمْتَلِي ، يكاد

(١) هي كريمة بنت عبد الوهاب بن علي بن الحضر ، توفيت سنة (٦٤١ هـ) .

(٢) عبد الله بن عبد الله بن حَمُويه الجويني السدمشي ، (ت ٦٧٨ هـ) ، السير : ٩٦/٢٣ ، والعبر : ١٧٢/٤ ، والشذرات : ٣٦٠/٥ .

(٣) خليل بن كيكليدي بن عبد الله العلائي (ت ٧٦١ هـ) ، وستأتي ترجمته .

* لم تقف على ترجمة له . وفي (أ) و (خ) : « إبراهيم بن عبد الرحمن صارم الدين العَوَّاد » .

(٤) في الأصل : « الإسناد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) (أ) : « آه » .

(٦) (أ) : « فكان إبراهيم فيه كالوصلي » . والمراد المغني المشهور .

لخفة يده يجري^(١) الماء في عوده ، ويرى البرق من يده في العفاقات^(٢) يلمع في حدوده^(٣) وصعوده ، كأنما هو حمامة تسجع على عودها ، وتعدو وتروح ، وإذا غنى هو جاوبه عوده ، ولم يكن شجر الأراك مع الحمام ينوح :

يَلْعَبُ بِالْعُقْلِ شَدْوَهُ لَعِبَ الْمَرْجُ بمنشور لؤلؤ الحب
لو تسمع الورق شدوه خلعت عليه أطواقها من الطرب

وجرت له مع الناصر أحمد^(٤) أمور ، ولو صح أمره لكان أميراً كبيراً وغيره المأمور ، ولكن فات ما ذبح ، وما خسر إلا من ربح ، ولم يزل على حاله إلى أن راح إلى البلي بغصته ، ولم يقدر على شرح قصته .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

كان قد قرّبه الأمير سيف الدين تنكز ولازمه في سفره وحضره ، وكان يعلم عنده جوارى ، وأعطاه إقطاعاً جيداً في حلقة دمشق ، وألبسه الكلفت^(٥) ، ولما أمسك تنكز طلبه طاجار الدوادار ودخل به إلى السلطان الملك الناصر ، وأقام بمصر تلك المدة ، ثم إن السلطان الناصر أحمد أخذه معه إلى الكرك وأقام عنده تلك المدة ، ووعده^(٦) بأمور منها أنه يعطيه أمرة طبلخاناه ، وهذا أقل ما أعتقده في حقه ، وإلا من الناس من قال : إنه وعده بنبابة دمشق ، ثم إنه بعد ذلك كله أخذ منه الإقطاع ، واستمر بيده راتباً كان له أولاً على دار الطعم بدمشق فارتفق به ، وبطل الخدم إلى أن مات رحمه الله تعالى .

(١) (خ) : « يجري على » .

(٢) الذي في اللسان : « عَفَقَات : صَرَبَهُ صَرَبَات » .

(٣) في الأصل : « صدوره » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٤) كنا ، والمشهور : « محمد » ، وهو ابن قلاوون .

(٥) لباس الرأس في عهد المماليك ، يشبه القلنسوة أو الطاقية ، ويسمى أيضاً (الكلوتة) ، معجم دوزي :

(٦) في الأصل : « وأوعده » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

٢٩ - إبراهيم بن عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد ابن نصر*

القاضي الرئيس ، الكاتب البليغ شمس الدين ابن القاضي جمال الدين ابن صاحب فتح الدين ابن القيسراني الخزومي الخالدي ، كاتب الإنشاء بالديار المصرية ، كان شكلاً ، تاماً في خلقه ساداً^(١) لما يسند إليه من الإنشاء من سعة خرقه ، أشقر بوجه أحمر ، قد بدا الشيب في لحيته كالروض إذا أزهز ، يكتب خطأ تحسده العقود ، ويباهي به الروض المجدود ، وتزدهي الكواكب بضيائه إذا كانت^(٢) في منازل السعود^(٣) / ، إن أنشأ وشى المهارق ، وأخل زهر الحائل والحدائق ، وحسد العذار الجديد سطوره ، وقننى الروض اليناع لو حوى منشوره ، وود الأفق لو استعار من طرسه صبحه ، ومن مداده ديجوره ، يرشف السمع كلامه مداماً ، ويتعاطى كؤوس فقراته الندامى ، من بيت كتابة ووزارة ورياسة قديمة وصدارة .

رافقته في ديوان الإنشاء في قلعة الجبل^(٤) مدة ، وحللت برؤيته من الهم شدة الشدة ، ثم إنه رسم له السلطان الملك الناصر بتوقيع الدست قبل موته بقليل بسفارة الأمير سيف الدين تنكرز فيما أظن .

* الدرر ١ : ٢٧ ، وفيه : « إبراهيم بن عبد الرحمن » .

(١) (خ) : « شاداً » .

(٢) قوله : « إذا كانت » مطموسة في الأصل .

(٣) (أ) : « الصعود » .

(٤) ويقال لها قلعة القاهرة ، وقلعة صلاح الدين الأيوبي وهو الذي أنشأها ، تشرف على القاهرة ، النجوم : ٥٤/٦ .

قال قاضي القضاة بهاء الدين أبو حامد السبكي ^(١) : تولى كتابة الدست في سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ^(٢) .

ولم يزل على حاله في توقيع الدست إلى أن دعاه الله للقياء ، وأوحشت الدنيا من بقياه .

وتوفي رحمه الله تعالى في أحد شهري ربيع من سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة .
 وكان عنده ممالك ترك ، وله تجمل في ملبسه ، وورث نعمة طائلة ، وحصلت له وجاهة عند النواب ، ولو دام له الأمير سيف الدين بهادر التمرتاشي ^(٣) لرقى .
 وكان قد استعار من القاضي جمال الدين ^(٤) ابن العلامة شهاب الدين محمود جزءاً من (قلائد العقيان) ، وأبطأ رده ، قال جمال الدين ، فكتبت إليه :

قُلْ لِرَبِّ الْعُلَافَتَى الْقَيْسِرَانِي حِينَ يَأْتِي مَنْشِيشَةُ الْمَهْرَانِي
 حَلَّ جِيدِي بِالْفَضْلِ مِنْكَ فَإِنِّي عَاطِلٌ مِنْ قَلَائِدِ الْعِقْيَانِ
 فلما وقف عليها القاضي الشريف شهاب الدين الحسني قال :

يَا ابْنَ غَيْثِ النَّدَى وَبَحْرِ الْمَعَانِي دُرَّةً فِي النَّحُورِ وَالتَّيْجَانِ
 أَنْتَ لِلْمُلُوكِ زِينَةٌ وَجَمَال غَنِيَتْ عَنْ قَلَائِدِ الْعِقْيَانِ

وكتب لي شمس الدين المذكور توقيعاً بزيادة عن السلطان الملك الناصر محمد ، وهو : « رُسِمَ بالأمر الشريف العالي - لا زالت أوامره تزين المناصب بأكفائها ، وتزيد

(١) هو أحمد بن قاضي القضاة تقي الدين أبي الحسن علي بن عبد الكافي السبكي ، (ت ٧٧٢ هـ) ، وفيات ابن رافع : ٥٧/٢ ، والدرر : ٢١٠/١ ، والبدر الطالع : ٨١/١ .

(٢) قوله « قال قاضي » حتى ههنا ليس في (أ) و (خ) .

(٣) الناصري ، وستأتي ترجمته .

(٤) إبراهيم ، وستأتي ترجمته .

المراتب وجاهة بمن تريد صلاحه في علائها ، ومراسيه تَمَنَّ بعوارف آلانها لمن جعله عرفانه من أوليائها - أن يزداد المجلس السامي القضائي ^(١) فلان الدين على معلومه ^(٢) الذي بيده المُسْتَقَرَّ باسمه في الشهر دراهم كذا غلّة كذا ، وفي اليوم خبز كذا ، لحم كذا ، شعير كذا ، وفي السنة كذا زيادة على الجوخة قرطية ^(٣) مُغْشَاهُ لَتَفَرُّدِهِ في البلاغة عن مناضل ^(٤) أو مناظر ، وتفننه في الكتابة التي تثلج الصدور ، وتبهج النواظر ، وإتيانه بالمعنى ^(٥) البسيط في اللفظ الوجيز ، واعتراف أمثاله بالقصور عما ينتجه فكره السليم من التعجيز ، طالما دَبَّج المهارق بأبوابنا الشريفة برائق خطّه وفائق لفظه ، ونظم ^(٦) في تقاليد الوزارة المنيفة ^(٧) من دَرَرِ معانيه ما تتسارعُ الهمم إلى التقاطه وحفظه ، فليتناول ذلك شاكراً لأنعمنا الشريفة على هذا المزيد ، وليعلم [أن] ^(٨) إحساننا إليه ثابت ويزيد ، والله يُبَلِّغُهُ من النعم ما يريد بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى ، فكتبت إليه أتشكر إحسانه ارتجالاً :

كَلِمَاتُ الْقَيْسِ رَانِي لُطْفُ مَعْنَاهَا بَرَانِي
فَهِي فِي الْحُسْنِ كَلِيلِي وَإِلَيْهِ قَيْسُ رَانِي

٣٠ - إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضياء*

الشيخ الإمام الورع العلامة شيخ الشافعية ، برهان الدين أبو إسحاق الفزاري ،

- (١) في الأصل و (خ) : « القاضي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أشبه .
 - (٢) في الأصل : « علومه » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .
 - (٣) (أ) : « قرضية » .
 - (٤) (أ) : « مناصر » .
 - (٥) في الأصل « في المعنى » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .
 - (٦) (أ) : « ونظر » .
 - (٧) (خ) : « للنيقة » .
 - (٨) زيادة من (أ) و (خ) يقتضيها السياق .
- * الوافي : ٤٣/٦ ، والفوات : ٣٢/١ ، والدرر : ٣٤/١ ، والشذرات : ٨٨/٦ ، والمنهل الصافي : ٩٩/١ .

الصعيديّ الأصل ، الدمشقي الشافعي ، مدرّس الباذرائيّة^(١) وابن مدرّسها الشيخ تاج الدين .

سمّعه والده الكثير في صغره من ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليسر والموجودين في ذلك العصر .

قرأ العريّة على عمّه شرف الدين الفزاري^(٢) ، وتفقّه على والده ، وقرأ الأصول وبعض المنطق ، وكان يخالف الشيخ تقي الدين بن تيمية في مسائل ، وما تهاجرا قط ، وكلّ / منها يحترم صاحبه إذا اجتمعا ، ولما بلغته وفاته استرجع وشيّع جنازته .

وكان رحمه الله تعالى قد نشأ في صيانه ورقى في ديانه ، وإكباب على العلم والإفادة طول عمره ، وتواضع وخير من أوّل حاله إلى خاتمة أمره ، وزاد اشتغاله بعد أبيه ، وطالع ونظر ، وما اقتصر على التنبيه ، يكاد^(٣) يستحضر غالب الرافعي في مسائله^(٤) ، ويورد لفظه بتقاريره ودلائله ، حتى يقول : هذه المسألة في الصفحة الفلانية من المجلد الفلاني ، ويكشف عليه فما يخطئ الصواب بل يقارب ويداني ، أشهر بذاك ، وعلم جميع الكتاب حتى كأنه باب السواك ، وعلّق على (التنبيه)^(٥)

(١) المدرسة الباذرائية بدمشق ، أنشأها عبد الله بن محمد بن الحسن الباذرائي البغدادي المتوفى سنة (٦٥٥ هـ) ، الدارس ١٥٤/١ .

(٢) أحمد بن إبراهيم ، وستأتي ترجمته .

(٣) (أ) : « فكاك » .

(٤) الرافعي هو الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني ، توفي في حدود سنة (٦٢٣ هـ) ، له كتابان في فروع الشافعية « المحرّر » و « فتح العزيز في شرح الوجيز » ، ولعل المراد أولهما ، انظر الكشف : ١٦١٢/٢ ، ٢٠٠٢ ، وفوات الوفيات : ٣٧٦/٢ ، والشذرات : ١٠٨/٥ .

وفي المنهل الصافي : « يكاد يقول في مسائل الرافعي : هذه المسألة في المجلد الفلاني في الكراس الفلاني ، في الصفحة الفلانية ، لأنه دربه وأدمن مطالعته » .

(٥) في فروع الشافعية ، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي ، (ت ٤٧٦) ، وأشار في الكشف : ٤٨٩/١ ، إلى الشرح الذي صنّفه صاحب الترجمة .

شرحاً حافلاً ، وأتى به لغوامض المذهب كافلاً^(١) ، لو أنصفه الناس لم تُرْفَع لغير الرافعي راية ، وتحققوا أن بداية هذا الكتاب مثل النهاية ، ولا بد لهذا الشرح من وقت يوقى فيه حقه ، ويعطيه الطاعة كل فاضل ، فما يعوقه عن التقديم على غيره ولا يعقّه ، مع ما في فضله من فضول في بعض الفصول ، وزيادات بيان لا تَعْلُق لها بالفروع ولا الأصول . وعَلّق على (منهاج النووي)^(٢) جزءاً لطيفاً فيه تنف ، وكلامه فيه أطرب من حمام الأيكل إذا هتف .

وكان صادق اللهجة فيما ينقله ، حاذق المهجة فيما يتروّى فيه أو يتعلّقه ، طويل الروح على الدرس والإشغال^(٣) ، كثير التوغل في الإيضاح والإيغال ، حريصاً على تفهيم الطالب ، يودّ لو بذل كنوز العلم وما فيه من المطالب ، لا يعجبه من يورد عليه تشكيكاً ، ولا من يطلب منه تنزيل ألفاظ ولا تفكيكاً ، لأنه هو فيما بعد ذلك يتبرع ، فما يحبّ من غيره أن يسابقه ولا يتسرّع ، وذلك ليُبَسِّ في مزاجه ، وحدة تلحقه عند انزعاجه ، وحاجة إلى استعمال خيار الشمبر^(٤) لعلاج ، فقد كان ذلك ثقله^(٥) على الدوام ، ولا يُخِلّ باستعماله في يوم من الأيام ، وكان رقيق البشرة ، ظاهرة الوضاعة ، كأن وجهه حَبْره^(٦) ، وله حظّ وأفرّ من صدقة وصيام وتهجّد في الليل وقيام ، قلّ أن يخرج الشهر وما يعمل فيه لأهل^(٧) مدرسته طعاماً ، ويدخلهم إلى منزله فراداً وتوأمًا ، ويقف لهم عند الباب ويدعو لهم ويشكرهم ، ويعرفهم بالميعاد الثاني وينذرهم .

(١) (أ) : « كاملاً » .

(٢) اسمه منهاج الطالبين في مختصر المُحرّر في فروع الشافعية للإمام محيي الدين النووي (ت ٦٧٦ هـ) ، الكشف : ١٨٧٣/٢ .

(٣) (أ) : « والاشتغال » .

(٤) في اللسان : « وخيارٌ شمبر ضربٌ من الخروب ، شجرة مثل كبار شجر الخوخ » .

(٥) النقل : ما ينتقل به على الطعام .

(٦) الحَبْرَة والحَبْرَة : ضربٌ من برود الين مُنَمَّر .

(٧) (أ) : « لفقهاء » .

وفتاويه كلها مُسَدَّدة ، واحترازاته وقبوده فيها مُشَدَّدة^(١) . قد كفّ لسانه وسمعه عن الغيبة ومنعها من مجلسه دفعه ، منجماً عن الناس يجد في الوحشة منهم غاية الإيناس ، وتنجز من السلطان مرسوماً أن لا يحضر مجلساً إذا عُقد ، ولا يُطلب لذلك إذا فُقد . وطُلب للقضاء بعد ابن صَصْرَى فاستعفى لذلك وصَمَّم ، وألحَّ عليه الأمير سيف الدين تنكز فخصَّص الامتناع وعمَّم ، وحجَّ غير مرَّة ، وتجرَّع من التكلف لذلك كلَّ مرَّة .

وحدَّث بالصحيحين ، وفاز من الرواية والدراية بالقدهين الريحين . وخرَّج له الشيخ صلاح الدين العلائي مشيخة قرئت عليه ، وسردها الناس لديه .
وولي الخطابة بالجامع الأموي بعد عمِّه الشيخ شرف الدين ، ثمَّ عزَّل نفسه ، وقلع منها ضره .

ولم يزل على تلك الطريقة التي أخذها عن السلف ، وتفرد بارتكابها في الخلف ، إلى أن جاء المحاق لبدوره ، وانطبقت على درته الثينة صدفتا قبره ، ففجع الناس فيه ، وعدموا اللؤلؤ الذي كان يقذفه بحر علمه من فيه ، وراح إلى الله على أتم سداد ، وأكمل اعتداده^(٢) ليوم المعاد . وكانت جنازته مشهودة ، وآلاف من حضرها غير معدودة ، فرحم الله روحه ، ونور بالمغفرة ضريحه .

مولده في شهر ربيع الأول سنة ستين وست مئة ، ووفاته في يوم الجمعة سابع جمادى الأولى في سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

وله نظم ونثر متع ، لا ينحطّ في ذلك ولا يرتفع ، ومنه قوله ، وقد ترك الخطابة :

وإني لأستحي من الله كلّما
وقفت خطيباً واعظاً فوق منبر /

(١) في الأصل : « مسددة » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) (أ) : « اعتداده » .

ولستُ بريئاً بينهم فأفیدهم ألا إنما تشفي مواءم من بري

قلت : كذا أنشدنيها الشيخ أمين الدين محمد بن علي الأنفي عن مصنفها ، وكذا رأيتها في (البدر السافر) للفاضل كال الدين جعفر الأذفوي رحمه الله تعالى ^(١) ، ولو قال رحمه الله تعالى : « ألا إنما تشفي المواءم من بري » لكان ذلك أحسن وأتم وأتم في الجنس . ورأيتها بعد هذا في ديوان الخطيب يحيى بن سلامة الحصفكي ^(٢) ، وهو بها أحق .

٣١ - إبراهيم بن عبد الرحمن بن نوح بن محمد*

الشيخ الأمين العدل بهاء الدين أبو إسحاق ابن الإمام العالم مقفي المسلمين شمس الدين أبي محمد المقدسي الشافعي .

سمع الحديث من ابن مسleme ^(٣) ، وابن علان ^(٤) ، وشرف الدين المرسي ^(٥) ، والمجد الإسفراييني ^(٦) ، وإسماعيل العراقي ^(٧) ، واليلداني ^(٨) ، والكفرطايي ^(٩) ،

(١) البدر السافر .

(٢) (ت ٥٥١ هـ) ، الوفيات : ٢٣٧/٢ ، وطبقات ابن السبكي : ٣٢٢/٤ .

* الدرر : ٣٧/١ ، والشذرات : ٥٤/٦ .

(٣) أبو العباس أحمد بن مفرج بن علي الدمشقي ، سمع من الحافظ ابن عساكر ، (ت ٦٥٠) ، السير : ٢٨١/٢٣ ، والشذرات : ٢٤٩/٥ .

(٤) مكّي بن المّسلم بن مكّي بن خلف بن علان القيسي الدمشقي ، (ت ٦٥٢) ، السير : ٢٨٦/٢٣ .

(٥) أبو عبد الله محمد أبو الفضل الشرف السّلمي المرسي الأندلسي ، (ت ٦٥٥) ، السير : ٣١٢/٢٣ ، والشذرات : ٢٦٩/٥ .

(٦) محمد بن محمد بن عمر الصوفي ، (ت ٦٤٨) ، السير : ٢٥٨/٢٣ ، والشذرات : ٢٤٣/٥ .

(٧) أبو الفضل إسماعيل بن أحمد بن الحسين العراقي الأواني ثمّ الدمشقي ، (ت ٦٥٢) ، السير : ٣٠٥/٢٣ ، والشذرات : ٢٥٥/٥ .

(٨) الإمام المحدث أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الفهم اليلداني الدمشقي ، (ت ٦٥٥) ، السير : ٣١١/٢٣ ، والعبر : ٢٢٣/٥ ، والبدية والنهاية : ١٩٧/١٣ ، والشذرات : ٢٦٩/٥ .

(٩) أبو الفضل عبد العزيز بن عبد الوهاب بن بيان الكفرطايي ، (ت ٦٥٦) ، السير : ٢٩٢/٢٣ .

وابن طلحة^(١) ، والشريف بهاء الدين النقيب^(٢) ، وخطيب مردا ، وابن عبد الدائم ، وغيرهم ، وخرّجت له مشيخة سنة^(٣) حجّ ، وحدث بها بالمدينة في سنة ثلاث عشرة وسبع مئة ، قرأها عليه الشيخ عليّ الحنّتي^(٤) ، ثم رواها بدمشق غير مرّة .

وأجاز له ابن الجُمَيزي ، والشاوي ، وأحمد بن الحَبّاب^(٥) ، وجماعة في سنة سبع وأربعين وست مئة . وأجاز له من بغداد محمد بن المنّي^(٦) ، والأعزّ بن العليق^(٧) ، والمؤتمن بن قُميرة^(٨) ، وجماعة في سنة ثمان وأربعين .

وتفرّد في دمشق برواية (كتاب الآداب) للبيهقي^(٩) عن المُرسّي سماعاً ، وتفرّد بغير ذلك .

-
- (١) الكمال أبو سالم محمد بن طلحة القرشي العدوي ، (ت ٦٥٢) ، السير : ٢٩٢/٢٣ .
 - (٢) أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الحسيني ، نقيب الأشراف ، بهاء الدين علي بن أبي الجنّ ، (ت ٦٦٠) ، العبر : ٢٦١/٥ ، والشذرات : ٣٠٣/٥ .
 - (٣) في الأصل « منه » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) .
 - (٤) علي بن محمد بن عبد الله الفقيه الزاهد التركي ، (ت ٧١٧) ، الدرر : ١١٠/٣ ، ووقع في (أ) : « الحسيني » : تحريف .
 - (٥) أحمد بن محمد بن عبد العزيز السعدي المصري ، راوي صحيح مسلم عن المأموني ، (ت ٦٤٨) ، السير : ٢٣٤/٢٣ ، والشذرات : ٢٤٠/٥ .
 - (٦) محمد بن مقبل بن فتيان بن مطر النهرواني الحنبلي ، (ت ٦٤٩) ، السير : ٢٥٢/٢٣ ، والعبر : ٢٠٤/٥ ، والوافي : ٥٢/٥ .
 - (٧) أبو نصر أعزّ بن فضائل بن أبي نصر بن عباسوه بن العليق البغدادي ، ويعرف بابن بندقة ، (ت ٦٤٩) ، السير : ٢٣٨/٢٣ ، والعبر : ٢٠٢/٥ ، والوافي : ٢٩٠/٩ .
 - (٨) مؤتمن الدين ، أبو القاسم يحيى بن أبي السعود التيمي اليربوعي البغدادي الأرجي ، (ت ٦٥٠) ، السير : ٢٨٥/٢٣ ، والشذرات : ٢٥٣/٥ .
 - (٩) أحمد بن الحسين بن علي صاحب السنن ، (ت ٤٥٨) ، وكتابه « الآداب » مخطوط ، كما في الأعلام : ١١٦/١ .

وكان في المباشرات مشكوراً ، وبالأمانة والعفة مذكوراً ، وفيه خير وبر ، وتعهّد للأصحاب ^(١) في العلن والسّر ، وعنده كفاية ونهضة ، ومروّة يؤدي بها في الإحسان فرضه ، ووقف على جهات البرّ أوقافاً ، جعلت له في أغوار الذكر الجميل أحقافاً ^(٢) ، ولم يزل على حاله إلى أن برّز للرحيل نُوقه ، وأقام الموت سُوقه .

وتوفي رحمه الله تعالى في سلخ جمادى الآخرة سنة عشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وثلاثين وست مئة بالشاميّة الجوانيّة ^(٣) بدمشق ، وكان ناظر المدرسة الرّواحيّة ^(٤) بعد أخيه أكثر من ثلاثين سنة ، وبارش وقّف الحرمين ووقف جامع العقبيّة ^(٥) ، وغير ذلك .

٣٢ - إبراهيم بن عرفات بن صالح *

القاضي زين الدين بن أبي المنيّ القنائي الشافعي .

تولّى الحكم بقنا ^(٦) ، والتقى الإعدام بالبيض والقنا ، لأنّه كان يتصدّق في كلّ يوم عاشوراء بألف دينار على من هو محتاج ويلحق الفقير المسكين من جوده برّب التاج ، مع حسن وجه ساعة البذل ، لا كما يتكلّف الخير وفعله الساقط النذل .

(١) (أ) : « لأضيافه » .

(٢) جمع حقف : المعوجّ من الرمل .

(٣) هي المدرسة الشاميّة الجوانيّة ، تقع قبلي المارستان النوري الذي صار متحف الطب في دمشق اليوم ، أنشأتها ست الشام بنت نجم الدين أيوب ، الدارس : ٢٢٢٧/١ .

(٤) شرقي مسجد ابن عروة بالجامع الأموي ولصيقه ، بناها زكي الدين أبو القاسم التاجر المعروف بابن راحة ، الدارس : ١٩٩/١ .

(٥) بدمشق ، كان مسجداً فوّسّع وبنيت له مئذنة سنة (٨١٧) ، الدارس : ٢٢٩/٢ ، والعقبيّة حي من أحياء دمشق إلى الآن يعرف بهذا الاسم .

* الوافي : ٥٥/٦ ، والدرر : ٤١/١ ، والمنهل الصافي : ١١٩/١ ، والطالع السعيد : ٥٦ ، وفي هذه المصادر خلاف حول زمن وفاته فقيل : « ٧٢٤ هـ » و « ٦٤٤ هـ » .

(٦) قنا : بلدة في صعيد مصر .

قالت امرأة : جئت إليه يومَ عاشوراء فأعطاني ، وعدت إلى منزلي وأعطاني ^(١) ، ثم صرْتُ إليه ثانياً فأنا لني وخَوَّلني ، ثم رَدِدْتُ إليه ثالثاً فَجَبَّاني وما حَوَّلني ، ثم فَعَلْتُ ذلك مرَّاتٍ وهو يَجُودُ عليَّ بِرِّه ، ولا يطوي عَنِّي حُسْنَ بِشْرِهِ ، إلى أن تَكَمَّلَ لي منه ذلك اليوم ست مئة دِرْهَم ، فاشتريت بذلك مَسْكناً ، وأراحني من الهم .

وكانت له عقيدةٌ حَسَنَةٌ في أهل الصَّلَاح ، ويأخذ من أدعيتهم ما هو أَوْقَى له من السَّلَاح .

ولم يزل على خيرٍ إلى أن فات وَعَدُّ من الرُّفَات . ووفاته ، رحمه الله تعالى ، في بلده سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

٣٣ - إبراهيم بن علي الأَجَلَّ أبي هاشم*

ابن الصدر الأديب المُعَمَّرُ أبي طالب مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن التَّامَّغَار ، مَجْدُ الدين أبو الفتح بن الحَيَمي الحلِّي ^(٢) .

سمع من والده بسماعه من بَنَتْ سَعْدُ الخير ^(٣) ، وسمع من الرشيد العَطَّار ^(٤) مجلسَ (البطاقة) ، ومن ابن البرُّهَان ^(٥) (صحيح مسلم) .

(١) الأعطان جمع عطن ، وهو موطن الإبل ، ومريض الغنم حول الماء .

* الوافي : ٥٧/٦ ، والدرر : ٤٨/١ .

(٢) في الوافي ، والدرر : « الحلبي » .

(٣) هي فاطمة بنت سعد الخير بن محمد بن عبد الكريم ، ولدت بأصبهان سنة (٥٢٢ هـ) ، سمعت وروت

كثيراً ، توفيت بمصر سنة (٦٠٠ هـ) ، السير : ٤١٢/٢١ ، والشذرات : ٣٤٧/٤ .

(٤) الحافظ يحيى بن علي بن عبد الله بن مفرج القرشي ، (ت ٦٦٢) ، الشذرات : ٣١١/٥ .

(٥) رضي الدين إبراهيم بن عمر بن مضر الواسطي التاجر ، (ت ٦٦٤ هـ) ، الشذرات : ٣١٥/٥ .

وأجاز له الحافظ المُنذري^(١) ، ولاحق الأرتاحي^(٢) ، والبهاء زهير^(٣) ، وأبو علي البكري^(٤) .

وخرج له التقيُّ عبِيدُ مَشِيخَة ، وحدث قديماً ، وسلك طريقاً قوياً .

وأخذ عنه المصريون وسبعوه ، وارتضوه وما دفعوه ، وزان بالرواية زمانه ، ورصع دُرّه في تاجها وجَمَانه ، إلى أن أدركته الوفاة ، وختَم الموتُ نَظْمَه وَفَاء . وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مئة . وولد سنة تسع وأربعين وست مئة / .

٣٤ - إبراهيم بن علي بن خليل الحراني*

المعروف بَعَيْن بَصَل .

كان على ما اشتهر من أمره عامياً حائكاً أُمياً ، وله الشعر المقبول ، والطَّبْعُ الذي هو على القريض محبوب .

أناف على الثمانين من عُمره ، ولم يَحْمَد تَوَقُّدَ جَمْرِهِ . نظر يوماً بعض أصحابه إلى امرأة برزت بصفحة بذر في حُنْدُس ، وغرست فوق خدّها زهرة تَرْجِس ، فسأله أن ينظم في ذلك شعراً ، وَيَنْفَسَ به كَرْبُ قلبه الْمُغْرَى ، فقال بديهاً ، وأنشد الحاضرين فيها :

(١) زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري الشامي ، (ت ٦٥٦ هـ) ، السير : ٢١٩/٢٣ ، والشذرات : ٢٢٧/٥ .

(٢) أبو الكرم لاحق بن عبد المنعم بن قاسم الأنصاري الأرتاحي الأصل المصري اللبان ، (ت ٦٥٨ هـ) ، السير : ٢٥٠/٢٣ ، والعبير : ٢٥١/٥ ، والشذرات : ٢٩٦/٥ .

والأرتاحي : نسبة إلى أرتاح ، اسم حصن منيع كان من العواصم من أعمال حلب . (معجم البلدان) .
(٣) بهاء الدين أبو العلاء زهير بن محمد بن علي الأزدي المهلبلي المكي ، له ديوان شعر مشهور (ت ٦٥٦ هـ) ، السير : ٢٥٥/٢٣ ، والوفيات : ٣٣٢/٢ ، والعبير : ٢٣٠/٥ ، والبداية والنهاية : ٢١١/١٣ .

(٤) صدر الدين أبو علي الحسن بن محمد ابن الشيخ أبي الفتوح التيمي البكري النيسابوري ثم الدمشقي الصوفي ، (ت ٦٥٦ هـ) ، السير : ٣٢٦/٢٣ ، والوافي : ٢٥١/١٢ ، والنجوم الزاهرة : ٦٧٧ .

* الوافي : ٧٠/٦ ، والدرر : ٤٤/١ ، وفوات الوفيات : ٣٥/١ ، والمنهل الصافي : ١٢٠/١ .

عَرَسْتُ فِي الْحَدِّ نَرْجِسَةً فحكت في أحسن الصُّور
كوكباً في الجوّ متقدماً قد بدا في جانب القمر^(١)

وذكر لي غير واحدٍ أنّ القاضي شمس الدين بن خلكان رَحِمَهُ اللهُ تعالى قصده واستنشدَه شيئاً مِنْ شعره ، فقال : أمّا القديم فلا يليق ، وأمّا الوَقْتُ الحاضر فنعم ، وأنشده :

وما كلُّ وَقْتٍ فِيهِ يَسْتَحُحُ خَاطِرِي بنظم قريضٍ فائقٍ اللفظ والمعنى^(٢)
وهل يقتضي الشَّرْعُ الشَّرِيفَ تَيْمًا بترُّبٍ وهذا البحرُ يا صاحبي مَعْنًا
وبعضُ الناسِ يحكي أن ذلك اتَّفَقَ له مع الشيخ صدر الدين بن الوكيل^(٣) رحمه الله تعالى .

قلت : وليس ذلك بصحيح ، فقد ذكر المُوَرِّخُونَ أَنَّ شَيْمًا الحَلِّيَّ^(٤) لما قدم إِسْعَرْدَ^(٥) ، قَصَدَهُ شعراؤها وأنشدوه أشعارهم ، وكان فيهم من أنشدَه شعراً استكثره عليه وقال : انظم الآن لي شيئاً فأنشده ذلك الرجل في الحال ، وهذا هو الصحيح ، لأنَّ شَيْمًا الحَلِّيَّ توفي بِالْمَوْصِلِ سنة إحدى وست مئة ، ولم يكن عَيْنٌ بصل قد خلق .

وكان عَيْنٌ بصل فقيراً يَهْبُهُ الناسُ قِياشاً ، وما يكلفونه معاشاً ، وكان يلبس القطعة مدّة ، وإذا أفلس باعها ، ومدَّ إليها كفَّ نفقته وباعها ، فلامه بعضُ الناس على

(١) (أ) : « في الأفق » .

(٢) في الوافي : « رائق » .

(٣) محمد بن عمر بن مكي بن المرحل الشافعي ، (ت ٧١٦ هـ) ، الدرر : ١١٥/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٣٣/٩ .

(٤) أبو الحسن علي بن الحسن بن عتار الحلي الأديب ، (ت ٦٠١ هـ) ، السير : ٤١٦/٢١ .

(٥) اسعد ، بسكون السين والعين المكسورة : مدينة .

هذا الاعتقاد ، وقال : هذا موجب لأنَّ يسوء منهم فيك الاعتقاد ، فأنشده ارتجالاً وقال له لا تمثلي مني ملاًلاً^(١) :

وقائلٍ قال إبراهيم عَيْنُ بَصَلْ أَضْحَى يَبِيعُ قَباً لِلنَّاسِ بَعْدَ قَبَا
فقلت مَهْ يَا عَذُولِي كَمْ تُعَنِّفُنِي لَوْ جُعْتُ قُدْتُ وَلَوْ أَفْلَسْتُ بَعْتُ قُبَا
وَمَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ فِي الشَّبَكَةِ وَالسَّمَكِ^(٢) :

كَمْ كَبَسْنَا نَيْتاً لَكِي نُمْسِكَ السَّكَانَ مِنْهُ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ
فَسَكْنَا السَّكَانَ وَانْهَزَمَ الْبَيْتُ لَدَيْنَا خَوْفاً مِنَ الطَّاقَاتِ

قلت : وقد رأيتها أيضاً لغيره .

ولم يزل في اكتسابه ، وتعاطيه للشعر وانتسابه ، وتوكله على برِّ الناس له واحتسابه ، يخبط بين الحياكة والحكاية ، وينقلب من الشكر إلى الشكاية ، إلى أن رقدَ فما انتبه ، وعتب صاحبه الموت فيه فما أعتبه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وسبع مئة .

ومن شعره الذي نسب إليه قوله^(٣) :

جسمي بسَقْمٍ جَفُونُهُ قَدْ أُسْقِمَا رِيْمٌ بِسَهْمٍ لِحَاطِهِ قَلْبِي رَمَى^(٤)
كَالرَّمْحِ مُعْتَدِلُ الْقِيَامِ مُهْفَهَفٌ مُرُّ الْجَفَا لَكِنَّهُ خُلُو اللَّمَى
رَشَاءُ أَحَلَّ دَمِي الْحَرَامَ وَقَدْ رَأَى فِي شُرْعِهِ الْوَصْلَ الْحَلَالَ مُحَرَّمَا^(٥)

(١) البيتان في الوافي : ٧١/٦ .

(٢) البيتان في الوافي : ٧١/٦ .

(٣) الأبيات في الوافي : ٧١/٦ . وفي المنهل الصافي : ١٢١/١ ، الأبيات السبعة الأولى .

(٤) في المنهل : « جفني » .

(٥) في الوافي : « في شُرْعِهِ وَصَلِي » .

ألقى وأصلى جَنَّةً وجهنًا^(١)
 وبسيف نرجس طَرَفِه السَّاجي حمى^(٢)
 قَرَّبْتُهُ فَنَأَى ، بَكَيْتُ تَبَسُّمًا
 فَجَنَى وجار عليّ حين تحكّمًا^(٣)
 وما بطلعتَه على قَمَرِ السَّما /
 حِلْفُ الصَّبَابَةِ والغرام مَتِيًّا
 سلفت وعيشاً بالصَّريم تصرّما
 صَرَفَ الزَّمان ولا تخاف اللّومًا^(٤)
 عَنَّا وَعَيْنُ البين قد كُحِلَتْ عَمَّا
 لَمَّا بَكَى وبها الغمام تَبَسُّمًا
 فيها فأصْبَحَ كالخيام مُخَيِّمًا^(٥)
 أضحى المُحِبُّ به كئيباً مُعْزَمًا
 تَرْنُو فترمي باللوّاحظ أسْهُمًا
 لَمَّا رَأَى وَرْدَ الغُصُونِ مُنْظَمًا
 سَحَرًا فتوقظ بالهديل النّومًا
 في فِتْيَةٍ نظروا المَسْرَةَ مَغْنَمًا
 تحكي الشُّموسَ ، ونحن نحكي الأنجُمَا

رَبُّ الجَمال بوصله وبهجَره
 عن وَرْدِ وجنته بآس عِذاره
 عاتبته فَقَسَا ، وَفَيْتُ فُخَانِي
 حَكَمَتِهِ فِي مُهَجِّي وَحُشَاشَتِي
 يَا ذَا الَّذِي فاق الغُصُونِ بَقْدَه
 رَفُقًا بِن لولا جَمَالِكَ لم يكن
 أَنَسِيتُ أَيَّامًا مَضَّتْ وَلِيَالِيَا
 إِذْ نَحْنُ لَا نَخْشَى الرَّقِيبَ وَلَمْ نَخَفْ
 وَالْعَيْشُ غَضٌّ وَالْحَوَاسِدُ نُومٌ
 فِي رَوْضَةٍ أَبَدَتْ تُغَوِّرُ زَهْوَرَهَا
 مَدَّ الرِّيعُ عَلَى الْخَمَائِلِ نُورَه
 تَبْدُو الْأَقَاحِي مِثْلَ ثَغْرِ مَهْفَهْفَهِ
 وَعِیُونَُ نَرْجِسَهَا كَأَعْيُنِ غَادَةٍ
 وَكَذَلِكَ النُّشُورُ مَنْشُورٌ بِهَا
 وَالطَّيْرُ تَصْدَحُ فِي فُرُوعِ غُصُونِهَا
 وَالرَّاحُ فِي رَاحِ الْحَبِيبِ يُدِيرُهَا
 فَسَقَاتُنَا تَحْكِي الْبَدُورَ ، وَرَاخُنَا

قلت : وشِعْرُهُ كُلُّهُ مِنْ هَذِهِ النَّسْبَةِ - كَمَا تَرَاهُ - غَيْرُ مُتَلَاحِمِ النَّسْجِ ، وَلَا مُسْتَقِيمُ

النَّهْجِ .

(١) في المنهل : « ألقى وصاله جنة » .

(٢) (أ) : « وآس » . وكذلك في المنهل .

(٣) في المنهل : « فجفا وجار » .

(٤) (أ) ، والوافي : « نطيع » .

(٥) في الوافي : « إلى » .

٣٥ - إبراهيم بن علي*

القاضي جمال الدين بن شمس الدين ابن شيخ السَّلامية الكاتب .

تصرّف في المباشرات الديوانية ، والوظائف السلطانية ، تارة بجبل صيدا ناظراً ، وتارة بدمشق ، وإن كان في المدينة حاضراً ، وتارة بمحصر في نظر ديوانها ، والتقدم على أعيانها . ثم انتقل إلى الخزانة^(١) العالية بالقلعة ، ونفّق فيها من العمر سلّعه ، إلى أن سكن فما تحرّك ، واطمأنّ في قبره وتورّك .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وسبع مئة .

٣٦ - إبراهيم بن علي بن أحمد بن حمزة بن علي**

الشيخ المُسنَد جمال الدين ابن الجُنوبي - نسبة إلى الجُنوب - التَّغلي^(٢) الدمشقي .

كان من بيت عدالة ورواية ، وكَلِف بالحديث وعُني به ، وكان مع ذلك فراشاً^(٣) مُعتبراً في هذه الحُرْفة ، والصناعة الصّرفة ، وسكن مصر وروى بها ، ومشى في طرق الرواية وورّى^(٤) بها ، وأسمع بدمشق أيضاً^(٥) ، فسمع منه الذهبي ومَن عَداه ، ولبوا نداءه^(٦) وأجابوا صداه .

* تالي وفيات الأعيان : ٣٧ .

(١) (أ) : « إلى شهادة الخزانة » .

** الدرر : ٤٦/١ .

(٢) (أ) : « التَّغلي » ، تصحيف ، وانظر في ترجمة والده : الشذرات : ٣٩٦/٥ .

(٣) (أ) : « فراسا » تصحيف ، والفراش هو العامل الذي يُعنى بفراش الأثاث والتعهد برعايته في المساجد وغيرها من الأماكن .

(٤) من وري الزند : قدحه .

(٥) « أيضاً » ليست في (أ) .

(٦) (أ) : « نداه » .

وكان يروي عن ابن اللّتي ، وبالإجازة عن محمود بن مَنذَه ومحمد بن عبد الواحد المَدِيني^(١) . ولم يزل على حاله إلى أن صُربت خيمة كَفَنِهِ ، ولم يُغْنِ عنه صِحّة رأيه^(٢) ولا أَفَنِهِ .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وسبع مئة .

٣٧ - إبراهيم بن علي بن أحمد بن يوسف بن علي بن إبراهيم*

قاضي القضاة الحَنَفِي ، بُرْهان الدين ابن القاضي كمال الدين بن القاضي شهاب الدين الدمشقي ، هو سَبْطُ الشيخ ضياء الدين أبي المحاسن عبد الحق بن خلف بن عبد الحق^(٣) الواسطي .

قرأ على والده القرآن ، وتَفَقَّه على الشيخ ظهير الدين الرومي^(٤) ، والشيخ شرف الدين الفَزَارِي^(٥) والشيخ زين الدين بن المنجّأ^(٦) .

وقرأ العربية على الشيخ مجد الدين التونسي^(٧) والشيخ نجم الدين بن مَلِي^(٨) .

(١) الحديث المفقى أبو عبد الله ، (ت ٦٣٢ هـ) ، السير : ٢٢٧/٢٢ ، والعبر : ١٣٠/٥ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩١/٦ ، والشذرات : ١٥٠/٥ .

(٢) في الأصل : « رواية » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) بدليل السياق . والأفن : ضعف الرأي والعقل .

* الدرر : ٤٦١ ، والمنهل الصافي : ١٢٧/١ ، والبداية والنهاية : ٢١٢/١٤ .

(٣) قوله : « بن ... الحق » ليس في (أ) . وفي المنهل : « المعروف بابن عبد الحق » .

(٤) أحمد بن محمد بن إبراهيم ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) أحمد بن إبراهيم ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) المنجّأ بن المنجّأ التنوخي الدمشقي ، (ت ٦٩٥ هـ) ، الشذرات : ٤٣٣/٥ .

(٧) أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٧١٨ هـ) ، الدرر : ٤٦١/١ .

(٨) أحمد بن محسن ، ستأتي ترجمته في موضعها .

وقرأ الأصول على الشيخ صفى الدين الهندي ^(١) .

ونشأ بدمشق ، ودُرّس بها ، وأدّين له بالإفتاء في رحلة رحلها إلى مصر سنة ست وتسعين الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ^(٢) ، وقاضي القضاة شمس الدين السروجي ^(٣) ، وكان قد اشتهر بمعرفة كتاب (الهداية) ^(٤) وإتقانه ، وتحلّى منه بقلائد عقيانته ، وعُرف بقيام أدلته وبرّهانه .

طلب إلى مصر فولاه الملك الناصر محمد بن قلاوون قضاء القضاة الحنفية بعد شمس الدين بن الحريري ^(٥) سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، فأقام بمصر [حاكماً] ^(٦) عشر سنين متوالية ، ونجوم سعوته في أفق الكمال متلالية ، تُنفذ / أحكامه في كل أمير ومأمور ، وتسري أوامره في العاقل والمعمور ^(٧) .

وكان يكلم السلطان في دّسته كلاماً خَسناً ^(٨) ، وهو يُظهر له احتمالاً خَسناً ، وصم عليهم أول ما دخل في الجلوس وما تم له ما أراد ، ولم يكن المالكي ممن يُعدّ معه في طراد ، ثم إنه خرج ^(٩) هو وقاضي القضاة جلال الدين القزويني إلى الشام معاً ،

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم الأرموي ثم الهندي ، (ت ٧١٥ هـ) ، ذيل العبر : ٨٣ ، والدرر : ١٤/٤ .

(٢) محمد بن علي ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني (ت ٧١٠ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٤) في فروع الفقه الحنفي للشيخ برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني الحنفي (ت ٥٩٣ هـ) ، الكشف : ٢٠٣١/٢ ، ومفتاح السعادة : ١٩٣/١ ، ومعجم المؤلفين : ١٤٩/١٢ ، وفي المنهل : « وله التصانيف المفيدة ، من ذلك شرحه على الهداية وضمه الآثار » .

(٥) (أ) : « الجزري » تحريف ، وهو محمد بن عثمان ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٧) في الأصل : « والمأمور » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٨) في الأصل : « حسناً » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٩) في المنهل : « إلى أن عزل بالحسام الغوري وعاد إلى دمشق » . والحسام هو الحسن بن محمد بن محمد الغوري ، محتسب بغداد وقاضي الحنفية في القاهرة .

وأصابتهما عين الحسود فانصرعا ، وذلك في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، وأقام هو بدمشق على حاله من غير حكم ، ولا مُدَاناة لفصحاء ولا بكم ، إلى أن نزل إلى حُفْرته ، وانهال التراب على وَفْرته^(١)

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء تاسع عشري ذي الحجة سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

مولده سنة ثمان وستين وست مئة .

٣٨ - إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد*

قاضي القضاة ، نجم الدين أبو إسحاق ابن قاضي القضاة عماد الدين أبي الحسن بن محيي الدين أبي العباس الطُرسوسي الحنفي قاضي القضاة بدمشق ، وسيأتي ذكر والده رحمه الله تعالى في مكانه من حرف العين .

مولده في سنة إحدى وعشرين وسبع مئة . ووفاته رحمه الله تعالى يوم السبت بعد الظهر ، وصُلِّي عليه بالجامع الأموي بعد العصر ، ودفن آخرَ النهار المذكور رابع شعبان سنة ثمان وخمسين وسبع مئة بالمِزّة . وكانت جنازة حافلة ، بها الحكام والعلماء والأمراء ، وصُلِّي عليه ملك الأمراء الأمير علاء الدين أمير علي المارديني^(٢) إماماً برّاً باب النصر ، وعاده في يوم سبت ، وهو بالمزّة ضعيف في هذه المِرضة .

وكان قاضي القضاة نجم الدين رحمه الله تعالى ملء^(٣) منصبه ، بالغاً بحسن سعيه نهايةً أمله وغايةً مطلبه ، نافذ الأحكام والقضايا ، عارفاً باستخراج النكت في الوقائع من خبايا الحنايا ، عليه تَوَدّةٌ وحُسْنُ سَمْتٍ ، وله مهابة وطُولُ صَمْتٍ ، ولم تُعَدّ له في

(١) الوفرة : الشعر المجمع على الرأس .

* الدرر : ٤٣/١ ، والمنهل الصافي : ١٢٩/١ .

(٢) علي بن عثمان ، ستأتي ترجمته .

(٣) (أ) : « ملو » .

مدة ولايته هفوة تتعلق بأحكامه ، أو زلة يؤاخذ بها في نقضه وإبرامه ^(١) وكان النواب يعظمونه ، ويجلّونه ويحترمونه ^(٢) لسعادة نطقه في المحافل ، وترفعه في ذرا ^(٣) المعالي عن الأسافل .

تلقت فوق القائمين فطالهم تشوّف بسّام إلى المجد قاعد ^(٣)
ولم أر أمثال الرجال تفاوتوا إلى الفضل حتى عدّ ألف بواحد ^(٤)

وكان قد ناب لوالده قاضي القضاة عماد الدين قريباً من سنتين ، ثم إنه في ذي الحجة سنة ست وأربعين وسبع مئة نزل له والده عن منصب ^(٥) القضاء ، وسأل له في ذلك الأمير سيف الدين يلبغا ، فكتب له إلى السلطان ، وحضر تقليده الشريف بذلك .

[وكان قد كتب له قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن عليّ السبكي الشافعي رحمه الله تعالى بأهليّته لذلك وصلاحيّته ، وجهز خطّه بذلك] ^(٦) وباشر المنصب والتدريس على أتم ^(٧) ما يكون من العفة والأمانة ، ونازعه قاضي القضاة شرف الدين المالكي في الجلوس ، فأجلس المالكي فوقه لكبر سنّه ، وقدم هجرته ، ولما توفي المالكي جلس قاضي القضاة نجم الدين إلى جانب قاضي القضاة الشافعي ، ولم يزل على ذلك إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وكان قد حجّ في صغره ، ثم إنه حجّ في سنة خمس وخمسين ، وعزم على المجاورة ، فلم يتفق له ذلك ، ثم إنه حجّ في سنة ست وخمسين وسبع مئة ، ثم إنه عزم في سنة ثمان

(١) ليست في (أ) ، (خ) .

(٢) (أ) : « ذوي » .

(٣) (أ) : « تشوق » .

(٤) (أ) : « تفاوتت » .

(٥) (أ) : « منزل » .

(٦) زيادة من (أ) و (خ) .

(٧) في الأصل : « على ما أتم » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

وخمسين وسبع مئة على الحج مع الركب الذي يتوجه في شهر رجب ، فحصل له هذا الضعف الذي مات فيه ، رحمه الله تعالى .

وكان رئيساً نبيلاً فيه مكارمٌ وحِشمةٌ ورياسةٌ وقُعدٌ^(١) وتؤدة ، ولازم الاشتغال وطالع واجتهد ، ودأب وتعب ، ونظم أبياتاً ذكر فيها الخلاف الذي وقع بين الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وبين الشيخ أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه ، وقرأتها عليه ، فسمعها ولدي أبو عبد الله محمد وفتاوي^(٢) طغاي بن عبد الله في ثالث عشري شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين وسبع مئة بمنزله في باب البريد قبالة المدرسة المسروية^(٣) ، وهي :

الحمد لله الولي المنعم	المليك الحق الجواد المكرم ^(٤)
جلّ عن الشبيه والأضداد	والأهل والأنداد
سبحانه من ملكٍ قدير	أتقن ما أبدع بالتدبير
ثم الصلاة بالدوام السرمدي	على النبي المصطفى محمد
والله ما غرّدت قمريّة	على غصون الأيك في البريّة
وبعد قد قال الإمام الأعظم	أبو حنيفة الرّضى المقدم
في هذه المسائل المهمّة	قولاً به جلا وجوه الغمّة
والأشعري خالفه فيها وقد	أساء في خلافه فيما اعتقد
والحق ما قال أبو حنيفة	أعطاه ربي الرتبة المنيفة
أولها معرفة الإله	واجبة حقاً بلا اشتباه

(١) في الأصل : « وتعدّد » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٢) في الأصل : « وفتاوي » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٣) (أ) : « السروية » تحريف ، وهي بيباب البريد في دمشق أنشأها الطواشي شمس الدين الخواص

مسرور ، وقيل : منسوبة إلى الأمير فخر الدين مسرور المكي الناصري العادلي ، الدارس : ٣٤٧/١ .

(٤) (أ) : « الأكرم » .

بالعقل لا بَعْدَ الخطاب فاعرف
 معرفة الله على الكمال
 ثالثها قال بأنَّ العِصْمَ
 عن الكبير وعن الصغير
 ويمكن السَّعيُّ أَنْ يُنْظَمَ في
 ولا يَرى الشُّكوك في الإيمان
 وكلَّ مَا قَدْ كَتَبُوا في الْمُصْحَفِ
 وأثبت الرسالة المُكْرَمَهِ
 وَهُوَ إلى الآن رَسُولٌ مِثْلُهَا
 والله يَجْزِي العبد في الأَعْمَالِ
 والله عَادِلٌ فلا يُعَذِّبُ
 ولا يَحْوزُ القَوْلُ بِالتَّكْلِيفِ
 والله لا يَحْتَارُ للعبَادِ
 وَنِعْمَةُ الله على الكَفَّارِ
 وَتَمَّتْ المسَائِلُ الْمُهِمَّةُ

وَعُذْرُهُ عِنْدَ الإِمَامِ مُنْتَفٍ^(١)
 تَحْصُلُ بالعقل مع استدلال
 ثَابِتَةٌ لِأَنْبِيَاءِ الأُمَّهِ
 والأشْعَرِيُّ خَالَفَ في الأخير
 أهل الشُّقَاءِ والضلال فاعرف
 وَيَقْطَعُ القَوْلُ بِلا نَكَرَانِ
 فهو كلام الله حَقًّا فَاكْتَفِ
 من بعد مامات النبي فاعلمه^(٢)
 قد كان في الحياة حَقًّا فَافْهَمَا
 من خَيْرٍ مَا يَرْجُوهُ في المَالِ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ أَذْنَبَ وَهُوَ المَذْهَبُ
 في حِكْمَةِ الله بِلا تَوَقِيفِ
 إِيْتَانِهِم بِالْكَفْرِ والفَسَادِ
 كَسَمِعَهُمْ وَنَظَرَ الأَبْصَارَ^(٣)
 وَتَمَّ مَا قَالَ سِرَاجُ الأُمَّهِ

٣٩ - إبراهيم بن عَمَر بن إبراهيم*

الشيخ الإمام ، العلامة ، ذو الفنون ، شيخ القراء برهان الدين الربيعي الجعبري الشافعي ، ابن مؤذن^(٤) جَعْبَر ، شيخ حرم سيدنا الخليل صلوات الله عليه وسلامه .

(١) (أ) ، (خ) « عند الأنام » .

(٢) (أ) : « أثبتت » .

(٣) (أ) : « لسمعهم » .

* الوافي : ٧٢/٦ ، والفوات : ٣٩/١ ، والدرر : ٥٠/١ ، وطبقات السبكي : ٣٩٨/٩ ، وغاية النهاية :

٢١/٨ ، والشذرات : ٩٨/٦ ، والمنهل الصافي : ١٣١/١ ، والبداية والنهاية : ١٦٠/١٤ .

(٤) في الوافي : « الشافعي مؤذن » .

سمع في صباه ابنَ خليل^(١) ، وتلا بالسَّبْع على أبي الحسن الوُجُوهي^(٢) صاحب الفخر المُوَصِّلِي^(٣) ببغداد ، وتلا بالْعَشْر على الْمُتَنَجِّب^(٤) صاحب ابن كَذِي^(٥) ، وأسند القراءات^(٦) بالإجازة عن الشريف أبي البدر الداعي^(٧) ، وقرأ (التعجيز)^(٨) حفظاً على مؤلفه تاج الدين بن يونس ، وسمع من جماعة ، وقدم دمشق بفضائل ، ونزل بالسُّمَيْسَاطِيَّة^(٩) ، وأعاد بالغزالية^(١٠) ، وباحثَ وناظرَ ، ثم إنه ولي مشيخة حرم الخليل عليه السلام ، فأقام به بضعاً وأربعين سنة .

ومن تصانيفه^(١١) كتاب (نزهة البَرَّة في القراءات العَشْرَة)^(١٢) ، و (شرح

- (١) (أ) : « من خليل » ، تحريف ، وهو إبراهيم بن خليل الدمشقي ، (ت ٦٥٨ هـ) ، الشذرات : ٢٩٢/٥ .
- (٢) علي بن عثمان بن عبد القادر المقرئ . (ت ٦٧٢ هـ) ، غاية النهاية : ٥٥٦/١ ، والشذرات : ٣٣٧/٥ .
- (٣) محمد بن أبي الفرج بن معالي ، (ت ٦٢١ هـ) ، غاية النهاية : ٢٢٨/٢ .
- (٤) الحسين بن الحسن التكريتي ، (ت ٦٨٨ هـ) . وغاية النهاية : ٢٤٠/١ .
- (٥) إسماعيل بن علي بن سعدان بن كَذِي الواسطي صاحب منظومة « دَر الأفكار في قراءة العشرة أئمة الأمصار » . (ت ٦٩٠ هـ) ، غاية النهاية : ١٦٧/١ .
- (٦) (أ) : « القراءَة » .
- (٧) في الوافي : « ابن البدر » ، تحريف ، وهو محمد بن عمر ، أبو البدر الرشدي ، (ت ٦٦٨ هـ) ، غاية النهاية : ٢١٨/٢ .
- (٨) التعجيز في مختصر الوجيز ذي الفروع الشافعية ، مؤلفه أبو القاسم عبد الرحيم ، تاج الدين بن محمد المعروف بابن يونس الموصلي ، (في ٦٧١ هـ) ، الكشف : ٤١٧/١ .
- (٩) رسمت في (أ) بالثين المعجمة ، تصحيف ، وهي الخاتفة السُّمَيْسَاطِيَّة نسبة للسَّمِيسَاطِي أبي القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمي ، (ت ٤٥٣ هـ) ، الدارس : ١١٨/٢ .
- (١٠) من زوايا الجامع الأموي ، نسبة إلى الإمام الغزالي ، وتنسب أيضاً إلى الشيخ نصر المقدسي ، الدارس : ٣١٣/٢ .
- (١١) ذكر الزركلي في الأعلام بعضاً من مصنفاته المخطوطة : ٥٥/١ - ٥٦ .
- (١٢) (أ) : « في القراءَة العشرة » .

الشاطبية (كبير ، و (شرح الرائية)^(١) ، ونظم في الرسم (روضة اللطائف)^(٢) ،
وكمل شرح المصنف (للتعجيز) ، كتاب (الإفهام والإصابة في مصطلح الكتابة)
نظم ، وكتاب (يواقيت المواقيت) نظم ، و (السبيل الأحمد إلى علم الخليل بن
أحمد) ، و (تذكرة الحفاظ في مُشْتَبِه الألفاظ) ، و (رسوم التحديث في علم
الحديث) ، و (موعود الكرام لمولد النبي عليه الصلاة والسلام) ، وكتاب
(المناسك) ، و (مناقب الشافعي) ، و (الشريعة في القراءات السبعة) ، و (عقود
الجمان في تجويد القرآن) ، و (الترصيع / في علم البديع) ، و (حدود الإتيان)^(٣) في
تجويد القرآن) ، و (كتاب الاهتدا في الوقف والابتدا) ، و (الإيجاز في الألفاظ) ،
و (اختصار مختصر ابن الحاجب)^(٤) ، واختصر مقدمته في النحو^(٥) . وتصانيفه تقارب
المئة مصنف ، وكلها جيد محرر .

رأيته غير مرة ، وفاتني من الإجازة عنه ألف ذرة ، لكن جالسته وسمعت
كلامه ، ورأيته في منزلة يكون الهلال عندها قلامه .

وكان ذا وجهٍ نير ، وخلق خير ، وشيبة نورها الإسلام ، وحبرها خدمة العلم
الشريف بالأقلام .

ولعبارته رونق وحلاوة ، وعلى إشاراته وحرركاته طلاوة .

حكى لي عن شيخ كان قبله بالحرم حكاية تضحك الشاكلة ، وتصيب من التجب
الشاكلة .

(١) الرائية منظومة في علم الخط لأبي الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب ، (ت ٤١٣ هـ) ، وأشار
صاحب الكشف : ١٣٣٩/٢ ، إلى شرح الجعري عليها .

(٢) (أ) ، والوافي ، والمنهل : « الطرائف » .

(٣) (أ) : « الإمعان » .

(٤) في الأصول . والكتاب المطبوع .

(٥) السمة بالكافية ، وهي مقدمة مشهورة متداولة .

ولم يزل على حاله حتى صَوَّح روضه ، وَهَدَمَ ^(١) من الحياة حوضه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في حدود الأربعين وست مئة ، فعاش تسعين سنة .

ومن شعره :

لَمَّا أَعَانَ اللَّهُ جَلَّ بِطُفِيهِ لَمْ تَسْبِي بِجَاهِلِهَا الْبِيضَاءُ
وَوَقَعَتْ فِي شَرِّكَ الرَّدَى مَتَجَبَّلًا وَتَحَكَّمْتُ فِي مُهْجَتِي السُّودَاءُ ^(٢)

ومنه :

لَمَّا بَدَأَ يُوسُفُ الْحَسَنَ الَّذِي تَلِفَتْ فِي حُبِّهِ مُهْجَتِي اسْتَحْيَتْ لَوَاحِيَهُ
فَقُلْتُ لِلنَّسْوَةِ الْوَلَايَ شُغْفَنَ بِهِ فَذَلِكَنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ ^(٣)

ومنه :

أَضَاءَ لَهَا دُجَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ وَجَدَّدَ وَجْدَهَا مَرُّ النَّسِيمِ
فَرَاخَتْ تَقْطَعُ الْفُلُوتَ شَوْقًا مَكْلَفَةً بِكَلِّ فَتَى كَرِيمِ
قَفَارًا لَا تَرَى فِيهَا أَنْيسًا سَوَى نَجْمٍ وَغُصْنٍ تَقَى وَرِيمِ ^(٤)
نِيَاقًا كَالْحَنَائِيَا ضَامِرَاتٍ يُحَاكِي لَيْلَهَا لَيْلَ السَّلِيمِ
كَأَنَّ لَهَا قَوَائِمَ مِنْ حَدِيدٍ وَأَكْبَادًا مِنَ الصُّلْدِ الصَّمِيمِ
لَهَا بَقْبَا وَسَفْحٌ مِنْ غَرَامٍ يَلْازِمُهَا مِلَازِمَةُ الْغَرِيمِ

(١) : « وَهَدَمَ » .

(٢) : « أَوْقَعَتْ » . والبيتان في المنهل الصافي .

(٣) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ [يوسف :

٣٢/١٢] .

(٤) : « قَفَارًا » .

٤٠ - إبراهيم بن عيسى*

الأمير ناصر الدين ابن الملك المعظم ابن الملك الزاهر^(١) داود بن الملك المجاهد
أسد الدين شيركوه بن محمد^(٢) بن شيركوه بن شادي .

كان جُنْدِيًّا من مُقَدِّمي الحلقة بدمشق .

توفي رحمه الله تعالى في مستهل شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين وسبع مئة ،
ودفن بجبل قاسيون ، وقد جاوز الخمسين .

٤١ - إبراهيم بن أبي الغيث**

الشيخ جمال الدين ابن الحُسَّام البخاري الفقيه الشيعي

كان المذكور مقيمًا بنواحي الشقيف من بلاد صفد^(٣) بقرية مجدل سليم .

أخذ عن ابن العَوَّاد ، وابن^(٤) مُقْبِل الحِمَصِيِّ . ورحل إلى العراق ، وأخذ عن
ابن المطهر .

وكان قد اتخذ في القرية المذكورة مجلسين ، أحدهما للوفود ، والأضياف ، والآخر

* لم تقف على ترجمة له .

(١) (أ) : « الزاهد » .

(٢) ليست في (أ) .

** الوافي : ٧٩/٦ .

(٣) قال ياقوت : « شَقِيفُ أَرْنُون : قلعة حصينة جداً في كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق

بينها وبين الساحل » ، معجم البلدان : ٣٥٦/٣ .

(٤) (أ) : « وعن ابن » .

للطلبة وأهل العلم . رأيته أنا في قريته في سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة ، ودار بيني وبينه بحث في الرؤيَّة وعدمها . وطال الوقوف على جَبَلِهَا ^(١) ، والطواف بحرمها ، وهو في ناحية الاعتزال واقف ، وأنا عن السنة مجادل أثاقف ، وهو للحنظل ناقيف ، وأنا للعسل مُشتارٍ ولاقف . وطال النزاع وامتد ، واحتدم كل منا الوغى واحتد .

وكان شكلاً حَسَنًا ، وذا منطق لَسِنًا ، قد أذمن مباحث المعتزلة والشيعة . وجعل التأويل له في حلة البحث وشيعة ^(٢) ، وكان يزور الشيخ تقي الدين بن تيمية ، ويحمله في مباحثه على ما عنده من الحجة ، ويَطِيرُ بينهما شَرَرُ تلك النيران ، وتَمَلَّ من وَخْدها ^(٣) في قفار الجدل الأزمَّة والكيران ، ولم يزل في تلك الناحية قائماً بنصرة ^(٤) مذاهب الشيعة والاعتزال ، دائماً على جَذْب من يستضعفه من أهل السنة بالاختطاع والاختزال ، إلى أن سكت فما نبس ، وبطل من حركاته واحتبس .

قال لي / القاضي شهاب الدين بن فضل الله ^(٥) : عهدي به في سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

ومن شعره ^(٦) :

هل عاينت عيناك أعجوبة كمثل ماقد عاينت عيني
مصباح ليل مشرق نوره والشمس منه قاب قوسين

(١) في الأصل : « جبلها » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) (أ) : « وسيعه » تصحيف . والوشيعه خشبة يلف عليها ألوان الغزل ، والقصة يَجْعَلُ منها النساج لحة الثوب .

(٣) الوخد : سعة الخطو ، والإسراع .

(٤) (أ) : « لنصرة » .

(٥) أحمد بن يحيى ، وستأتي ترجمته .

(٦) الوافي : ٨٢/٦ .

ومنه ^(١) :

قَامَتْ تَوَدَّعَنِي فَقُلْتُ لَهَا امْهَلِي حَتَّى أَوَدَّعَ قَبْلَ ذَلِكَ حَيَاتِي
فَإِذَا عَزَمْتُ عَلَى الرَّحِيلِ تَرَكْتَنِي رَهْنَ الْبَلَى وَمُجَاوَرَ الْأَمْوَاتِ
وَقَالَ ، وَقَدْ عَمِلَ مِصِيدَةً مِنْ رَحَى عَمَلِهَا لَنْسٍ كَانَ قَدْ أَفْسَدَ عَلَيْهِ خَلَايَا نَحْلِ ^(٢) :

وَمُقَشَّعَرِّ الْجِلْدِ مَزُورَ الْحَدَقِ لَا يَرْهَبُ اللَّيْلَ إِذَا اللَّيْلُ غَسَقُ
مُسْتَرَّحٍ حَتَّى إِذَا النَّجْمُ بَسَّسَقُ عَدَا عَلَى النَّحْلِ فَأَذَى وَفَسَقُ
وَفَتَحَ الْأَبْوَابَ مِنْهَا وَخَرَقُ وَكَسَرَ الْأَصْنَامَ فِيهَا وَمَحَقُ
سَقَطَتْهُ بِمُسْتَدِيرٍ كَالطَّبَقِ كَضْغَطَةِ الْقَبْرِ إِذَا الْقَبْرُ انْطَبَقُ
فَمَا اسْتَقَرَّتْ فَوْقَهُ حَتَّى اخْتَنَقُ مِنْ صَخْرٍ حُورَانِ شَدِيدِ الْمَتَقُ
مَنْ لَجَّ فِي الْبَحْرِ تَغَشَّاهُ الْعَرَقُ أَوْ سَارَعَ الدَّهْرَ إِلَى الْحَتَفِ التَّحَقُ ^(٣)
وَقَالَ وَقَدْ كُيسَ بَيْتُهُ ، وَأَخَذَتْ كَتَبَهُ ^(٤) :

لَنْ كَانَ حَمَلُ الْفَقْهِ ذَنْبًا فَإِنِّي سَأَقْلَعُ خَوْفَ الْحُبْسِ عَنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ
وَالْإِفْءَا ذَنْبُ الْفَقِيهِ إِلَيْكُمْ فَيُرْمَى بِأَنْوَاعِ الْمَذْمَةِ وَالسَّبِّ
إِذَا كُنْتُ فِي بَيْتِي فَرِيدًا عَنِ الْوَرَى فَمَا ضَرَّ أَهْلَ الْأَرْضِ رَفْضِي وَلَا نَصْبِي
أَوَّالِي رَسُولَ اللَّهِ حَقًّا وَصْنُوهُ وَسُبْطِيهِ وَالزَّهْرَاءَ سَيِّدَةَ الْعَرْبِ ^(٥)
عَلَى أَنَّهُ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنِّي عَلَى حَبِّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ انْطَوَى قَلْبِي
أَلَيْسَ عَتِيقُ مُؤَنَسِ الطَّهْرِ إِذْ غَدَا إِلَى الْغَارِمِ يَصْحَبُ سِوَاهُ مِنَ الصَّحْبِ

(١) الوافي : ٨٢/٦ .

(٢) الوافي : ٨١/٦ .

(٣) في الوافي : « اختنق » .

(٤) الوافي : ٨٢/٦ .

(٥) في الوافي : « وصفوه » .

وهاجرَ قبلَ الناسِ لا ينكرونها
وبالثاني الفاروق أظهرَ دينه
وأجهرَ من أمر الصلاة ولم تكن
وقد فتحَ الأمصارَ ماردُ جيشه
وجَهَزَ جيشَ العُسرةِ الثالثَ الذي
وإن شئتَ قدّمَ حَيْدراً وجهادَه
أخو المصطفى يوم المؤاخاة والذي
كذلك بقايا آلِه وصحابه
أولئك ساداتي من الناس كلُّهم
وفي بيعة الرضوان عندي كفايةٌ

بها جاءتِ الآياتُ بالنصِّ في الكتبِ
بمكة لما قام بالمرهفِ العُصبِ
لتجهرَ في فرضِ هناكَ ولا ندب^(١)
وجالتُ خيولُ اللهِ في الشرقِ والغربِ
تسمّى بذِي النورينِ في طاعةِ الرّبِ
وإطفاءِ نارِ الشركِ بالطعنِ والضربِ
بصارمه جلى العَظيمِ من الكرب^(٢)
وأكرمُهم من خيرِ آلٍ ومن صحب^(٣)
فسلّمهم سلمي وحرّهم حربي
فحسبي بها من رتبة لهم حسبي

٤٢ - إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم *

الشيخ الإمام العالم المقرئ الزاهد الورع برهان الدين أبو إسحاق .

روى عن ابن عبد الدايم ، وسمع من قرَج الحبشي^(٤) مولى [ابن]^(٥) القرطبي ،
وعماد الدين بن الحرستاني^(٦) ، وابن أبي اليسر ، وجماعة من أصحاب الخُشوعي^(٧)
وابن طَبَرَزَد^(٨) .

(١) في الأصل « أمن » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

(٢) (أ) : « من الكذب » .

(٣) (أ) : « أهله وصحابه » .

* الدرر : ٥٢/١ ، وغاية النهاية : ٢٢/١ ، البداية والنهاية : ٢٩/١٤ ، وفيات (٧٠٢ هـ) .

(٤) فرج بن عبد الله الحبشي الناصح ، (ت ٦٥٢ هـ) . العبر : ٢١٣/٥ .

(٥) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في الدرر .

(٦) جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الأنصاري الدمشقي ، (ت ٦١٤ هـ) ، السير : ٨٠/٢٢ .

(٧) أبو طاهر بركات بن إبراهيم ، (ت ٥٩٨ هـ) ، السير : ٣٥٥/٢١ .

(٨) عمر بن محمد بن معمر ، مسند العصر ، (ت ٦٠٧ هـ) ، الشذرات : ٢٦/٥ .

كان حَسَنَ الهيئة ، متواضعاً ، عديم الشر وادعاً ، كثير التودد لأصحابه ، غزير التقرب بالإحسان لمن يتعلق بأهدابه ، متين الديانة ، مُبِين الصيانة ، خطيباً أديباً ، فصيحاً أريباً ، يهتف على المنبر كأنه حمامه ، ويسجع فيشبه السحرُ كلامه ، إذا درَّسَ أحياناً أطلال العلوم الدَّوَّارس ، وجَدَلَ مجداله أبطال المناظرين والفوارس ، ولم يزل على حاله إلى أن أصبح ابن فلاح بالفلا وظفرَ المنيةَ للمَّته قد فلا .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في رابع عثري شوال سنة اثنتين وسبع مئة .

وكان شيخاً مباركاً معروفاً بالعلم والصلاح ، وأقرأ القراءات السبع ، وله تلاميذ وأصحاب .

وباشر نيابة الخطابة عن جماعة مدة طويلة ، واستنابه قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة لما توجه إلى مصر للقضاء^(١) والخطابة . وكان مدرّساً ومعيداً .

ودفن بمقابر الباب الصغير ، وعمل^(٢) عزاءه تحت النسر^(٣) بالجامع الأموي .

٤٣ - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم *

ابن أبي بكر بن محمد ، الإمام المحدث ، رضي الدين ، أبو إسحاق الطبري الأصل ، المكي الشافعي ، إمام مقام إبراهيم عليه السلام بمكة .

سمع من ابن الجُمَيْزِي^(٤) كثيراً ، ومن شُعَيْب الزَّعْفَرَانِي^(٥) ، وعبد الرحمن بن

(١) (أ) : « في القضاء » .

(٢) (أ) : « وحمل » .

(٣) أي قبة النسر بالجامع الأموي .

* الوافي : ١٢٦/٦ ، والدرر : ٥٤/١ ، والشذرات : ٥٦/٦ ، والمنهل الصافي : ١٦٣/١ .

(٤) علي بن هبة الله بن سلامة بن الجُمَيْزِي اللخمي . (ت ٦٤٩ هـ) ، طبقات السبكي : ٣٠١/٨ .

(٥) شعيب بن يحيى بن أحمد ، أبو مدين القيرواني (ت ٦٤٥ هـ) ، السير : ٢٦٨/٢٣ .

أبي حَرَمٍ^(١) ، وفاطمة بنت نِعْمَة ، والشرف المُرْسِي^(٢) وجماعة . وقرأ كتباً كثيرة ، وأتقن المذهب .

حدّث بالبخاري عن عمّ أبيه يَعْقُوب بن أبي بكر ، والعماد^(٣) ، وعبد الرحيم بن عبد الرحيم^(٤) العجمي ، ومحمد بن أبي البركات بن أبي الخير الراوي^(٥) بالإجازة العامة عن أبي الوقت^(٦) ، وروى صحيح مسلم عن أبي اليُمْن^(٧) بن عساكر .

كان يقول : عمري ما رأيت يهودياً ولا نصرانياً ؛ لأنه لم يخرج من الحجاز . ونسخ مسموعاته^(٨) ، وخرّج لنفسه سباعات .

وكان متواضعاً وقوراً ، مُحِبّاً للرواية صبوراً ، متألهاً ذا دين متين ، وعزم ثابت . تأيّد باليقين . لم يكن بين عينيه وبين الكعبة حاجب ، يقوم للصلاة مندوباً وقلبه من الخشوع واجب ، قلّ أن ترى العين مثله ، أو تملّ النظر إذا رأت شكله ، لازم إمَامَة ذلك المَقَام ، وأمن بذلك الحرم الشريف حلول الانتقام ، تزدهم الصفوف خلفه إذا أمّ ، وتحسب أنه القمر في الدجا إذا تمّ ، ولم يزل على ذلك إلى أن نزل إلى البرزخ ، وأعماله ترقى إلى عليين وتشمخ .

(١) فتوح بن بنين المكي الكاتب العطار المسند (ت ٦٤٥ هـ) ، السير : ٢٦٩/٢٣ ، والوافي : ٣٥٤/٣ .

(٢) محمد بن عبد الله أبو الفضل السلمي الأندلسي (ت ٦٥٥ هـ) ، السير : ٣١٢/٢٣ ، والشذرات : ٢٦٩/٥ .

(٣) الإمام الخطيب عماد الدين داود بن عمر الزبيدي المقدسي ، ثم الدمشقي (ت ٦٥٦) ، السير : ٣٠١/٢٣ ، والعبر : ٢٢٩/٥ ، والبداية : ٢١٣/١٣ .

(٤) قوله : « عبد الرحيم » ليست في : (أ) ، ولم نعثر له على ترجمته ، ولعله عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن العجمي (ت ٦٥٨) ، والسير : ٣٤٨/٢٣ ، والعبر : ٢٤٧/٥ ، والبداية : ٢٢٥/١٣ .

(٥) لم نقف له على ترجمة .

(٦) عبد الأول بن عيسى بن شعيب (ت ٥٥٣) ، السير : ٣٠٣/٢٠ .

(٧) عبد الصمد بن عبد الوهاب ، أمين الدين المحدث (ت ٦٨٦) ، الشذرات : ٣٩٥/٥ .

(٨) (أ) : « مجموعاته » .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .
ومولده سنة ست وثلاثين وست مئة .

٤٤ - إبراهيم بن قروينة*

بالقاف والراء والواو والياء آخر الحروف ، وبعدها نون وهاء . القاضي الكبير ،
مكين الدين .

أول ما عرفت من حاله أنه كان مُستوفي الصحة^(١) مع الجمالي^(٢) ، وكان عنده
مكيناً إلى الغاية ، لا ينفرد بأمر دونه ، وأظنه توجه معه لكشف البلاد الحلبية ، ثم إنَّ
السلطان ولّاه نظر الجيش بالديار المصرية لما أمسك القاضي شمس الدين موسى بن
التاج إسحاق^(٣) ، وتوجّه معه إلى الحجاز ، ولم يزل في نظر الجيش إلى أن تولى نظر
الخاص^(٤) القاضي جمال الدين جمال الكفاة^(٥) ، فجمع له بين نظر الجيش ونظر
الخاص ، وبقي القاضي مكين الدين بطّالاً فيما أظن إلى أن حضر إلى دمشق ناظر
النظار^(٦) في زمن الأمير سيف الدين طُقُز تَمَر ، فأقام بها يسيراً ، ولم تطب له وحضر
عِوضَه القاضي بهاء الدين بن سَكْرَة^(٧) ، وتوجه مكين الدين إلى مصر عائداً في أوائل

* لم تقف له على ترجمة .

(١) استيفاء الصحة : وظيفة جليلة القدر ، يحصل فيها صاحبها أموال السلطان ، ويثبت التواقيع والمراسم
السلطانية في هذا الشأن . (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى : ٣٠) .

(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) (أ) : « موسى أبا إسحاق التاج » ، و (خ) : « موسى بن التاج أبي إسحاق » .

(٤) وظيفة محدثة ، أحدثها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون حين أبطل الوزارة ، وأصل موضوعها
التحدث فيما هو خاص بالسلطان ، وصار صاحبها كالوزير لقربه من السلطان ، وتصرفه ، وصار
إليه تدبير جملة من الأمور وتعيين المباشرين ، (صبح الأعشى : ٣٠/٤ ، و ٣١٦/١) .

(٥) إبراهيم بن عبد الله ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) ويسمى ناظر الدولة ، وهو الذي يقوم مقام الوزير ، أو يشاركه في التصرف في الأمور المالية .
(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى : ٣٤٤) .

(٧) أبو بكر بن بهاء الدين ، ستأتي ترجمته في موضعها .

شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، وأقام بمصر إلى أن توفي رحمه الله تعالى سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

وكان خيراً لا شَرَّ فيه . كثير الاحتمال ، وهو من رؤساء الكتاب .

٤٥ - إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمود*

الشيخ جلال الدين بن القلانسي .

ورد الديار المصرية ، فقال له العلامة شيخنا أبو الثناء محمود^(١) ، والشيخ تقي الدين بن تَمَام^(٢) : اقعِد أنت في هذه الزاوية ، ونحن نذكرُك للناس ؛ فاتخذ زاوية على بركة الفيل^(٣) في حكر الخازن مجاورةً لدار الأمير بدر الدين جَنكَلِي^(٤) .

وكان قد نشأ في صناعة الكتابة أولاً ، ثم إنه ترك ذلك ، وتزهد بدمشق مدة قبل غازان^(٥) بقليل ، ولما اغفل الناس تَوَجَّه إلى مصر ، وقامت له في الصلاح سوق ، وحملت إليه الصَّلَات في وَسُوق^(٦) ، وتردد إليه الناس ، وزاد اشتهاره حتى خرج عن الحد ، وتعدى القياس ، واعتقد فيه أمراء الدولة ، وأمسك هو ناموس الصول والصوِّلة ، ومال إليه جماعة من خواص السلطان وأحبوه محبةً مَنْ / أدرك الأوطار في الأوطان ، ولكن في أثناء ذلك البخت ، ومُدَّة ذلك الدست والرَّخت^(٧) ، رُمي عند

* الوافي : ١٣٥/٦ ، والمنهل الصافي : ١٤٥/١ ، والدرر : ٥٧/١ ، والشذرات : ٥٦/٦ .

(١) محمود بن سلمان بن فهد ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) عبد الله بن أحمد ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في القاموس (برك) : بركة الفيل في مصر .

(٤) جنكلي بن البابا ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) القان غازان التتري ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) وسوق : جمع مفردة وسق وهو حمل بعير ، أو ستون صاعاً .

(٧) الرِّخت : لفظ فارسي بمعنى الزينة . معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ٨٢ .

الملك الناصر بجبر خَدَش^(١) منه غَرْضاً^(٢) ، وجعل سماء أرضاً ، فأخرجه إلى القدس خروجاً جميلاً ، ووجد لفراق ما ألفه في مصر عذاباً وبيلاً ، ولم يتغير لماليك السلطان فيه عقيدة ، وجزموا بأن ذلك من أعاديهِ مكيدة ، وكانوا يُمَدُّونه بالذهب ، ويلزمونه أخذ ذلك وقبوله بالرَّغَب والرَّهَب ، وكانت نفسه كريمة ، وهمته عند الثريا مقيمة ، ولم يزل على تلك الحال إلى أن خلا في القبر بعمله ، وانقطعت من الحياة مواد أمله .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

وكان قد قدم إلى دمشق في شهر رجب سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة من القدس ، ونزل بغارة العُزير بالجليل ، وقصده الناس بالزيارة من الأمراء والقضاة والعلماء والصدور ، وحدث بجزء ابن عَرَفَة^(٣) ، ثم عاد إلى القدس ، وتوفي ثالث القعدة من السنة المذكورة .

ومن شعره ، من قصيدة :

قَدْ كُنْتُ تَبْتُ عَنْ الْهَوَى لَكِنْ حُبُّكَ لَمْ يَسُدَّعَنِي

ولما مات الشيخ جلال الدين رحمه الله تعالى ، رثاه شيخنا العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود رحمه الله تعالى بقصيدة أولها :

أَيَا مَقْلَتِي جُودِي بِدَمْعِكَ لِي جُودِي فَمَا مِثْلُ مَنْ قَدْ بَانَ عَنْكَ بِمَوْجُودِ
وَإِنْ غَاضَ مَاءُ الدَّمْعِ فَبَاكِ دَمًا فَمَا يُعَدُّ الْبَكَاءُ إِلَّا لِأَكْرَمِ مَفْقُودِ^(٤)

(١) في الأصل (حدس) تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) الغرض : غضروف الأنف .

(٣) الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي ، مؤدب من رجال الحديث ، كان مسند زمانه ، له جزء مروي على العصور (ت ٢٥٧) ، الشذرات : ١٣٦/٣ ، والكشف : ٥٨٤/١ .

(٤) (أ) « منك الدمع » .

إذا لم تسِلْ رُوحِي دموعاً بحمودِ
يلوَحُ لعَيْنِي منه أَكْمَلُ مشهودِ
تذكر عيشٍ مرَّ لي غيرَ مرْدودِ
وها أنا صَادٍ وهُوَ أَقْرَبُ مورودِ
عليهم فحالي بينَ عَدَدٍ وتَعْدِيدِ
كما يَفْقِدُ الظَّامِي المناهَلِ في البِيدِ
على نَسَقِ الأحزانِ أَمَاءَ توكِيدِ
كِعْقِدِ على جِيدِ المِسْرَةِ مَعْقُودِ^(١)
مَعَالِي لَصَمٍ غيرِ سَامِعِي عودي
تُخَيِّلُ أَمراً في الوَرَى غَيْرَ مَعهودِ
فَاتِيهِ في ماضِيهِ عِلَّةٌ تَجْدِيدِ
رثاءٍ أَتَى من مُوَجِّعِ القلبِ مَعْمُودِ
ويا لَوُعَتِي دُومِي ويا حُرْمَتِي زِيدِي
وأكرِمُ مَحْبُوبِ إلَيَّ ومُودُودِ
وأشهى لِعَيْنِي من كَرَى بعد تَسْهِيدِ
فولِي وقد وافي نَعِيَّ ابنَ عَبُودِ
فطابَ وَسِرُّ الأَصْلِ يَظْهَرُ في العودِ
أَتَتْ عن جلالِ الدينِ أَكْرَمِ ملحودِ
بكفٍّ قنوتٍ كَفٌّ من هَدْبِهِ السودِ
براقَ وليس الجَنْبُ منه بِمُدُودِ
فيصبحُ بالعرفانِ موطنَ توحيدِ
وأزأفُ من أَمٍّ بأَضْعَفِ مولودِ

فما أَنتِ إِنْ قَصَرَتْ مِنِّي ولأنا
برُوحِي أَحبابٌ مَضَوْا وجلائهم
تولَّوْا وما عَوَّضَتْ من قَرِيهِمْ سَوى
هَمٍّ وردوا قَلْبِي من الموتِ مَنَهلاً
أَعَدَدَهُمْ حَزْناً وأبْكَى مَعَدَّداً
أولئك إِخْوانِي الذينَ فَقَدْتُهُمْ
كَأَنَّ رَدَاهُمْ واحداً بعدَ واحدٍ
أقولُ لأَيَّامٍ تَقْضَتْ وشَمَلْنَا
أَيَّامنا عودي بهم وضلالةً
ولكنها زُورُ المُنَى وخِداها
كفى حَزْناً أَنَّ الأَسَى مَبْعَثُ الأَسَى
أَسْتَمِيهِمْ حُزْناً لِيُعْلَمَ أَنَّهُ
فيا أَدْمَعِي سَحْيٍ ويا صَبْرِي انْتِقِصِ
تولَّى ابنُ تَمَامٍ أَخِي ومُصْاحِبِي
وقد كانَ أَحلى في فُؤادِي من المَنَى
وقد كانَ لي في مِصْرانْسٍ مواصِلَ
كَرِيمٍ غَتَّهُ دُوحَةُ الدينِ والتقى
وأنْكَا مِصْرانِعَ الفِوَادِ رَزِيَّةً
تَقِي تَقِي طالما طَرَقَ الدَجَا
ومن كانَ يَحْيِي الليلَ لَامَداً دَمْعُهُ
ويشْرِقُ بالأسرارِ أَهْلُ قَلْبِهِ
وأكرِمُ مِنْ غَيْثٍ تَوَالِي وَلِيُّهُ

(١) في الأصل : « مَقْقُود » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

فجذّت بسيف من تقى غير مغمود
وما طرّفه يوماً إليها بمرود
إلى الله مجذوب بأكمل تجريد
ومن كان عندي يوم رؤيته عيدي
إسار فؤاد في يد الحظ مصفود/
أشدّ ولكن ذاك غاية مجهودي
شفاء لما في أضلعي من جوى مودي
عن المنزل الغاني إلى دار تخليد^(١)
فلم يبق إلا أن أنادي كما نودي
يخادعني إخلاء نفسي وتفنّيدي
ونمت كأي بالردى غير مقصود
يسح بتركير عليه وترديد
أخاه لأودى بي بكائي وتسهيد [ي]
لها حرق في مهجتي أي تبريد
بصحبه قدماً فأنجزت موعود [ي]
سيخلفه في الزهد والنسك والجود
وأجره فالأجر أفضل موجد
وزان ذرى ذا نوء عز وتأيد

عزوف عن الأسباب جذّ حبالها
تخلّى عن الدنيا وفارق أنسها
ومثّر من التقوى فقير بدانة
أخي وحيبي مؤنسي ومُصاحبي
ومن كنت أتيه فيفرج أنسه
بكيت وما يجدي البكاء وخطبه
وذاك لأجلي لاله إذ مدامعي
وإلا فأغنى عن الدمع إذ سرى
وإني لأرجو اللطف بي في لحاقه
أمن بعد قربي من ثمانين حجة
وقد سار قبلي من تقدمت عصره
سقى جدّاً قد حلّه صوب رحمة
ولو لم أسل القلب عنه برويتي
ولكن لي في أنسه بعد وحشة،
وقد كانت الأيام تبسط لي المني
ولي في ابنه ظنّ جميل وإنه
فأحسن ربّ الناس فيه عزاءه
وجاد ثرى ذا نوء عفوّ ورحمة

٤٦ - إبراهيم بن محمد بن سعيد*

الصدر جمال الدين الطيّبي السقّار ، رئيس العراق ، المعروف بابن السّوامليّ

(١) (أ) : « من سرى » .
* الوافي : ١٣٦/٦ ، وتالي وفيات الأعيان : ٣٢ ، والدرر : ٥٩/١ ، وعقد الجمان : ٤٣٨ ، وفيات
(٧٠٦ هـ) ، والشذرات : ١٢/٦ .
وفي (أ) : « إبراهيم بن سعد » وفي الدرر : « سعدي » .

كان في أول أمره له مالٌ يسير ، وسافر وأبعدَ في الصَّين ، وفتح الله عليه ، فاكسب أموالاً جمَّةً ، وبلغ الغاية ، وتعدَّى في المال مَدَى النهاية ، واستقبلَ مِنْ حاكم العراق بلاداً كباراً ، وأماكن لا تلحق الريح لها غباراً .

وكان يؤدي المقرر ، ويخصَّه باللؤلؤ المدور مع رفقة بالرعية ، وتخفيف الوطأة عنهم في كلِّ بليَّة ، حتى أحبه الناس طُراً ، وصار غالبُ أهل تلك البلاد بإحسانه ^(١) ، عبداً ، وإن كان خُراً وصار بنوه ملوكاً مطاعين ، مطاعين في النادي وفي الهَيْجَا مطاعين .

ولي ابنه سراج الدين عُمَر نيابة الملك بالمعبر ، وابنه محمد مَلَك شيراز ، وابنه عز الدين كافل ^(٢) جميع الممالك التي لفارس .

وكان جمال الدين المذكور يعتقد في أهل الصلاح والخير ، ويمدِّهم بالموئنة والمير ، يبعث في كل عام إلى الشيخ عز الدين الفاروثي ^(٣) ألف مثقال ، ثم إنَّ التتار مالوا عليه بالأخذ لماله ^(٤) حتى ضعُفوه ، وأكلوه بعدما احتلبوه وارتضعوه . وقلَّت أمواله ، فانتقل إلى واسط لما دَبَرَت ^(٥) الطَّيِّب ، ولم يكن العيش يصفو بها ولا يطيب .

قال ابن منتاب ^(٦) : قال لي السوامي : ما بقي لي سوى هذا الحب ^(٧) ، وفيه ثمانون

(١) (أ) : « لإحسانه » .

(٢) (أ) : « كامل » ، تحريف ، والكافل : من الألقاب المختصة بنائب السلطنة .

(٣) في (أ) : « القادوي » ، تحريف . عز الدين هو : عز الدين الفاروثي ، أبو العباس أحمد بن إبراهيم المقرئ (ت ٦٩٤) ، العبر : ٣٨١/٥ ، والنجوم : ٧٦/٨ ، والبداية والنهاية : ٣٤٢/١٣ .

(٤) (أ) : « من ماله » .

(٥) في (أ) ، والوافي : « دثرت » ، وكلا اللفظين له وجه .

(٦) لم تقف على ترجمته . والخبر عنه في عقد الجمان : (٤٣٩) .

(٧) الحب : الجرة .

ألف دينار ، وبعث به إلى الصّين ، فكسب الدّرهم تسعة ، ولم يزل إلى أن نزل^(١) الضريح ، وعلم أنه ما يوجد عليها مستريح .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وسبع مئة في ثاني عشري^(٢) جمادى الأولى بشيراز .
والسواميل : هي الطاسات عند أهل السواد بواسط .

٤٧ - إبراهيم بن محمد بن قلاوون *

هو الأمير جمال الدين ، ابن السلطان الملك الناصر ، محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي .

زوْجَة والده بابنة الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا^(٣) .

كان أكبر من أخيه الملك المنصور^(٤) سيف الدين أبي بكر كان والدهما قد جهّزهما إلى الكرك ، لما كان أخوها أحمد^(٥) في الكرك ، فأقاما هناك مدة إلى أن ترعرعا ، وأقدّمهما القاهرة ، فأمر كلاً منهما طبّخانة^(٦) ، ولم يلقّب أحداً منهما بملك ولا غيره ، بل كان الأمراء ومن دونهم يقولون : سيدي إبراهيم ، سيدي أبو بكر .

(١) (أ) : « نزل في الضريح » .

(٢) (أ) : « ثاني عشر » .

* الوافي : ١٣٨/٦ ، والدرر : ٦٦/١ ، وللمنهل الصافي : ١٥٤/١ .

(٣) أمير توفي سنة ٧٤٦ هـ . (المنهل الصافي : ٢٢/٥) . وستأتي ترجمته .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) كلمة فارسية معناها فرقة الموسيقى السلطانية ، أو بيت الطبل ، ويشتمل على الطبول والأبواق ، وإمرة الطبلخانة منصب للأمراء بعدد ما يملكون من محاليك ، فتدق الطبول أمامهم لذلك . (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى : ٤٣ ، ٢٢٨) .

وكان إبراهيم هذا قد انتشا ، وقارب أن يكون ليثاً بعد أن كان رشاً ، طُرَّ شارِبُهُ ، وبقل عارضُهُ ^(١) ، وكاد يفترس مَنْ يدانيه أو يُعارضه ، لكنه جُدِّرَ ، وجاءه الأجل الذي قُدِّرَ ، فما رآه والده في ضعفه الذي اعتراه ، ولا مَكَّنَ أحداً من إخوانه أن يراه . ولما تكامل / جُدِّرِيهِ نُجوماً ، وصار ذلك لشياطين ناظريه رُجُوماً ، قُصِفَ غُصْنُهُ ، وخُسِفَ حُصْنُهُ ، فأمر السلطانُ القاضي شرف الدين النشو ناظر الخاص بأن يدفنه عند عمه الأشرف ^(٢) خليل ، وألا يَعْلَمَ ذلك حَقِيرٌ ولا جليل ، وذلك سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة .

٤٨ - إبراهيم بن مُحَمَّد*

الإمام الفاضل بُرهان الدين السفاقي المالكي

كان هو وأخوه شمس الدين محمد ^(٣) من كبار المالكية ، كان هذا برهان الدين قائماً بالعربية ، شائماً بَرُوقَ غوامضها اللامعة بما عنده من الأملية . أعرب القرآن العظيم ^(٤) في أربعة أسفار كبار ، أعاد بها لهذا الفن ما كان قد خَمَلَ وَبَارَ ، تكلم فيها على كل غامض ، وحسده عليها غيره ممن لم يصل إلى ذلك وقال : غَنَّقُودُهَا حَامِضٌ ، وشرح كتاب ابن الحاجب في الفُرُوع ^(٥) ، وأتى فيه بفوائد من حسناتها تروق ، ومن جزالتها تَرُوع ، إلا أنه لم يكمله ، فنَقَصَ يسيراً ، وجعل طَرَفَ التطلع لتمامه ^(٦) حَسِيراً .

(١) بقل عارضه : خرج شعره .

(٢) صلاح الدين خليل بن المنصور (ت ٦٩٣) ، العبر : ٣٧٨/٥ ، والنجوم : ٥٢/٨

* الوافي : ١٣٨/٦ ، والدرر : ٥٥/١ .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) واسمه : ألجيد في إعراب القرآن المجيد ، وحقق الجزء الاول منه ، د . محمد موعد .

(٥) اسمه بتمامه لمختصر في فروع المالكية ، الكشف : ١٦٢٥/٢ .

(٦) أ : « طرف التطلع إليه حسيراً » .

ولم يزل يشتغل وَيَدُأَب ، ويشعَبُ صَدْعَ الْعِلْمِ وَيُرْأَب ؛ إلى أن وافاه حَيْثُهُ ،
وَقَضِيَ مِنَ الْأَجْلِ دَيْنُهُ .

توفي رحمه الله تعالى سنة ثلاثٍ وأربعين وسبع مئة ، أو في أواخر سنة اثنتين
وأربعين .

٤٩ - إبراهيم بن مُحَمَّد*

الإمام الزاهد

المُحَدَّث شيخ خراسان ، صَدْرُ الدِّين أَبُو الْمَجَامِعِ ابْنُ الشَّيْخِ سَعْدِ الدِّينِ بْنِ
الْمُؤَيَّدِ بْنِ حَمْوِيهِ الْجَوَيْنِيِّ الشَّافِعِيِّ الصُّوفِيِّ .

سمع من الموفق الأركاني^(١) صاحب المؤيّد الطوسي^(٢) ، ومن جماعة بالشام والعراق
والحجاز ، وعني بهذا الشأن جداً ، وكتب وحصل .

قدم الشام سنة خمس وتسعين وست مئة ، وحج سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ،
ولقيه الشيخ صلاح الدين العلّائي^(٣) ، وخرّجَ لنفسه سُبُاعِيَّاتٍ^(٤) بإجازات .

وسمع مُسَلِّماً من عُثْمَانَ بْنِ مُوَفَّقٍ وسمع ببغداد من الشيخ عبْد الصمد^(٥) ، ومن ابن

* الوافي : ١٤١/٦ ، والدرر : ٦٧/١ ، والمنهل الصافي : ١٥٥/١ .

(١) كذا في الأصل ، وفي الوافي : ابن الموفق الأذكاني .

(٢) المؤيّد بن محمد بن علي رضي الدين ، أبو الحسن الطوسي المقرئ ، مسند خراسان (ت ٦١٧ هـ) ،
الشذرات : ٧٨/٥ .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) في الدرر : « تساعيات » ، وما هنا يشبه ما في الوافي . والسباعيات : الأحاديث التي تصل إلى
الرسول ﷺ بسبعة رواة .

(٥) عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الجيش المقرئ النحوي اللغوي (ت ٦٧٦) ، الشذرات :
٣٥٣/٥ .

أبي الدِّينة^(١) ، وابن الساغوجي^(٢) ، وابن بلدجي^(٣) ، ويوسف بن محمد بن سرور الوكيل^(٤) .

وكانت له صورة إلى تلك البلاد كبيرة ، ومنازلُهُ في صُدُور التتار أثيرة ، تتضاءل النجوم لعلوّ قَدْرِهِ ، وتنكشفُ الشمسُ الضاحيةُ لطلُوع بدره ، لا يصل أحد إلى لمس كُمِّهِ ، ولا يطمع القان الأعظم في اعتناقه وضَمِّهِ . وما يؤيد هذه الدعوة ، ويحقق هذه الرجوى أن القان غازان أسلم على يده ، وتبرك بملاقاة جسده .

وأخبرني الشيخ شمس الدين الذهبي رحمه الله تعالى ، قال : أنبأني الظهير ابن الكازروني^(٥) ، قال في سنة إحدى وسبعين وست مئة : اتصلت ابنة علاء الدين صاحب الديوان^(٦) بالشيخ صدر الدين أبي الجامع ، إبراهيم بن الجويني ، وكان الصداق خمسة آلاف دينار ذهباً أحمر .

وللشيخ صدرُ الدين مجاميعُ وتوَاليفُ ، وله إجازة من نجم الدين عبد الغفار صاحب الحاوي^(٧) .

(١) في الأصل : « المدينة » ، تحريف وهو محمد بن يعقوب بن أبي الفرج البغدادي (ت ٦٨٠) ، الشذرات : ٣٦٩/٥ ، وفي حاشية المنهل (١٥٦/١) : « توفي سنة ٦٧٠ هـ » .

(٢) أ : « ابن أبي الساغوجي » ، ولم تقف على ترجمته .

(٣) في المنهل : « وابن بلدجي يوسف » . ولم تقف على ترجمته .

(٤) لم تقف على ترجمته .

(٥) علي بن محمد بن محمود ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) عطا مالك بن محمد الخراساني الجويني ، أخو الوزير الكبير شمس الدين (ت ٦٨٣) ، الشذرات : ٢٨٢/٥ .

(٧) هو كتاب الحاوي في الفروع للشيخ نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني الشافعي (ت ٦٦٥) ، وهو من الكتب المعتبرة بين الشافعية ، الكشف : ٦٢٠/١ .

وخبر الذهبي نقله ابن تغري بردي في المنهل : ١٥٧/١ .

ولم يزل في تيار عظمته الطافح ، وسيلِ وجاهته السافح ، إلى أن سكن في الرّمس ، وذهب كأُمس .

وتوفي رحمه الله تعالى خامس المحرم سنة ثلاث وعشرين ^(١) وسبع مئة .
ومولده سنة بضع وأربعين وست مئة .

٥٠ - إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد*

الشيخ برهان الدين ، أبو إسحاق الواني .

بواو بعدها ألف ونون ، رئيس المؤذنين بجامع بني أمية .

سمع من إبراهيم بن عمر بن مضر الواسطي ^(٢) ، وأيوب بن أبي بكر بن الفقاعي ^(٣) ، وابن عبد الدائم .

كان شيخاً حسن الشّيبة ، ظاهر الوقار ، والهيبة ، مطاعاً في قومه ، مراعى في التقديم عليهم في ليله ويومه . أصّر قبل موته بسنوات ، وفقد لفقد نظره من الرئيات الشهوات ، وكان يطّلع المئذنة ويؤذن بعد الجماعة وحده ، ويؤدي الأذان بصوت لا تذكر نغمة الأوتار عنده ، والناس يقولون : هو يودّع الأذان ، ويودّع الدرّ صدف الأذان .

ولم يزل على هذه الحالة إلى أن رأى الواني من الموت ألواناً ، وجاءه بعدما تواني .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الخميس سادس صفر سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ،

(١) في النهل : « سنة اثنين وعشرين » .

* نكت المهيان : ٨٩ ، البداية والنهاية : ١٧١/١٤ ، الدرر : ٥٦/١ ، الشذرات : ١٠٩/٦ .

(٢) (ت ٦٦٤) ، الشذرات : ٣١٥/٥ .

(٣) لم تقف على ترجمته .

وصلّي عليه ظهر الخميس / بالجامع الأموي ، ودفن بمقبرة باب الصغير ، وأجاز لي سنة ثلاثين وسبع مئة .

٥١ - إبراهيم بن محمد بن أبي بكر الخزرجيّ البنانيّ الدمشقيّ *

الشيخ الصالح العالم برهان الدين .

روى الحديث عن ابن عبد الدائم ، وسمع من ابن النُشَيْبِي (١) ، وابن أبي اليُسْر وجاعة ، وكان من طلبة الشيخ يحيى المنبجي (٢) المقرئ .

انتقل إلى القدس ، وكان إمام قبة الصخرة بالمسجد الأقصى . وتقدم له اشتغال كثير في الفقه . وكان يبحث وينظر الفقهاء ، ثم إنه تزهد ، وصحب ابن هود (٣) مدة ، وسافر معه إلى الين ، وحج وعاد وأقام بدمشق مدة ، ثم إنه عاد إلى القدس ، وأقام به سنين إلى أن مات ، رحمه الله تعالى ، في يوم الأحد خامس شعبان سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

٥٢ - إبراهيم بن محمد **

الفقيه الفاضل برهان الدين المصري .

كان شاباً ، لم يُكْمَل الثلاثين . توفي في نصف شهر رمضان سنة خمس عشرة وسبع مئة ، ودفن بمقابر الباب الصغير .

* لم نقف على ترجمته .

(١) محمد بن علي بن المظفر بن القاسم الدمشقي (ت ٦٧٠) ، العبر : ٢٩٤/٥ .

(٢) (ت ٦٧٦) ، الشذرات : ٣٥٤/٥ .

(٣) بدر الدين حسن بن علي المرسي الصوفي (ت ٦٩٩) ، العبر : ٣٩٧/٥ .

** لم نقف على ترجمته .

وذكر أنه حفظ (الوسيط)^(١) ، وعرض منه نحو النصف ، وحفظ (أربعين)
الإمام فخر الدين الرازي^(٢) .

أقام بالمدرسة الظاهرية مدة ، وكان يلزم النسخ والاستنساخ .

٥٣ - إبراهيم بن محمد بن عيسى *

الأمير شمس الدين بن الأمير الكبير بدر الدين بن التركاني .

سمع الحديث ، وحج وتوفي بالقاهرة بداره جَوًّا^(٣) باب البحر في جمادى الآخرة
سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

وكان فيه مروءة ومكارم أخلاق ، وصلي عليه بجامع دمشق صلاة الغائب .

٥٤ - إبراهيم بن محمد بن يوسف **

القاضي جمال الدين الحُسْبَانِي

بضم الحاء المهملة ، وسكون السين المهملة ، وباء ثانية الحروف ، وألف ونون .

نائب الحكم العزيز بدمشق لقاضي القضاة تقي الدين السبكي^(٤) .

لما توفي رحمه الله تعالى في سنة خمس وخمسين وسبع مئة عن نيف وثمانين سنة ،
صلى نائب الشام الأمير علاء الدين المارداني عليه^(٥) .

(١) هو الوسيط في الفروع للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥) ، الكشف : ٢٠٠٨/٢ .

(٢) وهو في أصول الدين لحمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٩) ، الكشف : ٦١/١ .

* لم تقف على ترجمته .

(٣) في الأصل : « جوار » ، والأشبه ما أثبتناه .

** وفيات ابن رافع : ٣٢٦/١ ، والدرر : ٧٠/١ ، وخلصت من ترجمته (أ) .

(٤) ستأتي ترجمته .

(٥) الأمير أمير علي المارداني ، وتولى نيابة دمشق سنة (٧٥٥ هـ) ، (البداية والنهاية : ٢٤٩/١٤) ، وعزل

عن النيابة سنة (٧٦٣) ، (البداية والنهاية : ٢٩٥/١٤) .

كان شديداً في أحكامه ، سديداً في تقضه وإبرامه ، ولا يراعي ولا يداهن مخلوقاً ، ولا يعرف من كان مرموقاً بالأبصار أو مؤموقاً^(١) ، قد تلبس بالصلابة ، وتأنس بالتصميم دون اللين ، فلا يجيب من دَعَا به إلى دُعَا به ، وكان قاضي القضاة يعتمد في الأحكام الْمُعْضِلَةَ على حكمه الْمُسَدَّد ، وتحقق أنه تفرّد في عصره بهذا الخلق ، وتفرّد ، إلى أن جاء الْحُسْبَانِي ، ما لم يكن في حِسَابِهِ ، وانفرد بعمله تحت الأرض وخلا به ولم يُخَلَّف مثله ، ولا من استظل بآنه وأثله ، رحمه الله تعالى .

٥٥ - إبراهيم بن محمد بن ناهض*

الشيخ الإمام الأديب تقي الدين أبو إسحاق المعروف بابن الضَّرِير - تصغير
ضَرِير - الحلبي

كان إمام الفِرْدَوْس بحلب ، ومعه أيضاً وظيفة في البيمارستان الذي أنشأه الأمير سيف الدين أرغون الكاملي^(٢) بحلب . وهذا تقي الدين كان أديب حلب ، وأحد من امتزى أخلاف الأدب وحلب . وأهدى إلى بني الزمان نفائس القريض وجلب ، وسلب الذهن بعبارته الفصحى وخلب . وجدّ في جمع الدواوين وكتبها ، ونهّبها بخطه وهذّبها . كتب ما لا يحصى ، ونقب عن مصنفات أهل عصره واستقصى .

ولم يزل يكتب ويجمع ، ويسمو بهِمَّتِهِ إلى تحصيل ما يسمع ، إلى أن فتح الموت لابن الضَّرِير عَيْنِيهِ ، وخرّ صريعاً لليد والفم يئن يديه .

وتوفي رحمه الله تعالى في [عاشر]^(٣) شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستين وسبع مئة . ومولده [أول سنة ٦٩٥ هـ]^(٤) .

(١) التومق : التوكد .

* الدرر : ٦٨/١ .

(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) زيادة من (أ) (خ) يقتضيها السياق .

(٤) كذا فراغ في الأصول ، والزيادة من الدرر .

كان هذا تقي الدين أديب حلب ، ومأوى من يرد إليها من الشعراء والأدباء الغرباء .

كتب بخطه شيئاً [كثيراً]^(١) من كتب الأدب ومصنفات أهل عصره ، وكان له ذوق في الأدب ، ويحفظ شعراً كثيراً للمقدمين والمتأخرين . ولم أسمع له نظماً .

ولما وَرَدَتْ إلى حلب في سنة ست^(٢) وخمسين وسبع مئة كتب بخطه من تصانيفي (توشيع التوشيح) ، وكتاب (نصرة الثائر على المثل السائر) ، وغير ذلك ، وسمع كتابي (الروض / الباسم) وغيره . وعلى الجملة كان فريد زمانه في بابهِ .

(٣) [ورثاه علي بن الحسين الموصلـي^(٤) بقوله :

يا ابن الضَّرِيرِ كم عَيْنٍ أَضَرَّ بِهَا مَرَّكَ فَوْقَ سِرِيرِ المَوْتِ مَحْمُولاً
قَضَيْتَ عَمْرَكَ فِي الْفَرْدُوسِ مُشْتَغِلاً وَمَذْ قَضَيْتَ إِلَيْهِ كُنْتَ مَنَقُولاً]

٥٦ - إبراهيم بن محمود بن سلمان بن فهد الحلبي *

القاضي الرئيس الكاتب البليغ جمال الدين أبو إسحاق

كاتب السر الشريف بحلب ، أحدَ مَنْ كتب المنسوب الفائق ، وأبرزه وهو أبقى من الأحداق ، وأتقن من الحداثق ، كَأَنَّ طُرُوسَهُ خُمائل ، وَسُطُورَهُ أَعطافٌ غِيد مَوائل ، لا يشبع الناظر من تأملها ، ولا تشكو القلوب من تحمّلها وتحمّلها ، إلى أخلاقٍ يتعلم

(١) زيادة من (أ) (خ) .

(٢) في (أ) : تسع .

(٣) ماسياًتي زيادة من (أ) ، (خ) .

(٤) (ت ٧٨٩ هـ) ، الدرر : ٤٢/٣ .

* الوافي : ١٤٢/٦ ، والدرر : ٧١/١ ، والمنهل الصافي : ١٧٢/١ ، وفيه : « ابن سليمان : .

منها نسيم الصبا ، وتثني عليها النفحات من زهر الربا ، ومفاكهة الذئ من مسامرة الحبيب ، وأشهى من الشفقي بأذى الحسود والرقيب .

وكان يستحضر كثيراً من شعر المتأخرين ، وتراجم أهل الآداب^(١) والصلاح من المعاصرين ، وله نظم يروق ونثر يفوق .

ولم يزل يتولّى ويُعزّل من كتابة السر ، ويفعل ما اتصل إليه مقدرته من البر ، إلى أن حلّ به الحين ، واتخذ له من باطن الأرض أين^(٢) .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم عرفة سنة ستين وسبع مئة .

ومولده سنة ست وسبعين وست مئة في شعبان .

وكان قد توجه مع والده إلى الديار المصرية ، وباشر هناك كتابة الإنشاء ، وسمع من الأبرقوهي^(٣) وغيره في ذلك العصر ، وكان القاضي علاء الدين بن الأثير^(٤) يألّف به ويأنس^(٥) ويركن إليه ، ولما عزّل القاضي عماد الدين بن القيسراني^(٦) من كتابة سر حلب^(٧) ؛ جهّز القاضي جمال الدين إليها ، فأقام بحلب قريباً من ست عشرة سنة ، وعزله الملك الناصر محمد بن قلاوون بتاج الدين ابن زين^(٨) .

حضر في واقعة لؤلؤ مع الحلبيين سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وطلب إلى القاهرة ، ورُسِم عليه في دار الوزارة مدة مديدة ، ثم أفرج عنه .

(١) (أ) : « الأدب » .

(٢) أين : أراد بها الحلّ والوعاء ، وأين : هي من أسماء الاستفهام التي تكون ظروفًا للمكان وأوعية لها .

(٣) في الوافي ابن الأبرقوهي ، وهو أحمد بن إسحاق ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) علي بن أحمد ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) ليست في (أ) ، (خ) .

(٦) إسماعيل بن محمد ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٧) (أ) ، (خ) : « من كتابة السر بحلب » .

(٨) في (أ) : « الزين » .

ولما توجه الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى إلى مصر في بعض سفراته ، طلبه من السلطان ، فرتب في جملة كتاب الإنشاء بدمشق ، وصاحب الديوان إذ ذاك ابن أخيه القاضي شرف الدين أبو بكر ، فأقام بها إلى أن عزل ابن أخيه ، وعزل هو بعزله ، فأقام في بيته بطالاً إلى أن طلبه السلطان الملك الناصر محمد إلى مصر ، فتوجه إليها ، فأقام هناك بطالاً في سنة ثمان وثلاثين وما بعدها إلى أن توفي صلاح الدين يوسف بن عبيد الله ^(١) فرتب عوضه في كتاب الإنشاء بمصر ، وسلم إليه القاضي علاء الدين بن فضل الله ^(٢) ديوان الإنشاء بمصر ، فكان ينوبه في ذلك ، ثم إنه رتب في توقيع الدست قدام السلطان ، وقدام النائب .

ولما تولى القاضي ناصر الدين بن يعقوب كتابة السر بدمشق في سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، رُسم للقاضي جمال الدين بعوده إلى كتابة سر حلب ، فتوجه إليها مرة ثانية ، ولم يزل بها إلى أن عزل بالقاضي زين الدين عمر بن أبي السفاح في جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، ورتب له ما يكفيه ، ثم عزل ابن ^(٣) السفاح بالقاضي شهاب الدين الشريف ، فأقام قليلاً ، وعزل في جمادى الأولى سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وأعيد القاضي جمال الدين إلى كتابة سر حلب ثالث مرة ، ولم يزل بها وابنه القاضي كمال الدين محمد يسدّ الوظيفة إلى أن عزل القاضي بدر الدين محمد ناظر الجيش بحلب ، وهو ابن ^(٤) القاضي جمال الدين . وطلب هو وابنه وابن أخيه إلى مصر في شهر ربيع الأول سنة تسع وخمسين وسبع مئة ، فرسم بعزله عن كتابة السر ، ورتب له في كل شهر مبلغ خمس مئة درهم ، ورسم لي أنا بالتوجه إلى كتابة سر حلب مكانه ، وأقام هو في بيته على راتبه إلى أن توفي رحمه الله تعالى فكتبت أنا إلى ولده القاضي

(١) صلاح الدين (ت ٧٤١) ، الدرر : ٤٤٧/٤ .

(٢) تولى بعد والده سنة (٧٣٦ هـ) ، البداية والنهاية : ١٨٣/١٤ ، والبداية : ٤٨٧/١ .

(٣) (أ) ، (خ) : « ابن أبي السفاح » .

(٤) (أ) ، (خ) : « ابن أخي » .

(٤) في الأصل : أزهارها ، ولا يستقيم بها الوزن ، وأثبتنا ما في (أ) .

وأغني الجيش عن حركات غزو
ووقرم فها هزوا رماحا
وكم قد ساس في سبب أموراً
فينظر يقظة خيلاً ورجلاً
برأي كالحسام الغضب ماض
وخطُّ لو رآه الزهر غَضاً
ونثر تَكَرَّعُ الأسماع فيهِه
وكم نظم ترقق في انسجام
فلم نر مثل هاتيك السجايا
أفاض الله من كرم عليهِه
لما ركبوا السهولة والجبالا
ورفعهم فاسلّوا نصالاً^(١)
رأى تكفورها فيها الخبالا^(٢)
وتغروه مهاتبتهم خيالاً
أفادته تجاربه صقالاً
لجود تحت أحرفه مثالاً
على ظمأ فتشفيه زلالاً
فلولا الطرس يسكه لسالاً
ولا أزهى ولا أزكى خلالاً
مدى الأيام رحمة سجالاً

وكتبت مع هذه الأبيات نثراً ذكرته في الجزء السادس والأربعين من (التذكرة)
لي .

وكتب هو إليّ لغزاً ، وأنا^(٣) وهو في القاهرة سنة خمس وأربعين وسبع مئة :
إن اسم من أهواه تصحيفه وصَفَّ لقلب المُدَنَّفِ العاني^(٤)
وشطره من قبل تصحيفه يقاد فيه المذنب الجاني^(٥)
وإن أزلت الربع منه غداً مصحفاً لي منه ثلثان^(٦)
وهو إذا صحفته ثانياً اسمٌ محبوب لنا ثانياً

(١) في الأصل : « ورفعهم » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٢) في الأصل (سيف) تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) ليست في (أ) .

(٤) يريد : العليل .

(٥) يريد : الغل .

(٦) يريد : ليل ، وهو ثلثا اسم غليل وهو تصحيف غلبك ، اسم الصفدي .

فكتبتُ أنا الجواب إليه عن ذلك وهو في « غلبك » :

لعزك يا من رؤيتي وجهه تكحل بالأنوار أجفاني
هذي ضميري لمي حله وأيد القول ببرهاني
إن زال منه الربع مع قلبه فإنه للمذنب^(١) الجاني
عليك تصحيف الذي رمته فالقلب في تصحيفه الثاني^(٢)
^(٣) وبيني وبينه محاورات ومكاتبات ذكرتها في كتابي ألحان السواجع^(٣) .

٥٧ - إبراهيم بن هبة الله بن علي*

القاضي نور الدين الحِميري الإسنائي الشافعي .

كان فقيهاً فاضلاً أصولياً ذكّي الفطرة .

أخذ الفقه عن الشيخ بهاء الدين هبة الله بن عبد الله القفطي^(٤) ، والأصول عن الشيخ شمس الدين محمد بن محمود الأصبهاني^(٥) ، والنحو عن الشيخ بهاء الدين بن النحاس^(٦) وصنّف في الفقه والأصول والنحو .

(١) في الأصل : للمدق ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والمراد من البيت لفظ (كبل) .

(٢) يريد : فالقلب عليل .

(٣) ليس في (أ) ، (خ) .

* الوافي : ١٥٧/٦ ، والدرر : ٧٤/١ ، والبغية : ٤٣٣/١ ، وطبقات السبكي : ٤٠٠/٩ ، والشذرات : ٥٤/٦ ،

والمنهل الصافي : ١٢/١ ، وأعلام الزركلي : ٧٨/١ .

(٤) (ت ٦٩٧ هـ) ، الشذرات : ٤٣٩/٥ .

(٥) (ت ٦٨٨ هـ) ، العبر : ٣٥٩/٥ .

(٦) محمد بن إبراهيم ، وستأتي ترجمته في موضعها .

ولي القضاء بأقاليم منها قوص^(١) ، وأسيوط ، وإخم^(٢) ، وولي مَنية زُفتا^(٣) ومَنية ابن خَصب^(٤) في أوائل عمره . وابتداء أمره .

وكان حَسَنَ السَّيَرَةِ في حكمه ، مرضي السريرة في طيشه وخلمه . طلب منه كريم الدين الكبير^(٥) مالاً من زكاة حاصل الأيتام ، ودَفَعَ شيء من ذلك ليستعين به على تلك المهام ، فلم يعطه شيئاً ، وقال : العادة جرت بأن نصرف ذلك إلى الفقراء دون غيرهم ، ومتى عَدَلْنَا به عنهم قَصَصْنَا جناح طيرهم . ولما عاد كريم الدين إلى القاهرة بالغ في أمره مع قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة ، وبذل في صَرْفِهِ جَهْدَ الاستطاعة ، فما وافق على عزله ، ولا نقض بَرْمَ غَزْلِهِ ، إلا أنه صَرَفَ بعد ذلك بَمَدَّة ، وحضر إلى القاهرة ، وأقام بها لأمير ما أطاق رَدَّهُ .

وكان قد قرأ على الشيخ نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف الأصفهاني^(٦) الجبر والمقابلة ، ومن هذا النوع وما عادله ، وقرأ الطب على شهاب الدين أحمد المغربي^(٧) ، واختصر (الوسيط) للغزالي ، وصحح مباحثه الرافعي على التوالي^(٨) ، وشرح

(١) مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر (معجم البلدان) .

(٢) بلد بالصعيد (معجم البلدان) .

(٣) شمالي مصر على فوهة النهر الذي يؤدي إلى دمياط (معجم البلدان) .

(٤) مدينة كبيرة حسنة على شاطئ النيل في الصعيد الأدنى ، (معجم البلدان) .

(٥) عبد الكريم بن وهبة ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) (ت ٧٥٠ هـ) ، وفيات ابن رافع : ٢٩٣/١ .

(٧) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٨) انظر : الكشف : ٢٠٩/٢ ، وفي طبقات السبكي (٤٠٠/٩) : « وقفت له على مختصر الوسيط وهو

حسن ، وقد ضمنه تصحيح الرافعي والنووي » .

(المنتخب) في الأصول^(١) ، وقَرَّب المدخل إليه والوصول . ونثر (ألفية) ابن مالك وشرحها^(٢) ، وجعل فيها إطلاق الأذهان وَمَرَحِهَا .

ولم يزل بالقاهرة مقيماً بعد صَرَفِهِ ، وصَبَّر قلبه على الأذى وغلض طرفه ، إلى أن حَدَث بعنقه طُلُوع ، عَدِم معه الهجوع ، ففارق أترابه ، واستجَن^(٣) تَرَابِهِ ، ووصى للفقراء بشيء من ماله ، وختم بذلك صالح أعماله ، ووقف وقفاً على جهة البر ، وتقرَّب بذلك إلى عالم السر .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

٥٨ - إبراهيم بن أبي الوحش *

ابن أبي حَلِيقَة ، علم الدين بن الرشيد .

رئيس الأطباء بمصر والشام .

عَيَّن ، ، وهو نصرانيّ قبل أن يُسلم ، أن يكون بطريقاً للنصارى بمصر ، فما وافق على ذلك ، وأسلم .

كان المذكورُ يشارك في فنون الأدب ، وَيُنْسَلُ مع مَنْ نسل إليه مِنْ كُلِّ حَدَب . وهو الذي عَمِلَ شراب الورد الطريّ بالشام ، ولم يُعْهد ذلك قبله على مرور الأيام .

ولما مرض الظاهر بيبرس بالخوانيق لازمه علم الدين في مرضه ، وأتى إليه بما كان

(١) أي أصول للذهب الحنفي لمؤلفه حسام الدين محمد بن محمد الأخسيكتي الحنفي (ت ٦٤٤ هـ) ، الكشف : ١٨٤٨/٢ ، ثم ذكر كتاب الإسنوي المذكور على أنه شرح لكتاب المنتخب في الحديث للمارديني (ت ٧٥٠) ، وهو ظاهر الوهم .

(٢) الكشف : ١٥٤/١ ، وطبقات السبكي ، والمنهل الصافي .

(٣) استجَن : استتر ، والجَن أيضاً : القبر ، والميت ، والكفن .

* تالي وفيات الأعيان : ٤٦ ، والدرر : ٥٧/١ .

فوق غرضه ، فاتفق نضج الألم الناتئ في حلقه ، ولم يجسر أحدٌ يمدّ يده إليه لشراسة خلقه ، فدّ علم الدين يده إلى فيه ، وأدخلها ، وقرصَ الورم ، فانفجر لوقته ، وخرجت المواد التي حار اللبيب في وصف ألمها ونعته ، فعوفي السلطان من ألمه البرّج ، ووهبه الأمراء شيئاً يطول في ذكره^(١) الشرح ، فما سمحت نفس السلطان [له]^(٢) بمجموع ما وهب ، وخصّه ببعض ذاك الذي حصّل ونهب ، وشال الباقي إلى الخزانة ، وقال : خروج هذا خِفّةً وعَدَمَ رَزَانةٍ .

ولم يَزَلْ علم الدين على حالته إلى أن نزلت به مصيبة مالها علاج ولا رقي ، ونزل حفرة لا يجد له منها مَرْتَقى .

وقيل : إن تَرَكْتَهُ بلغت ثلاث مئة ألف دينار ، وهذا أمر تجاوز الحد والمقدار .
وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وسبع مئة .

٥٩ - إبراهيم بن لاجين بن عبد الله *

الشيخ الإمام العالم الفاضل البليغ برهان الدين الأغري ، بفتح الغين المعجمة ، الرشيد الشافعي ، خطيب جامع الأمير شرف الدين أمير^(٣) حسين بن جندربك بحكر جَوْهر النوبي بالقاهرة .

أخذ القراءات عن الشيخ تقي الدين - الصائغ^(٤) ، والفقّه عن الشيخ علم الدين

(١) في الأصل : « ذكرها » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) زيادة من (أ) .

* الوافي : ١٦٤/٦ ، والدرر : ٧٧/١ ، والمنهل الصافي : ١٨٤/١ ، والنجوم الزاهرة : ٢٣٤/١٠ ، وغاية النهاية : ٢٨/١ ، والشذرات : ١٥٨/٦ ، وطبقات السبكي : ٣٩٧/٩ .

(٣) في (أ) والوافي : « ليث » .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها . وفي المنهل : « تقي الدين بن الصائغ » .

العراقي^(١) ، والأصول عن الشيخ تاج الدين الباربناري^(٢) ، والفرائض عن الشيخ شمس الدين الرواندي^(٣) ، والنحو عن الشيخ بهاء الدين بن النحاس ، والعلم العراقي ، وأثير الدين أبي حيّان^(٤) ، والمنطق عن سيف الدين البغدادي^(٥) . وحفظ (الحاوي) و (الجزولية) و (الشاطبية) ، وأقرأ الناس في (أصول) ابن الحاجب و (تَصْرِيفه) وفي (التسهيل) . وكان يعرف الطب والحساب وغير ذلك .

ولخطبته في النفوس تأثير ، وللدموع لها^(٨) على الحدود جري وتثير ، تَرَقَّ له القلوب القاسية ، وتذكر النفوس الناسية . وعلى قراءته في المحراب مهابة وفصاحة ، ولها إلى الجوانح جنوح وفي الجوارح جراحة . لم أر في عمري مثل اتّضاعه على علو قدره ، ولا رأيت^(٧) ولاغيري مثل سلامة صدره ، مطّرح التكلف^(٨) ، راضٍ بالقعود عن الدنيا والتخلف ، يحمل حاجته بنفسه ، ولا يحتفل بمأكله ولبسه^(٩) .

تخرّج به جماعة وانتفعوا ، وردّ بمواظبة أهل الجرائم عن طريقهم^(١٠) واندفعوا .

وعُرض عليه سنة خمس وأربعين وسبع مئة قضاء المدينة الشريفة وخطابتها فامتنع ، وانخزل عن قبول ذلك وانجمع .

(١) عبد الكريم بن علي ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) محمد بن محمد ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في (أ) ، والوافي ، والمنهل : « الدارندي » ، ولم تقف على ترجمته .

(٤) وستأتي ترجمته في حرف الياء .

(٥) عيسى بن داود أبو الروح البغدادي الخوارزمي الحنفي (ت ٧٠٥ هـ) .

(٦) ليست في (أ) ، (خ) .

(٧) في (أ) : « ولأرأت عيني » .

(٨) في (أ) : « يطرح » .

(٩) في (أ) ، (خ) : « ولالبسه » .

(١٠) في (أ) ، (خ) : « عن طريقهم » .

وله نظم إلا أنه ما أظهره ، ولا كلف خاطره أن يؤلف جوهره ، إمّا عدم رضى بما يأتيه منه ، أو تورّعاً عن قبوله ^(١) ونفوراً عنه .

ولم يزل على حاله في أشغاله الطلبة ، والإمامة ، والعمل على ما فيه ^(٢) خلاصه يوم القيامة ، إلى أن سار إلى الآخرة ، وصار بالساهرة ^(٣) .

وكانت وفاته بالقاهرة سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وسبعين وست مئة .

وقلت أرثيه :

ملت بَعْدَ الْبُرْهَانِ لِلتَّقْلِيدِ ما أَنَا واثقاً بتسفاح دمعِي
 خَانَ صَبْرِي الْأَمِينُ بَعْدَ الرِّشِيدِ كيف لا تسفح الدَّمْعُ على مَنْ
 كَانَ لِلطَّالِبِينَ خَيْرَ مُفِيدِ قال لما احتواه طاعونُ مصرِ
 كَمْ قَتِيلٍ كَمَا قُتِلَتْ شَهِيدِ فهو في قبره مع الحُورِ يلهو
 بِيَاضِ الطُّلَى وَوَرْدِ الحُدُودِ ما تملت جُفُونُهُ ببدورِ
 قَبْلَهَا فِي بَرِاقِعِ وَعَقُودِ يا عذولي على تعذُّرِ صبري
 فِي مُصَابِ عَدِمَتِهِ فِي الوجودِ كان إن قام في الأنام خطيباً
 عَلَّمَ النَّاسَ كَيْفَ تَنُورُ الْفَرِيدِ ^(٤) ثم أجرى الدموع خوفاً ولو
 أَنَّ قُلُوبَ الْعَصَاةِ مِنْ جُلُودِ بكلام مثل السهام مصيباً
 تَشَقُّ الْقُلُوبَ قَبْلَ الْجُلُودِ حُزْنَ مستعمل الكلام اختياراً
 وَتَحْنِنَ ظَلَمَةَ التَّعْقِيدِ

(١) في الأصل : « قوله » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) .

(٢) قوله : « ما فيه » ، ليس في (أ) ، (خ) .

(٣) الساهرة : الأرض .

(٤) (أ) ، (خ) : « العقود » .

ما على زهده وفضل تقاه
 أيها الزاهبُ الذي نحن فيه
 لا ترعُ في المعاد حيث وجوه
 لك في موقوف القيامة وجّة
 وثناء كأنما ضربَ العند
 قنعت أنفُسُ البريئة إذ غبت بعيش معجّل التنكيد
 فسقى الله تربة أنت فيها كل يوم مضي سحائب جود

٦٠ - إبراهيم بن يونس*

ابن موسى بن يونس بن علي الغاني^(٢) البعلبي .

رحل وسمع وعلّق وكان جيّد القراءة فصيحاً ، حسن الودّ صحيحاً .
 سمع بالبلاد أشياخ عصره ، وعلّق الفوائد^(٣) وغيرها من أهل مضره ، وارتحل إلى
 الحجاز ، وسمع هناك وفاز ، وجاور بمكة ، وكتب بها من الفوائد^(٤) شكّه .
 ولم يزل على حاله إلى أن حلّ به غريم أجله ، وقابل مهله بعجله .
 توفي ، رحمه الله تعالى ، في ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبع مئة . تقلت من
 خطه له :

(١) (أ) ، (خ) : « منه » .

* الوافي : ١٧٣/٦ ، والدرر : ٧٨/١ ، والمنهل الصافي : ١٨٧/١ .

(٢) في الأصل : « القاضي البعلبي » . وهو تحريف .

(٣) (أ) : « الفرائد » .

(٤) (أ) : « الزوائد » .

قال لي العاذلُ يوماً : أَتَبَـــــــذِرِي حُنَيْنِي
قلتُ : لا ، قــــال : فِضْرِي ، قلتُ : لا ، إني حُسَيْنِي

٦١ - إبراهيم بن يحيى *

ابن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الشيخ الفقيه الإمام
المُحدِّث عماد الدين أبو إسحاق الفزاري البَصْروي ، ثم الدمشقي الحنفي .

قرأ القرآن وسمع الحديث في سنة ثلاث وسبعين وست مئة وبعدها . وقرأ على
الشيوخ كثيراً من الكتب والأجزاء ، وكان مشهوراً بحسن القراءة .

ومن شيوخه : ابن عبد الدايم ، وابن أبي اليسر ، وأيوب الحامي^(١) ، ومظفر بن
الحنبلي^(٢) ، وابن النُشَبي ، وابن عبد^(٣) .

قال شيخنا علم الدين : وجمعت له مشيخة عن نحو ثمانين شيخاً .

ثم إنه بعد ملازمته الطلبة والاشتغال بالعلم ، دخل في الجهات الديوانية ، وخدم
بديوان الحشر^(٤) ، ومهر في ذلك ، وحصل أموالاً ، ثم إنه رأى رؤياً أوجبت له التوبة
والإقلاع ، فحج وترك الديوان ، ولازم المسجد والتلاوة ، وبقي على ذلك نحو عشرين
سنة ، وحصل له صمم ، وقوي به ، فكان لا يسمع إلا بمشقة ، وكان يحدث من لفظه .

* الدرر : ٧٦/١ .

(١) أيوب بن عمر بن علي بن مقلد الحامي الدمشقي المعروف بابن الفقاعي . (ت ٦٦٦ هـ) ، للنهل
الصافي : ٢٢٧/٣ .

(٢) مظفر بن عبد الكريم أبو منصور الدمشقي (ت ٦٦٧) ، الشذرات : ٣٢٥/٥ .

(٣) لم تتبين المقصود .

(٤) في الدرر : « الجيش » ، تحريف ، والحشر ديان مختص بوراثة من لا وراث له ، أو من ترك زوجة
وبنتاً فقط ، يعطيها ما فرض لها ، ويأخذ الباقي ، معجم الألفاظ التاريخية : ٦١ .

ومما قرأه (صحيحُ مسلم) و (الترغيب والترهيب) على ابن عبد الدائم وغير ذلك .

ومما انفرد به أنه قرأ (الكافية الشافية) على ابن مالك .
وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في شهر رجب سنة خمس وأربعين وست مئة .

٦٢ - إبراهيم بن يوسف *

القاضي الرئيس المؤتمن أمين الدين ناظر الجيوش بالديار المصرية .
كان متصفاً بالأمانة المُفَرطة ، مُلتحقاً بالعِفَّة التي من لم يَطَّلِع على أمره يعتقد أنها مغلطة ^(١) .

حاول السلطان الملك الناصر محمد أن يأخذه من أستاذه مرّات ، وتحيل عليه بأنواع من وعود الإحسان والمبرات ، فما وافق مخدومه ، ولا هو على ذاك ، وتحيد جهده ، وتحيل ، ولم يقع في تلك الأشرار .

وكان كاتباً خبيراً ، عارفاً بأمور الديوان بصيراً ، وعنده مشاركة في علوم ، وممارسة لما يتصف به أهل العلوم ^(٢) والفهوم ، وفيه سكون مفرط وعدم رهج ^(٣) ، وانجماع سلك به في الدهر فرد نهج ، وله عبارة إذا ترسل ، ومقاصد بليغة بها يتوصل إلى مرّاده ويتوسّل ، ما خدم عند أحد إلا وسّلم إليه قياده ، ورأى أن بيده صلاحه وفساده .

* الدرر : ٧٨/١ .

(١) (أ) ، (خ) : « منه مغلطة » .

(٢) (أ) : « العلوم » .

(٣) الرهج : الشغب .

ولي نظر الجيوش بالديار المصرية في أيام الملك الصالح إسماعيل^(١) ، فباشره بقَعْدُ وسكون ، وتقرر في ذهن أولياء الأمر أنه مهما رآه هو الذي يكون . وكان محظوظاً في خدمه^(٢) ، والسلام والأمانة ، نِعَمَ العون لأرباب السيوف والأقلام .

ولم يزل إلى أن بلغ نهاية أمدّه ، وتفرد في قبره بمعتقده .

وتوفي رحمه الله تعالى في المحرم سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

وكان في أول أمره يكتب عند الأمير سيف الدين بَكْتُمُر الحاجب^(٣) بدمشق ، ولما توجّه إلى مصر أخذه معه ، وهناك أسلم ، وكان أولاً سامرياً ، وكان يميل إلى عقله ، ويعتمد على تصريفه ، ولما أمسك الحاجب أخذه الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار الناصري^(٤) ، فمال إليه ، واعتمد عليه . ولما مات أرسلان أخذه الأمير سيف الدين طَشْتَمَر حِمَصْ أخضر^(٥) عنده ، فدخل إليه وعلى الأمير جملة من الديون^(٦) ، فما كان عن قليل حتى وقى ديونه ، وجعل في خزانته جملة من الحاصل ، فأحبّه وزاد في تعظيمه وإكرامه ، ولما عاد الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب إلى الديار المصرية بعد نيابة صفد أراد عودَه إليه ، فتعذر ذلك ، ودخل طَشْتَمَر إلى السلطان ، وسأله في إبقائه عنده ، فرسم له بذلك ، ولكن بقي أمين الدين . يتردد إلى باب الحاجب كل قليل ، وما جَسَرَ على مقاطعته ، وأراد السلطان الملك الناصر مرات أن يأخذه ويستخدمه في نظر الدولة أو غير ذلك من الوظائف ، فدخل طَشْتَمَر على الخاصكية المقربين في ذلك ، فيسألون له السلطان في ذلك ، وكان طَشْتَمَر ما يفارقه ، ولما أخرج لنيابة صفد

(١) إسماعيل بن محمد بن قلاوون ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) قوله : « في خدمه » ، ليس في : (أ) ، (خ) .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) في الأصل : « الديوان » : تحريف .

أخذه معه . ولما توجه إلى حلب أخذه معه . ولما دخل البلاد الرومية أخذه معه إلى الروم . ولما عاد منها عاد معه إلى مصر ، ولما مات طشتر رحمه الله طلبه الأمير سيف الدين قماري^(١) أخو بكتر الساقى ، وكان في الأيام الصالحة أستاذ الدار^(٢) فأقبل عليه إقبالاً زائداً ، وعظمه ، ولما مات جمال الكفاة ، ولآه الصالح إسماعيل نظر الجيش ، فأقام فيه إلى آخر أيام الصالح . ثم إنه حضر إلى القدس وأقام به ، وأوقف عليه قرية تعمل في السنة بمبلغ ، وحضر في أثناء ذلك إلى دمشق ، ثم توجه إلى القدس . وأقام به ، ولما أفرج عن الأمير سيف الدين شيخو^(٣) ، وأعيد إلى مكانه ، طلبه إلى مصر ، وجعله ناظر ديوانه ، وكان عنده في الذروة من الواجهة ، واستمر عنده إلى أن مات رحمه الله في التاريخ ، والله أعلم بسريره ، فإن الناس كانوا يهتمونه في دينه .

وكتبت إليه وأنا بالقاهرة في سنة خمس وأربعين وسبع مئة أقمضاه نجاز منشور بإقطاع لابن أختي :

عجب الناس إذ جعلتك قصدي دون قوم ما فضلهم بمين
قلت رأي الرشيد للخير هاد إذ غدا واثقاً بخير أمين

٦٣ - إبراهيم القاضي جمال الدين جمال الكفاة*

ناظر الدولة والجيش والخاص ، هو ابن خالة القاضي شرف الدين النشؤ ، والنشؤ هو الذي استسلمه واستخدمه مستوفياً^(٤) في الدولة ، ثم إنه استخدمه عند الأمير

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) في الأصل : « أشاد الدار » ، تصحيف ، وفي (أ) ، (خ) : « أستاذ دار » .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .

* الوافي : ١٨٠/٦ ، والدرر : ٧٩/١ ، والنهل الصافي : ٩٦/١ .

(٤) المستوفي : موظف من كتاب الأموال بالدواوين . وانظر خبراً عن النشؤ في البداية والنهاية :

١٦٥/١٤ ، أحداث سنة (٧٣٢ هـ) .

سيف الدين بشتاك الناصري^(١) ، فلبث عنده مدة ، ثم إنَّ الناس رَمَوْا بينه وبين ابن خالته النشَو ، فوقعت بينهما المعادة الصعبة على سوء ظنٍّ من النشَو وزيادة توهم ، ولم يزل الأمر بينهما إلى أن أمسك النشَو ، ومات هو وجماعته تحت العقوبة على ماسيأتي في ترجمته .

وتولى جمال الكفاة نَظَرَ الخاصَّ ونَظَرَ الجيش ، ولم يَتَّفَق ذلك قبله لغيره^(٢) ، ولم يزل في عزٍّ وجاهٍ وتمشيةٍ حالٍ مَخْدومه بشتاك^(٣) إلى أن توفي السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وولي الملك ولده أبو بكر^(٤) ، وخَلَعَ وولي الأشرف كُجُك^(٥) ، وخَلَعَ وهو على حاله ، وأحبَّه قَوْصُونَ^(٦) ، وبالع في إكرامه ، ثم حضر الناصر أحمد من الكرك ، واستمر به على حاله ، وأخذه معه إلى الكرك ، وأقام عنده ، فلما تولى الملك الصالح إسماعيل وهو في الكرك [بقي ^(٧) مدة ووظيفته^(٨)] ليس بها أحد ، فتولى مكين بن قروينه^(٩) الجيش ، وبقي أخو جمال الدين - الكفاة - في الخاص^(١٠) يسده إلى

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .

وفي المنهل الصافي ٣٧٢/٣ : « وبَشْتَك : بفتح الباء الموحدة من تحت وترقيقها ، وسكون الشين المعجمة ، وبعدها تاء مثناة من فوق مفتوحة ، وكاف ، ومعناه باللغة التركية : خمسة لاغير ، وصوابه في الكتابة : بش تك ، انتهى » .

(٢) « لغيره » ، ليست في (أ) ، (خ) .

(٣) (أ) ، (خ) : بمخدومه .

(٤) أ : « وولي ولده الملك المنصور ، والمال واحد » . وستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٧) زيادة يستقيم بها اللفظ ، قريبة مما في الوافي .

(٨) في الأصل : « ووظيفاه » ، تحريف . وعبارة المنهل : « وبقي مدة ووظائفه ليس بها أحد لغيره مع السلطان » .

(٩) انظر خبره البداية والنهاية : ١٦٥/١٤ ، أحداث سنة ٧٣٢ هـ .

(١٠) عبارة الوافي : « وجعل أخو جمال الدين جمال الكفاة في الخاص » . وفي المنهل : « وجعل أخو جمال الكفاة في الخاص ليسده إلى أن يحضر » .

حين حضور أخيه ، فلما حضر جمال الكفاه من الكرك تسلم وظيفتيه في الجيش والخاص ، وبقي كذلك مُدَّةً وأضيف إليه نظر الدولة أيضاً ، وصار هو عبارة عن الدولة ، ثم إنه أمسك وحمل شيئاً من الذهب تحت الليل وأفرج عنه ، وخُلع عليه ، وأعيد إلى وظائفه ، ثم إنه أمسك ، وفعل كالمرة الأولى ، ثم أخرج عنه ، وأعيد ، وتمكّن من السلطان الملك الصالح إسماعيل ، وعَظُم عنده ، وكتب له الجناح العالي ، ولم يُكتب ذلك إلا للوزير ، ثم رَسِمَ له بِإِمْرَةٍ مئة ، وتقدمة ألف^(١) ، وأن يلبس الكَلَوْتَه^(٢) ، ويلعب الكرة^(٣) مع السلطان في الميدان ، فما كان إلا وهو في هذا الشأن ، هل يقبل ذلك أو لا حتى عُمِلَ عليه ، وأمسك هو وجماعة من مبشري الدولة ، فتوهها كالواقعة التي قبلها ، فقتل هو بالمقارع^(٤) وولده إلى أن مات هو تحت العقوبة ، ورَمَوْهُ بأمور الله أعلم بصحتها من فسادها .

وكان في أول أمره عند الأمير علاء الدين طَيِّبًا القاسمي^(٥) كاتباً ، ومدة مباشرته الخاص وما معه ست سنين .

وكان رحمه الله تعالى حسن الشكل ، مليح القامة ، حلو الوجه ظريف العلامه ، يتحدث بالتركي جيداً ، ونَمَ في ذلك اللسان^(٦) عن فصاحته متحيداً ، وما كتب أحدٌ أقوى من علامته ولا أكبر ولا أحسن ، ولا أقعد من حروفها ولا أمد ولا أمتن ، بزته مليحة ، وعبارته^(٧) فصيحة ، وفكرته متسرعة ، وخبرته عن صحة ذهنه مُتَفَرِّعة ،

(١) « وتقدمة ألف » : ليست في : (أ) ، (خ) . وفي المنهل : « ثم إنه رسم له بإمرة ألف وتقدمة وأن يلبس الكلفته » .

(٢) في (أ) ، (خ) : « الكلفتا » .

(٣) في (أ) بالكرة .

(٤) (أ) ، (خ) : « هو وولده بالمقارع » .

(٥) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) (أ) : « الشأن » .

(٧) في الأصل : « وعبرة » ، وأثبتنا ما في (أ) .

وشجاعته بالإقدام مَتَدَرَّة ، وهمته عن الرذائل مُتَوَرِّعة ، مع لطف عشرة ، وظرف تنديب^(١) يُرْقِص إذا أبدى^(٢) بِشَره ، يحبّ الفضلاء ويدنيههم ، ويعينهم بالجدد ويُغْنِيهم ، يقضي أشغالهم ، ويحمل أثقالهم ، وكان يُوَلِّع بفنّ التصحيف ، ويأتي فيه بالرائق الظريف ، قال يوماً ونحن جلوس في دار ابن خالته ، وهو ما هو في عظمتها وجلالته ، وقد جرى^(٣) تصحيف عجيب ، بين مُبْتَدِي ومجيب ، فقال لي : هو مجبل^(٤) يُشْنِق ، فما مرّت بأذن أحدٍ إلّا وأطرق ، وغاص في بحرهما واستغرق ، وقت أنا إلى الطهارة لقضاء ما لا بد منه ، ولا غنى لكل أحد عنه ، وخاطري بما قاله متعلق ، وبرق فهمها غير متألق ، وفي ذهابي ملت إلى قلبها وتصحيفها فظهرت لي فائدة تأليفها ، فعدت إليه قبل ذهابي ، وأسرت إياي ، وقلت له ما ظهر لي في حلّها ، وسقيته من وبلّها وطلّها . فقال : يا مولانا ! كنت صبرت إلى أن قضيت شغلك ، وأتيت بما وسع فضاءك وفضلك . فقلت : حلاوة الفهم ، أنهلتنى عن رشق هذا السهم .

وكان جمال الكفاة رحمه الله تعالى في آخر أمره ، ونفاة قدره ، قد سلك مسلك كريم الدين الكبير في اقتناء المماليك الأتراك ، وأكثر^(٥) من جباها في العقود والأسلاك ، قد تأنق في ملابسهم الفاخرة وتجديدها ، وتحلية مناطقهم التي علائقها يُطرب تغريدّها ، ولما هلك تحت العقاب ، وحمل فوق الجنوية^(٦) على الرقاب ، حزن لذلك أوداؤه وشمّت بمصابه أعداؤه ، وذلك في أوائل صفر سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

(١) التذنب : الخفيف في الحاجة ، الظريف النجيب .

(٢) (أ) : « بدا » .

(٣) (أ) ، (خ) : « جرى لهم » .

(٤) (أ) ، (خ) : « فقال هو لي » . وفي الأصل : « مجبل » تحريف .

(٥) (أ) ، (خ) : « وكثر » .

(٦) (أ) ، (خ) : « وحمل على الجنوية فوق الرقاب » .

وقلت أنا فيه :

عجبتُ من أمر جمال الكفاهُ وكوْنِه راحَ ثيال العُفاهُ
 في ليلة زالت سعادته عنه إلى أن رَحَّمته عِداه
 تكَلَّمْتُ أجْنابه وهو ما يقول في آلامه غير آه
 وكيف لا يَصْرُخُ مَنْ جَنْبَه فَتَحَه ضربُ الغواني شفاه^(١)

٦٤ - إبراهيم الحايك*

وقيل : المعمار . وقيل : الحجار ، غلام النوري ، عامي ظريف ، وشاعر عربي من حُلِّ النحو والتصريف ، لكنَّ قريحته نظامية ، وطبَّاعه لبرود الشعر رقامة ، له ذوق قد شَبَّ عُمُرُه فيه عن الطوق^(٢) ، وتوريات تسير الثريا من تحتها وهي من فوق ، واستخدام له إلى تحريك الأعطاف وهزها شوق ، ونكت أدبية ما يبلِّ الفاضل^(٣) منها غلة الشوق ، ومقاصد غريبة أحسن من رُوق الشباب وما أحسنه من رُوق إلا^(٤) أن اللحن الخفي يخونه في بعض الأماكن وهو قليل ، وتصريف الأفعال يعرض عنه بلا دليل ، أما إذا ترك وعاميته في الأزجال والبلاليق^(٥) ، ونفض يده من القريض لم يكن له فيه تعاليق ، فإنه يأتي بالعجائب ، ويركب في طريق الإعجاب ، والإعجاز متون الصبا والجَنائب ، فما يلحقه في ذلك مجار ، ولا يُرْهقه مُبار ، ولا يطمع لاحق له في شق^(٦) غبار ، ولا أعلم له في ذلك نظيراً ، ولا استجليت في سماء فنه مثله قرأ منيراً .

(١) (أ) : « ضرب العوالي » .

* الوافي : ١٧٣/٦ ، وفوات الوفيات : ٥٠/١ ، والدرر : ٤٩/١ ، وبدائع الزهور : ج ١/١ ق ١/ص ٥٢٧ ،

والنهل الصافي : ١٨٨/١ ، وفيه : « إبراهيم الحائك » .

(٢) في المثل : شبَّ عُمُرُه عن الطوق .

(٣) يورِي بالقاضي الفاضل ، وهو صاحب اختراعات أدبية .

(٤) (أ) : « لأن » تحريف .

(٥) البلاليق : من الأنواع الشعرية المستحدثة .

(٦) شق : ليست في (أ) ، (خ) .

وكان فقيراً متخلياً ، وأميراً في نفسه بالتحول مُتَحَلِّياً ، يُعْرَضُ عن الأكبر ، ويعد أهل^(١) الدنيا عنده في أهل المَقَابِر^(٢) ، قد لزم القناعة ، وأرخى على وجه الصبر قِنَاعَةً ، فهو في « باب اللوق » سابق غير مسبوق ، وفي ساحات الناشر سلطان من ينادم أو يعاشر ، قد هذبه زَمَانُهُ ، وأطلق في الراحة عِنَانُهُ ، يكتفي بالبلاغ ، وَيَجْتَزِي^(٣) بِمَا لَهُ في الحَلْقِ مَسَاغ .

ولم يزل في عالم^(٤) إطلاقه ووميض برقة وابتلاقه^(٥) ، إلى أن خرب من المعمار رُبْعَ الحياة ، وعفر التراب مَحْيَاه .

وتوفي رحمه الله تعالى في طاعون مصر سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، بعدما نظم في الطاعون قبل موته ، وأنشد قبل فوته :

يَا مَنْ تَمَى الْمَوْتَ قَمْ وَاعْتَمِ هَذَا أَوَانُ الْمَوْتِ مَافَاتَا
قَدْ رَخَصَ الْمَوْتُ عَلَى أَهْلِهِ وَمَاتَ مَنْ لَا عُمْرَهُ مَاتَا

وكان قد كتب إليّ لما وردت^(٦) القاهرة في خمس وأربعين وسبع مئة في زمن الملك الصالح إسماعيل قدّس الله روحه^(٧) :

وَاقَى صَلَاحَ الدِّينِ مِصْرًا فِيمَا نَعَمَ خَلِيلٌ خَلَّهَا بِالْفَلَاحِ
فَلَيْتَ هِيَ الْإِقْبَالُ إِذْ أَصْبَحَتْ بِالْمَلِكِ الصَّالِحِ دَارَ الصَّلَاحِ^(٨)

(١) (أ) ، (خ) : « أبناء » .

(٢) في الأصل : « مقابر » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) .

(٣) (أ) : « يشتري » .

(٤) « عالم » : ليست في (أ) .

(٥) يقال : ابتلق الطريق : وضع .

(٦) (أ) : لما ورد إلى ، وما في الأصل يوافق الوافي .

(٧) ماسيأتي من هذه الأشعار أثبتته للمؤلف في الوافي .

(٨) وهما في النهل الصافي : ١٨٩/١ .

فكتبت أنا الجواب إليه :

خليل في الشام هلال بدا
وَبَدَّرَ إبراهيم في مصر لاح
ذا كامل من حيث ذا ناقص
وذاك بُرْهَانٌ وهذا صلاح
ومن شعره ، وفيه لحن يسير :

وصاحب أنزل بي صَفْعَةً
فاغتظت إذ ضَيَّع لي حُرْمَتِي
وقال في ظهرك جاءت يدي
فقلت لا والعَهْدُ في رقبتي^(١)
ومنه :

ومُفَنَّنٌ يَهْوَى الصَّفَا ع
ولم يكن إذا ذاك فَنِّي
مَلَكْتُهُ عُنْقِي الدَّقِيقِ
فراح يَنْخَلُـهُ بِغَيْنِ^(٢)
ما كان مني بِالرَضَى
لكنـهُ من خَلْفِ أذُنِي
لولا يَدٌ سَبَقَتْ لـهُ
لأمرتـهُ بِالْكَفِّ عَنِي
ومنه :

أيري إذا نـدبـتـه
في حـاجـة تنزل بي^(٣)
قام لها بنفسه
ما هو إلا عصي^(٤)
ومنه :

عابت أيري إذ جاء مُلتَثماً
بالخزي من علقه فما اكرثا^(٥)

(١) البيتان في المنهل : ١٨٩/١ .

(٢) في الوافي : « ينجله » ... وفي الفوات بعجن .

(٣) (أ) ، (خ) : « حاجة » . وفي المنهل : « حاجة تختص بي » .

(٤) (أ) ، (خ) : « قام إليها مسرعاً » ، والبيتان في المنهل : ١٨٩/١ .

(٥) (أ) : « بالخزي » .

بل قال لي حين لمته قسماً
كيف وفيها طهارتي وبها
وفيه :

لَمَّا جَلَّوْا لِي عروساً لست أطلبها
فقلت لما رأيت النهْد منتفشاً
ومنه :

قال لي العاذلون أنْخلك الحُ
أإذا صِرت من جفاهم عظاماً
مارأينا ولا سمعنا بهذا
ومنه :

قسماً بما أوليتُ من إحسانه
ورأيت مَنْ يُثني على عليائه
ومنه ، وفيه لحن وتحريف ^(٥) :

كلّفي بطبخ تنوّع حسنه
لكنْ مخافي من جفاه وكَمْ غدت
ومزاجه للعاشقين يوافق
منه قلوب في الصدور خوافق ^(٦)

(١) في الأصل : « وأدفع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .

(٢) في الأصل : « منتعشاً » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) ، الوافي .

(٣) فيه اقتباس والآية [الإسراء ١٧/٥٠] .

(٤) (أ) ، (خ) : على إحسانه .

(٥) قوله : « وفيه لحن وتحريف » ، ليس في (أ) .

(٦) البيتان في المنهل : ١٩٠/٨ .

ومنه وفيه لحن ظاهر^(١) :

في خـدِّ مَنْ أَحْبَبْتَهُ وردُّ جَنِّي أَجْنَسُهُ
وشامةٌ ذقت لها حلاوةً في صَخْنِهِ
ومنه :

لـجّ العـذول ولا مـني فين أحبُّ وعَنَفُـا
فهممت أَلْطَمُ رَأْسُهُ مما ملئت تأسفاً^(٢)
لكنها زلقت يـدي نَزَلْتُ على أَصْل القفا
ومنه ، وفيه عيب التضمين^(٣) :

هَوَيْتُ طَبَّاحاً سَلَانِي وَقَدْ قلا فؤادي بعد ما رَدَّه
محترقاً ولم يزل بالجفا يَغْرِف لي أَحْضَ ما عِنْدَه
ومنه :

قالوا تَسَبَّبَ في الجَنائز واكتسب رزقاً تعيش به أَجَلَ حِياة
فأَجَبْتَهُمْ رَدّاً على أَقْوالِهِم أَرَأَيْتَ حَيّاً من الأَمْوات
ومنه :

شكـوت للحبِّ منتهى حُرْقِي وما أَلَاقِيه من ضنّ جَسَدِي
[قال تداوى بريقتي سحراً] فقلت يا بردها على كَبْدِي^(٤)
ومنه :

(١) قوله : « وفيه لحن ظاهر » ، ليس في : (أ) .

(٢) (أ) : « لَمَّا ملئت » .

(٣) « وفيه عيب التضمين » ليس في : (أ) .

(٤) البيت من (أ) ، (خ) ، والوافي .

وَقَزَّازُ يُغَازِلُنِي بِحَاشِيَةِ لَهَا رَقِّهِ
أَبَيْتُ مُسْهِدًا مِنْهُ أَنْتِيرَ مِنْ جَوَى الْحُرْقَةِ
أَسْدِي تَحْتَ طَاقَتِهِ كَأَنِّي حَارِسُ الشَّقَةِ

ومنه :

يَا أَغْنِيَاءَ الزَّمَانِ هَلْ لِي جِرَائِمٌ عِنْدَكُمْ عَظَامُ
فَضَّتْكُمْ لَا تَسْهَوْنَ غَضْبِي فَلَا سَلَامَ وَلَا كَلَامَ
وَالْزَهْدُ لَعَيْنٌ لَا أَرَاهُ عَيْنِي مِنْ عَيْنِهِ حَرَامٌ^(١)

ومنه :

يَا قَلْبُ صَبْرًا عَلَى الْفِرَاقِ وَلَوْ رَوَّعْتَ مَنْ تَحَبَّ بِاللَّيْنِ^(٢)
وَأَنْتَ يَا دَمْعُ إِنْ ظَهَرْتَ بِيَا يَخْفِيهِ قَلْبِي سَقَطَتْ مِنْ عَيْنِي

ومنه :

مَتَى أَرَى الْمَحْبُوبَ وَاقِيَ بَالِهِنَا وَنَحْنُ فِي دَارٍ وَلَا وَاشَ لَنَا
أَيُّ ثَلَاثٍ مَالِهِنَ رَابِعٍ مِثَالِهِ الدَّارُ وَزَيْدٌ وَأَنَا

ومنه مواليا :

يَقِلُّ لَهَا زَوْجُهَا لَا تَخْتَشِي مِنْ لَوْمٍ وَلَا قَيِّ كُلِّ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَأَنَا الْكُومُ^(٣)
وَأَتَسَيَّبِي وَأَطْعِمِينِي أَبْقَ مِنْ ذَا الْيَوْمِ أَنْعَسَ وَأَرْقَدُ وَمِثْلِي مَا تَرَى فِي النَّوْمِ^(٤)

(١) (أ) : « لا تراه » .

(٢) (أ) : « رُميت » .

(٣) في الوافي : « يقول لها .. ولا تقي » .

(٤) قال ابن تغري بردي (١٨٩٧) : « وما أورده الصفدي هو الرديء من شعره فله أحسن من ذلك » .

ثم قال : « قلت : وديوان شعره مشهور ، وهو في غاية الظرف والرقّة ، وكان سريع البديهة » ، (١٩١٧) .

الألقاب والنعوت

- ☆ الإبراهيمي : الأمير سيف الدين بلبان الإبراهيمي . توفي بحماة .
- ☆ الأمير حسام الدين لاجين : أمير خازندار . توفي بالقاهرة .
- ☆ الأمير علاء الدين طيغنا الإبراهيمي : توفي بصغد .
- ☆ الأبلوج : الواعظ محمد بن عمر .
- ☆ الأبرقوهي : الشيخ شهاب الدين المسند أحمد بن إسحاق .
- ☆ ابن الأثير : عماد الدين إسماعيل بن أحمد ، وشمس الدين سعيد بن محمد ، وحفيده شمس الدين سعيد بن محمد ، والقاضي علاء الدين علي بن أحمد ، وكال الدين محمد بن إسماعيل ، وتقي الدين يحيى بن عبد الرحيم ، وابن الأثير الواعظ ، شمس الدين الحسين بن أسد . وابن الأثير الأرمني ، علي بن عبد الرحيم .

٦٥ - أحمد بن إبراهيم *

- ابن عبد الضيف بن مصعب الصدر نور الدين أبو العباس الخزرجي الدمشقي .
- قرأ القرآن على السخاوي ، وروى الحديث عن التقي اليلداني ، وكان نحوياً لغوياً أديباً ، له فضائل وعَمَلٌ واشتغال ، وكان من أرباب الأموال .
- كان فيه رئاسة وحِشْمَة ، وله في المكارم عَزْمَة وهِمَّة ، وعنده قوة نفس وزَعَارَة ^(١) ، وشم سرى فيه من نَفَس الوزارة ، وله أدب وقريض ، وفضل عريض .

* الوافي : ٢٢١/٦ ، وتالي وفيات الأعيان : ٢٨ .

(١) أي : شراسة .

لم يزل في حاله ، على صحته وانتحاله ، إلى أن هانت من ابن مصعب حياته ،
وتسلطت عليه من ثمرة الموت جُنَّاته^(١) .

وتوفي رحمه الله تعالى في شوال سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده سنة اثنتين وعشرين وست مئة .

ومن شعره ما كتبه في كمال الدين بن النجار وكيل بيت المال :

وكنا عهدنا أرض جَلَقَ رَوْضَةٌ بها الحُسْنُ يَجْرِي مُطْلَقاً في عنانه
خشينا بها عين الكمال تُصَيِّبُهَا فما زال حتى ساءها بلسانه

٦٦ - أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن *

الشيخ القدوة عماد الدين بن العارف الواسطي الشافعي الصوفي نزيل دمشق .

لقبى المشايخ وتَعَبَّدَ ، وترك الرئاسة وتزهد ، وقطَعَ العلائق وتجرَّدَ ، وكتب
النسوب حتى أَخْمَلَ الحقائق ، وأتى في طرسه بكل سطر على العقد فائق .

وكان يرتزق بنسخه ، ويتبَلَّغ منه بصيد فَخِّه ، ولا يحب الخوانق ، ولا الاحتجاز
ولو في دائق .

وتفقه للشافعي ، ونظر في (الروضة)^(٢) والرافعي^(٣) ، وكان عنده أدب يتحلَّى
بقلائده وتتجلَّى محاسنه في فرائده ، واختصر (دلائل النبوة)^(٤) ، و (السيرة لابن

(١) (أ) : على ثمره من الموت جناته .

* الوافي : ٢٢١/٦ ، وفوات الوفيات : ٥٦/١ ، والدرر : ٩١/١ ، والشذرات ٢٤/٦ ، والمنهل الصافي :
٢٢٠/١ ، وفيها جميعاً : شيخ الحزامية .

(٢) الروضة في الفروع للإمام النووي (ت ٦٧٦ هـ) .

(٣) في شرحه على الوجيز للغزالي .

(٤) لعله للبيهقي ، ولم يشر صاحب الكشف إلى هذا الشرح ، الكشف : ٧٦٠/١ .

إسحاق) مع القدرة والقوّة ، وتسلك به جماعة ، وألف الضراعة من الرضاعة ، ونابذ الاتحادية^(١) وأرباب المعقول ، وقال فيهم ما أحب أن يقول^(٢) .

عاش بضعا وسبعين سنة ، وعينه من الانقطاع عن الدنيا وسنة ، ولم يزل على حاله إلى أن التّقمته الأرض ، وأودعته بطنها إلى يوم العرّض .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى عشرة وسبع مئة بالبيارستان الصغير .

ومولده في سنة سبع وخمسين وست مئة بواسط ، ومن شعره ...^(٣) .

٦٧ - أحمد بن إبراهيم *

ابن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن عاصم .

الإمام العلامة المقرئ المحدث النحوي الحافظ المُنشئ ، عالم الأندلس .

طلب العلم في صغره ، وتلا بالسبع على الشيخ علي بن محمد الشاري^(٤) ، صاحب ابن عبيد الله الحَجري^(٥) ، وعلى إسماعيل بن يحيى الأزدي العطار^(٦) صاحب ابن حَسَنون^(٧) .

(١) عقيدة لبعض المتصوفة .

(٢) « أن يقول » : مطموس في الأصل .

(٣) كذا بياض في الأصل و (أ) .

* الوافي : ١٢٢/٦ ، والمنهل الصافي : ٢١٢/١ ، والدرر : ٨٤/١ .

(٤) (أ) : « الساري » ، تحريف ، والشاري هو الإمام الحافظ المقرئ المحدث علي بن محمد (ت ٦٤٩ هـ) ،

والسير : ٢٧٥/٢٣ ، وغاية النهاية : ٥٧٤/١ .

(٥) الشذرات : ٢٨٩/٥ .

(٦) (ت ٦٦٨ هـ) ، غاية النهاية : ١٧٠/١ .

(٧) محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حسنون الحميري الأندلسي مقرئ مشهور (ت ٦٠٤ هـ) ، غاية النهاية :

وسمع من سعد بن محمد الحفار^(١) ، ويحيى بن أبي الغُصن ، وإسحاق بن إبراهيم بن عامر^(٢) الطُّوسِي - بفتح الطاء - ، ومحمد بن عبد الرحمن بن جوهر^(٣) البَلْيسِي ، وإبراهيم بن محمد الكَمَاد^(٤) ، والوزير عبد الرحيم^(٥) بن عبد المنعم بن الغرس ، وأحمد بن محمد السراج^(٦) ، والمؤرخ أحمد بن يوسف بن فرتون^(٧) ، ومحمد بن أحمد بن خليل السكوني الكاتب^(٨) ، والقاضي محمد بن عبد الله^(٩) الأزدي ، والقاضي يحيى بن أحمد بن عبد الرحمن بن المُرابط^(١٠) ، والحافظ أبي يعقوب المحسائي ، وطائفة سواهم .

قال لي العلامة شيخنا أثير الدين رحمه الله : كان يحمر اللغة ، ويعلمني المنطق ، يعني النطق بها . وكان أفصح عالم رأيته ، وأشفقه على خلق الله تعالى .

وقال الشيخ شمس الدين الذهبي فيما أخبرني به : من مسموعاته (السنن الكبير) للنسائي سمعه من أبي الحسن الشاري بسماعه من أبي محمد بن عبد الله الحجري عن أبي جعفر البطروجي^(١١) سماعاً متصلًا بينه وبين المصنف ستة ، وعني بالحديث عناية

- (١) لم يذكره صاحب المنهل الصافي . كما لم يذكره ابن أبي الفصن .
- (٢) (أ) : « ابن أبي عامر » . وهو متوفى سنة (٦٥٠ هـ) . غاية النهاية : ١٥٥/١ ، وقيل (٦٥٥ هـ) .
- (٣) في الأصل ، والوافي (جرير) ، وهو تحريف وأثبتنا ما في أ ، والمنهل . وهو متوفى سنة (٦٥٥ هـ) ، كما في النهاية : ١٦٠/٢ ، وفي المنهل : « جوهر ، بجم مشبوبة بشين » .
- (٤) في الأصل : « الكباد » ، وفي أ : « العباد » ، تحريف ، وقد ترجم له الصفدي في الوافي : ١٢٠/٦ ، ووفاته سنة (٦٦٣ هـ) .
- (٥) في الأصل : « عبد الرحيم » والصواب ما أثبتناه ، كما في البغية : ٨٣/٢ ، والمنهل : ٢١٢/١ ، ومن مصنفاته : غريب القرآن . (ت ٦٦٣ هـ) .
- (٦) الأنصاري الأشبيلي المحدث (ت ٦٥٧ هـ) ، غاية النهاية : ١٠٢/١ .
- (٧) له الذيل على الصلة والاستدراك والإتمام (ت ٦٦٠ هـ) ، الأعلام للزركلي : ٣٧٤/١ .
- (٨) (ت ٦٤٦ هـ) ، الوافي : ١٢٠/٢ .
- (٩) في الوافي : عبيد الله ، وفي المنهل : « أبي عبد الله محمد بن عبيد الله الأزدي » .
- (١٠) في الوافي : « عبد الرحمن الرابط » . وهو متوفى سنة (٦٥٨ هـ) .
- (١١) في الأصل : « البطروجي » ، تصحيف ، وهو : أحمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٤٢) ، السير : ١١٦/٢٠ .

تامة ، ونظر في الرجال ، وفهم وأتقن ، وجمع وآلف . أخذ عنه أبو حيَّان وأبو القاسم محمد بن سهل الوزير ، وأبو عبد الله محمد بن القاسم بن رَمَّان ، والزاهد أبو عمرو ابن المرباط^(١) وأبو القاسم بن عمران السبكي^(٢) انتهى .

قلت : كان المذكور علامة عصره ، وفريدَ دهره ، ووحيد قُطره . هو في القراءات عالمها الدَّرب ، وبَحْرُها الذي يبعث دَرَّةً للمغرب .

وفي الحديث حافظه ، وجامعه إذا رأى غيره وهو لافظه .

وفي أسماء^(٣) الرجال جهيزها الناقد والساھر في شأنها وطرف النجم راقد .

وفي التاريخ قيم هذا الفن ، وقانص ماسنح منه وماعن . جمع تاريخاً ذيل به على ابن بشكوال في (الصَّلَة) ، وجعل النسخة بذلك إلى زمانه مُتَّصِلَة .

وفي النحو فريد فنونه المتشعبة ، وأفانينه المتلعبة ، نظرفيه ودَقَّق ، وبحث وحقق ، وحذف كثيراً من الفُضُول ومَرَّق ، وغاز قلوب مناظريه وحرَّق^(٤) .

وله مشاركة في أصولي الفقه والدين^(٥) ، وقوة نظرية فَتَّتْ في عَضْد الملحدین .

وكان صَبَّاراً على مِحْنَتِهِ ، واقفاً على أطلال الجَلْدِ ودمِنِهِ ، يضحك تبسُّماً ، ويشارك أصحابه في الخير مُقْسِماً ، وعنده ورع زائد ، وله^(٦) عقل إلى الصواب قائد . ارتحل

(١) في المنهل : « والزاهد أبو عمر ، وابن المرباط » ، وهو سهو . وهو محمد بن غنان بن يحيى بن أحمد بن عبد الرحمن الغرناطي أبو عمرو بن أبي عمرو ، توفي (٧٥٢ هـ) .

(٢) في الأصل : « عمر بن السبكي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والمنهل .

(٣) ليست في (أ) .

(٤) (أ) : « وخط قلوب مناظريه وخرَّق » .

(٥) (أ) : « في الفقه وأصول الدين » .

(٦) ليست في (أ) .

الناس إليه لاتساعه في العلوم ، ومدّ باعه في المعارف التي مَنْ شَبَّهَ فيها بالبحر فهو غير مَلُوم .

ولم يزل على هذه الطريقة المثلى ، وحقيقته الفضلى ^(١) ؛ إلى أن راح لـ « كان » ^(٢) خَبَرًا ، وشارك قومًا على البلى صبرًا .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وسبع مئة . وقيل : في شهر رمضان سنة سبع وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وعشرين وست مئة .

أنشدني من لفظه لنفسه شيخنا أبو حيان رحمه الله تعالى من قصيدة يشير إليه فيها :

جَزَى الله عَنَّا شَيْخَنَا وَإِمَامَنَا	وَأَسْتَأْذِنَا الْبَحْرَ الَّذِي عَمَ فَائِدُهُ ^(٣)
لَقَدْ أَطْلَعْتَ حَيَّانَ أَوْحَدَ عَصْرِهِ	فَلِلْغَرْبِ فَخْرٌ أَعْجَزَ الشَّرْقَ خَالِدُهُ
مُؤَرِّخُهُ ، نَحْوِيَّهِ ، وَإِمَامُهُ ،	مُحَدِّثُهُ جَلَّتْ وَصَحَّتْ مَسَانِدُهُ
إِذَا جَاهِلٌ يَغْشَاهُ فَهُوَ مَفِيدُهُ	وَإِنْ أَمَلٌ يَعِشُو إِلَيْهِ فَرَاغُهُ ^(٤)

٦٨ - أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن راجح *

الإمام نجم الدين ابن الشيخ عماد الدين ابن القاضي نجم الدين بن الشهاب المقدسي الحنبلي ، سبط الشيخ شمس الدين بن أبي عمر .

(١) قوله : وحقيقته الفضلى ، ليست في (أ) .

(٢) (أ) : « فكان » .

(٣) (أ) : « الخير » .

(٤) (أ) : « فوائده » .

* الوافي : ٢٢٢/٦ ، والدرر : ٨١/١ .

تفقه واشتغل ، ودأب ولكن ما أتم العمل ، وحصل له جنون ، وانخراط بلا عقل في فنون ، وكان يقف في الطرق ، وينشد أشياء مفيدة ، ويحكي أشياء قديمة وجديدة ، ويخلط الجد بالهزل ، ويساوي بانحرافه بين الولاية والعزل ، وينبسط على المُرْد الذين ماتَدَبَّجَتْ خدودهم ، ولا تسيجت بأس العذار ورودهم ، ويشحذ في كفه ويحط في فكّه ، ويجوز زغل ديناره على من يجهله ^(١) من غير حَكّه .

وكان له تلاميذه وَرَبُون ^(٢) ، وحريه زبون ^(٣) ، ثم إنه يثوب إليه عقله ، ويجلو سيفه من صدأ ^(٤) به صقله ، فعل ذلك مرات ، واعتمده كرات .

ولم يزل على ذلك إلى أن خنقته يد منونه ، في وسط جنونه ، وتوفي رحمه الله تعالى في سنة عشر وسبع مئة .

ومولده في نحو ستين وست مئة .

وهو أخو المقتي شمس الدين الحنبلي نزيل مصر . قال الشيخ شمس الدين : كان يأكل الحشيشة .

٦٩ - أحمد بن إبراهيم بن صارو*

شهاب الدين أبو العباس البعلبكي ، نزيل حماة .

طلب الحديث في الكبر ، وسمع من المزي ^(٥) ، وزينب ^(٦) ، وأبي العباس

(١) (أ) : « يجوز على ديناره على من يجهله » .

(٢) من المواربة ، وهي الداهاة والخاتلة .

(٣) الحرب الزبون : هي التي يدفع بعضها بعضاً كثرة .

(٤) في الأصل و (أ) : « صدأته » ، ولعل ما أثبتناه أقرب إلى السياق .

* الدرر : ٩٠/١ .

(٥) يوسف بن عبد الرحمن ، وستأني ترجمته في موضعها .

(٦) هي زينب بنت الكمال (ت ٧٤٠ هـ) ، ذيل العبر ٢١٣ ، الدرر ١١٧/٢ ، والشذرات ١٢٦/٦ .

الجزري^(١) ، وعدة . وتلا بالسبع على الجعبري^(٢) .

كان له ذوق في العلم ، وطوق تحلى به من الحلم^(٣) ، وله شعر يُظن أنه سحر . نزل بحماة . وجعلها بعد بعلبك حماة .

ولم يزل يتقلب مع دهره ، ويتبرّض بحلوه وبمرّه^(٤) ، إلى أن حلّ به الموت ، ونزل به الفوت .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وأربعين وسبع مئة بحماة .

ومولده سنة عشر وسبع مئة .

ومن شعره : ...^(٥)

٧٠ - أحمد بن إبراهيم*

ابن عبد الغني شمس الدين قاضي القضاة الحنفي بالديار المصرية ، المعروف بالسروجي .

كان فاضلاً في المذهب ، يُغير ذهنه على المعضلات وينهب ، والعُدُول يلتفعون^(٦) به ، ويتسكون بسببه ، عدل جماعة ، وأغناهم عن المجاعة . ولم يُسمع أنه ارتشى ،

(١) أحمد بن يحيى بن محمد (ت ٧٢٨) ، الشذرات : ٨٦/٦ .

(٢) إبراهيم بن عمر الجعبري المقرئ (ت ٧٣٢ هـ) ، الدرر : ٠/١ ، والشذرات : ٩٧/١ .

(٣) (أ) ، (خ) : « في الحلم » .

(٤) (أ) ، (خ) : « ومرّه » .

(٥) كذا بياض في الأصل .

* تالي وفيات الأعيان : ٨ ، والبداية والنهاية : ٦٠/١٤ ، والدرر : ٩١/١ ، والمنهل الصافي : ٢٠١/١ ،

وأعلام الزركلي : ٨٦/١ .

(٦) في (أ) : « ينتفعون » .

ولاراقب جاهها^(١) ولا اختشى ، ذاهمة وافرة ، وكلمة على الحق متضافرة ، له مشاركة جيدة في النحو والتصريف ، يطرز بها دُرُوسه^(٢) ، ويُجَلِّي بها في المحافل عروسه^(٣) .

شرح (الهداية) في مذهبه شرحاً كبيراً^(٣) ، وحشاها من الفوائد^(٤) لؤلؤاً كثيراً ، ولكن ما كمله ، ولا غشاه بالتممة ولا زملته ، وكان فيه سباحة ، وميل إلى الجود ورجاحة .

دَرَس بالصالحية^(٥) ، والناصرية^(٦) ، والسيوفية^(٧) ، والأركسية ، والجامع الطولوني ، وعزل غير مرة بالقاضي حسام الدين^(٨) وأعيد ، وزان بذلك صناعة التردد ، ولم يزل حاكماً إلى ان عاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك ، فعزله لما في نفسه من القضاة ، وأظهر لذلك عذراً ، وإنما كان قد أَسْرَأمراً في نفسه وقضاه ، فتألم الشروجي ، وبات^(٩) لبيل من الهم دَجُوجي^(٩) ، وأظهر القناعة بتدريس الصالحية والإقامة فيها ، ومنى النفس بالعودة^(١٠) ، وتلا آيات تلافيها ، فأخرجه ابن

(١) في الأصل : « جاهلاً » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) قوله : « يطرز بها ... عروسه » ليس في (أ) .

(٣) سماه الغاية ، وهو في مجلدات ، ولم يكمله ، وكَلَّه القاضي سعد الدين محمد الديري (ت ٨٦٧ هـ) ، الكشف : ٢٠٣٣/٢ .

(٤) (أ) : « الفرائد » .

(٥) الصالحية في القاهرة ، بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة (٦٤١ هـ) ، النجوم : ٣٤١/٦ .

(٦) الناصرية في القاهرة بموارقة الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب ، خطط المقرئ : ٤٠٠/٢ .

(٧) المدرسة السيوفية في القاهرة ، أوقفها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة (٥٧٢ هـ) ، وهي أول مدرسة أوقفت على الحنفية بمصر ، (حاشية المنهل ٢٠٥/١) .

(٨) أحمد بن الحسن الرازي ، ستأني ترجمته في موضعها .

(٩) (أ) : « ونام » .

(١٠) (أ) : « بالعود » .

الحريري منها بالنقباء ، وأشمتَ به قلوب الحسدة والرقباء ، فزاد به الألم ، ومرض فجف من حياته ريق القلم .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة عشر وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وثلاثين وست مئة^(١) .

٧١ - أحمد بن إبراهيم الخطيب شهاب الدين السنجاري*

[خطب]^(٢) بكفر مذيراً .

سمع بمصر وبالثغر من أصحاب السبط ، وحصل من ذلك درر السبط ، وسمع بدمشق أشياء ، وأدرك بذلك منزلة علياء . وله نظم جوده ، وفضل تَعَوُّده .

لم يزل على حاله إلى أن ذوى عوده ، وتقلصت من الحياة بروده .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة في سن الكهولة .

ومن شعره ...^(٣)

٧٢ - أحمد بن إبراهيم بن سباع بن ضياء**

الإمام المقرئ النحوي ، المفيد البارع ، الخطيب شرف الدين أبو العباس الفزاري الصعيدي الدمشقي الشافعي خطيب الجامع الأموي بدمشق .

(١) في المنهل : « مولده بثونة : بليدة من عمل سروج في سنة سبع ، وقيل : تسع وثلاثين وست مئة » .

* الدرر : ٨١/١ .

(٢) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٣) يياض في الأصول .

** تالي وفيات الأعيان : ١٠ ، والدرر : ٨٩/١ ، وغاية النهاية : ٣٣/١ ، والبغية : ٢٩٢/١ ، والشذرات :

١١/٦ ، والبداية والنهاية : ٣٩/١٤ ، وعقد الجمان ٤١٣/٤ ، وفيات (٧٠٥ هـ) .

تلا القرآن بثلاث روايات على السخاوي ، وسمع منه كثيراً ، وتلا بالسبع على غير واحد .

وأحكم العربية على مجد الدين الإربلي^(١) ، قرأ عليه (المفضل) .

وسمع من عتيق السلمي^(٢) ، والتاج القرطبي^(٣) ، ونجم الأمناء عبد الرحمن ، وابن الصلاح^(٤) ، وطائفة . ثم طلب الحديث بعد سنة ستين وست مئة ، وأكثر عن ابن عبد الدايم والكرماني^(٥) وابن أبي اليسر ، وقرأ الكتب الكبار ، وقرأ المسند على شيخ الشيوخ ، وحدث بالصحيح بإجازته من ابن الزبيدي^(٦) .

وولي مشيخة الرباط الناصري^(٧) ، ومشيخة التربة العادلية^(٨) مدة .

وولي خطابة الجامع بالشاغور^(٩) ، ثم نقل إلى خطابة الأموي ، وكان قرأ على الكراسي ، وحدث (بالسنن الكبير) للبيهقي ، وسمع (شرح الشاطبية) من السخاوي .

وقرأ عليه العربية الشيخ برهان الدين ابن أخيه ، والشيخ كال الدين ابن شُهَيْبَة ،

(١) أبو عبد الله الحسين إبراهيم اللغوي (ت ٦٥٦ هـ) ، السير : ٢٣/٣٥٤ ، والوافي : ١٢/٣١٨ .

(٢) عتيق بن أبي الفضل السلمي المقرئ (ت ٦٤٢ هـ) ، العبر : ١٧٧/٥ .

(٣) هو محمد بن أحمد بن علي القرطبي (ت ٦٤٢ هـ) ، العبر : ١٧٩/٥ .

(٤) عثمان بن عبد الرحمن ، أبو عمرو (ت ٦٤٢ هـ) ، السير : ٢٣/١٤٠ .

(٥) بدر الدين عمر بن محمد (ت ٦٧٩ هـ) ، العبر : ٢٨٩/٥ .

(٦) سراج الدين ، أبو عبد الله الحسين بن المبارك (ت ٦٣١ هـ) ، السير : ٢٢/٣٥٨ .

(٧) بسفح جبل قاسيون ، داخل دار الحديث الناصرية ، الدارس : ١٩٣/٢ .

(٨) وتعرف بالتربة العادلية البُرائية ، غربي دار الحديث الناصرية البُرائية بدمشق ، الدارس : ٢٦٠/٢ .

(٩) من أحياء دمشق إلى اليوم ، إلى الجنوب من المسجد الأموي .

والشيخ نجم الدين القَحْفَازِي^(١) . وتلا عليه الشيخ بدر الدين بن بُصْحَانَ^(٢) والشيخ محمد بدر الدين البالسي^(٣) .

وكان مليح القراءة ، ظاهر الوضاعة ، عذب العبارة ، لطيف الإشارة ، حَسَن النِّعْمَةِ ، يعد الناس سماعه نِعْمَةً ، سريع السرد ، يَشْهَدُ له الذوق أنه في فنّه قَرْدٌ ، محرّر الألفاظ مجوِّدها ، معلّى قَدْرُ الخطابة مُسوِّدها ، عديم اللحن والتحريف ، بصيراً بالنحو والتصريف . تخرّج به جماعة صاروا بعده أشيخاً ، وكانوا وهو في فريضته فراخاً ، وله في التواضع أخبار ، وفي الأسماع منه أسمار ، مع التودد المفرط ، والكَيْس والدَّعابة ، والخشوع والزهد والإنابة ، وصِدْقُ اللهجة والمروءة التي يسمح فيها ببذل المهجة . ولم يزل على هذه السبيل المرضية إلى أن انجزم فِعْلُهُ ، وانصرم فضله .

وتوفي رحمه الله تعالى في شوال سنة خمس وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاثين وست مئة^(٤) .

وكان قد باشر مشيخة دار الحديث الظاهرية في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وسبع مئة عوضاً عن الشيخ شرف الدين الناسخ^(٥) .

٧٣ - أحمد بن إبراهيم*

ابن أبي بكر بن إبراهيم بن عبد العزيز ، الفقيه الفاضل شهاب الدين بن محمد^(٦) الجزري الشافعي .

(١) علي بن داود ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) محمد بن أحمد ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) عمر بن محمد بن عمر ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) (أ) : « ثلاث وست مئة » .

(٥) هو عمر بن محمد بن عمر بن حسن بن خواجا (ت ٧٠٢ هـ) . وستأتي ترجمته .

* لم نقف على ترجمة له ، وخلصت من ترجمته (خ) .

(٦) (أ) : « ابن مجد الدين » .

حصل تحصيلاً جيداً ، ولم يكمل الثلاثين سنة . وأكثر من المحفوظات في الفقه والأصليين والنحو وغير ذلك .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : سمع بقراءتي كثيراً من الحديث ، وكان يحفظ أسماء مسموعاته وشيوخه ، ويذاكرني بها .

توفي رحمه الله تعالى في شهر المحرم سنة سبع مئة .

ومولده في شهر ربيع الآخر سنة سبعين وست مئة .

٧٤ - أحمد بن إبراهيم بن معضاد بن شداد*

الشيخ شهاب الدين الجعبري .

توفي ليلة الجمعة خامس جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبع مئة . وصلي عليه بجامع الحاكم بالقاهرة ، ودفن عند قبر والده ظاهر باب النصر .

٧٥ - أحمد بن إبراهيم بن يوسف بن شرف**

القاضي الإمام العالم الفاضل جمال الدين أبو العباس العثماني الدِّيَّاجي المُلَوِّي المعروف بالمنفلوطي .

كان رجلاً مباركاً صالحاً خيراً . اشتغل وحصل ، ولازم الطريقة الحميدة ، وحج وجاور ، ولَمَّا قدم الشيخ علاء الدين القَوْنَوِي^(١) إلى دمشق قاضي القضاة ، قدم معه ، فولَّاه قضاء بعلبك ، فأحسن السيرة في أهلها ، فأحبَّوه ورأوا من عفاة وأمانته وديانته وصيانتِه ما لم يروه من حكم قبله ، ثم إنه نقله إلى نيابة الحكم بدمشق ، فباشرها إلى أن

* الدرر : ٩٦/١ .

** الدرر : ٩٧/١ ، وطبقات السبكي : ٧/٩ .

(١) علي بن محمود ، وستأني ترجمته .

توفي ، واستمر به قاضي القضاة علم الدين الإخنائي^(١) ، فباشر ذلك أياماً يسيرة ومات . وباشر أيضاً إعادة^(٢) الشامية البرانية ، وجلس بالجامع الأموي للإشغال ، وسمع (صحيح) البخاري على الحجاز^(٣) .

وتوفي رحمه الله تعالى في عاشر جمادى الأولى سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وثمانين وست مئة ، ودفن بالصوفية .

٧٦ - أحمد بن إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم بن شداد*

الشيخ الفقيه الإمام المقرئ ضياء الدين أبو الفضل ابن الشيخ الإمام الزاهد الورع شيخ القراء برهان الدين الإسكندري الشافعي إمام مشهد أبي بكر بجامع دمشق .

سمع من ابن عبد الدايم جميع (صحيح مسلم) حضوراً في الرابعة ، سنة ست وستين وست مئة ، ورواه عنه ، وسمع من ابن أبي اليسر ، والمجد بن عساكر ، والقاضي ابن عطاء^(٤) ، وابن النُشَبي ، وابن البن^(٥) ، والكمال ابن فارس^(٦) ، وطاهر الكحال^(٧) ، والشيخ شمس الدين ابن أبي عمر ، وابن البخاري^(٨) ، وجماعة ، وله ثبت وإجازات . كان يجلس مع الشهود .

(١) محمد بن أبي بكر الإخنائي (ت ٧٣٢) ، وستأتي ترجمته .

(٢) ليست في (أ) . والمدرة الشامية البرانية بدمشق ، أنشأها ست الشام بنت نجم الدين أيوب المتوفاة (٦١٦ هـ) ، الدارس ٢٠٨/١ .

(٣) أحمد بن نعمة بن حسن ، وستأتي ترجمته .

* الدرر : ٩٥/١ .

(٤) أحمد بن محمد ، وستأتي ترجمته .

(٥) لم تقف على ترجمته ، ولعله ابن الن ، انظر الشذرات : ٣٦٤/٥ .

(٦) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد (ت ٦٧٦) ، العبر : ٣٠٧/٥ .

(٧) (ت ٦٧٦ هـ) .

(٨) هو علي بن أحمد بن عبد الواحد السعدي المقدسي الصالحي (ت ٦٩٠ هـ) .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : رافقته في الحج ، وقرأت عليه بعدة أماكن .
وتوفي رحمه الله تعالى تاسع عشري شعبان سنة تسع وعشرين وسبع مئة .
مولده سنة ثلاث وستين وست مئة .

٧٧ - أحمد بن أحمد بن محمد بن عثمان *

الشيخ موفق الدين بن تاج [الدين]^(١) السعدي الشارعي .

سمع من جد والده جمال الدين أبي عمرو عثمان^(٢) ، وهو آخر من حدث عن جد أبيه بالسماع .

أخذ عنه الواني^(٣) وابنه ، وأقضى القضاة أبو الفتح السبكي^(٤) ، وشمس الدين السروجي^(٥) ، والشيخ تقي الدين بن رافع^(٦) ، وشهاب الدين أحمد بن أيوب^(٧) ، وسعد الدين الدهلي^(٨) . لحقه بآخر رَمَق . وله سماع من ابن البرهان^(٩) أيضاً ، لم يزل يُسَمِعُ الطلبة عليه ، ويجلس في دست المشيخة ، وهم بين يديه . إلى أن وافاه أجله ، وما أمهله أمّله ، وقد^(١٠) أجاز لي .

* الوافي : ٢٣٣/٦ ، والدرر : ١٠١/١ ، والشذرات : ١٢٠/٦ .

(١) زيادة من (أ) والوافي .

(٢) ويعرف بابن أبي الحرم السعدي المصري الشارعي الواعظ (ت ٦٥٩) ، السير ٣٥١/٢٣ ، والعبر : ٢٥٤/٥ .

(٣) في (أ) : « الفراقي » ، تحريف ، والواني هو علي بن عمر (ت ٧٣٧) ، الدرر : ٩٠/٣ .

(٤) محمد بن عبد اللطيف ، وستأني ترجمته في موضعها .

(٥) أحمد بن إبراهيم ، سلفت ترجمته .

(٦) صاحب الوفيات (ت ٧٧٤ هـ) .

(٧) ستأني ترجمته في موضعها .

(٨) ستأني ترجمته في موضعها .

(٩) محمد بن إبراهيم ، وستأني ترجمته في موضعها .

(١٠) (أ) : « وقد كان » .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

٧٨ - أحمد بن أحمد بن عطاء*

القاضي شهاب الدين الأذرعِيّ الحنفي وزير الشام .

حضر والده الحاج أحمد إلى دمشق ، وأقام بجبل قاسيون ، ونشأ ولده هذا بدمشق ، وكتب للأمير بدر الدين بَيْلُك الجاشنكير الحلبي^(١) في دولة الظاهر . وحنّا الأمير المذكور عليه ، لأنه ماهر . ثم إن الأمير قُطِعَ خُبْرُهُ ؛ لأنه ظهر عَجْزُهُ ، ورُمِيَ بالبرص . وقيل إن البعد منه يُفترَض ، فلازم شهاب الدين المذكور باب الأمير بدر الدين المسعودي نائب الأمير حسام الدين طرنطاي^(٢) ، فرتبه لمهمات الأمير زين الدين كتبغا^(٣) . فخدمه ، ونال بخدمته ما أُمِّلَ وابتغى ، فضمن له وإبتاع ، وارتاع بعض الناس منه والتاع ، ولما تَوَلَّى كتبغا النيابة بمصر كان شهاب الدين ناظر ديوان النيابة بالشام ، وأضيفت إليه الحِسْبة مع ذلك النظام ، فشرع في المشتري والعائر ، وأدار على الناس بذلك الدوائر ، وفي ضمن ذلك اشترى كثيراً لنفسه ، وتعدّى بذلك طَوْرَ أبناء جنسه ، فلما تملك كتبغا ، وحضر إلى دمشق سنة خمس وتسعين وست مئة ، والصاحب فخر الدين ابن الحلبي^(٤) معه ، رتب شهاب الدين المذكور في الشام وزيراً ، وقُدِّمَ على من كان كبيراً أو صغيراً ، فاقترح أن يكون المَشْدُّ معه فتح الدين ابن صَبْرَة^(٥) ، ولم يرض بشمس الدين الأعسر^(٦) رفيقاً ، وقال : هذا ثَبَّتت خيانتَه فما

* تالي وفيات الأعيان : ٣١ ، والدرر : ١٠٠/١ .

(١) (ت ٦٧٦ هـ) ، الشذرات : ٥٠١/٥ .

(٢) طرنطاي بن عبد الله العادلي (ت ٧٣١ هـ) ، والدرر : ٢١٧/٢ .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) ستأتي ترجمته في موضعها .

يسلك معي طريقاً ، فباشر الوزارة أياماً قلائل ، وظهرت لمخوله دلائل . ولما خلع كتبغا وهرب إلى دمشق وأقام بالقلعة ، وانفصل الحال ، وجَهَزَ إلى صرخد ، ولم يكن له إلى غيرها في ذلك الوقت مَنْقَدٌ ، تولَّى الأعسر الشدَّةَ ، وصار الأمر له في الإعطاء والمنع ، والقبول والردِّ ، فلم ^(١) يُقَابِلْ شهاب الدين إلَّا بالخير ، ولم يَلْحَقْهُ منه ضم ولا ضير ^(٢) ، مع زيادة الإحسان والفضل باليد واللسان .

ولما تقل كتبغا إلى حماة توجَّه ^(٣) شهاب الدين إليها ، ونزل بجملته عليها . ولما مات كتبغا التحق بالأمير جمال الدين الأفرم ^(٤) ، وأحرق نفسه في خدمته وأراه أنه من غيره أَقْدَرُ وأصرم ، وأشار عليه بعبارة الجامع الذي بالجبل ، وتولى من عمارته ما لا له به قِبَل .

ثم إنه مرض بالفالج ، وغلب في أمره الطبيب والمعالج ، إلى أن خطفته ^(٥) عَقَابُ المنايا ، وطأطأ في القبر لتلك الحنايا ، وفرق ^(٦) ما حصَّله ، ولم يلتئم شمل ما أَجْمَلَهُ ^(٧) وفضَّله .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي الحجة سنة ست وسبع مئة .

٧٩ - أحمد بن أحمد بن الحسين *

ابن موسى بن موسك بن جكو ، الشيخ المحدث شهاب الدين الهكاري .

(١) في الأصل : « لم » ، ولا يستقيم المعنى إلَّا بالعاطف .

(٢) قوله : « فلم يقابل ... ولا ضير » ، ليس في (أ) .

(٣) (أ) : « وتوجَّه » .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) (أ) : « اختطفته » .

(٦) (أ) : « وتمزق » .

(٧) في الأصل : « فصله » ، وأثبتنا ما في (أ) .

* ابن رافع : ٢٩٠/١ ، والنجوم : ٢٤٨/١ ، والدرر : ٩٨/١ ، وغاية النهاية : ٣٧/١ ، والسلوك : =

كان شيخ الإقراء بمدرسة المنصور^(١) بالقاهرة ، ونال بذلك النجوم الزاهرة ، ونزل له قاضي القضاة موفق الدين الحنبلي^(٢) عن مشيخة الحديث بالمنصورية فباشرها ، وحاش الفوائد للطلبة وحاشرها .

أخبرني الشيخ تقي الدين بن رافع أنه كتب (الكتب الستة) ، و (طبقات ابن سعد) . وكثيراً من أجزاء الحديث ، وعَلّق منها ما هو قديم ، وما هو حديث .

ولم يزل على حاله إلى أن عَلِق به مِخْلَب الحِمَام ، وتقل شهابه إلى الكسوف بعد التمام^(٣) .

وتوفي رحمه الله تعالى ثاني عشر جمادى الأولى سنة خمسين وسبع مئة بالقاهرة .
وتوفي عن ست وسبعين سنة .

٨٠ - أحمد بن إدريس بن محمد بن مُفَرِّج بن مُزَيَّر*

الشيخ الإمام الفاضل الرئيس المعمر تاج الدين أبو العباس بن تقي الدين الحموي الشافعي الكاتب .

سمّعه أبوه حضوراً سنة ست وأربعين وست مئة من صَفِيّة بنت عبد الوهاب القرشية^(٤) . وارتحل به وسمّعه من مكي بن علّان ، ومحمد بن عبد الهادي ، واليَلْدَانِي ،

= ٨١١/٣/٢ . والظاهر أن ابن الجزري قد خلط بين ترجمته وترجمة ابنه .

(١) المدرسة المنصورية بالقاهرة أنشأها السلطان الملك المنصور قلاوون سنة (٦٨٢ هـ) .

(٢) عبد الله بن محمد قاضي القضاة بالديار المصرية (ت ٧٦٩) ، والشذرات : ٢١٥/٦٠ .

(٣) في الأصل : « بعد الكسوف إلى التمام » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

* الوافي : ٢٣٤/٦ ، والدرر : ١٠٢/١ ، والشذرات : ٠٤/٦ .

(٤) أم حزمة الأسدية الزبيرية الدمشقية (ت ٦٤٦ هـ) ، والسير : ٢٧٠/٢٣ .

والشرف الإربلي^(١)، والبكري^(٢)، واليوني^(٣). وسمع بيلده من شيخ الشيوخ^(٤)،
وبصر من أصحاب البوصيري.

وأجاز له من بغداد إبراهيم بن الخير^(٥)، وابن العلق، ويحيى بن قُميرة، وأخوه
أحمد.

وقرأ عليه الشيخ تقي الدين بن تينة وعلى أبيه جزءاً في سنة ثمانين، وحدث
بأشياء تفرد بها. ورحل إليه الناس بسببها.

وكان ديناً، رئيساً وقوراً صيناً. ذكر مرة لوزارة حماة، ولو أراد لبلغ من
المنصب منتهاه، وكتب أبوه الخط الفائق، وطريقه^(٦) فيه أحسن الطرائق. مليح
الوضع والترتيب، جيد الضبط للمشكل والغريب، وقد رأيت بخطه أشياء كباراً،
مثل (صاح الجوهري)، و (الروض الأنف)، وربما كتبها مراراً.

ولم يزل على حاله إلى أن ذاق ابن مزيّن من الموت طعم العلقم، وجرّعه الرّدى سَمّ
الأرقم.

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة.

ومولده سنة ثلاث وأربعين وست مئة.

(١) الحسين بن إبراهيم (ت ٦٥٦ هـ)، والسير: ٢٣/٣٥٤.

(٢) الحسن بن محمد (ت ٦٥٦ هـ)، السير: ٢٣/٢٢٦.

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها، وهو علي بن محمد بن أحمد (ت ٧٠١ هـ).

(٤) هو شرف الدين الأنصاري.

(٥) إبراهيم بن محمود (ت ٦٤٨ هـ)، السير: ٢٣/٢٣٥.

(٦) (أ): «وطريقته».

٨١ - أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد*

الشيخ الإمام المقرئ الصالح المحدث مسند العصر شهاب الدين أبو المعالي بن القاضي رفيع الدين قاضي أبرقوه^(١) الهمداني المصري القرافي^(٢) الشافعي الصوفي .

حضر سنة سَبْعَ عَشْرَةَ على عبد السلام السَّرْقُولِي . وسمع في الخامسة سنة تسع عشرة من أبي بكر بن سابور بشيراز . وسمع ببغداد من أبي الفتح بن عبد السلام وابن صرما^(٣) ، ومحمد بن البيّع^(٤) ، وأكمل بن أبي أزهر^(٥) ، والمبارك بن أبي الجود^(٦) ، وصالح بن كَوْر ، وأبي علي بن الجوالقي^(٧) ، وعدة . وبالموصل^(٨) من الحسين بن باز^(٩) ، وبجَرَّان من خطيبها فخر الدين بن تيمية ، وبدمشق من ابن أبي لقمة^(١٠) ، وابن البن^(١١) ، وابن صَصْرَى^(١٢) ، وبالقُدس من الأُوْهي^(١٣) ، وبمصر من

* الوافي : ٢٤٢/٦ ، والبداية : ٢١/١٤ ، والدرر : ١٠٢/١ ، والشذرات : ٤/٦ ، والمنهل الصافي : ٢٣٥/١ ، وعقد الجمان : ٢٠٠/٤ وفيات (٧٠١ هـ) .

(١) أبرقوه : بلد بأرض فارس ، من كورة باسطخر بأصبهان (معجم البلدان) .

(٢) القَرَّافة : خطة بالفسطاط من مصر . (معجم البلدان) .

(٣) أحمد بن يوسف (ت ٦٢١ هـ) ، السير : ١٩١/٢٢ .

(٤) (ت ٦٢٣ هـ) ، الشذرات : ١١٠/٥ .

(٥) في الوافي : « زاهر » .

(٦) (ت ٦٢٣ هـ) ، السير : ٢٦٣/٢٢ .

(٧) الحسن بن إسحاق (ت ٦٢٥ هـ) ، السير : ٢٧٨/٢٢ .

(٨) في الأصل : « بالعضل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .

(٩) في الأصل : « ابن بان » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : الوافي ، وابن باز هو : الحسين بن عمر بن باز الموصل (ت ٦٢٢ هـ) ، السير : ٢٥٨/٢٢ .

(١٠) هو محمد بن السيد بن فارس الأنصاري الدمشقي الصفار (ت ٦٢٣ هـ) . العبر : ٩٦/٥ .

(١١) أبو محمد الحسين بن علي الدمشقي (ت ٦٢٥ هـ) ، السير : ٢٧٨/٢٢ .

(١٢) الحسين بن أبي الغنائم (ت ٦٢٦ هـ) وستأتي ترجمته في موضعها . وفي (أ) : « صرصرى » .

(١٣) في الأصل : « الأوفي » ، وفي الوافي : « الأوفي » : تصحيف ، وكذا في السير : ٢٤٨/٢٢ « الإوقي » ، وفي =

أبي البركات بن الجبّاب^(١) ، وسمع منه السيرة ، وله معجم كبير ، بتخريج القاضي سعد الدين الحنبلي .

حدّث عنه أبو العلاء الفرّضي^(٢) ، والمزّي ، والبرزالي ، وابن سيّد الناس ، وأبو الفتح ، والقاضيان القوّنوي والأخنائي^(٣) ، وخلق^(٤) ، وأكثر عنه شمس الدين الذهبي ، وخلق كثيرون .

عَمِرَ فتفرّد ، وتضرح خدّ الزمان به وتورّد ، ألحق الأحفاد بالأجداد ، ورحل الناس إليه من أقاصي البلاد . وكان مباركاً خيراً ديناً ، وصبره على الطلبة كثير وإن لم يكن ذلك هيناً ، كان يزعم أنه رأى رسول الله ﷺ في النوم ، وأخبره أنه يموت بمكة ، وكذا كان ، فإنه حج ، وفيها فضّ الله خاتم عمره وفكّه ، وبها فتح الموت له فاه وفكّه .

وتوفي رحمه الله تعالى في عشري الحجة^(٥) سنة إحدى وسبع مئة .

ومولده بأبرقوه سنة خمس عشرة وست مئة .

= الشذرات : ١٣٥/٥ في وفيات (٦٣٠ هـ) ، مانصه : « الأوهي بفتحيتين نسبة إلى (أوه) ، قرية بين زنجان وهمدان ، ثم ساق ترجمة المذكور ، واسمه الحسن بن أحمد بن يوسف نزيل بيت المقدس ، وكذا وقع الأوهي في العبر : ١١٧/٥ . وذكره ياقوت في معجم البلدان (أواه) فقال : « لقيته بالبيت المقدس تاركاً للدين ، مقبلاً على قراءة القرآن .. وسألته عن نسبه فقال : أنا من بلد يقال له : أوه فقال لي السلفي الحافظ : ينبغي أن تزيد فيه قافاً للنسبة ، فلذلك قيل لي : الأوقي » .

(١) في الأصل والشذرات : ٩٥/٥ : ابن الجبّاب ، والأشبه أنه تصحيف ، وأثبتنا ما في السير : ٢٤٤/٢٢ ، والوافي ، وابن الجبّاب هو : عبد القوي بن القاضي الجليس أبي المعالي (ت ٦٢١ هـ) ، وقال الذهبي في المشتبه (٢٠٥) : كان جدّم عبد الله يعرف بالجبّاب جلوسه في سوق الجبّاب .

(٢) هو محمود بن أبي بكر بن أبي العلاء البخاري الكلاباذي الفرّضي . (ت ٧٠٠ هـ) وستأتي ترجمته .

(٣) وستأتي ترجمتهم .

(٤) ليست في (أ) ..

(٥) قوله : « في عشري الحجة » ، ليس في (أ) .

٨٢ - أحمد بن إسماعيل بن منصور*

نجم الدين الحلبي المعروف بابن التُّبْلِي^(١) ويا بن الجلال .

سمع من ابن رَوَاحَة^(٢) ، وابن خليل^(٣) ، وجماعة . ولازم السماع مع الدمياطي^(٤) فأكثر ، وقرأ بنفسه ، وتميّز بذاك على أبناء جنسه ، وكتب الطباق ، وبرّز في حلبة السِّبَاق .

قرأ عليه علم الدين البرزالي جزء ابن حرب^(٥) رواية العباداني ، وأجاز الذهبي مروياته .

ولم يزل إلى أن قضى ، وترك دنياه ومضى .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وتسعين وست مئة .

ومولده بحلب سنة إحدى وثلاثين وست مئة .

٨٣ - أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم**

ابن سليمان بن حمائل بن علي المقدسي المعروف بابن غانم ، الفقيه العدل شهاب الدين بن عماد الدين .

* الوافي : ٢٥٥/٦ ، والمنهل الصافي : ٢٤٠/١ .

(١) التُّبْلِي : نسبة إلى تَبْل من عمل حلب . (القاموس) .

(٢) عبد الله بن الحسين (ت ٦٤٦ هـ) ، الشذرات : ٢٣٤/٥ .

(٣) يوسف بن خليل بن مَرَاة ، محدث الشام نزّيل حلب (ت ٦٤٨ هـ) ، الشذرات : ٢٤٣/٥ .

(٤) محمد بن عبد العزيز (ت ٦٩٣ هـ) ، العبر : ٣٧٩/٥ ، والشذرات : ٤٢٤/٥ .

(٥) هو علي بن حرب بن محمد الطائي من رجال الحديث المصنفين فيه (ت ٢٦٥ هـ) ، انظر : الكشف :

٥٨٨/١ ، والأعلام : ٢٧٠/٤ .

** الدرر : ١٠٤/١ .

كان أديباً فاضلاً له نظم ونثر ، وله وظائف وشهادة ، وكان خبيراً بالشروط ،
مليح الكتابة ، وحجّ مرات ، وكان مؤذناً بالجامع الأموي .

وسمع من ابن الواسطي^(١) ، وحدث عنه بطريق الحجاز .

وتوفي رحمه الله تعالى خامس عشري شهر الله المحرم سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

٨٤ - أحمد بن أوحّد*

شهاب الدين ابن الأمير شرف الدين .

كان شهاب الدين من أمراء العشرات^(٢) بدمشق . لما حضر الأمير علاء الدين^(٣) إلى دمشق نائباً كان منحرفاً عنه لأجل والده ، ثم إنه سعى وتدخل إلى أن رضي عليه ، وأقبل بوجهه إليه ، وولاه مدينة دمشق ، فأقام في الولاية مدّة ، قاسى^(٤) الناس منه بعض شدّة ، ثم إنه عزله وولاه شدّ غزة والساحل ، فتوجه إليها وجسّمه من فراق دمشق ناكل ، فأقام هناك إلى أن قدّم الفخري^(٥) وحكم بدمشق فأحضره ، وعزّم على إهلاكه ، ولكن الله أخره ، لميله إلى المصريين على ماسيأتي فيما بعد ، فسعى في إزالة ما في خاطره منه ، واجتهد في رضاه عنه . فتم له ما أراد ، ونال^(٦) المنى والمراد ، فقربّه وأدناه ، وولاه نيابة بعلبك وأقام بها قليلاً ، وعاد إلى دمشق ولم يجد إلى غيرها سبيلاً ، فأقام بها إلى أن أجاب الداعي ، وقام به الناعي ، وكان في عينيه قتل شديد ، وله أمل في الدنيا

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .

* لم تقف على ترجمته .

(٢) (أ) : « العشرات » . وأمير عشرة : مرتبة عسكرية يكون في خدمة صاحبها عشرة فوارس .
(صبح الأعشى : ١٥/٤ ، ٢٧) .

(٣) سلفت ترجمته .

(٤) (أ) ، (خ) : « ولقي » .

(٥) سيف الدين قطلوبغا الفخري الناصري ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) (أ) ، (خ) : « وحصل » .

مديد ، وكان يخبر^(١) بأشياء قبل وقوعها ، فتقع وَفَقَ ما قاله أو مقارباً ، ولم أذكر من أين له علم ذلك مستقيماً موارباً . وكان القاضي شهاب الدين بن فضل الله يتعجب من تلك الأخبار ، ويقول : هذا علم النجوم عنده قد بار .

وتوفي رحمه الله تعالى شاباً في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

٨٥ - أحمد بن أبيك*

ابن عبد الله الحسامي المصري الدمياطي شهاب الدين بن عز الدين الشافعي الجُنْدِيّ ، عرف بابن الدمياطي نسبة إلى جده لأمّه .

سمع من الحَجَّار^(٢) ، وأحمد بن عبد الرحمن^(٣) بن دُرّادَه ، وأبي عليّ الحسن بن عمر الكردي^(٤) ، ومحمد بن أحمد بن الدَّمَاع [ومحمد^(٥) بن الحسين بن رشيق ، وشَهْدَة بنت أبي الحسن بن عبد العظيم الحصري^(٦)] ، ووزيرة بنت عمر بن أسعد بن المُنَجَّأ^(٧) في آخرين . وسمع بالإسكندرية من إبراهيم بن أحمد بن الغُرّافي^(٨) وغيره ، وبدمياط من جماعة .

وكتب عَنِّي وسمع بقراءتي بالقاهرة على الشيخين أثير الدين وفتح الدين^(٩)

(١) (أ) ، (خ) : « يخبرنا » .

* الوافي : ٢٦٠/٦ ، والدرر : ١٠٨/١ .

(٢) أحمد بن نعمة بن حسن وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) « بن عبد الرحمن » ، ليس في (أ) ، (خ) .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) زيادة من (أ) ، (خ) ، والوفيات .

(٦) (خ) ، والوافي : « الحصري » .

(٧) توفيت سنة (٧١٧ هـ) . وانظر ترجمتها في المنهل الصافي : ٢٨٢/٥ .

(٨) سلفت ترجمته .

(٩) أولهما أبو حيان الأندلسي ، والثاني ابن سيّد الناس .

وحدّث وهو شابّ ، وكتب بخطه ، وقرأ بنفسه ، وحصل الأصول والفروع ، وانتقى على الشيوخ ، وجمع مجاميع ، وأرخ الوفيات ذيلًا على الشريف عز الدين ، وقرأ الفقه ، وحفظ (ألفية ابن مالك) ، وجمّع مشيخة للقاضي ضياء الدين بن الخطيب ^(١) ، فيها أربعون حديثًا ، تكلم على كل حديث وما يتعلق به ، وقرأها عليه ، وسمعناها منه في سنة خمس وأربعين .

ولم يزل يسمع وينتقى ، ويرتفع في الانتخاب ويرتقي ، ويمتّاح من قلب الدواة ويستقي ، إلى أن تحدّث الناس بوفاته ، وذهبت ذاته بصفاته ، وذلك في طاعون مصر سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

وكنّت قد كتبت له على الأربعين حديثًا التي خرّجها للقاضي ضياء الدين أبي بكر بن الخطيب تقرّيطًا ، وهو ؛ وقفتُ على هذا التخرّيج الذي لا يرّده ناظر ، ولا يدفع أدلته مناظر ، ولا يستغني عنه مُذاكر ولا مُحاضر ، ولا يشبه حسنه إلا الرياض النواضر ، على أنه لمعة من شهاب ، وهمة من سحاب ، وجزعة من شراب ، ودفعة من غباب ، لأن مُخرّجه شهاب زين ليل العلم الداج ، وبخّر ألفاظه درر ، وفوائده ^(٢) أمواج ، فلو عاصره ابنُ عساكر لم يذاكر ، أو الخطيب لما كان يطيب ، أو ابن الجوزي لانكسر قلبه ، وذهب لبّه ، أو ابن تقيّة لغرق في بحره ، وبّلّه وبّلّه بقطره ، أو الحاكم لقضى له بالتفضيل ، ولم ينظر في جرح ولا تعديل ، خرّجه لمولّى جمّل البلدين ، ورئيس يوضع تاج سيادته ^(٣) على فرق الفرقدين :

كريمٌ سادَ بالأفضال حتّى غدا في مجّده بادِي السَّناء
له ذِكْرٌ يُطَبِّقُ كلَّ أرضٍ فيملاً جوّها طيبُ الثَّناء
فما يخفى غِلاه على بصيرٍ وإنْ يخف فذو حسد يرائي ^(٤)

(١) يوسف بن أبي بكر بن خطيب بيت الآبار ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) في الأصل : « وفوائد » ، وما أثبتناه من (أ) ، (خ) .

(٣) (أ) ، (خ) : « رياسته » .

(٤) في الأصل : « وإن يخفى » .

وَهَبْنِي قَلْتُ هَذَا الصَّبْحَ لَيْلٌ أَيْعَمَى الْعَالَمُونَ عَنِ الضِّيَاءِ
فَلَا أَعْلَمُ تَخْرِيجاً أَحْسَنَ مِنْهُ ، وَلَا جِزْءاً غَيْرَهُ كُلُّ الْفَوَائِدِ تُؤْخَذُ عَنْهُ ، جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ
الرَّوَايَةِ وَالذَّرَايَةِ ، وَبَلَغَ فِيهِ إِلَى غَايَةِ تَدَلُّ عَلَى أَنَّهُ آيَةٌ ، فَاللَّهُ يَشْكُرُ سَعِيَهُ ، وَيَتَوَلَّى
بِعَيْنِهِ رَعِيَّتَهُ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ..

٨٦ - أحمد بن بدليك *

الأمير شهاب الدين السّاقى المعروف بمشد الشرايخانة^(١) .

وَرَدَ هُوَ وَأَخُوهُ الْآمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ شَادِي ، وَسَيْفُ الدِّينِ حَاجِي ، وَرَكْنُ الدِّينِ
عَمْرٌ إِلَى مِصْرَ مِنَ الْبِلَادِ الشَّرْقِيَّةِ ، وَخَدَمَ الْآمِيرَ شَهَابَ الدِّينِ أَحْمَدَ عِنْدَ الْآمِيرِ
سَيْفِ الدِّينِ بِكَتْمَرِ السَّاقِي فَجَعَلَهُ سَاقِيّاً ، وَلَبِثَ عِنْدَهُ مَدَّةً ، وَرَأَى السُّلْطَانَ الْمَلِكَ
الْناصِرَ مُحَمَّدَ بْنَ قِلَافُونَ فَأَعْجَبَهُ ، فَأَخَذَهُ مِنْهُ ، وَالظَّاهِرَ أَنَّهُ أَخَذَهُ بَعْدَ مَوْتِ بَكْتُمَرٍ ،
وَجَعَلَهُ مُشَدَّ الشَّرَايِخَانَةِ ، وَلَمْ يَزَلْ عِنْدَ السُّلْطَانِ فِي أَعْدَادٍ^(٢) الْخَاصَكِيَّةِ ، وَلَمَّا تَوَفَّى
السُّلْطَانُ أَخْرَجَ إِلَى صَفَدٍ ، إِمَّا فِي أَيَّامِ قُوْصُونَ أَوْ بَعْدَهُ ، أَوْ أُخْرِجَ إِلَى حَلَبٍ ، ثُمَّ أُعِيدَ
إِلَى مِصْرَ لَمَّا انْقَلَبَتِ الدَّوْلَةُ ، وَلَمَّا جَهَّزَ الْحَاجُّ أَرْقُطَايَ^(٣) إِلَى نِيَابَةِ حَلَبِ الْأَوَّلَى خَرَجَ هُوَ
مَعَهُ ، لِيَقْرَهُ فِي النِّيَابَةِ عَلَى الْعَادَةِ وَيَعُودَ ، فَوُورِدَ الْمَرْسُومُ وَهُوَ فِي حَلَبٍ أَنَّ^(٤) يَتَوَجَّهَ إِلَى
صَفَدٍ ، لِيَقِيمَ بِهَا أَمِيرًا ، فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ قَتَلَ الْكَامِلَ ، فَتَوَجَّهَ إِلَى مِصْرَ ، وَلَمَّا خَلَعَ الْمَظْفَرُ

* الدَّرَرُ : ١٤٤/١ ، وَالْبِدَايَةُ : ٢٤٧/١٤ .

(١) مشد الشرايخانة ، أو شاد الشرايخانة : وَظِيفَةُ يَشْرِفُ صَاحِبُهَا عَلَى بَيْتِ الشَّرَابِ ، وَفِيهِ مَخْتَلَفُ أَنْوَاعِ
الْأَشْرِبَةِ الْمَرْصُودَةِ لِحَاصِ السُّلْطَانِ ، وَتَكُونُ لِأَمِيرٍ مِنْ أَكْبَرِ أَمْرَاءِ الْمُثْنِ الْخَاصَكِيَّةِ الْمُؤْتَمِنِينَ (صَبْحُ
الْأَعْشَى : ١٠/٤) .

(٢) (أ) ، (خ) : « عِدَادٌ » .

(٣) سَتَاتِي تَرْجُمَتُهُ فِي مَوْضِعِهَا ، وَكَذَا مَا سَاتِي مِنَ الْأَعْلَامِ .

(٤) (أ) ، (خ) : « بَأْنٌ » .

كان هُوَ مِنْ جَمَلَةٍ مِنْ قَامَ بِجَلْعِهِ ، وَقَتْلِهِ ، وَكَانُوا سِتَّةَ تَكْتَبُ الْمَطَالَعَةَ إِلَى السُّلْطَانِ ، وَيَطِيرُهَا إِلَيْهِمْ ، وَكَانَ أَحَدُهُمْ مِنْهُمْ ، وَكَانُوا إِذْ ذَاكَ : بِيَبْغَارُوسَ ، وَالْأَمِيرُ مِنْجَكُ ، وَالْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ شَيْخُو ، وَالْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ طُشْتَمُ طَلَلِيهِ ، وَسَيْفُ الدِّينِ الْجِييْفَا ، وَالْأَمِيرُ شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ الْمَذْكُورُ ، وَوَقَعَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ خُلْفٌ ، فَقَالَ الْأَمِيرُ شَهَابُ الدِّينِ : أَيْشَ بَنَّا هَذِهِ الْمَرَّةَ مَا فِيهَا أَحَدٌ مِنْ أَوْلَادِ السُّلْطَانِ إِلَّا نُجْرًا^(١) بِالسَّيْفِ ، وَمَنْ صَحَّ مِنَّْا جَلَسَ عَلَى التَّخْتِ ، فَأَذْعَنَ الْجَمَاعَةُ لَهُ الطَّاعَةَ ، وَتَرَكَوهُ مَدَّةَ أَيَّامٍ^(٢) ، وَأَخْرَجُوهُ إِلَى صَفْدٍ نَائِبًا^(٣) عَوْضًا عَنِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ قَطْزَ ، فَوَصَلَ إِلَيْهَا فِي ثَانِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِئَةٍ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا مَقِيمًا إِلَى أَنْ أَمْسَكَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ مِنْجَكُ الْوَزِيرَ ، فَحَضَرَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ قَارِي الْحَمَوِي السُّلْحَدَارِيُّ فِي الظَّاهِرِ بِسَبَبِ الْحَوَاطَةِ عَلَى مَوْجُودِ الْوَزِيرِ وَحَوَاصِلِهِ ، وَفِي الْبَاطِنِ بِأَمْسَاكِهِ ، وَكَانَهُ فُهِمَ الْقَضِيَّةُ ، فَجَهَّزَ إِلَيْهِ مِنْ تَلَقَّاهُ مِنَ الطَّرِيقِ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدًا مِنَ الْاجْتِمَاعِ بِهِ ، وَلَا بَيْنَ مَعِهِ ، وَلَمَّا أَرَادَ قَارِي يَتَوَجَّهَ ، قَالَ لَهُ يَاحُونُدُ : السُّلْطَانُ يَطْلُبُكَ ، فَقَالَ^(٤) : لَا يَشَيْءُ ؟ مَا قُلْتُ هَذَا فِي الْأَوَّلِ وَلَا فِي الْكِتَابِ الَّذِي عَلَى يَدِكَ^(٥) ، أَنْ مَعَكَ مَشَافَهَةٌ وَلَكِنْ اطْلُبُوا الْأَمْرَاءَ ، فَحَضَرُوا وَمَعَهُمْ^(٦) نَائِبُ قَلْعَةِ صَفْدٍ ، وَقَالَ يَا أَمْرَاءُ^(٧) ، السُّلْطَانُ قَدْ طَلَبَنِي وَأَنَا أَتَوَجَّهُ ، فَقَالُوا لَهُ : خَيْرَ ، فَطَلَبَ مَبَاشِرِي دِيَوَانِهِ ، وَقَالَ : كَمْ لَنَا فِي الْقَلْعَةِ مِنَ الْقَمْحِ ، قَالُوا : مِئَةُ غَرَارَةٍ ، فَفَرَقَهَا جَمِيعَهَا عَلَى مَمَالِيكِهِ ، وَقَالَ : اطْلَعُوا أَقْبَضُوهَا ، فَلَمَّا طَلَعُوا ، وَصَارُوا فِيهَا أَنْزَلُوا كُلَّ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُسْتَعْدِمِينَ ، وَتَمَلَّكَ الْقَلْعَةَ مَمَالِيكِهِ ،

(١) « بَجْرَا » ، كُنَّا فِي الْأَصْلِ .

(٢) لَيْسَتْ فِي (أ) ، (خ) .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « ثَانِيًا » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (خ) . وَقَوْلُهُ : « عَوْضًا » لَيْسَ فِي (أ) .

(٤) أ : « فَقَالَ لَهُ » .

(٥) (أ) ، (خ) : « الَّذِي مَعَكَ » .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « وَمِنْهُمْ » .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « وَقَالَ أَمْرَاءُ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، (خ) .

وقال لقماري : أنا أكتب إلى السلطان ، وأسيرُ معك شخصاً من جهتي ببطالعة مني ، وجهازها .

وبلغ السلطان ذلك ، فكتب في الظاهر إلى سائر نواب الشام أن أحمد الساقى قد شق العصا ، فاربطوا له الطرقات ، وأمسكوه ، وإن حارب حاربوه ، وكتب إلى جميع عُرَبان الطاعة بذلك ، وكتب إلى الأمير سيف الدين أيتش نائب الشام أن يتوجه إليه بنفسه في العسكر الشامي ، فلما بلغ ذلك أحمد كتب هو إلى نائب الشام يتشفع به ، ويسأله أن يكون في جملة أمراء دمشق^(١) ، فكتب له إلى السلطان ، فأجيب إلى ذلك ، وكتب له أمان شريف ، فجهّز ذلك إليه ، فلم يذعن ، وقال : لو علمت أن ذلك صحيح حضرت ، وأصرّ على حاله .

فحضر المرسوم بأن يجهز له^(٢) أربعة آلاف فارس من دمشق ، ونائب غزة الأمير فارس الدين البكي بعسكر غزة ، والأمير سيف الدين بكلمش ناظر طرابلس بعسكرها . فتوجه الجميع إليه في أوائل المحرم سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، ولما وصل نائب غزة هو والنائب الذي عيّن مكانه بصدد وهو الأمير علاء الدين الطنبغا برناق إلى قرية المجدل جهّز إليهما أحمد الساقى يقول : أنا ما أنا عاص ، ولكن هذه القلعة لا بد لها من نائب ، وأريد أن أكون بها نائباً ، فقالا له : إن كنت تريد ذلك ، فأطلق الأمير عز الدين أيدير الشمسي ، والأمير عز الدين دقاق وكتب السر وأخاه ناظر الجيش ، وكان قد اعتقلهم بالقلعة ، فقال هو : لا ، اعتقلتهم^(٣) أيام حكمي ، والآن ما يخرجون إلا بمرسوم شريف ، فطلع المذكوران بن^(٤) معهما إلى صفد ، فرمي عليهم بالنشاب

(١) (أ) ، (خ) : « الشام » .

(٢) (أ) ، (خ) : « إليه » .

(٣) (أ) ، (خ) : « لأننا اعتقلتهم » .

(٤) (أ) : « ومن » .

والبنندق والرصاص والزيارات والنفط ، وجرح بعض الخيل ، وطلع القلعة^(١) ، وأغلقها ، وشال الجسر .

ولما كان يوم الجمعة ثامن عشر المحرم اتفق العسكر على الزحف على القلعة وإحراق الجسر ، وجهزوا إليه يعلمونه أنهم في غداة السبت يفعلون ذلك ، فاتق الله واحقن دماء المسلمين . فأطلق من كان عنده في الاعتقال ، وقال للعسكر : احلفوا أن لا تؤذوني وأنا أتوجه إلى باب السلطان ، فحلفوا له ، وأخذوا سيفه ، وجهزوه صُحبة الأمير سيف الدين قطلوبغا الكركي وجهز مملوكه الطنبغا إلى نائب الشام يطلب منه شفاعاً ، فكتب له ذلك ، وجهزوا معه أميراً من الشام وأميراً من طرابلس ، وأميراً من صفد ، وأميراً من غزة^(٢) ، وساروا به إلى باب السلطان في ثالث عشري المحرم ، ورجعت العساكر إلى أماكنها .

ولما وصلوا به إلى قُطيا^(٣) ، تلقاه الأمير سيف الدين قاري ، فأخذه في زنجير مقررّم اليدين - على ما قيل - وتوجّه به إلى ثغر الإسكندرية ، ولم يزل بها معتقلاً ؛ إلى أن خلع الملك الناصر حسن ، وتولى الملك الصالح صالح ، فأطلقت المعتقلين الذين في سجن الإسكندرية جميعهم ، وولاه نيابة حماة ، فوصل إلى دمشق في حادي عشري شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وصحبته الأمير سيف الدين جركرم عبد الغني ، ليقره في النيابة ، ولم يزل في حماة نائباً حاكماً ؛ إلى أن اتفق هو والأمير سيف الدين بيبغاوس نائب حلب ، والأمير سيف الدين بكلمش نائب طرابلس ، على الخروج على الملك الصالح ، وراسلوا الأمير سيف الدين أرغون الكامل نائب الشام على ذلك فما وافقهم . ولما تمّ أمرهم وهوا بالخروج حلف نائب الشام عسكر دمشق للملك الصالح في العشر الأول من شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، وجرى ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى في ترجمة أرغون الكامل .

(١) (أ) ، (خ) : « إلى القلعة » .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) في معجم البلدان (قطية) بالهاء : قرية في طريق مصر في وسط الرمل .

ولما وصل بيبغاروس ومن معه إلى دمشق نزل على قبة يلبغا ظاهر دمشق ، وتوجّه أحمد الساقى ومعه ألف فارس ، وأقام على المزيريب مدة أربعة وعشرين يوماً ، ولما وصل الأمير سيف الدين طاز إلى لُد^(١) هرب ابن دلغادر^(٢) من دمشق ، وجاء بيبغاروس إلى المزيريب ، واجتمع بأحمد وباتا ليلةً ، ثم إنهما هربا بمنّ معهما من العساكر إلى حلب .

ووصل السلطان الملك الصالح إلى دمشق ، وجّه الأمير سيف الدين شيخو^(٣) ، والأمير سيف الدين طاز ، والأمير سيف الدين أرغون الكاملي إلى حلب ، فهرب بيبغاروس ومن معه ، واجتمعوا بابن دلغارين ، وأقاموا هناك يعيشون في الأرض ، إلى أن أمسك ابن دلغادر أحمد وبكلمش ، وجهازها إلى حلب ، فوصلا إليها ، والأمير سيف الدين أرغون الكاملي بها نائب في ثاني عشر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، فاعتقلا بقلعة حلب ، وطالع بأمرهما ، فعاد الجواب على يد سيف الدين طيدمر أخي طاز بأن يجهز رأسيهما ، فحز رأس أحمد وبكلمش في حلب في العشر الأوسط من شهر الله المحرم سنة أربع وخمسين وسبع مئة ، وتوجّه بها المذكور إلى مصر ، وكان ذلك آخر أمر الساقى ، والله الباقي .

وكان هذا أمير أحمد شاباً طويلاً رقيقاً ، تراه بالإقدام والشجاعة حقيقاً ، حلو الوجه خفيف اللحية ، يعلوه رونق ، وعليه قبول وحظّ مافرح به السدير في أيامه ولا الخورنق ، يميل إلى الصورة المليحة ، ويتعبّد بهواها كلّ بكرة^(٤) وصبيحة ، لا يملك نفسه إذا رأى وجهاً حسناً ، ولا يرجع إلى عدل من يرده عن ذلك ولو كان لسناً ،

(١) (أ) : « لدة » .

(٢) في الأصل : « دلغازين » ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) (أ) : « سنجر » .

(٤) (أ) ، (خ) : « في كلّ عشية » .

وكانت له في ذلك تراجم معروفة في أيام الشهيد ، وأخباره فيها سار بها الركبان والبريد ، إلا أنه كانت نفسه أليّة ، وعنده من مئعة^(١) الشباب نشوة السبيّة .

وكان يحدث نفسه بأمور عظيمة ، وفتن لا تزال تصنع للشُرور ولية ، وكان لذلك لا يقنع بغاية ، ولا يرى إلا ما هو عنده نهاية ، ولقد ثبت في واقعة صمد ثبوتاً دونه الجبال الرواسخ ، وأسكن جماعة من خالفه البرازخ .

ويحكى عنه أنه لما نزل من القلعة ودّع صغار أولاده ، وثرات فؤاده ، فقطع القلوب أسفاً ، ورأى موته بعينه وهو في الحياة سلفاً ، فقلت فيه :

عجبتُ من أحد السّاقِي وقد بَرَزْتُ له العساكرُ في موضُونةِ الزّردِ
ساقِي سقتهُ الليالي كَأْسَ حادِثِها وراحَ من صَفَدٍ للحتفِ في صَفَدِ
يعينُهُ رُؤُوه فيما ابتلاه به فما على مثلِ مالاقيه من جَلَدِ

وجاءت الأخبار بأن الأمير سيف الدين قماري لما التقاه في قطيا عامله بأنواع من الإهانة ساعة اللقيا ، وأضاف زنجيراً إلى قيده ، وقرم يده بشدته وأيده .

وقيل : إنه توجه به ماشياً ، وكاد لذلك يصبح جسده متلاشياً ، ولم يحسب له أحد في هذه المرة حساب السلامة ؛ لأنه فعل ما يوجب العذل والملامة ، ولكن ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾^(٢) ، وإذا قُدِّرَ أمرٌ على المرء ما يفيد زَجْرٌ ولا عتاب ، فأقام في سجنه تلك المدة ، وفرّج الله عنه من تلك الشدة ، ورسم له بناية حماء ، فتوجه إليها ، وقدم بعد الذل في عزٍّ دائمٍ عليها ، فسبحان اللطيف الخبير ، ومن يرسل رياح الفرج فينشق^(٣) المحزون منها نشر^(٤) العبير . وقلت أنا فيه أيضاً :

(١) (أ) : « منعة » . ومئعة الشباب : أوله وبهاؤه .

(٢) الرعد ٣٨ .

(٣) (خ) : « فيتنشق » .

(٤) (خ) : « أريج » ، (أ) : « أريج » .

تَلَقَّ حَوَادِثَ الدُّنْيَا بِصَبْرِ ففِي صَرْفِ الزَّمَانِ تَرَى الْعَجَائِبَ
فَهَذَا أَحْمَدُ السَّاقِي تَوَالِي عَلَيْهِ مِنَ الْقَضَا مَطَرُ الْمَصَائِبِ
وَمَا أُعْطِيَ لَهُ أَحَدٌ حَيَاةً وَهَاهُو فِي حِمَاةِ الْيَوْمِ نَائِبُ

وكان فيها نائباً قد تمكن لا ترد له إشارة ، ولا يعطل السلطان مما يرومه عشاره كل ما يكتب به يجاب فيه بالقبول ، وكل ما يأباه يتلاشى غصنه إلى الذبول ، ولكن نفسه تريد بلوغ ما فيها ، وإدراك أمانها ، وعقله من الصواب تفور ، ودمه - كما يقال - يفور ؛ إلى أن دبر ما دبر ، وأثار من الفتنة ماعاد على وجهه وغبر ، وكان هو الذي حرك ذاك الساكن ، وعمل على خراب ما دخله من المنازل والأماكن ؛ إلى أن خرّب بيده بيوته ، وطار خلف الشر إلى الروم خوفاً من أن يفوته ، ولم يزل بتلك الخنزوانة^(١) ؛ إلى أن غدر به ابن دلقادر وخانه ، وما زال عليه إلى أن أماته ونسي أمانه ، وأراه الله عقبي جناية الخيانة ، وجز في حلب رأسه ، وخرق من الحياة قرطاسه ، ولم ينفعه ياقوته ولا ماسه وتبراً من فعله القبيح وسواسه ، ولم يرض له بالخنا خناسه ، فسبحان من بيده الحياة والنشور ، وإليه ترجع الأمور ، لا إله إلا هو .

وقلت لما جُزَّ رأسه ، وجَهَّزَ إلى مصر :

إِيَّاكَ وَالْبَغْيَ فَشَهَبُ الرَّدَى فِي أَفْقِ الْبَغْيِ غَدَتِ ثَاقِبُهُ
مَا أَحْمَدُ السَّاقِي الَّذِي مَذَبَغِي مَا أَحْمَدُ اللَّهِ لَهُ عَاقِبُهُ

٨٧ - أحمد بن بكتمر*

أمير أحمد بن الأمير سيف الدين بكتمر الساقى .

كان وجهه عليه لمحة من البدر ، ومهابته تملأ الجوانح والصدر ، مليحاً إلى غاية ،

(١) في الأصل : « الخزانة » ، تحريف ، والخنزوانة : الكبش .

* الوافي : ٢٦٦/٦ ، والدرر : ١١٤/١ .

جیلًا فی نہایہ ، وكان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فی محبته متغالیًا ، ولم یرہ الناس فی وقت منه خالیًا ، كان یومًا نائمًا علی فخذ السلطان وقد عزم علی الركوب ، وأحضرت الخیل والعساكر تنتظر قیامه والوثوب ، وأبوه بکتر واقفًا خجلًا ، وقلبه یخفق وجَلًا ، وكلما همَّ بأخذه یمنعه ، ویكأبده^(١) فی أمره ویخدعه ، فقال : یاخوند ، الناس فی خدمتك وإلا فی خدمته ؟ فقال : ما أركب حتی ینتبه أحمد من نومته ، وكان الناس یظنون أنه ابن السلطان یقینًا ، ویقولون : ما رأینا مثله عنده مکینًا ، وأمره مئة ، وجعله مُقَدِّم ألفٍ مع صغر سنِّه ، وجعل بعد ذلك شخصه من قلبه فی كینِّه ، وكان وهو صغیر ضعیف القائمة ، لا یستطیع النهوض لِعلَّةٍ له ملازمة ، فلم یزل السلطان علیه بالأدویة والعقاقیر ، والمعالجة بأنواع من^(٢) التداوی والتدابیر ؛ إلى أن نهض غصنه قویًا ، وانعطف قدَّه من المیل سلیمًا ، وزاد حُسْنُه وبهاؤه ، وذهب عنه داؤه وأقبل دواؤه ، وصح من خمر الشباب انتشاؤه ، وثبت إلى القمرین انتأؤه .

وزوجه السلطان بابنة الأمير^(٣) المرحوم تنكز^(٤) نائب الشام ، وجرى ذلك العقد علی أحسن ما یكون من النظام ، وحَسْبُكَ بهذه الدرة الثمينة ، وما جُمع من هذا القرین وهذه^(٥) القرينة ، وكان عرسها عرساً ما فرحت به بوران^(٦) ، ولا كان للفلک له دوران ، وقف السلطان بنفسه وفي یده العصا ، ورتَّب السماط ترتیباً خالف فیهِ العادة وعصى ، واحتفل بذلك زایدًا ، وجعل هواه لنفسه قائداً ، وله العذر فیا توهمه فی ذلك من الحسن والزین ؛ لأنها ولدا مملوكیه العزیزین .

(١) (أ) : « يكأبده » .

(٢) (من) : لیست فی (أ) .

(٣) « بابنة الأمير » لیست فی (أ) .

(٤) (أ) : « سيف الدين تنكز » .

(٥) لیست فی (أ) .

(٦) هي زوجة المأمون ، وهي ابنة وزیره الحسن بن سهل .

وكان أمير أحمد المذكور يقضي عند السلطان أشغالاً لا يقضيها غيره ، ولا يحوم في جوها إلا طيره ، ولم يزل بدره في مطالع سعوده ، ومعارج^(١) صعوده ؛ إلى أن توجه مع السلطان إلى الحجاز ، وقضى فرضه وفاز من الأجر بما فاز ، وعاد راجعاً ، وبدره يرى في سماء الملك طالعا ، فمرض مرضاً حديداً ، وزاد به جداً فأذوى ریحان شبابه ، ونغص بموته حياة أترابه .

وتوفي رحمه الله تعالى في طريق الحجاز عائداً في المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وعمره يقارب العشرين .

وقلت ذلك الوقت :

ورقـيبٍ بـليـتي في الهوى منه ما تـمـر
ذاك قد طال عـمره ويموتُ أبـنـه بـكـتـمـر

وكتبت إلى أبيه تهنة لما أعطي مقدمة الألف عن الأمير سيف الدين تنكر رحمه الله تعالى من جملة كتاب : وأما ما شملت به الصدقات الشريفة للمقر العالي المولوي الأميري الولدي^(٢) الشهابي من مقدمة الألف ، وخصته به من هذا الإنعام الذي صحّ قياسه ولم يكن قياس الخلف ، فإنه بحمد الله واحد كالألف إن أمرنا ، وفردّ يبلغ به مولانا - أعز الله أنصاره به^(٣) - الأمان من الزمان والمنى ، وبه يحقق المملوك قول الأول الذي لم يحجده جاحد :

والناس ألفٌ منهم كواحد .

ولم أر أمثال الرجال تفاوتوا إلى المجد حتى عد ألف بواحد

(١) (أ) : « تعارج » .

(٢) (أ) : « الكبير الولدي » .

(٣) (به) ليس في (أ) .

والله تعالى يديم هذه الأيام الشريفة التي أرت مولانا فيه ماسرّه^(١) ، وبلغت به رتبة ذبألها النجوم وطريقها المجرة ، وتقرّبه عين مولانا الكريمة ، فثل هذا الولد من يكون^(٢) للقلب قراراً ، وللعيون^(٣) قرّة ، وكان المملوك يودّ لو كان حاضراً في^(٤) ذلك اليوم الذي هو تاريخ الهناء ، وموسم الفرح المؤبدّ على مرّ^(٥) الآناء ، وإن كان المملوك قد غاب بقالبه ، فقد حضره^(٦) بقلبه وعرف قيمة إيجابه وسلبه ، والله تعالى يديم لمولانا وله وللمملوك حياة مولانا السلطان خلد الله ملكه ، وجعل أقطار الأرض ملكه بمنه وكرمه .

٨٨ - أحمد بن أبي بكر بن عَرّام*

بهاء الدين ، الأسواني المَحْتَد الإسكندراني المولد .

قرأ القراءات على الدّلاصي^(٧) ، والفقّه للشافعي على الشيخ أبي بكر بن مَبَادِر^(٨) ، وعلى علم الدين العراقي وقرأ عليه الأصولين^(٩) وعلى الشيخ شمس الدين الأصبهاني ، والنحو على مُحْيِي الدين حافي رأسه^(١٠) ، وعلى الشيخ بهاء الدين بن النحاس .

(١) في الأصل : ما سرّه ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) في (أ) : « فثل هذا الولد يكون » .

(٣) (أ) : « للعين » .

(٤) (في) ليس في (أ) .

(٥) (أ) : « مرّ » .

(٦) (أ) : « حضر » .

* الوافي : ٢٧٠/٦ ، والدرر : ١١١/١ ، والطالع السعيد : ٧٣ .

(٧) عبد الله بن عبد الحق ، وستأني ترجمته .

(٨) عبد الله بن مبادر ، وستأني ترجمته .

(٩) (أ) : « الأصولين » .

(١٠) محمد بن عبد الله بن عبد العزيز (ت ٦٩٣ هـ) ، والوافي : ٣٦٤/٢ ، والبغية : ١٣٨/١ .

وسمع على أبي عبد الله محمد بن طرخان^(١) ، وأبي الحسن الخزرجي ، وعلى تقي الدين بن دقيق العيد ، وعلى الدمياطي وغيرهم .

وتولى نظر الأحباس^(٢) بالإسكندرية ، وضحب أبا العباس المرسي ، وأخذ التصوف عنه ، وعن والده ، وأمه بنت الشيخ الشاذلي .

وكان المذكور ينظم وينثر ، ويجري في ميدان الأدب ولا يَعتُزُّ ، وكان مقداماً متديناً ، سالكاً نهج الخير صيناً .

صَنَفَ في الفقه والعربية ، وعلّق على (المنهاج) للنووي تعليقة أنوارها مُضيّة ، وله مناسك وما أشبه ذلك .

ولم يزل في شوطه إلى أن عثر فما قام ، واتخذ بطن الأرض دار مقام .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة سنة عشرين وسبع مئة ، ومولده سنة أربع وستين وست مئة ، ومن شعره :

وَحَقَّقْ يَامِيُّ الَّذِي تَعْرِفْنِيهِ مِنْ الْوَجْدِ وَالتَّبْرِيحِ عِنْدِي بَاقٍ
فَبِاللَّهِ لَا تَخْشَى رَقِيباً وَوَاصِلِي وَجُودِي وَمَنِّي وَأَنْعَمِي بِتِلَاقٍ
ومنه :

أَيَا طِرْسُ إِنْ جِئْتَ الثَّغُورَ فَقَبِّلْنِي أَنَا مِلَ مَا مُدَّتْ لَغَيْرِ صَنِيعٍ
وَأَيَّاكَ مِنْ رَشَحِ النَّدَى وَسَطَّ كَفِّهِ فَتَمَحَى سَطُورُ سَطَّرَتْ لَرَفِيعٍ
قلت : شعر نازل .

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) هو النظر في أرزاق الجوامع والأربطة والزوايا والمدارس من الأراضي المفردة لذلك . معجم الألفاظ التاريخية ١٥٢ .

٨٩ - أحمد بن أبي بكر*

ابن محمد بن محمود بن سلمان بن فهد ، شهاب الدين ، ابن القاضي شرف الدين ،
ابن القاضي شمس الدين ، ابن القاضي شهاب الدين محمود .

كان القاضي شهاب الدين المذكور من جُمْلَةِ موقَّعي الدِّست^(١) ، وكان أوْلاً من
جُمْلَةِ كُتَّاب الإنشاء ، فلما توفي والده القاضي شرف الدين بالقدس - على ما سيأتي -
أعطى مكانَ والده . فباشره ، فكان هَشّاً بشّاً بن يراه ، مُكْرِماً لَمَن أمُّه أو قصد ذراه .
نفسه مُتَّسعة للجود ، قائِمة بما يَجِبُ من حَقِّ الوفود . لا يتكلم إلا وهو يضحك ، ولا
يَفْارِقُ لُجُودَ طِبَاعِهِ نُصْحَكَ . يقضي حوائج الناس في قِصَصِهِمْ^(٢) ، وَيُزِيحُ عَنْهُمْ
ما تَجَرَّعُوهُ مِنْ غَضَصِهِمْ . فأحبَّه الناسُ ، ورَدَّ عليهم ما كان حصل لهم في والده من
الْيَاسِ^(٣) . ولم يزل على حاله ، إلى أن عاجله حَتْفُهُ ، وصَرِفَ إليه من الموت صَرَفُهُ .

توفي - رحمه الله تعالى - في يوم^(٤) عاشوراء ، سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة سبع عشرة وسبع مئة .

واحتفل الناس لجنائزته ، ودُفِنَ في تربة جدّه بالصالحية .

وعهدي به ، وهو كما احتمل ، يجري وراء الحية ، ويحملها بذَنبِها ، ويرفعها إلى
فوق ، وَيَقْصَعُها إلى أسفل ، ويرميها من يده ، وقد انقطع وَسَطُها ، وانخلعت فقراتُ
ظهرها .

* الدرر : ١١٣/١ .

(١) موقعو الدست : هم الذين يجلسون مع كاتب السر بمجلس السلطان ، ويقرؤون القصص على السلطان
بعد قراءة كاتب السر ، ويوقعون على القصص كما يوقع عليها كاتب السر وسُموا كُتَّاب الدست إضافة
إلى دست السلطان وهو مرتبة جلوسه .

(٢) القصة : هي الطلب أو الالتاس ، يرفعها صاحب الحاجة أو الشكوى إلى حضرة السلطان عن طريق
موظف خاص .

(٣) (أ) : « البأس » .

(٤) ليست في (أ) .

وستأتي - إن شاء الله تعالى - تَرْجَمَةُ كُلِّ واحد من أبيه وجَدِّه ^(١) في مواضعها اللائقة بها .

وقلت أرثيه من أبيات ، التزمتُ فيها الفاء ^(٢) :

وكان به صدرُ المجالسِ حافلاً	شهابُ بني محمودٍ أصبحَ أفلاً
وقد كان في إغفائه عنه غافلاً	تقطُّطُ طُرفِ الدَّهرِ نحوَ جنابِهِ
كما أنَّه من عزِّه راح جافلاً ^(٣)	يحنُّ إليه الجودُ من حيثُ يُنتحى
وبذل الندى مازال يحتالُ رافلاً	لقد كان في بُردِ الشبيبةِ والعُلا
بحيثُ رأينا النجمَ عن ذاك سافلاً	سمّا بأصولٍ باسقاتٍ إلى العُلا
لقد كان في دفعِ الأذى عنه كافلاً	فياضيعةَ اللَهْفانِ بعدَ مُصابِهِ

٩٠ - أحمد بن أبي بكر*

ابن محمد بن سلمان بن حمائل ، القاضي شهاب الدين ، ابن القاضي بهاء الدين ، ابن القاضي ^(٤) شمس الدين بن غانم ، كاتب الإنشاء بدمشق .

كان والده القاضي بهاء الدين ^(٥) صاحبَ ديوان المكتبات بطرابلس ، وسيأتي ذكره في مكانه من حرف الباء - إن شاء الله تعالى - . ولما توفي والده بطرابلس ، تركه ^(٦) صغيراً ، فحضر إلى عند أقاربه بدمشق ^(٧) ، ثم توجه إلى مصر ، فرسم له بأن يكون من

(١) (أ) ، (خ) : « وجده وجدَّ أبيه » .

(٢) أي قبل حرف الروي وهو اللام للطلقة .

(٣) (أ) ، (خ) : « غيره » .

* الدرر : ١١٢/١ .

(٤) قوله « بهاء الدين بن القاضي » ليست في (أ) .

(٥) (أ) : « شهاب الدين » .

(٦) (أ) ، (خ) : « خلفه » .

(٧) (أ) ، (خ) : « بدمشق وأقام مدة » .

جُملة كِتَاب الإنشاء بطرابلس ، ثم إنه سعى وانتقل^(١) بعلومه إلى دمشق ، ورُتّب في جُملة كِتَاب الإنشاء في سنة خمس وأربعين أو مابعدھا في غالب الظن ، وأقام بدمشق إلى أن توجّه في سنة ست وخمسين وسبع مئة إلى الديار المصرية ، وسعى هناك إلى أن رُتّب في جُملة كِتَاب الإنشاء في باب السلطان على معلومه الذي بدمشق ، بزيادة في مصر .

ولم يزل هناك مريضاً متوّعاً ، يقوم ويقع ، إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في أوائل سنة ثمان وخمسين وسبع مئة .

وكان مولده بصفد تقريباً في سنة أربع وعشرين وسبع مئة أو في سنة ثلاث وعشرين .

وكان فيه سعيٌ وحسنٌ توسل ولُطْفٌ توصل ، وعلى أنفه في مارنه^(٢) شامةٌ كبيرة حسناء خضراء . وكانت كتابته قوية ، ولم يكن له نظم ولا نثر .

٩١ - أحمد بن أبي بكر*

شهاب الدين أبو جَلَنك - بالجيم واللام والنون والكاف - الحلبي الشاعر المشهور^(٣) . بالعِشْرة والخَلْطة التي تركته بَرُوءة ، وجردت قِشره .

كان فيه هِمَّةٌ وعنده شجاعة ، ولديه من الإقدام في المعارك^(٤) أَجْزُلُ بضاعة . نزل من قلعة حلب للإغاره^(٥) ، والتتار يتوقّد من شرهم كل شرارة ، فوقع في فرسه سهم

(١) ليست في (أ) .

(٢) أي جانبه .

* الوافي : ٢٧١/٦ ، وفوات الوفيات : ٦٠/١ ، والشذرات : ٤٥٦/٥ والمنهل الصافي : ٢٢١/١ ، وعقد الجمان : ١٥٢/٤ ، وفيات (٧٠٠ هـ) .

(٣) قوله : « الحلبي ... المشهور » ليس في (أ) .

(٤) « في المعارك » ليست في (أ) .

(٥) في المنهل : « ولما كانت وقعة التتار في سنة سبع مئة نزل . » من قلعة حلب لقتال التتار .

عَقَرَهُ ، وَفَتَقَ جَنْبَهُ وَبَقَرَهُ ، فَبَقِيَ عَلَى ضَخَامَتِهِ رَاجِلاً ، وَأَمْسِكَ بِهِ عَاجِلاً ، وَجَاؤُوا بِهِ مُقَدِّمَ التَّارِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَرَفَعَ شَأْنَهُمْ ، وَأَعْلَى فِي الْفُرُوسِيَّةِ مَكَانَهُمْ . فَغَاطَهُ ذَلِكَ مِنْهُ وَضَرَبَ عُنُقَهُ فِي الْحَالِ ، وَشَتَرَ لِلارْتِحَالِ .

وَأَصْلُ مُنَادِمَتِهِ لِصَاحِبِ مَارْدِيْنِ أَوْ الْمَوْصِلِ تَنْدِييَةٌ ^(١) ، بَدَتْ مِنْهُ بِغَيْرِ قَصْدٍ ، وَهِيَ عَجَبِيَّةٌ . لِأَنَّهُ قَصَدَ الطَّهَارَةَ وَعَلَى بَابِهَا خَادِمٌ ، يُتَاوَلُ كَيْلاً مِنَ الْمَاءِ لِكُلِّ قَادِمٍ ، فَدَخَلَ عَلَى عَادَةِ الْبِلَادِ ، وَمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ الْمُعْتَادِ ، فَصَاحَ بِهِ الْخَادِمُ : قِفْ خُذْ هَذَا الْكَيْلَ . فَقَالَ : لَا ، أَنَا أُخْرَى جُزْأً مِنَ الْوَيْلِ . فَبَلَغَتْ السُّلْطَانُ ، فَقَالَ : هَذَا ظَرِيفٌ يَصْلَحُ لِأَنْ تُنَادِمَهُ ، وَنَزِيدٌ خَوَافِي جَنَاحَهُ وَقَوَادِمَهُ .

وَأَخْبَرَنِي عَنْهُ الصَّاحِبُ جَمَالَ الدِّينِ سُلَيْمَانَ بْنِ رِيَّانٍ ^(٢) ، قَالَ : لَزِمْنَا ^(٣) أَبُو جَلْنَكُ مَدَّةً ، وَنَامَ عِنْدَنَا لِيَالِي غَدَّةٍ ، وَكَانَ يَنْتَبَهُ نِصْفًا مِنَ اللَّيْلِ ، وَيُكْرِّرُ عَلَيَّ مُحَافِظَتَهُ ، وَمِنْهَا (مُخْتَصَرُ ابْنِ الْحَاجِبِ) ، ثُمَّ ^(٤) يُشَبِّبُ بِشَبَابَةٍ وَيُزْمِزِمُ ، وَإِذَا أَصْبَحَ تَوَضَّأَ وَأَتَى بِالْوَاجِبِ .

وَمَا زَالَ عَلَى حَالِهِ ^(٥) إِلَى أَنْ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ ، وَخَلَا مِنْ كَوَكِبِهِ أَفْقُهُ ، وَذَلِكَ سَنَةٌ سَبْعُ مِائَةٍ .

وَأَنْشَدَنِي الْقَاضِي جَمَالَ الدِّينِ بْنِ رِيَّانٍ قَالَ : أَنْشَدَنِي مِنْ لَفْظِهِ أَبُو جَلْنَكُ لِنَفْسِهِ لَغْزَأً :

اسْمُ الَّذِي أَهْوَاهُ فِي حُرُوفِهِ مَسْأَلَةٌ فِي طَيْهَا مَسَائِلُ
خَمْسَاهُ فِعْلٌ وَهُوَ فِي تَصْخِيفِهِ مُبَيِّنٌ وَالْعَكْسُ سَمٌّ قَاتِلُ

(١) أَيْ طَرَفَةٌ .

(٢) تَوَفَّى (٧٤٩ هـ) ، الْوَاقِي : ٣٦٧/١٥ ، وَالْدَّرَر : ١٤٥/٢ .

(٣) (أ) : « لَزِمْنَا » .

(٤) (أ) : « ثُمَّ إِنَّهُ » .

(٥) (أ) : « وَمَا زَالَ كَذَلِكَ » .

تُضِيءُ بَعْدَ الْعَصْرِ إِنْ جِئْتَ بِهِ مُكَرَّرًا مِنْ عَكْسِكَ الْمَنَازِلُ
وَهُوَ إِذَا صَحَّفْتَهُ مُكَرَّرًا فَاكِهَةٌ يَلْتَذُّ مِنْهَا الْأَكِلُ
وَهُوَ إِذَا صَحَّفْتَهُ جَمِيعَهُ وَصَفُ امْرِئٍ يَعْجَبُ مِنْهُ الْعَاقِلُ^(١)
وَفِيهِ طِيبٌ مُطْرَبٌ جَمِيعَهُ هَاجَتْ عَلَى أَمْثَالِهِ الْبَلَابِلُ

قلت : هذا لغز في (مسعود) وهو لغز جيد ، ومقاصده جيدة ، إلا أن قوله « وصف امرئ يعجب منه العاقل » فيه تسامح ، فإنه لا يقال : « مُشْعُود » وإنما يقال : « مُشْعَبِد » بالباء مكان الواو .

وأنشدني شيخنا العلامة أثير الدين ، قال : أنشدنا علاء الدين علي بن عبد الملك بن عبد الله بن عبد الرحمن الحلبي ، قال : أنشدنا^(٢) أبو جَلْنَك لنفسه ، وكان قد مدح قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان ، فوقع له بثلاثي رطل^(٣) خبزاً ، فكتب أبو جلنك على بستانه :

عَجْنَا بِيَسْتَانَ حَلَّلْنَا دَوْحَهُ فِي جَنَّةٍ قَدْ فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا^(٤)
وَالْبَانُ تَحْسَبُهَا سَنَانِيرُ رَأَتْ قَاضِيَ الْقَضَاةِ فَنَفَّشَتْ أَذْنَابَهَا^(٥)

قلت : بلغني أن الشيخ بذّر الدين محمد بن مالك وضع على هذين البيتين كراسة في البديع ، وأنشدني بالسند المذكور أيضاً :

(١) في الأصل : « منها » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) (أ) : « أنشدني » .

(٣) في المنهل : « فوقع له برطلي خبز » .

(٤) في المنهل : « لله بستان ... كجنة » .

(٥) في (أ) : « سنانيرا » ، وكذا في المنهل ، وفيه : « تحسبها » . وقال ابن تغري بردي في المنهل معقباً على الصفدي : « قلت : لعله وهم في هذه الحكاية ، وما هي مشهورة إلا عن قاضي القضاة ابن الزملكاني » .

أَقَى الْعِذَارُ بِمَاذَا أَنْتَ مُعْتَذِرٌ وَأَنْتَ كَالْوَجْدِ لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ
لَا عُدْرَ يَقْبَلُ إِنْ تَمَّ الْعِذَارُ وَلَا يُنْجِيكَ مِنْ خَوْفِهِ بَأْسٌ وَلَا حَذَرٌ^(١)
كَأَنِّي بِوَحْشِ الشَّعْرِ قَدْ أَتَيْتُ بِوَجْنَتَيْكَ وَبِالْعُشَاقِ قَدْ نَفَرُوا
وَمِنْ شَعْرٍ أَبُوجْلَنِكَ أَيْضًا :

جَعَلْتَكُ الْمَقْصَدَ الْأَسْنَى وَمَوْطِنُكَ الـ بَيْتُ الْمَقْدَسِ مِنْ رُوحِي وَجِثَانِي^(٢)
وَقَلْبُكَ الصَّخْرَةَ الصَّمَاءُ حِينَ قَسَتْ قَامَتْ قِيَامَةُ أَشْوَاقِي وَأَحْزَانِي^(٣)
أَمَّا إِذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَقَاطِعَنِي وَأَنْ يَزُورَكَ ، ذُو زُورٍ وَبُهْتَانِ
فَلَا يَغْرُنْكَ نَارٌ فِي حَشَايَ فَمِنْ وَادِي جَهَنَّمَ تَجْرِي عَيْنُ سُلُوانِ^(٤)
قُلْتُ : الطَّفُ مِنْ هَذَا وَأَخْصَرُ وَأَجْمَعُ ، قَوْلَ الْقَائِلِ :

أَيَا قُدْسٍ حَسَنِ قَلْبُهُ الصَّخْرَةُ الَّتِي قَسَتْ فِيهِ لَا تَرْتِي لَصَبٍّ مُتِمِّ
وَيَا سُوْلِي الْأَقْصَى عَسَى بَابُ رَحْمَةٍ فِيهِ كَبِدُ الْمُشْتَاكِ وَادِي جَهَنَّمَ^(٥)
وَأُنْشِدُنِي الْعَلَامَةَ أَبُو حَيَّانَ ، قَالَ : أَنْشَدُنَا عِلَاءَ الدِّينِ [عَلِي]^(٦) بَنَ سَيْفِ الدِّينِ
تَنْكَزُ ، قَالَ : أَنْشَدُنَا أَبُوجْلَنِكَ لِنَفْسِهِ :

مَاذَا عَلَى الْغَضَنِ الْمِيَالِ لَوْ عَطَفَا وَمَالَ عَنْ طُرُقِ الْمِجْرَانِ وَأَنْحَرَفَا^(٧)

-
- (١) فِي الشُّدْرَاتِ : « تَمَّ ... مِنْ شَرِّهِ خَوْفٌ وَلَا حَذَرٌ » . وَكَذَا فِي عَقْدِ الْجَمَانِ ، وَأُورِدَ الْعَيْنِي الْقَصِيدَةَ كُلَّهَا .
(٢) (أ) : « جَعَلْتَ مَقْصِدَكَ » .
(٣) فِي عَقْدِ الْجَمَانِ : « وَأَشْجَانِي » .
(٤) فِي عَقْدِ الْجَمَانِ : « فَلَا تَغْرُك » . وَفِيهِ تَوْرِيَّةٌ ، وَعَيْنُ سُلُوانٍ : عَيْنٌ فِي الْقُدْسِ ، يُقَالُ إِنَّهَا تَجْرِي مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ كُلَّ عَامٍ .
(٥) الْبَيْتَانِ فِي عَقْدِ الْجَمَانِ دُونَ نِسْبَةٍ .
(٦) زِيَادَةٌ مِنْ (أ) ، وَسَتَأْتِي تَرْجُمَتُهُ .
(٧) فِي النَّهْلِ : « عَلَى غَضْنِهِ » .

وعادَ لي عائدٌ منه إلى صِلَةٍ حَسْبِي من الشوقِ ما لا قِيتَه وكفى^(١)
صفاله القلبُ حتى لا يمازجُه شيءٌ سواه وأما قَلْبُه فصفا^(٢)
وزارني طيفُه وهنأ ليؤنسني فاستصحبَ النومَ من جفني وانصرفا
ورمّتُ من خصرِه برءاً فزِدْتُ ضَيَّ وطالبُ البرءِ والمطلوبُ قد ضَعُفا
حكى الدُّجا شِعْرَه طَوَلاً فحَاكَه فضاعَ بينهما عُمري وما انتصفا^(٣)
قلت : شعره متوسط .

٩٢ - أحمد بن أبي بكر بن منصور*

القاضي الإمام العالم شمس الدين ، قاضي طرابلس .

كان فاضلاً في أنواع من العلوم .

قال شيخنا البرزالي : اجتمع به أصحابنا المحدثون لما توجهوا إلى هناك في صفر قبل وفاته ، وأثنوا عليه . وعاش ثلاثاً وسبعين سنة . وكان ذا مال وتجارة ، وفيه شجاعة ، وعنده عدة^(٤) للقتال ، ويقا تل الفرنج . وله محاسن كثيرة . ومرض مرضة طويلة . وحصل له عَقِيب^(٥) المرض برُسام^(٦) ، وتولّى غيره القضاء .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في أول ربيع الأول ، سنة سبع وسبع مئة . وكان يعرف بالإسكندري .

(١) في المنهل : « وعائدي عائد » .

(٢) الصفا : الصخر .

(٣) الأبيات في المنهل الصافي ، والوافي .

* الدرر : ١١٣/١ .

(٤) (أ) ، والدرر : « عدد » .

(٥) (أ) : « عقب » .

(٦) في الأصل « رسام » تحريف ، والبرسام : علّة يَهْذَى بها .

٩٣ - أحمد بن أبي بكر بن حرز الله*

القاضي الفقيه^(١) ، الإمام العالم ، شهاب الدين أبو العباس السُّلَمي المغربي المعروف بالأزندي .

كان فقيهاً فاضلاً ، اشتغل على الشيخ محيي الدين النووي ، ولازمه وصحبه مدة ، وكان الشيخ يحبه ويثني عليه ، وزكاه في شهادة شهداها عند بعض القضاة وشفع له عند الشيخ برهان الدين المراغي^(٢) لِيُنْزله في مدرسة .

وقرأ الأصول على القاضي عز الدين بن الصايغ ، والقاضي بدر الدين بن جماعة .
وقرأ النحو على ابن عبد القوي^(٣) .

وولي القضاء ببلد الخليل - عليه السلام - وصَرَّخَدَ^(٤) وبصرى وغيرها .

وعاد إلى دمشق ، وحضر المدارس ، وجلس مع الشهود ، وولي تدريس الحلقة القوصية^(٥) بالجامع . وكان يخطب أيضاً تارة نائباً وتارة مستقلاً .

وسمع الحديث من الشريف يحيى الحنبلي^(٦) ، والنجيب المقداد^(٧) ، وعمر بن

* الدرر : ١٠٩/١ .

(١) ليست في (أ) .

(٢) في الأصل : للراضي ، تحريف ، وبرهان الدين هذا هو محمود بن عبيد الله ، ت (٦٨١ هـ) ،
الشذرات : ٣٧٤/٥ .

(٣) اسمه سليمان ، وستأتي ترجمته .

(٤) من قرى حوران .

(٥) حلقة بالجامع الأموي ، تنسب إلى مَدْرَسها شهاب الدين القوصي ، وكيل بيت المال بالشام ،
ت (٦٥٣ هـ) الدارس : ٣٣٣/١ .

(٦) ت (٦٧٢ هـ) ، الشذرات : ٣٤٠/٥ .

(٧) المقداد بن أبي قاسم ، ت (٦٨١ هـ) ، الشذرات : ٣٧٥/٥ .

عصرون^(١) ، وأبي حامد بن الصابوني^(٢) ، والأمين الإزبلي^(٣) راوي (صحيح مسلم) ،
والرشيد العامري^(٤) ، وأبي بكر المزني^(٥) ، والشيخ نصر بن عبيد المؤذن وجماعة . وسمع
بعض كتب الحديث الكبار ، وحدث وكتب في الاجازات .

وكان كريم النفس لا يدخر شيئاً ، وفيه تواضع ، وأخلاقه حسنة^(٦) ، وكان يحب
الفقراء ، وصحب منهم جماعة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سادس ذي الحجة سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

ومولده في شوال سنة اثنتين وخمسين وست مئة .

٩٤ - أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن برق*

الأمير شهاب الدين متولي مدينة دمشق^(٧) .

كان المذكور إنساناً حسن الأخلاق ، يخدم الناس على حالتي الجدة والإملاق^(٨) ،
ويحب الفضلاء ويبرهم ويلطفهم في وقائعهم تحت يده ولا يضرهم . ساس الناس
بدمشق سياسة جيدة ، هرب مرات من الشر إذا وقع ، وتحبده . وعلى ذهنه حكايات
ووقائع ، ونوادير إذا حكها ، قلت : « جنى النحل ممزوجاً بماء الوقائع » .

(١) ت (٦٨٢ هـ) ، الشذرات : ٣٧٩/٥ .

(٢) محمد بن علي ت (٦٨٠ هـ) ، الشذرات : ٣٦٩/٥ .

(٣) أبو القاسم بن أبي بكر ت (٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٣٠/٥ .

(٤) محمد بن أبي بكر ت (٦٨٢ هـ) ، الشذرات : ٣٨١/٥ .

(٥) أبو بكر بن عمر ت (٦٨٠ هـ) ، الشذرات : ٣٧٠/٥ .

(٦) قوله « وحدث وكتب » إلى هنا ، ليست في (أ) .

* الوافي : ٢٧٤/٦ ، والبداية والنهاية : ١٧٦/١٤ ، والدرر : ١٠٩/١ ، والشذرات : ١١٣/٦ .

(٧) زاد في (أ) : « سمع جزء الأنصاري ، وأمالني المخلص السبعة على ابن علاء الدين ، ومن مجلدات

ابن الخليلي ، وسمع البخاري ، وحدث بدمشق والمدينة » . وهي زيادة لاصلة لها بالترجم له .

(٨) الجدة : الغنى ، والإملاق : الفقر .

وأول ما عُرِف من أمره أنه أقام في ولاية صيدا زمناً ، وأخذ الناس به من ذلك الساحل في تلك المدة أماناً ، ثم إن الأمير تنكز سيف الدين ^(١) - رحمه الله تعالى - نقله إلى ولاية مدينة دمشق ، فأقام بها مدةً مديدة ، وحركاته فيها مدةً الولاية سديدة .

ولم يزل على حاله إلى أن انطوى بَرَقُ ابن بَرَق ، فكانه لم يلمع في غرب ولا شرق . وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

وتولى دمشق في صفر سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة . وكان الأمير سيف الدين - رحمه الله تعالى - قد جعله حَكَمَ البُنْدُقِ ^(٢) عوضاً عن الأمير صارم الدين صاروجا ^(٣) ، فكتبت له بذلك توقيعاً ، وهو :

« الحمد لله الذي لم يزل حَمْدُهُ واجباً ، وَرِفْدُهُ لكل خيرٍ واهباً ، وشُكْرُهُ لِلنِّعَمِ جالباً ، وَلِلنِّعَمِ حاجباً ، وَذِكْرُهُ لِلْبُؤْسِ سالباً ، وَلِلنِّعَمِ ^(٤) كاسباً .

نحمده على نِعَمِهِ التي نصرعُ ^(٥) بالحمد أصنافَ أطيّارها ، ونَقْصُ بالشُكْرِ أَجْنِحَتَهَا ، فلا قُدْرَةَ لها على مطارها ^(٦) .

(١) في الأصل « تنكز بن سيف الدين » ، وليس يصح ، وفي (أ) : « الأمير سيف الدين تنكز » .

(٢) البندق : كتل من الطين تكون كالبنّاق ، ثم تحفّ بالشمس أو تشوى على النار . وحكم البندق هو مَنْ يحكم بين الصيادين بالبندق إذا اختلفوا حول ما يصطادون ، وهو غير البندقدار الذي يحمل قوس البندق خلف السلطان .

(٣) ت (٧٣٦ هـ) . وستأتي ترجمته .

(٤) (أ) : « النعم » .

(٥) في الأصل : « نصرع » تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

(٦) في الأصل : « أمطارها » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

وتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة لا يكون لنا بها عن الفوز بالجنة عُدْرٌ ، ولا نجد بها نفوسنا ^(١) يوم البعث إلا في حواصل طيورٍ خُضِرَ .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله . أفضل من قَدَمِ ذوي الرُتب ، وأشرف من حكم بالعدل العاري من الشُّبُه ^(٢) والريب . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كانوا في الحروب عَقْبَانَهَا الكواصر ، وفرسانها الذين أشبعوا من لحوم العِدا ذواتِ الخالب والمُناسِر ^(٣) ، ما أحمَدَ الرامي في المرام عَزَمَه ، وسعت له في الرتب قَدَمٌ قدمه ، وسَلَمٌ تسليماً كثيراً .

وبعد :

فلما كان الرمي بالبُندقِ فناً تعاطاه الخلفاء والملوك . وسلك الأمراء والعظماء طريقة ^(٤) لطيفة المأخذ ظريفة السلوك ، يرتاضون به عند الملل ^(٥) لاسترواح نفوسهم ، ويجنون ثمرات المُنى في التنزه من غروس عروشهم ^(٦) ، ويبرزون إلى ما يروق الطرفَ ويروع الطيرَ من بَرزاتهم ^(٧) ، وينالون بينادق ^(٨) الطين من الطير ما لا يناله سواهم بجوارح صقورهم ولا بَرزاتهم . قد نبذوا في تحصيل المراتب العلية شواغلَ العَلَق ، وتدرَّعوا شعارَ الصّدق بينهم وهم أصحابُ المَلَق ، ومنعوا جفونهم من ورود حياض النوم ^(٩) إلاّ تحِلّةً ، وظهروا بوجوهٍ هي البدورُ وقسيّ هي الأهله ، وتنقلوا في صيد النصور تنقل

(١) في الأصل : « نفوسا » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

(٢) قوله : « من الشبه » ليس في (أ) .

(٣) المناسر : جمع منسر ، وهو المنقار .

(٤) (أ) : « منه طريقة » .

(٥) في الأصل و (أ) : « الملك » . تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٦) في (أ) والوافي : « عروس غروشهم » ، وهي أشبه .

(٧) البرزة : هي المرأة تظهر على الرجال .

(٨) في الأصل : « من بنادق » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

(٩) في الأصل : « الموت » وهي بعيدة ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

الرُّخ ، وصادوا الطيور في الجوَّاء نثروا حَبَّات الطين من كل قوس هي كالْفَخ ، وصرخوا على الأوتار فكانت ندامى الأطيَّار على سلاف المياه من جُمْلَة صُرْعَاها ، واقتطفوا زهرات كل روضة أخرجت ماءها ومرعاها ، احتاجت هذه الطريقة إلى ضوابط تُراعى في شروطها ، وتسحب على الجادة أذيال مُروطها ، ليقف كلُّ رام عند طُور طيره ، ويسير بتقدُّمه غور غيره ، ليؤمن التنازع في المراتب ، ويسلم أهل هذه الطريقة^(١) من العائب والعائب .

وكان المجلس السامي الأميري^(٢) الشهابي أحمد بن بَرَق هو الذي جرَّ فيها على الحجرة مطرقة ، وأصبح ابن بجْدتها علماً ومعرفة ، تطرب الأساغ من نغمات أوتاره ، وتنشقُّ مرائر الطير من لون غباره ، وتودّ الحجرة لو كانت له طريقاً ، والشمس جواده^(٣) ، والسماء ملقّة ، وتتنق قوس السماء الملوّنة ، لو كانت قوسه والنسر طائرته والنجوم بُندقه . كم جعل حلل الروض المرقومة بما صرعه مطائره ، وم خرج في زمير الطير فوقهم صافات^(٤) ، فصاد^(٥) بذرت حين بادره ، وم صرّج في معرك الجو من قتيل ريشه كالزرد الموضون^(٦) ، وم أرسل البندق فكان سهماً ماضياً لأنه من حمأ مسنون^(٧) .

فلذلك رُسم بالأمر العالي لازال طائرته ميوناً ، ودُر^(٨) أمره في أذراج الامتثال

(١) قوله : « إلى ضوابط » ، حق ههنا ، ليس في (أ) .

(٢) (أ) : « الأميري الكبير » .

(٣) في الأصل و (أ) « جراه » ، ولم يستبن معناها ، وأثبتنا ما في الوافي ، والملقى : ضرب من سير الخيل السريع .

(٤) [الملك : ١٩٧] .

(٥) (أ) : « فصار » .

(٦) الموضون : المضاعف النسج .

(٧) [الحجر : ٢٧١٥] .

(٨) (أ) : « وذو » .

مكنوناً ، أن يفوض إليه حُكْمُ البُنْدُقِ^(١) بالشام المحروس على عادة من تقدّمه في ذلك من القاعدة المستمرة بين الرماة . فليتول ذلك ولاية يعتمد الحق في طريقها الواجب ، ويظهر من سياسته التي شخّصت لها العيون وكأنما عَقَدَتْ أعالي كل جفن^(٢) بحاجب ، وَلَيُرْعَ حَقَّ هذه الطريقة في حفظ^(٣) مَوْثِقِهِ ، وَلَيَجْرِ على السَّنَنِ المألوف من هذه الطائفة ﴿ وكلُّ إنسانٍ أَلَزَمناه طَائِرَه في غَنَقِهِ ﴾^(٤) ، بحيث إنه يُنْزَلُ كُلُّ مُسْتَحَق في مَنْزِلَتِهِ التي لا يعدوها ويقبل من الرامي دعوى صيده ، وَيَرُدُّ ما لا يعتدُّ^(٥) بها الرماة ولا يعدّوها ، مُتَّبِعَتَا فيما يَحْمِلُ إليه من الرمي للحكم ولا يُرَخَّ على غِيَّه^(٦) ذيلاً ، مُحَرَّرًا^(٧) أَمْرَ المصروع الذي أصبح راميه من كلفه به مجنون ليلي ، جرياً في ذلك على العادة المألوفة والقاعدة التي هي بالمنهج الواضح موصوفة ، وَلَيَتَلَقَّ هذه النعمة بشُكْرِ يستحقُّ به كُلَّ خير ، وَيَتَلَّ آياتِ الحمد لهذا الأمر السُّلِماني الذي^(٨) حَكَمَه حق في الطير . والله يتولى تَدْيِيرَه ، وَيُصَلِّح ظَاهِرَ حُكْمِهِ والسَّريرة ، والاعتماد على الخط الكريم أعلاه ، والله الموفق بِمَنِّه وكرمه . إن شاء الله تعالى .

٩٥ - أحمد بن أبي بكر بن ظافر الخطيب*

الأمير الصَّدْرُ الرَّئِيسُ مُحَمَّدُ الدِّينُ بْنُ الْقَاضِي مُعِينِ الدِّينِ الْهُمْدَانِيِّ الْمَالِكِيِّ ، خَطِيبُ

الفيوم .

- (١) في الوافي : « الحكم بين رماة البندق » .
- (٢) في الأصل : « جنس » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و وافي .
- (٣) (أ) : « حفاظ » .
- (٤) [الإسراء : ١٣/١٧] .
- (٥) في الأصل : « يعتقد » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
- (٦) (أ) ، والوافي : « عيبه » .
- (٧) في الأصل : « مجردا » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
- (٨) في الأصل : « التي » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

* الدرر : ١١١/١ ، والشذرات : ٤/٦ .

كان أديباً لبيباً فطناً أريباً ، عنده حِشمةٌ ورياسة ، وصدارةٌ ونفاسة ، وكان خطيبَ القيوم ، خاضعاً^(١) للحي القيوم ، يُبكي العيونَ إذا خطب ، ويحذّرهم البوائق والعطب ، وكانت له فضائل ، وفيه من الكلمة شمائل . قال شيخنا أثير الدين : كان أحد رجالات الكمال صورةً وكرماً ، وعلماً وأديباً .

قلت : ولم يزل على حاله إلى أن طَفَرَ على ابن طافر من الموت ظافر^(٢) ، وأنشَبَ فيه مخالبه والأظافر . توفي رحمه الله تعالى في ثامن شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

وكان صَاهرَ الصاحب تاج الدين بن حنا^(٣) ، وهو ابن بنت الشيخ مجد الدين الإخيمي^(٤) ، وهو أخو قاضي القضاة شرف الدين المالكي الحاكم بالشام ، وسوف يأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

ومن شعره :^(٥)

٩٦ - أحمد بن بلبان*

الشيخ الإمام العالم الفاضل المُفَتْنُ شهابُ الدين أبو العباس . ابن النقيب البعلبكي الشافعي ، مفتي دار العدل وشيخ الإقراء بالشام .

(١) (أ) : « خاشعاً » .

(٢) (أ) : « طافر » . تصحيف .

(٣) علي بن محمد بن سليم ، أحد رجال الدهر حزماً ورأياً وجلادة ، ت (٦٧٧ هـ) ، الشذرات : ٣٥٨/٥ .

(٤) اسمه محمد بن الحسن ، ت (٦٨٤ هـ) ، الشذرات : ٣٨٩/٥ .

(٥) كذا في الأصل ، ولم يورد شيئاً من شعره .

* الدرر : ١١٥/١ ، وغاية النهاية : ٤٠/١ ، والشذرات : ٢٠٠/٦ ، وفيه : « أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم » وهذا ما أشار إليه صاحب الدرر في قوله « كان اسم أبيه بلبان ، فغيّره عبد الرحمن ، قلت : وسُمّي جدّه عبد الرحيم » ، ووقع اسمه في البداية والنهاية : ٣٠٣/١٤ هكذا : « أحمد بن عبد الله البعلبكي ، المعروف بابن النقيب » ، وكذلك في طبقات الشافعية : ١٨/٩ .

فاضل زاد على الأفاضل ، ومفتنٌ قصر عنه مَنْ يُناظرُ أو يُناضِلُ ، أقرأ الجماعة للسبع ، واحتفوا كأنهم أشبالٌ اجتمعوا على السبع ، وكان نحوهُ يَعْذِبُ في الأسماع مَنطِقُهُ ، ويروقُ إلى القلوب روثُهُ ، لو رآه ابنُ مالك كان له عبداً ، أو ابن الحاجب لَفَدَاهُ بعينه نقداً ، وَلِفَقْهُهُ على درسٍ منهاجه فيه روضة ، وفتواه تُمرِّعُ أَرْضَ السامع وتلاً حوضه . وأصولُهُ بأسقة ، وسهامُهُ إلى الأغراض بالصواب راشقة ، ينظم وينثر جيداً ، لكنه مَقِلٌ ولو شاء لم يكن عن الإكثار متحيداً . هذا كله إلى تواضع زانه ، وتضاؤلِ رفع شأنه وما شأنه ، وعلا به أقرانه ، وحشا به فضله فما أسعدَ قرانه :

تلوح بين بني الدنيا فضائله كما تبرجت الأقمار في السدَفِ
بادي التواضع للأقوام من كرم إن التواضع أقصى غاية الشرفِ

ولم يزل على حاله إلى أن نُقب القبر لابن النقيب ، وأصابت كآله عينُ الرقيب . وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عشري شهر رمضان سنة أربع وستين وسبع مئة .

ومولده في سنة أربع وتسعين وست مئة بقلعة بعلبك . كان والده بها نقيباً ، اجتمعت به بالديار المصرية وبالشام غير مرة ، وكان يتفضلُ ويجلسُ عندي بالحائط الشمالي من الجامع الأموي بدمشق وأخذ من فوائده وألتقط من فرائده .

قرأ على الشيخ مجد الدين التونسي ، وعلى الشيخ شهاب الدين الكفري^(١) بالسَّبع ، وحفظ (الشاطبية) و (المنهاج) للنووي - رحمه الله تعالى - ، وقرأ على الشيخ كمال الدين الزمِّلَكَاني^(٢) ، وعلى الخابوري ، وعلى قاضي حماة ، وأذن له بالإفتاء بعد العشرين وسبع مئة ، وأذن له بذلك قاضي القضاة جلال الدين القزويني بالقاهرة سنة تسع وعشرين وسبع مئة . وحفظ (مختصر ابن الحاجب) و (الطوالع)^(٣) ،

(١) حسين بن سليمان ، ستأتي ترجمته .

(٢) محمد بن عبد الواحد كمال الدين بن الزمِّلَكَاني ، ستأتي ترجمته .

(٣) طوالع الأنوار ، مختصر في الكلام للبيضاوي ، ت (٦٨٥ هـ) ، الكشف : ١١١٦ .

وبحثها على الشيخ شمس الدين الأصفهاني ، وقرأ (التقریب) و (التيسير)^(١) في علوم الحديث ، و (العمدة)^(٢) على ابن العطار^(٣) ، وحفظ (الحاجبية) و (ألفية ابن مالك) وببحثها على قاضي القضاة ابن مسلم الحنبلي^(٤) ، وعلى ابن المجد البعلبكي .

وناب في القضاء بدمشق لقاضي القضاة شهاب الدين ابن المجد^(٥) ، وتردد إلى القاهرة مرّات على فرس بريد تارة ، وتارة على خيله لزيارة القاضي علاء الدين ابن فضل الله ، وأخذ له في بعض سفراته تدريس العادلية الصغيرة^(٦) لما شغرت من فخر الدين المصري مضافاً لما بيده من تدريس القليجية^(٧) الشافعية برُحْبَةِ خالد^(٨) ، وأخذ حلقة الاشتغال بالجامع الأموي في سنة تسع وعشرين وسبع مئة بعد الشيخ برهان الدين الفزاري^(٩) ، وكان بيده الإقراء بالأشرفية^(١٠) جوار الكلاسة ، ومشیخة الإقراء بترية أم الصالح^(١١) .

- (١) التقریب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير ، في أصول الحديث للنووي ، الكشف : ٤٦٥ .
- (٢) هو « عمدة الأحكام عن سيد الأئمة » لعبد الغني الجماعي ، ت (٦٠٠) ، الكشف : ١١٦٤ .
- (٣) علي بن إبراهيم بن داود ، (ت ٧٢٤ هـ) ستأتي ترجمته .
- (٤) لعلمه محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع بن جعفر المزي ، قاضي المدينة . (ت ٧٢٦ هـ) ستأتي ترجمته .
- (٥) ابن المجد الإربلي محمد بن المجد بن عبد الله بن الحسين ، ت (٧٣٨ هـ) ، الشذرات : ١١٨/٦ ، والبداية والنهاية : ١٨١/١٤ ، وفي طبقات الشافعية : « شهاب الدين ابن المجد عبد الله » .
- (٦) العادلية الصغيرة : داخل باب الفرع ، شرقي قلعة دمشق ، أنشأها زهرة خاتون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، الدارس : ٢٧٨/١ ، وتقع اليوم في سوق المعصونية بدمشق .
- (٧) القليجية : داخل البابين الشرقي وباب توما ، بناها ابن قليج . الدارس : ٢٢٩/١ ، وهي من المدارس المجهولة الآن .
- (٨) هو خالد بن أسد البجلي القسري ، الدارس : ٤٣٠/١ .
- (٩) إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم برهان الدين الفزاري (ت ٧٢٩ هـ) . سلفت ترجمته .
- (١٠) دار الحديث الأشرفية ، بناها الأشرف مظفر الدين العادل ، الدارس : ١٥/١ .
- (١١) فيها المدرسة الصالحية ، ووقفها الصالح إسماعيل بن أبي بكر ، الدارس : ٢٣٩/١ ، وانظر البداية والنهاية : ١٧٩/١٣ - ١٨٠ .

وكان أولاً يُقرئ أولاد القاضي محيي الدين بن فضل الله ، فحصل بذلك هذه الجهات ، وأخذ له القاضي بدر الدين ابن فضل الله وظيفة الإفتاء بدار العدل في أيام الأمير سيف الدين طقزتمر .

وكان له ذوقٌ جيّد في الأدب وينظم وينثر في الأدب جيداً ، ولكنه يتخيل في نفسه لِمَا كان عنده من الانجذاب لقلبة السوداء عليه ، فما يعمل شيئاً .

وبيني وبينه مكاتبات مذكورة في الجزء الخامس من (التذكرة) التي لي ، وكتبت أنا إليه وأنا بالرحبة وهو مقيم بالقاهرة أسأله عن أخبار الأصحاب :

رحلتُ وفي مِصْرَ لي ســـــادةً يطولُ غرامي بهم واكتئابي
جَفَوْنِي وضنّوا بأخبارهم فأصبحتُ أطلبُها من صحابي
عسى خبرَ عنهم صـــــادقٌ أطلّعُه من كتابِ الشهاب

وكتبت له توقيعاً بإفتاء دار العدل بدمشق ارتجالاً ، وهو :

رَسِمَ بالأمر العالي المولوي السلطاني الصالح العبادي ، لازال شهابه لامعاً ، وسحابه بالنوال هامعاً ، وجنابه لأرباب العلم جامعاً ، أن يُرتَّبَ في كذا رُكُوناً إلى ما أتقنه من العلوم ، وسهر له والناسُ نيام بشهادة النجوم ، وسكوناً إلى ما حصله في مذهبه وحرره ، وأوضح دليله بالمباحث وقرره ، لأنه المُقرئ الذي قتل السبع بدربته خُبْراً ، ونزل به أضيافُ التلاميذ وكان لهم من السخاوي أقرأً ، والنحوي الذي لو رآه الفارسيُّ^(١) ترَجَّلَ له إعظاماً ، ولو شاهده ابنُ مالك كان له غلاماً ، والفقيه الذي لو عاينه صاحبُ (التنبيه)^(٢) غدق^(٣) به هذا الأمر ونام ، ولو نظر الغزاليُّ لِمَا كان حاكَّ

(١) أبو علي الفارسي ، ت (٣٧٧ هـ) .

(٢) هو إبراهيم بن علي الشيرازي ، صاحب كتاب التنبيه في فروع الشافعية ، ت (٤٧٦ هـ) ، الكشف :

٤٨٩ .

(٣) كذا ، ولم يستثن المراد .

بُرودَ تصانيفه ولا رَقَمَهَا بالأقلام ، والأصولي الذي لو تصدَّى له السيفُ قطعه بالقول المصيب ، ولو تقدم عَصْرَه قليلاً قال الناس : ما ابن الحاجب في العين كابن النقيب ، والحَبْرُ الذي تتفياً الأقلامُ إلى ظِلِّ فتاويه ، وتبدو وجوه المذهب وقد نَضَرها كأنها البدرُ في دياحيه . فليباشِرْ ذلك على العادة المألوفة ، والقاعدة المعروفة ، مُباشرةً تكون لدار العَدْلِ طِرَازاً ، ولذلك الحفل إذا أرشدَهم قولُه إلى النجاةِ مجازاً ، مُبدياً من فتاويه ما يقطعُ الحِجَجَ ، ويقذفُ بَحْرَه الزاخرَ ذَرَّها من اللُّججِ ، ويمضي السيفُ قوله فيقول له الحقُّ : لا إثمَ عليك ولا حرج ، فَرَبَّ قضايا لا يكشفُ قِناعَ إشكالها غيرَ فتواه ، وأمورٍ ينجلي فيها الحقُّ ببيانهِ ويُنظَرُ جدواه ، وتقوى الله أفضلُ حليةٍ زانتُ أفاضِلَ الناس ، وخيرُ غنيةٍ تعجَّلَها أولو الحِلْمِ والباس ، فلتَجْعَلْها قائِدةَ حِلْمِه ، وفائدةَ علمه ، فقد أصبح نَجِيَّ الملوك ، وقوله عندهم أَنفَسُ مِنَ الدَّرِّ الْمُنْظَمِ في السُّلوكِ ، وألفاظُه عندهم حُجَّةٌ في الأوامر والنواهي ، وفتاويه عندها المَالُ وإليها التَّنَاهي ، والله يُسدِّدُ أقواله ، ويوطِّدُ رُكْنَ أقواله بالتقوى فإنها أقوى له . والخطُّ الكريمُ أعلاه حُجَّةٌ في ثبوت العمل بما اقتضاه ، إن شاء الله تعالى .

٩٧ - أحمد بن بيلبك *

شهابُ الدين ابنُ الأمير بدر الدين الحسيني .

كان والده نائباً بَغْرَ الإسكندرية ، كَتَبَ طبقةً علياً ، ونسخ بخطه أشيا ، وعانى النِّظَمَ والنثر ، وأتى منها بحدائق الزَّهر ، وجمع وصف ، وأطرب الأسماع بكلامه وشنَّف ، وراح عند الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - في ^(١) آخر أمره ، وكان يَسْمُرُ عنده في الليل ^(٢) لتفريج هم صدره ، ويقرأ بين يديه في مجلِّدات كان يحضرها ،

* الوافي : ٢٨٠/٦ ، والدرر : ١١٦/١ ، والمنهل الصافي : ٢٥٧/١ ، وفيه : « بيلبك » .

(١) ليست في أ .

(٢) في الأصل : « الكيل » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

ويُريه أوائلها فينظرها ، ونظم بعض مسائل (التنبيه) أتى بذلك على غالبها ، وبرز في نظمها ولطف ما قال به في قالبها ، وكان يعرضها أولاً فأولاً على العلامة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي إلى أن كملها ، وختم عليه مفضلها ومجملها ، وتوجه بعد تنكز - رحمه الله تعالى - مرات إلى مصر وعاد ، وألفت دمشق منه التداني والبعاد ، وآخر ما فارقتها ، ونبذ عهدها وسارقها ، أنه توجه إلى مصر ، وسعى في نيابة دمياط ، وعمر هناك عمارة وقع منها في السنة العوام بين هياط ومياط .

ولم يزل بها نائباً إلى أن أساء الدهر إلى ابن المُحسني ، وذهب من حياته بالرائق السني ، وتوفي رحمه الله تعالى في أواخر سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وتسعين وست مئة .

وهو أخو الأمير ناصر الدين محمد بن المحسني .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

كأنا صيغ من ذرٍّ ومن ذهب	لله ساقٍ رشيقةً قد أهيفه
أنوارها تزدري بالسبعة الشهب ^(١)	يسقي معتقةً تحكي شائله
ولو أنها لون ذاك الحد في اللهب	حبابها تغره والطعم ريقته

قلت : شعر متوسط .

وكتبت أنا إليه وقد وقفت له على قصيدة في هذا الوزن بهذا^(٢) الروي يمدح بها رسول الله ﷺ :

(١) (أ) : « سقى معتقة يحكي شائله » .

(٢) قوله : « هذا الوزن بهذا » ، ليس في (أ) .

أيا قاصِداً في مدحه أَشرفَ الورى وخَيْرَ نبيٍّ في البرِّيَّةِ أُرْسِلا
جَلوتَ علينا فيه وَجْهَ قصيدةٍ أَجلَّ مِنَ البَذْرِ المُنيرِ وأَجْمَلا
إذا نحن شَبَّهنا به نَظَمَ شاعِرٍ وكُلُّ قوافيها الحِسانِ تقولُ : لا

٩٨ - أحمد بن أبي بكر*

الأمير شهاب الدين ابن الأمير الكبير سيف الدين نائب الشام ، أحدَ الولدين
الذكرين اللذين خلفهما الأمير سيف الدين تنكز ، كانا بمصر من جُمْلَةِ الأمراء ، وكان
هذا « أحمد » هو الصغير ، والأمير ناصر الدين محمد^(١) هو الكبير ، وكان اسمَ طويلاً ،
قد أثر الجدريُّ في وجهه .

توفي - رحمه الله تعالى - في طاعون مصر سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

٩٩ - أحمد بن حامد بن عَصْبَة**

القاضي ، جمال الدين الحنبلي ، قاضي بغداد .

تولَّى قضاء بغداد ، وكان فيها بمنزلة الأستاذ إلا أن « خَرَبَندا »^(٢) تَغَيَّرَ عليه
خاطرُهُ ، وتَنَكَّبَ عنه من نسيم إقباله عاطِرُهُ ، فيُقَالُ إنه أَخْرَقَ به وعَزَّرَهُ ، وكاد لولا
قليلٌ أن يَرى وقد تَقَبَّ جَنَبَهُ وفَزَّرَهُ^(٣) .

ما زال في حاله إلى أن عاملته الحياة بالجفاء ، وأعوذته الوقوف على ربوع الشفاء .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

* لم نقف على ترجمته .

(١) ليس في (أ) و (خ) .

** الوافي : ٢٩٩/٦ ، والدرر : ١١٧/١ .

(٢) سلطان التتار ، ت (٧١٦ هـ) ، الشذرات : ٤٠/٦ .

(٣) فزره : شقه ، وضربه بالعصا على ظهره .

١٠٠ - أحمد بن الحسن بن أبي بكر بن علي*

الإمام الحاكم بأمر الله ، أبو العباس بن الأمير أبي علي القُبِّي - بالقاف والباء الموحدة - وعليّ المذكور ابن الخليفة المُسْتَرشِد^(١) بالله بن المُسْتَظْهَرِ الهاشمي العباسي البغدادي ، قدم مصر ، ونَهَضَ بِيَعْتَهُ الملكُ الظاهر ، وبُوع سنة إحدى وستين وست مئة^(٢) ، وخطبَ بالناس ، وعقد بالسلطنة للملك الظاهر ببغداد .

وكان مُلازِمًا لداره ، وكان شجاعاً له إقدام ، وعنده ثباتُ جَنَانٍ في الحرب وإقدام ، لا يفرُّ من الحَيْنِ المُجْتَنَح ، ولا يُرى في وسط المعركة إلا وهو إلى الموت يرتاح^(٣) . هذا إلى ديانة متينة وصيانة مُبَيَّنَة . له راتب يكفيه من غير سَرَف ، ويُقيم أَوْدَه إذا ماد أو انحرف .

امتدت أيامه قريباً من أربعين سنة ، ثم إنه عهد بالخلافة إلى ولده المستكفي بالله أبي الربيع سليمان ، وكان الحاكم قد نجح في كائنة^(٤) بغداد ، واختفى ، ثم إنه سار مع الزين صالح بن البنا والنجم بن المشّا ، وقصدوا أميرَ خَفّاجة حسين بن فلاح ، وأقاموا مدّة ، ثم توصلوا إلى دمشق ، وأقام بالبرّ عند عيسى بن مهنا^(٥) ، فعرف به الناصر

* الوافي : ٣١٧/٦ ، والدرر : ١١٩/١ ، والبداية والنهاية : ٢٣٧/١٣ و ١٨/١٤ - ١٩ . ترجمته .

(١) في الأصل : « ابن المسترشد ، وأثبتنا ما في (أ) ، وفي البداية والنهاية ، ٢٣٧/١٣ : « .. القبي بن الأمير علي بن الأمير أبي بكر بن الإمام المسترشد .. » .

(٢) انظر في هذه الأحداث : البداية والنهاية : ٢٣١/١٣ وما بعدها ، وبدائع الزهور : ٣١٢/١ ، واختصر لأبي الفداء : ١٣٥/٤ .

(٣) (أ) : « إلى الحرب مرتاح » .

(٤) (أ) : « واقعة » . وهما بمعنى .

(٥) ابن مهنا ، (٦٨٣ هـ) ، الشذرات : ٣٨٣/٥ ، كان أمير سلمية سنة ٦٥٨ هـ ، البداية ٢٢١/١٣ غير صحيح لأن الحادثة قبل الستين .

صاحب حلب^(١)، فطلبه، وجاء هولاكو، ولمّا جرى ما جرى، ودخل المظفر دمشق بعد واقعة (عين جالوت)، بعث أميراً يطلب الحاكم، فاجتمع به وبايعه، وتسامع به عرب الشام، فساروا معه^(٢)، وآل فضل وخلّق، فاقتتح بهم عانة وهيت والأنبار، وحارب «القراؤل» في^(٣) سنة ثمان وخمسين وست مئة، فهزمهم، وقتل منهم ثمانية مقدّمين، وأزید من ألف، وما قُتل من عسكره سوى ستة، فأقبل التتار مع قرابغا، فتحيّز^(٤) الحاكم، وأقام عند ابن مهنا، ثم كاتبه طيّبرس نائب دمشق، فقدمها، فبعث به إلى مصر، وصحبه الثلاثة الذين رافقوه من بغداد، فاتفق وصول المستنصر قبله إلى مصر بثلاثة أيام، فخاف الحاكم منه وتنكر، ورجع^(٥) ماشياً وصحبته الزين الصالح^(٦) إلى دمشق، فاختنى بالعقيبة^(٧)، ثم قصدا (سلمية) وصحبتهما جماعة أتراك، فقاتلهم قوم، ونجا الحاكم، وقصد الأمير البرلي^(٨)، فقبل البرلي يده وبايعه هو وأهل حلب، وساروا إلى حرّان فبايعه بنو تيمية بها، وصار معه نحو الألف من التركان وغيرهم، وقصدوا (عانة) فصادفوا المستنصر الأسود، فعمل عليه، واستمال التركان، فخضع الحاكم وبايعه، والتقوا التتار، فانكسر المسلمون، وعُدم المُستنصر ونجا الحاكم، فأقّى (الرحبة) ونزل على ابن مهنا، فكتب إلى السلطان، فطلبه، فسار إلى القاهرة، وبويع بإمرة^(٩) المؤمنين، وسكن في برج القلعة^(١٠) ليس له في الأمر شيء.

(١) هو يوسف بن محمد، ت (٦٥٨ هـ)، التحفة: ١٥٤/٢.

(٢) كذا في الأصل و (أ)، وعبرة الوافي: «فسار ومعه ابن مهنا وآل فضل».

(٣) (أ)، والوافي: «في آخر».

(٤) في الوافي: «فتحين».

(٥) «الواو» زيادة من (أ)، وفي الوافي: «وقصد».

(٦) في (أ): «الصالح».

(٧) العقيبة: حي في وسط دمشق الآن، على مقربة من قلعة دمشق، إلى الشمال منها.

(٨) في الوافي: «البرلي».

(٩) في الأصل: «بأمر»، وأثبتنا ما في (أ) والوافي.

(١٠) (أ): «في برج من القلعة»، وفي الوافي: «في برج بالقلعة».

سوى الدعاء في الخطبة ، وطلب له إلى مصر الإمام شرف الدين بن المقدسي ^(١) ، فأقام معه نحو سنة يُفقهه ويعلمه ويكتبه ، وأجاز له ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر ، ولم يحدث .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : وخرّج له ابن الخبّاز بخطه الوحش وانتخابه العفش أربعين جزءاً بالإجازة ، فبعث بذلك إلى الوراق .

وكانت وفاته سنة إحدى وسبع مئة ، في ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى ، ودُفن بمشهد السيدة نفيسة .

وقد تقدم ذكر حفيده أحمد بن سليمان ، وسيأتي ذكر ولده سليمان - إن شاء الله تعالى ^(٢) - في حرف السين مكانه .

١٠١ - أحمد بن الحسن*

ابن عبد الله بن عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي .

قاضي القضاة ، شهاب الدين أبو العباس ابن الشيخ شرف الدين ابن الحافظ جمال الدين .

كان من أعيان الحنابلة وفرسانها المقاتلة ، جيّداً في ذاته ، خيراً في صفاته ، درس بالصالحية وبحلقة الحنابلة ، وولي الإمامة بحراهم ، وولي القضاء بالشام نحواً من ثلاثة أشهر عوضاً عن قاضي القضاة تقي الدين سليمان في سنة تسع وسبع مئة في مستهل جمادى الآخرة ^(٣) ، ولمّا جاء الملك الناصر من الكرك إلى دمشق عزله ، وأعاد قاضي القضاة تقي الدين سليمان .

(١) أحمد بن أحمد بن نعمة ، ت (٦٩٤ هـ) ، البداية والنهاية : ٣٤١/١٣ .

(٢) زاد في (أ) ههنا : « وما فيه من الكلام الغريب » .

* تالي الوفيات : ٨ ، والشذرات : ٢١/٦ .

(٣) انظر أحداث سنة (٧٠٩ هـ) ن البداية والنهاية : ٥٠/١٤ ، والدارس : ٢٧/٢ ، وستأتي ترجمة سليمان .

وكان فاضلاً ، فقيهاً ، مناضلاً نبياً ، حسنَ العبارة ، إذا جرى في ميدان علمه لا يَشُقُّ أحدٌ غباره .

وقرأ الحديث ، وروى عن ابن عبد الدائم .

ولم يزل على حاله إلى أن قضى إلى ^(١) سبيل ربه ، وعجز المداوي عن رُقاہ وطبِّه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في تاسع عشري شهر ربيع الأول سنة عشر وسبع مئة .

ومولده ثاني عشر صفر سنة ست وخمسين وست مئة بسفح قاسيون .

١٠٢ - أحمد بن الحسن بن محمد*

مجير الدين الخياط الدمشقي .

كان المذكور شيخاً خياطاً ، وناظماً في ليل جهالته خبّاطاً ، وربما ندر له البيت والبيتان ، ورمى بالدرة فلقفها من أقلامه الحيتان ^(٢) ، مع ثقل في ألفاظه ، ماتنوء به أذهان حُفَاطِه . وكان كثير الدعاوي في هذا الفن ، غزير الإدلال على مَنْ يسمع له ما شرد له وما عَن ، يقول : البارحة عركت أذنَ أبي تَمَام ، وأريته جربانَه في الحمام ، وينشد قصيدة قد عارضها [في] ^(٣) وزنها ، ويقول : هكذا تكون الدرر في خزنها . والبارحة ضربت المتنبي بألف بابوج ، وجعلت طرطوره مثل السراقوج ، وينشد قصيدةً يعتقد أنها نظير شعر ذاك ، ويقول : هكذا تكون الجواهر في الأسلاك ^(٤) .

(١) في الأصل : « إلى أن قضى سبيل ربه » ، وأثبتنا ما في (أ) .

* الوافي : ٣٣٢/٦ ، والدرر : ١٢٢/١ ، والنهل الصافي : ٢٨٢/١ .

(٢) في (أ) : « فلقفها من ألفاظه الحسن » .

(٣) زيادة من (أ) .

(٤) (أ) : « في العقود والأسلاك » .

وشعره في عدة مجلدات ، ليس لها نظير في بابها ولا لدات . قال لبنته المسكينة قبل موته : لا تبيعي كل مجلد من هذه بأقل من مئتي دينار ، وإياك أن يغرّك أحد ، فيأخذها بدون^(١) هذا المقدار . فكانت بعد موته تبيع كل مجلد منها بدرهمين أو ثلاث ، وتتعجب من الناس كونهم ما لهم عليها إقبال ولا انبعاث .

ولم يزل على ذلك الحال إلى أن لم يجد المجير من الموت مُجِيراً ، وبَطَلَ ما كان له من العادة والهَجَرِ^(٢) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، وقد قارب السبعين أو تجاوزها .

ومن شعره ، ومن خَطّه نقلت :

أَهْوَنُ وَأَنْتَ صَعْبٌ لَا تَهْوَنُ	إِلَى كَمْ أَتَيْهَا الدَّهْرُ الْخَوُونُ
صَفَاءُ الْوَدِّ مِنْهُ وَلَا خَدِينُ	تَكَلِّتُكَ لَا خَلِيلٌ لَدَيْكَ يُرْجَى
إِذَا اضْطَرَبَتْ حَوَادِثُهَا سَكُونُ	وَلَا سَكَنٌ إِلَيْهِ مِنَ اللَّيَالِي
بِهِ يُحْمَى الذَّمَّارُ وَلَا قَرِينُ ^(٣)	وَلَا قِرْنٌ مِنَ الْإِخْوَانِ ذِمَّرُ
كَأَمْ يَجْتَمِعُ ضَبٌّ وَنَوْنُ	وَلَا تَرِبٌ يُصَابُ وَلَا صَدِيقُ
لِخَطُوكَ أَتَيْهَا الصَّعْبُ الْخَوُونُ ^(٤)	فَدَخَضَا ثُمَّ تَغَسَّأَا ثُمَّ عَثَرَا
لَدَيْكَ وَلَا مَعِينُ وَلَا مَعِينُ	فِيأَشَرُ الدَّهْوَرِ الْإِلَامَ ظَمْنِي
فَتَضُدُّنِي الْمَآرِبُ وَالظُّنُونُ	أَكْذَبُ فِي لِيَامِ بَنِيكَ ظَنِّي
بِنَائِلِ خَيْرِهِ كَرَّ ضَنِينُ ^(٥)	وَأَشْحُ أَهْلٍ هَذَا الْعَصْرِ نَفْسًا

(١) (أ) : « بأقل من هذا » .

(٢) هَجَرَاه : دأبه وشأنه .

(٣) الذمر : الشجاع .

(٤) (أ) : « الحرون » ، وهي أقرب .

(٥) (أ) : « بنائل غيره » .

ولست فتى على وَعَنكَ الليالي
وإن جازَ الزمانُ فلي قنَاةٌ
لأنِّي من بني بيتٍ رَفِيعٍ
يغرُّ ذوي الجَهَالَةِ في حِلْمٍ
وما علموا بأن جبال حِلْمِي
وألفاظُ أحدٍ من المواضي
ومنها :

وفي مُتَشَاعِرِي عَضْرِي أناسٌ
يظنُّونَ القريضَ قِوَامَ وَزِينٍ
وما علموا بأنَّ الشَّعْرَ مَرْقٍ
وعِبَاءٌ لَوْ تَحَمَّلْتَهُ ثَبِيرٌ
وبَحْرٌ نَهَى لَهُ عَوْرٌ بَعِيدٌ
ومضارٌ فُحُولُ الشَّعْرِ فِيهِ
وقافيةٌ هي الذَّهَبُ الْمُصَفَّى
معانيها الثَّوَابِقُ والقوافي

أقلُّ صِفَاتِ شِعْرِهِمُ الْجُنُونُ
وقافيةٌ وما شاءت تكون^(١)
دَوِينَ صُعُودِهِ يَنْبُدِي الجَبِينُ
لأَطْلُ لَهُ وَمِنْهُ بَدَا الْأَنْبِينُ^(٢)
عَزِيزُ فِيهِ لَوْلُوهُ الثَّمِينُ
لهم من وَغْرِ شِقَّتِهِ صَفُونُ
إذا امْتَحَنْتَ بَلَّ السَّحَرِ الْمُبِينُ
إذا يُفْـرَـغْنَ أَبْكَارَ وَعِينِ^(٣)

١٠٣ - أحمد بن حسن *

الأمير شهاب الدين بن الروافى .

(١) (أ) : « قيام » .

(٢) ثبير : جبل . وأطل به : رقَّ وصوت من الثقل .

(٣) (أ) : « معاشها » .

* أشار بن كثير إليه وإلى سنة وفاته في البداية والنهاية : ١٦٢/١٤ .

كان أولاً مُتَوَلِّيَ الْبَرِّ^(١) بالكرك ، وأخوه علاء الدين^(٢) بن المرواني متولي البر^(٣) بدمشق ، فأُعرف في وقت أنه طلبه السلطان الملك الناصر محمد إلى مصر ، وكتب الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - على يده مُطالعةً ، وكتب إلى الأمير سيف الدين بكتُمَر الساقى وغيره بالشكر منه والوصية به ، فأخذ الكتُبَ وتوجّه بها ، ولم يفتقدُها إلا وهو بين يدي السلطان ، فدَّ يده لِيُخْرِجَ الْمُطالعة ، فلم يجد لها أثراً ، فسقط في يده ودهش ، فتلا في أمره سيف الدين بكتُمَر الساقى ، وكتب إلى تنكز في معناه ، فاستأنف المكتبة له ثانياً ، وجهّزها في البريد إليه ، فأقبل السلطان عليه بعد ذلك وعاد مُكرّماً .

وتولى نيابة بعلبك ، ولم يزل فيها إلى أن طُلب أخوه الأمير علاء الدين إلى مصر ، وولاه السلطان الوجهة القبلي ، فطلبه الأمير سيف الدين تنكز من بعلبك وولاه مكانه في ولاية البرّ ، فأقام به إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في ثامن عشرين شهر رجب الفرد سنة ثلاث وسبع مئة ، وكان قد توجه إلى مصر ، فحضر وهو مريض .
وكان فيه دين ، يتلو القرآن ويتنفل وفيه خيرٌ وعبادة .

١٠٤ - أحمد بن زكريا بن أبي العشائر*

الشيخ شهاب الدين أبو العباس المارديني .

روى الجزء الثاني من مشيخة ابن سلمة^(٤) عنه . وكان مقيماً بدمشق يصحب القاضي

(١) متولي البر : هو القائم بشؤون القرى المحيطة بالمدينة .

(٢) (أ) : « الأمير علاء الدين » .

(٣) (أ) : « البريد » ، تحريف .

* الدرر : ١٣٣/١ .

(٤) في الأصل : « مسلمة » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

عبي الدين بن الزكي^(١) وأولاده ، وينتمي إلى ابن العربي . ثم إنه سافر في الجفل إلى القاهرة واستوطنها .

قال شيخنا البرزالي : وأجاز لنا بدمشق ، وتوفي - رحمه الله تعالى - بالفيوم في شهر رمضان سنة أربع عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وعشرين وست مئة بماردين .

أنشدني شيخنا الحافظ فتح الدين بن سيّد الناس قال : أنشدنا المذكور ، قال :
أنشدنا الزين الجوبان لنفسه :

انْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَقَدْ عَمَّتْ رُؤْسَ الهِضَابِ الصُّلَعِ بِالْأَصْفَرِ
كَأَنَّهُا فِي الْجَوْ قَلَاعَةٌ وجاءَ فَلَاحٌ عَلَيْهَا خَرِي^(٢)

١٠٥ - أحمد بن خليل *

شهاب الدين البزاعي التاجر الشاعر ، له ديوان شعر ، حدّث بشيء منه ، سمع [منه]^(٣) الطوفي الحنبلي ، وسراج الدين عبد اللطيف بن الكويك^(٤) ، والسديد بن كاتب المرج ، وناصر الدين محمد بن الثقة الأسنائي .

كان المذكور سقّاراً ، يحمل من الفضل أسفاراً ، له عناية بديوان أبي الطيب ، وميل إليه كما يتحدّر قطر الصيّب ، يراجعه ويكرر على أبياته^(٥) ، ويعتني بإظهار

(١) (أ) ، (خ) : « مجد الدين بن الزكي » . تحريف وهو يحيى بن محمد ، ت (٦٦٨ هـ) ، العبر : ٢٨٩/٥ ، والبداية النهاية : ٢٥٧/١٣ .

(٢) القلعة : صخرة عظيمة وسط فضاء سهل .

* الدرر : ١٣٠/١ ، وخت (خ) من ترجمته .

(٣) زيادة من (أ) ، وهي ثابتة في الدرر .

(٤) ستأتي ترجمته .

(٥) (أ) : « ويكرّر على إثباته » .

عجائبه ومحَبَّاته ، ولم يزل على حاله إلى أن مَرَّغت بالموت صفاته ، وَشُرَّعت ^(١) وفاته .
توفي - رحمه الله تعالى - يوم عاشوراء سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، وقد قارب
المئة سنة .

ومن شعره (٢) ... :

١٠٦ - أحمد بن سعد بن مُحَمَّد*

أبو العباس العسكري الأندلسي ^(٣) الصوفي .

شيخُ العربية في زمانه بالشام ، وبارقها الذي يَنْتَجِعُ قَطْرَهُ مَنْ شَام ، برع في
النحو ودرّسه ، واقتطفَ أثمار ما علّقه من الفوائد وغرّسه . أقرأ (التسهيل) بدمشق
لجماعة تخرّجوا به وانتفعوا ، وخرّجوا من الجهالة واندفعوا . وشرح (التسهيل) ^(٤) ،
وجعل غامضه كتيباً هيل .

نسخ بخطه (تهذيب الكمال) واختصره ، وشرع في تفسير كبير وفّر وقته عليه
وقصره ، وكان دَيِّناً ، ورعاً صَيِّناً ، مُنْقِضاً عن الناس إلى الغاية ، منجماً عنهم ليس
له بأمرهم عناية ، لم أر في عمري ولا رأى غيري مثل انجماعه ، ولا مثل أطراحه أمور
الناس ودفاعه . حضرت يوماً عند العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وهو عنده
بعدما أمسك الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - بخمس سنين ، فذكر إمساك
تنكز ، فقال : وتنكز أمسك ؟ قلنا : نعم ، وجاء بعده أربعة نواب ، الأمير

(١) (أ) : « وسُرَّعت » .

(٢) بياض في الأصول .

* الدرر : ١٣٥/١ ، وفيه : أحمد بن سعد بن عبد الله ، والشذرات : ١٦٦/٦ ، والبغية : ٣٠٩/١ .

(٣) في الأصل : « الأندلسي » ، وأثبتنا ما في (أ) وبقيّة المصادر .

(٤) ذكره صاحب الكشف : ٤٠١ .

علاء الدين الطنبغا ، الفخري ، وأيدغمش ، وهذا الأمير سيف الدين طقزتمز ! فقال : ما علمت بشيء من هذا ، وما في ذهني أن تنكزَ أَمْسَكَ ! فتعجبنا منه ومن تخلّيه عن أحوال الناس والاشتغال بهم . . ويقع في دمشق مثل واقعة تنكز ، والفخري ، والطنبغا ، وهو في دمشق ما ^(١) يعلم بشيء من ذلك ! هذا من أعجب ما يكون .

وكان له بيت في الجامع تحت المأذنة الشرقية ولم يزل مُكَبِّاً على (التسهيل) حتى يحقه الإسهال ، وذكره الموت بعد الإمهال والإهمال .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في ذي القعدة سنة خمسين وسبع مئة ، ومولده بعد التسعين والست مئة ، ووقف كتبه على أهل العلم ، وجعل أمرها لقاضي القضاة .

١٠٧ - أحمد بن سليمان بن مُحَمَّد بن هلال *

الصاحب تقي الدين ، ابن القاضي جمال الدين ، ابن القاضي أمين الدين ، ابن هلال .

خَرَجَتْ لَهُ شَفَاعَةٌ مِنْ دُورِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَافُونَ إِلَى الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ تَنْكَزٍ - رحمه الله تعالى - ونَحْنُ مَعَهُ بِالْقَاهِرَةِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعٍ مِائَةٍ بِأَنْ يَكُونَ فِي جَمَلَةِ كِتَابِ الْإِنْشَاءِ بِدِمَشْقَ ، فَوَعَدَهُنَّ ^(٢) بِذَلِكَ إِذَا عَادَ إِلَى دِمَشْقَ ، ثُمَّ إِنَّهُ ذَكَرَ لَهُ أَمْرُهُ فَمَا وَافَقَ ، ثُمَّ إِنَّهُ سَعَى بَعْدَ مَوْتِ جَمَالِ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ ^(٣) بْنِ غَانَمٍ فِي زَمَنِ طَقْزَتَمَرٍ أَنْ ^(٤) يَكُونَ عَوْضَهُ فَمَا اتَّفَقَ لَهُ ذَلِكَ ، فَتَوَجَّهَ إِلَى مِصْرَ ، وَسَعَى فِي أَيَّامِ

(١) (أ) ، (خ) : « ولا » .

* الوافي : ٤٠٥/٦ ، والدرر : ١٣٨/١ .

(٢) (أ) : « فوعد نساء السلطان » .

(٣) (أ) ، (خ) : « جمال الدين بن عبد الله » .

(٤) (أ) ، (خ) : « على أن » .

للملك الكامل ، وبذل مبلغاً كثيراً^(١) في وكالة بيت المال والحسبة ، وتوقيع الدست بالشام ، فرسم له بذلك ، وبلغ مبلغاً كبيراً^(٢) ، ثم توقفت القضية ، فلما تولى الملك المظفر ، قام معه الأمير سيف الدين بن فضل والصواف تاجر الخاص فرسم له بنظر الشام عوضاً عن صاحب علاء الدين بن الحراني ، لأنه كان قد تصوّر^(٣) من الوظيفة ، وحضر إلى دمشق في زمن الأمير سيف الدين يلغا الحيوي بعد عيد رمضان سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، وباشر الوظيفة مدة تقارب نصف سنة إلى أن عزل بالصاحب شمس الدين موسى^(٤) ابن التاج إسحاق ، وحضر إلى دمشق في أواخر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

وكان شاباً طويلاً حسن الصورة ، مليح الشكل ، حركاته على الظرف واللطف مقصورة ، قد خط عذاره بقلم الريحان ، وبسم عن ثغر كأنه الحباب على بنت الحان ، بعمّة أنيقة اللّف ، دقيقة الصّف ، وقلمه سريع الحركة ، وحروفه أحسن في دُجى الحبر من النجوم المُشْتَبِكة ، واستخفّ الناس به ، وقالوا : هذا صغير على هذه الوظيفة ، قليل الدّربة بتنفيذ أمور الدولة العالية المنيفة ، فلطف الله به ، وجاءت الجهات من عيونها ، وماتت نفوس حساده بغبونها ، وكان قلمه رطباً لا يرد سائله ، ولا يُخَيِّب مَنْ أمله وسائله ، رآد معاليم جماعة ، وأجرى قلمه بصلة الرّزق ومدّ باعه ، إلا أن الناس عَبَرَتْ عيونهم عليه ، ولعبوا في التّصرف بين يديه ، وقلّت حرُمته ، وحلّت بذاك جرُمته ، ونهب المال وتمحق ، ووقع في الضياع وتوهق^(٥) ، فكتب الأمير سيف الدين

(١) (أ) ، (خ) : « كبيراً » .

(٢) قوله : « وبلغ مبلغاً كبيراً » ، ليس في (أ) ، (خ) .

(٣) أي : صُرف .

(٤) ليس في (أ) و(خ) .

(٥) توهق : اضطر إلى ما يتحير فيه .

يلبغا ، وطلب صاحب شمس الدين موسى ، فحضر كما ذكر أولاً ، ولم يجد صاحب تقي الدين عن دمشق متحوّلاً ، فلزم داره ، وأقام مكانه ^(١) كالقمر في الدّارة .

وكان قد استدان من الصّوّاف مبلغ ثمانين ألفاً ، واتفق في تلك المدة أن حضر الأمير سيف الدين صرغتمش إلى دمشق متوجّهاً بالأمير فخر الدين إياس إلى نيابة ^(٢) حلب ، فطالب تقي الدين المذكور مطالبةً فيها غلظة ، وأراه مع مهابته أخلاقاً فظةً ، وجدّ له واكفهر ، وجدّله وأزبأراً ^(٣) ، فشفع فيه الأمير فخر الدين ، وصنّ له القيام بذلك عند عوّده من حلب ، وأنه ما يحوجه بعد هذا المجلس إلى طلب . فلما كان قبل وصول الأمير سيف الدين صرغتمش إلى دمشق بليلة واحدة ، ثارت على تقي الدين حمى بالهلاك معترفةً للحياة جاحدة ، وتبيّع مع الحمى دمّ كثير ، وهيج كُربٌ للتلاف مثير ، أعجز الأطباء عن خلاصه أو فكّائه ، وتركوا ابنَ هلال في دائرة ^(٤) هلاكه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - ليلة الجمعة سادس شهر رجب الفرد ، سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وكان عمره خمساً وعشرين سنة .

أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة ^(٥) ما كتبه إلى المذكور ^(٦) :

هُنَيْتَ مَا أُوتِيَتْهُ مِنْ دَوْلَةٍ حَلَّتْكَ فِي الْعَيْنَيْنِ مِنْ إِجْلَالِهَا
فِي مَقْلَةٍ الْأَجْفَانِ أَنْتَ فَقُلْ لَنَا أَنْتَ ابْنُ مَقْلَتِهَا أَوْ ابْنُ هِلَالِهَا

وانتقد الأفاضل عليه هذا المعنى ، لأنه ما يستقيم له المعنى الذي أراده ، فأنشدني بعد ذلك الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف الخياط من لفظه لنفسه :

(١) (أ) ، (خ) : « في مكانه » .

(٢) (أ) : « مدينة » .

(٣) ازبأر الرجل للشر : تهاً .

(٤) (أ) : « دار » .

(٥) (أ) ، (خ) : « محمد بن محمد بن نباتة » ، وستأتي ترجمته .

(٦) ديوان ابن نباتة : ٤١٤ .

إِنَّ الْوِزَارَةَ وَالْكِتَابَةَ لَمْ تَجِدْ أَحَدًا سِوَاكَ يَزِيدُ فِي إِجْلَالِهَا
جَعَلْتُكَ فِي الْعَيْنَيْنِ مِنْهَا يَأْتَرَى أَنْتَ ابْنُ مَقْلَتِهَا أَوْ ابْنُ هِلَالِهَا

١٠٨ - أحمد بن سليمان بن أحمد بن الحسن القُبَّيْ *

- بضم القاف وتشديد الباء - ابن أبي بكر بن علي ، ابن الفضل بن أحمد ابن عبد الله بن أحمد بن^(١) إسحاق بن جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، الإمام العباسي المصري ، أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ، أبو القاسم ابن أمير المؤمنين المستكفي ابن أمير المؤمنين الحاكم ، وجده الفضل هو المسترشد بن المستظهر بن المقتدي بن القائم بن القادر بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق^(٢) بن المتوكل بن المعتمد بن الرشيد بن المهدي بن المنصور .

لَمَّا تَوَفَّى وَالِدُهُ الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ بِقُوصَ - كَمَا^(٣) سَيَأْتِي فِي تَرْجُمَتِهِ فِي حَرْفِ السِّينِ - عَهْدَ بِالْأَمْرِ إِلَى وَلَدِهِ هَذَا أَحْمَدَ ، فَلَمْ يُوَافِقِ الْمَلِكُ النَّاصِرُ^(٤) مُحَمَّدَ بْنَ قَلَاوُونَ عَلَى ذَلِكَ كِرَاهِيَةً فِي وَالِدِهِ ، وَبَوَيْعَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ ابْنَ أَخِي الْمُسْتَكْفِي بِبَيْعَةِ خَفِيَّةٍ لَمْ تَظْهَرِ ، وَلَمْ تَبْدُ كَوَاكِبُهَا^(٥) فِي أَفْقِ الْخِلَافَةِ وَلَمْ تَزْهَرْ ، وَاسْتَمَرَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَوَلَّى الْأَشْرَفُ كَجَكَ فِي أَيَّامِ قَوْصُونَ ، فَطَلَبَ أَبُو الْقَاسِمِ هَذَا وَبَايَعَهُ بِبَيْعَةِ ظَاهِرَةِ ، سَارِيَةٍ فِي^(٦) الْأَفَاقِ

* الدرر : ١٣٧/١ ، والشذرات : ١٧٣/٦ ، والبدايع : ٥٤٨/١/١ ، والنهل الصافي : ٣٠٨/١ ، وفيه خلاف عما هنا في نسبه وسنة وفاته .

(١) قوله : « عبد الله بن أحمد بن » ليس في (أ) و (خ) .

(٢) في (أ) : « بن القادر بن المعتمد بن الموفق » .

(٣) (أ) ، (خ) : « على ما » .

(٤) في الأصل « المنصور » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٥) (أ) ، (خ) : « ولم يبد كوكبها » .

(٦) (أ) ، (خ) : « إلى » .

سائرة ، وكان قد لُقِّب أولاً بالمستنصر ، فَلَقَّب الآن بالحام ، وكُنِّي أبا العباس ، واشتدت أواخي خلافته والأمراس .

ولم يزل خليفة بمصر من سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة إلى أن خمدت أنفاسه ، وتقضت من الحياة أحلاسه ^(١) ، وتوفي - تغمده الله برحمته في ذي الحجة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

١٠٩ - أحمد بن عبد الله *

ابن أحمد بن إبراهيم بن المسلم .

القاضي النبيل الماجد ، شهاب الدين ابن البارزي ، ناظر الأوقاف بدمشق ، حدَّث بالغيلانيات ^(٢) عن غازي الخلاوي ^(٣) .

ورد إلى دمشق في أيام الأمير علاء الدين ألطنبغا الحاجب في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة من حماة ، فأكرمه ورتبه في نظر الأوقاف ، وكان في حماة في زمن الملك المؤيد عماد الدين ^(٤) صاحباً ، وكان يحبه ويكرمه ، وكان كثير البشر طلق الوجه ، لا يعرف الرد ولا النجّة ^(٥) ، كثير التودد والتقرب إلى القلوب ، لا يعرف إلا إيجاب الحقوق على نفسه دون السلوب ، يأخذ نفسه بالسيادة التي اعتادها ، وأكرم الله له ولادها ، وألف رضاعها فما أضعها بختانة ولادها ، يتحيل على أن يخدم الناس بما

(١) (أ) ، (خ) : « أخلاسه » ، والجلس : العهد الوثيق .

* الدرر : ١٧٨/١ ، وهذه الترجمة ليست في موضعها .

(٢) الغيلانيات من أجزاء الحديث ، لحمد بن عبد الله الشافعي ، برواية محمد بن غيلان البزار ، وكلاهما توفي سنة (٣٥٤ هـ) ، الكشف : ١٢١٤/٢ .

(٣) الدمشقي ، انتهى إليه علم الإسناد ، ت (٦٩٠ هـ) ، الشذرات : ٤١٧/٥ .

(٤) هو إسماعيل بن علي ، ت (٧٣٢ هـ) ، الوافي : ١٧٣/٩ .

(٥) النج : المنع .

عنده ، ويودُّ أن كلَّ أحد يستظلُّ بآلِه ورَّندَه ، ويختار أن المحتاج والمحتال لا يقتدي إلا به ولا يقتدحُ إلا زُندَه ، ورَدَ على أهل دمشق غريباً ، فكان إلى كل القلوب قريباً ، وإذا عاداه غُرُّ به ، ردّه بالإحسان إليه حبيباً ، بأخلاقٍ من أين للنسمات لطفُها ، أو للغصون مِيلُها وعطفُها .

ومناقبُ بيضُ الوجوه مُضيئةٌ أبداً تُكاثِرُ السَّنَ المُدَّاح
مَنْ قاسَ ذا شِرْفٍ به فكأنما وَزَنَ الجِبَالَ القَوْدَ بالأشباح^(١)

ولم يزل بدمشق على حاله إلى أن بَرَزَ إلى لحده ، وخَلَفَ السُّودَ ينوحُ عليه من بعده . وتوفي - رحمه الله تعالى - في شوال سنة خمس وخمسين وسبع مئة ، وكان قاضي القضاة تقي الدين السبكي يعظّمه ويحترمه ويبرّه .

١١٠ - أحمد بن سليمان*

ابن مروان بن علي بن سحاب .

الشيخ العدل الفاضل ، الأديب الصدر شهاب الدين أبو العباس ابن الشيخ نجم الدين البعلبكي .

كان تاجراً بالخوَّاصين مدة ، ثم ترك ذلك ، وشهد على الحُكَّام ، ودخل في شهادة القيمة^(٢) ، وكان تقدّم له اشتغال في العربية والأدب ونظم الشعر ، وله قصائد .

وقرأ القرآن على علم الدين السخاوي ، وعرض عليه (الشاطبية) . قال شيخنا البرزالي : رواها لنا عنه مرات ، وروى لنا أيضاً « جُزءُ سَفِيان »^(٣) ، وجزء

(١) القود : من صفات الجبال ، وهي المستطيلة الضخمة .

* الدرر : ١٣٩/١ ، الشذرات : ٢٩/٦ .

(٢) شهود القيمة يقطع بقولهم في حق كل مستحق ومال اليتيم ، وعليهم المدار وبشهادتهم يقدر المقدار .

(٣) سفيان بن عيينة الهلالي ، الكشف : ٥٨٧ .

« الصفار »^(١) ، و « الأربعين السلفية »^(٢) ، و « تاريخ هاشم بن مرثد » ، و روى لنا (نُسَخَة أبي مسهر)^(٣) عن^(٤) المشايخ الأربعة : التاج الشيرازي^(٥) ، وابن علان ، وابن ريش ، وإبراهيم بن خليل^(٦) ، وغير ذلك .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سادس ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وعشرين وست مئة .

١١١ - أحمد بن سلامة*

ابن أحمد بن سلامة . الإمام العلامة ، قاضي القضاة بدمشق المالكي ، القاضي فخر الدين أبو العباس ابن القاضي تاج الدين أبي الخير بن القاضي زين الدين أبي العباس الإسكندري .

كان جَبَلًا في علمه ، وشُعْلَةً في فهمه ، بحرًا يتوج قُرُوعًا ، وَحَبْرًا لا يُرى في معرك الجدال مَرُوعًا ، هذا إلى تفسير وحديث ، ومعرفة تواريخ من قديم وحديث ، وأصول برّز في معرفة مسائلها ، وعرف مأخذ قريبها من الحق ووسائلها^(٧) . جلس ببلده مدة للإفادة ، وكان للطلبة عليه في كل وقت قدومٌ ووفادة ، وانتفع الناس بعلومه المتقنة ،

(١) إسماعيل بن محمد ، ت (٣٤١ هـ) ، الكشف : ٥٨٨ .

(٢) وتعرف أيضاً بالبلدانية ، لأحمد بن محمد السلفي ، ت (٥٧٦ هـ) ، الكشف : ٥٤ .

(٣) عبد الأعلى بن مسهر ، من حفاظ الحديث ، كان شيخ الشام وحافظها بالحديث ، ت (٢١٨ هـ) ، السير : ٢٢٨/١٠ ، والشذرات : ٩٠/٣ .

(٤) في (أ) : « على » .

(٥) أحمد بن محمد بن هبة الله الدمشقي ، ت (٦٤٢ هـ) ، الشذرات : ٢١٣/٥ .

(٦) إبراهيم بن خليل الدمشقي ، ت (٦٥٨ هـ) ، الشذرات : ٢٩٢/٥ .

* تالي وفيات الأعيان : ١٨٤ ، والبداية والنهاية : ٩٢/١٤ ، والدرر : ١٤٠/١ ، والشذرات : ٤٧/٦ .

(٧) (أ) : « وسائلها » .

وفوائده المفتنة ^(١) . وناب هناك في الحكم ، وشرف نفسه عن قبول الهدية والشك ^(٢) ، فشكرت سيرته ، وطهرت سيرته ^(٣) ، وظهر بالوجاهة ، فنقل إلى قضاء القضاة بدمشق فوردها بل وردها ، وعراها من السوء إذ عراها وجردها ، وأقام بها سنة ونصفاً ، ثم دعاه خالقه ، وقذف به في حفرة القبر حالقه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بكرة الأربعاء مستهل ذي الحجة سنة ثمان عشرة وسبع مئة .

وكان قدومه إلى دمشق في سابع عشرين جمادى الأولى سبعة عشرة وسبع مئة .

وكان محمود الطريقة ، وجع في قضائه بين العلم المتين والنزاهة والصرامة ، وهو من بيت كبير بالإسكندرية .

١١٢ - أحمد بن طيبيغا*

الأمير شهاب الدين المعروف بابن أخي الفخري ، أحد أمراء الطبلخانات بالشام ، توجه لنيابة الرحبة ، ثم إنه طلب الإقالة منها ، وحضر إلى دمشق في سنة سبع وخمسين وسبع مئة [وأقام] ^(٤) بها قليلاً ، ثم توجه لنيابة حمص ، فأقام بها ، فلم توافقه ، وماتت زوجته وجماعة من أئامه وأهله ^(٥) وماليكه ، وطال مرضه فيها إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في بكرة الثلاثاء تاسع شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وسبع مئة .

(١) قوله : « وفوائده للفطنة » ليس في (أ) .

(٢) في الأصل : « الشكر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أنسب للسياق . والشك : الجزاء والعطاء .

(٣) زاد بعدها في (أ) : « واشتهر بالنزاهة » .

* لم تقف على ترجمة له .

(٤) زيادة من (أ) و (خ) .

(٥) ليست في (أ) و (خ) .

وكانت نيابته بمصر قريباً من عشرة أشهر ، وكان شكلاً حسناً فيه حشمة ورئاسة ، وحمّدت سيرته في النيابة ، وكان قد وليها بعد موت نائب حمص الأمير علاء الدين علي بن الملك الزاهر^(١) .

١١٣ - أحمد بن عباس *

ابن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الماكيني الأصل ثم الدمشقي ، ناصر الدين أبو العباس بن ناصر الدين الماكيني أبي الفضل .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : روى لنا عن الأمير شرف الدين يعقوب بن محمد بن الحسن الهذباني^(٢) ، وحدث والدّه عن حنبل^(٣) ، وهو من شيوخ الدميّاطي . وروى جدّه عن الحافظ ابن عساكر .

روى لنا عنه ابن الصابوني^(٤) . وهذا الشيخ كان جندياً في دولة الملك الصالح أيوب ، وكان رجلاً جيداً ملازماً للصلوات في الجامع .

توفي - رحمه الله تعالى - في أوائل سنة إحدى وسبع مئة .

ومولده سنة خمس عشرة وست مئة .

(١) ستأتي ترجمته .

* لم تقف على ترجمة له . وفي (أ) : « ابن عياش » .

(٢) ت (٦٤٥ هـ) ، الشذرات : ٢٣٢/٥ .

(٣) هو حنبل بن عبد الله بن فرج بن سعادة ، ت (٦٠٤ هـ) ، السير : ٤٣١/٢١ ، والكامل : ١١٦/١٢ ،

والعبر : ١٠/٥ ، والشذرات : ١٢/٥ .

(٤) هو الجمال بن الصابوني الحافظ ، ت (٦٨٠ هـ) ، الشذرات : ٣٦٩/٥ .

١١٤ - أحمد بن العباس بن جَعْفَان*

الإمام الزاهد شهاب الدين الأنصاري الدمشقي الشافعي ، أخو الحافظ شمس الدين محمد ، وسيأتي ذكره في الحمددين - إن شاء الله تعالى .

روى أحمد هذا (جزء ابن عرفة) عن ابن عبد الدائم ، وسمع مع أخيه كثيراً ، وأقبل على الفقه فبرع فيه ، ولم يكن^(١) مَنْ يوفيه قدره لما يوافيه ، وأفقى الناس زماناً ، وانقطع عنهم ينثر من^(٢) العلم جمائاً ، وهو من تلامذة الشيخ محيي الدين النووي .

ولم يزل على حاله إلى أن حَلَّت به المنية ، وجَلَّت به^(٣) الرزية .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة تسع وتسعين وست مئة .

١١٥ - أحمد بن عبد الله**

القاضي تاج الدين أبو الفضائل ، ابن صاحب أمين الدين .

كان قيماً بصناعة الحساب ، إليه^(٤) الانتماء والانتساب ، يخدم جريدته بنفسه ، ويتميز بذلك على أبناء جنسه ، فلا يحتاج إلى كشف عامل ، ولا يريد مع نفسه مشقة سيف ولا هِزّة عامل^(٥) ، يكاد يعمل محاسبة كلِّ أحد من ذهنه ، ولا يحتاج إلى مساعد في ذلك ، ذكاءً من فطنته وإتقاناً لفنّه ، هذا إلى عَفّة زانته^(٦) ، وأمانة لا يعلم أحد أنها

* الوافي : ١١/٧ ، والشذرات : ٤٤٤/٥ ، والمنهل الصافي : ٣٢٨/١ ، وفيه « أحمد بن محمد بن عباس » .

(١) (أ) : « ولم يكن فيه » .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) (أ) : « فيه » .

** الدرر : ١٨٩/١ .

(٤) (أ) ، (خ) : « إليه فيها » .

(٥) عامل الرمح : صدره .

(٦) قوله : « هذا .. زانته » ليس في (أ) و (خ) .

حابته ولا خائنه . تنقل في المباشرات العالية ، وانفصل عنها وثناؤه فيها يرفض نفحات الغالية ، إلا أن الأقدار^(١) لم تصافه ، ولم تعامله بما يحب من إنصافه ، وآخر مامات تحت العقاب ، ورأى الذل الزائد بعدما خضعت له الرقاب .
وتوفي - رحمه الله تعالى - في ذي القعدة سنة خمس وخمسين وسبع مئة أو في أواخر شوال .

كان أولاً قد دخل هو وأخوه القاضي كريم الدين ديوان الإنشاء في وزارة أبيهم ، واستمرّا في جملة كتّاب الإنشاء^(٢) مدة ، ولما عرض السلطان ديوان الإنشاء في سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، أخرجهما ، ثم إنه ولّى القاضي تاج الدين استيفاء الصّحة^(٣) وخرّج القلاع الحلبية كاشفاً^(٤) هو والأمير سيف الدين جرّكتمر وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وبقي في استيفاء الصّحة على أكمل ما يكون ، وترامى إلى النّشوّ وأحبّه ، فلما كان في سنة تسع وثلاثين تولّى نظر^(٥) الدولة ، وولي أخوه كريم الدين استيفاء الصّحة ، فلم يزل فيه إلى أن أمسك هو ووالده صاحب أمين الدين والقاضي شرف الدين النّشوّ ، وعوقبوا . ومات^(٦) والده تحت العقوبة والنشوّ ، وصودر تاج الدين وأقام إلى أن أفرج عنه ، فحضر إلى القدس وأقام فيه مجاوراً مدة ، وعمل مجلداً في مساحته ، أعني المسجد الأقصى والحرم وما فيه من المعابد والقباب والأبواب ، وتعب عليه ، وأجازني روايته عنه في سنة خمس وأربعين وسبع مئة . فطلب من القدس وتولى

(١) (أ) ، (خ) : « الزمان » .

(٢) (أ) ، (خ) : « في ديوان الإنشاء » .

(٣) وظيفة جليلة القدر ، يثبت صاحبها التواقيع والمراسم السلطانية ، وكل دواوين الأموال مرجعها إليه في حسابها .

(٤) الكاشف : هو الذي يشرف على أحوال الأراضي والجسور .

(٥) في الأصل : « نظم » ، وأثبتنا ما في (أ) والدرر ، ونأظر الدولة ينظر في الأموال ، ويتفقد تصرفاتها ، ويرفع إليه حسابها .

(٦) في الأصل : « وبات » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

نظر البيوت بالقاهرة ، فاتفق له مع أرغون شاه لما كان يعمل الأستاذ دارية^(١) ما أوجب أنه^(٢) طلب الإعفاء ، وأظنه بعد ذلك دخل إلى ديوان الإنشاء .

ثم إنه تولى نظر النظائر بالشام ، فحضر في أيام الأمير سيف الدين طقزقر ، وعمر وأرضى الناس ، ووصلت إليهم حقوقهم ، وكان لا يحابي أحداً ولا يحاسنه ، لكنه طلب الإقالة ، فأعفي من نظر الشام ، وتوجه إلى مصر وأقام مدة ، ودخل ديوان الإنشاء ، وأقام به إلى أن أمسك الوزير علم الدين بن زنبور ، فتولى نظر الجيوش بالديار المصرية فحقق ودقق^(٣) وما راعى أحداً . ولما عزل القاضي بدر الدين من نظر الخاص في سنة خمس وخمسين أضيف إليه نظراً الخاص ، فتورّع عن أخذ معلوم نظر الخاص وقال : معلوم نظر الجيش يكفي ، وباشر ذلك وهو على قدم العدالة فيه والأمانة وعدم الخيانة إلى أن تولى السلطان الملك الناصر حسن ثانياً ، فغيروا خواطره عليه فأمسكه ، وصودر وعوقب ، وتنوعوا في عقابه ، ومن ذلك أنهم خلّقوا رأسه وجرحوه بالموس ، ثم جعلوا في قبّعه نبات وردان^(٤) وألبسوه فوجد لذلك الماء مبرّحاً ، نسأل الله العفو والعافية . وكان ذلك من حقد الأمراء والخاصية عليه ، لأنه مارعاهم بل راعهم ، ولم يحفظ جانبهم وأضاعهم .

وكنت قد كتبت له - رحمه الله - وأنا بالقاهرة^(٥) توقيعاً شريفاً باستيفاء المارستان للنصوري عوضاً عن أخيه شمس الدين ، وهو :

« أمّا بعد حمد الله الذي زان أيامنا الشريفة بتاجها ، ومنحه من السيادة طريقة

(١) الأستاذ دار : هو من يتولى شؤون مسكن السلطان .

(٢) قوله : « أوجب أنه » ليس في (أ) و (خ) .

(٣) (أ) ، (خ) : « ودقق وضبط » .

(٤) نبات وردان : دواب معروفة .

(٥) قوله : « وأنا بالقاهرة » ليس في (أ) ، (خ) .

لا تنكبُ السُّعُودَ عن^(١) منهاجها ، وخصّه بمناقب اتسقت فرائدُها اتساق اللّآلي المنظمة في ازدهارها ، وأحلّه من المعالي رُتبة تحسدها الكواكب المُشرقة^(٢) في شرف أبراجها ، وصلاته على سيدنا محمد الذي حضّ على المعروف وحثّ ، وأذاع الجميل للناس كافة وبث ، ونشّر لواء الشّاء على المُحسنين ونثّ ، وقمّ مكارم الأخلاق ، فجَدّد^(٣) منها ما كان قد بلى ورمّ مارتّ ، وعلى آله وصحبه الَّذِينَ ما منهم إلا مَنْ له الفضلُ المستوفى ، والجود^(٤) الأوّفى ، صلاة يكون الرضوان لها حلفاً ، وتبوّئهم عند الله منازل الزُّلْفى ، وسلامه .

فإنه لما كان البيارستان المنصوري وَقَفَ والدنا الشهيد الملك المنصور - قدس الله روحه - ونور بالرضوان ضريحه ، أجلّ القُرْبَاتِ نفعاً ، وأخصبَ المَثُوباتِ مرعى ، يجري نفع أوقافه على الخاص والعام ، ويُنفق من حواصله في اليوم ما يُنفق من غيرها في العام . وتُخفّق رايات الآيات الكريمة^(٥) في أرجائه ، وتُشرّ أعلام العلوم في أثنائهِ^(٦) ، ويزولُ به الإعدام والإيلام^(٧) ، فكان حاتماً في حيّه ، والمسيح في إحيائه ، إلى غير ذلك من وجوه المعروف وأنواع البر المعروف ، وكان استيفاءه يحتاج إلى مَنْ جَرَّبَ سداذه وعِلِمَ رِشاده ، وعُرِفَ اعتماده ، وكان الحساب ميداناً وهو سابقه وجواده . والمجلس السامي القضائي التاجي من زانت أيامنا خدّمه^(٨) ، ورسخت في ولائنا قدّمه ، حتى أصبح بالمحامد مُتَحلياً ، ولأقسام المحاسن مستوفياً ، يصحبه ركبنا^(٩)

(١) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٢) في الأصل : « تجدها الكواكب المشرقة » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) ، وهي أنسب .

(٣) (أ) ، (خ) : « فتمّ » .

(٤) (أ) ، (خ) : « المجد » .

(٥) (أ) : « المكنونة » .

(٦) (أ) : « أفنائهِ » .

(٧) (أ) ، (خ) : « الإيلام » .

(٨) في الأصل : « خدمته » وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، وهو أنسب .

(٩) (أ) : « يصحب ركبنا » .

الشريف في الحضر والسفر ، ويتصف بسيادةٍ أخرجت الأفق ، [فالشفق] ^(١) المحمّر فيه علامة الحفر ، وقد رأينا أن لا تنبت في الروض إلا قُضِبهُ المورقة ، ولا تَطْلُعُ في الأفق إلا شهبهُ المشرقة ، ولهذا رجع إليه حق ^(٢) الشُّفْعَة وانتهى ، وأحسن ما خلفت الدرة في السلك أختها ، فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يُرتَبَ في استيفاء البيارستان المبرور وأوقافه عوضاً عن أخيه فلان ، فليباشر ذلك مباشرة تجمع [شتات] ^(٣) الحزم ، وتلزم ثبات العزم ، حتى لا تفوت أوراقه ثمرة تُجنى ، ولا يغيب شيءٌ من أموره عن بصره في الصورة ولا عن بصيرته في المعنى ، متطلباً كل عامل بما يلزمه في وضع الكتابة ، مُنكراً عليه إذا طاش سهم قلمه عن الإصابة ، لتمشي الأحوال فيه على النهج القوي القويم ، وتُصرف أمواله على الوجه الذي قصد به وجه العلي العظيم ، والوصايا كثيرة ، ومع كفايته لا بُدَّ له منها على وصاه ، ولا ننبهه عليها بطرُق حصاه ، وتقوى الله - عز وجل - في هذا وغيره أوثق العرى ، وأعزُّ حصن يُتَسَمُّ منه الذرى . فالزم شعارها واقتف آثارها ، والله يتولى عونك ، ويُديم صونك . والخطُّ الشريف أعلاه الله وشرفه أعلاه ، حجة بثبوتِه في الذي اقتضاه ، والله الموفق بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

وكنتم قد كتبت إليه عن الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - كتاباً هنأته فيه بنظر الدولة ، وهو في التذكرة التي [لي] ^(٤) .

١١٦ - أحمد بن عبد الله بن الزكي*

المعروف بالقاضي شُقيّر ، تصغير شقر ، القاضي شرف الدين الدمشقي الجزري .

تجرّد للفقير خمسةً وستين عاماً ، واجتلى الزهد في الدنيا قرأ تاماً ، وأعرض عن

(١) زيادة من (أ) و (خ) يقتضيهما السياق .

(٢) (أ) : « مَنْ » .

(٣) زيادة من (أ) و (خ) يقتضيهما السياق .

(٤) زيادة من (أ) يقتضيهما السياق .

* الوافي : ١٣٨/٧ ، والتالي : ٢٥ .

الخطام الفاني ، وتحقق أن الفراق من الدنيا داني^(١) ، ثم إنه جاور بمسجد الكهف الذي هو أسفل جبل قاسيون^(٢) ، إلى أن أنفقَ جِمامَهُ^(٣) ، وانحقَ تمامهُ .
وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة خمس عشرة وسبع مئة في تاسع جمادى الآخرة .
ومولده سنة إحدى وثلاثين وست مئة .

١١٧ - أحمد بن عبد الله بن عبد الله بن مهاجر*

شهاب الدين الأندلسي الوادي أشي الحنفي .

هو فاضل مشهور ، وعدلٌ مذكور ، يَعْرِفُ مع الفقه النحو والعروض ، وجوادهُ في النظم الفائق مروض .

سكن طرابلس الشام مدة ، واجتمع فيها مع الأكابر بعِدِّهِ ، ثم إنه انتقل إلى حلب ، وبها نفق من البضائع^(٤) ما جلب ، وكان ابن العديم قاضيها يواليه ، ويَطْرِبُ لأمالِيهِ ، ويَحْتَنُّه على معاليه .

رأيتُه بحلب سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، وكتب إليّ نَظْمًا ييل كبد مَنْ يَظُنُّ ، وأجبتُه عن ذلك ، وذهبنا مني في ليل الضياع الحالك ، ثم إنه بعد ذلك ساد ، وثنى الوساد .

(١) الأصل في الكلمة حذف الياء ، وأثبتت لتمام السجعة .

(٢) الدارس : ٢٧١/٢ .

(٣) الجمال : هو الكثير المجمع .

* الوافي : ١٣ / ٧ ، والدرر : ١٨٢/١ والبغية : ٣١٨/١ .

(٤) (أ) : « الصنائع » .

ولم يزل إلى أن وصل^(١) ابن مهاجر حينه ، وأغمضت باللمات عينه . وتوفي - رحمه الله تعالى -^(٢)

أنشدني من لفظه لنفسه مجلب في التاريخ :

ملاح في درع يصولُ بسيفه والوجهُ منه يضيءُ تحت المغفرِ
إلا حسبتُ البحرُ مدَّ بجدولٍ والشَّمْسُ تحت سحائبٍ من عنبرِ
قلت : جمع في هذا بين مقطوعين ، أحدهما قول أبي بكر الرصافي^(٣) :

لو كنتَ شاهِدَه وقد حمي الوغى يَحْتالُ في درعِ الحديدِ المُسْبِلِ^(٤)
لرأيتَ منه والقضيبُ بكفِّه بحراً يريقُ دَمَ العُدَاةِ بجدولِ
والثاني قول المعتد^(٥) :

ولما اقتحمتَ الوغى دارِعاً وقنعتَ وجهَك بالمغفرِ
حسبنا مُحْيَاك شمسُ الضحى عليها سحائبٌ من العنبرِ
ومن شعره أيضاً :

تُسَعَّرُ في الوغى نيرانَ حَرْبٍ بأيديهم مُهَنَّدَةٌ ذُكُورُ
ومن عَجَبٍ لظى قد سَعَرَتْهَا جداولُ قد أَقْلَتْهَا بُدُورُ
ومنه لغز في قالب اللَّيْنِ^(٦) :

(١) (أ) : « واصل » .

(٢) كذا في الأصول ، وفي الدرر ، مات سنة ٧٣٩ هـ عن نحو من خمسين سنة .

(٣) البيتان في الغيث المسجم : ٢٠/٢ .

(٤) (أ) : « غشي الوغى » .

(٥) ديوان المعتد : ١٧ ، وقلائد العقيان : ٨ .

(٦) الأبيات في الوافي : ١٣٨٧ .

م_____أَكَلَ فِي فَمَيْنِ يَغُـــــــوْطُ مِنْ مَخْرَجَيْنِ
مَغْرَى بَقْبُضٍ وَبَشُـــــــطِ وَمَالُهُ مِنْ يَدَيْنِ
وَيَقْطَعُ الْأَرْضَ سَعِيًّا مِنْ غَيْرِ مَبَا قَدَمَيْنِ

قلت : نظم رائع ، ولفظ يُخْجَلُ الحقائق ، ولكن ليست مقاصده في هذا اللغز مليحة ، ولا معانيه صحيحة . وأحسن منه قول محمد بن شرف القيرواني ^(١) :

وما بالغ في يَوْمِهِ أَلْفَ لَقْمَةٍ وَلَقْمَتُهُ أَضْعَافُ أَضْعَافٍ وَزْنُهُ ^(٢)
إِذَا مَلَأَ الْمَأْكُولُ جَنْبِيهِ لَمْ يُقِمِ سِوَى لَحْظَةٍ أَوْ لَحْظَتَيْنِ يَبْطِنُهُ

١١٨ - أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ *

ابن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم .

الشيخ الإمام العلامة المفسر المحدث المجتهد الحافظ شيخ الإسلام ، نادرة العصر ، فريد الدهر ، تقي الدين أبو العباس بن الشيخ شهاب الدين بن الإمام مجد الدين أبي البركات بن تيمية .

سَمِعَ مِنْ ابْنِ عَبْدِ الدَّائِمِ ، وَابْنِ أَبِي الْيُسْرِ ، وَالْكَامَلِ بْنِ عَبْدِ ^(٣) ، وَابْنِ أَبِي الْخَيْرِ ^(٤) ،

(١) محمد بن أبي سعيد بن أحمد بن شرف ، أحد فحول شعراء المغرب ، له كتاب أبكار الأفكار ت (٤٦٠ هـ) ، الوافي : ٩٧/٣ .

(٢) (أ) : « وَلَقْمَتُهُ فِي الْوِزْنِ » .

* الوافي : ١٥/٧ ، وفوات الأفيات : ٧٤/١ ، والبداية والنهاية : ١٣٥/١٤ ، والدرر : ١٤٤/١ ، وبدائع الزهور : ٤٧٥/١٨ ، الشذرات : ٨٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٥٨/١ .

(٣) (أ) : « ابْنِ عَبْدِ بَنِي » ، وابن عبد هو الكمال بن السيد ، عبد العزيز بن عبد المنعم ، ت (٦٧٢ هـ) الشذرات : ٣٣٨/٥ .

(٤) أحمد بن أبي الخير ، سلامة بن إبراهيم الدمشقي الحنبلي ، ت (٦٧٨ هـ) ، الشذرات : ٣٦٠/٥ .

وابن الصيرفي^(١) ، والشيخ شمس الدين^(٢) ، والقاسم الإربلي^(٣) ، وابن علان ، وخلق كثير .

وبالغ وأكثر ، وقرأ بنفسه على جماعة ، وانتخب ونسخ عدة أجزاء ، وسنن أبي داود ، ونظر في الرجال والعلل ، وصار من أئمة النقد ، ومن علماء الأثر ، مع التدين والتأله . ثم أقبل على الفقه ودقائقه ، وغاص على مباحثه .

تحوّل به أبوه من حرّان إلى دمشق سنة سبع وستين وست مئة . و (تيمية) لقب لجده الأعلى .

تمدّهب للإمام أحمد بن حنبل ، فلم يكن أحد في مذهبه أنبه^(٤) ولا أنبل . وجادل وجالد شجعان أقرانه ، وجدل خصومة في وسط ميدانه ، وفرّج مضائق البحث بأدلة قاطعة ، ونصر أقواله في ظلمات الشكوك بالبراهين الساطعة ، كأنّ السّنة على رأس لسانه ، وعلوم الأثر مساقاة في حواصل جنانه ، وأقوال العلماء مجلوة نُصّبَ عيانه . لم أر أنا ولا غيري مثل استحضاره ، ولا مثل سبقه إلى الشواهد وسُرعة إحضاره ، ولا مثل عزوه الحديث إلى أصله الذي فيه نقطة مداره .

وأما علم الأصلين فقهاً وكلاماً ، وفهماً وإعلاماً ، فكان عجباً لمن يسمعه ، ومُعجزاً لمن يُعد ما يأتي به أو يجمعه . يُنزل الفروع منازلها من أصولها ، ويرد القياسات إلى مأخذها من محصولها .

(١) يحيى بن أبي منصور بن رافع الحراني الحنبلي ، ت (٦٧٨ هـ) ، الشذرات : ٣٦٣/٥ .

(٢) قال ابن كثير في معرض تعداد شيوخه : « والشيخ شمس الدين الحنبلي ، والشيخ شمس الدين بن عطاء الحنفي » ، وأولها هو محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحراني الحنبلي ، ت (٦٧٥ هـ) . الشذرات : ٣٤٨/٥ ، والثاني هو عبد الله بن محمد بن عطاء الحنفي ، ت (٦٧٣ هـ) ، الشذرات : ٣٤٠/٥ .

(٣) القاسم بن أبي بكر بن القاسم بن غنية ، ت (٦٨٠ هـ) ، الشذرات : ٣٦٧/٥ .

(٤) (أ) : « أنه منه » .

وأما الملل والنحل ، ومقالات أرباب البدع الأول ، ومعرفة أرباب المذاهب ، وما خصوا به من الفتوحات والمواهب ، فكان في ذلك مجراً يتموج ، وسهماً ينفذ على السواء لا يتعوج .

وأما المذاهب الأربعة فإليه في ذاك الإشارة ، وعلى ما ينقله الإحاطة والإدارة .
وأما تقلُّ مذاهب السلف ، وما حدث بعدهم من الخلف ، فذاك فنه ، وهو في وقت الحرب مجنُّه ، قلَّ أن قطعه خصمه الذي تصدى له وانتصب ، أو خلص منه مناظرة إلا وهو يشكو من الأثين والنصب .

وأما التفسير فيده فيه طولى ، وسرده فيه يجعل العيون إليه حوْلاً . إلا أنه انفرد بمسائل غريبة ، ورجَّح فيها أقوالاً ضعيفة عند الجمهور معيبة . كاد منها يقع في هوة ، ويسلم منها لما عنده من النية المرجوة ، والله يعلم قصده ، وما يترجَّح من الأدلة عنده . وما دمر عليه شيء كسألة الزيارة^(١) ، ولا شُنَّ عليه مثلها إغارة ، دخل منها إلى القلعة مُعْتَقلاً ، وجفاه صاحبه وقلاً ، وما خرج منها إلا على الآلة الحدبا ، ولا درج^(٢) منها إلا إلى البقعة الجدبا ، والتحق باللطيف الخبير ، ووَلَّى والثناء عليه كنشر العبير .

وكان ذا قلم يسابقُ البرق إذا لَمَعَ ، والودَّع إذا هَمَعَ ، يُملي على المسألة الواحدة ما شاء من رأس القلم ، ويكتب الكراسين والثلاثة في قعدة^(٣) ، وحدُّ ذهنه ما كلَّ ولا انثلم ، قد تحلَّى بالمُحلَّى^(٤) ، وتولَّى من تقليده ما تولَّى ، فلو شاء أوردته عن ظهر قلب ، وأتى بجملة ما فيه من الشناع والثلب .

(١) أي زيارة قبر الأولياء .
صلى الله عليه وسلم

(٢) (أ) : « رجع » .

(٣) (أ) : « قعدة واحدة » .

(٤) المحلَّى في الخلاف العالي في فروع الشافعية ، لأبي محمد بن حزم الظاهري ، ت (٤٥٦ هـ) : الكشف :

وضيَّع الزمانَ في رده على النصارى والرافضة ، ومن عاند الدين أو ناقضه ؛ ولو تصدى لشرح البخاري أو لتفسير القرآن العظيم ، لقلَّد أعناق أهل العلوم بدرّ كلامه النظم .

وكان من صغره حريصاً على الطلب ، مجدداً على التحصيل والدأب ، لا يؤثّر على الاشتغال لذّة ، ولا يرى أن تضيع لحظة منه في البطالة فذّة ، يذهل عن نفسه ويغيب في لذّة العلم عن حسّه ، لا يطلب أكلاً إلا إذا أحضر لديه ، ولا يرتاح إلى طعام ولا شراب في أبرّديه .

قيل : إن أباه وأخاه وأهله^(١) وآخرين ممن يلوذون بظلمه سألوه أن يروح معهم يوم سبت ليتفرّج ، فهرب منهم وما ألقى عليهم ولا عرج ، فلما عادوا آخر النهار لاموه على تخلفه ، وتتركه لاتباعهم وما في انفراده من تكلفه ، فقال : أنتم ما تزيد لكم شيئاً ولا تجدد ، وأنا حفظت في غيبكم هذا المجلد ، وكان ذلك كتاب (جنة الناظر وجنة المناظر)^(٢) ، وهو مجلد صغير ، وأمره شهير .

لا جرم أنه كان في أرض العلوم حارثاً وهو همّام ، وعلومه كما يقول الناس تدخل معه الحمام . هذا إلى كرم يضحك البرق منه على غمائه ، وجود ما يصلح حاتم أن يكون في قصّ خاتمه ، وشجاعة يفرّ منها قسورة ، وإقدام يتأخر عنه غترة . دخل على محمود غازان وكلمه كلاماً غيظاً بقوه^(٣) ، وأسمعه مقالاً لا تحمله الأبوة من البنوة .

وكان في ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وست مئة ، قد قام عليه جماعة من الشافعية ، وأنكروا عليه كلاماً في الصفات ، وأخذوا فتياه الحموية^(٤) ، وردوا عليه

(١) (أ) : « وأخاه وجماعة من أهله » .

(٢) لتاج العلاء أشرف بن الأغر بن هاشم العلوي الحسيني الرملي ، وهو خمس مجلدات في التفسير ، توفي مجلب سنة (٦١٠ هـ) ، إيضاح الكنتون : ٣٦٩/٣ ، وترجمته في لسان الميزان : ٤٤٩/١ ، ونكت الهميان : ١١٩ ، والأعلام : ٣٣٢/١ .

(٣) (أ) : « وكلّمه بكلام فيه غلظة وقوة » .

(٤) انظر البداية والنهاية : ٤/١٤ ، والدرر : ١٥٥/١ .

فيها ، وعملوا له مجلساً ، فدافع الأفرم^(١) عنه ولم يُبْلَغهم فيه أرباباً ، ونودي في دمشق بإبطال العقيدة الحموية ، فانتصر له جاجان المَشْد^(٢) ، وكان قد مُنِع من الكلام ، ثم إنه جلس على عادته يوم الجمعة ، وتكلم ثم حضر عنده القاضي القضاة إمام الدين^(٣) ، وبحثوا معه ، وطال الأمر بينهم ، ثم رجع القاضي إمام الدين وأخوه جلال الدين وقالوا : مَنْ قال عن الشيخ تقي الدين شيئاً عَزَّرنَاهُ .

ثم إنه طُلِبَ إلى مصر ، هو والقاضي نجم الدين^(٤) بن صَصْرَى ، وتوجها إلى مصر في ثاني^(٥) عشر شهر رمضان سنة خمس وسبع مئة ، فانتصر له الأمير سيف الدين سلار^(٥) ، وحطَّ الجاشنكير عليه ، وعقدوا له مجلساً انفصل على حبسه ، فحُبِسَ في خزانة البنود^(٧) ، ثم نُقِلَ إلى الإسكندرية في صفر سنة تسع وسبع مئة ، ولم يَمَكَّن أحد من أصحابه من التوجه معه ، ثم أُفْرِج عنه وأقام بالقاهرة مُدَّة . ثم اعتقل أيضاً ، ثم أُفْرِج عنه في ثامن شوال سنة تسع وسبع مئة ، أخرجته الناصر لَمَّا وَرَدَ من الكرك ، وحضر إلى دمشق ، فلما كان في يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وسبع مئة جمع الفقهاء والقضاة عند الأمير سيف الدين تنكز ، وقرأ عليهم كتاب السلطان ، وفيه فَصْلٌ يتعلق بالشيخ تقي الدين بسبب فُتْيَاهُ في مسألة الطلاق ، وُعُوتِبَ على فُتْيَاهُ بعد المنع ، وانفصل المجلس على تأكيد المنع .

(١) هو آقوش نائب دمشق . وستأتي ترجمته .

(٢) هو الأمير سيف الدين الحسامي ، وستأتي ترجمته .

(٣) عمر بن عبد الرحمن القزويني الشافعي ، ت (٦٩٩ هـ) . العبر : ٤٠٢/٥ ، والنجوم : ٥٨/٨ ، والشذرات : ٤٥١/٥ .

(٤) (أ) : « جلال الدين » ، والصحيح ما في الأصل ، وهو أحمد بن محمد بن سالم ، وستأتي ترجمته .

(٥) (أ) : « ثامن » .

(٦) الصالح المنصوري ، ت (٧١٠ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٧) هي من منشآت الدولة الفاطمية ، لحزن البنود من الرايات والأعلام ، ثم احتترت ، وآل أمرها إلى أن أصبحت سجنًا للأمراء والوزراء والأعيان .

ثم إنه في يوم الخميس ثاني عشري شهر رجب الفرد سنة عشرين وسبع مئة عُقد له مجلس بدار السعادة^(١) وعادوده في فتيا الطلاق [وحاقيقوه]^(٢) عليها ، وعاتبوه لأجلها . ثم إنه حُبس بقلعة دمشق ، فأقام بها إلى يوم الإثنين يوم عاشوراء سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، فأخرج من القلعة بعد العصر بمرسوم السلطان ، وتوجه إلى منزله . وكانت مدة سجنه خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً .

ولما كان في يوم الاثنين بعد العصر ، سادس شعبان سنة ست وعشرين وسبع مئة في أيام قاضي القضاة جلال الدين القزويني تكلموا معه في مسألة الزيارة^(٣) ، وكُتب في ذلك إلى مصر ، فورد مرسوم السلطان باعتقاله في القلعة ، فلم يزل بها إلى أن مات - رحمه الله تعالى - في ليلة الاثنين عشري ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بقلعة دمشق في القاعة التي كان بها محبوساً .

ومولده بجرّان سنة إحدى وستين وست مئة .

وأول ما اجتمعت أنا به كان في سنة ثمان عشرة أو سبع عشرة ، وهو بمدرسته في القصّاعين بدمشق المحروسة ، وسألته مسألة مُشكلة في التفسير ، ومسألة مُشكلة في الإعراب ، ومسألة مشكلة في الممكن والواجب ، وقد ذكرت ذلك في ترجمته في تاريخي الكبير^(٤) . ثم اجتمعت به بعد ذلك مرّات ، وحضرت دروسه في الحنبلية ، فكنت أرى منه عجباً من عجائب البرّ والبحر ، ونوعاً فرداً وشكلاً غريباً وكان [كثيراً]^(٥) ما ينشد قول ابن صدر^(٦) .

(١) البداية والنهاية : ٩٧/١٤ .

(٢) زيادة من (أ) .

(٣) البداية والنهاية : ١٢٣/١٤ .

(٤) الوافي : ٢٠/٧ .

(٥) زيادة من (أ) .

(٦) علي بن الحسين بن يحيى ، ت (٤٦٥ هـ) ، له ديوان شعر مطبوع . والبيتان في الوافي ، والدرر .

تَمُوتُ النَّفْسُ بِأَوْصَابِهَا وَلَمْ تَشْكُ عَوَادَهَا مَا بِهَا
وَمَا أَنْصَفَتْ مُهْجَةً تَشْكِي أَذَاهَا إِلَى غَيْرِ أَحْبَابِهَا
وَيُنْشَدُ أَيْضاً^(١) :

مَنْ لَمْ يَقَدْ وَيُدَسَّ فِي خَيْشُومِهِ رَهَجُ الْحَمِيسِ فَلَنْ يَقُودَ خَيْسَا
رَأَيْتَهُ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ مَوْتِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - كَأَنَّهُ فِي جَامِعِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَأَنَا فِي يَدِي
صُورَةُ عَقِيدَةِ ابْنِ حَزْمِ الظَّاهِرِيِّ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي أَوَّلِ كِتَابِ (الْمَحَلِّي) ، وَقَدْ كَتَبْتُهَا
بِخَطِّي ، وَكَتَبْتُ فِي آخِرِهَا :

وَهَذَا نَصُّ دِينِي وَاعْتِقَادِي وَغَيْرِي مَا يَرَى هَذَا يَجُوزُ
وَقَدْ أَوْقَفْتَهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَتَأَمَّلْهَا وَرَأَاهَا وَمَا تَكَلَّمُ بِشَيْءٍ .

ذَكَرَ شَيْءٌ مِنْ تَصَانِيفِهِ

- كِتَابُ التَّفْسِيرِ :

(قَاعِدَةٌ فِي الِاسْتِعَاذَةِ) ، (قَاعِدَةٌ فِي الْبِسْمَلَةِ) ، قَاعِدَةٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ إِيَّاكَ
نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، قِطْعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَمِنْ
النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾^(٢) نَحْوُ ثَلَاثَةِ كِرَارِيسَ ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً ﴾^(٣) نَحْوُ كِرَاسَيْنِ ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾^(٤) سَبْعَ كِرَارِيسَ ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾^(٥) كِرَاسٌ ،
آيَةُ الْكُرْسِيِّ كِرَاسَانِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ .

(١) الْبَيْتُ لِأَبِي تَمَامٍ ، دِيَوَانُهُ : ٢٧٠/٢ .

(٢) [سُورَةُ الْبَقَرَةِ : ٨/٢] .

(٣) [سُورَةُ الْبَقَرَةِ : ١٧/٢] .

(٤) [سُورَةُ الْبَقَرَةِ : ٢١/٢] .

(٥) [سُورَةُ الْبَقَرَةِ : ١٢٠/٢] .

﴿ منه آيات محكمات ﴾^(١) إلى آخرها نحو مجلد ، ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ﴾^(٢) ستة كراريس ، ﴿ ما أصابك من حسنة ﴾^(٣) عشر كراريس ، وغير ذلك من سورة آل عمران .

تفسير المائدة مجلد كبير ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة ﴾^(٤) ثلاث كراريس ، ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم ﴾^(٥) سبع كراريس ، قواعد سورة يوسف ، مجلد كبير ، سورة النور ، مجلد لطيف ، سورة تبت والمعوذتين ، سورة الكافرين ، سورة الإخلاص ، مجلد ، سورة القلم ، وأنها أول سورة أنزلت ، تضمنت أصول الدين ، مجلد ، سورة ﴿ لم يكن ﴾ وغير ذلك من آيات مفرقة .

- كتب الأصول :

(الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية) أربع مجلدات ، أملاه في الحب ، (بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية) ، وربما سماه (تلخيص التلبيس من تأسيس التقديس) ، (شرح أول المحصل) للرازي ، بلغ ثلاث مجلدات ، شرح بضعة عشر مسألة من الأربعين للإمام فخر الدين الرازي ، (تعارض العقل والنقل) أربع مجلدات ، (جواب ما أورده كال الدين ابن الشريشي) مجلد ، (الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح) ، ثلاث مجلدات ، (منهاج الاستقامة) ، (شرح عقيدة الأصهباني) مجلد ، (نقض الاعتراض) عليها لبعض المشاركة أربع كراريس ، (شرح أول كتاب الغزنوي) ، مجلد ، (الرد على المنطق) مجلد ، ردّ آخر لطيف ، (الرد على الفلاسفة) مجلدات ، (قاعدة في القضايا الوهمية) ، (قاعدة فيما يتناهى وما لا يتناهى) ،

(١) [سورة آل عمران : ٧/٣] .

(٢) [سورة آل عمران : ١٨/٣] .

(٣) في الأصل (من مصيبة) والصواب (من حسنة) ، كما في الوافي ، وهي من [سورة النساء : ٧٩/٤] .

(٤) [سورة المائدة : ٦/٥] .

(٥) [سورة الأعراف : ١٧٢/٧] .

(جواب الرسالة الصفدية) ، (جواب في نقض قول الفلاسفة : إن معجزات الأنبياء قوى نفسانية) ، (إثبات المعاد والرد على ابن سينا) ، (شرح رسالة ابن عبدوس) في كلام الإمام أحمد في الأصول ، (ثبوت النبوات عقلاً وتقلياً) ، و (المعجزات والكرامات) ، مجلدان ، (قاعدة في الكليات) ، مجلد لطيف ، (الرسالة القبرسية) ، (رسالة أهل طبرستان وجيلان في خلق الروح والنور والأئمة المقتدى بهم) ، (مسألة ما بين اللوحين كلام الله) ، (تحقيق كلام الله لموسى) ، (هل سمع جبريل كلام الله أو نقله من اللوح المحفوظ) ، (الرسالة البعلبكية) ، (الرسالة الأزهرية) ، (القادرية) ، (البغدادية) ، (أجوبة الشكل والنقط) ، (إبطال الكلام النفساني) : أبطله من نحو ثمانين وجهاً ، (جواب من حلف بالطلاق الثلاث) أن القرآن حرف وصوت . وله في إثبات الصفات وإثبات العلو^(١) والاستواء مجلدات ، (المراكشية) ، (صفات الكمال والضابط فيها) ، (أجوبة في مباينة الله تعالى لخلقهِ) ، (جواب في الاستواء ، وإبطال تأويله بالاستيلاء) ، (جواب من قال لا يمكن الجمع بين إثبات الصفات على ظاهرها مع نفي التشبيه) ، (أجوبة كون العرش والسموات كروية) وسبب قصد القلوب جهة العلو ، (جواب كون الشيء في جهة العلو مع أنه ليس بجوهر ولا عرض معقول أو مستحيل) ، (جواب هل الاستواء والنزول حقيقة ، وهل لازم المذهب مذهب) ، سماء (الأربلية)^(٢) ، (مسألة النزول) واختلاف وقته باختلاف البلدان والمطالع ، مجلد لطيف ، (شرح حديث النزول) في أكثر من مجلد ، (بيان حل إشكالات ابن حزم الواردة على الحديث) ، (قاعدة في قرب الرب من عابديه وداعيه) ، مجلد ، (الكلام على نقض المرشدة) ، (المسائل الإسكندرانية في الرد على الاتحادية والحلولية) ، ماتضمنه فصوص^(٣) الحكم من الكفر والاتحاد والاتحاد والحلول ، (جواب في لقاء الله) ، (جواب رؤية النساء ربهن في

(١) في الأصل : « العلم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .

(٢) (أ) : « الأربلية » .

(٣) في الأصل : « حلول » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، وفصوص الحكم لابن عربي .

الجنة) ، (الرسالة المدنية في الصفات الثقيلة) ، (الهلاونية) جواب ورد على لسان ملك التتار ، مجلد ، (قواعد في إثبات القدر والرد على القدرية والجبرية) ، مجلد ، (رد على الروافض في الإمامة)^(١) لابن مطهر ، (جواب في حُسن إرادة الله بخلق الخلق وإنشاء الأنعام لعلّة أم لغير علّة) ، (شرح حديث : فَحَجَّ آدم موسى) ، (تنبيه الرجل الغافل على تمويه المجادل) . (تناهي الشدائد في اختلاف العقائد) ، (كتاب الإيمان) ، (شرح حديث جبريل في الإسلام ، والإيمان في عصمة الأنبياء فيما يبلغون) ، (مسألة في العقل والروح) (في المقرّبين)^(٢) : هل يسألهم منكر ونكير) ، (هل تعذب الروح مع الجسد في القبر ، وهل تفارق البدن بالموت أو لا) ، (الرد على أهل كسروان) ، (في فضل أبي بكر وعمر على غيرها) ، (قاعدة في فضل معاوية وفي ابنه يزيد أنه لا يُسب) ، (في تفضيل صالحى الناس على سائر الأجناس) (في كفر النُصيرية) (في جواز قتال الرافضة) ، (في بقاء الجنة والنار وفنائهما) ، وهو آخر ما صنّفه في القلعة . وقد ردّ عليه العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي .

- كتب أصول الفقه :

(قاعدة غالبها أقوال الفقهاء) ، مجلدان ، (قاعدة كل حمد وذم من المقالات لا يكون إلا من الكتاب والسنة) (شمول النصوص للأحكام) ، (قاعدة في الإجماع وأنه ثلاثة أقسام) ، (جواب في الإجماع وخبر التواتر) ، (قاعدة في أن خبر الواحد اليقين) ، (قاعدة في كيفية الاستدلال والاستدراك على الأحكام بالنص والإجماع)^(٣) ، (في الرد على مَنْ قال إن الأدلة اللفظية^(٤) لا تفيد اليقين) ، (قاعدة

(١) في (أ) والوافي : « علي ابن » .

(٢) في الأصل : « المقرّبين » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) في الأصل : « الإحكام » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

(٤) في الأصل : « القطعية » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

فَمَا يُظَنُّ مِنْ تَعَارُضِ النَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ) ، (مُؤَاخَذَةُ لَابِنِ حَزْمٍ فِي الْإِجْمَاعِ) ، (قَاعِدَةُ فِي تَقْرِيرِ الْقِيَاسِ) ، (قَاعِدَةُ فِي الْاجْتِهَادِ وَالتَّقْلِيدِ فِي الْأَحْكَامِ)^(١) ، (رَفْعُ الْمَلَامِ عَنْ الْأُئِمَّةِ الْأَعْلَامِ) ، (قَاعِدَةُ فِي الْاسْتِحْسَانِ) ، (وَصْفُ الْعُمومِ وَالْإِطْلَاقِ) ، (قَوَاعِدُ فِي أَنَّ الْمَخْطُوءَ فِي الْاجْتِهَادِ لَا يَأْتُمُّ) ، (هَلِ الْعَامِيُّ يَجِبُ عَلَيْهِ تَقْلِيدُ مَذْهَبِ مُعَيَّنٍ) ، (جَوَابُ فِي تَرْكِ التَّقْلِيدِ فِيمَنْ يَقُولُ مَذْهَبِي مَذْهَبُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَيْسَ أَنَا مُحْتَاجٌ إِلَى تَقْلِيدِ الْأُرْبَعَةِ) ، (جَوَابُ مَنْ تَفَقَّهَ فِي مَذْهَبٍ وَوَجَدَ حَدِيثًا صَحِيحًا ، هَلْ يَعْمَلُ بِهِ أَوْ لَا) ، (جَوَابُ تَقْلِيدِ الْحَنْفِيِّ الشَّافِعِيِّ^(٢) فِي الْجَمْعِ لِلْمَطَرِ وَالْوَتَرِ) ، (الْفَتْحُ عَلَى الْإِمَامِ فِي الصَّلَاةِ) (تَفْضِيلُ قَوَاعِدِ مَذْهَبِ مَالِكٍ وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ) ، (تَفْضِيلُ الْأُئِمَّةِ الْأُرْبَعَةِ وَمَا امْتَاَزَ بِهِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ) ، (قَاعِدَةُ فِي تَفْضِيلِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ) ، (جَوَابُ : هَلْ كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - قَبْلَ الرِّسَالَةِ نَبِيًّا) ، (جَوَابُ : هَلْ كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - مُتَعَبِّدًا بِشَرْعٍ مَن قَبْلَهُ) ، (قَوَاعِدُ أَنَّ النَّهْيَ يَقْتَضِي الْفَسَادَ)^(٣) .

- كُتُبُ الْفَقْهِ :

(شَرْحُ الْمَحْرَرِ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ) وَلَمْ يُبَيِّضْ ، (شَرْحُ الْعَمْدَةِ لِمَوْفُقِ)^(٤) ، أَرْبَعُ مَجْلَدَاتٍ ، (جَوَابُ مَسَائِلَ وَرَدَتْ مِنْ أَصْبَهَانَ) ، (جَوَابُ مَسَائِلَ وَرَدَتْ مِنَ الْأَنْدَلُسِ) ، (جَوَابُ مَسَائِلَ وَرَدَتْ مِنَ الصَّلْتِ) ، (جَوَابُ مَسَائِلَ وَرَدَتْ مِنْ بَغْدَادَ) ، (مَسَائِلَ وَرَدَتْ مِنْ زُرْعَ) ، (أَرْبَعُونَ مَسْأَلَةً لُقِّبَتِ الدَّرَّةُ الْمُضِيَّةُ)^(٥) ، (الْمَارْدَانِيَّةُ) (الطَّرَابِلُسِيَّةُ) ، (قَاعِدَةُ فِي الْمِيَاهِ وَالْمَائِعَاتِ وَأَحْكَامُهَا) ، (الْمَائِعَاتُ وَمَلَاقَاتُهَا النَّجَاسَةُ) ، (طَهَارَةُ بَوْلٍ مَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ) ، (قَاعِدَةُ فِي حَدِيثِ الْقَلْتَيْنِ وَعَدَمُ رَفْعِهِ) ، (قَوَاعِدُ فِي الاسْتِجَارِ ، وَتَطْهِيرِ الْأَرْضِ بِالشَّمْسِ وَالرِّيْحِ) ، (جَوَازُ الاسْتِجَارِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَالْإِجْمَاعُ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) وَالْوَافِي .

(٢) (أ) : « لِلشَّافِعِيِّ » .

(٣) فِي الْوَافِي : « الْعِنَادُ » .

(٤) (أ) : « لِمَوْفُقِ الدِّينِ » .

(٥) (أ) : « بِالْدَّرَّةِ الْمُضِيَّةِ » ، وَفِي الْوَافِي : « لُقِّبَتِ الدَّرَرُ لِلْمُضِيَّةِ فِي فِتَاوَيِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ » .

مع وجود الماء) ، (نواقض الوضوء) ، (قواعد في عدم تقض الوضوء بلمس النساء) ، (التسمية على الوضوء) ، (خطأ القول بجواز مسح الرجلين)^(٨) ، (جواز المسح على الخفين المتخزقين والجوربين واللفائف) ، (فين لا يعطي أجره الحَمَام)^(٩) ، (تحريم دخول الحَمَام بلا مئزر) ، (في الحَمَام والاعتسال) ، (ذم الوسواس) ، (جواز طواف الحائض) ، (تيسير العبادات لأرباب الضرورات بالتييم ، والجمع بين الصلاتين للمُعْذِر) ، (كراهية التلَفُظ بالنِّيَّة وتحريم الجَهْر بها) ، (^(٣) في البسطة هل هي من السورة) ، (فيما يعرض ^(٤) من الوسواس في الصلاة) ، (الكلم الطيب في الأذكار) (كراهية ^(٥) بسط سجادة المصلي قبل مجيئه) ، (في الركعتين اللتين تُصَلِّيَان قبل الجمعة) ، (في الصلاة بعد أذان الجمعة) ، (القنوت في الصبح والوتر) (قتل تارك أحد المباني وكُفْرُهُ) ، (الجمع بين الصلاتين في السفر) ، (فيما يختلف حكمه في ^(٦) السفر والحضر) ، (أهل البدع هل يُصَلَّى خَلْفَهُمْ) ، (صلاة [بعض]^(٧) أهل المذاهب خلف بعض) ، (الصلوات المبتدعة) ، (تحريم السماع) (تحريم الشبابة) ، (تحريم الشطرنج)^(٨) ، (تحريم الحشيشة ^(٩) ووجوب الحد فيها ونجاستها) ، (النهي عن المشاركة في أعياد اليهود والنصارى وإيقاد نصف شعبان والحبوب في عاشوراء) ، (مقدار الكفارة في اليمين) ، (في أن المطلقة ثلاثاً ، لا تحل إلا بِنِكَاح زوج ثان) ،

(١) (أ) : « خطأ القول بالمسح على الرجلين » .

(٢) في الأصل و (أ) : « الحكم » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) في الوافي : « قاعدة في » .

(٤) في الوافي : « فيما يعرض للمصلي » .

(٥) في الوافي : « كراهية تقديم بسط » .

(٦) في الوافي : « بالسفر » .

(٧) زيادة من (أ) والوافي .

(٨) في الوافي : « تحريم اللعب بالشرطنج » .

(٩) في الوافي : « الحشيشة القنبية » .

(بيان الطلاق المباح والحرام) ، (في الحلف بالطلاق متى نجيزه ^(١) ثلاثاً) ، (جواب من حلف لا يفعل شيئاً على المذاهب الأربعة) ^(٢) ، (الفرق المبين بين الطلاق واليمين) ، (لحة المختطف في الفرق بين الطلاق والحلف) ، (الحلف بالطلاق من الأيمان حقيقة) ، (كتاب التحقيق ^(٣) بين الأيمان والتطليق) ، (الطلاق البدعي لا يقع) ، (مسائل الفرق بين الحلف ^(٤) بالطلاق وإيقاعه والطلاق البدعي والخلع ونحو ذلك) ، تقدير خمسة عشر مجلداً ، (مناسك الحج عدة) ، (في حجة النبي - ﷺ) ، (في العمرة المكية) ، ([في] ^(٥) شهر السلاح بتبوك وشرب السويق بالعقبة وأكل التمر ^(٦) بالروضة وما يليس المحرم ، وزيارة الخليل عقيب الحج ، وزيارة القدس مطلقاً) ، (جبل لبنان كأمثاله من الجبال ، ليس فيه رجال غيب ولا أبدال) ، (جميع [أيمان] ^(٧) المسلمين مكفرة) .

- كتب في أنواع شتى :

جمع بعض الناس فتاويه بالديار المصرية مدة سبع سنين في علوم شتى ، فجاءت ثلاثين مجلدة ، (الكلام على بطلان الفتوة المصطلح عليها بين العوام) ، وليس لها أصل يتصل بعلي عليه السلام . (كشف حال المشايخ الأحمدية وأحوالهم الشيطانية) ، (بطلان ما يقوله أهل بيت الشيخ عدي) ، (النجوم هل لها تأثير عند الاقتران والمقابلة والخسوف والكسوف) ، (هل يقبل قول المنجمين فيه ورؤية الأهلة) ،

(١) (أ) ، والوافي : « بالطلاق وتنجيزه » .

(٢) تتمه في الوافي : « ثم طلق ثلاثاً » .

(٣) (أ) ، والوافي : « في الفرق بين » .

(٤) في الأصل و (أ) : « والطلاق » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٥) زيادة من (أ) والوافي .

(٦) (أ) : « في الروضة » .

(٧) من (أ) والوافي .

(تحريم أقسام الْمُعْزَمِينَ بِالْعِزَائِمِ الْمُعْجَمَةِ وصرع^(١) الصحيح وصفة الخواتم) . (إبطال الكيمياء وتحريمها ولو صحت وراجت) ، (كشف حال المَرَاوِقَةِ) ، (قاعدة في العبيدين) .

ومن نظم الشيخ تقي الدين على لسان الفقراء المُجَرِّدين وغيرهم :

وَاللّٰهُ مَا فَقَرْنَا اخْتِيَارَ وَإِنَّمَا فَقَرْنَا اضْطِرَارَ
جَاعَةً كُلُّنَا كَسَالِي وَأَكَلْنَا كُلَّهُ عِيَارَ^(٢)
تَسْبَعُ مِنَّا إِذَا اجْتَمَعْنَا حَقِيقَةً كُلُّهَا فُشَارَ^(٣)

وله قصائد مطوّلة ، أجوبة عن مسائل كان يُسأل عنها نظماً ، مثل مسألة اليهودي ، وجوابه عن اللغز الذي نظمه الشيخ رشيد الدين الفارقي^(٤) ، وغير ذلك .

ومدحه جماعة من أهل مصر ، منهم شهاب الدين أحمد بن محمد البغدادي المعروف بابن الأبرادي ، والشيخ شمس الدين بن الصائغ^(٥) ، وسعد الدين أبو محمد سعد الله بن عبد الأحد الحرّاني^(٦) ، وأكثر من ذلك ، ومنه قوله :

لئن نَافَقَوْهُ وَهُوَ فِي السَّجَنِ وَابْتَغَوْا رِضَاهَ وَأَبَدُوا رِقَّةً وَتَوَدَّدَا
فَلَا عَزَوْا إِنْ ذَلَّ الْخُصُومُ لِبَاسِهِ وَلَا عَجَبٌ أَنْ خَافَ سَطَوَتَهُ الْعِدَا^(٧)
فَمِنْ شَيْبَةِ الْعَضْبِ الْمُهَنْدِ أَنَّهُ يُخَافُ وَيُرْجَى مَغْفَدًا وَمُجَرَّدَا

(١) في الوافي : « وصدع » .

(٢) (أ) ، والوافي : « ماله عيار » .

(٣) فشار : أي هذيان .

(٤) في الأصل « الفاروقي » ، تحريف ، والفارقي هو أبو حفص عمر بن إسماعيل ، ت (٦٨٩ هـ) ، العبر : ٣٦٣/٥ ، والنجوم : ٣٨٥/٧ .

(٥) محمد بن عبد الرحمن ، ت (٧٧٦ هـ) ، الشذرات : ٢٤٨/٦ .

(٦) ت (٧٢١ هـ) ، الدرر : ١٣٣/٢ .

(٧) في الوافي : « أن هاب » .

ومن مدحه بمصر أيضاً شيخنا العلامة أبو حيان ، لكنه انخرِف عنه فيما بعد ومات وهو على انخِرافه ، ولذلك أسباب ؛ منها أنه قال له يوماً : كذا قال سيبويه ، فقال : يكذب سيبويه ، فانخرِف عنه ، وقد كان أولاً جاء إليه والمجلس عنده غاصُّ بالناس ، فقال يمدحه ارتجالاً :

لَمَّا أَتَيْنَا تَقِيَّ الدِّينِ لَاحَ لَنَا	دَاعَ إِلَى اللَّهِ فَرْدَ مَالِهِ وَزَرَ
عَلَى مُحْيَاهُ مِنْ سِيَا الْأُولَى صَحَبُوا	خَيْرَ الْبَرِيَّةِ نَوْرَ دَوْنِهِ الْقَمَرُ
حَبْرٌ تَسْرُبَلُ مِنْهُ دَهْرُهُ حَبْرًا	بَحْرٌ تَقَادَفُ مِنْ أُمُوجِهِ الدُّرَرُ
قَامَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي نَصْرِ شِرْعَتِنَا	مَقَامَ سَيِّدِ تَيْمٍ إِذْ عَصَتْ مُضَرُّ
فَأَظْهَرَ الْحَقَّ إِذْ آثَارُهُ دَرَسَتْ	وَأُخْمِدَ الشَّرُّ إِذْ طَارَتْ لَهُ الشَّرَرُ
كُنَّا نَحْدُثُ عَنْ حَبْرِ يَحْيَى فَهَا	أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي قَدْ كَانَ يُنْتَظَرُ

وكتب الشيخ كال الدين محمد بن علي بن الزملاكي - رحمه الله تعالى - على بعض تصانيفه :

مَاذَا يَقُولُ الْوَاصِفُونَ لَهُ	وصفائهُ جَلَّتْ عَنِ الْحَضَرِ ^(١)
هُوَ حُجَّةٌ لِلَّهِ قَاهِرَةٌ	هُوَ بَيْنَنَا أُعْجُوبَةُ الْعَصْرِ ^(٢)
هُوَ آيَةٌ فِي الْخَلْقِ ظَاهِرَةٌ	أَنْوَارُهَا أَرْبَتْ عَلَى الْفَجْرِ ^(٣)

والذي أراه أن هذه الأبيات كتبها الشيخ كال الدين في حياة الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، لأنه كان يخالفه ويريد أن ينتصر عليه بالشيخ تقي الدين بن تيمية ، والله أعلم .

ولما توفي - رحمه الله تعالى - رثاه جماعة منهم الشيخ قاسم بن عبد الرحمن المقرئ ،

(١) الأبيات مع ما كتبه قبلها ، في المنهل الصافي : ٣٦١/١ .

(٢) في المنهل : « الدهر » .

(٣) في المنهل : « للحق ظاهرة » .

وبرهان الدين إبراهيم^(١) بن الشيخ شهاب الدين العجمي^(٢) ، ومحمود بن علي بن محمود الدقوقي البغدادي^(٣) ، ومجير الدين الخياط^(٤) الدمشقي ، وشهاب الدين أحمد [بن]^(٥) الكرشت ، وزين الدين عمر بن الحسام^(٦) ، ومحمد بن أحمد بن القاسم الحلبي الدمشقي الإسكاف ، وصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي^(٧) ، وجمال الدين محمود بن الأثير الحلبي ، وعبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومي الحريري^(٨) . المعروف بالمتيم ، وتقي الدين محمد بن سليمان بن عبد الله بن سالم الجعبري^(٩) ، وجمال الدين عبد الصمد بن إبراهيم الخليل الخليلي^(١٠) ، وحسن بن محمد النحوي المارداني^(١١) ، وغيرهم .

أنشدني إجازة لنفسه الشيخ علاء الدين علي بن غانم^(١٢) :

أَيُّ حَبْرٍ مَضَى وَأَيُّ إِمَامٍ فُجِعَتْ فِيهِ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ
ابْنُ تَيْمِيَّةَ النَّقِيِّ وَحِيدُ الدِّمِ (م) هُرِمَ مَنْ كَانَ شَامَةً فِي الشَّامِ
بَحْرٌ عَلِمَ قَدْ غَاضَ مِنْ بَعْدِ مَا فَا ضَ نَدَاةٌ وَعَمَّ بِالْإِنْعَامِ

(١) ليست في (أ) والوافي .

(٢) في الوافي : شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم العجمي .

(٣) ستأتي ترجمته .

(٤) أحمد بن الحسن ، سلفت ترجمته .

(٥) زيادة من (أ) والوافي .

(٦) هو عمر بن آقوش ، ستأتي ترجمته .

(٧) ستأتي ترجمته .

(٨) في الأصل : الجزري ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

(٩) الدرر : ٤٤٩/٣ ، ولم يذكر سنة وفاته .

(١٠) ت (٧٤٣ هـ) ، الشذرات : ٢٠٤/٦ .

(١١) (أ) : المارديني .

(١٢) هو علي بن محمد بن سلمان ، ستأتي ترجمته ، والأبيات في الوافي : ٣١/٧ .

زَاهِدٌ عَابِدٌ تَزَهَّى فِي دُنْ
 كَانَ كُنْزاً لِكُلِّ طَالِبِ عِلْمٍ
 وَلِعَافٍ قَدْ جَاءَ يَشْكُو مِنَ الْفَقْدِ
 حَازَ عِلْماً فَمَالَهُ مِنْ مَسَاوٍ
 لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا لَهُ مِنْ نَظِيرٍ
 عَالِمٌ فِي زَمَانِهِ فَاقٌ بِالْعِلْمِ
 كَانَ فِي عِلْمِهِ وَحِيداً فَرِيداً
 كُلُّ مَنْ فِي دِمَشْقٍ نَاحَ عَلَيْهِ
 فَجِعَ النَّاسُ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ
 لَوْ يُفِيدُ الْفِدَاءَ بِالرُّوحِ كُنَّا
 أَوْحَدٌ فِيهِ قَدْ أُصِيبَ الْبَرَايَا
 وَعَزِيزٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَرَوْهُ
 مَا يَرَى مِثْلُ يَوْمِهِ عِنْدَمَا سَا
 حَلَّوْهُ عَلَى الرَّقَابِ إِلَى الْقَبْرِ
 فَهُوَ الْآنَ جَارٌ رَبِّ السَّمَاوَا
 قُدْسَ اللَّهُ رُوحَهُ وَسَقَى قَبْرَهُ
 فَلَقَدْ كَانَ نَادِراً فِي بَنِي السُّدْهِ

يَاهُ عَنْ كُلِّ مَا يَهْمُ مِنْ حُطَامٍ ^(١)
 وَلِمَنْ خَافَ أَنْ يَرَى فِي حَرَامٍ
 رُلْدِيهِ فَنَالَ كُلَّ مَرَامٍ
 فِيهِ مِنْ عَالَمٍ وَلَا مِنْ مُسَامٍ
 فِي جَمِيعِ الْعُلُومِ وَالْأَحْكَامِ ^(٢)
 فِي جَمِيعِ الْأَيْمَةِ الْأَعْلَامِ
 لَمْ يَنَالُوا مَانَالاً فِي الْأَحْلَامِ ^(٣)
 يَبْكَاءُ مِنْ شِدَّةِ الْآلَامِ ^(٤)
 بِ وَأَضْحَوْا بِالْحُزْنِ كَالْأَيْتَامِ
 قَدْ فَدَيْنَاهُ مِنْ هُجُومِ الْحِمَامِ
 فَيَعْزَى فِيهِ جَمِيعُ الْأَنَامِ
 غَابَ بِالرَّغْمِ فِي الثَّرَى وَالرُّغَامِ ^(٥)
 رَ عَلَى النَّعْشِ نَحْوَ دَارِ السَّلَامِ
 رِ وَكَادُوا أَنْ يَهْلِكُوا بِالزَّحَامِ
 تِ الرَّحِيمِ الْمُهْمِينَ الْعِزَّامِ
 رَأَى [حَوَاه] بِهَا طِلَاتِ الْغَمَامِ ^(٦)
 رِ وَحُسْنًا فِي أَوْجِهِ الْأَيَّامِ

(١) فِي الْأَصْلِ وَ (أ) : « حَرَام » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي الْوَاقِفِ ، وَهِيَ أَنْسَبُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ وَالْوَاقِفِ : « فِي الدُّنْيَا » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، وَهِيَ يَسْتَقِيمُ الْوِزْنُ .

(٣) قَوْلُهُ : « فَرِيداً ... مَا » مَطْمُوسٌ فِي الْأَصْلِ ، وَاسْتَدْرَكَ مِنْ (أ) وَالْوَاقِفِ .

(٤) قَوْلُهُ : « عَلَيْهِ ... مِنْ » مَطْمُوسٌ فِي الْأَصْلِ ، وَاسْتَدْرَكَ مِنْ (أ) وَالْوَاقِفِ .

(٥) (أ) : « فِي الرَّدَى » .

(٦) الزِّيَادَةُ مِنْ (أ) وَالْوَاقِفِ .

وأنشدني أيضاً : إجازة لنفسه الشيخ زين الدين عمر بن الوردي ^(١) :

قلوبُ النَّاسِ قَاسِيَةٌ سِلَاطُ وليس لها إلى العليسا نشاطُ
أَتَشْطُ قَطُّ بَعْدَ وَفَاةِ حَبِيرٍ لنا من نثرِ جَوْهَرِهِ التِّقَاطُ
تَقِيُّ السُّلَاحَ ذُو وَرَعٍ وَعِلْمٍ خُرُوقُ الْمُعْضِلَاتِ بِهِ تُخَاطُ
تُوفِي وهو محبوسٌ فريدٌ وليس له إلى الدُّنْيَا انبِساطُ
ولم يحضروه حين قضى لألفوا مَلَائِكَةُ النِّعَمِ بِهِ أَحَاطُوا
قضى نَحْباً وليس له قرينٌ وليس يَلْفُ مُشَبَّهَةٌ التِّقَاطُ
فتى في علمه أضحى فريداً وحلُّ المُشْكِلَاتِ بِهِ يُنَاطُ
وكان يخاف إبليسُ سطاه لو عَظَّ لِلْقُلُوبِ هُوَ السِّيطُ
فيا لله ما قد ضمَّ لَحْدُ ويا لله ما غطى البِلَاطُ ^(٢)
وحبسُ الدُّرِّ في الأَصْدَافِ فخرٌ وعِنْدَ الشَّيْخِ بالسَّجْنِ اغْتِبَاطُ
بنو تيمية كانوا فبانوا نجومُ العِلْمِ أدركها انْهِبَاطُ ^(٣)
ولكن يانداً مَتَنَّا عليه فشكُّ المُلْحَدِينَ بِهِ يُيَاطُ ^(٤)
إمامٌ لا ولايةَ قَطُّ عانى ولا وَقَفَّ عليه ولا رَبَاطُ
ولا جارى الورى في كَسْبِ مالٍ ولم يَشْغَلْهُ بِالنَّاسِ اخْتِلَاطُ
ولولا أَنَّهُمْ سَجَنُوهُ شَرْعاً لكان به لَقْدَرُهُمُ انْحِطَاطُ
لقد خَفِيتُ عليَّ هُنا أُمُورٌ وليس يليقُ لي فيها انْخِرَاطُ ^(٥)
وعند الله تجتمعُ البرايا جميعاً وانطوى هذا البِساطُ

(١) ستأتي ترجمته ، والأبيات في ديوانه ٢٢٤ ، والوافي : ٣٢/٧ .

(٢) البيت ليس في (أ) .

(٣) في الأصل « المباط » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

(٤) (أ) : « فشم للحددين » .

(٥) (أ) : « هدى أمور » .

وقلت أنا أيضاً أرثيه ^(١) :

ضاقَ بأهلِ العِلْمِ رَحْبُ الفِضا
وأيُّ بَحْرٍ في الثرى غِيْضُا
وأيُّ خَيْرٍ طَرْفُهُ غَمْضُا
فَرَبُّهَا المعمورُ قد قُوْضُا
علمٍ فلمَّا جاءَ رَوْضُا
تراه إنْ وافي إليه أَضُا
أعاده يومَ هُدى أَيْضُا
فقلَّ أنْ تُدَحَّرَ أو تُدَحْضُا
وَحَضُّهُ في وَقْتِهِ انْقِضُا ^(٢)
وهو بِالْحَقِّ قد أَجْرَضُا ^(٣)
مِنْ نَدَمٍ كَفَيْهِ قد عَضُّا ^(٤)
أضحى له غابُ النُّهى مَرَبَضُا
وَحَضُّهُ قد ضَمَّ جَمْرَ الغِضا
لقوله طَوْعاً وقد قِيَضُا
ولا اعتبارَ بالذي أَبْغَضُا
أمرَ لِبَارِيهِ وقد فَوَّضُا
أَيَقَظُ من نومٍ وكم حَرَضُا
حقَّ وَقَلْبُ الزَّيْغِ قد أَرْمَضُا ^(٥)

إِنَّ ابْنَ تَيْمِيَّةَ لَمَّا قَضَى
فَأَيُّ بَذَرٍ قَدْ مَحَاهُ الرَّدَى
وَأَيُّ شَرٍّ فَتَحَتْ عَيْنُهُ
يَا وَخْشَةَ السَّنَةِ مِنْ بَعْدِهِ
كَمْ مَجْلِسٍ كَانَ هَشِيماً مَنْ أَلِ
وَكُلُّ حَفْلٍ أَفْقَهُ مُظْلِمٌ
وَمُشْكِلٌ لَمَّا دَجَى لَيْلُهُ
تراه إِنْ بَرَّهَنْ أَقْوَالُهُ
وَبَحْثُهُ فِي مَدَدِ طَافِحٍ
يُودُ لَوْ أَبْلَعَهُ رِيْقُهُ
أَغْصَنَهُ حَتَّى غَدَا مُطَرَقاً
مَا كَانَ إِلَّا أَسَدَ خَادِرٍ
وَهُوَ يَرَى الْعِلْمَ فِي بُرْدِهِ
سُبْحَانَ مَنْ سَخَّرَ قَلْبَ الْوَرَى
قَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى حُبِّهِ
كَانَ سَلِيمَ الصَّدْرِ قَدْ سَلَّمَ أَلِ
كَمْ حَثٌّ لِلْخَيْرِ وَكَمْ ذِي كَرَى
وَأَمْرُضَ الْإِلْحَادَ لَمَّا جَلَى أَلِ

(١) لم ترد هذه الآيات في الوافي .

(٢) « وبحثه » مطموسة في الأصل ، والاستدراك من (أ) .

(٣) « يود » مطموسة في الأصل ، والاستدراك من (أ) .

(٤) (أ) : « باهتاً من » .

(٥) (أ) : « أرمضا » .

وغادر الباطل في ظلمة
وهو عن الدنيا زوى نفسه
فقاله في منصِبِ رَغْبَةٍ
كان إذا الدنيال له عَرَضَتْ
ولو رأى ذلك مافاتِه
وبعد هذا حكمه نافِذٌ
بنفسه جاهِدَ جَهْرًا وكم
ويومَ غازان غدا عندما
شَقَّ سِوَادَ الْمُغَلِّ زَاهِي الطُّلَا
جادلَ بل جالِدِ مُسْتَمْسِكَا
ولم يكن فيه سوى أَنه
متَّبِعاً فيه الدَّلِيلَ الَّذِي
وبعد ذا راحَ إلى رَبِّهِ
ثناؤه ما انْقَضَ منه الْبِنَا
فجاءت الرَّحْمَةُ أَرْضاً ثَوَى

لما رأى بَارِقَهُ أَوْضَا
واللهُ بِالْجَنَّةِ قَدْ عَوَّضَا
وعَزَّمَهُ فِي ذَاكَ مَا اسْتَنْهَضَا
بِزُخْرَفٍ مِنْ نَفْسِهَا أَعْرَضَا
مناصِبٌ مِنْ بَعْضِهَا الْقَضَا
فِي كُلِّ مَا قَدْ شَاءَ وَارْتَضَى
سَلَّ حُسَاماً فِي الْوَعْيِ وَأَنْتَضَى
شَدَّةً فِي الْقَوْلِ وَمَا خَفَّضَا^(١)
كَلِمَاءَ لِمَا مَزَقَ الْعَرْمَضَا^(٢)
بِالْحَقِّ حَتَّى إِنَّهُ أَجْهَضَا
خَالَفَ أَشْيَاءَ كَمْ قَدْ مَضَى^(٣)
بَدَا وَلِلَّهِ فِيهِ الْقَضَا
مَا أَذَانَ مِنْ لَهْوٍ وَلَا اسْتَقْرَضَا
وَذَكَرَهُ بَيْنَ الْوَرَى مَا انْقَضَى
فِيهَا وَسَقَّتْهَا غِيوُثُ الرِّضَى

وعلى الجملة ، فكان^(٤) الشيخ تقي الدين بن تيمية أحدَ الثلاثة الذين عاصرتهم ، ولم يكن في الزمان مثْلهم ، بل ولا قبلهم من مئة سنة ، وهم الشيخ تقي الدين بن تيمية ، والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، وشيخنا العلامة تقي الدين السبكي . وقلت في ذلك :

(١) (أ) : « غزا عندما » .

(٢) العرمض : الطحلب .

(٣) (أ) : « أشيا كن » ، ولا يستقيم بها الوزن .

(٤) (أ) : « كان » .

ثَلَاثَةٌ لَيْسَ لَهُمْ رَابِعٌ فَلَا تَكُنْ مِنْ ذَاكَ فِي شَأْنٍ
وَكُلُّهُمْ مُنْتَسِبٌ لِلتَّقَى
فَإِنْ تَشَاقَلْتَ ابْنَ تَيْمِيَّةَ وَابْنَ دَقِيقِ الْعَيْدِ وَالسَّبْكِ

١١٩ - أحمد بن عبد الحميد*

ابن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة ، الشيخ المُسْنَدُ المبارك عز الدين أبو العباس بن العباد المقدسي الصالحي .

سمع من الموفق^(٢) ، وموسى بن عبد القادر^(٣) ، وابن راجح^(٤) ، وابن أبي لقمة ،
والبهاء^(٥) ، وأبي القاسم بن صَضرى ، وشمس الدين أحمد البخاري ، وابن غسان^(٦) ،
وابن الزبيدي^(٧) .

خُرِجَتْ لَهُ مَشِيخَةٌ فِي ثَلَاثِ مَجْلَدَاتٍ ، وَبِهَا جَمَاعَةٌ ، وَظَهَرَ ، لَهُ أَيَّامُ التَّارِ سَمَاعُ
مُسْنَدِ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ^(٨) مِنَ الْمَوْفِقِ .

تَفَرَّدَ الْمَذْكُورُ بِأَشْيَاءَ اسْتَمَعَهَا ، وَبِرَوَايَةِ أَجْزَاءٍ فِي [سَمَاءٍ]^(٩) السَّمَاعِ أَطْلَعَهَا ، وَصَارَ
مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ الْإِسْنَادِ ، وَأَشْيَاخِ الرِّحْلَةِ إِلَيْهِ مِنَ الْبِلَادِ .

(١) (أ) : « وَكُلُّهُمْ يَلْقَبُ بِالتَّقَى » .

* الوافي : ٣٢/٧ ، والشذرات : ٤٥٥/٥ ، وعقود الجمان : ١٤٨/٤ ، وفيات سنة (٧٠٠ هـ) .

(٢) موفق الدين ، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعلي ، ت (٦٢٠ هـ) ، السير : ١٦٥/٢٢ .

(٣) موسى بن عبد القادر الجيلي ، ت (٦١٨ هـ) ، السير : ١٥٠/٢٢ .

(٤) أبو العباس أحمد بن محمد بن خلف ، ت (٦٣٨ هـ) ، السير : ٧٥/٢٢ .

(٥) عبد الصمد بن إبراهيم المقدسي ، ت (٦٢٤ هـ) ، السير : ٢٦٦/٢٢ .

(٦) محمد بن غسان بن غافل ، ت (٦٢٢ هـ) ، السير : ٢٨١/٢٢ .

(٧) الحسين بن المبارك ، ت (٦٣١ هـ) ، السير : ٣٥٨/٢٢ .

(٨) سليمان بن أبي داود الطيالسي ، ت (٢٠٤ هـ) ، الكشف : ١٦٧/٩ ، وبروكلمان : ١٥٥/٣ .

(٩) زيادة من (أ) .

ولم يزل على حاله إلى أن مال من ابن العباد عمودَه ، وحن خمودَه من اشتعال الشيب^(١) وجموده .

توفي - رحمه الله تعالى - سنة سبع مئة .

ومولده سنة اثني عشرة وست مئة بالجليل .

١٢٠ - أحمد بن عبد الدائم *

ابن يوسف بن قاسم بن عبد الله بن عبد الخالق بن ساهل أمره شهاب الدين الكناني الشارمُستاحي ، أبو يوسف .

كان هَجَاماً هَجَاً ، رَجَاماً للأعراض رجاً ، أتى إلى دمشق في أيام القاضي الخوئي^(٢) فيما أظن ، ودفع إليه ورقة فيها هجوه ، فلما رآها^(٣) دفعها إليه وأعادها عليه ، فردّها إليه ثانياً ، فقال : يامولانا كأنك ذاهل ؟ فقال : بل عالم غيّر جاهل ، فقال : ما الذي حملك على هذا ؟ قال : رأيت الناس قد أجمعوا على كرمك ، ووفود الشعراء على حرمك ، ولست مجيداً في النظم فأعرّف ، وإشبي أحمد فما أُصِرّف ، ولو مدحتك أعطيتني قليلاً ولم يعلم بي أحد ، ولم يكن لي في الشهرة مُلتَحِد ، فإذا هجوتك عَزَرْتَنِي ، وطوّفت بي وشَهَرْتَنِي ، فيقال : هذا الذي هجا قاضي القضاة ، وقابله بما لا ارتضاه ، فأحسنَ القاضي - رحمه الله تعالى - صِلَتَه وأسناها ، وعلم أن هذا له طِبَاعٌ لا ينتهي عن الشر ولا يتناهى .

ولما عَزَلَ القاضي شمس الدين محمد بن عدلان^(٤) عن القضاء عند ورود الملك الناصر

(١) (أ) : « أشعال السبب » .

* الوافي : ٣٦٧ ، وفوات الوفيات : ٨٢/١ ، والدرر : ١٦١/١ .

(٢) محمد بن أحمد ، ت (٦٩٣ هـ) ، الفوات : ٣١٣/٣ .

(٣) (أ) : فيها هجوه ، فدفعها .

(٤) محمد بن أحمد بن عثمان ، ت (٧٤٩ هـ) ، وستأتي ترجمته .

من الكرك ، صنع قصيدة ، فتح فيها من الهجو القبيح وَصِيدَهُ ، فاجتمع به وقال له :
ياسيدنا .

والله ما سَرَّني عزلُ ابنِ عدلان .

فقال له الشيخ شمس الدين : حاشاكم يا مولانا جزاكم الله خيراً ، فقال :
من غير صَفْعٍ ولا والله أَرْضاني .

فقال : قَبَّحك الله يا نَجس . وله تلك القصيدة التي أولها :

مَتَى يَسْمَعُ السُّلْطَانُ شَكْوَى الْمَدَارِسِ وَأَوْقَافُهَا مَا بَيْنَ عَافٍ وَدَارِسِ^(١)

وكان الشيخ العلامة أثير الدين قد تَوَجَّه إلى الإسكندرية ، فوقع الشَّنَاعُ أنه غرق
في النيل ، ودفن بقرية (بولة) وهي قرية على شاطئ النيل ، فقال أبياتاً منها :

وَقَدْ دَفَنُوا ذَاكَ الْخَرَاءَ بِبُولَةِ وَحَقٌّ لِّذَاكَ الْمَيِّتِ تِلْكَ الْمَقَابِرُ

أنشدني من لفظه لنفسه شيخنا العلامة أبو حيان ، قال : أنشدني المذكور لنفسه
بدمياط سنة أربع وتسعين من قصيدة^(٢) :

مُحَجَّبَةٌ بَيْنَ التَّرَائِبِ وَالْحَشَا فَدَمَعِي لَهَا طَلَّقَ وَقَلْبِي بِهَا رَهْنُ^(٣)
وَحَالُ الْهَوَى مَا لَيْسَ يُدْرِكُ كُنْهَهُ وَهَلْ هُوَ وَهْمٌ يَعْتَرِي الْقَلْبَ أَوْ وَهْنٌ
وَمَسْلُكُهُ بِالطَّرْفِ سَهْلٌ وَإِنَّمَا لَهُ مَنَهِجٌ أَعْيَا الْقُلُوبَ بِهِ حُزْنٌ
لَدِيهِ الْأَمَانِي بِالْمَنَايَا مَشُوبَةٌ وَفِيهِ الرَّجَا وَالْخَوْفُ وَالْيَأْسُ وَالْأَمْنُ
وَكَمْ مَهْلِكٍ فِيهِ يَقِينٌ لِعَاشِقٍ وَمَطْلَبُهُ مِنْ دُونِهِ فِي الْوَرَى ظَنٌّ

(١) البيت في الدرر : ١٦١/١ .

(٢) الأبيات التالية في الوافي : ٣٧٧ .

(٣) (أ) : « لها رهن » .

وبالسند المذكور أيضاً قوله :

تَخْشَى الظُّبَى وَالظُّبَا مِنْ فَتْكِ نَازِرِهِ
لَا وَاحِذَ اللَّهِ عَيْنِهِ فَقَدْ نَشِطَتْ
تَرْمِي الْقُلُوبَ فَمَا تَدْرِي أَقَامَ بِهَا
هَذَا الْغَزَالُ الَّذِي رَأَتْ مُحَاسِنَهُ
لَمَّا تَوَالَيْتُ مِنْ وَجْدٍ وَمِنْ شَغَفٍ
تَحَقَّقَ النَّاسُ أَنِّي مُغْرَمٌ بِعَلِيٍّ

وبالسند المذكور أيضاً قوله :

لَا تَعْجَبُوا لِلْجَانِيقِ الَّتِي رَشَقَتْ
بَلْ اعْجَبُوا لِلْسَانِ النَّارِ قَائِلَةً
هَذِي مَنَازِلُ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ
عَكَا بِنَارٍ وَهَدَّتْهَا بِأَحْجَارٍ

قلت : أحسن منه ما أنشدني لنفسه شيخنا العلامة أبو الثناء محمود :

مَرَرْتُ بِعَكَا عِنْدَ تَغْلِيْقِ سُورِهَا
فَعَايَنْتُهَا بَعْدَ التَّنَصُّرِ قَدْ غَدَتْ
وَزَنْدُ أَوَارِ النَّارِ مِنْ تَحْتِهَا وَارٍ
مَجُوسِيَّةُ الْأَحْجَارِ تَسْجُدُ لِلنَّارِ

قلت : وعلى الجملة فكان الشارمساحي شاعراً جيداً .

ولم يزل يمدح ويهجو ، ويسنح ويرجو إلى أن سكنت شَقَاشِقُهُ ، وركنت إلى
الْحَرَسِ رَوَاشِقُهُ ، وتوفي - رحمه الله تعالى - في حدود العشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وستين وست مئة .

١٢١ - أحمد بن عبد الرحمن *

ابن عبد المؤمن بن أبي الفتح المقدسي ، الشيخ الصالح المُسْنِدُ المقرئ تقي الدين
أبو العباس الصُّوري ثم الصالح الحنبلي .

* الوافي : ٤٦٧ ، والدرر : ١٦٨/١ ، والشرذات : ٢/٦ .

سمع حضوراً من المَوْفَّق ، وهو خاتمة أصحابه ، ومن ابن أبي لقمة ، وابن صصرى ، والقزويني ، والبهاء عبد الرحمن ، وابن الزبيدي ، وخِرَجَ أبو عمرو المقاتلي^(١) له مشيخة .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : سمعناها منه خاصة .

وحدَّث عنه ابن الحَبَّاز^(٢) في حياة ابن عبد الدائم والبرزالي والوافي والمقاتلي وابن المحب^(٣) وآخرون .

وقد روى المذكور فأكثر ، وأسند عن جماعة ، فأثل في السند وأثر .

ولم يزل على ذلك النهج ، والإضاءة والرَّهَج ، إلى أن أصبح هامداً ، وتقله حامله إلى ضريحه عامداً .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة إحدى وسبع مئة ، وعاش أربعاً وثمانين سنة من العمر .

١٢٢ - أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم*

الهَكَارِي الصَّرْحِي ثم الصالحي القَوَّاس المُسْنَدُ المعمر ، شهاب الدين . سمع من خطيب مرُدا وغيره .

وسمع الناسُ منه لما تحقَّقوا من خيره .

كان فيه دين ، ولم يُر منه ما يَشِين .

(١) عثمان بن بلبان ، ت (٧١٧ هـ) ، ستأتي ترجمته .

(٢) نجم الدين ، إسماعيل بن إبراهيم ، ت (٧٠٣ هـ) ، ذيل العبر : ٢٤ ، والدرر : ٣٦٢/١ .

(٣) عبد الله بن أحمد بن المحب المقدسي ، ت (٧٣٧ هـ) . ذيل العبر : ١٩٦ ، والدرر : ٢٤٤/٢ .

* الوافي : ٤٧/٧ ، والدرر : ١٦٥/١ ، والشذرات : ١١٢/٦ .

ولم يزل يُسْمَعُ ، ويلينُ جانبُهُ للطلبة ويَطْمِئِعُ ، إلى أن أصاب القواسَ سهمُ الموت
وصَرَخَ بالصرخديّ داعي الفوت .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة ست وثلاثين وسبع مئة . وعاش تسعين سنة .

١٢٣ - أحمد بن عبد الرحمن*

ابن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور : الشيخ الإمام العابر الأعجوبة في
هذا الفن شهابُ الدين المقدسي النابلسي الحنبلي مُفسِّر المناجات .

سمع من عمِّه التقي يوسف^(١) سنة ست وثلاثين ، ومن الصاحب محيي الدين بن
الجوزي^(٢) ، وسمع بمصر من ابن رَوَاج ، والساوي^(٣) ، وابن الجُمَيزي وبالإسكندرية من
السُّبُط^(٤) ، وروى الكثير بالقاهرة .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي سمعنا منه أجزاء ، وكان عارفاً بالمذهب ، وذكر^(٥)
التدريس بالجوزية لما قَدِمَ علينا ونزل بها . وقال : حدثني الشيخ تقي الدين بن تيمية
أن الشهاب العابر كان له رِيٌّ من الجن يخبره عن المغيبات^(٦) . والرجل كان صاحب
أورادٍ وصلاة ومقامات .

* الوافي : ٤٨/٧ ، والبداية والنهاية : ٣٥٣/١٣ ، والشذرات : ٤٣٧/٥ ، وعقد الجمان : ٤١٦/٣ ، وفيات
(٦٩٧ هـ) . ووقع في الأصل « طعمة » موضع « نعمة » ، وهو سهو .

(١) تقي الدين يوسف بن عبد المنعم بن نعمة ، ت (٦٣٨ هـ) ، الشذرات : ٢٠٢/٥ .

(٢) يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي ، ت (٦٥٦ هـ) . السير : ٣٧٢/٢٣ ، والشذرات : ٢٨٦/٥ .

(٣) كذا في (أ) ، والوافي ، وفي الأصل : « الشاوري » . والساوي هو يوسف بن محمود ، ت (٦٤٧ هـ) ،
السير : ٢٣٢/٢٣ .

(٤) أبو القاسم بن عبد الرحمن بن الحاسب مكي الطرابلسي ثم الإسكندراني ، ت (٦٥١ هـ) ، السير :
٢٧٨/٢٣ .

(٥) في الوافي : « وولي » ، ووقع في بعض أصوله مثل ماههنا ، والجوزية بسوق القمح قرب الجامع
الأموي ، أنشأها يوسف بن الجوزي ، وقد سلفت ترجمته قبل قليل ، الدارس : ٢٣/٢ .

(٦) (أ) : « بالمغيبات » ، وفي الوافي : « بالمغيبات » .

قلتُ : وكان وافر الحُرْفَة لا تُعرف له جُرْمَة ، للناس فيه عقائد ، وهو إلى الخير قائد ، وله عَمْر الطَّبْرُس^(١) (المجنونة) التي بجانب بركة الفيل ظاهر القاهرة ، وهي في مكانها ظاهرة .

أنشدني بعضهم قال : أنشدنا ابنُ الصَّاحِب الماحن الذي كان بالقاهرة لما عَمَّر الطَّبْرُسُ المجنونة :

ولقد عجبت من الطَّبْرُس وَصَحْبِهِ وعقولهم بعقوده مفتونـه
عقدوا عقوداً لاتصح لأنهم عقدوا لمجنونٍ على مَجْنُونـه

وَعَمَّرَ الأمير المذكور عليها جُمْلَةً ، وحياه من الدراهم حَمْلَةً ، وجعله بها مقيماً ، وأظهر هو من فضله في كهفها رقيماً ، وكان في تعبير الرؤيا آية ، وفي الكلام عليها غاية ، لم أسمع بمثله كلامه على المنام إذا فسَّره ، ولا أدري ما الذي أداه إلى تلك العجائب وجَّسَّره ، وكان غالب الناس يَعُدُّ ذلك من باب الكرامات ، لا من باب تأويل المنامات ، وبعضهم يقول : نِجَامَةٌ^(٢) أو كِهَانَةٌ ، وبعضهم يقول : قُوَّةٌ في النفس لا مَهَانَةٌ ، لأنه ربما قال لصاحب الرؤيا أخباراً ماضية ومستقبله ، وأحوالاً كان صاحب الرؤيا منها^(٣) في غفلةٍ أو بِلَه ، حتى يتعجب السامع ويهوله هذا الفَيْضُ الهامع ، وقام له بدمشق سوق ، وأما القاهرة فيكاد يركب فيها بالْعَلَمِ والبُوق ، إلى أن رُسِمَ بتحويله منها ، وإبعاده عنها ، فأقام بدمشق على حالة مفخَّمة ، ورتبة في النفوس مُعْظَمَةٌ ، إلى أن أصبح العابر غابراً ، والمكاثِر^(٤) في تعظيمه لمصابه مكابراً .

أخبرني الحافظ أبو الفتح اليعمري^(٥) قال : كنت عنده يوماً ، فجاءه إنسان ،

(١) علاء الدين الخزنداري الحاجب ، ت (٧١٩ هـ) ، الدرر : ٢٢٩/٢ .

(٢) النجامة : النظر في النجوم حسب مواقيتها لتقدير ما يمكن أن يكون .

(٣) (أ) : « عنها » .

(٤) (أ) : « والمكابر » .

(٥) ابن سيد الناس ، ستأتي ترجمته .

وقال : رأيت كأني قد صرت أُتْرَجَّة . فقال . فقال : أترجة أت رج ه ، وعدها على أصابعه خمسة أحرف ، وقال لصاحب الرؤيا : أنت تموت بعد خمسة أيام . قال فقال لي بعض من حضر ، ذكره هو وأنسيته أنا : القاعِدةُ عند أرباب التعبير أنه من رأى أنه صار ثمرة تؤكل فإنه يموت ، وهذه زيادة من عنده ، يعني عدّ حروف الأترجة .

وأخبرني الشيخ الحافظ علاء الدين مغلطاي شيخ الحديث بالظاهرية بين القصرين ^(١) قال : جاء إليه إنسان فقال : رأيت في منامي قائلاً يقول : اشرب شراب الهكاري ، ففكر ساعة وقال ^(٢) : أنت فؤادك يؤمك ، قال : نعم ، قال : اشرب لك ^(٣) عسلاً تبرأ ، قال : فقيل له : من أين لك ذلك ؟ قال : فكرت في أنهم يقولون ^(٤) : شراب ديناري كذا ، شراب كذا ؛ شراب كذا ، فلم أجد لهم شراباً يوصف بالهكاري ، فرجعت إلى الحروف فوجدتها شراب الهك أزي ، والأري هو العسل وذكرت الحديث « كذب عليك العسل » ^(٥) ، أو كما قال . وهذا ذكاء مفرطٌ وذهن يشوب التعجب بالتحير ويخلط .

وحكى لي عنه القاضي بهاء الدين أبو بكر ابن غانم موقع صفد وطرابلس قال : كنا عنده بدمشق وجاء إليه اثنان ، فقال أحدهما : رأيت رؤيا ، وقصّها ^(٦) ، فقال ^(٧) : ما رأيت شيئاً وإنما تريد الامتحان ، فخرجا بعدما اعترفا ، فقلنا له : من أين لك هذا ؟ قال : لما تكلم رأيت في ذيل أحدهما نقطة دم فذكرت الآية : ﴿ وجاءوا على

(١) في الوافي : « بظاهرية بين القصرين بالقاهرة » .

(٢) (أ) : « وقال له » .

(٣) كذا ، وهم تركيب دارج ، وفي الوافي : « اشرب العسل » .

(٤) عبارة الوافي : « قال : سمعته يقولون » .

(٥) لفظ الحديث في الوافي : « كذب بطن أخيك ، اسقه العسل » .

(٦) في الأصل : « أقصها » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٧) (أ) ، والوافي : « فقال له » .

قيصه بدم كذب^(١) ، فاتفق أن رأيت أحدهما فيما بعد فسألته عن القضية^(٢) ، فقال : لما اجتزنا عليه ذكرنا أمره الغريب ، وقلنا : فمتحنه ، وصنعنا رؤيا للوقت ، فكان ما سمعت ، فقلت له : إنه قال : كذا وكذا فقال : صدق ، ونحن داخلون إليكم كان إنسان في الطريق يذبح قرّوجاً ، فرمى به فلوّثنا الدم^(٣) .

وحكى لي عنه أيضاً قال : جاء إليه إنسان وقال : رأيت كأن في داري شجرة يقطّين قد نبتت ، فقال له : أعندك جارية غير الزوجة ؟ قال : نعم ، قال : بعني إياها ، فقال : ما هذا ؟ قال : الذي تسمعه ، قال : إنها ملك زوجتي ، قال : فقل لها تبيعني إياها ، فراح وعاد يقول : إنها لم تبعها ، فقال : تكسب مئتي^(٤) درهم ، فعاد وقال : لم تبعها ، فآلح عليها^(٥) فقال : إنها لم تبعها ، فقال : أما الآن فقد آن تعبیر رؤياك ، امض إلى هذه الجارية واعتبرها ، فتوجه وعاد وقال : إنه كان عبداً ، وزوجتي تكتني أمره وتلبسه لباس النساء .

وأخبرني غير واحد عنه أنه جاء إليه إنسان وقال له : رأيت كأنني قد وضعت رجلي على رأسي ، فقال له : أفسّر لك هذه الرؤيا بيني وبينك أو في الظاهر ؟ فقال بل في الظاهر ، فقال له : أنت من ليالٍ شربت الخمر وسكرت ووطئت أمك ، فاستحيا ومضى .

وعندي عنه من هذا جملة وافرة ، وأخبار على التعجب من أمره متضافرة ، يضيق عنه الوقت ويؤدي سرده بعد المقة إلى المنة .

(١) [يوسف : ١٨/١٢] .

(٢) (أ) : « القصة » .

(٣) (أ) : « فلوّثنا بالدم » ، والوافي : « فلوّثنا به بالدم » .

(٤) في الوافي : « فقال له : يكسب مئتي » .

(٥) (أ) ، والوافي : « عليه » ، وهي أنسب .

وأما خروجه من مصر ، فأخبرني الشيخ الإمام الفاضل شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري ^(٢) عن علم الدين بن أبي خليفة ^(١) رئيس الأطباء بمصر حكاية أخبره بها شخص من الهند ، هي أغرب من سائر أمور شهاب الدين العابر وأعجب ، ذكَّرها يهول العقل وأمرها ما يصدِّقه أهل النقل .

وتوفي شهاب الدين رحمه الله تعالى في سنة سبع وتسعين وست مئة ^(٣) تاسع عشري ذي القعدة ، وحضر جنازته ملك الأمراء وغيره من القضاة والأكابر .

وكانت واقعته في مصر وخروجه منها في ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وست مئة .

١٢٤ - أحمد بن عبد الرحمن بن رواحة*

نور الدين الأنصاري المحوي الكاتب ، كتب الإنشاء بطرابلس والفتوحات لما ^(٤) تولى الأمير سيف الدين أسندمّر ^(٥) نيابة طرابلس عزل نور الدين هذا وجعل أمره في طرابلس جذاً ، وولى مكانه نور الدين بن المغيزل ، فتوفي بعد شهور ، وأعيد النور بعد النور ، واستمر في مكانه إلى بعض سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، فرتب عَوْضَه ابن مقبل الحمصي ، وعاد ابن رواحة إلى حماة ، واستقر في أصل مخرجه ومنتهاه ، ولم يزل بها حتى طفيئ نوره ، وبُهِت لأمره حضوره .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة سادس عشر شعبان .

(١) المعروف بابن الأكفاني ، وستأتي ترجمته .

(٢) (أ) : « علم الدين أبي » .

(٣) وكانت ولادته سنة (٦٢٨ هـ) ، عقد الجمان : ٤١٦/٣ .

* الوافي : ٥٦/٧ ، وتالي وفيات الأعيان : ٣٤ ، والدرر : ١٦٦/١ .

(٤) في الوافي : « ولما » .

(٥) ستأتي ترجمته .

١٢٥ - أحمد بن عبد الرحمن*

الشيخ الإمام الخطيب ابن العجمي خطيب جامع حلب .

اجتمعت به في حلب سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وأراني إجازة العلامة شيخنا شهاب الدين أبي الثناء^(١) لأخيه عبد المؤمن وهي بخطه نظم ونثر ، وقد أثني عليه وعلى فضائله ، وبرهن على شاهده ، بنظم دلائله ، وساقه في عداد الأدباء السادة ، والقاله القادة ، وخطه يزري بوشي صنعا ، وحروفه تفوق النجوم جمعا ، وطروسه غادة بالسطور^(٢) فرعا . وهو أخو الشيخ عز الدين بن عبد المؤمن ، وسيأتي ذكره في مكانه إن شاء الله تعالى .

لم يزل شمس الدين المذكور في درج منبره ، ويلتقط الناس درّه من معبره ، إلى أن كسفت شمسه وضمه رسمه ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وخسين وسبع مئة .

١٢٦ - أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله**

الشيخ الإمام المفتي القاضي شهاب الدين بن فارس الظاهري الشافعي ، أحد المفتين والمدرسين بدمشق .

أخذ العلم عن الشيخ برهان الدين الفزاري وغيره .

ولي قضاء الركب الحجازي مرات ، وبرّد شوقه برمي الجمرات ، وكان حسن المحاضرة ، لسنّ المذاكرة ، قديم الهجرة في العلم ، رأى أولئك السادة القدماء أهل العلم ،

* لم تقف على ترجمة له .

(١) هو الشهاب محمود ، وستأتي ترجمته .

(٢) (أ) ، (خ) : « سطور غادة بالسطور فرعا » .

** الوافي : ١٣٩/٧ ، وفيه أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن . والدرر : ١٦٦/١ ، والشذرات : ١٧٧/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٣٠/١ .

وله ثروة ومعه مال جم ، وليس له غير التحصيل هم ، وملكه يدخل منه ^(١) في اليوم جُمْلُه ، ولا يؤوده ^(٢) عند استخراج أجر ^(٣) أملاكه ما يروم حَمْلُه ، وكان مع ذلك يجلس في حانوت الشهود بالمسارية ويقاسم ، ويعمل في تحصيل ذلك الأنيق الرواسم . ولم يزل على حاله إلى أن أصبح الظاهري في باطن الأرض مقبوراً ، وترك ولده بماله الموروث محبواً مجبوراً .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأحد حادي عشر شعبان سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة خمس وسبعين وست مئة .

أنشدني من لفظه لنفسه سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة :

رأتُ شيتي قالت : عجتُ مع الصبا مشبك هذا صِفَه لي بجياي
فقلت لها : ماذاكَ شيبَ وإنما سناك بقلبي لاح في وجناي
[^(٤) وأنشدني من لفظه لنفسه :

عجبوا لحالك كيف منك مُقْبَلًا شفة رَقَتْ عن لؤلؤ وجمان
فأجبتهم لا تعجبوا ما زال ذا مستلزماً كشقائق النعمان ^(٥)
وأنشدني من لفظه لنفسه أيضاً :

رَعَفَ الحبيبُ فليل هل قبلته ؟ شوقاً إليه ودمع عينك يسْجُمُ

(١) (خ) : « يدخله منه » .

(٢) في الأصل و (أ) : لا يؤده ، وفي : خ ، لا يؤده ، ولعل ما أثبتناه أقرب ، ومعنى يؤوده : يتقله .

(٣) ليست في (خ) .

(٤) زيادة من (أ) و (خ) .

(٥) في الوافي : « الشقائق » .

فأجبتُ : لا ، لكنه أخفى دمي في سفكه وعليه قد ظهر الدُمُّ^(١)
وكان يقول بعد ذلك : الشعر مزبلة الفقيه ، فأقول : كذا هو .

١٢٧ - أحمد بن عبد الرزاق الخالدي*

كان المذكور وزير الممالك القازانية والبلاد القانية ، ظالماً غاشماً ، سفاكاً للدماء
هاشماً ، استصفى أموال الرعايا ، وحاجَّهم في أخذها منهم بالباطل وعايا .
ولم يزل في ظلمة ظلِّمِهِ خابطاً ، وعمله بذاك عند الله حابطاً ، إلى أن عضَّ السيف
بريقه ، واختطفَ بَصْرَه من بريقه .
وقُتِلَ هو وأخوه القطبُ وأخوهما زين الدين وذلك في سنة سبع وتسعين^(٢) وست
مئة .

١٢٨ - أحمد بن عبد القادر**

ابن أحمد بن مكتوم بن أحمد بن محمد بن سليم القيسي ، الشيخ الإمام العالم الفريد
تاج الدين المعروف بابن مكتوم النحوي .
اشتغل بالحديث وفنونه ، وأخذ الحديث عن أصحاب النجيب وابن علاق^(٣) ،
وهذه الطبقة .

كان فاضلاً في النحوقياً بغرائب ، متبياً بتتبع ما تشعب من مذاهبه ، جمع فيه
وعلق وفاض نيله وعلّق ، وكسّر سدّه وخلّق ، وطار فيه إلى غايات النجوم وخلّق ،

(١) البيتان في المنهل الصافي : ٣٣١/١ .

* الوافي : ٥٨/٧ ، والمنهل الصافي : ٢٣٦/١ .

(٢) في المنهل الصافي : « في سنة سبع وتسعين » .

** الوافي : ٧٤/٧ ، والدرر : ١٧٤/١ ، والشذرات : ١٥٩/٦ ، والبغية : ٢٢٦/١ ، والمنهل الصافي : ٢٣٨/١ .

(٣) ابن علاق : عبد الله بن عبد الواحد بن محمد ، ت (٦٧٢) ، الشذرات : ٣٣٨/٥ .

وخطه كما يقال طريقة بذاتها ، متفردة بلذاتها . وله نظم لابأس به ولا لؤم على كاسيه .

ولم يزل على حاله إلى أن باح الموت بسرّ ابن مكتوم ، وحل به الأجل المحتوم ، وفُضَّ له قبره المحتوم .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

ومولده ^(١) [في أواخر ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وست مئة] .

كنت قد سمعت بأخباره وطربت لأشعاره ، فازددت له شوقاً ، ولم أجد لقلبي على الصبر طوقاً ، فقدر الله بالاجتماع ، وزادت بُروق فضله في الالتاع ، ورأيت غير مرة . ثم إني اجتمعت به في القاهرة في سنة خمس وأربعين وسبع مئة وسألتَه الإجازة بكلّ ما يجوز أن يرويه فأجازني ^(٢) مُتَلَفِّظاً بذلك . وعمل تاريخاً للنحاة ولم أقف عليه إلى الآن ، وملكت بخطه (الدر اللقيط من البحر المحيط) وهو في مجلدين ، التقطه من تفسير شيخنا أثير ^(٣) الدين ، وتكلم هو في بعض الأماكن وليس بكثير بعض شيء ، فجاء كتاباً جيداً .

ومن شعره ، ومن خطه نقلت :

مأعلى الفاضل المهذب عارّ	إن غدا خاملاً وذو الجهل سام
فاللباب الشهي بالقشر خافي	ومصّـون الثارت تحت الكيام
والمقادير لا تلام بحال	والأماني حقيقة بالملام
وأخو الفهم من تزود للمو	ت وخلّى الدني لنهب الطغام ^(٤)

(١) بياض في الأصول ، والزيادة من الدرر .

(٢) في الوافي : « فأجاز لي » .

(٣) (أ) : « أمين » ، وأثير الدين هو أبو حيان .

(٤) في الأصل و (خ) والوافي : « الدنيا » .

وتقلت من خطه له :

عَرَّثَنِي هُمُومٌ بَرَّحَتْ وَشَوَاغِلُ
وَبَقَّـدَ عَنْ قَلْبِي الْمَسْرَّةُ أَنِّي
يَمُرُّ بِي الطَّلَابُ لَا يَعْرِفُونَنِي
وَيُقَرَّرُ عَلَيَّ النَّحْوُ دُونِي مَعَشَرٌ
إِذَا سُئِلُوا أَعْيَاهُمْ أَنْ يَجَاوِبُوا
قَضَارِي عُلَاهُمْ أَنْ يَقَالَ : مَشَايخُ
رَأَوْا صَحْفًا فَاسْتَقْرَؤُوهَا وَحَاوَلُوا
وَأَضَحُّوا شَيْوَحًا بِالصَّحَائِفِ وَخَذَهَا
وَمَا لَازَمُوا شَيْخًا وَلَا حَاوَلُوا بِهِ
وَمَنْ لَمْ تَعْلَمْهُ الشُّيُوخُ فَرَأَيْهِ
وَإِنِّي وَإِنْ أَصْبَحْتُ لَارَبَّ رَتْبَةً
لَيَعْرِفُ حَقِّي كُلُّ ذِي أَلْمَعِيَّةِ
وَيَشْهَدُ لِي بِالْفَضْلِ نَظْمٌ مُهَذَّبٌ
وَأُبْكَارُ أَفْكَارٍ كَشَفَتْ قَنَاعَهَا
وَأَبْرَزَتْهَا فِي صُورَةِ الدَّهْرِ عَرَّةٌ
وَلِي فِي أَفَانِينَ الْعُلُومِ مَجَامِعُ
سَهَرَتْ عَلَيْهَا إِذْ أَخُو الْجَهْلِ رَاقِدٌ
وَمَنْ كَانَ مِثْلِي لَمْ يَكُنْ هُمُّهُ الْغِنَى

وَأَصْبَحَ دَهْرِي وَهْوًا بِي مِتْشَاغِلٌ^(١)
عَلَى فَضْلٍ مَا عِنْدِي مِنَ الْعِلْمِ خَامِلٌ
وَيَأْتُونَ ذَا الْحِظِّ الَّذِي هُوَ جَاهِلٌ
مَنَازِلَهُمْ فِي الْمَشْكَلاتِ نَوَازِلُ
كَمَا عَيَّ لَمَّا سِئِلَ مِنْ قَبْلُ (بِاقِلُ)^(٢)
وَأَقْصَى مَنَاهُمْ أَنْ يَقَالَ : أَمَائِلُ
بِهَا مَعْلَمًا فَاسْتَقْبَلْتُهُمْ مَجَاهِلُ
لَهُمْ رُتْبَةٌ عِنْدَ الْوَرَى وَمَنَازِلُ
وَصُولاً إِلَى عِلْمٍ لَهُ الشَّيْخُ وَاصِلُ
عَلَى كَثْرَةِ الْأَوْرَاقِ وَالْكَتَبِ قَائِلُ^(٣)
لَدَيْهِمْ وَمِنْهُمْ بِي الْبُرْنَازِلُ
وَيَقْدَرُ لِي الْقَدَرُ الْجَلِيلُ الْأَفْاضِلُ
وَتَثَرُّ يُحَاكِي الدَّرْمِئَةَ الْفَوَاضِلُ
وَحَلَّتْ مِنْهَا مَا عِداً وَهُوَ عَاطِلُ
كَمَا حَلَّ عَنْ وَجْهِ الْمَلِيحَةِ حَائِلُ^(٤)
بِهَا كُلُّ مَا يَهْوَى الْمَحْدَقُ حَاصِلُ
وَفَكَّرْتُ فِي تَهْذِيبِهَا وَهُوَ غَافِلُ
فِي شَغْلَةٍ فِيهِ عَنِ الْعِلْمِ شَاغِلُ

(١) (أ) ، (خ) : « متشاغل » .

(٢) (أ) : « أن يجادلوا » . وفي المثل : « أعيان من باقل » .

(٣) كذا في الأصول ، والقائل : النائم .

(٤) في الأصل : « صورة الدهن » ، تحريف ، ولعلها « الدهن » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

وتقلت من خطه له :

وَمَعَذِرٍ قَالَ الْعَذُولُ عَلَيْهِ لِي شَبَّهَ وَاحْذَرِ مِنْ قُصُورٍ يَعْتَرِي^(١)
فَأَجَبْتَهُ هُوَ بَانَةٌ مِنْ فَوْقِهَا بَدَّرَ يُخَفُّ بِهَالَةٍ مِنْ عُنْبَرٍ^(٢)
وتقلت من خطه له :

نَفَضْتُ يَدَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ أَضِرْ لِمُحَلِّقٍ _____ وَقِ
لِعِلْمِي أَنْ رِزْقِي لَا يَحِـ _____ أَوْزَنِي لِمَرْزُوقِ
وَمَنْ عَظُمَتْ جَهَّالَتُهُ يَرَى فِعْلِي مِنَ الْمُـ _____ وَقِ

١٢٩ - أحمد بن عبد القوي بن عبد الرحمن*

ضياء الدين بن الخطيب الأسنائي .

اشتغل بأُسُنَا ، ثم بالقاهرة ، وأتى إلى دمشق وقرأ بها على النووي ، وسمع الحديث ، وصحب الشيخ إبراهيم بن معضاد الجعبري^(٣) ، ثم اعتزل وأقام ببلده سنين ، انقطع عن الناس ، وأنف من ملاقة الأُدُنَاس ، يتعبد في مكانه ، ويعتمد على الله في تحريكه وإسكانه ، إلى أن انطفأ ضياؤه وخذ من الأسنائي سناؤه .
وتوفي رحمه الله سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

(١) في الأصول : « تَغْيَرِي » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وللمنهل ، وهي أشبه .

(٢) البيتان في المنهل الصافي : ٣٣٩/١ .

* الوافي : ٧٧/٧ ، والدرر : ١٧٦/١ ، وسقطت ترجمته من (أ) .

(٣) ت (٦٨٧ هـ) ، الوافي : ١٤٧/٦ .

١٣٠ - أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم*

ابن عبد العزيز بن جامع ، شهاب الدين العزّازي التاجر بقيسارية جَهَارَكِس^(١) بالقاهرة .

كان شاعراً جيداً المقاصد ، لطيف الاقتناص للمعاني خفي المراسد ، لتراكيبه حلاوة ، وعلى ألفاظه طلاوة ، وله شيء كثير من الموشحات ، وكلها بالصناعة البديعية مَوْشَّعات ، وكان قد أتقن فنّي القريض والتوشيح ، وغني شهرته في ذلك عن التلويح بالتصريح . وكان تاجراً فهو ينشر البزّين من نظمه وقشاه ، ويجعل النظم لأدبه والمتجر لمعاشه .

ولم يزل على حاله إلى أن طُوِيَت من الحياة شَقَّتُهُ ، وعُدِمَ ما^(٢) بين معاشريه لطفه^(٣) ورقته .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأحد تاسع عشري شهر الله المحرم سنة عشر وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

وحدّث بشيء من نظمه ، أنشدني من لفظه شيخنا الحافظ فتح الدين أبو الفتح^(٤) قال : أنشدني من لفظه شهاب الدين العزّازي يدح سيدنا رسول الله ﷺ :

* الوافي : ١٤٨/٧ ، وتالي وفيات الأعيان : ٣٤ ، وفوات الوفيات : ٩٥/١ ، والدرر : ١٩٢/١ ، والشذرات : ٢١/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٦٢/١ .

(١) قيسارية جهاركس : بناها الأمير جهاركس بن عبد الله الناصري الصلاحي سنة (٥٩٢ هـ) .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) (أ) : « لطافته » .

(٤) ابن سيد الناس .

(٥) نقل ابن تغري بردي عن الصفدي بعض الأبيات في المنهل . والقصيدة معارضة لردة كعب بن زهير .

دمي بأطلال ذات الخال مطبول
ومن يلاق العيون الفاتكات بلا
قتلت في الحب حب الغانيات وما
لم يدر من سلب العشاق أنفسهم
وبي أغن غيض الطرف معتدل ال
كانه في تشيه وخطرته
سلافة منه تسبني وسالفة
وكل ماتدعي أجفان مقلته
منها :

يا برق كيف الثايبا الغر من إضم
ويانسيم الصبا كرز على أدني
ويا حداة المطايا دون ذي سلم
منها :

منازل لأكف الغيث توشية
كانا طيب رياها ونفحتها
أوفى النبيين برهاناً ومُعجزة
له يد وله باع يزيرنها
بها وللنور توشيع وتكليل^(١)
بطيب ترّب رسول الله محبول
وخير من جاءه بالوحي جبريل
في السلم طول وفي يوم الوغى طول

(١) في الأصل : « وهو » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، والمنهل .

(٢) في الأصل : « فارقت » ، تصحيف وكذا في بعض نسخ المنهل ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والمنهل .

(٣) (أ) ، الوافي ، للمنهل « عن دم » .

(٤) في الأصل : « توسيع وتكليل » ، وهو تصحيف وتحريف ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، والمنهل .

منها :

سَلَّ إِلَاهُ بِهِ سِيفاً لَمْلَتَهُ وَشَادَ رَكْناً أَثِيلاً مِنْ نَبَوَّتِهِ
وَيْلَ لِمَنْ جَحَدُوا بِرَهَانِهِ وَتَنَّى أَوَّلُكَ الْخَاسِئُونَ الْخَاسِرُونَ وَمَنْ
نَمَتْهُ مِنْ هَاشِمٍ أَسَدٌ ضَرَاغِمَةٌ إِذَا تَفَاخَرُ أَرْبَابُ الْعِلَافِهِمْ أَلْ
لَهُمْ عَلَى الْعَرَبِ الْعَرَبَاءُ قَاطِبَةً قَوْمٌ عَمَاءُهُمْ ذَلَّتْ لِعِزَّتِهَا أَلْ
وَهِيَ قَصِيدَةٌ جَيِّدَةٌ غَرَاءُ .

وبالسند المذكور له :

مَنْذُ عَشَقْتُ الشَّارِعِيَّ الَّذِي لَمْ يَبِيقْ فِي ظَهْرِي وَلَا رَاحَتِي
بِالْحَسَنِ يَغْتَالُ وَيَحْتَالُ تَاللَّهِ لَا مَاءَ وَلَا مَالُ

وأنشدني من لفظه شيخنا العلامة أثير الدين قال : أنشدني من لفظه لنفسه
شهاب الدين العزازي :

مَا عَذُرُ مِثْلِكَ وَالرَّكَابُ تُسَاقُ أَلَّا تَفِيضَ بِدَمْعِكَ الْأَمَاقُ
فَأَذِلُّ مَصُونَاتِ الدَّمُوعِ فَإِنَّمَا هِيَ سُنَّةٌ قَدْ سَنَّهَا الْعِشَاقُ
وَلَرُبَّ دَمْعٍ خَانَ بَعْدَ وَفَائِهِ مُذْ حَانَ مِنْ ذَاكَ الْفَرِيقِ فِرَاقُ
وَوَرَاءَ ذِيكَ الْعُذْيَبِ مُنِيزَلٌ لَعِبْتُ بِقَلْبِكَ نَحْوَهُ الْأَشْوَاقُ^(٢)

(١) في الأصل : « وسار ركناً » . تصحيف وتحريف ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، والمنهل .

(٢) في الأصل : « العشاق » ، وليس لها وجه ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .

خَذَ أَيْنَ الْوَادِي فَمِنْ عَاشِقٍ فَتَكَتْ بِهِ مِنْ سِرْبِهِ الْأَحْدَاقُ^(١)
 وَاحْفَظْ فَوَادِكَ إِنْ هَفَا بُرْقَ الْحِمَى أَوْهَبَ مِنْهُ نَسِيمُهُ الْخَفَاقُ
 وَكَتَبَ شَهَابُ الدِّينِ الْعَزَازِيُّ إِلَى نَاصِرِ الدِّينِ حَسَنِ بْنِ النَّقِيبِ^(٢) مَلْغَزاً فِي
 « شَبَابَةٍ » :

وَمَا صَفَاءُ شَاحِبَةٍ وَلَكِنْ تُزَيِّنُهَا لِنُضَارَةِ وَالشَّبَابِ
 مُكْتَبَّةٌ وَلَيْسَ لَهَا بِنَانٌ مُنْقَبَةٌ وَلَيْسَ لَهَا تِقَابٌ
 تُصِيخُ لَهَا إِذَا قَبَّلَتْ فَاهَا أَحَادِيثاً تَلَذُّ وَتُسْتَطَابُ
 وَيَحْلُو الْمَدْحُ وَالتَّشْيِيبُ فِيهَا وَمَا هِيَ لِاسْعَادُ وَلَا الرِّبَابُ
 قُلْتُ : مَا أَحْسَنَ مَا جَاءَتْ « الرِّبَابُ » هُنَا .

وَأَجَابَ ابْنُ النَّقِيبِ عَنْ ذَلِكَ :

أَتَتْ عَجْمِيَّةٌ أُعْرِبَتْ عَنْهَا لِسَامَانٍ يَكُونُ لَهَا انْتِسَابُ
 وَيُفْهَمُ مَا تَقُولُ وَلَا سَوَالٌ إِذَا حَقَّقْتَ ذَاكَ وَلَا جَوَابُ
 يَكَادُ لَهَا الْجَمَادُ يَهْزُ عِطْفَاً وَيَرْقُصُ فِي زُجَاجَتِهِ الْحَبَابُ
 قُلْتُ : الْأَوَّلُ أَجُودُ وَأَحْسَنُ .

وَقَالَ الْعَزَازِيُّ مَلْغَزاً فِي الْقُوسِ وَالنُّشَابِ :

مَا عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ بَلَغَتْ عُمُ رَأً طَوِيلًا وَتَتَّقِيهَا الرِّجَالُ^(٣)
 قَدْ عَلَا جَسْمُهَا صَفَارٌ وَلَمْ تَشْ لَكَ سَقَاماً وَلَا عَرَاهَا هُزَالُ
 وَلَهَا فِي الْبَنِينَ سَهْمٌ وَقَسَمٌ وَبَنُوهَا كِبَارُ قَدِيرٍ نَبَالُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « خَذَ مِنْ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (أ) ، وَالْوَافِي .

(٢) الْحَسَنُ بْنُ شَاوِرِ الْكِنَانِيِّ ، ت (٦٨٧ هـ) ، وَالشُّدْرَاتُ : ٤٠٠/٥ .

(٣) كَذَا فِي أَصُولِ الصَّفْدِيِّ ، وَفِي الدَّرَرِ ، وَالشُّدْرَاتُ : « يَبْتَغِيهَا » ، وَهِيَ أَشْبَهُ .

وأراها لم يُشبهوها، ففي الأمِّ ماعوجاج وفي البنين اعتدالٌ
قلت : ما أصنع البيت الثالث وأحسنه .
ومن شعر العزّازي :

قال لي من أحبه عند لثمي وجناتٍ يُحدّثُ الورد عنها
خلّ عني أمّا شبع؟ فنادي ت : رأيت الحياة يُشبع منها؟
ومنه :

جعلتُ يوم قارةٍ كلّ وجهٍ شِدّةُ البردِ وهولُ القارِ يحكي
وأسألتُ منّا الدموعَ وما زلّ ناهيها في منازلِ النبكِ نبي
ومن موشحات العزّازي ^(١) :

ما على من هامَ وجداً بذواتِ الحلى مبتلى بالحدقِ السودِ وبيضِ الطلّ
باللوى ملىّ حُسنٍ لسديوني لوى
كم نوى قتلي وكم عذبني بالنوى
قد هوى في حبه قلبي بحكم الهوى
واصطلى نارَ تجنيه ونارَ القلى كيف لا يذوبُ من هامَ برّيم الفلّا
هل ترى يجمعنا الدهر ولو في الكرى
أم ترى عيني محيّا من لجسمي برى
بالسرى يا حاديّ ركبٍ بليل سرى ^(٢)

عَلّا قلبي بتذكّار اللّقا علّا وانزلا دون الحمّا حيّ الحمى منزلا

(١) في المنهل الصافي : ٣٦٧/١ .

(٢) في الوافي : « بليلي » . وفي المنهل : « يا حاد ركبا لي بليل سرى » .

بي رَشَا دمعِي بِسْرِي فِي هَوَاهُ فَشَا^(١)
 لَوْ يَشَا بَرْدَ مَنِي جَمَرَاتِ الْحَشَا
 مَامَشَى إِلَّا اثْنَى مِنْ سَكْرِهِ وَانْتَشَى

عَطَّلَا مِنَ الْحَمِيَا يَا مُدِيرَ الطَّلَا مَا حَلَا إِذَا أَدَارَ النَّاضِرَ الْأَكْحَلَا
 هَلْ يَلَامُ مَنْ غَلَبَ الْحُبُّ عَلَيْهِ فَهَامُ
 مَسْتَهَامُ بِفَاتِرِ اللَّحْظِ رَشِيقِ الْقَوَامِ
 ذِي ابْتِسَامِ أَحْسَنَ نَظْمًا مِنْ حَبَابِ الْمَدَامِ^(٢)

لَوْ مَلَا مِنْ رَيْقِهِ كَأَسَاءَ لِأَحْيَا الْمَلَا أَوْجَلَا وَجْهًا رَأَيْتَ الْقَمَرَ الْمُجْتَلَى
 لَوْ عَفَا قَلْبُكَ عَمَّنْ زَلَّ أَوْ مِنْ هَفَا
 أَوْ صَفَا مَا كَانَ كَالْجِلْدِ أَوْ كَالصَّفَا
 بِالْوَفَا سَلُّ عَنْ فَتَى عَقَبْتَهُ بِالْجَفَا

هَلْ خَلَا فَوَادِهِ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَلَا أَوْ سَلَا أَوْ خَانَ ذَاكَ الْمَوْثِقَ الْأَوَّلَا
 وَكُنْتُ أَنَا فِي وَقْتٍ قَدْ نَظَّمْتُ مَوْشَحًا فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ وَهُوَ :

لِي إِلَى ظِيبي الْحَمِي شَوْقٌ وَقَدْ أَنْحَلَا إِنْ حَلَا فَإِنَّهُ جَرَّعَنِي الْخَنْظَلَا
 بِي قَمَرُ سَبِي الْحَشَا مَنِي وَعَقْلِي قَمَرُ
 لَوْ خَطَرُ أَمْسَى بِهِ أَهْلُ الْهَوَى فِي خَطَرُ
 مُسْدُ سَحَرُ بِطَرْفِهِ اعْتَلَّ نَسِيمُ السَّحَرُ

وَاصْطَلَى نَجْبَةً تَذَكَّرَ عَضْرُ خَلَا وَابْتَلَا بِالْوَجْدِ حَتَّى أَتَعِبَ الْعَدْلَا
 كَمْ أَلَمُ مِنْ طَيْفِهِ لَمَّا بَجَفَنِي أَلَمُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « سَرِي » .

(٢) (أ) : « أَحْسَنَ مِنْ نَظْمِ » .

في الظلم أنصف لكن عين ولي ظلم
أو نسّم مبسّمه أحيّا جميع النسّم^(١)

أوجلا طلعتّه في دامس أليلا لاعتلى على بُدور التّم بين الملا
إن قضى بقتلي طرف غزالي انقضى
إذ مضى في كبدي جفناه فيما مضى
لو أضأ برق الرضى لي ذات الإضأ

لأنجلي عني العنا أو قلّ عني العلا وانسلا قلب عدوّ قال عني سلا
إن صفا لي قلبه من هجره انصفا
إن تفاءلت لقلبي برضاه انتفا
أو طفا دمعي على جفن له أو طفا

أخجلا قطر غوادٍ قد غدت حقلا كيف لا وهو حيا دمعي وقد أسبلا
بئس ما عاملني الحب الذي بي سما
عندما أجرى دموعي بالجفا عنّما
أجرّما غفرت للواشي الذي أجرّما

فاختلى به وخلّى البال رهن البلا أم لا دون نعم في كل ماملا

١٣١ - أحمد بن عبد المنعم بن أبي الغنائم *

ابن أحمد بن محمد القزويني الطاوسي .

الشيخ الكبير المقرئ المعمر الصوفي بالخاتقاه السيساطية .

(١) (أ) : « لو » .

* الوافي : ١٥٨/٧ ، والدرر : ١٩٣/١ ، والشذرات : ١٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٧٢/١ ، وعقد الجمان :

٢٧٠/٤ ، وفيات (٧٠٤ هـ) .

روى عن ابن الخازن^(١) ، وعن ابن خليل ، والسخاوي ، وغيرهم . وحدثت بالإجازة العامة عن الصيدلاني^(٢) وغيره .

وكان من أعيان الصوفية ، حسن الأخلاق قاضياً للحقوق ، من أهل القرآن .

قال شيخنا البرزالي : ذكر^(٣) أنه قدم دمشق سنة اثنتين وثلاثين وست مئة ، وسافر إلى بغداد سنة أربع وثلاثين مع ابن مرزوق^(٤) ، كان يصلي به ، أرسله معه الشيخ علم الدين السخاوي ووصاه به .

وذكر أنه سمع بقزوين (صحيح مسلم) على يد أبي بكر الشحاذي ، وأنه اجتمع بالرافعي صاحب (الشرح^(٥) الكبير) ، وأنه رأى السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه سنة خمس عشرة وست مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى سنة أربع وسبع مئة^(٦) ، وحضر جنازته خلق كثير ، ودفن بمقابر الصوفية .

١٣٢ - أحمد بن عبد المحسن بن الحسن بن معالي*

القاضي الإمام نجم الدين أبو العباس الدمشقي الشافعي .

تفقه على الشيخ تاج الدين عبد الرحمن^(٧) ولازمه ، وأعاد بحلقته وولي إعادة

-
- (١) أبو بكر محمد بن سعيد الخازن ، (ت ٦٤٣ هـ) ، السير : ١٢٤/٢٣ .
 - (٢) أبو جعفر محمد بن أحمد الأصبهاني ، ت (٦٠٣ هـ) ، السير : ٤٣٠/٢١ .
 - (٣) (أ) : « ذكر لي » .
 - (٤) إبراهيم بن عبد الله ، صفي الدين ، ت (٦٥٩ هـ) . الشذرات : ٢٩٧/٥ .
 - (٥) في الأصل : « الشيخ » ، وهو سهو .
 - (٦) في الأصل و (أ) : وست مئة ، وهو سهو .
 - * الدرر : ١٠٩/١ .
 - (٧) عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري ، ت (٦٩٠ هـ) . العبر : ٣٦٧/٥ ، والنجوم : ٣١/٨ .

الظاهرية والقيصرية^(١) وغيرها . وولي قضاء القدس في أيام القاضي بهاء الدين ابن الزكي^(٢) وناب في الحكم سنين عن ابن صصرى ، ودرس بالنجيبية^(٣) وغيرها .

وسمع من ابن عبد الدائم ، وروى عنه ، وسمع من ابن أبي الخير ، وابن علان ، وجماعة . وحج غير مرة .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشر شعبان سنة ست وعشرين وسبع مئة . ومولده سنة تسع وأربعين وست مئة .

١٣٣ - أحمد بن عبد المحسن بن الرفعة*

ابن أبي المجد الشيخ الصالح المسند شرف الدين أبو العباس .

سمع من النجيب الحراني^(٤) ، وابن عزون^(٥) ، والمعين أحمد بن القاضي زين الدين الدمشقي^(٦) ، وابن ملكويه^(٧) المشرف البروجردي ، وتاج الدين القسطلاني^(٨) ، وسمع مشيخة الرازي^(٩) ، والجمعة للنسائي على الشيخين المقدم ذكرهما .

(١) (أ) : « وأعاد بالظاهرية والقيصرية » ، والقيصرية : أنشأها الأمير ناصر الدين الحسين بن علي سنة (٦٥٦ هـ) ، والقيصري هو الإمام مقدم الجيوش ، ناصر الدين الحسين بن عبد العزيز ، (الدارس : ٣٣٥/١) .

(٢) يوسف بن يحيى ، ت (٦٨٥ هـ) ، الشذرات : ٣٩٤/٥ .

(٣) قرب ضريح نور الدين الشهيد ، مؤسسا النجيب آقوش الصالحى ، الدارس : ٣٥٨/١ .

* الوافي : ١٤٢/٧ ، والدرر : ١٩٠/١ .

(٤) عبد اللطيف بن عبد المنعم بن الصيقل الحراني ، ت (٦٧٢ هـ) . العبر : ٢٩٨/٥ ، والنجوم : ٢٤٤/٧ ، والشذرات : ٣٣٦/٥ .

(٥) إسماعيل بن عبد القوي ، ت (٦٦٧ هـ) ، الشذرات : ٣٢٤/٥ .

(٦) أحمد بن علي بن يوسف ، ت (٦٧٠ هـ) ، العبر : ٢٩٢/٥ ، والنجوم : ٢٣٧/٧ .

(٧) في الأصل : « ملكوته » ، تصحيف . وهو إسحاق بن محمود بن ملكويه ، ت (٦٦٩ هـ) ، الوافي : ٤٢٤/٨ .

(٨) علي بن أحمد بن علي القيسي ، ت (٦٦٤ هـ) ، الشذرات : ٣٢٠/٥ .

(٩) فخر الدين الرازي ، ت (٦٠٦ هـ) ، الكشف : ١٦٩٧/٢ .

وتوفي في ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وأربعين وست مئة ، ودفن بالقرافة .

ونقلتُ من خطِّ السَّراج الورَّاق ، ما كتبه إلى الشيخ ^(١) ، لما قدم من الحجاز :

لم لأراك من الحِجَـا _____ ز وقد وصلتَ ولا أراكِـا
طَيِّبٌ _____ وَاك في فلم يُعْجِبُهُ ذَكَرُ فُتًى سَـواكا

١٣٤ - أحمد بن عبد الواحد*

ابن عبد الكريم بن خلف ، الشيخ الأمين الفقيه العَدْلُ الفاضل فتح الدين أبو العباس ابن الشيخ الإمام العلامة كال الدين الأنصاري الزمלקاني .

حدَّث عن خطيب مرَّدا ، والبكري ^(٢) ، وابن عبْد الدائم ، وغيرهم .

توفي رحمه الله تعالى ظهر يوم الاثنين ثالث عشر صفر سنة تسع وتسعين وست مئة ، ودفن بمقابر الصوفية عند والده وأخيه الشيخ علاء الدين .

وفَتَحَ الدين هذا هو عم الشيخ العلامة كال الدين ابن الزمלקاني قاضي حلب ^(٣) .

وكان مولد فتح الدين في جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وست مئة .

قال شيخنا البرزالي : سمعت عليه خمسة عشر جزءاً .

(١) في (أ) : « الشيخ نجم الدين » ، ولا وجه لها ، والصواب « شرف الدين » ، وهو صاحب الترجمة .

* لم نقف على ترجمة له .

(٢) أبو علي الحسين بن محمد ، ت (٦٥٦ هـ) ، السير : ٣٢٦/٢٣ ، والشذرات : ٢٧٤/٥ .

(٣) محمد بن علي بن عبد الواحد ، ت (٧٢٧ هـ) ، وستأني ترجمته .

١٣٥ - أحمد بن عبد الوهاب*

ابن خلف بن محمود بن بدر القاضي علاء الدين المعروف بابن بنت الأعز الشافعي .

حج ودخل الين ، وعاد وقدم دمشق ، وولي تدريس الظاهرية والقيصرية ، وكان يركب البغلة ويتحنك^(١) على عادة المصريين ، وهو أخو الأخوين قاضي القضاة محمد صدر الدين^(٢) وقاضي القضاة عبد الرحمن تقي الدين^(٣) .

وعاد من دمشق إلى مصر ودّرس بالكهاريّة والقبطية^(٤) ، وتولى الحسبة بآخرة .

وكان مليح الشارة^(٥) ، فصيح العبارة ، مليح النضارة ، فيه كرم وإحسان وجود ، ومحاسن يتضوع من نشرها الوجود ، مع لطف مزاج ، واعتدال لا يؤدّيه إلى انزعاج ، كثير التبسّم ، شديد الاسترواح إلى المكارم والتّسّم ، وكان فيه شهامة ، وعنده بالأمور العظام كفالة وزعامة .

ولم يزل بمصر على حاله إلى أن أجاب الداعي ، وقام به الناعي .

* الوافي : ١٦٣/٧ ، وفوات الوفيات : ١٠٦/١ ، والبنائع : ٥٨٥/١/٨ ، والشذرات : ٤٤٤/٥ ، وعقد الجمان : ٩٤/٤ ، والمنهل الصافي : ٣٧٨/١ ، وطبقات السيكي : ٢٢/٨ .
(١) في الوافي : « يتحنك بطيلسانه » ، والتحنك : التحلي ، وهو أن تدير العمامة من تحت الحنك .
اللسان . مادة (حنك) .

(٢) كذا ، وفي البداية : ٢٩٧/١٣ : « صدر الدين عمر بن القاضي تاج الدين عبد الوهاب » ، وكذا في الشذرات : ٣٦٧/٥ .

(٣) ت (٦٩٥ هـ) ، البداية : ٢٤٦/١٣ ، والشذرات : ٤٣١/٥ .

(٤) المدرسة الكهارية بالقاهرة أنشأها الملك السعيد محمد بركة بن الظاهر بيبرس سنة (٦٧٧ هـ) ، وعرفت بالكهارية نسبة إلى الدرب الذي أنشئت فيه وهو درب الكهارية .

والمدرسة القبطية بالقاهرة أنشأها الأمير قطب الدين خسرو بن بليل من أمراء صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٧٠ هـ) في خط سويقة الصاحب داخل درب الحريري ، وجعلها وقفاً على الشافعية .

(٥) زاد في (أ) : « لطيف الإشارة » .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وست مئة .

أخبرني من لفظه شيخنا العلامة أثير الدين ، قال : حَضَرْنَا مع المذكور في الروضة فكتب إلي ، وَوَجَّهَهُ مع بعض علمانه :

حَيِّتْ أَثِيرَ الدِّينِ شَيْخَ الْأَدْبَا أَقْضِ حَقَّ لَهُ كَمَا قَدْ وَجَبَا
حَيِّتْ فَتَى بَطْشَاقِ آسٍ نَضِرَ كَالْقَدِّ بَدَا مُلِئْتُ مِنْهُ طَرَبَا
قال : فأنشدته :

أَهْدَى لَنَا غُصْنًا مِنْ نَاضِرِ الْآسِ أَقْضِ الْقَضَاةَ حَلِيفُ الْجُودِ وَالْبَاسِ
لَمَّا رَأَى سَقَمِي أَهْدَاهُ مَعَ رَشَاءٍ حُلُوِ التَّثْنِي فَكَانَ الشَّافِي الْآسِي
وأنشدني قال : أنشدني من لفظه لنفسه :

تَعَطَّلْتُ فَايِضْتُ دَوَاقِي لِحُزْنِهَا وَمُذْقَلَّ مَالِي قَلَّ مِنْهَا مِدَادُهَا
وَلِلنَّاسِ مُسَوِّدُ اللَّبَاسِ حَدَادُهُمْ وَلَكِنْ مُبَيِّضُ الدَّوَاةِ حِدَادُهَا^(١)
وأنشدني قال : أنشدني لنفسه :

فِي السَّمْرِ مَعَانٍ لَا تُرَى فِي الْبَيْضِ تَاللهِ لَقَدْ نَصَحْتُ فِي تَعْرِيزِي^(٢)
مَا الشَّهْدَ إِذَا طَعَمْتَهُ كَاللَّبَنِ يَكْفِي فَطِنًا مُحَاسِنُ التَّعْرِيزِ
وأنشدني قال : أنشدني لنفسه :

وَقَالُوا بِالْعَذَارِ تَسَلَّ عَنْهُ وَمَا أَنَا عَنْ غَزَالِ الْحَسَنِ سَالِ^(٣)
وَإِنْ أَبَدْتَ لَنَا خَدَاهُ مَسَكًا فَإِنَّ الْمَسَكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

(١) البيتان في عقد الجمان : ٩٧/٤ .

(٢) في عقد الجمان : « للسمر ... تعريضي » .

(٣) في الأصل : « قالوا » ، وأثبتنا ما في الوافي وعقد الجمان ليستقيم الوزن .

١٣٦ - أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الكريم*

شهاب الدين ، النويري المحدث ، القوصي المولد .

سمع على الشريف موسى بن علي بن أبي طالب ^(١) ، وعلى يعقوب بن أحمد ، وأحمد الحجار ^(٢) ، وزينب بنت منجأ ^(٣) ، وقاضي القضاة ابن جماعة ، وغيرهم .

وكتب كثيراً ، كتب (البخاري) مرّات ، كتبه ثماني مرّات ، وكان يكتب النسخة ويقابلها ، وينقل الطباق عليها ويجلدها ويبيعهها بسبع مئة درهم وبألف ^(٤) ، وباع تاريخه مرة للقاضي جمال الكفاة بألفي درهم ، وكان يكتب في النهار الطويل ثلاث كراريس ، وحصل له قرب من الدولة في وقت ، وجمع تاريخاً كبيراً في ثلاثين مجلدة رأيتُه بخطه .

كان للذكور قد تقدّم عند السلطان الملك الناصر ، وعقدت عليه الخناصر ، ووكله في بعض أموره ، وجعله في موضع ^(٥) سرّه وسروره ، وعمل عليه ولعب بعقله حتى رافع ابن عبادة ^(٦) ، وهو الذي قرّبه إليه ورفع عنده عمّاده ، فضرب بالمقارع نكالا ، وتخلّى السلطان عنه وأضحك منه الثكالي ، ولكن ابن عبادة عفا عنه وما انتقم منه .

* الوافي : ١٦٥/٧ ، والبداية : ١٦٤/٤ ، والمنهل الصافي : ٣٨١/١ ، والطالع السعيد : ٤٦ ، والدرر :

١٩٧/١ ، ونسبه في المنهل يختلف عما هنا .

(١) أبو الفتح ، (ت ٧١٥ هـ) وستأتي ترجمته .

(٢) في الأصل الحجازي ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، والحجار هو أحمد بن نعمة ت (٧٣٠ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٣) هي زينب بنت أحمد بن محمد بن عثمان ، ت (٧٥٠ هـ) ، والدرر : ١١٨/٢ .

(٤) (أ) : « وبألف درهم » .

(٥) (أ) : « وجعله موضع » .

(٦) أحمد بن علي ، وستأتي ترجمته .

وتقلَّب في خِدم الديوان ، وباشر نظرَ الجيش بطرابلس في وقت ، ونظرَ الديوان بالدقهلية^(١) والمرتاحية .

وكان حَسَنَ الشكل فيه مكارم وأريحية ، يتودَّد لأصحابه ، ويتردد لمن يتسكَّ بأسبابه ، مع ذكاءٍ في فطرته واحتشام في عِشْرته . صام شهر رمضان وهو في كل يوم بعد العصر يستفتح قراءة القرآن إلى قريب المغرب ، ثم حصل له وجع في أطراف يديه زار منه منازل البلى وترك الدمع عليه مُسْبَلًا .

وتوفي رحمه الله تعالى في حادي عشري شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

ومن شعره :^(٢)

١٣٧ - أحمد بن عبد الله بن جبريل*

كاتب الإنشاء من الأيام الْمُعْزِيَّة إلى آخر وقت القاضي شهاب الدين .

كان كاتباً مأموناً ، مباركاً على الدول ميموناً ، تردد إلى الديوان زماناً ، وأخذ من السعد فيه^(٣) أماناً ، إلى أن أضُرَّ ولزم الجلوس في داره وأصرَّ . ولم يزل على ذلك إلى أن ودع أهله بالحزن بعد مَسَرَّة وهنا ، وأصبح بعمله في القبر مرتهناً .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة تسع وسبع مئة .

وهو والد القاضي صلاح الدين بن عبد الله ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ، ودارهم بالقاهرة في حارة زويلة .

(١) في الأصل : « بالدقهلية » ، وأثبتنا ما في الوافي ، ومعجم البلدان : ٤٥٩/٣ .

(٢) كذا .. بياض .

* لم نقف على ترجمته .

(٣) ليست في (أ) .

١٣٨ - أحمد بن عثمان بن قايماز*

ابن أبي محمد عبد الله الفارقي التركاني الدمشقي شهاب الدين ، والد شيخنا الشيخ شمس الدين الذهبي .

سمع صحيح البخاري سنة ست وستين على المقداد القيسي ، عن سعيد بن الرزاز^(١) ، عن أبي الوقت .

وأجاز له تقي الدين بن أبي اليُسْر ، وجمال الدين بن مالك ، وجماعة .
وسمع مع والده ببعلبك من التاج عبد الخالق^(٢) وزينب بنت كِنْدِي^(٣) ، وجماعة .
كان فيه دين وخير ودفع الضرر^(٤) عن غيره والضير ، افتك من عكا أسيرين ، وأعتق جارية وغلّامين ، وبرع في صناعة الذهب ، وكان في يده مثل الذهب . ولم يزل على حاله إلى أن انتهى شوطه ، وفرغ من سَوْق الحياة سَوْطه ، وتوفي رحمه الله تعالى في سنة سبع وتسعين وست مئة .
ومولده سنة اثنتين وأربعين وست مئة .

١٣٩ - أحمد بن عثمان بن أبي الرجاء**

شهاب الدين [بن]^(٥) السَّلْعُوس التنوخي الدمشقي ، أخو الصاحب شمس الدين^(٦) .

- * الوافي : ١٧٩/٧ ، والمنهل الصافي : ٣٨٥/١ ، ووقع في الأصل : « الفارقاني » تحريف .
(١) هو سعيد بن محمد بن سعيد بن محمد بن عمر البغدادي ، أبو منصور بن الرزاز ، ت (٦١٦ هـ) ، السير : ٩٧/٢٢ .
(٢) عبد الخالق بن عبد السلام البعلبكي ، ت (٦٩٦ هـ) ، الإعلام : ٢٩١ ، والشذرات : ٤٣٥/٥ .
(٣) زينب بنت عمر بن كندي ت (٦٩٩ هـ) ، الوافي : ٦٦/١٥ .
(٤) (أ) : « الضّر » .
** الوافي : ١٧٩/٧ ، والدرر : ٢٠٠/١ ، والمنهل الصافي : ٣٨٧/١ .
(٥) زي . زيادة من (أ) ، والوافي .
(٦) محمد بن عثمان التنوخي الوزير ، ت (٦٩٣ هـ) ، المعبر : ٣٨٠/٥ ، والنجوم : ٥٢/٨ .

سمع من ابن عبد الدائم ، وسمع بالإسكندرية في تجارته من عثمان بن عوف^(١) .
وسمع منه البرزالي .

كان في سمعه ثَقَل ، وهو لأجل التجارة لا يزال في ثَقَل ، وفيه بَرٌّ وَصَدَقَةٌ ، وله تطلُّع إلى الإحسان لا يُطْرَق معه حَدَقَةٌ ، ونال الجاهَ العريض أيام وزارة أخيه ، وولي نظر الجامع الأموي ، إلا أنه ثبتت أواخيه ، ولما قُتِلَ أخوه عاد إلى حاله الأولى وانكفَّت يده الطولى .

ولم يزل كذلك إلى أن وقع ما لا بُدَّ منه ، ونفرت أوانس الحياة عنه ، وتوفي رحمه الله تعالى كهلاً سنة سبع وتسعين وست مئة .

١٤٠ - أحمد بن عثمان بن إبراهيم*

ابن مصطفى بن سليمان ، الشيخ الإمام الفقيه تاج الدين أبو العباس المارديني الحنفي ، المعروف بابن التركاني ، وسيأتي ذكر والده وأخيه^(٨) في مكانها إن شاء الله تعالى .

كان فقيهاً مُجِيداً ، وأديباً مفيداً ، ومُبدِياً للفوائد في الفنون ومُعِيداً ، صنف في غير ما فن وأظهر ما بَطَّن من الغوامض وما اسْتَجَنَّ . له تعليقة على (الْمُحَصَّل) للإمام فخر الدين^(٣) و (شرح على منتخب) الباجي في أصول الفقه للحنفية ، وثلاث تعاليق على (خلاصة الدلائل في تنقيح المسائل)^(٤) للحنفية ؛ الأولى : في حل المشكلات ،

(١) عثمان بن هبة الله بن عبد الرحمن بن عوف ، ت (٦٧٤ هـ) العبر : ٣٠٢/٥ ، والنجوم ٢٥١/٧ .

* الوافي : ١٨٢/٧ ، والدرر : ١٩٨/١ ، وللنهل : ٣٨٢/١ ، والشرذات : ١٤٠/٦ ، والبغية ٣٣٤/١ .

(٢) علي بن عثمان (ت ٧٥٠ هـ) .

(٣) هو المحصل في شرح المفصل للرازي ، ت (٦٦٠ هـ) .

(٤) خلاصة الدلائل شرح على مختصر القدوري ، ت (٤٢٨ هـ) ، وصاحب الشرح هو علي بن أحمد المكي

الرازي ، ت (٥٩٨ هـ) ، وذكر صاحب الكشف : ١٦٣٢/٢ تعاليق التركاني عليه .

وتبيين العضلات ، وشرح الألفاظ وتفسير المعاني للحفظ . والثانية : في ذكر ما أهمله من مسائل الهداية . الثالثة : في ذكر أحاديثه والكلام عليها وعلى متونها وعلى تصحيحها وتخريجها . (شَرْحُ الجامع الكبير) لمحمد بن الحسن ^(١) ، و (شرح الهداية) ^(٢) ، أظنه لم يكمل ، وكتابان في علم الفرائض مبسوط ومتوسط ، و (تعليق على مقدمتي ابن الحاجب) ، و (شرح المثرب) لابن عصفور أظنه لم يكمل ، و (شرح عَرُوض ابن الحاجب) ، كتاب في (أحكام الرماية والسبق ^(٣) والحلل) ، وكتاب (الأبحاث الجليلة على مسألة ابن تيمية ^(٤)) ، و (شرح الشمسية) في المنطق ^(٥) ، أظنه لم يكمل ، و (شرح البصرة) للخريقي ^(٦) ، في الهيئة أظنه لم يكمل .

وله نظم جيد المقاصد ونثر ^(٧) يعدُّ في الفرائد ، وخطه أبهى من الحلل الموشاة والرياض التي ^(٨) بالأزهار مغطاة .

لم يزل في خدمة العلم إلى أن سكن التراب ، وفارق لداته ^(٩) والأتراب ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وأربعين وسبع مئة بالقاهرة في أول جمادى الأولى .

ومولده بالقاهرة سنة إحدى وثمانين وست مئة .

نقلت من خطه له ^(١٠) :

- (١) الشيباني ، ت (١٨٧ هـ) ، الكشف : ٥٦٧/١ .
- (٢) للإمام علي بن أبي بكر المرغيناني ، ت (٥٩٣ هـ) ، الكشف : ٢٠٣١/١ .
- (٣) الكشف : ١٨/١ ، وفي المنهل : « والسبق الحلال » .
- (٤) في الأصل : « على مسائل » وأثبتنا ما في (أ) و (خ) والوافي ، وانظر الكشف : ٢/١ .
- (٥) للقزويني ، علي بن عمر ، ت (٦٩٣ هـ) ، الكشف : ١٠٦٣/٢ .
- (٦) محمد بن أحمد الخريقي ، ت (٥٣٣ هـ) ، الكشف : ٣٣٨/١ .
- (٧) في الأصل : « ونظم » ، وهو سهو .
- (٨) (أ) ، (خ) : « التي هي » .
- (٩) في الأصل و (أ) : « لذاته » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (خ) .
- (١٠) في المنهل الصافي أنه كتب هذه الأبيات إلى القاضي شهاب الدين بن فضل الله العمري .

غرامي بكم بين البريئة قد فشا
ولا غرّو أن غرت صفاتك من حكي
وإن قستها بالذرّ قال لي السها
فقمّت بها أشدو على كل مشهد
مغارِسُه طابت وطاب أبوة
وما أنبت الخطي إلا وشيجه
فجاء فريد الدهر أوحد عصره
ونقلت منه له أيضاً :

ملكْتَ عَذَارَى الجاهحات وعوئها
رددت وجوه الشاردات أوانساً
فلا غرّو أن هز الصبا غصن الصبا
وأسكر صباً مغرمّاً بحديثكم
وفجرت من عقم المعاني عيونها
وذلت باللفظ البليغ متونها
وقبل من بان العذيب غصونها
وفرّع من حُسن الحديث شجونها

١٤١ - أحمد بن عثمان بن مفرّج بن حامد*

الشيخ الصالح أبو العباس البعلبكي القيم .

بلغ من العمر سبعاً وثمانين سنة ، وكان شيخاً صالحاً ، خدم المشايخ وسافر إلى العراق .

(١) (أ) ، (خ) ، والواقي : « إذ غرت » .

(٢) (أ) : « لي النهى » .

(٣) (أ) : « مطايره » .

(٤) في الواقي : « عشا » .

(٥) في الواقي : « قضب الصبا » .

* لم نقف على ترجمته .

قال شيخنا البرزالي : وروى لنا عن ابن المقيّر ^(١) (الأربعين) للحاكم قرأتها ^(٢) بيبعلبك ، وسمع أيضاً من ابن رواحة في أول سنة إحدى وعشرين وست مئة وسمع من الشرف المرسى ، وغيرهم ، ولزم المسجد في آخر عمره والعبادة .
وكان حسن السميت كثير المروءة ، دنيئاً عفيفاً .

توفي رحمه الله تعالى في ثالث شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وست مئة .

١٤٢ - أحمد بن عثمان*

الأديب النظام شهاب الدين الأمشاطي .

كان ينظم الشعر القريض ، وهو فيه ذو طَرفٍ غضبيّ ، ولكنه في الأزجال والموشحات وما يحتاج الأدباء فيه على رأي العوام من الزيلجات قيّم في وقته بالشام ، يعظمه أرباب هذا الفن بشهادة الحكام ، أخذ على ذلك دراهم ، واستعمل بها لجراحاتهم مراهم ، لعب مراتٍ وغَلَبَ ، وتُودي له بقيّم الشام من دمشق إلى حلب ، وكان له قدرة لنظمه الشعر ، فإنه به غَلالة الشعر .

ولم يزل على حاله إلى أن سَرَحَ الأمشاطي إلى البرزخ ، وأقام به إلى يوم القيامة مرسى ومرشح .

وتوفي رحمه الله تعالى في العشر الأول من شهر رمضان سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، ومات في عشر الستين .

وكتب عنه ابن طغريل .

(١) عبد الرحمن بن المقيّر ، ت (٦٩٩ هـ) ، الشذرات : ٤٥٤/٥ .

(٢) في (أ) : « قرأتها عليه » . والحاكم هو الإمام الحافظ محمد بن عبد الله النيسابوري ، ت (٤٠٥ هـ) ، الكشف : ٥٥/١ .

* الدرر : ٢٠١/١ ، والشذرات : ٦٦٦ .

ومن شعره :

وفتاك اللواحظ بعد هجرٍ حنا كرمأً وأنعم بالميزار
وظل نهـاره يرمي بقلبي سهاماً من جفون كالشفار
وعند النوم قلت لمقلتيه وحكم النوم في الأجفان جار
تعالى من توفام بليلٍ ويعلم ما جرحتم بالنهار

وكان الأمشاطي قد نظم هو وابن مقاتل^(١) زجلين ، فقطع أرباب فنهما^(٢) للأمشاطي بأنه الغالب ، وابن مقاتل يدعي أنه سافر إلى مصر وأخذ خط الشيخ صدر الدين بن الوكيل وخط شيخنا أثير الدين وغيرها من المصريين بأنه هو الغالب والأمشاطي مغلوب ، والذي نظمه الأمشاطي رحمه الله تعالى .

لَكَ خَذِيأُحْ مَذْ حَازَ مَلَحْ رَوْضُوا صَطْبَحْ فِيهِ وَابْتَغَى
خَالٌ مِنْ سَبَّحْ أَسْبَى^(٣) الْمَهْجِ زَهْرٌ خَرَجَ وَأَظْهَرَ فَرْجُ
مَنْ هَامَ بِهِ لَيْسَ يَلَامُ

مُعِشَتِي النَّـادِرِ لَيْسَ فِي الْمَلَا حِ نَدُو
وَجْهُوَالْمُضَى الزَّاهِرِ يَدِرُ الْكَمَالِ عِبْدُو
وَلَوْ قَوَامُ نَاضِرِ فِي اللَّيْلِ أَخَذَ حَدُو
قَامَ فِي الرِّيَاضِ خَاطِرِ رَأَى الْغُصَيْنِ قَدُو

عَلَيْهِ رَجَحُ مَاتَ وَأَنْطَرَحُ لَمَّا افْتَضَحَ وَفِي الْوَرَقِ
صَارَ مَنْدَرَجٌ وَمُنْدَمَجٌ وَرَاحَ هَجَجٌ مِنَ الْعِوَجِ
حِينَ قَامَ ذَاكَ الْقَوَامُ

(١) علي بن مقاتل ، ستأتي ترجمته .

(٢) في الأصل : « فيها » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٣) في الأصل : « أسى » ، وأثبتنا ما في (أ) .

جيت في الملاح نَدرة مطبوع حلو سَكَّر
 لك جفن بالكسرة على المـلاح يُنَصَّر
 والريق لنا سَكرة آه لو نطيق نسكر
 وخد فيه خُصرة أبيض شريق أَمَرُ
 نُوروا تَضَحْ لِمَنْ لُحْ كِنَوْ قَدَح رَاقَ لِلْحَدَقْ
 صَفَا نَتَج لَأَا ابتهج نار دون وَهَجْ أَوْ امْتَزَجْ
 والتام ماء ^(١) والمُدَام

صادفت من عَزْر هجري في وَخْد اليوم
 دَنَا رقيق أَصفر بحال هلال الصوم
 شكيت لـو كم نسهر قال لي: اكتحل بالنوم
 فنَاديت ^(٢) وقد أبحر دمعي ولي فيه عوم
 يامن قَداح رقّ وجرح وما صفح ولي شَقَقْ
 سَقمي نَسَجْ من صَار نهج وَكُ مُتَهَجْ وفي لَجَجْ
 قد عام كيف لو مُنَام

ظهرَ وكان ^(٣) يخفي عني وصال حُبِّي
 وارتدَّ عن خُلُفي ومـال إلى قُرْبِي
 نَحْمَد ونشكر في كل الأـمـور رَبِّي
 فقرَّ يـطـرُفي والتَدَّ يـا قـلـبـي
 وابـدي الفـرح واخفي التـرح أـمـرك نـجـح كـم بـالـقـلـق
 تـعـمـل حـجـج وتـنـزـعـج جـاد بـالـفـرج بـعـد الحـرج
 قسَام رزق الأنام

(١) (أ) : « ماء » .

(٢) (أ) : « ناديت » .

(٣) (أ) : « وما كان » .

معك قوَام أرشق من الغصن وأنضر
بليـل شعرو أورك وبـالقمر أثر
وخذ رَوْضُوا عبق جَنَّاو خال عنبر
وكل من حقـق في طلعتـك يبصر
لك خديا أح مذ حاز ملح رَوْضُوا اصطبـح فيه واغتبق
خال من سَبَح أسبي المهج زهرُ وخرَجُ وأظهرُ فرج
من هام بيه ليس يلام

والذي نظمه علاء الدين بن مقاتل :

طرفي لَمَح بدر اتضَح لي فيه مَلَح ماعو حَـدَق
إذا اختلج فيها الدعج يسبي المهج ولو نسج
رَقام عذارو لام

جل الإله منشيـه من بعض ايبـأتـو
خَدَو المضرج فيه نارو وجَنَّاـتـو
والورد كاد يبيديه في غير أوقـاتـو
ومن جنا عينيـه لمى في وجَنـاتـو
وردو اتفـح نشرو انفضـح^(١) وفيه نضـح طل العرق
وامتزج ذاك الوهـج من الصـرج فاح لو أـرج

تمام على الخزام

واعظ هويت وعظـو والخطبة والإنشاد
والختمـة من حفظـو والبدرس والإسناد
ومزدوج لفظـو قد أفرد القَبَّاد
شبّهتـو من حظـو في ليلة الميعاد

(١) (أ) : « اقتضح » .

حين قال صح في ما شرح وقد فصّح لما نطق
بالمزدوج وابتهج وقد عرج على الدرج
واقام بدر التام

محبوبولما احرف عنولشوم قسمو
سقمو عليه أشرف حتي عمارشمو
ومما بقي يُعرف منوسوى إسمو
وعلى المات أشرف ومن نحول جسمو
قد صار سبّح ولا برج ولا انتزع عن عشق
ولا انخرج ولا انزعج لو اندرج واندمج
لالام ولا يلام

سمع بأوصافي وما رويت عنو
عمل على إنصافي ووصلي صارفنو
وعيشنا الصافي زال الكدّر عنو
مع حظي الوافي وما اخلا ما إنو
معي مَنَزَحْ ولي فتح باب الفرج وقد غلق
بباب الحرج وللفرج معي درج وجا الفرج
والتام حفظ الذمام

ماذي الملاح إلا فتنة لمن يعشق
الله لهم حلّى بالبهجة والرونق
بجّاهم أصلاً في الجنة ليس يخلق
فكيف نطيق نسلاً عنهم وفي جلق
طرفي لمح بدّر اتضح في فيه^(١) ملح ماعو حدّق

(١) (أ): «لي فيه».

إذا اختلج فيها البدع يسي المهج ولو نسج
رقام عنارو لأم

قلت : أنا أحاشي الشيخ صدر الدين والشيخ أثير الدين رحمهما الله تعالى أن يكونا حكماً لابن مقاتل على الأمشاطي ، وابن مقاتل قد جاء معه عدة عيوب منها قوله « جنا عينيه » مع قوله « منشيه ومبديه » ، وهذا لا يجوز قريضاً ولا زجلاً ، ومنها أنه قطع همزة الوصل وهو غير جائز عند الزجالة ، ويسمون مثل هذا : « ركة » ، ومنها أنه ذكر الواعظ وما لذكره هنا بمعنى ، لأنها ما اتفقا على أن ينظما في واعظ ، هذا إلى غير هذه الأشياء من العيوب .

١٤٣ - أحمد بن عسكر بن شدّاد*

الفقيه الفاضل كمال الدين .

كان رجلاً صالحاً فقيهاً نبياً متقشفاً متعقفاً^(١) مقلداً من الدنيا .

سمع كثيراً مع شيخه ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليسر ، وغيرهما .

وحدث وحجَّ غير مرة ، وكان يسافر إلى القدس ماشياً كل سنة .

توفي رحمه الله تعالى في شهر رجب سنة اثنتين وسبع مئة . وحضر جنازته القضاة والعلماء .

١٤٤ - أحمد بن علي بن عبد الوهاب**

ابن يوسف بن منجا ، شهاب الدين الأذفوي^(٢) .

* الدرر : ٢٠٣/١ .

(١) (أ) : « متعبداً » .

** الوافي : ٢٠٤/٧ ، والدرر : ٢١٧/١ .

(٢) (أ) : « الأذفوي » .

كان من الأذكياء العقلا ، والدينية^(١) النبلا ، صدوق اللهجة ، ظاهر الوضاعة من الخير والبهجة ، تفقه للشافعي ، وقرأ النحو ، وكان فهاً ذكياً^(٢) ذاهمة ، وقريحة تجلو له الليالي^(٣) المدلهمة ، وفيه صدقة وبر ، وإخلاص باطن وسر ، وإكرام للفقراء^(٤) والصالحين والضيوف الواردين .

حضر إلى القاهرة ، وشرع في حفظ (التسهيل) ، فقرأ منه القليل ، ونزل به حادث المنايا ، ووارث الرزايا .

وتوفي بالمدرسة الصاحية في صفر سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

١٤٥ - أحمد بن علي بن عبد الله*

ابن أبي البدر ، المحدث جمال الدين أبو بكر البغدادي القلاني .

كان مفيد بغداد ، غني بالرواية وهو ابن عشرين سنة ، وسمع الكثير من عبد الصمد^(٥) ، ومحمد بن أبي الدين^(٦) وابن بلدجي وعده . وخرّج وأفاد^(٧) ، وكتب وروى قليلاً .

(١) (أ) : « والأدنية » .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) (أ) : « الدياجي » .

(٤) في الأصل : « للفقراء الواردين » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) .

* الوافي : ٢٤٣٧ ، والدرر : ٢١٦/١ ، والشذرات : ١٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٩٧/١ .

(٥) في الأصل و (أ) : « ابن عبد » ، والوجه إسقاط ابن كما في الوافي ، والمنهل . وهو عبد الصمد بن أحمد بن أبي الجيش البغدادي (ت ٦٧٦ هـ) .

(٦) في الأصل و (أ) : « المدينة » ، والصواب : الدينّة ، كما في الدرر ، وهو محمد بن يعقوب (ت ٦٧٠ هـ) .

(٧) في الأصل : « وأعاد » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، والمنهل ، وهي أشبه .

وحدّث عنه ^(١) التقي محمد بن محمود الكرخي ^(٢) وابنه أحمد ، وأحمد بن عبد الغني الوفاياني ^(٣) ، وعبد الله بن سليمان الغراد ، ومحمد بن يوسف بن منكلي .

وكان صدوقاً فيما يدّعيه وما يقوله ويعيه .

لم يزل يفيد ويطلب ، ويزيد ويكتب عن المشايخ في الإجازات ، ويكتب ما في الجزازات ، إلى أن باخ جهره ، وأناخ عليه بكلّكله دهره .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وسبع مئة .

ومولده في جمادى الآخرة سنة أربعين وست مئة .

١٤٦ - أحمد بن علي بن هبة الله *

شمس الدين بن السّديد الإسْنائِي الشافعي .

قرأ الفقه على الشيخ بهاء الدين هبة الله القفطي ، وتولى الخطابة بإسنا ، وناب بها في الحكم وبأدقّو وبقوص ، ودّرّس بها ، وبني بها مدرّسة ، ووقف عليها أملاًكاً جيّدة ، ووقف على الفقراء .

وكان قويّ النّفس يبذل الألوّف ليقهر أعداءه ويذيقهم الحتوف ، محافظاً على الرياسة ملازماً لطريق ^(٤) الخدمة للأكابر والسياسة ، واقفاً مع هواه لا يحذر من مهوّاه ، مُمدّحاً ^(٥) معطاءً مهيباً ، واجداً بالتقدم في الدنيا وجد المتيمّ إذا رأى حبيباً ، انصرف

(١) في الأصل : « عن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والدرر ، والمنهل .

(٢) في الوافي : « الكرجي » . وفي المنهل كما هنا .

(٣) في المنهل : « الوفاياني » .

* هو هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل العذري القفطي . (ت ٦٩٧ هـ) ، الوافي : ٢٤٤/٧ ، والدرر :

٢٢٢/١ ، والطالع السعيد : ص ٥٠ ، والمنهل الصافي : ٤١٤/١ .

(٤) (أ) : « طريق » .

(٥) (أ) : « معظماً » .

منه على نيابة الحكم بقوص ثمانون ألف درهم ، وما دخل منه القلب ولا الصدر هَمّ ،
 وصادره الأمير سيف الدين كراي المنصوري^(١) في آخر عمره وأخذ منه مئة وستين ألف
 درهم .

وتوجه إلى القاهرة وتمارض فرض ، ونزل به الأمر المحتوم وأصبح وهو تحت^(٢)
 الأرض في حرز مختوم .

وكانت وفاته في شهر رجب الفرد سنة أربع وسبع مئة .

١٤٧ - أحمد بن علي *

ابن الشيخ الزاهد يوسف بن علي بن إبراهيم سبط الشيخ ضياء الدين أبي المحاسن
 عبد الحق^(٣) الواسط الحنفي ، القاضي شهاب الدين أخو قاضي القضاة برهان الدين
 ابن عبد الحق بن خلف بن عبد الحق ، تقدم ذكره في الأبارة^(٤) .

توفي رحمه الله تعالى في سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وسبعين وست مئة .

١٤٨ - أحمد بن علي بن أحمد **

الشيخ فخر الدين أبو طالب الهمداني^(٥) الكوفي الحنفي المعروف بابن الفصيح ،
 والفصيح جده لأمه .

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) (أ) ، (خ) : « وأصبح تحت » .

* الدرر : ٢٢٤/١ .

(٣) زاد في (أ) : « بن خلف بن عبد الحق » .

(٤) أي في « إبراهيم » .

** وفيات ابن رافع : ٣٢٣/١ ، والدرر : ٢٠٤/١ ، وذيل العبر : ٢٩٩ ، والنجوم : ٢٩٧/١٠ ، والجواهر
 المضية : ٧٩/١ ، وغاية النهاية : ٨٤/١ ، والذيل التام : ١٤٠ ، والدارس : ٤٠٣/١ ، والمنهل الصافي :
 ٣٩٢/١ .

(٥) (خ) : « الهمداني » ، تصحيف .

نظم (الفرائض السراجية)^(١) و (كنز الدقائق)^(٢) و (المنار في أصول الفقه)^(٣) و (نظم شاطبية)^(٤) أظهر رموزها وجاءت أصغر من الشاطبية .
وسمع على الصغاني وروى عنه .

وكان له في البلاد العراقية ذكر وسمعة ، وهناك له ضوء ونور يتوقد في شمعته .
حضر إلى دمشق في^(٥) أيام الأمير علاء الدين الطنبغا نائب الشام ، وحصل له منه إقبال تام ، وكان مدرّس المدرسة التي بالقصّاعين يُظهر فيها فوائده ، وينظم في أجياد الدروس فرائده ، وعاد بالريحانية^(٦) إلى أن مات بها ، وعمر بالإفادة زوايا جوانبها .

وكان مشكور الوداد ، حسن الاعتقاد ، أكبّ على الاشتغال ليلاً ونهاراً^(٧) ، لا يردّ طالباً ، ولا يصدّ مغالباً ، إلى أن خرس ابن الفصيح وتبوّأ بطن الضريح .
وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد سادس عشري شعبان سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمانين وست مئة . أنشدني من لفظه الإمام شمس الدين محمد بن سند اللخمي^(٨) قال : أنشدني : الشيخ فخر الدين لنفسه :

- (١) هي فرائض السجاوندي ، محمد بن محمود ، وذكر صاحب الكشف : ١٢٤٨/٢ ، نظم ابن الفصيح لها .
- (٢) في فروع الحنفية للنسفي ، ت (٧١٠ هـ) ، وذكر صاحب الكشف : ١٥١٦/٢ نظم ابن الفصيح له . والنظم مخطوط كما في الأعلام : ١٧٥/١ ، باسم « مستحسن الطرائق في نظم كنز الدقائق » .
- (٣) اسمه : « منار الأنوار » للنسفي ، الكشف : ١٨٢٣/١ .
- (٤) اسمها كما في غاية النهاية : « حلّ الرموز » .
- (٥) ليست في (أ) و (خ) .
- (٦) غرب المدرسة النورية ، أنشأها الطواشي خادم نور الدين الشهيد سنة (٥٦٥ هـ) ، الدارس : ٤٠١/١ .
- (٧) زاد في (أ) و (خ) : « وسراً وجهاراً » .
- (٨) أشار إليه ابن كثير في أحداث سنة (٧٦٦ هـ) (٢١٠/١٤) .

لا تجزَعَنَّ فليسَ ذاكَ بِنَافِعٍ وَقَعَ الَّذِي قَد كُنْتَ مِنْهُ تَحْذَرُ
فَتَلَقَّهِ بِالصَّبْرِ أَوْ مَتَصَبِّراً وَالصَّبْرُ بِالنَّفْسِ الْكَرِيمَةِ أَجْدَرُ

١٤٩ - أحمد بن علي بن عبادة*

القاضي الرئيس شهاب الدين الأنصاري الحلبي .

نشأ بالديار المصرية ، وكتب واشتغل ، وولي شهادة الخزانة^(١) ، واتصل بخدمة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وحظي عنده ، وأورى السعد زنده ، واشتهر في مصر بالوجاهة ، وعامله مخدومه بالدعابة والفكاهة ، وكان معه في وقعة التتار سنة تسع وتسعين وست مئة^(٢) ، وتأخر بعده بدمشق ، وولي أمر التربة المنصورية^(٣) بالقاهرة ، والأوقاف والأملاك السلطانية ، ولازمه ، واتحد به ، وشدد لموت حيازمه . وتوجه معه إلى الكرك وأقام بالقدس شهوراً ، وجانب جداً كان في ذلك الوقت عشوراً ، ولما عاد السلطان إلى مصر عاد معه إليها ، وقدم بالسعد والإقبال عليها .

وعرض عليه الوزارة فما وافق ، والظاهر أنه خادع في ذلك ونافق ، وأطلق له في حلب ضيعة ، وجعل مغلها له وربعة ، وضيعة أخرى بالسواد من دمشق .

وكان جيد الطباع سهل الانقياد إلى الانتفاع ، تعرّف به أقوام فأفلحوا ، وعاملوه بالوفاء فربحوا . ولما كان في خدمة السلطان لم يكن ذكر لغیره ، ولا لأحد قدرة على سيّره .

ولم يزل على حاله إلى أن فقدته أوطانه ، ولم ينفعه فيما نزل به سلطانه . توفي رحمه الله تعالى سنة عشر وسبع مئة في سادس عشر جمادى الأولى .

* الوافي : ٢٤٥/٧ ، وتالي وفيات الأعيان : ٣٣ ، والدرر : ٢١٠/١ .

(١) هي ضبط الأموال الديوانية وكتابة الحسابات .

(٢) انظر البداية والنهاية : ٦/١٤ .

(٣) بناها الملك المنصور قلاوون سنة (٦٨٤ هـ) .

١٥٠ - أحمد بن علي بن وهب*

العدل المعمر تاج الدين أبو العباس بن محمد بن دقيق العيد ، أخو الشيخ ^(١) الآتي ذكره في المحمدين إن شاء الله تعالى ، القشيري ^(٢) ، المنفلوطي .

سمع (الثقفيات العشرة) ^(٣) وثاني (المَحَامِلِيَّات) ^(٤) ، وثاني حديث سَعْدَان ^(٥) ، و (أربعين) السلفي من ابن الجُمَيزي ، وسمع (جزء) الصولي ^(٦) من ابن رواج ، وسمع من الزكي المنذري وغير واحد ، وحدث قديماً .

سمع منه البرزالي ، وقطب الدين عبد الكريم ^(٧) وجماعة .

واشتغل بمذهبي الشافعي ومالك على أبيه ، ودرّس بالنجيبية ^(٨) بقُوص مكان والده ، وكان يُلقِي الدروس في المذهبين ، وتولى الحكم بغرب قولاً ^(٩) وبقوص عن قاضي القضاة الحنفي ، ولكنه اختلط بآخرة ، وكان يتساهل في الشهادة وما يجري في ذلك

* الوافي : ٢٤٣/٧ ، والدرر : ٢٢٢/١ ، والطالع السعيد : ٥٠ ، والمنهل الصافي ٣٩٨/١ ، ووقع في الأصل : « ذهب » ، وهو تصحيف .

(١) (أ) : « الشيخ تقي الدين » .

(٢) (أ) : « اليشكري » ، سهو .

(٣) هي طائفة من أجزاء الحديث للقاسم بن الفضل الثقفي الأصفهاني ، ت (٤٨٩ هـ) . الكشف : ٥٢٢/١ .

(٤) هي الأجزاء المحامليات في الحديث ، وهي ستة عشر جزءاً ، ويقال لها أمالي الحاملي ، والحاملي هو الحسين بن إسماعيل بن محمد الحاملي الضبي ، ت (٣٣٠ هـ) ، الأعلام : ٢٢٤ .

(٥) هو سعدان بن يحيى بن صالح اللخمي ، روى له البخاري والنسائي وابن ماجه ، ت (١٩٠ هـ) ، الوافي : ١٩٠/١٥ .

(٦) أشار إليه صاحب الكشف : ٥٢٢/١ .

(٧) ابن عبد النور الحلبي ، ت (٧٣٦ هـ) ، وستأني ترجمته .

(٨) للدرسة النجيبية بقوص بناها النجيب بن هبة الله الثعلبي رئيس قوص المتوفى (٦٢٢ هـ) .

(٩) غرب قولاً : بلدة في الجانب الغربي للنيل بقنا ، ثم أصبح جزء منها تابعاً لمركز قوص والآخر لمركز الأقصر . (الطالع السعيد : ١٢٧) .

على العادة ، إلا أنه كان كثير العبادة ، يسرد الصوم إرادته ، مع أُوْرَادِهِ الوَرَادَةِ ،
ويكفل الأيتام ويزين خنصر البر بَخَيْتَام ، وطال عمره ، وتفرد برواية أشياء ، وألحق
بالأموات الأَحْيَا .

ولم يزل على حاله إلى أن « أخفى عليه الذي أخفى على لُبْد » ^(١) وعَدَم الرواة عنده
من الزَّيْد .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده في أحد الربيعين ست وثلاثين وست مئة .

١٥١ - أحمد بن علي بن الزبير*

ابن سليمان بن مظفر : القاضي الفقيه شمس الدين أبو العباس الجيلي أبوه ، الدمشقي
الشافعي الشاهد من صوفة الطواويس ^(٢) .

سمع مجلدين من (سنن البيهقي) من ابن الصلاح .

وروى عنه سائر من طلب ورحل الناس إليه حتى من حلب .

وكان ديناً منطبعاً ، نازلاً بأكناف التلاوة متربّعاً ، حسن المنادمة حتى حص
الإقلال ^(٣) خوافيه وقوادمه ، ولم يزل على ذلك إلى أن غُصَّ بالحِمَام وما وفى له الأمل
بالذمام .

(١) عجز بيت للنايفة ، وصدره : « أضحت خلاء وأضحى أهلها احتلوا .. » .

* الدرر : ٢٠٩/١ ، والشذرات : ٩٢/٦ ، والوافي : ٢٤٥/٧ .

(٢) ولم خاتمه الطواويس بدمشق ، تنسب إلى شمس الملوك دقاق السلجوقي ت (٤٩٧ هـ) ، المدارس :
١٢٩/٢ .

(٣) كذا في الأصل ، وفي (أ) الإفلاك ، يقال : فلَّك الرجل إذا لَجَّ في الأمر . والخص : إذهاب الشعر عن
الرأس بخلق أو مرض .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وعشرين وسبع مئة -
ومولده سنة خمس وثلاثين وست مئة .

١٥٢ - أحمد بن علي بن نصر بن عمر*

فخر الدين السوسي المصري الشافعي ، نزيل القاهرة .

كان فقيهاً بارعاً في الأدب ، حسن الخلق ، مليح المحاضرة ، محبوباً إلى الناس ، له
النظم والنثر .

توفي رحمه الله تعالى يوم الجمعة سلخ جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وسبع مئة
ودفن بالقاهرة وله ثلاثون سنة .

ومن شعره :

شكت دارها فعل الهوى بقطينها	وما استبدلته العين من بعد عينها ^(١)
وكثرة أنصار النوى وانفرادها	فأنجذتها من عبثي بكينها
وما أذخرت عيني مياة شؤونها	لشيء سوى إنفاقه في شؤونها
جزاءً وفاقاً لو قنعت بنظرة	من الشمس لم يرمذك ضوء جبينها
أعد نظراً فالحسن في الكون كله	معار له من كاف ليلى ونونها
يعاتقك الغصن الرطيب بقدها	وتسبيك غزلان النقا بعيونها
وقد حاق فيك السحر من طبيباتها	وقد ملت سكرأ عند مثل غصونها ^(٢)
فهل غير ليلى فاعل فيك فعلها	إذن لست في دعوى الهوى بأمينها
وما شهد العشاق غير جمالها	ولا دان من دين الهوى غير دينها ^(٣)

* الدرر : ٢٢١/١ .

(١) في (أ) : « شكت دارها ليلى وما فعل الهوى » .

(٢) في الأصل « مثل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أقرب .

(٣) (أ) : « وهل شهد .. من دان .. » .

ولا خرسوا إلا لهيئة حسنهما ولا نطقوا إلا بفضل فنونها
 ولا دار في أفهامهم وعقولهم من السحر شيء غير سحر جفونها
 ومن شرطها أن لا ينال محبها متى وصلها ما عاف طعم منونها^(١)
 ولا تكتفي من مدّع فرط حبها بدعوى ولا أن أكّدت بينهما^(٢)
 لها شاهد منها تميّز عندها صدوق الدعاوى في الهوى من ظنيها^(٣)
 فقم صادقاً أو نم فللحبه أهله وبع زلفاً يئض الليالي بجونها
 وها كلمات في النصيحة من فتى فصيح بألفاظ العظات مبينها^(٤)
 خذ العفو من تصطفيه ولا تسل عن الغيب واعرف خلة بقرينها
 وأخرى أضاء الحق في جنباتها وخرق ليل الشك صبح جينها^(٥)
 إذا شئت أن تحيا غنياً فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها

١٥٣ - أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن سلمان بن حمائل *

القاضي الفاضل الكاتب البليغ^(١) الناظم الناثر ، نجم الدين أبو العباس ابن الشيخ
 علاء الدين بن غانم .

أحد^(٧) كتاب الإنشاء بدمشق ، وسيأتي ذكر جماعة من أهل بيته كل منهم في
 مكانه .

(١) هذا البيت ساقط من (أ) .

(٢) (أ) : « كذبت » .

(٣) في (أ) : « ظنونها » . وفي رسالة عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري مشيراً إلى من تقبل
 شهادته . « .. إلا مجلوداً في حد ... أو ظنياً في ولاء أو نسب » .

(٤) في الأصل : « العطف » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أشبه .

(٥) في (أ) : « يقينها » .

* الدرر : ٢١٩/١ .

(٦) ليست في (أ) .

(٧) في الأصل : (أخذ) ، تصحيف .

كان القاضي نجم الدين هذا أكبر من أخيه القاضي جمال الدين عبد الله الآتي ذكره في حرف العين إن شاء الله تعالى ، ولكنه لم يتفق له الدخول إلى ديوان الإنشاء إلا بعد أخيه جمال الدين عبد الله بمدة ، وكان نجم الدين ينظم القريض فيدعي سامعته أنه أنق من الروض الأريض ، وأنه للطافته يأسو به القلب المريض ، وتنتظر^(١) الزهر الثواب إلى زهره الغض بطرف غضيض ، ويكتب فيوشى برود المهارق بقلمه ويرصع تيجان الطروس بجواهر كلمه ، كأنها طروسه وجنات طرز وردها أس العذار أو قطع من الليل الداجي جرت فيها أنهار من النهار :

زهراء أحلى في النفوس من المنى وألذ من ريق الأحبة في الفم^(٢)

وكان دخوله في الديوان بعد موت والده رحمه الله تعالى في سنة ثمان وثلاثين^(٣) وسبع مئة .

جاء إلى مصر وتوصل بالأمير بدر الدين بن الخطير^(٤) وتنجز له توقيعا من السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأقام إلى أن حضر القاضي شهاب الدين أحمد^(٥) بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء بدمشق بعد إمساك الأمير سيف الدين تنكز ، فجرت له معه كائنة خرج بسببها من الديوان ، ثم إنه توجه إلى مصر وعاد بتوقيع ثان في زمن الملك الصالح إسماعيل .

وقد خرج القاضي شهاب الدين بن فضل الله وعزل ، ولم يزل نجم الدين المذكور يكتب في ديوان الإنشاء إلى أن توجه في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وسبع مئة إلى

(١) في الأصل : (وتنظم) ، تحريف .

(٢) (أ) : « في الفؤاد ... بالفم » .

(٣) في الأصل : ثمانين وسبع مئة ، وهو سهو ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٤) مسعود بن أوجد . ستأتي ترجمته .

(٥) ليست في (أ) .

ثغر بيروت لضبط^(١) متحصل الموقعين من الميناء ، فأقام بها تارة يمرض إلى أن مات
بعلّة الذّرب^(٢) في أوائل ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وسبع مئة ، ولم يخلف ابناً^(٣) غير
ابنة صغيرة عمرها تقدير^(٤) سبعة أشهر .

وكنّت قد كتبتُ إليه وأنا بمرج الغسولة :

مولاي نجم الدين يامن فضله قد عمّني بخصائص الإحسان
أوحشتني في سفرة قضيتُها بالمرج منفرداً عن الخلان
فبكيتُ لما أنْ ذكرتْك بالدمّا حتى ملأتُ المَرَجَ بالمرجان
فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك :

شوقي صلاح الدين نحوك لم يزل مع فرط وجدي أخذاً بعناني
أوحشت عيني منذ سرت ولم تزل والله يامولاي نصب عياني^(٥)
راسلتي بلطائف يا حُسنها هي في الضمير رسائل الإخوان
لا كان هذا المَرَجُ أجرى عبّرتي في الخد كالبحرين يلتقيان
لما بكيتُ الخَلَّ صار الدمع في عنق الحب «قلائد العقيان»^(٦)

وكتبتُ أنا إليه وقد انقطع من الديوان :

أمولاي نجم الدين أوحشت خاطراً لبعذك بعد القُرب والأنس دائب^(٧)
فنار الجوى لم يطفئها من مدامعي لفقدك لما غبت عني السحائب

(١) (أ) : « يضبط » .

(٢) هو داء يكون في الكبد .

(٣) (أ) : « ولدا » .

(٤) (أ) : « تقدير عمرها » .

(٥) في (أ) : « سريت » .

(٦) (أ) : « لما بليت الخبل » .

(٧) في الأصل : « لبعذك بعد الأنس والقرب رائب » ، وهي قلقة .

وقد أظلم الديوان بعدك وحشةً
فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك :

أيا مالكا لي من علاه رغائب
أتتني آيات حسان لطائف
وأنت الذي ما زلت كالبحر للورى
وكتبت أنا إليه وقد وعدني أن يربط لي بغلة على حشيش عنده :

بغلتي هذه تريد حشيشاً
فاصطنعني فإن كل مليك
فكتب هو الجواب عن ذلك :

يا إماماً قد حاز كل المعاني
إنّ ذاك الحشيش صار يبيساً
وكتبت أنا إليه ملغزاً في « تميم » :

مولاي نجم الدين يامن له
ما اسم رباعي له أول
فكتب هو الجواب عن ذلك :

مولاي قد قلدت جيدي حلّى
من جوهر اللفظ بعقد نظيم^(٤)

(١) في الأصل : « عن علاه » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) في الأصل ، « في البحر كالورى » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٣) في الأصل « هيش » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٤) في الدرر : « قد قلدتني حلية » .

أَهْدَيْتَهُ مِنْ بَحْرِ عِلْمٍ لَهُ ذَخَائِرُ وَالْقَلْبِ مِنْهَا ^(١)
 مَوَّهَتْ مَعْنَاهُ فَمِ الْعَنَا وَالْبَدْرِ يَسْبِي مِنْهُ تَاءٌ وَمِيمٌ
 وَكُتِبَ إِلَيَّ وَقَدْ انْقَطَعَتْ عَنِ الدِّيْوَانِ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ :

أَصْبَحْتُ فِي الدِّيْوَانِ وَحْدِي فِي عَنَا وَأَذَى أَرَاهُ بِخَطِّ طَرِيٍّ وَبِعَيْنِي
 كُنَّا بِهِ مُسْتَأْمِنِينَ وَلَفْظُنَا مِنْ لُطْفِهِ يَدْعَى بِذِي السَّجْعَيْنِ
 وَبِهِ صِلَاحٌ لَمْ يَزَلْ مَعَ عِلْمِهِ تَرَوِي مَعَالِيَهُ عَلَى السَّمْعَيْنِ
 فَنَأَى فَصَرْتُ عَلَى الْبَلَى مُسْتَوْقِفًا أَبْكَى عَلَى مَافَاتٍ بِالدَّمْعَيْنِ
 وَيَلُوتُ أَقْوَامًا لَبَسْتُ لِأَجْلِ مَا أَخْشَاهُ مِنْ تَنْكِيدِهِمْ دَرْعَيْنِ
 فَكُتِبْتُ أَنَا الْجَوَابُ إِلَيْهِ :

حَاشَاكَ تَصَبُّحٌ فِي عَنَى أَوْ [فِي] ضَنْئٍ نَفْسِي فِدَاؤُكَ فِي الرَّدَى مِنْ ذَيْنِ ^(٢)
 وَالْقَضْدُ أَنْ تَمْسِيَ وَتَصْبُحَ دَائِمًا فِي صَحْفَةٍ ثَبَّتَ قَرِيرَ الْعَيْنِ ^(٣)
 فَإِذَا سَلِمْتَ وَدُمْتُ لِي مَا ضَرَنِي مِنْ رَحْتِ أَفْقَسِدُهُ مِنَ الْحَيَيْنِ
 أَدْرِي مَحَبَّتَكَ الَّتِي صَحَّتْ وَمَا رُمِيتُ بِشَيْءٍ فِي الْوَفَا مِنْ شَيْنِ
 مِنْ صَدَقَ وَذَكَ تَشْتَهِي وَتَوَدُّ لَوْ أَصْلَحْتَ مَا بَيْنَ الزَّمَانِ وَبَيْنِي
 مَا هَذِهِ الْفِتْنُ الَّتِي إِنْ أُخِمِدَتْ نَارَ أَجَدَّتْ بَعْدَهَا نَارِينَ ^(٤)
 فَكَأَنَّهَا الْفِتْنُ الَّتِي يُحْكِي لَنَا فِيمَا مَضَى مِنْ فِتْنَةِ الْحَكِيمِينَ ^(٥)
 أَلْقَى الْعَدَى وَحْدِي وَمَا دَرَعِي سِوَى صَبْرٍ تَنَاهَى عَنْهُ ظَمِي الْجَمْعَيْنِ
 يَادْهُرُ كَفٌّ فَقَدْ كَفَيْتُ مَا أَنَا كَلْبُ الْزَبِيرِ وَلَا أَبِي السَّبْطَيْنِ

(١) (أ) : « مِنْهُ مِيمٌ » .

(٢) زيادة يقتضيها السياق ويستقيم بها الوزن .

(٣) (أ) : « سَلَا فِي » .

(٤) (أ) : « مَا أُخِمِدَتْ » .

(٥) في البيت إشارة إلى قصة التحكيم بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان .

ومن الذي لم يهضمه زمانه أو مارماه عدوه بالمين
دع ذا فيأقبالي على شأني غدا أولى لثبراً سـاحتي من دثني
مابعد هذا الشيب والسنّ الذي أربت على الستين غير الحين
والله أعدل حاكم بين الوري وقضاؤه فصل على الخصمين^(١)

١٥٤ - أحمد بن عمر بن زهير*

ابن عمر بن زهير بن حسين بن زهير بن عقبة الزرعي ، الشيخ الأصيل الفاضل
شهاب الدين أبو العباس الزُّرعي الحنبلي .

كان جيّداً في قومه ، معروفاً بالعدالة والأمانة ، وله معرفة بالقسمة والمساحة ،
وفيه تودّد وكرم .

سمع من جده .

وروى عنه بدمشق وَزَّرَع^(٢) وبصرى . وكتب عنه شيخنا البرزالي من نظمته ،
كان بينها مودّة قديمة ، وكان التتار قد أسروا له ولداً نوبة « غازان » ، فتوجه إليهم في
طلبه ، وله قصائد في التشوق إلى زَرَع ، وله مراثٍ في ولده عمر ، كان كثير التلاوة .
وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث عشر شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

١٥٥ - أحمد بن عمر بن عبد الله**

ابن عمر بن يوسف بن يحيى بن عامر بن كامل بن يوسف بن يحيى بن قابس ،
الشيخ الصالح أبو العباس بن الخطيب نجيب الدين ابن خطيب بيت الآبار .

(١) في الأصل : « الحكين » ، وأثبتنا ما في (أ) .

* الدرر : ٢٢٥/١ .

(٢) زَرَع : إحدى قرى مدينة درعا اليوم ، وكانت تعرف بزراً قبل القرن السابع . (وانظر معجم البلدان :
زراً) .

** الدرر : ٢٢٦/١ .

كان رجلاً جيداً فقيراً مقيماً بالجامع ينوب عن أخيه في الأذان ، ويذكر يوم الجمعة .

سمع من جده لأمه الخطيب عماد الدين داود بن عمر^(١) ، وهو عم والده ، ومن إخوته الضياء يوسف^(٢) ، والموفق محمد^(٣) ، وغيرهم .

كان صائماً يوم الاثنين ، وصلى المغرب في الجماعة وصعد إلى سطح الجامع بالقريّة فزلت^(٤) رجله ، فوقع فئات في رابع عشري ربيع الآخر سنة أربع وعشرين^(٥) وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وخمسين وست مئة .

١٥٦ - أحمد بن عمر بن داود الصفدي

شهاب الدين كاتب الإنشاء بالديار المصرية .

توجّه مع والده زين الدين إلى القاهرة في سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، ولما توفي والده رحمه الله تعالى أقام هناك فقرببه القاضي علاء الدين كاتب السر للعقل الذي كان^(٦) رآه منه والسكون الذي كان فيه ، وكان^(٧) قد حفظ (التسهيل) لابن مالك وكتب المنسوب ، ومرض مدة طويلة .

وتوفي رحمه الله في أواخر سنة إحدى وستين وسبع مئة .

(١) ابن يوسف الزبيدي المقدسي ، خطيب بيت الآبار ، ت (٦٥٦ هـ) ، الشذرات : ٣٧٥/٥ .

(٢) الشذرات : ٣٢١/٥ .

(٣) ستأتي ترجمته .

(٤) (أ) : « فزلت » .

(٥) في (أ) والدرر : « خمس وعشرين » .

(٦) ليست في (أ) و (خ) .

(٧) ليست في (أ) .

وكان مولده بدمشق في سنة ثلاثين وسبع مئة .

وكنيت أنا إذ ذاك بالرحبة ، فكتبت إلى والده أهنيه بذلك ، وأجابني والده عن ذلك ، والابتداء والجواب سقتها في كتابي (ألحان السواجع) وسيأتيان في ترجمة والده إن شاء الله تعالى ، وبلغني أنه ترك موجوداً مبلغه مئة ألف درهم وأزيد .

١٥٧ - أحمد بن عمر بن عبد الله*

قاضي القضاة تقي الدين ابن قاضي القضاة عز الدين ، أبو العباس المقدسي الحنبلي .

تولى هو وأبوه قضاء^(١) القضاة بالديار المصرية ، وكان وجهه جميلاً ومجده أثيلاً ، بياض شبيه على خده كأنه الياسمين على ورده ، له مروة زائدة ، وكف بالنوال جائدة ، وكان معه أيضاً نظر الخزانة الكبرى ، وهو بالطلوع إلى القلعة مغرى .

وما زال قاضياً إلى أن عزّل السلطان محمد بن قلاوون القضاة الثلاثة دون المالكي^(٢) . فلزم بيته إلى أن تعذرت وقاية التقي من المات ودخل في باب مَصْ وَقَصْ وفات ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة^(٣)

وأجاز لي بخطه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بمصر .

١٥٨ - أحمد بن عيسى**

صدر الدين بن الشيخ مجد الدين بن الحشّاب ، وكيل بيت المال بالديار المصرية ، وسيأتي ذكر والده إن شاء الله تعالى في مكانه .

* الوافي : ٢٦٦/٧ ، والدرر : ٢٢٥/١ .

(١) (أ) : « تولى قضاء » .

(٢) انظر البداية والنهاية : ١٨٠/١٤ ، أحداث سنة (٧٣٨ هـ) .

(٣) كذا وقع في الأصول ، ولم يذكر الصفيدي في الوافي سنة وفاته ، وظاهر ما في الدرر أن وفاته بعيد سنة

٧٣٨ ييسر .

** الوافي : ٢٧٥/٧ ، وتالي وفيات الأعيان ، : ٤٩ ، والدرر : ٢٣٢/١ .

نال الوجاهة والصدارة وأصبح والأناملُ تُومي إليه بالإشارة .
 لم يزل على حاله إلى أن ^(١) نزلت به الداهية الصّما وأنزلته من عزته الشّما ، وتوفي
 رحمه الله تعالى سنة أربع عشرة وسبع مئة .
 ومولده سنة تسع وتسعين وتسع مئة .

١٥٩ - أحمد بن فرح*

بالحاء للهملّة ، ابن أحمد بن محمد ^(٢) الإمام الحافظ الزاهد ، بقية السلف ،
 شهاب الدين أبو العباس ^(٣) اللخمي الإشبيلي الشافعي .
 أسره الفرنج سنة ست وأربعين وست مئة ، وخَلَصَ وقَدِمَ مصر سنة بضع
 وخمسين .

وتفقه على الشيخ عز الدين بن عبد السلام ^(٤) . وسمع من شيخ الشيوخ
 شرف الدين الأنصاري الحموي ^(٥) ، والمعين أحمد بن زين الدين ، وإسماعيل بن عزون ^(٥)
 والنجيب بن الصيقل ، وابن علّان ^(٦) ، وبدمشق عن ابن عبد الدائم وخَلَقَ .

وعُني بالحديث وأتقن ألفاظه وعرف رواته وحفاظه ، وفهم معانيه ، وانتقد
 لآليه ، وكان من كبار أئمة هذا الشأن ومن يجري فيه وهو طلق اللسان ^(٥) ، هذا إلى

(١) (أ) : « حق » .

* الوافي : ٢٨٦/٧ ، والعبر : ٣٩٣/٥ ، وطبقات السبكي ٢٦٨ ، وتذكرة الحفاظ : ١٤٨٦ ، وشدرات
 الذهب : ٤٤٣/٥ ، والمنهل الصافي : ٥٩/٢ ، وعقد الجمان : ٩٨/٤ ، وفيات (٦٩٩ هـ) .

(٢) قوله « الإمام » حق ههنا ، ليس في (أ) .

(٣) عبد العزيز بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ) .

(٤) عبد العزيز بن محمد بن عبد الحسن ت (٦٦٢ هـ) .

(٥) (أ) ، والوافي : « ابن عزوز » .

(٦) في الوافي والمنهل : ابن علّاق ، وهو عبد الله بن عبد الواحد (ت ٦٧٢ هـ) ، الشدرات : ٣٣٨/٥ .

(٧) (أ) : « العنان » .

ما فيه من ديانة ، وورع وصيانة ، وكانت له حلقة أشغال^(١) بكرة بالجامع الأموي يلازمها ويحوم عليه من الطلبة^(٢) حوائها .

سمع عليه الشيخ شمس الدين الذهبي واستفاد منه ، وروى منه في تصانيفه عنه ، وعُرِضت عليه مشيخة دار الحديث النورية^(٣) فأبأها ولم يقبل حبأها ، وكان بزى^(٤) الصوفية ، ومعه فقاها بالشامية .

لم يزل على حاله حتى أحزن الناس ابن فرح ، وتقدم إلى الله وسرح ، وشيع الخلق جنازته ، وتولوا وضعه في القبر وحيازته .

وتوفي رحمه الله تعالى تاسع جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة خمس وعشرين وست مئة .

وله قصيدة غزلية في صفات الحديث ، سمعها منه الدمياطي واليونيبي ، وسمع منه البرزالي والمقاتلي والناقلي وأبو محمد بن الوليد . ومات بتربة أم الصالح بالإسهال . والقصيدة المذكورة :

غرامي (صحيح) والرجافيك (مفضل)	وحزني وذمعي (مطلق ومسلسل) ^(٥)
وصبري عنكم يشهد العقل أنه	(ضعيف) و(متروك) وذلي أجمل
ولا (حسن) إلا سماع حديثكم	مشافهة تملأ علي فأنقل
وأمرري (موقوف) عليك وليس لي	على أحد إلا عليك المعول
ولو كان (مرفوعاً) إليك لكنت لي	على رغم غذالي ترق وتغذل

(١) (أ) : « اشتغال » ، وكذا في المنهل الصافي . وفي طبقات السبكي : « إقرأ » .

(٢) في الأصل : « الطلب » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٣) أنشأها بدمشق نور الدين محمود زنكي المتوفى (٥٦٩ هـ) .

(٤) في الأصل : « يربي » ، تصحيف وتحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والمنهل .

(٥) في عقد الجمان ، والمنهل ، وطبقات السبكي : « مرسل ومسلسل » .

وَعَذْلٌ عَذُولِي (منكرٌ) لَا أَسِغُهُ
أُقْضِي زَمَانِي فِيكَ (متَّصِل) الْأَسَى
وَهَا أَنَا فِي أَكْفَانِ هَجْرِكَ (مُدْرَج)
وَأَجْرِيَتِ دَمْعِي بِالدَّمَاءِ (مُدَبَّجاً)
(فَتَفِيقٌ) جَفَنِي وَسَهْدِي وَعَبْرَتِي
(وَمُؤْتَلَفٌ) شَجَوِي وَوَجْدِي وَلَوْعَتِي
خَذَ الْوَجْدَ عَنِّي (مُسْنِداً) وَ(مُعْنَعِناً)
وَذِي نَبْذٍ مِنْ (مَبْهَم) الْحُبِّ فَاعْتَبِرْ
عَزِيزٌ بِكُمْ صَبٌّ ذَلِيلٌ لَغَيْرِكُمْ
(غَرِيبٌ) يُقَاسِي الْبُعْدَ عَنْكَ وَمَالَهُ
فَرَفَقاً (بِمَقْطُوعِ) الْوَسَائِلِ مَالَهُ
فَلَا زَلَتْ فِي عَزْ مِنْعٍ وَرَفْعَةٍ
أُورِّي بِسُعْدِي وَالرِّبَابِ وَزِينِ
فَخِذْ أَوَّلًا مِنْ آخِرِ ثَمِّ أَوَّلًا
أَبْرَ إِذَا أَقْسَمْتَ أَنِّي بِحَبِّهِ

و(زُورٌ وَتَسْدِيسٌ) يُرَدُّ وَيُهْمَلُ
و(منقطعاً) عَمَّا بِهِ أَتَوَصَّلُ^(١)
تَكَلَّفَنِي مَالاً أَطِيقُ فَأَحْمِلُ
وَمَا هُوَ إِلَّا مُهْجَتِي تَتَحَلَّلُ^(٢)
و(مُفْتَرَقٌ) صَبْرِي وَقَلْبِي الْمَبْلَبِلُ
و(مُخْتَلِفٌ) حَظِّي وَمَا مِنْكَ أَمَلُ
فَغَيْرِي (مَوْضُوعٌ) الْهَوَى يَتَحَيَّلُ^(٣)
وَعَامُضُهُ إِنْ رَمَتْ شَرْحاً أَحْوَلُ
و(مَشْهُورٌ) أَوْصَافُ الْحُبِّ التَّنْذِلُ
وَحَقُّ الْهَوَى عَنْ دَارِهِ مَتَحَوَّلُ^(٤)
إِلَيْكَ سَبِيلٌ لَا وَلَا عَنْكَ نَعْدِلُ
وَمَا زِلْتَ تَعْلُو بِالتَّجْنِي فَأَنْزِلُ
وَأَنْتَ الَّذِي تُعْنَى وَأَنْتَ الْمُؤَمَّلُ
مِنْ النِّصْفِ مِنْهُ فَهَوِيهِ مَكْمَلُ
أَهْمٍ وَقَلْبِي بِالصَّبَابَةِ يُشْغَلُ^(٥)

وقد ذكرت شرحها في الجزء الثلاثين من تذكركي .

(١) (أ) : « أتوصل » .

(٢) في طبقات السبكي ، والمنهل : « وما هي إلا » .

(٣) في عقد الجمان : « لموضوع .. يتحیل » ، وفي المنهل : « بموضوع .. يتجمل » .

(٤) في عقد الجمان : « وحقك من دار الغنى » ، وفي المنهل : « وحقك عن دار القلى » .

(٥) في عقد الجمان : « يشعل » ، وفي طبقات السبكي : « مشعل » .

١٦٠ - أحمد بن مُحَسِّن*

بتشديد السين ، ابن مَلِيٍّ بن حسن ^(١) بن عتق أو عتيق بن مَلِيٍّ : العالم ^(٢) الفاضل نجم الدين المعروف بابن مَلِيٍّ الأنصاري البعلبكي الشافعي المتكلم .

سمع من البهاء عبد الرحمن ^(٣) ، وأبي المجد ابن القزويني ، وابن الزبيدي ، وابن رواحة ، واشتغل بدمشق ، وأخذ عن ابن الحاجب العربية ، وعن ابن عبد السلام الفقه ، وعن الزكي المنذري الحديث ، والأصول عن جماعة ، والفلسفة والرفض عن جماعة .

ودرسَ وأفتى زماناً وناظرَ وأورد بياناً . وكان متبحراً في العلوم لا يعبأ بمن يشكر أو يُلوم ، كثير الفضائل قادراً على أجوبة المسائل ، أسداً إذا ناظر ، مجراً إذا حاضر ، حاضرَ الحجّة ، خائض اللّجّة ، حادّ القرينة ، رادّ السهام التي تصيب مقاتلة ^(٤) وهي غير صحيحة .

دخل إلى مصر غَيْرَ مرّة ، وتوجه إلى قوص وأسوان ، وامتزج فيها بالأحباب والإخوان ، وولي بأسوان تدريس مدرستها مدّة ، وكابد من الرّمضاء والحرشدة ، وكان من تمكنه في العلوم يقول عند الدروس : عَيَّنَا آية حق نتكلم ^(٥) عليها ، فإذا عينوا ما أرادوا تكلم حتى يذعنوا لما يقوله وينقادوا ^(٦) كأنما يقرأ من كتاب أو يستسقي من بحر زاخر العباب .

* الوافي : ٣٠٥/٧ ، وطبقات ابن السبكي ٣١/٨ ، والمنهل الصافي : ٦٥/٢ ، وعقد الجمان : ١٠٨/٤ ، والشذرات : ٤٤٤/٥ ، ووقع في الأصل « مكي » ، وهو تحريف .

(١) في المنهل : « بن علي بن حسن » .

(٢) (أ) : « العالم البار » .

(٣) عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد المقدسي (ت ٦٢٤ هـ) ، السير : ٢٦٩/٢٢ .

(٤) (أ) : مقتله .

(٥) في الأصل : « حتّى لا نتكلم » ، وأثبتنا ما في « أ » والوافي .

(٦) في الأصل : « ويتفادوا » تصحيف ، وأثبتنا ما في « أ » .

وسمع منه الطلبة ، وقرأ عليه البرزالي موطأ القعني^(١) ، وكان عديم المبالاة بالناس ، يَشْتَلِقُ^(٢) على الأنواع والأجناس ، مستهتراً بمن يراه ، مشتهراً بترك أدب الكبار والسّرة .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح ابن مَلِيٍّ بالعجز ملياً ، وأمسى وعذره عن الكلام جليلاً . وتوفي رحمه الله تعالى بقرية بَخْعُون من جبل الظنّية^(٣) سنة تسع وتسعين وست مئة في جمادى الآخرة .

ومولده سنة سبع عشرة وست مئة ببعليك .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت عليه الموطأ رواية القعني ، وعدة أجزاء بسماعه من الشيخ بهاء الدين عبد الرحمن المقدسي ، وجزء أبي الجهم^(٤) بسماعه من ابن الزبيدي^(٥) .

١٦١ - أحمد بن محمد بن إبراهيم*

ابن عبد الواحد بن علي بن سرور : المسند عماد الدين أبو العباس بن قاضي القضاة شمس الدين ابن الشيخ القدوة عماد الدين المقدسي البغدادي ثم المصري الحنبلي .

(١) أي موطأ الإمام مالك برواية القعني ، عبد الله بن مسلمة بن قعنب ، ت (٢٢١ هـ) ، وفيات الأعيان : ٤٠/٣ ، والسير : ٢٥٧/١٠ .

(٢) عبارة الوافي : « قال الشيخ شمس الدين : مشتلقاً يخلّ بالصلوات » وانظر التاج : « شلق » .

(٣) في الوافي : « الظنين » وكذا في الشذرات والمنهل ، وطبقات السبكي ، وعقد الجبان ، وهو جبل بين طرابلس وبعليك .

(٤) العلاء بن موسى بن عطية الباهلي (ت ٢٢٨ هـ) الكشف : ٥٨٤/١ .

(٥) (أ) : « من الرشيدي » .

* الوافي : ٣١٩/٧ ، والدرر : ٢٤١/١ ، والشذرات : ٣٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٦٧/٢ .

سمع سنة اثنتين وأربعين من الكاشغري^(١) وابن الخازن ، وسمع^(٢) بمصر من عبد الوهاب بن رواح^(٣) ، وطائفة .

أخذ عنه الشيخ شمس الدين الذهبي ، وكان يؤم بمسجد^(٤) وله مدارس ، ولديه في التفرد بالرواية مغارس ، وفاز بالعوالي وحاز من سندها اللآلي .

ولم يزل على حاله إلى أن مال عُمْدُهُ ، واتصل بغيره سنده . وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، كذا قاله شيخنا البرزالي ، وقال غيره : سنة عشر وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وثلاثين وست مئة .

وكانت وفاته بالقاهرة .

١٦٢ - أحمد بن محمد بن إبراهيم*

ابن محمد بن يوسف : الفقيه الأديب الحدّث أبو العباس المرادي القرطبي المعروف بالعشّاب .

روى « مسلسل الراحون » عن أبي محمد بن بُرْطُلَه^(٥) ، وكان صاحباً للبَطْرَني^(٦) ، يسمعان معاً ، وسمع (الموطأ) عن ابن هارون^(٧) ، وروى عن أبي القاسم بن البراء التنوخي ، وأبي محمد بن السفر ، وسمع (الشفا)^(٨) من أبي إسحاق بن عياش التّجبي

(١) إبراهيم بن عثمان بن يوسف الكاشغري (ت ٦٤٥ هـ) ، السير : ١٤٨/٢٣ ، والعبر : ٢٢٢/٥ .

(٢) في الأصل « سمع » ، وابن الخازن هو محمد بن سعد بن الموفق (ت ٦٤٣ هـ) .

(٣) هو عبد الوهاب بن ظافر بن علي الإسكندري . (ت ٦٤٨ هـ) .

(٤) (أ) : « مسجداً » .

* الوافي : ٣١٩/٧ ، والدرر : ٢٤١/١ ، والشذرات : ١١٢/٦ ، وغاية النهاية : ١٠٠/١ .

(٥) عبد الله بن عبد الرحمن بن عبيد الله ، غاية النهاية : ٤٢٨/١ ، ولم يذكر سنة وفاته .

(٦) أحمد بن موسى بن عيسى شيخ تونس توفي قبل (٧٠٠ هـ) بتونس ، غاية النهاية : ١٤٢/١ .

(٧) عبد الله بن محمد بن هارون مسند تونس توفي (٧٠٢ هـ) ، الدرر : ٣٠٣/٢ .

(٨) الشفا في تعريف حقوق للطوفي للقاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ) .

بسماعه من السَّقُورِي^(١) عن مؤلفه إجازة ، وسمع من عثمان بن سفيان التميمي سنة خمس وست^(٢) وفيها مات .

وَوَزَرَ لِلجَيَّانِي^(٣) صاحب تونس ، وقرأ النحو .

وسمع منه يسير بن عَرَّام ، والشيخ حسن البغدادي بقراءته وتلاوته به على أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الأعلى الشُّبَارِقِي^(٤) عن أبي جعفر الحِصَّار^(٥) تلاوةً وسماعاً بسنده .

ولم يزل في شأنه مشتغلاً بإخوانه وأخذانه إلى أن نزل تحت الثرى وأمَّ ربَّه وترك الورى وَرَا .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وأربعين وست مئة .

١٦٣ - أحمد بن محمد بن إبراهيم*

الفقيه المسند ، صفِيّ الدين أبو العباس الطبري المكي ، أخو الشيخ زين الدين^(٦) .

سمع (صحيح البخاري) من عبد الرحمن ابن أخي^(٧) حَرَمِيّ العَطَّار صاحب ابن عمار^(٨) ، وسمع شعيباً الزعفراني ، وأبا الحسن بن الجُمَيْزِي .

(١) علي بن أحمد بن علي الغافقي (ت ٦١٦ هـ) ، غاية النهاية : ٥٢١/١٠ .

(٢) وكذا في الوافي ، وفي (أ) خمس وستين .

(٣) في الوافي : « الحياتي » .

(٤) ت بعد (٦٦٠ هـ) ، غاية النهاية : ٤٦٤/١ .

(٥) أحمد بن علي بن يحيى (ت ٦٠٩ هـ) ، السير : ١٦/٢٢ .

* الوافي : ٣٢٠/٧ ، والدرر : ٢٤١/١ ، والشذرات : ١٨٨/٦٠ ، والمنهل الصافي : ٦٩/٢ .

(٦) (أ) : « رضي » . وكذا في المنهل الصافي . وهو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبري (ت ٧٢٢ هـ) .

(٧) كذا في الأصل و (أ) والوافي ، والمنهل . وانظر السير : ٢٦٩/٢٣ .

(٨) علي بن عمار المقرئ ، أشار إليه صاحب السير : ٢٦٩/٢٣ .

كان دَيْئاً خَيْراً ، وذا بصر بالصلاح لا يزال نَيْراً ، وحدث مدة ، وسمع منه عِدَّة ، وأصْرَدَهراً ، وبقي إلى أن وقع من مكان جَهْراً ، فانقدحت بذلك عيناه وأبصر ، وغنم النظر من الحياة واستقصر .

ولم يزل إلى أن تكدر لصفى الدين زمانه ، وأتاه من الموت حَدَثانه .
وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع عشرة وسبع مئة .
ومولده سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

١٦٤ - أحمد بن محمد بن إبراهيم*

الشيخ الإمام الفقيه المقرئ المراغي الرومي الحنفي ، إمام الحنفية بجامع دمشق ، ومدرس المدرسة العتيقة^(١) ، وشيخ الخانقاه الخاتونية^(٢) ظاهر دمشق وغير ذلك .

كان ذا نَعْمَةٍ يقف لها الطير ، ويتلبّث بها^(٣) البرق المتسرع في السير ، من يسمعه لا يعود يُعَرِّجُ على نغμάτων العود ، وَيَظُنُّ أنه أوتي مزماراً من مزامير داود ، إذا أمّ في محراب^(٤) صلّت وراءه سوابق الألحان وسلم إليه الفضل ابنُ سَريج وقال : ما أنا من خيل^(٥) هذا الميدان . كان يَوْمُ بالأفْرَم ، فكان يدينه ويقربه ويكرمه كأنه والده ، يرشّحه لكل خير ويدرّبه ، وكان قد عمّر زاوية على الشرف الأعلى يأوي إليها الناس ويقضي المحتشمون فيها بعد صلاة الجمعة أوقات أنس وسماع ، لم يخلفها الزمان ، وكان ذا مروءة وحمية وقيام مع الضعيف وعصبية ، ونفع أناساً كثيرين بجاهة عند الأفْرَم ، وقُرْبِهِ منه الذي كان لأجله يَبْجَلُ وَيُكْرَمُ .

* البداية والنهاية : ٨٤/١٤ ، والدرر : ٢٤٢/١ ، والدارس : ٤٥٣/١ .

(١) لم تنف عليها ، وفي البداية والنهاية والدارس أنه درس بالمدرسة المعينية .

(٢) نسبة إلى خاتون زوجة نور الدين الشهيد ، الدارس : ١١٢/٢ .

(٣) (أ) : « لها » .

(٤) (أ) : « محرابه » .

(٥) (أ) : « فرسان » .

ولم يزل على حاله إلى أن بطلت ألحائه وعطل من الأنس^(١) حانة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع عشرة وسبع مئة في شهر ربيع الأول .

وكان قد نزل عن وظائفه لولديه عماد الدين وشرف الدين إلا أن تلك السوق الأفرمية ذهبت ، وأفلت نجوم سعودها وغربت ، ودفن في مقابر الصوفية .

١٦٥ - أحمد بن محمد بن أحمد*

الشيخ الإمام العالم الرئيس كال الدين أبو العباس البكري الشافعي ، وكيل بيت المال بدمشق ، وشيخ دار الحديث الأشرفية^(٢) ، ومدرس الناصرية^(٣) .

سمع (جزء ابن عرفة) على النجيب ، وحدث به مرّات ، وسمع من جماعة من أصحاب ابن طبرزد وغيرهم بالقاهرة والقدس ، وقرأ بنفسه الكتب الكبار ، وطلب مدة ، ورحل إلى الديار المصرية والإسكندرية ، وناب عن القاضي بدر الدين بن جماعة مدّة ، وترك النيابة ودرس بالشامية البرّانية والناصرية ، وولي وكالة بيت المال أكثر من اثنتي عشرة سنة ، وولي دار الحديث الأشرفية ومشيخة تربة أم الصالح ، وولي الرباط الناصريّ ، وحج سنة ثلاث وسبع مئة .

كان حسن الشكل مهيباً ، غزير الفضل لا يرى له فيه^(٤) ضريباً ، من بيت علم

(١) (أ) : « الأمن » .

* الوافي : ٢٣٧/٧ ، وذيل العبر : ٩٩ ، والبداية والنهاية : ٩٢/١٤ ، والدرز : ٢٤٦/١ ، والنجوم : ٢٤٣/٩ ، والشذرات : ٤٧/٦ ، والدارس : ٢٥/١ ، وللنهل الصافي : ٧١/٢ ، ويعرف بابن الشريشي أيضاً .

(٢) في الأصل : « بالأشرفية » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، وللنهل ، وهو منسوبة إلى الملك الأشرف موسى بن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، المتوفى (٦٣٥ هـ) .

(٣) أنشأها السلطان الناصر صلاح الدين يوسف المتوفى (٦٥٩ هـ) .

(٤) ليست في (أ) .

وكرم وحلم ، لاقَ بقلب الأفرم ، وكان لا يرى أنه في مُدَّة معرفته خَرَجَ وَلَا أُخْرِمَ ، هذا مع تشدُّدٍ في دينه ومهابة كأنما استعارها من الليث في عرينه ، أشعري الاعتقاد ، جوهرِي الفَحْص عن أمور مُبَاشَرته والانتقاد ^(١) ، وشعره عند الشعري ، صرَّ منه دُرّاً ، وغيره صرَّ بَعْرًا ^(٢) .

لم يزل على حاله إلى أن نقص كاله ، وفارقه أهله وولده وماله ، وتوفي رحمه الله تعالى بالكرك ، وقيل : بمنزلة (الحسا) سنة ثمانى عشرة وسبع مئة لأنه كان قد توجه إلى الحجاز .

ومولده بسنجار سنة ثلاث وخسين وست مئة .

ومن شعره ما اشتهر عنه أن كتب به إلى بدر الدين بن الدقاق ^(٣) ، وقال لي القاضي شهاب الدين بن فضل الله : إنما هو بدر الدين بن العطار :

مولاي بدر الدين صلْ مُدَنَقاً صَيَّرَهُ حُبُّكَ مِثْلَ الحِلَالِ
لا تَحْشَرَنَّ من عيب إذا زرتَه فما يُعَابُ البدرُ عند الكمالِ ^(٤)
فلما بلغ صدر الدين بن الوكيل ذلك قال : ^(٥)

يَا بَدْرُ لا تسمع كلام الكمال فكلَّ ما غنق زورَ محالٍ
فالنقص يَعْرِو البدرَ في تمه وربما يُخَسَفُ عند الكمال

وكتب الشيخ كال الدين إلى ابن الرقاعي ^(٦) ناظر النظار بدمشق يستعفيه من بيت المال وقد بلغه أنه سعى له فيها :

(١) في الأصل : الاعتقاد ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أشبه .

(٢) فيه تورية بلقب شاعر في العصر المملوكي .

(٣) محمد بن الدقاق ، صهر الشيخ صدر الدين ، وناظر أوقاف حلب ، (الوافي : ٣٣٧/٧) .

(٤) في الوافي : « عار » . وفي المنهل : « عار إذا زرتني » .

(٥) الشعر في المنهل : ٧٢/٢ .

(٦) أبو بكر بن عبد العظيم ، وستأتي ترجمته في موضعها .

وفي فضلك المعهود قَصْدِي وإِقْبالي
إِلَيَّ وفي مِصْرٍ على كلِّ أحوالي^(١)
تَمَلَّكْ رِقَّ الحَرِّ بالثَنِّ الغالي
هو الرزق لا يَأْتِي بِحِيلَةٍ مَحْتَالِ
وبالمدح مَهْمَا عَشْتُ مِنْ غَيْرِ إِخْلَالِ^(٢)
يَغْنِي بِهَا الحَادِي وَيَصْبُو بِهَا السَّالِي
لَهَا أَنْتَ مَسْئُولٌ فَلَا تَلْغِ تَسْأَلِي
عَلَيَّ بِإِحْسَانٍ بَدَأْتَ وَإِفْضَالِي
فَهَذَا عَلَى أَرْضٍ وَهَذَا عَلَى مَالِ
فَوَاللَّهِ مَالِي نَحْوَهَا وَجْهٌ إِقْبَالِ
لِرَاحَةِ قَلْبِي مِنْ زَمَانِي بِإِقْلَالِي
وَلِبْسِي أَسْمَالِي مَعَ الْعِزِّ أَسْمِي لِي
وَأَرْضِي بِيَالِي الثَّوْبِ مَعَ رَاحَةِ الْبَالِ^(٣)
لَتَغْتَنُوا أَجْرِي وَرَأْيَكُمْ الْعَالِي

إِلَى بَابِكَ الْمَيُونِ وَجْهَتِ أَسْمَالِي
وَأَنْتَ الَّذِي فِي الشَّامِ مَازَالَ مُحْسِنًا
أَتَتْنِي أَيَادٍ مِنْكَ فِي طَيِّبِ بَعْضِهَا
وَقَمْتُ بِحَقِّ الْمَكْرُمَاتِ وَإِنَّمَا
عَلَيَّ لَكُمْ أَنْ أَعْمُرَ الْعُمُرَ بِالثَّنِ
وَأُهْدِي إِلَيْكُمْ مَا حَيَّيْتُ مَدَائِحًا
وَقَدْ بَقِيَتْ لِي بَعْدَ ذَلِكَ حَاجَةٌ
أُرْخِي مِنْ وَאוِ الْوَكَالَةِ عَاطِفًا
وَصَنْ مَاءٍ وَجْهِي عَنْ مَشَاقِقَةِ الْوَرَى
وَلَا تَتَّأَوَّلُ فِي سَوْأَلِي تَرْكُهَا
وَرِزْقِي يَا تَبْنِي وَإِنِّي لَقَانِعٌ
وَحَالِي حَالٍ بِافْتِقَارٍ يَصُونِي
وَتَجْبَرُ وَقْتِي كَسْرَةَ الْخُبْزِ وَحَدَهَا
فَهَذَا إِلَيْكُمْ قَصَّتِي قَدْ رَفَعْتُهَا

فَقَطَّعَ الْآيَاتِ كُلَّهَا مِنَ الْوَرَقَةِ وَأَبْقَى الْبَيْتَ الْآخِرَ وَكَتَبَ تَحْتَهُ : رَأَيْنَا الْعَالِي أَنْ
تَعُودَ إِلَى شُغْلِكَ وَعَمَلِكَ .

وقال في القاضي حسام الدين لما عزل :

عُزِّلْتُ عَنْ أَحْكَامِكَ الْمُسْرِفَةِ
يَنْعَكَ الصَّرْفُ بِلَا مَعْرِفَةٍ^(٤)

يَا أَحْمَدَ الرَّازِي قُمْ صَاحِرًا
مَا فِيكَ إِلَّا الْوِزْنُ وَالْوِزْنُ مَا

(١) (أ) : « مازلت » .

(٢) (أ) : « أن عمر » .

(٣) (أ) : « وتجبر قلبي » .

(٤) في الوافي : « لا » .

١٦٦ - أحمد بن محمد بن أحمد*

ابن عمر بن يوسف بن عبد المنعم الأنصاري البخاري القنائي ، محي الدين بن كمال الدين بن ضياء الدين القرطبي .

كان شيخاً ثَبَتاً ، يلزم عدالة وصمتاً ، وله في بلده رياسة ظاهرة وأخلاق طاهرة .

سمع الحديث عن شرف الدين محمد بن عبد الله المرسي وغيره ، وحدث بقوص .

ولم يزل على حاله إلى أن غَمَزَتْ قنَاةُ القنائي يَدَ الموت ، وقام بنعيه إلى أصحابه الصوت ، وتوفي رحمه الله ببلده قنَا سنة تسع وسبع مئة .

١٦٧ - أحمد بن محمد بن أحمد بن مُحَمَّد**

علاء الدولة^(١) البياباني - بياء موحَّدة ، وباء آخر الحروا ، وألف وباء موحدة ، وبعدها ألف ونون وكاف - العلامة ركن الدين السَّمانِي .

تَفَقَّه وشارك في الفضائل ، وبرع في العلم وأجوبة المسائل .

سمع من عز الدين الفاروئي ، والرَّشيد بن أبي القاسم^(٢) ، ولبس منه عن السهروردي .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : أخذ عنه شيخنا صدر الدين إبراهيم بن حَمُوِيَه ، ونور الدين وطائفة .

وروى عنه سراج الدين القزويني المحدث^(٣) ، وإمام^(٤) علي بن مبارك

* الوافي : ٣٣٩/٧ .

** الوافي : ٣٥٦/٧ ، والدرر : ٢٥٠/١ ، والشذرات : ١٢٥/٦ .

(١) (أ) : « الدين » .

(٢) محمد بن أبي القاسم للقرئ الحنبلي رشيد الدين (ت ٧٠٧) ، ذيل المعين : ٣٩ ، والدرر : ١٥٠/٤ .

(٣) عمر بن علي (ت ٧٥٠) ، الدرر : ١٨٠/٣ ، وغاية النهاية : ٥٩٤/١ .

(٤) في الوافي : « إمام الدين » .

البكري^(١) ، وحدث (بصحيح) مسلم و (شرح السنة) للبغوي وبعده كتب ألفها وهي كثيرة ، قال البكري : لعلها تبلغ ثلاث مئة مصنف ، منها كتاب (الفلاح) ثلاث مجلدات^(٢) و (مصابيح الجنان) و (مدارج المعارج)^(٣) .

كان من بيت وزاره ، وعلى وجهه من النسك والورع إنارَه ، مليح الشكل خاشعاً ، ساكن الشر وادعياً ، كثير التلاوة ، ظاهر الطلاوة ، يخط على ابن عربي ويكفره ، وعلى من تابعه ، ويعفره ، ويخط على مصنفاته وينبه على محرفاته .

وكان كثير البر والإيثار ، هامي الجود على ذوي الإعسار ، يدخله من أملاكه نحو تسعين ألف درهم ينفقها في وجوه البر ويتصدق بها إما في الجهر وإما في السر .

زاره القان أبو سعيد واعتد بذلك أنه يوم عيد ، وبني خاتقاه للصوفية ، ووقف عليها وقوفاً مختلفة ، وكان قد داخل التتار أولاً ، واتصل بالقان أرغون^(٤) بن أبغا ، ونال من دنياه ما أمل وتبعا ، ثم إنه أقبل وأناب ، ورجع وتاب ، ومرض بتبريز زماناً طويلاً ، وامتد مرضه إلى أن كاد يأخذه أخذاً ويلاً ، ولما عوفي تعبد وتأله واختلى بعدما تجرد ، وقدم بغداد ، وصحب الشيخ عبد الرحمن وحج ثلاث مرات ، ورد إلى الوطن ، وخرج عن بعض ماله لنفقة المبرات ، وتردد كثيراً إلى بغداد .

ولم يزل إلى أن دنا من قبره وتدلّى ، وأعرض عن هذا العرض الفاني وولّى ، وكانت وفاته ليلة الجمعة بعد أن أوتر في شهر رجب الفرد سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بقرية يبابانك .

(١) علي بن مبارك شاه بن أبي بكر الشيرازي ولد (٧٠٩ هـ) ، وانظر : الدرر : ٩٧/٣ ، ولم يذكر سنة وفاته .

(٢) وهو مختصر لشرح السنة للبغوي . الكشف : ١٠٤٠/٢ .

(٣) الكشف : ١٦٤٠/٢ .

(٤) ليست في (أ) .

١٦٨ - أحمد بن محمد بن أحمد*

شهاب الدين الفار الشطرنجي ، ويعرف بالجرّافة^(١) .

كان المذكور صغير الحبة لطيفها ، كبير النفس شريفها ، عليه من لقبه إشارة لا يكاد يُخطئ شكل الفارة ، وكان في أكله آفة ، فلذلك لقب بالجرّافة .

وكان في الشطرنج عالية ، والناس في عشرته متغالية ، اجتمعت به غير مرة ، ولقيت بمحادثه كلّ مسرة ، وكان يحفظ من المواليا شيئاً كثيراً إلى الغاية ، وينظم هو أيضاً ماهو في بابه نهاية ، آخر عهدي به سنة سبع وثلاثين وسبع مئة ، ثم توجهت إلى الديار المصرية سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، ولم أره ولا سمعت خبره ، والظاهر أن الفار وثب عليه من الموت سنوّره ، وجاء من خمر المنيّة دؤوره .

وكان يوماً قد اقترح عليّ نظم بيتين مواليا يكون أول نصف كل بيت قلب القافية التي قبله ، وكان في المجلس أكبر ورؤساء من أهل الأقلام والمحابر ، وقال : إن هذا لا يقدر على نظمه ولا يعرف ناظم الوقوف على رسمه ، فقلت له : إلى أن تفرغ من دستك هذا تسمع وتطمح بطرفك إلى ما لا تطمع ، وكان الأمر كما ذكرت ، ولطف الله بما أشرت ، وقلت والقافية على ما أراه :

عمه عذولي علي قلبي لنارولذع عَذَل لَبْرَقُو بِآفاق التّسلي لَمَعُ^(٢)
عمل على نفع قلبي لو حصل لو نفع عُنَّ الحبايب وصالي كم لدمعي همع
وأنشدني هو من نظمه لنفسه^(٣) :

* الوافي : ٣٥٩/٧ ، والدرر : ٢٥٣/١ ، والمنهل الصافي : ٦٨/٢ .

(١) في المنهل : « وكان جده أحمد يعرف بالجرافة » .

(٢) (أ) : « بأثار التسلي » .

(٣) في الأصل : « لفظه نفسه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أشبه .

حبِّي الذي ما حوت مثلود من سنجار
لو خدَّ أحمر وخال أخضر حكى الزنجار
وأنشدني له ^(١) أيضاً :

حبِّي الذي في مديحو يعجز المحار
لو لحظ تركي فديتو بابلي سحار
وأنشدني له أيضاً :

جواد صبري لبعده الحبّ مني خار
ظبي يخير الجواهر وهو من فخار
وأنشدني له أيضاً :

وهبت للحبّ مركوبي وهو غدار
ناديت يا منيتي يا عالي المقدار
وأنشدني له أيضاً :

حبّيت عطار لحظو في المهج جزار
صادق إذا قال هو في الوعد لا نزار
وأنشدني له أيضاً :

سلطان حسنو قد أرسل للمهج أفكار
نكس بقدو عصايب ساير الأبقار
وأنشدني له أيضاً :

(١) (أ) : « لنفسه » .

وَدَقَّت الدف أجرت أدمعي أمطار
لما استمع لبّ قلبي من يديها طار^(١)
وَأَنشَدَنِي لَهُ أَيْضاً :

ترجّلوا من على نجبٍ غدت أطوار
فخلت تلك المعاطف في ضيا الأكوار
وَأَنشَدَنِي لَهُ أَيْضاً :

بَسَّالْفَوْ خِمْلَ يَنْمُو مِثْلَ خَضْرَا غَار
رِشَا وَفَالِي عَلَى كَيْدِ الْعِدَا فِي غَار
وَأَنشَدَنِي لَهُ أَيْضاً :

جَانِي بَشِيرٍ أَتَى مَقْبَلٍ وَأَطْفَا نَار
وَارْتَجِي إِقْبَالَ سَاعَةِ نَصْرٍ مِنْ خُنَّار
وَأَنشَدَنِي لَهُ أَيْضاً :

مَنْ أَمَّهَا فِي الْقِيَادَةِ أَصْبَحَتْ آفَةٌ
فَكَيْفَ يُمْكِنُ تَجِيٍّ فِي الْقَصْفِ خَوَافُهُ
وَأَخْتَهَا فِي رَبْوَعِ الْحَيِّ وَقَافَةٌ
وَسَتْهَا الْأَصْلَ شَامِيَةً وَطَوَافَةٌ

١٦٩ - أحمد بن محمد بن الرفعة*

الشيخ الإمام العلامة نجم الدين بن الرُّفْعَةِ الشافعي .

(١) هما في المنهل : ٦٨/٢ .

(٢) في الوافي : « جاز » .

(٣) (أ) : « في الهوى » .

(٤) هما في المنهل : ٦٩/٢ .

* الوافي : ٣٩٥/٧ ، وذيل العبر : ٥٤ ، والبداية والنهاية : ٦٠/١٤ ، والنجوم : ٢١٣/٩ ، وطبقات =

شيخ المذهب ، ونسيج وَخْدِه في طرازه الْمُدْهَب ، لو عاصَرَهُ الْمَرْبِي^(١) لَعُدَّ قَطْرَةً من بحره ، أو ابن سُرِيح^(٢) لما عَلَا في الذكر صهوة ظهره .
ولي حَسْبَة مصر والوجه القبلي مَدَّة^(٣) ، وناب في الحكم وَعَزَلَ نفسه لِمَا عَالَجَهُ من الشَّدَّة .

وكان حَسَنَ الشَّكْلِ بَهِياً ، فصيح الألفاظ ذكياً ، كثير الإحسان إلى الطلبة ، قائماً في قضاء حوائجهم بالتلطف والغلبة ، يجود لهم بعلمه ، وماله ولا يبخل عليهم بجاهه وإضفاء ظلاله .

شرح (التنبيه)^(٤) في خمسة عشر مجلداً ، وشرح (الوسيط)^(٥) ولم يكمله ، وهما شرحان يشهدان له بالرفعة في هذا الشأن وعلو الرتبة التي يسفل عن مكانها كيوان . ورأيت شيخنا شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي يكثر الثناء عليه ويصفه بمعرفة فروع المذهب وإتقانها وإجرائها على قواعدها الأصلية في مكانها . ويكفيك أنه في زماننا لا يُطلق اسم (الفقيه) إلا عليه ، ولا يشيرون بذلك في الدروس إلا إليه .

= الشافعية : ١٧٧/٥ ، والدرر : ٢٨٤/١ ، والشذرات : ٢٢/٦ ، والمنهل الصافي : ٨٢/٢ ، وطبقات السبكي : ٢٤/٩ .

- (١) إسماعيل بن يحيى صاحب الشافعي (ت ٢٦٤ هـ) ، وفيات الأعيان : ٧١/١ .
- (٢) أحمد بن عمر البغدادي فقيه الشافعية في عصره (ت ٣٠٦ هـ) ، وفيات الأعيان : ١٧/١ ، والسير : ٢٠١/١٤ .
- (٣) (أ) : « ولي حَسْبَة القاهرة مَدَّة » .
- (٤) في فروع الشافعية ، ألفه إبراهيم بن علي الفقيه الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ) ، وأشار صاحب الكشف : ٤٩١/١ إلى شرح ابن الرفعة ، واسمه : كفاية النبيه في شرح التنبيه ، وهو مخطوط كا في الأعلام للزركلي : ٢٢٢/١ .
- (٥) للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) ، واسم الشرح : الْمُطْلَب ، وذكر صاحب الكشف : ٢٠٠٨/٢ أنه في ستين مجلدة .

أخذ الفقه عن الظهير التّزْمَنِي^(١) ، والضياء جعفر بن الشيخ عبد الرحيم القنائي^(٢) وغيرها .

وسمع من محيي الدين الدّميري^(٣) ، ودرّس بالمعزّية ، وحدث بشيء من تصانيفه ، وله مصنف سماه (النفائس في هدم الكنائس)^(٤) .

ولم يزل في اشتغال وتصنيف إلى أن عَطَلَ من كفه قلمه وفقد الناس ذلك الدر الذي^(٥) يخرج منه ، وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة عشر وسبع مئة ، وقد شاخ .

١٧٠ - أحمد بن محمد بن سعد**

ابن عبد الله بن سعد بن مفلح الشيخ الصالح الفاضل المسند عماد الدين بن الأديب العالم شمس الدين المقدسي الصالحي الحنبلي .

روى عن المجد القزويني ، وابن الزبيدي ، والإربلي ، وابن اللّتي ، وابن المقير ، وأجاز له الموفق [و]^(٦) فتح الدين بن عبد السلام^(٧) ، ومسمار بن العويس^(٨) .

(١) هو ظهير الدين التّزْمَنِي ، توفي (٦٨٢ هـ) . والتّزْمَنِي : نسبة إلى تزمنت ، بفتح فسكون ، من بلاد الصعيد ، كما جاء في طبقات السبكي : ١٣٩/٨ .

(٢) جعفر بن محمد بن عبد الرحيم الحسيني القنائي (ت ٦٩٦ هـ) ، الشذرات : ٤٣٥/٥ .

(٣) عبد الرحيم بن عبد المنعم المصري (ت ٦٩٥ هـ) ، الشذرات : ٤٣١/٥ .

(٤) الكشف : ١٩٦٦/٢ .

(٥) (أ) : « الذي كان » .

* الوافي : ٤٠٢/٧ ، والشذرات : ٤٥٥/٥ ، والمنهل الصافي : ٨٤/٢ .

(٦) زيادة يقتضيها السياق ثابتة في (أ) ، والوافي ، والمنهل .

(٧) الفتح بن أبي منصور ، عبد الله بن محمد بن عبد السلام مسند العراق (ت ٦٢٤ هـ) ، السير :

٢٧٢/٢٢ .

(٨) هو مسمار بن عمر بن محمد (ت ٦١٩ هـ) ، السير : ٢٥٤/٢٢ .

وحدّث قبل الستين ، وحجّ مرات ، وحدّث بالحجاز وحماة ودمشق إلى أن ناحت به النوائج ، وقامت في نادية الصوائج .
توفي رحمه الله تعالى سنة سبع مئة في المحرم .

١٧١ - أحمد بن محمد بن سالم بن أبي المواهب*

الحافظ الشيخ الإمام العالم قاضي القضاة نجم الدين أبو العباس بن صَـرَى الرَّبَعِيّ التَّغْلِبِيّ الدَّمَشْقِيّ الشَّافِعِيّ .

حضر على الرشيد العطار^(١) سنة تسع ، والنجيب عبد اللطيف . وسمع بدمشق من ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليسر ، وجدّه لأمه المسلم بن علان . وتفقّه على الشيخ تاج الدين^(٢) .

ودخل ديوان الإنشاء في ذي الحجة سنة ثمانٍ وسبعين وست مئة هو وشهاب الدين أحمد بن غانم^(٣) ، ونظّم ونثر ، وكتب المنسوب ويهر فيه لَمَّا مَهَر ، وكان قلمه أسرع من رجح الطُرف ، ومن الذين يعبدون الله في الشّريعة على حَرْف .

قيل : إنه كتب خمس كرايس في يوم ، وهذا أمر قلّ أن يُعْهَدَ من قوم . شارك الناس في فنون ، وكان عنده من المسائل عيون ، له عبارة فُصْحَى ، وحافضة^(٤) لا تقبل ردّ السرد نصحا . يحفظ أربعة دروس لمُدَارِسِهِ^(٥) ، ويلقيها من فمه ويطلع في آفاقها

* الوافي : ١٦/٨ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٩٠ ، والبداية والنهاية : ١٠٦/١٤ ، وفوات الوفيات : ١٢٦/١ ، وطبقات الشافعية : ٢٠/٩ ، والدرر : ٢٦٣/١ ، والشذرات : ٥٩/٦ ، والنهل الصافي : ٩٧/٢ .

(١) هو يحيى بن علي بن عبد الله (ت ٦٦٢ هـ) وقد سلفت ترجمته .

(٢) الفركاح كما ذكر صاحب الدرر ، وتاج الدين هذا هو : عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري (ت ٦٩٠ هـ) ، الدارس : ٨٠/١ ، والشذرات : ٤١٣/٥ .

(٣) أحمد بن محمد بن سليمان بن غانم ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) في الأصل : « وحافظ » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٥) الفزالية ، والعادلية ، والناصرية ، والأتابكية ، كما في الوافي .

بدور سطورها كأنها يكتبها بقله ، ولا يكاد أحد يسبقه بسلام ، ولا يسمع في العفو وبالصفح عمن يؤذيه كبير عدل أو صغير ملام . اشتهر بذلك وعرف ، وسار ذكره بذاك واسمه أحمد وصُرف .

وله أموال ضخمة وممالك وخدم وحشم وحشمة ، وينطوي على تعبد وديانة وعفة في الأحكام وأمانة ، وكان بصيراً بالأحكام مسعوداً فيها ، قل أن أتى إليه شاهد زور إلا وعرفه بديهاً ، وعرفه الناس بذلك فلم يسلك معه أحد هذه المسالك ، وكان يخدم القادمين ويزورهم ويتردد إليهم^(١) وغيرهم ، وهداياه تضرب في أقطار الأرض إلى أعيان الدولة ومن دونهم من أرباب الصون أو الصولة ، ولذلك طالت مدته وعلى كنفه كبار المذهب وأشياخه ، ومحدثلقوه وأشتراره وفراخه ، وعصره ملآن الجوانح بالأنداد والأضراب ، وفي وقته من يقول : لو^(٢) أنصف لرآه وهو على^(٣) بابيه بواب ، ومع ذلك فلم يتكدر عليه شرب ولا تنفر له بما لا يشتهيهِ سِرْب ، وله أصحاب وأتراب منحدون^(٤) ، وعشراء وخلطاء لبلاغه أخبار الناس متصدّون ، يواصلونه في كل يوم ولا^(٥) يصدّون ، ويجمع الناس عنده في^(٥) بستانه اجتماعاً عاماً ، ويمد لهم خواناً قد نوع فيه طعاماً يرون فضله تاماً ، إلى غير ذلك من أنواع الحلوى^(٦) ، والمأكل التي لا من فيها ولا سلوى . يقصده الشعراء في المواسم ، ويرون ثغور جوده وهي بواسم ، لا يخشون مع ذلك بوابه ولا عينه ولا حجابته^(٧) ، ويعتدّ هو أن تلك الجائزة واجبة .

(١) في الأصل : « إليه » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) (أ) : « إنه لو » .

(٣) في الأصل : « هو وعلى بابيه » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٤) (أ) : « به متحدون » .

(٥) (أ) : « وهم لا » .

(٦) (أ) : « يوم السبت في » .

(٧) (أ) : « أنواع الفواكه والحلوى » .

(٨) في الأصل « حاجبه » وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أنسب .

وكان قد اشتغل بمصر على الأصهباني^(١) في أصول الفقه ، ودرّس بالعادليّة^(٢) الصّغرى ، وبالأمنيّة^(٣) ، ثم بالغزاليّة^(٤) ، مع قضاء العسكر ومشیخة الشيوخ ، وولي القضاء سنة اثنتين وسبع مئة ، وأذن لجماعة في الإفتاء ، وخرّج له الشيخ صلاح الدين العلّائي مشیخة فأجازه عليها بجملة .

ولم يزل على القضاء إلى أن نزل به القضا ، وقضى نحبه ، فأدّى حقّ العدم وقضى . وتوفي رحمه الله تعالى فجاءة في نصف شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

وكان مولده سنة خمس وخمسين وستئة .

ورثاه شيخنا العلامة شهاب الدين محمود وغيره .

ولشعراء زمانه فيه أمداح كثيرة . وكان العلامة شهاب الدين محمود قد كتب إلى الأمير علم الدين سنجر الدواداري^(٥) يهنّيه بفتح طرابلس ، ويصف جراحةً أصابته بقصيدة أولها :

ما الحربُ إلا الذي تَدْمِي به اللَّمَمُ والفخرُ إلا إذا زان الوجوه دَمُ
ولا ثبات لمن لم تلقَ جبهَتَه حدَّ السيوف ولا تُثْنِي له قَدَمُ^(٦)

(١) هو شمس الدين ، محمد بن محمود ، العجلي الأصهباني (ت ٦٨٨ هـ) وسلفت ترجمته .

(٢) هو يحيى بن علي بن عبد الله (ت ٦٦٢ هـ) وقد سلفت ترجمته .

(٣) قبلي باب الزيادة من أبواب الجامع الأموي ، بناها أمين الدين كشتكين بن عبد الله ، الدارس : ١٣٢/١ .

(٤) المدرسة الغزالية بدمشق .

(٥) هو سنجر بن عبد الله البرنلي التركي (ت ٦٩٩ هـ) .

(٦) في المنهل الصافي : ٩٩/٢ .

فكتب الجواب عن ذلك قاضي القضاة نجم الدين ابن صصري :

وَاقَى كِتَابَكَ فِيهِ الْفَضْلُ وَالْكَرَمُ
وَجَاءَ مِنْ بَحْرِ قَدَسٍ وَطَمَى
وَصَفَتْ حَالِي حَتَّى خَلْتُ أَنَّكَ قَدْ
وَمَا جَرَى فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُحْتَسَبٌ
وَجَاءَنَا النُّصْرُ وَالْفَتْحُ الْمُبِينُ فَلَوْ
غَدَا الْعَدُوُّ ذَلِيلًا بَعْدَ عِزَّتِهِ
قَدْ فَرَّقَ الْجَمْعَ مِنْهُمْ عَزَمَ طَائِفَةٌ
تُرْكُ إِذَا مَا اتَّضَوْا عِزْمًا لَهُمْ تَرَكَوْا
لَمَّا بَقِيَ الْعَدَى خَاضَتْ سِيُوفُهُمْ
حَازُوا الثَّوَابَ الَّذِي رَامُوا وَبَعْضُهُمْ
وَكُنْتُ مُشْتَغَلًا فِي يَوْمٍ كَسَبَهُمْ
فَكَيْفَ يُطَلَّبُ مِنِّي الْأَرْفَعَانُ وَقَدْ
أَلَسْتُ أَنْتَ الَّذِي قَدْ قَالَ مُبْتَدَأٌ
هَجَمْتَهُ وَسِيُوفُ الْهِنْدِ مُصْلَتَةٌ
وَكَانَ هَمُّكَ فِي الْأَرْوَاحِ تَكْسِبُهَا

فَجَلَّ قَدْرًا وَجَلَّتْ عِنْدِي النِّعَمُ^(١)
دُرُّ الْمَعَانِي فِي الْأَلْفَاظِ تَنْتَضِمُ^(٢)
شَاهِدَتَهَا وَلَهِيْبُ الْحَرْبِ تَضْطَرُّمُ^(٣)
فَهُوَ الَّذِي لَمْ يَزَلْ تَسْمُو لَهُ الْهِمَمُ^(٤)
شَاهَدَتْ نَوْرَ الظُّبَى تُجَلَّى بِهِ الظُّلْمُ
حُلِّيَ أَجْيَادُهُمْ بَعْدَ الْعُقُودِ دُمُ
لَمْ يَثْنِ هِمَّتَهَا يَوْمَ الْوَعَى سَاءَ
أَمَامَهُمْ كُلٌّ جَمْعٌ وَهُوَ مُنْهَزِمٌ
صَلَّتْ فَقَبَّلَهَا يَوْمَ الْوَعَى الْقَمَمُ
فَازُوا بِمَا كَسَبُوا مِنْهَا وَمَا غَنَمُوا
عَنْهُ بِمَا كَسَبَهُ عِنْدِي هُوَ النِّعَمُ^(٥)
شَهِدَتْ لِي وَلِهَذَا بَيْنَنَا حَكْمٌ
وَذَاكَ قَوْلٌ بِحَكْمِ الْحَقِّ مُلْتَزِمٌ
وَعُدَّتْ وَالسَّبْيُ وَالْأَمْوَالُ تَقْتَسِمُ
وَهُمْ غَيْرُكَ فِيهَا الْمَالُ وَالنِّعَمُ

(١) في الأصل : « خَلَّت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، وهي أنسب .

(٢) في الوافي : « مَنْ يَخْرِفُ فَضْلَ » .

(٣) في الأصل « لَهِيْبُ الْحَزْنِ » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

(٤) (أ) : « بِهِ الْهِمَمُ » .

(٥) (أ) ، والوافي : وقت .

ورثاه جماعة من شعراء عصره منهم العلامة شيخنا أبو الثناء ، أنشدنيها إجازة وهي قصيدة عَظُمَى يَرَوَى بها مَنْ يظلم :

أترى دَرَى داعي المنيّة مَنْ دَعَا
أم أيّ طودٍ حجّى ترفّع في العُلا
أم أيّ نجمٍ هدى هوى من بعدما
أم هل درى ناعيه أن الدين والـ
أصمى فؤادَ الحكم سَهْمٌ فجِيعَةٌ
وأعاد شرح الشرع أضيع ساءم
لله أي رزيّة أضحى بها
طرقت جناباً بالفضائل أهلاً
وردت مَعين ندى قفاض وقد طمى
ما خصّ ما طرقت به خلاصاء
قاضي القضاة وَمَنْ حوى رتباً سَمَتْ
شيخ الشيوخ العارفين وَمَنْ رقا
يأتم منه السالكون بعارفٍ

أم أيّ ركنٍ للشريعة ضُعُعا^(١)
عصفت به ريح الصبا فتصدّعا
ردّ الكواكب عن مداه طُلُعا
تقوى ونَشْر العدل أوّلُ مانعي
لم يبق في قوس النكاية منزعا
لما رماه بقصد أفضل من رعى
قلب الهدى حين السكون مروّعا^(٢)
فَنَنَّتْهُ مِنْ رَبِّ الفضائل بَلُعا
ورنت إلى نَوء النوال فأتلعا
بل عَمَّ فادحها البريّة أجمعا^(٣)
عَنْ أَنْ تُسَامَ سناً وبزّت مَنْ سعى
رتب السلوك تعبّداً وتورّعا
بلغ العناء به المقام الأرفعا^(٤)

(١) : « دعا داعي » .

(٢) : « بعد الكون » .

(٣) : « ما طرقت قصداً به خلاصاؤه » .

(٤) « بلغ العناء والمقام الأرفع » .

وجرت له عين اليقين ففجّرت
 حاوي العلوم فما تفرّق في الورى
 بهّرت خلال كاله فسيادة
 وخلائق كالروض دبّجه الحيا
 وتواضع أمسى سناء كنّفته
 ورياسة مُذ كان لم نعرف لها
 ووفور حلم إن يضق عن مذهب
 وكتابة يكسو السجلّ جلالها
 وبلاغية لا قلب إلا ودّ أن
 وفصاحة في القول أتقن علمها
 وثبّت في حكمه ومضاؤه
 وعبارة كالنيل نيل يّانها
 وعبادة في الليل يجزيه بها
 منّ للأيامى واليتامى فارقوا
 منّ للجدال تضايقت طرق الهوى
 منّ للقضايا العقم أصبح وجهها
 ولكمّ له من قبل غرّ رسائل
 من كلّ شاردة ترفع قدرها
 الدهر أبخل حين جاد بثله
 فأعاد وجه الأرض منه مجدياً

في حالتيه لكلّ ظام منبعاً^(١)
 إلا الذي منها لديه تجمّعاً^(٢)
 لا ترتقى ومكارم لا تُدعى
 أصلاً فوشى خلّتيه وشعاً
 يدنّو وقد سكن السماء ترّفعاً
 إلا إلى رتب الكمال تطلّعاً
 عذراً أقام العذر عنه ووسّعاً
 تاجاً يزين النيّرات مرّصعاً
 تملّى وتشرّ لو تحوّل مسمّعاً^(٣)
 نظماً ونثراً حين حازها معاً
 تعنوله البيض القواضب خضعاً
 مع أنها أروى وأعذب مشرعاً
 في الحشر منّ يجزي السعود الركعاً
 بالرغم ذاك الكافل المتبرّعاً
 فيه يبين به الطريق المهيّعاً
 إلا عن الذهن السليم مبرقعاً
 أبدى بها دُرّر البيان فأبدعاً
 أن يرتقى وسيلها أن يتبعاً
 من أن يُديم به الوجود مُمتّعاً^(٤)
 كلّحاً وبطن الأرض منه مُمرّعاً

(١) : « اليقين بفيضها ... ظام أشبعها » .

(٢) في طبقات السبكي : « بما تفرق .. منها إليه .. » .

(٣) : « إذ تملّى وتشرّ أن تحول » .

(٤) : « أن يجود » .

يَا مَنْ يَقِلُّ لَهُ الْبُكَاءُ وَلَوْ غَدَا
لَوْ سَأَلَ الدَّهْرُ امْرَأً لَكَأَلَهُ
لَكِنَّهُ الدَّهْرُ الَّذِي سَاوَى الرَّدَى
فَلَأُبْكِيَنَّكَ مَا حَيِّتُ وَمَا الْبُكَى
وَلَأُلْبَسَنَّ عَلَيْكَ ثُوبَ كَابَةِ
وَلَأُبْعَثَنَّ مِنَ الرِّثَاءِ قَوَافِيَا
وَلَأَمْنَعَنَّ عَيْنِيَّ بِعَدِكَ إِنْ جَفَا
وَيَقِلَّ ذَاكَ فَإِنَّهَا جَهْدُ الْأَخِ الْ

ذُوبَ الْقُلُوبِ أَسَى يَمُدُّ الْأَدْمُعَا^(١)
لَغَدَا لَنَا فِي خُلْدٍ مِثْلَكَ مَطْمَعَا
فِيهِ الْأَنْبَاءُ عَصِيْهُمْ وَالطَّيْعَا
فِي فَقْدٍ مِثْلَكَ يَا خَلِيلِي مَقْنَعَا
مَهْمَا تَمَادَتْ مُدَّتِي لَنْ يُنْزَعَا
مَحْزُونَةٌ تُبْكِي الْأَحْمَامَ السُّجْعَا
طَيْفُ الْخِيَالِ جُفُونَهَا أَنْ تَهْجَعَا
مَحْزُونُ أَنْ يُبْكِيكَ أَوْ يَتَفَجَّعَا

قلت : هذا القدر منها كافٍ ، وقد بقي منها خمسة وعشرون بيتاً .

١٧٢ - أحمد بن محمد بن سلمان بن حمائل*

القاضي الكاتب الأديب شهاب الدين أبو العباس بن غانم ، هو ابن بنت الشيخ القدوة غانم^(٢) ، وكان يذكُر نسبَه إلى جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، أملاه من فهِ على الشيخ أنير الدين أبي حيّان .

سمع من ابن عبد الدائم ، وقرأ على ابن مالك جمال الدين ، وخرّج له البرزاليّ مشيخةً ، منهم ابن أبي اليسر وأيوب الحمّامي ، والزّين خالد ، وعبد الله بن يحيى البانياسي^(٣) ، ومحمد بن النّشّي ، ويحيى بن النّاصح^(٤) ، وعرض على الشّيخ

(١) (أ) : « وإن غدا » .

* الوافي : ١٧/٨ ، وفوات الوفيات : ١٢٧/١ ، والبداية والنهاية : ١٧٨/١٤ ، والدرر : ٢٦٥/١ ، والشذرات : ١١٤/٦ ، والمنهل الصافي : ١١٤/٢ ، وفيه : « ابن سليمان بن حمائل » .

(٢) غانم بن علي بن إبراهيم المقدسي النابلسي ، (ت ٦٣٢ هـ) . الشذرات : ١٥٤/٥ .

(٣) (ت ٦٦٣ هـ) . العبرة : ٢٧٤/٥ .

(٤) يحيى بن الناصح عبد الرحمن بن نجم بن الحنبلي ، (ت ٦٧٢ هـ) ، العبر : ٣٠٠/٥ .

جمال الدين بن مالك كتابه « العُمدة »^(١) ، وبعده على ولده^(٢) بدر الدين . وقرأ الأدب على مجد الدين بن الظهير^(٣) .

وفارق أباه وهو صغير وتوجّه إلى السماوة ، ونزل على الأمير حسين من^(٤) خفاجة ، وأقام عنده مدةً يصليّ بفي شيء من العلوم ، وكان الوقت قريب العهد بخراب بغداد ، وتشتّت أهل بغداد في البلاد ، فظنّ به أنّه ابن المستعصم الخليفة ببغداد ، واشتهر ذلك عنه ، واتّصل خبره بالظاهر بيبرس ، فلم يزل في اجتهاد إلى أن أقدمه عليه لما أمه من أمره ، فلمّا مثل بين يديه قال له : ابن من أنت ؟ فوفّق^(٥) ذلك الوقت لمصلحته وقال : ابن شمس الدين بن غانم ، فطلب والدته من دمشق إلى القاهرة ، وحضراً بين يديّ الظاهر فاعترف والده به ، فقال له : خذه ، فأخذه وتوجّه به إلى دمشق .

وكان قد كتب الإنشاء بدمشق وبمصر^(٦) وبصفد وبغزة وبقلعة الروم ، ثم توجّه إلى اليمن ، وخرج منه هارباً ، وقاسى شدائد من العُربان وتخطّفهم له حتّى وصل إلى مكة ، وكان سببُ خروجه إلى اليمن أنّه كان يكتب الدُرَج^(٧) بين يدي الصّاحب شمس الدين غزّيال^(٨) فاتّفق أن هربَ مملوكٌ للأمير شهاب الدين قرطاي^(٩) نائب طرابلس ، فكتب بسببه إلى الصّاحب ، فوفّق عليه ، فظفر به وجهّزه إلى مخدومه ،

(١) « عمدة الحافظ وعدة اللافت » مقدّمة في النحو ، ولابن مالك شرح عليها ، والشرح مطبوع .

(٢) في الأصل : « والده » ، سهو ، وأثبتنا ما في « أ » .

(٣) محمد بن أحمد بن عمر الإربلي ، (ت ٦٧٧ هـ) ، الجواهر المضيئة ٥٢/٣ ، والشذرات : ٣٥٩/٥ .

(٤) (أ) : « بن » ، تحريف ، وهو حسين بن فلاح ، كما في الوفيات : ٣١٧/٦ .

(٥) وكذا هي في أصل الوافي ، وصيّرها المحقّق إلى « فوقف » .

(٦) ليست في (أ) .

(٧) كتاب الدرج هم الطبقة الثانية من موظفي ديوان الإنشاء ، سمّوا بذلك لكتابتهم في درج الورق .

(٨) في الأصل : « غزّبال » ، تحريف . وهو عبد الله بن الصنيعة ، (ت ٧٣٤ هـ) .

(٩) ستأقّي ترجمته في موضعها .

وقال لشهاب الدين : اكتب على يده كتاباً إلى مخدمه واشفع فيه ، فكتب شهاب الدين الكتاب وتأنق فيه ، وجاء من جملة ذلك : وإذا خَشَنَ المقرَّ حَسَنَ المقرَّ ، وتوهم شهاب الدين أنَّ ذلك يُعجب الصَّاحِبَ ، فلمَّا وقف عليها^(١) أنكرها دون ما في الكتاب ، وقال : يا شهابَ الدين غَيِّرْ هذه فإنَّها وحشة ، فطار عقل شهاب الدين ، وضرب بالدواة الأرض ، وقال : ما أنا ملزوم بالغُلف القُلف^(٢) ، وخرَجَ من عنده وتوجَّه إلى الحجاز ، ودَخَلَ من مكَّة إلى الين ، وتلقاه الملك المؤيَّد^(٣) ، وأحسن إليه إحساناً زائداً ، وجعله كاتبَ سرِّه ، فلم يَطِبْ له المقام ، وهربَ بعد خمسة أو ستَّة أشهر ، وقَلِمَا خرج من مدينة إلّا وهو مختفٍ .

وكان كاتباً مترسلاً ، عارفاً بمقاصد الكتابة متوسلاً ، يَسْتَحْضِر من اللُّغة جانباً وافراً ، ويُبدي في المنادمة وجهاً بالحاسن سافراً ، ويؤرِدُ من كلام المعرِّي قطعة كبيرة قد حفظها غائباً ، ويرمي منها سَهْماً في البلاغة صائباً ، خصوصاً من (اللُّزوميَّات) ، وماله من العِظَات والزهدِيَّات . وإذا تكلم تَفِيهُق ، وتنطَّع^(٤) في كلامه وتمنطق ، ويأتي في ترسله بالغريب ، والحوشي العجيب ، وإذا فكَّر بشيء فكَّر ، وغاص في^(٥) المعاني وتذكَّر ، ووضع شَعْرَ ذَقْنِهِ في فيه وقرَّضه^(٦) ، وقال الشَّعرَ وقرَّضه ، ويحوم بكلامه على المعنى المُقصود زماناً ، وما يكسوه مع ذلك يباناً ، وكان مِتَّع الكلام ، بريئاً من النقص^(٧) والملام ، لا يعبأ بملبس ولا مأكَل ، ولا يتكلَّف لشيء سِوَى أَنَّهُ

(١) (أ) : « عليه » .

(٢) الأغلف الأقلف : الذي لم يختن . يعرض به لأنه كان نصرانياً .

(٣) صاحب الين ، داود بن يوسف بن عمر ، (ت ٧٢١ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) في الأصل : « يتفهق » ، وفي (أ) : « تقطع » ، تحريف .

(٥) كذا في الأصل . وفي (أ) : « وإذا أنشأ فكَّر وغاص على .. » ، ولعلها أنسب ، يؤنس بذلك ما وقع

في الوافي : « وكان إذا أنشأ أطال فكره » .

(٦) في الأصل : « وقرظه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والدرر .

(٧) (أ) : « التنقص » .

يعقلها ويتوكل ، يلبس المججم^(١) القطن الصوفي ، والمقدرة الصوف^(٢) ، والطول المقفص^(٣) المعروف بأهل إسكندرية الموصوف ، وخاتمة كان سواراً ، وفصه يعمل منه شواراً^(٤) ، وكان يتحدث بالتركي والعجمي والكردي ، وإذا سافر خلع حلة الكتاب ولبس حلة البدوي أو الجندي ، مع تندير وتنديب وتطاريب وتطريب^(٥) .

وكان قد أحبه صاحب حماة المنصور^(٦) ، وجعل ظله^(٧) ممدوداً غير مقصور ، حضر يوماً سباطه وكان أكثره مرقاً ، وقد أضرم منه الجوع حرقاً ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم نويت رفع الحدث واستباحة الصلاة ، الله أكبر . وكان المظفر بن المنصور^(٨) يكره ابن غانم ، فاغتم الواقعة فيه وقال لأبيه : اسمع ما يقول ابن غانم يعيب طعامك ويشبهه بالماء^(٩) ، فعاتبه المنصور على ذلك ، فقال : هذا ما قصدته ! ولكن البسلة في كل أمر^(١٠) مستحبة ، والحدث الذي نويت رفعه حدث الجوع واستباحة الصلاة في الأكل ، فقال : فما معنى (الله أكبر) ؟ قال : على كل ثقيل ، فاستحسن المنصور منه ذلك . وخلع عليه .

وخرج مرة مع المنصور إلى شجريات المعرة ، وقد ضربت الخيام وامتلا الفضاء

(١) أي المداس ، معربة .

(٢) قوله « المقدرة الصوف » خلت منها « أ » ، وهي عبارة قلقه . وجاء في الوافي : « يلبس البابوج الذي يلبسه الصوفية » . وكذلك في المنهل .

(٣) ثوب مقفص : مخطط كهيئة القفص .

(٤) أي زينة .

(٥) (أ) : « تندير وتنديب وتطاريب » . تحريف .

(٦) ناصر الدين أحمد بن الملك المظفر محمود ، (ت ٦٨٣ هـ) . تاريخ أبي الفداء : ١٨/٤ .

(٧) (أ) : « ظله عليه » .

(٨) الذي في الوافي : « فلما وضع قال شهاب الدين لما قيل الصلاة : نعم ، بسم الله » .

(٩) تقي الدين محمود ، (ت ٦٩٨ هـ) ، تاريخ أبي الفداء : ٤١/٤ .

(١٠) في الوافي : « بالماء الذي يرفع به الحدث » .

(١١) (أ) : « حال » .

وما رأى الدخول إلى الخربشت^(١) ، فصعد إلى شجرة لِيَتَحَلَّى والمنصور يراه ، فأرسل إليه شخصاً ليرى ما يفعل ، فلمّا صار تحت الشجرة وقد تهيّأ لقضاء شغله فقال له : أطعمني من هذه التينة ، [فقال له : خذْ ، وسلِّحْ عليه سلاحاً ملأت وجهه ، وتركته عبرةً ، فقال : ما هذا ؟ قال : أطعمتك من التينة]^(٢) ، فلمّا اطّلع المنصور على القضية خرّ مغشياً عليه من الضحك .

وكان ليلةً في سماعٍ ، فرقصوا ثم جَلَسُوا ، فقام من بينهم شخص وطال الحال في استماعه وزاد الأمر ، فظلّ شهاب الدّين مطرّقاً ساكناً ، فقال له شخص آخر : مابك مطرّقاً كأننا يوحى إليك ؟ فقال نعم ﴿ قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ﴾^(٣) .

واجتمع ليلة عند القاضي كريم الدّين الكبير في موضع^(٤) بعلاء الدّين بن عبد الظّاهر يتحدّث معه ، فجاء إليه شخصٌ وقال له : معاوية الخادم يريد الاجتماع بك ، فقال : وألّك^(٥) ! مَنْ يفارق عليّاً ويروح إلى معاوية ؟!

وكتب إلى قاضي القضاة جمال الدّين بن واصل^(٦) ، وقد أقعده بحجة في مكتب عاقداً^(٧) ، وفيه السّيف علي بن مُعِيزِل^(٨) :

مولاي قاضي القضاة يامن	له على العبء ألف منهُ
إليك أشكو قرين سوءٍ	بليت منهُ بألفٍ محنهُ
شهرته يئننا اعتداءً	أغمده فالسيف سيف فتنهُ

(١) موضع قضاء الحاجة ، وليست بالعريّة .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من الأصل ، وهو ثابت في (أ) والوافي .

(٣) سورة الجن : ١ .

(٤) في الوافي : « في مولد » .

(٥) غامية ، فصيحها : « ويلك » .

(٦) محمد بن سالم ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٧) (أ) : « عامداً » .

(٨) الوافي : ٢٢/٨ ، وكذا ماسيأتي من أشعار .

وكتبَ إلى قاضي قلعة الروم وقد جاءه ولد سماه أنساً واسمُ أبيه مبارك :

تَهَنُّ يَا مَبَارَكًا بِالْوَلَدِ الْمَبَارَكِ
بِمن سَمَوهُ أَنْسَا لِأَنَّهُ ابْنُ مَالِكِي

ومن نظمه :

تَعَجَّبَ النَّاسُ لِلْبَطِيخِ حِينَ أَتَى بَحَيْنَ حَيْنٍ وَإِذْ وَافَى بِطَاعُونَِ
وَكَيْفَ لَا يَقْطَعُ الْأَعْمَارَ مَقْدَمُهُ وَلَيْسَ يُؤَكِّلُ إِلَّا بِالسَّكَائِينِ

ومنه :

مَا اعْتَكَفُ الْفَقِيهَ أَخْذًا بِأَجْرِ بَلْ بِحُكْمٍ قَضَى بِهِ رَمَضَانُ
هُوَ شَهْرُ تَغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينِ نَ وَلَا شَكَّ أَنَّهُ شَيْطَانٌ^(١)

ومنه :

طَرَفُكَ هَذَا بِهِ فُتُورٌ أَضْحَى لِقَلْبِي بِهِ فُتُونُ
قَدْ كُنْتُ لَوْلَاةٍ فِي أَمَانٍ اللَّهُ مَا تَفْعَلُ الْعِيُونُ

ومنه :

يَا نَازِحاً عَنِّي بِغَيْرِ بَعَادٍ لَوْلَاكَ مَا عَلِقَ الْهَوَى بِفُؤَادِي
أَنْتَ الَّذِي أَفْرَدْتَنِي مِنِّي فَلَئِنْ بَكَ شَاغِلٌ عَنِ مَقْصِدِي وَمُرَادِي^(٢)
سَهَرْتُ بِحَبِّكَ مَقْلَتِي فَحَلَّاهَا فِيكَ السَّهَادُ فَلَا وَجَدْتُ رُقَادِي
وَرَضِيْتُ مَا تَرْضَى فَلَوْ أَقْصَيْتَنِي أَيَّامَ عُمْرِي مَا نَقَضْتُ وَدَادِي
أَنْتَ الْعَزِيزُ عَلَيَّ أَنْ أَشْكُوكَ الْـ وَجَدَ الَّذِي أَهْدَيْتَهُ لِفُؤَادِي

(١) ضُفِّنَ فِيهِ الْحَدِيثُ الْمَشْهُورُ : « إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ صَفَّتِ الشَّيَاطِينُ » .

(٢) (أ) : « مِنْكَ » .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

وَاللّٰهُ مَا أَدْعُو عَلَى هَاجِرِي إِلَّا بَأْنَ يُمَحِّنَ بِالْعَشَقِ
حَتَّى يَرَى مَقْدَارَ مَا قَدْ جَرَى مِنْهُ وَمَا قَدْ تَمَّ فِي حَقِّي
وأنشدني له أيضاً :

يَا حُسْنَهَا مِنْ رِيَاضٍ مِثْلِ النَّضَارِ نَضَارُهُ
كَالزُّهْرِ زَهْرًا وَعَنْهَا رِيحُ الْعَبِيرِ عَبِيرُهُ
وأنشدني له أيضاً :

بِأَبِي صَائِغٍ مَلِيحِ التَّنْيِ بِقَوَامِ يُزْرِي بِخُوطِ الْبَنَانِ
أَمْسَكَ الْكَلْبَتَيْنِ يَا صَاحِبَ فَاعْجَب لِفِزَالٍ بِكَفِّهِ كَلْبَتَانِ
ومن شعره :

أَيُّهَا اللَّائِمِي لِأَكْلِي كُرُوشًا أَتَقْنُوها فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ
لَا تَلْمِئْنِي عَلَى الْكُرُوشِ فَحَبِّي وَطَنِي مِنْ عِلَالِمِ الْإِيمَانِ
قلت أخذ هذا من قول النّصير الحمّامي^(١) :

رَأَيْتُ شَخْصًا أَكَلَ كِرْشَةً وَعِنْدَهُ ذَوْقٌ وَفِيهِ فِطْنٌ^(٢)
وَقَالَ مَا زِلْتُ مُحِبًّا بِهَا قُلْتُ مِنَ الْإِيمَانِ حُبُّ الْوَطَنِ^(٣)
ومن شعره في مقصوص الشعّر :

قَالُوا ذَوَائِبُهُ مَقْصُوصَةٌ حَسَدًا فَقُلْتُ قَاطِعُهَا لِلْحَسَنِ صَوَاغُ
صُدَّعَانِ كَانَ فَوَادِي هَائِلًا بِهَا فَكَيْفَ أَسْلُو كُلَّ الشَّعْرِ أَصْدَاغُ

(١) النّصير بن أحمد ، (ت ٧١٢ هـ) .. الفوات : ٢٠٥/٤ .

(٢) (أ) ، والوافي : « وهو أخو ذوق » .

(٣) (أ) ، والوافي : « لها » .

وكان القاضي فخر الدين ناظر الجيوش ^(١) يُؤثِرُ قُرْبَهُ ويحبُّ كلامه ، فاستخدمه في مصر في جملة كتّاب الإنشاء ، فأقام هناك ، ولمّا توفي فخر الدين خرج ابن غانم وحضر إليه ^(٢) مع القاضي محيي الدين بن فضل الله ^(٣) سنة اثنين وثلاثين وسبع مئة . ولم يزل بدمشق في جملة كتّاب الإنشاء إلى أن سكّنت منه تلك الشّقاشق ، وقرطست تلك السّهام الرّواشق .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وثلاثين وسبع مئة ، وكان أكبر من أخيه الشّيخ علاء الدين ^(٤) بأشهر ، وكذلك توفي بعده بأشهر ، وكان دائماً يقول : زاحني أخي عليّ في كل شيء حتّى في لَبَن أُمِّي ، واختلط شهابُ الدّين قبل وفاته بسنتين ، وكان فيه تشبّع من التشيع .

١٧٣ - أحمد بن محمد بن عبد الله *

الحافظ القدوة الزاهد جمال الدين أبو العباس ابن الشّيخ القدوة محمد الظاهريّ الحلبيّ مولى الظاهر صاحب حلب ^(٥) .

سمع ^(٦) سنة إحدى وثلاثين وبعدها من الفخر الإربلي ^(٧) ، وابن اللّتي ، والموفق يعيش ^(٨) ، وابن رَوَاحَة ، وابن خليل ، وابن قُمَيْرة ، وخلق مجلب . وكريمة ^(٩) ،

(١) (أ) : « الجيش » .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) يحيى ، (ت ٧٣٨ هـ) . ذيل العبر : ٢٠١ ، والدرر : ٤٢٤/٤ .

(٤) عليّ ، وستأتي ترجمته في موضعها .

* الوافي : ٣٦/٨ ، وغاية النهاية : ١٢٢/١ ، والشذرات : ١٥٩/٦ ، والمنهل الصافي : ١٢١/٢ .

(٥) هو الملك الظاهر غازي ، وُلد السلطان صلاح الدين ، (ت ٦١٣ هـ) ، العبر : ٤٦/٥ .

(٦) (أ) : « سمع منه » ، وما في الأصل يشبهه ما في الوافي .

(٧) فخر الدين محمد بن إبراهيم بن مسلم الإربلي ، (ت ٦٣٣ هـ) السير : ٣٩٥/٢٢ .

(٨) في الأصل : « وابن يعيش والموفق » ، سهو ، صوابه ما في (أ) ، والوافي .

(٩) كريمة بنت عبد الوهاب بن عليّ القرشيّة ، (ت ٦٤١ هـ) . السير : ٩٢/٢٣ .

والضياء^(١) ، وابن مَسْلَمَة ، وخلق بدمشق . وصفيّة القرشيّة ، وجماعة بحجة ،
وعبد الخالق بن أنجب النّشّيري^(٢) بماردين . وعبد الرّزّاق بن أحمد بن أبي الوفا ،
وإبراهيم بن الحسن الزّيّات ، وأحمد بن سَلَامَة النّجّار^(٣) بحرّان ، وسمع من شُعيب
الزّعفراني ، وابن الجُمَيْزِي ، والمُرْسِي ، وجماعة بمكّة . ويوسف السّاوي ، وأحمد بن
الأجّاب بمصر ، وهبة الله بن روين الإسكندري .

وسمع بمحّص وبلبلك والقدس وغير ذلك ، وعني بهذا الشأن أتمّ عناية ، وتعب
وحصّل وكتب ما لا يوصف كثرة . وكانت له إجازات عالية من أبي الحسين
القطيعي^(٤) وذكريا العلي^(٥) وابن رُوْزْبَة^(٦) وأبي حفص السّهْروُردِي^(٧) والحسين بن
الزيدي^(٨) ، وإسماعيل بن فاتكين والأنجب الحمّامي^(٩) ، وطبقتهم .

وخرّج لنفسه أربعين حديثاً في أربعين بلداً ، وانتقى على شيوخ مصر والشّام ،
وخرّج لأصحاب ابن كليب^(١٠) ثم لأصحاب ابن طبرزد^(١١) والكندي^(١٢) ، ثم لأصحاب

(١) ضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن أحمد ، (ت ٦٤٣ هـ) . السير : ١٢٦/٢٣ .

(٢) ضياء الدين أبو محمد عبد الخالق بن الأنجب ، (ت ٦٤٩ هـ) . السير : ٢٣٩/٢٣ .

(٣) (ت ٦٤٦ هـ) . الشذرات : ٢٣٣/٥ .

(٤) كذا ، وأغلب الطنّ أنّه أبو الحسن القطيعي ، محمد بن أحمد بن عمر البغدادي ، (ت ٦٣٤ هـ) . العبر :
١٣٩/٥ ، والنجوم : ٢٩٨/٦ .

(٥) هو ذكريا بن علي بن حسان ، (ت ٦٣١ هـ) . العبر : ١٢٤/٥ .

(٦) في الأصل : « رويه » ، تحريف .

(٧) شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله ، (ت ٦٣٢ هـ) . السير : ٣٧٣/٢٢ ، والعبر : ١٢٩/٥ .

(٨) أبو عبد الله الحسين بن المبارك ، (ت ٦٣١ هـ) . السير : ٣٥٨/٢٢ .

(٩) الأنجب بن أبي السعادات بن محمد ، (ت ٦٣٥ هـ) . السير : ١٤/٢٣ .

(١٠) أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب الحرّاني ، (ت ٥٩٦ هـ) . السير : ٢٥٨/٢١ .

(١١) عمر بن محمد بن معمر ، (ت ٦٠٧ هـ) . العبر : ٢٤/٥ .

(١٢) تاج الدين أبو اليّمن زيد بن الحسن ، (ت ٦١٣ هـ) . السير : ٣٤/٢٢ .

ابن البن^(١) وابن الزبيدي حتى^(٢) إنه خرَّج لتلميذه ومريده الشيخ شعبان^(٣) ، وكان في حسن التخريج عجباً ، وفي جودة الانتخاب آية لا يزال الطرف لها مرتقباً .
سمع على نحو سبع مئة شيخ أو ما يقارب ذاك ، وأثنى عليه في هذا الفن حتى ألحam الساجع على فروع الأراك ، وتفقه لأبي حنيفة ، وحوى كل صفة في الخير مئيفة .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : « وبه افتتحت السماع في الديار المصرية ، وبه اختتمت ، وعنده نزلت ، وعلى أجزائه أتكلت » .
وسمع منه علم الدين البرزالي أكثر من مئة^(٤) جزء .
وقرأ هو القراءات على الشيخ أبي عبد الله الفاسي^(٥) بحلب .
ولم يزل بالديار المصرية على حاله إلى أن عطل تسميعه وبطل تأصيله وتفريعه .
وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين وست مئة .
ومولده سنة ست^(٦) وعشرين وست مئة .
وكانت وفاته بزوايته الجمالية في المقس بمصر .

١٧٤ - أحمد بن محمد بن جبارة*

ابن عبد المولى المرادوي الصالح الحنبلي الإمام المفتي العلامة المقرئ النحوي شهاب الدين أبو العباس .

- (١) في المنهل : « ابن اللقي » .
(٢) في الأصل : « على » ، وهي قلقة ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، والمنهل .
(٣) شعبان بن أبي بكر بن عمر الإربلي ، (ت ٧١١ هـ) ، وستأني ترجمته .
(٤) (أ) والوافي ، والمنهل : « مثني » .
(٥) محمد بن حسن بن محمد بن يوسف ، نزيل حلب ، (ت ٦٥٦ هـ) . غاية النهاية : ١٢٢/٢ .
(٦) (أ) ، والوافي : « إحدى » .
* الوافي : ٢٥/٨ ، والبداية والنهاية : ١٤٢/١٤ ، والدرر : ٢٥٩/١ ، وغاية النهاية : ١٢٢/١ ، والبغية : ٣٦٣/١ ، والشذرات : ٨٧/٦ .

سمع على ابن عبد الدائم وطبقته ، وقرأ القراءات على النبيه الراشدي^(١) ، وأخذ عنه النحو ورياً حضر دروس الشيخ بهاء الدين بن النحاس ، وأجاد في النحو والقراءات ، وسكن حلب مدة ، وارتحل منها وأقام بالقدس إلى أن مات به ، وسمع السيرة حضوراً في الرابعة من خطيب مرّدا ، وسمع من الكرّماني وابن أبي عمر^(٢) ، وأخذ الأصول عن القرافي^(٣) ، وجاور بمكة .

وكان ذا زهد وقناعة وبلاغة ونصاعة ، واشتهر بالقراءات ، وهاجر الناس إليه ، ووقع الاختيار من الطلبة عليه ، وشرح (الشاطبيّة) شرحاً مطوّلاً ، و (الرائيّة) و (نونيّة) السخاوي في التجويد ، وله تعليقات ، وعنده من الفضائل جمل وتفاريق ، إلاّ أنّه كان يتجارف^(٤) ، وينتقل بعد^(٥) سعادة علمه لأجل ذاك ويتحارف .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : في شرحه للشاطبيّة احتمالات واهية ، قرأت بخطّه يقول في قول الشاطبي :

وفي الهمز أنحاء وعند نحّاتِهِ يُضيء سنّاه كلّما اسودّ أليلاً

يحتمل خمس مئة ألف وجه وثمانين^(٦) ألف وجه . قال : وسمعت منه .

ولم يزل على حاله إلى أن كسّر ابن جبارّه ، وبطلت منه تلك الأمور^(٧) والإشارة .

(١) الحسن بن عبد الله بن يحيى ، (ت ٦٨٥ هـ) . العبر : ٣٥٢/٥ ، والنجوم : ٣٧١/٥ ، وغاية النهاية :

٢١٨/١ .

(٢) أبو محمد عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي ، (ت ٦٨٢ هـ) . العبر : ٣٢٨/٥ .

(٣) في الأصل : « العراقي » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي وباقي مصادر ترجمته . والقرافي :

شهاب الدين أحمد بن إدريس ، الفقيه الأصولي ، (ت ٦٨٢ هـ) . الوافي : ٢٣٣/٦ .

(٤) في (أ) : « يتحارف » .

(٥) (أ) : « مع » .

(٦) قوله « وثمانين ألف وجه » ليس في (أ) .

(٧) (أ) : « الرموز » ، وهي أجود .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وأربعين وست مئة تقريباً .

١٧٥ - أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الحسن *

الشيخ الجليل المسند شمس الدين أبو بكر بن العجمي الحلبي الشافعي .

سمع من جدّه لأُمّه ^(١) ، وأبي القاسم بن رواحة وابن خليل ، وحضر الموفق بن يعيش ، وروى الكثير .

وروى عنه المقاتلي ^(٢) ، وابن الواني ، وابن الفخر ^(٣) ، والمزيّ ، والذهبيّ .

كان فيه غفلة ، ولعقله عنه جفلة ، إلا أنّه ليس بقادح فيه ، ولا مبطل لما يسنده ويرويه . وقاسى من هولاء عذاباً شديداً ، وأخذ منه أموالاً كان أمره بها عنيداً .

ولم يزل على حاله إلى أن قرغ أجله ، وأرهقه من الموت عَجَلَه .

وتوفي بحلب رحمه الله تعالى سنة أربع عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وثلاثين وست مئة .

١٧٦ - أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي **

ابن محمد بن محمد الإمام الحافظ الشريف عزّ الدين أبو القاسم ابن الإمام أبي

عبد الله العلوي الحُسَيني المصريّ ، ويعرف بابن الحلبي ، نقيب الأشراف بمصر .

* الوافي : ٤٤/٨ ، والدرر : ٢٧١/١ .

(١) ليست في (أ) .

(٢) عثمان بن بليان للمقاتلي ، (ت ٧١٧ هـ) . الشذرات : ٤٦٦ .

(٣) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، (ت ٦٩٩ هـ) . العبرة : ٤٠٣/٥ .

** الوافي : ٤٤/٨ ، والمنهل الصافي : ١١٩/٢ ، وعقد الجمان : ٣٢٧/٣ ، وفيات (٦٩٥ هـ) . والشذرات :

٤٣٠/٥ .

سمع من فخر القضاة ابن الجَبَّاب^(١) ، وسمع من الزكي المنذري فأكثر ، ومن الرشيد العطار ، وعبد الغني بن بنين^(٢) ، والكمال الضرير^(٣) وطبقتهم . وأجاز له ابن رَوَّاج ، وابن الجُمَيْزِي ، والسَّبْط^(٤) ، وصالح المدلجي^(٥) ، وخلق كثير .

وطلب الحديث على الوجه ، وكان ذا فهم وحفظ^(٦) وإتقان وتخريج ، وكشف للمعضلات وتفريج ، وله ذَيْلٌ على (وفيات) المنذري^(٧) إلى سنة أربع وستين^(٨) . ولم يزل على حاله إلى أن سكن دار^(٩) العمل ، وبطل منه العمل^(١٠) ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست^(١١) وتسعين وست مئة .

ومولده سنة ست وثلاثين وست مئة .

١٧٧ - أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله*

الشيخ العارف تاج الدين أبو الفضل الإسكندري .

- (١) أحمد بن محمد بن عبد العزيز ، ابن الجباب . توفي (٦٤٨ هـ) . العبر : ١٩٨/٥ .
 - (٢) أنير الدين عبد الغني بن سليمان بن بنين المصري القبايي الناسخ ، (ت ٦٦١ هـ) . العبر : ٢٦٥/٥ .
 - (٣) أبو الحسن علي بن شجاع بن سالم بن علي الهاشمي ، (ت ٦٦١ هـ) . العبر : ٢٦٦/٥ .
 - (٤) هو عبد الرحمن بن مكي الإسكندري ، سبط أبي طاهر السلفي . (ت ٦٥١ هـ) . العبر : ٢٠٨/٥ .
 - (٥) صالح بن شجاع بن محمد ، أبو التقي المدلجي البصري ، (ت ٦٥١ هـ) . السير : ٢٩٠/٢٣ .
 - (٦) زاد بعدها في (أ) : « وقلم ولفظ » .
 - (٧) أي : الزكي . وعبارة الوافي والمنهل : « وله وفيات ذيل بها على شيخه المنذري » ، واسم كتاب المنذري : « التكملة لوفيات النقلة » ط . للإعلام : ٣٠/٤ .
 - (٨) في الوافي والمنهل : « وسبعين » .
 - (٩) في الأصل : « ذاك » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .
 - (١٠) (أ) : « الأمل » .
 - (١١) في الوافي والمنهل : « خمس » . وكذلك وفاته في عقد الجمان .
- * الوافي : ٥٧/٨ ، والدرر : ٢٧٢/١ ، وبسائع الزهور : ٤٢٤/١/١ ، والشذرات : ١٩/٦ ، والمنهل : ١٢٠/٢ ، وطبقات الشافعية : ٢٣/٩ .

كان رجلاً صالحاً له ذوق ، وفي كلامه ترويحٌ للنفس وسَوْقٌ^(١) إلى الشَّوق ، يتكلم على كرسيٍّ في الجوامع^(٢) ، ويقيد نفوس المارقين بأغلالٍ وجوامع ، وله إمام بآثار السلف الصالح ، وكلام الصوفية ، إذا هبَّ نسيه العاطر^(٣) الفائح شوق كثيراً من القلوب ، ومحا بالدموع غزيراً من الذُّنوب ، وله مشاركة في الفضائل ، وعليه للصلاح سياء ودلائل ، وهو تلميذ الشيخ أبي العباس المُرسِّي صاحب الشاذلي ، وكان من كبار القائمين على الشيخ تقي الدِّين بن تيمِّة ، وله جلاله في النفوس بنفسه القويّة .

ولم يزل على حاله إلى أن ركدت تلك العبارة ، وانكدرت نجوم تلك الإشارة .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة في المنصوريّة في حادي عشر جمادى الآخرة سنة تسع وسبع مئة .

ومن شعره^(٤) :

مُرَادِي مِنْكَ نِسْيَانُ الْمَرَادِ	إِذَا رُمْتَ السَّبِيلَ إِلَى الرَّشَادِ
وَأَنْ تَدَعِ الْوُجُودَ فَلَا تَرَاهُ	وَتَصُبِّحَ مَا لَكَ حَبْلَ اعْتِمَادٍ ^(٥)
إِلَى كَمْ غَفْلَةٍ عَنِّي وَإِنِّي	عَلَى حِفْظِ الرَّعَايَةِ وَالْوَدَادِ
وَوَدَّيْ فِيكَ لَوْتَدْرِي قَدِيمٌ	وَيَوْمَ السَّبْتِ يَشْهَدُ بَانْفِرَادِي
وَهَلْ رَبٌّ سِوَايَ فَتَرْتَجِيهِ	غَدًا يُنْجِيكَ مِنْ كَرْبِ شِدَادِ
فَوَصَفُ الْعَجْزِ عَمَّ الْكَوْنُ طُرّاً	فَمَفْتَقَرٌ بِمَفْتَقَرٍ يَنْبَغِي
وَبِي قَدْ قَامَتِ الْأَكْوَانُ طُرّاً	وَأُظْهِرْتُ الْمَظَاهِرَ مِنْ مُرَادِي
أَفِي دَارِي وَفِي مَلِكِي وَفُلْكِ	تَوَجَّهَ لِلسَّوَى وَجْهَ اعْتِمَادِ

(١) (أ) : « وتوق » .

(٢) (أ) ، والوافي : « الجامع » .

(٣) (أ) : « العطر » .

(٤) ذكر صاحب المنهل الأبيات الثلاثة الأولى .

(٥) في الوافي والمنهل : « ماسكاً » .

وها خَلِيّ عليكَ فلا تُذِلّها ومن وَجّه الرجاء عن العباد^(١)
 ووصفك فالزَمْنَةُ وكن ذليلاً ترى مني المنى طُوع القيّاد
 وكن عبداً لنا والعبد يرضى بما تَقْضي الموالي من مُراد
 قلتُ : شعر نازل ، هو يَجِدُ ، وكأنّه هازل .

١٧٨ - أحمد بن محمد بن علي بن جعفر *

الصدر الأديب الرئيس سيف الدّين السّامريّ ، نسبة إلى سُرّ من رأى ، نزيل دمشق .

صادره الصّاحب بهاء الدّين بن حنّا^(٢) وأخذ منه نحواً من ثلاثين ألف دينار لمّا^(٣)
 قدم أخوه نور الدّولة السّامريّ من اليمن ، ونكّب في دولة المنصور ، وطلبه^(٤)
 الشّجاعي^(٥) إلى مصر وأخذ منه قرية (خَزْرَمَا) وغيرها وتمام مئتي ألف درهم ، وكان
 يسكن داره^(٦) المليحة التي وقفها رباطاً ومسجداً ووقف عليها باقي أملاكه .
 وروى عنه الدّميّاطيّ في (معجمه) وذكر أنّه يُعرّف بالمقرئ .

(١) في مطبوعة الوافي : « وصن وجه » ، وكتب المحقق في الحاشية : « في الأصل والأعيان ومن » .

* الوافي : ٦٦/٨ ، وفوات الوفيات : ١٣٤/١ ، والمنهل الصافي : ١٤٨/٢ ، وعقد الجمان : ٣٧١/٣ ، وفيات
 (٦٩٦ هـ) . البداية والنهاية : ٣٥١/١٣ .

(٢) في الأصل ، والوافي : « حنّي » تصحيف . وابن حنا هذا هو الوزير علي بن محمد بن سليم بهاء الدين بن
 حنّا ، (ت ٦٧٧ هـ) . الشذرات : ٣٥٨/٥ .

(٣) (أ) : « عندما » .

(٤) في الأصل : « وطلب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .

(٥) الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الشجاعي ، (ت ٦٩٣ هـ) . النجوم : ٥١/٨ .

(٦) في الأصل : « دار » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي . وفي عقد الجمان : « وآخر ما بقي له قاعة جعلها
 خاتناه وتربة كما ذكرنا ، ووقف عليها مزرعة بالشاغور وبقيايا من أملاكه » .

وكان قد سافر مرة مع وجيه الدين بن سُوَيْد^(١) إلى الموصل فحضر المكَّاسَة وعَفُّوا
عن جَمال الوجيه ومكَّسُوا جِبالَ السَّامري ، وأجحفوا به ، فقال :

صَحِبْتُ وجيةَ الدِّينِ في الدَّهرِ مرَّةً ليحمل أثقالِي وَيَخْفِرَ أَجْمالِي
فَوَزَّنِي عن كُلِّ حقٍّ وباطِلٍ وعن فرسي والبغلِ والجَمَلِ الخالِي

فبلغ ذلك صاحبَ الموصلِ فأطلق القَفْلَ بِجَمُوعِهِ .

وقال يشكرُ الأميرَ سيفَ الدِّينِ طوغان^(٢) وأُسندمرَ واليَ البرِ^(٣) بدمشق ويشكو
نائبَيْهِما الشَّجاعَ هَمَّامَ والعَلمَ سَنجَرَ^(٤) :

اسمُ الوزارةِ لِلأميرِ وَمالَةٌ فيها سوى الأوزارِ والآثامِ
وجنايَةُ القَتلى وكلُّ جِنايَةٍ تُجَنَى بِأَجْمَعِها إلى هَمَّامِ^(٥)
سيفانَ قَدُ وَلِيا فكلُّ مَنها في حَفْظِ مَآوِئِهِ كالضُرغامِ
وَإذا عَرا خُطبَ فكلُّ مَنها أَسَدٌ يَصُولُ بِبأسِهِ ويحامي
ويَبابُ كُلِّ مَنها عَلمٌ غَدًا في ظُلْمِهِ عَلامَةٌ الأَعْلَامِ^(٦)
فَتى أرى الدُّنيا بغيرِ سَناجِرٍ والكسَرَ والتَّنكِيسَ للأَعْلَامِ

ومن شعره :

مَنْ سُرَّ مَنْ رَأى وَمَنْ أَهْلُهُ عِنْدَ اللَّطيفِ الرَّاحِمِ الباري
وَأَيُّ شَيْءٍ أَنَا حَتَّى إِذَا أَذُنْتُ لَا تُغْفَرُ أوزاري
يأربُّ مالِي غَيْرُ سَبِّ الوَرى أرجو به الفوزَ مِنَ النَّارِ

(١) محمد بن علي بن أبي طالب التكريتي التاجر الكبير ، (ت ٦٧٠ هـ) ، البداية والنهاية : ٢٦٢/١٣ .

(٢) طوغان النصوري ، (ت ٧١٠ هـ) ، الدرر : ٢٢٨/٢ .

(٣) في الوافي : « والي البريد » .

(٤) علم الدين سنجر التركي الصالحي الداوداري ، (ت ٦٦٩ هـ) . العبرة : ٣٩٩/٥ .

(٥) (أ) ، والوافي : « تجي » ، ولعلَّ الأشبه : وكل جباية تجي .

(٦) في الأصل : « وبيات » تصحيف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، والوافي .

ولَمَّا طلبته الشَّجَاعِي إلى مصر اعتقله وقام له بِمَا طلبَ منه وطلبَ الإفراج عنه
وثَقَّلُوا عليه فقال : والله مَا أُفْرِجُ عنه حَتَّى يَمْدَحَنِي بِقَصِيدَةٍ ، فَإِنَّ هَذَا هَجَاءٌ ، فَلَمَّا
مَدَحَهُ أَفْرَجَ عنه .

وكان الشَّيْخ سَيْف الدِّين ظَرِيفاً مَزَاحاً ، كَثِيرَ التَّغَرُّبِ نَزَاحاً ، وهو من سَرَوات
بغداد ومَحَاضِرته يَغْنَى النَّدِيم بها عن حَانَةِ النَّبَاز . قدم إلى الشام بأمواله وحظي عند
النَّاصِر بأقواله ، وَلَمَّا^(١) نظم تلك الأَرْجُوزة السَّامِرِيَّة التي أَوَّلَهَا :

يَاسَائِقُ العِيسِ إِلَى الشَّامِ مُدَّرِعاً مَطَارِفَ الظَّلَامِ^(٢)

حَطَّ فِيهَا عَلَى مَبَاشِرِي حَلَبٍ وَأَغْرَى النَّاصِرَ بِمَصَادِرَتِهِمْ ، وَقَدْ اشْتَهَرَ أَمْرُهَا ،
وَأَسْكَرَ الْأَسْمَاعَ خَمَرُهَا .

ولم يزل بدمشق^(٣) على حاله إلى أن رُمِيَ لَسَنُهُ^(٤) بِالْبُكْمِ ، وقاده رسنه إلى ما قَضَاهُ
الموت عليه وحكم .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وتسعين وست مئة وهو في عَشْرِ الثَّمَانِينَ ، ودفن في
داره .

١٧٩ - أحمد بن محمد بن علي بن يوسف*

ابن ميسر ، الصَّاحِب عَزَّ الدِّين المِصْرِي ، وَلِي النِّظَرِ عَلَى النِّظَارِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ
وغيرهما ، وتولَّى نظَرَ الْأَوْقَافِ بدمشق .

(١) (أ) : « وله » .

(٢) (أ) : « في عقد الجمان » .

وقاطع الوهاد والآكام

كبارق يانع في غمام

يَاسَائِقُ العِيسِ إِلَى الشَّامِ

مُدَّرِعاً مَطَارِفَ الظَّلَامِ

(٣) (أ) : « ليست في » .

(٤) (أ) : « لسانه » .

* الوافي : ٧٠/٨ ، والدرر : ٢٨٧/١ .

ولم يزل في سؤدده وتعاضمه وتقرّده إلى أن تَعَسَّرَ العيش على ابن ميسّر ، وقلّ جمعه وكسّر .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوّل شهر رجب سنة ستّ عشرة وسبع مئة .
ومولده حادي عشري^(١) شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وست مئة .

تولّى نظر الدّواوين بمصر ، ونظر الإسكندريّة ، ونظر دمشق ، ونظر طرابلس ، ونظر الأوقاف بدمشق والحسبة ، ومات وهو في نظر الأوقاف . وكان [فيه]^(٢) محبة لأهل الخير .

١٨٠ - أحمد بن محمد بن أبي القاسم *

ابن بدّران ، الشّيخ الفاضل شهاب الدّين أبو بكر الكردي الدّشتي - بالدّال المهملة ، والشّين المعجمة الساكنة ، وبعدها تاء ثلاثة الحروف - الحنبلي المؤدّب .

حضر في الثّانية على جعفر الممّذاني ، وسمع من ابن رواحة وابن يعيش ، وابن خليل ، والنفيسي بن رواحة^(٣) ، وصفية القرشيّة^(٤) ، وابن الصّلاح ، والضياء .

وتقرّد وروى الكثير ، حدّث بمصر (بمسند) الطيالسي ، ورَتَبَ مُسَبَّحاً بالدّار الأشرفية ، ومُعَلِّماً بكتب الطواشي ظهر الدّين^(٥) ، وأكثر الطلبة عنه ، وخرّج له علم الدّين البرزالي مشيخةً ، وكان في الرّواية يتعزز ، ويتحلّى بالطلب ويتميّز ، ويطلب نَسْخَ عدّة أجزاء لنفسه من السّامع ، ويرى أنّ ذلك له كالقامع .

(١) (أ) : « عشر » .

(٢) زيادة من (أ) .

* الوافي : ٨٢/٨ ، والدرر : ٢٩٢/١ ، والشذرات : ٣٢/٦ ، والمنهل الصافي : ١٥٧/٢ .

(٣) أبو البركات محمد بن الحسين بن عبد الله بن رواحة (ت ٦٤٢ هـ) ، العبر : ١٧٣/٥ .

(٤) صفية بنت عبد الوهاب بن علي القرشية . (ت ٦٤٦ هـ) . العبر : ١٨٨/٥ .

(٥) مختار البلبيسي (ت ٧١٦ هـ) ، وستأتي ترجمته .

ولم يزل إلى أن انقلب دست الدُّشْتِي ، وحار فيما نزل به الطبيبُ والملفقي .
وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .
ومولده مجلب سنة أربع وثلاثين وست مئة .

١٨١ - أحمد بن محمد بن قَرَصَة *

شهاب الدِّين بن شمس الدِّين الأنصاري .

هو من بيتٍ مشهور بالصعيد ، منهم جماعة فضلاء رؤساء ، تفرّد هذا شهاب الدِّين من بينهم بنظم القَرَقِيَّات ^(١) وجوّدَها ، وأجراها على قواعد العذوبة وعودها ، يأتي بها كأنها باكورة زهر أو كأسٌ زلال جلي على الظِّمَان من نهر ، خفيفة على القلب لذيدة على السمع لما لها في العقل من السُّلب ، ونظم الشعر جيّداً ، ودخل به في جملة الشعراء ، ولم يكن متّحيداً ، وذاق النَّاسُ منه كؤوسَ العلاق ، وجرّعهم من هجوه سُموم ^(٢) الأراق ، جاب الأقطار ، وجلب الأوطار ، ودخل الأمصار ، واجتدى بالمدح والهجو أفات طَلَبُه أم صار ، وكان شيخاً كاد الدهرُ يحني صَعْدَتَه ويُري العيون هزّته ورَعْدَتَه .

وكتب إليّ أشعاراً غلت ^(٣) عندي أسعاراً ^(٤) ، منها :

مالي أرى الشعراء تكسبُ عاراً	بهجائهم وتحملوا أوزاراً
فلذاك طُفْتُ بِيَاب كلِّ مهذبٍ	وجعلتُ شعري في الكرام شعاراً
مدحوا الأخساء اللئام فضيّعوا الـ	أشعار لَمَّا أرخصوا الأسعار ^(٥)

* الوافي : ٨٣/٨ ، والدرر : ٢٩٣/١ .

(١) جمع قَرَقِيّ ، وهو نوع من الزجل يتضمن هجاءً وثلباً . العاقل الحالي : ١٠ .

(٢) (أ) ، (خ) : « سَم » .

(٣) في الأصل : « علت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، وهي أشبه .

(٤) (أ) : « أسعارها » .

(٥) (أ) : « أشعارهم لما » .

وجعلت في حلب الشمال إقامتي
ولكم دعا مدحي نوال معظم
حتى وجدت لها إماماً عالماً
لولا صلاح الدين لم أر جلقاً
أسدى المكارم من أكف لم يزل
وصنائعاً غراً أفدن منائحاً
فوجدت في إجماله وجَماله
مولى غدت ينهه يُمناً لامرئ
حلى الزمان وكان قدماً عاطلاً
وحوى معالي في دمشق قديمة
بلغت به رُتباً فرعن محلّة
زانت فضائله بدائع نظمها
ومظفر الأقلام كم أردى بها
عجبا لها تجري بأسود فاحم
تمضي بحيث ترى السيوف كليلّة
تجري بواحد لها ثلاث سحائب
ومتدّه بالفضل حين تمده
إن رام نائله العفاة أمدها
ملاً الكتاب تهدداً فكأنها
تجني النواظر من محاسن خطّه

يا حبذا دار الكرام جوارا
فأبت عُتوّاً عنه واستكبارا
أوصافه تستغرق الأشعارا
ولكنت ممن جانب الأسفارا
معروفها يستعبد الأحرارا
عُوناً ولذن مدائحاً أبكارا
ما يملأ الأشماع والأبصارا
يبغي نوالاً واليسار يسارا
وأعاد ليل الأملين نهّارا
وحديثها بين الورى قد سارا^(١)
أُمست نجوم سائها أقمارا^(٢)
كم معصم أضحي يزين سوارا
ملكاً وخوف جفلاً جرّارا
يكسي الطروس ظلامه أنوارا
وتطول حيث ترى الرّماح قصارا
تحوي الصواعق والحيا الدرارا
بيديها لا تتعب الأفكارا^(٣)
كرماً وإن رام الخميس مَغارا
ملاً الكتاب أسنة وشفارا
رَوْضاً ومن ألفاظه أزهارا

(١) (أ) ، (خ) ، والوافي : « مقية » .

(٢) (خ) : « قرعن » .

(٣) (أ) : « وتمدنا بالفضل » .

إن رام ذمراً أو أعزّ ذمّاراً
تغني فقيراً أو تُفقد فقّاراً
برقاً ومن إحسانه أمطاراً
أزهّار أن تتقدّم الأثّار
هامي قطار طبق الأقطار
بعزيمة تستسهل الأوعار
بسعادة تستخدم الأقدار^(١)
وحمت أذلّ وذلت جباراً
سبحان من خلق الورى أطواراً
حقاً وكنت جهلت به إنكاراً
لم تبقي لي عند الحوادث ثاراً
ترقى على شمّ الجبال وقاراً

خطّ رماح الخطّ من خدامه
وبلاغة تضحى بأدنى فقره
ويشيم رواد الندى من بشره
بشرّ يبشر بالجميل وعادة الـ
وندى يعم ولا يخصّ كأنه
يستصغر الأمر العظيم إذا عرا
ويردّ غربّ الحادثات مغللاً
كم ذلّت صعباً وردّت ذاهباً
ولقد عرفت الناس من أوطارهم
يامن عرفت بجموده وجّه الغنى
أغيتني بمواهب موصوله
لازلت في عزّ يدوم ونعمه

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك^(٢) ارتجالاً :

وأسال فيه من الدجى أنهاراً
أهديت لي فلّكأ أراه مُداراً
تبدو معانيه به أقماراً
إنّ الزواهر تفضّل الأزهّاراً
تستوقف الأسماع والأبصاراً
فيه تُدير لِمسمّئيه عقاراً
لم يذكر الأوطان والأوطاراً

يا شاعراً ملأ الطروس نهاراً
لم تهّد لي نظماً بديعاً إنّما
في كلّ سطرٍ برج سعيد ثابت
لا أرتضي بالروض تشبيهاً له
قلّدتني منه قلادة منّة
يغني النديم به فإنّ قوافياً
وترى اللبيب إذا تعاطى فهمه

(١) في الأصل : « مقللاً » ، تصحيف .

(٢) قوله : « عن ذاك » خلت منه : (أ) ، (خ) .

فَكَانَ ذَاكَ الطَّرْسَ وَجَنَّةً أُغِيدِ
 فاعذر شهاب الدِّين من تقصيره
 أَنَا لَا أُطِيقُ جَوَابَ مَنْ أَشْعَارُهُ
 وإذا جرى في حَلْبَةٍ قَصُرْتُ عَنْ
 إِنَّ الْغَدِيرَ وَإِنْ تَعَاظَمَ قَاصِرُ
 وكذا أخو النظم المنزل ركنه
 فخذ القليل إجابة وإجازة
 واعتدْ إِنَّكَ لَمْ تَزِرْ فِي جَلَقِ
 فَلَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَرْضُهَا
 مَا قَدَّرَهَا مئةَ لَوَائِي سَقَتَهَا
 وكتب إليَّ قصيدة قطر الميزاب أولها^(٥) :

كَمْ سَيْفٌ النِّظْمِ أَجْرَدُهُ كَمْ أَشْهَرُهُ كَمْ أَغْمُودُهُ
 كَمْ أَنْظُمٌ عِقْدٌ جَوَاهِرُهُ فِي مَدْحِ كَرِيمٍ أَقْصَدُهُ
 كَمْ أَجْمَعُ مِنْ مَعْنَى حَسَنِ وَيَبِينُ الشَّرْحُ يَقِيْدُهُ^(٦)

وقد سقتها بمجموعها في كتابي (أَلْحَانُ السَّوَاجِعِ) ^(٧).

ولم يزل على حاله إلى أن أتى مرةً من مصر ونزل بالتعديل ظاهر مدينة دمشق في

(١) في الأصل : « فلا عذر شهاب » .

(٢) في الأصل و (خ) : « أخوا » .

(٣) في الأصل : « إجازة وإجازة » .

(٤) هنا البيت خَلَّتْ مِنْهُ (أ) .

(٥) ليست في (أ) .

(٦) في الأصل : « الشرع يسيدة » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) .

(٧) في الأصل : « كتاب أَلْحَانُ السَّاجِعِ » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

بيت التحفة جدرانه ، وتأنس به جردانه ، فنزل به ذباب السيف ، وعمل من دمه وليمة
لذباب الصيف ، وأصبح ورأسه قد بان عن جسده وطاح ، ودقيق ابن قرصة تذروه
الرياح ، وكان مسكيناً يتحلب^(١) أفأويق الندى ، ويحتلب^(٢) يبلاغته أهل زمان
لا يجدون على نار المكارم هدى ، إلا من كان يرتاح للامتيار^(٣) في عدة^(٤) الامتيار
أو تهزه نعمة العافين أو مدام المذاح ، وقليل ما هم ، وقد بعد حام ، وكان المسكين
يرمق عيشه على برز ، ويمسي كالفارة في قرض الأعراض بالقرض .

وكانت قتلته يوم^(٥) الجمعة رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين
وسبع مئة .

وأنشدني من لفظه لنفسه بدر الدين حسن بن علي الغزي^(٦) :

مات ابن قرصة بعد طول تعرض	لموت ميتة شر كلب نابح
ما زال يشخذ مذيعة الهجو التي	طلعت عليه طلوع سعد الذابح
حتى فرى وذجيته عبد صالح	عقر النطيحة عقر ناقة صالح
فليحي قاتله ولا شلت يد	كفت المؤونة كف كل جرائحي

وقلت أنا فيه :

دع الهجو واقنع بما نلته	من الرزق لو كان دون الطفيف
فقرض ابن قرصة عم الوري	وراع الديني هجو الشريف
ومات ابن قرصة من جوعه	وشهوته عضة في رغيه

(١) (أ) ، (خ) : « يحتلب » .

(٢) (أ) ، (خ) : « يحتلب » .

(٣) (أ) : « للامتيار » .

(٤) ليست في (أ) ، (خ) .

(٥) (أ) ، (خ) : « في يوم » .

(٦) ستأتي ترجمته .

١٨٢ - أحمد بن محمد*

فتح الدين بن البقيّ - بياء موحدة وقافين مفتوحات - .

كان مقيماً بالديار المصرية يبحث ويناظر ويذاكر^(١) بالفوائد المنتقاة ويحاضر ، قلماً ناظر أحداً إلا قطعه وأتى به إلى مضيق التسليم^(٢) ودفعه ، إلا أنه مع ذكائه وحرصه في البحث وإيعائه^(٣) كان يبدو منه من الاستخفاف ما لا يليق ، ويظهر منه في الظاهر ما لا يحسن أن يكون في السر من الجائليق ، حتى ظهر أنه زنديق ، وتبين أنه مرتد عن الإسلام عن تحقيق ؛ لأنه كان يستخف بالشرع الذي شهدت العقول بحسن وصفه ، ويستهر^(٤) بالقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ولم يزل في جنونه ودوران منجنونه ، إلى أن أطاح سيف الشرع رأسه ، وأطفا ريح القتل نبراسه ، وأصبح الفتح قبّحا ، وأورده الذبّ عن الدين القيم ذبحاً ، ضرب القاضي المالكي عنقه بين القصرين سنة إحدى وسبع مئة في شهر ربيع الأول وطيف برأسه ، وكان قد تكهّل ، ولما ضرب رأسه بالسيف لم يمض السيف قطع رقبتة ، فتم حز رقبتة بالسكين .

وأخبرني جماعة بالقاهرة عن ابن المحفّدار أنه قال له يوماً : كآني بك وقد ضربت رقبتك بين القصرين ، وقد بقي رأسك معلقاً بجلدة ، فكان الأمر كما قال .

ومن شعره :

* الوافي : ١٥٨/٨ ، وفوات الوفيات : ١٥٢/١ ، والبداية والنهاية : ١٨/١٤ ، والدرر : ٣٠٨/١ ، والشذرات : ٢/٦ ، والمنهل الصافي : ١٨٧/٢ .

(١) (أ) : « ويذكر » .

(٢) (أ) : « التسليم له » .

(٣) (أ) : « واعتناؤه » .

(٤) (أ) : « ويستهزئ » .

ولا بدَّ أن ألقى به الله مُغْلِنَا
أقولُ وقلبي خالياً فتمكَّنَا^(١)

جُبِلْتُ على حُبِّي لها وألفتُها
ولم يخلُ من قلبي هواها بقدرِ ما
قلت : يشير إلى قول القائل^(٢) :

وصادف قلباً خالياً فتمكَّنَا

أتاني هواها قبل أن أعْرِفَ الهوى

ومنه :

لَقَدْ خَبَّتْ كَمَا طَابَ السُّلَافُ
كَأَيَّ شَفِيٍّ وَعَايَتِهَا الْحُرَافُ
بَغَاءٌ أَوْ جُنُونٌ أَوْ نُشَافُ

لَحَى اللَّهُ الْحَشِيشَ وَأَكْلِيهَا
كَأَيَّ صَبِيٍّ كَذَا تَضْنِي ، وَتُشْقِي
وَأَصْغَرَ دَائِهَا وَالِدَاءَ جَمٍّ

ومنه :

بَسَلَسَةً نَعِمْتُ كُلَّمَا أَرَقْتُ
وَعَلَيَّ فَكُّ عُيُونِهَا بِالْأَسْهُمِ

يَا مَنْ يُخَادِعُنِي بِأَسْهَمٍ مَكْرُهُ
اعْتَدَ لِي زَرْدًا تَضَايِقُ نَسْجُهُ

ومنه ، وقد جلسَ عند بعض الأطباء ساعة فلم يُطْعِمَهُ شَيْئاً ، فَلَمَّا قَامَ قَالَ :

حَمَانَا الْغِذَا مَا ذَاكَ عِنْدِي مِنَ الْبَخْلِ^(٣)
مَرْضَانَا بِرُؤْيَاةٍ حَمَانَا مِنَ الْأَكْلِ^(٤)

لَا تَحْسَبُوا أَنَّ الْحَكِيمَ لِبُخْلِهِ
وَلَكِنَّهُ لَمَّا تَيَقَّنَ أَنَّهَا

ومنه :

مِنَ الَّذِي حَازَ عِلْماً لَيْسَ عِنْدَهُ

أَيْنَ الْمَرَاتَبُ فِي الدُّنْيَا وَرَفَعَتْهَا

(١) أوردتها صاحب المنهل .

(٢) ينسب إلى المجنون ، ديوانه : ٢٨٢ .

(٣) في (أ) : « ولا » . والبيت من غير الواو مخروم .

(٤) (أ) : « لما تحقق » .

لا شك أن لنا قَدْرًا رَأَوْهُ وما
هم الوحوش ونحن الإنس حِكْمَتُنَا
وليس شيء سوى الإهمال يَقْطَعُنَا
لنا المريحان من علم ومن عدم
مثلهم عندنا قَدْرٌ ولا لهم
تَقُودُهُمْ حيثما شِئْنَا وهم نَعْمُ
عنهم لأنهم وَجَدَانَهُمْ عَدَمُ
وفيهما المتعبان الْجَهْلُ والحِشْمُ^(١)

قلت : كأنَّه نظم هذه الأبيات لَمَّا سمع أبيات الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد
رحمه الله تعالى ، وهي مِمَّا أنشدنيه الحافظ أبو الفتح^(٢) ، قال : أنشدني لنفسه :

أهل المراتب في الدنيا ورفعها
فألهم من تَوْقِي ضَرْنَا نَظَرَ
قد أنزلونا لآثَا غَيْرُ جَنَسِهِمْ
فليتنا لَوْ قَدِرْنَا أَنْ نَعْرِفَهُمْ
لهم مَرِيحَانٌ مِنْ جَاهٍ وَفَضْلٌ غَنَى
ومن شعراين البَقَى :

الكسّ لِلْجَحْرِ غَدَا مُعَانِدًا فِي الْقِدَمِ (٥)
فَانظُرْهُ يَبْكِي حَسَدًا فِي كُلِّ شَهْرٍ بِبَدَمِ

وما أحسن قولَ الحكيمِ شمس الدين محمد بن دانيال :

لا تَلْمُ الْبَاقِيَ فِي فِعْلِهِ
لَوْ هَذَبَ النَّامُوسُ أَخْلَاقَهُ

إِنْ زَاغَ تَضْيِلاً عَنِ الْحَقِّ^(٦)
مَا كَانَ مَنَسُوباً إِلَى الْبَقِ^(٧)

(١) (أ) : « ومن أدب » .

(۲) ابن سید الناس .

(۳) (أ) : « ولا لهم من رقي في قدرنا » .

(٤) هذا البيت خَلَتْ مِنْهُ (أ) .

(٥) (أ) : « من القدم » ، ولا يستقيم . وفي الوافي : « من قدم » .

(٦) في المنهل : « اليقضى » .

(٧) كذا في (أ) ، والوافي ، والمنهل . وفي الأصل « الناس » ، ولا يستقيم بها الوزن .

وَقَوْلُهُ فِيهِ لَمَّا سَجَنَ لِيَقْتُلَ :

يَظُنُّ فِتَى الْبَقْيِيِّ أَنَّهُ —————
نعم سوف يُسَلِّمَ المالكِيَّ قريبا ولكن إلى مالِكِ سيخلص من قبضة المالكِيَّ

وقيل : إنه استغاث يَوْمَ قَتْلِهِ بِالشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ ، وقال : أنا ترددت إليك أربعة أشهر لازمتك فيها ، هل رأيت مني شيئا مما ذكر هؤلاء ؟ فقال : ما رأيت منك إلا الفضيلة .

١٨٣ - أحمد بن محمد بن محمد بن هبة الله*

الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْكَاتِبُ الْمُفْتِي ، كَالِ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ الصِّدْرِ الْكَبِيرِ عَمَادُ الدِّينِ ابْنُ الْقَاضِي الْكَبِيرِ شَمْسُ الدِّينِ أَبِي نَصْرٍ بَنِ الشَّيْزَارِيِّ الدَّمَشْقِيِّ الشَّافِعِيِّ .

تَفَقَّهَ بِالشَّيْخِ تَاجِ الدِّينِ الْفَزَارِيِّ ، وَالشَّيْخِ زَيْنِ الدِّينِ الْفَارَقِيِّ^(١) ، وَقَرَأَ الْأَصُولَ عَلَى الشَّيْخِ صَفِيِّ الدِّينِ الْهِنْدِيِّ^(٢) ، وَسَمِعَ مِنَ الْفَخْرِ عَلِيِّ^(٣) وَوَالِدِهِ وَغَيْرِهِمَا ، وَحَفِظَ كِتَابَ الْمَزْنِيِّ^(٤) .

وَتَمَيَّزَ وَتَرَعَ ، وَأَخَذَ فِي طَلَبِ التَّدْرِيسِ وَشَرَعَ ، وَدَرَّسَ بِالْبَازَرْيَّةِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ ، بِالشَّامِيَّةِ الْكُبْرَى مَرَّاتٍ ، ثُمَّ اسْتَمَرَّ بِتَدْرِيسِ النَّاصِرِيَّةِ^(٥) مُدَّةً ، وَذَكَرَ لِقَاءَ

* الوافي : ١٢٥/٨ ، والبداية والنهاية : ٧٥/١٤ ، وذيل العبر : ١٩٠ . والدرر : ٣٠٠/١ ، والدارس : ١٥٧/١ ، والشذرات : ٩٥/٦ .

(١) عبد الله بن مروان (ت ٧٠٢ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٢) محمد بن عبد الرحيم (ت ٧١٥ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٣) علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٩٦ هـ) ، العبرة : ٣٦٢/٥ ، والنجوم : ٣٢/٨ .

(٤) المشهور باسم « مختصر المزني » لإسماعيل بن يحيى المزني صاحب الإمام الشافعي ، (ت ٢٦٤ هـ) ، الوافي : ٢٣٨/٩ .

(٥) داخل باب الفراديس شمال الجامع الأموي ، أنشأها للملك الناصر يوسف بن صلاح الدين . الدارس :

الشَّام في عِدَّه ، وكان خَيْراً متواضعاً ، دِيناً لأَفَويق الرِّفاق راضِعاً ، حَمِيد النِّشَاء ، جَمِيل البَدَاء ^(١) ، خَبيراً بالأُمُور ، ذَرِياً بأَحْوال الجُمُهور ، أَثْنى عليه قاضي القضاة بَدْرُ الدِّين مُحَمَّد بن جماعة ، وقاضي القضاة ابن الحريري ، وقالوا للسُّلطان : يصلح للقضاء .

وكان فيه حياءٌ وسكونٌ ومَيْلٌ إلى التَّخَلِّي ورُكُون ، حَاقَقَه مَرَّةً ابن جَمَلَة ^(٢) بحضرة الأمير سيف الدِّين تنكز - رحمه الله تعالى - وأراد مناظرته فتألَّم ، وأضرب عنه وتحلَّم ، وترك السَّعي في الشَّاميَّة لذلك .

وكان بَدِيع الكتابة ، جميع سهام ^(٣) أَقلامه فيها للإصابة ، كتب الرِّيحان والمحقِّق ، وزادَ في ذلك على ابن البَوَّاب ودَقَّق ، وكان خَطُّه قيد النواظر ، ونزهةً من يرتع في الرِّياض النَّواضر ، كلُّ سطر كأنَّه سُبْحَة جَوْهَرٍ راق نظْمُها ، وفاق على الكواكب وَشْمُها .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل بكمال الدِّين مُحَاقَه وفات إدراكه وإلحاقه ^(٤) .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ستٍ وثلاثين وسبع مئة في ثالث عشر صفر ، ودُفِنَ بتربتهم .

ومَوْلِدُهُ سنة سبعين وست مئة .

(١) (أ) : « حميد النشأة ، جميل النهاية والبداءة » .

(٢) يوسف بن إبراهيم (ت ٧٣٨ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٣) ليست في (أ) .

(٤) (أ) : « وإلحاقه » .

١٨٤ - أحمد بن محمد بن محمد بن نصر الله *

القاضي الرئيس جمال الدين التميمي القلانسى الدمشقي ، وكيل بيت المال ،
وقاضي العسكر ومدرس الأمينية والطاهرية وموقع الدست .

روى عن [ابن] ^(١) البخاري وبنت مكى ^(٢) ، وأذن جماعة في الإفتاء .

كان جميل الشكل مليح العمّة ، بهي المنظر متّسع الهمة ، وكتابته مثل الرّوض
الذي عرفه باسم ، أو العقود التي تفتّر عنها المباسم ، يخاله الناظر سطور ریحان
أو حبابا قد كلّ لؤلؤه ياقوت خد من بنت الحان .

ولم يزل راقياً في بروج سعوّده ، باقياً في اقتبال صعوده ، إلى أن هتف به داعي
حُفّه ، وفرّق بينه وبين الآفه وإلفه .

وتوفي رحمه الله تعالى ثامن عشر ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ،
وعاش ثيفاً وستين سنة .

وبلغتنا وفاته ونحن مع الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - على حِمص ،
فكتبت إلى ولده ^(٣) القاضي أمين الدين ^(٤) نظماً ونثراً :

أيّ خطب أضمى الحشا بنباله حين راع الوجود فقد جماله
يالدّمع الغمام ينهل حزناً ولنوح الحمام من فوق ضاله ^(٥)
أسعداني فإنّ خطبيّ جليل وأعينا من لم تكونا بحاله

* الوافي : ١٢٥/٨ ، والبنابة والنهاية : ١٥٦/١٤ ، والدرر : ٣٠٠/١ ، والبارس : ١٤٧/١ ، والشذرات : ٩٥/٦ ، والمنهل الصافي : ١٨٤/٢ .

(١) زيادة من (أ) ، والوافي ، والمنهل .

(٢) زينب بنت مكى بن علي الحراني ، (ت ٦٨٨ هـ) ، الشذرات : ٤٠٤/٥ .

(٣) في الأصل : « والده » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .

(٤) (أ) : « أمين الدين تعزية » . وفي الوافي : « أعزّيه » .

(٥) (أ) : « بالدموع الغمام » .

منها :

كيف لا يُظْلَمُ الوجودُ مِنِ كما
 وإذا ما النسيمُ أهْدَى عَبيراً
 وإذا ما احتبى بِمَجْلِسِ حِفْلٍ
 يا جمالاً مَضَى فَأُورِثَ وَجْهَ الـ
 ولعمري ما غابَ لَيْثٌ تَقَضَّى
 أيَّ شَبَلٍ أَبْقَيْتَ إِذْ غَبِثَ عَنَّا
 وهو عندَ الملوكِ خَيْرُ أَمِينٍ
 وإذا اتَّخَفَ الأعْبادُ بِدَرْجٍ
 أيُّهَا الفاضلُ المَهْدَبُ لا تَجِدْ
 كُنَّا فِي الْمَصَابِ رَهْنَ التَّاسِي

ن الثريّا معدودةً في نَعَالِهِ^(١)
 فَتَشَّ الطَّيْبُ تَلَقَّهُ مِنْ خِلَالِهِ^(٢)
 أَطْرُقَ الْقَوْمُ هَيْبَةً مِنْ جَلَالِهِ
 سَدَّهْرُ قُبْحاً لَمَّا ارْتَضَى بَزْوَالِهِ
 وَحَمَى غَابَهُ بَقَا أَشْبَالِهِ
 صَبْرُهُ لِلْخُطُوبِ مِنْ أَحْمَالِهِ^(٣)
 قَدْ سَمَا فِي الْوَرَى بِفَقْدِ مِثَالِهِ
 كَانَ قَطْعُ الْأَعْمَارِ فِي أَوْصَالِهِ
 زَع لَذَاكَ الْجَلِيلِ عِنْدَ انْتِقَالِهِ^(٤)
 بِالنَّبِيِّ الْكَرِيمِ وَالْغُرِّ إِلِهِ

١٨٥ - أحمد بن محمد بن محمد*

الشيخ زين الدين بن الْمُعْزِلِ المحوي الخطيب ، أبو عبد الله بن الشيخ
 تاج الدين خطيب الجامع الأسفل .

سمع من شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز .

لم يزل في مَرَقٍ^(٥) دَرَجَ منبره ، وإلقاء العقود النفيسة من جواهره ، إلى أن سكت
 فما نَبَسُ ، ونزل من منبره إلى الأرض وارْتَمَسَ .

(١) (أ) ، والوافي : « لمن كان » ، وفي (أ) : « من نعاله » .

(٢) (أ) : « فقس الطيب » .

(٣) (أ) : « إذ بئرت » .

(٤) في الوافي : « الخليل » .

* الوافي : ١٢٤/٨ .

(٥) ليست في (أ) .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : أجاز لنا من حماة ، وكان قد سمع من شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز (جزء) ابن عرفة .

١٨٦ - أحمد بن محمد بن أبي الحزم مكّي *

القاضي نجم الدين القمّولي - بالقاف المفتوحة وضم الميم وبعدها واو ساكنة ولام - . من الفقهاء الفضلاء والقضاة النبلاء ، وافرّ العقل ، جيّد النقل ، حسن التصرف ، دائم البشر والتعرف ، له دين وتعبّد ، وانجماع عن الباطل وتفرد .

قال الفاضل كال الدين جعفر الأدفوي : قال لي يوماً : لي قريب^(١) من أربعين سنة أحكم ما وقع لي حكم خطأ ، ولا أثبت مكتوباً تكلم فيه أو ظهر فيه خلل .

سمع من قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة وغيره ، وقرأ الفقه بقوص وبالقاهرة ، وقرأ الأصول والنحو وشرح (الوسيط) في مجلدات كثيرة ، وفيه نقول غزيرة^(٢) ، ومباحث مفيدة سماء (البحر المحيط) ، ثم جرد نقوله في مجلدات وسمّاه (جواهر البحر)^(٣) ، وشرح (مقدّمة) ابن الحاجب في مجلدين ، وشرح (الأسماء الحسنی) في مجلد ، وكمل (تفسير) الإمام فخر الدين^(٤) .

وكان ثقة^(٥) صدوقاً . تولّى قضاء قمّولا عن قاضي قوص شرف الدين إبراهيم بن عتيق ، ثمّ تولّى الوجه القبلي من عمل قوص في ولاية قاضي القضاة عبد الرحمن ابن

* الوافي : ٩٢/٨ ، والبداية والنهاية : ١٣١/١٤ ، وطبقات السبكي : ٣٠/٩ ، والطالع السعيد : ١٢٥ ، والدرر : ٣٠٤/١ ، والبغية : ٢٨٣/١ ، والشدرات : ٧٥/٦ ، والمنهل الصافي : ١٦٤/٢ .

(١) ليست في (أ) ، وهو في كتاب الأدفوي (الطالع السعيد) .

(٢) في الوافي : « غزيرة » . وكذا في الطالع السعيد ، والمنهل .

(٣) الكشف : ٢٠٠٨/٢ .

(٤) الرازي ، المسمّى (مفاتيح الغيب) ، وقد ذكره صاحب الكشف : ١٧٥٦/٢ .

(٥) ليست في (أ) .

بنت الأعزَّ^(١) ، وكان قد قَسَمَ العمل بينه وبين الوجيه عبد الله السُّمرباوي^(٢) ، ثمَّ تولَّى إخمير مرتين ، وولي أسيوط والمنية والشرقية والغربية ، ثمَّ ناب بالقاهرة ومصر ، وتولَّى الحُسبة بمصر ، واستمرَّ في النيابة بمصر والحيزة والحسبة إلى أن توفي .

ودرَّس بالفخرية بالقاهرة ، وكان الشَّيخ صدر الدِّين بن الوكيل يقول : ما في مصر أفقه منه ، يقال : إنَّ أصله من أُرْمُنْت .

ولم يزل يفتي ويحكم ويدرَّس ويصنّف وهو مبجلٌ مُعظَّم إلى أن غَرَبَ نَجْمُهُ ومُحِيَّ من الحياة رَسْمُهُ .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

وولي نيابة الحكم بعده^(٣) الشَّيخ نجم الدِّين بن عقيل الباليسي ، وولي حُسبة مصر ناصر الدِّين فار السقوف .

١٨٧ - أحمد بن محمد بن أبي بكر *

ابن عماد السِّدِّين أبي الحرم مكِّي بن مسلم بن أبي الخوف المعروف بعكوك^(٤) شهاب الدِّين .

كانت له مطالعات ، وعنده منها ابتداءات ومراجعات ، ويحفظ للمتأخرين شيئاً عظيماً ، ويؤرِّد لهم من جواهرهم عقداً نظيماً ، وكان لا اشتغال له ولا عِلْمَ عنده من غير المطالعة وتَصَفَّح الدَّواوين الناصعة ، وهو جيّد النَّقد في القريض ، عارف بما هو صحيح منه أو مريض . وجمع من شعر المتأخرين مجاميع ، وقصَّرها دوت القصائد على المقاطيع .

(١) (ت ٦٩٥ هـ) ، الشذرات : ٤٣١/٥ .

(٢) في الطالع السعيد : « السمرباوي » .

(٣) (أ) : « بعده بمصر » .

* الوافي : ١٦٠/٨ ، والدرر : ٢٥٢/١ .

(٤) في الوافي : « عوكل » .

وكان له وَقْفٌ يَحْصُلُ منه في الصَّيْف ما يكون له مؤونة في الشَّتاء ، وكان في^(١)
 غالب السنين يَصَيِّفُ في الشَّام وَيَشْتِي في مصر ، إلاَّ أَنَّهُ كان مَتَزَقًّا إلى الغاية ، متخرِّقاً
 في نهاية ، يكابد شدائد الفَقْر ، وَيَصْبِر من القَلَّةِ^(٢) على ما لها في حاله من العَقْر ، قد
 زَوَّته الحشيشة في حُسٍّ ، وَرَوَّته من الطيش في طُسٍّ .

ولم يزل على حاله إلى أن جاء الطاعون فغسله في جملة ذلك الماعون ، وذلك في
 سنة تسع وأربعين وسبع مئة بدمشق في مستهل شهر رجب ، وكان له من العمر تقريباً
 أربعون^(٣) سنة .

أنشدني من لفظه لنفسه :

ناظرُ الجامعِ الكبـ ير ظلمَومٌ إذا قَدَرُ^(٤)
 ائِلُّهُ رَبٌّ بِالْعَمَى وأَرِحْهُ مِنْ النَّظَرِ

وأنشدني من لفظه لنفسه :

قُلْتُ لَهُ إِذْ بَدَا وَطَلَعَتْهُ قد أَشْرَقَتْ فوق قَامَةٍ تَامَةٍ
 هَبْ لي مناماً فقال كيف وقد رأيت شمس الضحى على قَامَةٍ

قلتُ : هُوَ مأخوذ من قول شمس الدِّين التلمساني :

بدا وَجْهُهُ من فوقِ أَشْمَرٍ قَدَّه وقد لاح من سَوْدِ الذَّوائبِ في جُنْحِ
 فَقُلْتُ عَجِيبٌ كيف لا يذهب الدُّجَا وقد طَلَعَتْ شمسُ النَّهارِ على رُمُحِ^(٥)

(١) ليست في (أ) ، (خ) .

(٢) في الأصل : « العَلَّة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) (خ) : « العمر نَيْفًا وأربعون » .

(٤) (أ) ، (خ) : « اقتدر » .

(٥) (أ) ، (خ) ، والوافي : « لم يذهب » .

وأُنشدني من لفظه^(١) في العايق^(٢) الطَّبَّاخ :

قد غلب العايق في قَوْلِهِ لَمَّا أَتَى الطَّاعُونَ بِالْحَادِثِ
فَحَقِيقَتِي تُقْتَلُ مِنْ يَوْمِهَا وَأَنْتِ فِي يَوْمَيْنِ وَالثَّالِثِ^(٣)
وكتب إليَّ ونحن بالقاهرة :

أيا فاضلاً ساد الورى بفضائل تَنَاهَتْ فَمَا أَضْحَى لَهُنَّ بِدِيلِ^(٤)
تَقَمَّصَتْ ثَوْبَ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالتَّوَدَى فَأَنْتِ صِلَاحٌ لِلْوَرَى وَخَلِيلُ
وَلَسْتَ خَلِيلاً بَلْ خَلِجاً لَوَارِدِ غَلِطْتُ فَسَاحِجِي فَنَيْلُكَ نِيلُ
فكتبتُ أنا الجواب إليه :

أيا ابن أبي الخوف الذي أَمِنْتُ بِهِ طَرَائِقُ نَظْمٍ وَاسْتِبْهَانِ دَلِيلِ^(٥)
لَقَدْ فَتَّ غَايَاتِ الْأَوَّلَى سَبَقُوا إِلَى نَهَايَاتِ فَضْلِ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
فَأَنْتِ عَلَى هَذَا الزَّمَانِ كَثِيرٌ وَرَأْيُكَ فِي النِّظْمِ الْبَدِيعُ جَمِيلُ

١٨٨ - أحمد بن محمد*

شهاب الدِّين المعروف بالحاجبي - بجاءٍ مهملة ، وبعد الألف جيمٌ وباءٌ موحدَةٌ ..
شابٌ جنديٌّ ، ذهنه أمضى من الهنديِّ ، يَتَخَيَّلُ^(٦) المعنى الغامض ، ويورد اللَّفْظَ

(١) (أ) ، (خ) : « لفظه لنفسه » .

(٢) في الوافي : « ابن العائق » .

(٣) (أ) ، (خ) ، والوافي : « في يومها » . وفي الوافي : « وذلك في .. » .

(٤) (أ) ، (خ) ، والوافي : « عديل » .

(٥) في الأصل : « سبيل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .

* الوافي : ١٦١/٨ ، والدرر ٣١٢/١ ، والمنهل الصافي : ١٨٨/٢ .

(٦) في (أ) ، (خ) : « يتحيل » بالحاء المهملة .

الْحُلُوْ لا الحامض ، مقاطيعه رائقة ، ومعانيه بالقلوب لائقة . اجتمعت به في سُوْق
الكتب بالقاهرة في سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مئة .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

أقولُ شَبَّهَ لَنَا جَيْدَ الرَّشَاءِ تَرْفَاً يامُعْمِلَ الْفِكْرِ فِي نَظْمٍ وَإِنْشَاءِ
فَظِلٌّ يُجْهِدُ أَيَّاماً قَرِيحَتَهُ وَشَبَّهَ الْمَاءَ بَعْدَ الْجُهِدِ بِالْمَاءِ

فقلت له : أطلقت الرشا ههنا ، ولو قلت : الرشا الذي سباني ، أو جيد معذبي .
لكان أقعد في التوطئة ، ثم أنشدته فيما بعد لنفسي :

أقولُ شَبَّهَ لَنَا كَأْساً إِذَا مَزَجَ الـ سَاقِي طَلَاهَا اهْتَدَى فِي لَيْلِهِ السَّارِي
فَظِلٌّ يُجْهِدُ أَيَّاماً قَرِيحَتَهُ وَشَبَّهَ النَّارَ بَعْدَ الْجُهِدِ بِالنَّارِ

فقال : إِلَّا أَنِّي ^(١) أَنَا أَتَيْتُ بِالْمَثَلِ السَّائِرِ ، فأنشدته فيما بعد لنفسي :

أَتَى الْخَبِيبُ بِوَجْهِ جِلٍّ خَالِقِهِ لِمَا بَرَاهَ بِلُطْفِ فَتْنَةِ الرَّائِي
فَلَاحَ شَخْصٌ عَذُولِي وَسُطَّ وَجْنَتَهُ فَقُلْتُ شَبَّهْتُ لِي فِي فِرطٍ لَأَلَاءِ
فَرَاخٌ يُجْهِدُ أَيَّاماً قَرِيحَتَهُ وَشَبَّهَ الْمَاءَ بَعْدَ الْجُهِدِ بِالْمَاءِ

قلت : وأصل هذا المثل أَنَّ الْوَجِيهَ ابْنَ الذَّرْوِيِّ ^(٢) دَخَلَ يَوْمًا إِلَى الْحَمَّامِ وَمَعَهُ ابْنُ
وَزِيرِ الشَّاعِرِ ^(٣) ، فَقَالَ ابْنُ وَزِيرٍ ^(٤) :

لِلَّهِ يَوْمِي بِحَمَّامٍ نَعِمْتُ بِهَا وَالْمَاءُ مَا يَنْنَا مِنْ حَوْلِهَا جَارِ
كَأَنَّهُ فَوْقَ شَفَافِ الرِّخَامِ ضَحَى مَاءٌ يَسِيلُ عَلَى أَثْوَابِ قَصَارٍ ^(٥)

(١) ليست في (أ) ، (خ) .

(٢) علي بن يحيى (ت ٥٧٧ هـ) ، فوات الوفيات : ١١٣/٣ .

(٣) هو النجيب هبة الله ، الحريرة - قسم مصر : ١٤٣/٢ .

(٤) فوات الوفيات : ١١٣/٣ .

(٥) في الأصل وباقي النسخ : « فوق شقات » ، وأثبتنا ما في الفوات .

فقال ابن الذرّوي^(١) :

وشاعرٍ أوقدَ الطبعَ الذكيَّ له فكاد يحرقـه منْ فرطِ إذكاءِ
أقامَ يُعملُ أياماً قريحتهُ وشبه الماء بعد الجهد بالماء
وكان هذا شهاب الدين الحاجبي كثيراً ما يتبع كلامي ، ويقصد إصابة مرامي
ولمّا سمع قولي قديماً^(٢) :

قالتُ لأُيرِّي وهَوَ فيها ضائع كالحَبَلِ وَسَطَ البيرِ إذ تُلقِيه
قد عِشْتُ في كسٍّ كبيرٍ قلتُ ما كَذَبْتُ لأنَّ الكافَ للتشبيه^(٣)
قال هو واختصر وأجاد :

رَبِّ صَغِيرٍ حِينَ وَلَفْتُـهُ أَيْقَنْتُ لَا يَدْخُلُ إِلَّا الْيَسِيرُ
أَلْفَيْتُهُ كَالْبِيرِ فِي وَسْعِهِ حَتَّى عَجَبْنَا مِنْ صَغِيرٍ كَبِيرٍ^(٤)
وكذا لمّا سمع قولي :

يَاطِيبُ نَشْرَهَبْ لِي مِنْ نَحْوِكُمْ فَأَثَارَ كَامِنَ لَوْعَتِي وَتَهْتِكِي^(٥)
أَدَى تَحِيَّتِكُمْ وَأَشْبَسَهُ لَطْفِكُمْ وَرَوَى شَذَاكَمَ إِنْ ذَا نَشْرَ ذِكِي^(٦)
نظمه أيضاً فقال :

لَا تَبْعَثُوا غَيْرَ الصَّبَا بِتَحِيَّةِ مَاطَابِ فِي سَمْعِي حَدِيثُ سَوَاهَا
حَفِظْتُ أَحَادِيثَ الْهَوَى وَتَضَوَّعْتُ نَشْراً فَيَا لَلَّهِ مَا أَذْكَاهَا

(١) انظر : الفوات : ١١٣/٣ .

(٢) البيتان في الغيث المسجم : ٢٣٧/٢ .

(٣) في الأصل : « لا كذبت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي ، والغيث .

(٤) في الأصل : « في وسطه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) (أ) ، (خ) ، والوافي والمنهل « من أرضكم » .

(٦) (أ) ، (خ) : « أدى محبتكم » ، وفي الوافي والمنهل : « وحكى شذاكم » .

وَلَمَّا أَنْشَدْنِيهَا قُلْتُ لَهُ : إِلَّا أَنْكَ نَقَصْتَهَا^(١) صِفَةً عَمَّا وَصَفْتَهَا بِهِ ، فَأَعْتَرَفَ .
ولم يزل الحاجبي على حاله إلى أن ذَهَبَتْ عَيْنُهُ وَأَثَرُهُ ، وَأَقَامَ فِي لَحْدِهِ إِلَى أَنْ يَشْقَهُ
الله يوم القيامة وَيُبْعِثُهُ .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .
وَأَنْشَدَنِي الشَّيْخُ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْمُكْتَبِ الْمَصْرِي مِنْ لَفْظِهِ ، قَالَ :
أَنْشَدَنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ شَهَابُ الدِّينِ الْحَاجَبِي ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى :

قِيلَ لِي إِذْ لَمْتُ وَرْدًا عَلَى الْخَدِّ سَدَّ جَنِيًّا مِنْ دُونِهِ الْجَلْنَائِرُ
هَلْ لَوْرِدِ الْخُدُودِ يَا صَاحِبَ شَوْكٍ مِثْلُ وَرْدِ الرِّيَاضِ قُلْتُ الْعِذَارُ
وبه قال : أَنْشَدَنِي :

عُودُوا لَصَبِّ بَكِي عَلَيْكُمْ يَا جَبِرَةً وَدَّعُوا وَسَارُوا
فَدَمَعُ عَيْنَيْهِ عَادَ بَحْرًا وَقَلْبُهُ مَالَهُ قَرَارُ
وبه قال : أَنْشَدَنِي :

وَدَّعْتُهُمْ وَدَمَعْتُ عَيْنِي عَلَى الْخُدُودِ غِزَارُ
فَاسْتَكْثَرُوا دَمْعَ عَيْنِي لَمَّا اسْتَقَلُّوا وَسَارُوا
وبه قال : أَنْشَدَنِي :

إِلَى اللهِ أَشْكُو مِنْ عَلِيٍّ فَإِنِّي شَرَحْتُ لَهُ شَوْقِي وَفَرَطْتُ تَأَلَّمِي
وَأَحْوجُنِي لِلْغَيْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَيَحْتَاجُ مَنْ يَهْوَى عَلِيًّا لِسَلَمِ
وبه قال : أَنْشَدَنِي :

قُلْتُ هَلْ لِي مِنْ دَوَاءٍ قَدْ غَدَا جِسْمِي عَلِيًّا
قَالَ تَسْأَلُونِي عَنْ عَلِيٍّ قُلْتُ أَمَّا عَنْ عَلِيٍّ لَا

(١) : « نَقَصْتَهَا » .

١٨٩ - أحمد بن محمد بن قلاوون*

السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ ابْنُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ ابْنِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ .

كان أحسنَ الأخوة شكلاً ، وأزجَحهم ثباتاً في أوَّل أمره وعقلاً ، شديدَ الباس ، مفرطَ القوَّة من غير التَّباس ، ولم^(١) يرَ أحدٌ ما اتَّفَقَ له من السَّعد ، ولا سمعَ أحدٌ بما^(٢) قدَّرَ له من التَّعاسة فيما بعد ، ذهبت^(٣) أموال النَّاس وأديانهم وأرواحهم بسببه ، وأجلسوه على كرسي المُلْك ، فما طلع في صُعد شأنه حتَّى انحطَّ في صِيبة ، ولم يزل في خمول وخمود ، وجدود عَفَّرت منه الحدود ، وأنزلته بعد الثَّريَّا إلى^(٤) أخدود ، إلى أن فرَّق الحسام بين جسده ورأسه ، ونقله بعد عزِّ غابه إلى ذلِّ كُنَّاسِه ، وما برح في حَبَّة^(٥) الكرك ، إلى أن وقع منها في وسط المعترك ، وكان في عالم الإطلاق فأوقع نفسه منها في الشَّرْك ، وحطَّه النَّاس في دَرَج المُلْك فما أراد إلَّا أن يكون في دَرَك ؛ وذلك لأنَّ والده أخرجَه في أوَّل صباحه إلى الكرك ، والنائبُ هناك الأمير سيف الدِّين ملكمتر^(٦) - رحمه الله تعالى - السَّرجواني فأقام بها قليلاً ، وجَهَّزَ إليه أخويه إبراهيم وأبا بكر المنصور ، فأقاموا بها إلى أن ترعرعوا ، وطلبهم والدهم فأقام إبراهيم وأبو بكر بالقاهرة ، وعاد أحمد إلى الكرك ، ثم إنَّه طلبه إلى القاهرة ، وزوَّجه بابنة الأمير سيف الدِّين طابير بغا خال السلطان ، وأقام قليلاً ، وأعادَه بأهله إلى الكرك ، فوقع بينه وبين الأمير سيف الدِّين ملكمتر السَّرجواني ، فأحضرهما السلطان ، وغضب عليه والدُّه ، وتركه

* الوافي : ٨٦/٨ ، والدرر : ٢٩٤/١ ، والبدائع : ٥٠٣/١/١ ، والنجوم : ٥٠/١٠ ، والمنهل الصافي : ١٥٨/٢ .

(١) (أ) ، (خ) : « لم » .

(٢) (أ) : « ما » .

(٣) في الأصل : « ذهب » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) .

(٤) (أ) ، (خ) : « في » .

(٥) (أ) : « حنة » .

(٦) في الأصل : « تذكر » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) ، والوافي ، والمنهل .

مقيماً بالقاهرة مُدَيِّدَةً^(١) . ثم إنَّه جهَّزه إلى الكرك وحده^(٢) بلا نائب ، فأقام بها إلى أن توفي والده^(٣) ، ولم يسند الأمر بعده إليه ، بل أوصى بالملك للمنصور^(٤) أبي بكر ، فقام بشتاك في ناصره ، وقام قوصون في ناصر أبي بكر ، وغلب قوصون على إقامة أبي بكر فأقام المنصور في الملك مدَّة شهرين ، وخلعه قوصون ، وأقام الأشرف كُجك وسير^(٥) قوصون يطلب النَّاصر أحمد إلى القاهرة ، فلم يوافق ، وكتب في الباطن إلى نواب الشَّام ومُقدِّمي الألوْف يستجير بهم ويستعفي من الرُّواح إلى مصر ، وأظهر الدِّلة والمسكنة الزائدة ، فرقوا له في الباطن وحملوا الكتب إلى قوصون خلا الأمير سيف الدِّين طشتمر حمص أخضر ، فإنَّه رَقَّ^(٦) في الباطن والظاهر ، فخرج على قوصون وتعصَّب لأحمد ، وكتب إلى نواب الشَّام وقام قياماً عظيماً على ماسيأتي في ترجمته ، وأمَّا قوصون فإنَّه لمَّا^(٧) وقف على كُتبه إلى النُّواب طلب الأمير سيف الدِّين قطلوبغا الفخري وجهَّزه لحصار الكرك ، وجهَّز معه ألفي فارس ، فتوجَّه إلى الكرك وحَصَّرها أياماً ، ثم إنَّه رَقَّ لأحمد ، وبلغه أنَّ الطنبغا نائب الشَّام قد توجَّه بعسكر دمشق إلى حلب خلف طشتمر^(٨) ، فترك حصار الكرك وجاء إلى دمشق وتسلَّمها ، ودعا النَّاس إلى بَيْعة أحمد ، وسماه النَّاصر ، وجرى له ماجرى على ماسيأتي إن شاء الله تعالى في ترجمة قطلوبغا الفخري ، ولمَّا أن^(٩) عاد الطنبغا من حلب والتقاء الفخري وانهزم الطنبغا إلى مصر وخامر عسكره عليه ودخلوا في ركاب الفخري إلى دمشق ونزل بالقصر الأبلق وحلَّف

(١) ليست في (أ) ، (خ) .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) انظر البداية والنهاية : ١٤/١٩٠ ، أحداث سنة (٧٤١ هـ) .

(٤) (أ) ، (خ) : « إلى الملك المنصور » .

(٥) في الأصل : « وصير » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٦) (أ) ، (خ) : « رَقَّ له » .

(٧) (أ) ، (خ) ، والوافي : « قوصون فلماً » .

(٨) في الأصل : « طمر » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٩) ليست في (أ) ، (خ) .

الناس جميعاً لأحمد ثم إنَّ الفخريَّ جهَّز^(١) الأمير سيف الدين قاري وسليمان بن مهنا وغيرهما من الأمراء^(٢) إلى الكرك ، وقصد منه الحضور إلى دمشق ، فلم يحضر وتعلَّل بحضور طشتر ، وكان قد تسحَّب إلى الروم ، وكتب الناصر أحمد إلى الأمير سيف طقزتر نائب حماة وإلى الأمير بهاء الدين أصلم نائب صفد وإلى مقدَّمي الألوف بدمشق يقول لهم : إنَّ الفخريَّ هونائي ، وهو يولِّي النيابات من يراه .

ولمَّا وصل طشتر من بلاد الروم إلى دمشق ، وكان أمراء مصر قد خرجوا على قوصون واعتقلوه في سجن الإسكندرية ، بعث الفخريُّ وطشتر إلى الناصر أحمد وسألاه الحضور إلى دمشق ليتوجَّها في خدمته بالعساكر إلى الديار^(٣) المصرية ، فدافعها^(٤) إلى بعد مضيِّ شهر رمضان^(٥) ، وتوجَّه إليه أكبر مقدَّمي الألوف من مصر مثل الأمير بدر الدين جنكلي وأمثاله ، وسألوه التوجُّه معهم إلى مصر ، فلم يوافق وعادوا خائبين ، وترك أهل الشام ومصر في حيِّرة بعدما حلف الجميع له ، ثم إنَّه بعد ذلك توجَّه وحده إلى القاهرة ، ولم يشعر المصريون إلَّا وقد جاء خبره بوصله ، وصعد إلى القصر الأبلق بقلعة الجبل ، ولمَّا وصل الخبر إلى دمشق توجَّه الفخري وطشتر بعساكر الشام وقضاته إلى مصر ، وكانت سنةً شديدة الأوجال كثيرة الثلوج والأمطار ، وجبَّيت الأموال من كبار الناس وصغارهم لنفقات العساكر ولعمل شعار المُلْك وأبهة السلطنة ، فهلك الناس .

ولمَّا وصلوا إلى مصر جلس الناصر أحمد على كرسيِّ المُلْك وإلى جانبه أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أبو القاسم أحمد^(٦) - وقد مضى ذكره - وحضر قضاة مصر

(١) سياق العبارة في الوافي أنها جواب لـ (لمَّا) .

(٢) قوله : « من الأمراء » ، ليست في (أ) ، (خ) .

(٣) في الأصل : « بالديار » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، وما فيها أنسب .

(٤) في الأصل : « فدافعها » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) (أ) ، (خ) : « مضي شهرين » .

(٦) البداية والنهاية : ٢٠٠/١٤ .

والشام الثانية ، واجتمعت عساكر مصر والشام ، وعهد الخليفة إليه بحضور العالمين ، وحلف المصريون والشاميون^(١) ، ولم تتفق مثل هذه البيعة لأحد من ملوك الأتراك ، لاجتماع أهل الإقليمين في يوم واحد بحضور الخليفة ، وكان يوماً مشهوداً عظيماً .

ثم إنه ولَّى طشتر نيابة مصر ، وقطلوبغا الفخري نيابة دمشق ، وإيدغمش أمير آخور نيابة حلب ، والأحمدي يببرس نيابة صفد ، والحاج آل ملك نيابة حماة ، والأمير شمس الدين أقسنقر نيابة غزة ، ولما فعل ذلك هؤلاء الأكابر خافه الناس وهابوه وأعظموا أمره ، وبعد أربعين يوماً من ملكه أمسك طشتر وأخذه معه إلى الكرك ، وبعث إلى إيدغمش بأن يُمسك الفخريّ ، فأمسكه وجّهه إليه مع ابنه ، فلما وصل^(٢) به إلى الرمل جاء من عند الناصر أحمد من أخذته منه وتوجّه به إلى الكرك ، وأخذ الناصر أحمد معه من مصر سائر الخيول الثمينة الجيدة التي في إصطبل السلطنة ، وجميع البقر والغنم التي بالقلعة ، وأخذ الذهب والدرهم وسائر الجواهر وما في الخزائن ، وتوجّه بجميع ذلك إلى الكرك ، وجعل الأمير أقسنقر السلاوي نائباً بمصر ، وأخذ معه القاضي علاء الدين بن فضل الله كاتب السر والقاضي جمال الدين جمال الكفاة ناظر^(٣) الجيش والخاص وجعلها عنده في قلعة الكرك ، واستغرق هو في لهوه ولعبه وما سؤله^(٤) له الشيطان ، واحتجب عن الناس مطلقاً ، وسيّر من يمسه الأحمدي بصفد ، فلما أحسّ بذلك هرب من صفد وجاء إلى دمشق ، وجرى ماسياً في ذكره في ترجمة الأحمدي ، ثم إنه أحضر الفخري^(٥) وطشتر يوماً وضرب عنقها^(٦) صبراً ، وأخذ حريمها وسباهنّ وسلط عليهنّ نصارى الكرك ، ففعلوا بهنّ كلّ قبيح ، فحينئذ نفرت منه

(١) ليست في (أ) .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) في الأصل : « وناظر » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٤) (أ) : « سؤل » .

(٥) في الأصل : « أحضر الأحمدي الفخري » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

(٦) في الأصل : « عنقها » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

القلوب ، واستوحش الناس منه ، ولم يعد^(١) يحضر من الكرك كتاب ولا توقيع بخط موقع ، إننا يرد ذلك بخط نصراني يُعرف بالرّضي ، وإذا توجّه أحد إلى الكرك لا يرى وجه السلطان ، وإننا الذي يدبّر الأمور واحد من أهل الكرك يعرف بابن البصارة ، فجاج الناس لأجل ذلك في الشّام ومصر ، وجّهز المصريون إليه الأمير سيف ملكتمر الحجازي ليرى وجه السلطان ، فلمّا بلغه وصوله جعله مقيماً بالصّافية أياماً ، ولم يستحضره ولا اجتمع به ، فردّ على حاله إلى مصر ، فأجمع المصريون رأيهم على خلعهِ وإقامة أخيه إسماعيل مكانه ، فخلعوه ، وحلفوا للصّالح إسماعيل^(٢) ، وحضر الأمير سيف الدّين طقتمر الصّلاحي للبشارة إلى دمشق ، وحلّف عساكر الشّام ، وكان يوم خلعهِ يوم الخميس ثاني عشر^(٣) شهر الله المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، وكان مدّة ملكه بالقاهرة والكرك دون الأربعة أشهر .

ولمّا استقرّت الأحوال وثبت ملك الصّالح أمر بتجهيز العساكر من مصر والشّام لحصار الكرك ، فتوجّه الناس ، وكلّما حضرت فرقة توجّهت فرقة من مصر والشّام ، فيُجرح^(٥) من هؤلاء ومن هؤلاء ويقتل منهم جماعة ، وهلك النّاس أجمعون بسببه من التجاريد ، وسخر النّاس لحمل الأتبان والشعير والمؤن للعساكر ، وجرّ المجانيق والأثقال والسّلاح وآلات الحصار من الدّبابات وغيرها ، وطال الأمر ولم يبقَ أمير في مصر والشّام حتّى تجرّد إليه مرّة ومرّتين .

قال لي الأمير بدر الدّين جنكلي بن البابا رحمه الله تعالى الذي خصني على النّاصر في كلفة قدومه من التّقدمة له ومن النفقة على التجاريد والتوجّه إليه ألف^(٦) ألف

(١) ليست في (أ) .

(٢) البداية والنهاية : ٢٠٢/١٤ .

(٣) (أ) : « طيتر » ، و (خ) : « طقتمر » ، تحريف .

(٤) في الوافي : « ثاني عشرين » .

(٥) في الأصل : « فيخرج » ، تصحيف .

(٦) (أ) ، (خ) : « مبلغ ألف » .

وأربع مئة ألف ، وأمسك بسببه جماعة من أمراء مصر ، ثم أمسك نائب مصر السلاري ،
ووسط الأمير سيف الدين بك الخصري ومعه جماعة من المالك السُلطانية ، وأمسك
أخوه رمضان وأخوه يوسف ، وقضى الله أمره فيهما ، وأخذ أمر الناصر أحمد في
التلاشي ، وهلك من عنده من الجوع ، وذبح تلك الخيول الثينة والأبقار والأغنام
وقددها ، وضرب الذهب دنائير وخلط فيها الفضة والنحاس ، وكان يباع الدينار
بخمسة دراهم ، وهرب الناس من عنده .

ثم إنَّ الأمير علم الدين سنجر الجاولي جدَّ في حصَّارَه لأنَّه وقف يوماً من القلعة
وسبَّه ولعنه وشيخه ، فقال له : السَّاعة أفرجَّك كيف يكون الحصار ، ونقل المنجنيق
إلى مكانٍ يعرفه ، ورمى القلعة فوصل الحجر إليها وأنكى فيها وخرَّب السورَ ، وطلع
النَّاس إليها وأمسكوه في يوم الإثنين ثاني عشر^(١) صفر سنة خمس وأربعين وسبع مئة
وجزَّوا رأسه ، وجهَّزوه مع الأمير سيف الدين منجك إلى القاهرة .

وقلت أنا فيه :

أعوذ بالله ممَّا راح يعكسه الـ	باري تعالى وما يُجري به الفلكا ^(٢)
كأحمد الناصر بن الناصر انعكست	سعوده عنه حتَّى راح ماملكا ^(٣)
فما تمتع بالملك المعظم في	مصر وزال وما أبقى له الكركا

١٩٠ - أحمد بن محمد بن عثمان*

القاضي صفِّي الدين بن قاضي القضاة شمس الدين الحريري الحنفيّ ، وسيأتي ذكرُ
والده في المحمَّدين إن شاء الله تعالى .

(١) في الوافي : « عشرين » .

(٢) (أ) ، (خ) : « الباري ولله ما يجري به » .

(٣) (أ) : « فأحمد » .

* الدرر : ٢٧٩/١ ، والذيل التام : ١٥٣ .

كان هذا القاضي صفى الدين شكلاً ضخماً مفرطاً في السمن يخطئ العاقل إذا جاء في الاستفهام عنه بـ (مَنْ) ، له نوادرٌ مُضحكةٌ ما فَرِحَ بمثلها جُحاً ، ومَقى سُمِعَتْ كان الثاني على الأول مَرَجحاً ، أعجوبةٌ من الأعاجيب ، وأحدوثه لم يَسْمَعْ بمثلها إلا وظنَّ أنها من الأكاذيب ، يتداول الناس أخبارها ، ويتشوّفون^(١) إلى أن يَسْمَعُوا علماءها بذلك وأخبارها^(٢) ، إلا أنه كان يَنْطوي على دِيَانَةٍ ، ويجعل الخوفَ من ربِّه عِيَانَهُ . ولم يزل على حاله إلى أن حَلَّتْ به الدُّرُخمين^(٣) ، وصدق في عدمه الْحَدْس والتخمين .

وتوفي رحمه الله تعالى في نهار السبت تاسع عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

كان مدرّساً بالمدرسة الصّادريّة بباب البريد بدمشق^(٤) ، وبيده ، على غالب ظنيّ ، إمامةً الظاهريةً داخل دمشق للحنفية^(٥) .

طلّبه السُّلطان إلى مصر وولّاه التدريس فقال والده : هذا ابني ما يصلح ، فقال السُّلطان : لهذا الكلام أنا أولّيه ، وألبسه تشريفاً ، وأعادته إلى دمشق .

وله غرائبٌ تُحكى عنه ؛ منها : أنّه تأدّى من بَغْلَةٍ كانت عنده يركبها ، فقال للغلام : لا تعلق عليها شيئاً هذه الثلاثة أيّام ، فجاء إليه آخر النهار وقال : هذه البغلة إذا لم تأكل عليها^(٦) تحمّر ، فقال له : علق عليها ولا تقل إنك قلت^(٧) شيئاً .

(١) (خ) : « ويتشوّفون » .

(٢) في الأصل : « وأخبارها » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) هي الداهية .

(٤) أنشأها صادر بن عبد الله سنة (٤٩١ هـ) ، وهي أوّل مدرسة أنشئت بدمشق . الدارس : ٤١٣/١ .

(٥) في الأصل : « الحنفية » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) ، وهي أنسب .

(٦) « عليها » ليست في (أ) ، ولعلّه يريد : تصبح حمراً .

(٧) في (أ) : « ولا تقل لها إني قلت » ، وأشار في الحاشية إلى ما وقع مثله في نسخة الأصل ، وفي (خ) :

« ولا تقل إنك قلت لي » . وعبارة الدرر : « ولا تقل لها إني أذنت » .

ولامه بعض الناس في كبرها وأن يستبدل بها ، فقال : لا والله هذه أشمُّ فيها^(١)
روائح الوالد ، يعني أنها من خَيْله .

ومنها أنه كان في يوم طينٍ راكبَ البغلة وهو مارٌّ في الطريق ، فرأى قاضي القضاة
نجم الدين بن صَصْرَى متوجّهاً إلى الجامع الأموي ماشياً ، فرجع بين يديه بالبغلة يحجبه
وهو يقول له^(٢) : يامولانا ارجع حسبنا الله ، فيقول : الله الله يامولانا قاضي
القضاة ، ولم يزل حتّى وقع حافر البغلة في طين وفَقَس عليه ، فطلع من ذلك ما جعل
ثياب قاضي القضاة شهرة^(٣) ، فقال له : ارجع يامولانا فقد حصل المقصود .

ومنها أن والده أحضر له شيخاً يقرئه النحو ، فلازمه مدّة ، فأراد والدُه امتحانَه
يوماً ، فقال له : « قنديل » اسم أو فعل أو حرف ؟ فقال : فعل ، فقال^(٤) : لِمَ قلت
إنه فعل ؟ قال : لأنّه يحسن دخول (قد) عليه . فقال له : كيف يكون ذلك ؟
فقال : لأنك تقول (قد قنديل) يعني بكسر القاف مِنْ (قد) يُريد فعل أمر من
الوقيد .

ومنها أنه أراد أن يُشغّله في الحساب ، فأحضر إليه من يقرئه ذلك فقال له
الشيخ : أحد في أحد أحد ، فقال هو^(٥) : لا نُسَلِّم ، أحدٌ في أحد اثنين . فقال الشيخ :
ياسيّدي المراد أحد مرّة واحدة ، فقال : نعم ، ظهر ، فقال الشيخ : اثنان في أحد
اثنان ، فقال : لا نُسَلِّم . اثنان في أحد ثلاثة ، فقال الشيخ : ياسيّدي المراد بذلك أحد
مرتين ، فقال : ظهر . فقال الشيخ : أحد في ثلاثة ثلاثة ، فقال : لا نسلم ، أحد في
ثلاثة أربعة ، فقال الشيخ : ياسيّدي المراد أحد ثلاث مرّات ، فقال : نعم ظهر ، ولم

(١) في الأصل : « منها » وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، وهي أشبه .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) الشُّهرة : ظهور الشيء في شناعة .

(٤) (خ) : « فقال له » .

(٥) ليست في (أ) .

يزل الشيخ إلى أن قال : اثنان في اثنين أربعة ، فقال : هذا مسلّم ، فقال له الشيخ : اثنان في ثلاثة ستة ، فقال : لانسلم ، اثنان في ثلاثة خمسة ، فقال الشيخ : ياسيدي المراد اثنان ثلاث مرّات ، فقال : نعم ظهر ، فقال الشيخ : اثنان في أربعة ثمانية ، فقال : لانسلم ، اثنان في أربعة ستة ، فنفر الشيخ وقال : إن سلّمت وإلا ، الله^(١) لا يقدر لك تسلم ، ومضى وتركه .

ومنها أنه دخل يوماً إلى المدرسة الصّادرية ، فرأى الشيخ نجم الدّين القحفازي^(٢) خارجاً من بيت الطّهارة ، فقال له : يامولانا أنستم محلّكم ، فقال الشيخ نجم الدّين : قبحك الله .

ومنها أنه شكّا لطبيب يوماً سمّنه ، وما يجده من البلغم ، فقال له : يامولانا^(٣) تعان الرياضة كل يوم بكرةً إمّا^(٤) أن تعالج بشيء ثقيل ، فقال : ما أقدر فقال : خذ قوس كباد ومُدّه كلّ يوم بكرة^(٥) عشرين ثلاثين مرّة ، فقال : هذه^(٦) نعم ، ومضى إلى^(٧) القواسين وطلب قوس كباد ، فأحضر إليه ذلك ، فذاقه بلسانه ورده ، وقال : هنا ما هو الغرض ، قيل له : لأيّ شيء ، قال : ما هو حامض مثل الكباد .

وحكاياته كثيرة ، وهذا القدر منها كافٍ .

(١) ليست في (أ) .

(٢) في الأصل : « التحفازي » ، تحريف ، وقد سلفت ترجمته .

(٣) قوله : « له يامولانا » ، ليس في (أ) .

(٤) كذا ، والأرجح أنه يريد : وإمّا .

(٥) ليست في (أ) .

(٦) (أ) ، (خ) : « هنا » .

(٧) ليست في (أ) .

١٩١ - أحمد بن محمد بن أحمد بن سليمان*

الواسطي الأصل الأشُمومي^(١) المولد والدار ، الشَّيخ الإمام الفقيه جمال الدِّين أبو العبَّاس المعروف بالوَجيزيَّ لحفظه كتاب (الوجيز) واعتنائه به .

كان من الفقهاء القدماء والأئمة الذين هم^(٢) للعلم في اللَّيل والنهار من الندماء .
تولَّى^(٣) قليوب والجيزية ، ثمَّ ضَعَف عن الحركة لبرد الحرارة الغريزية ، فلزم بيته حتى فَنِيَ ذبولاً ، ولقي من الله تعالى قبُولاً .

وتوفي رحمه الله تعالى في خامس شهر رجب الفرد سنة تسع وعشرين وسبع مئة .
وكان يَذْكُرُ أَنَّهُ أَسْنُ من قاضي القضاة بدر الدِّين بن جماعة بسنةٍ أو سنتين ، ودفن بالقرافة .

١٩٢ - أحمد بن محمد بن عباس بن جَعْوَان**

الشَّيخ الإمام الزاهد الورع شهاب الدِّين بن كمال الدِّين الأنصاري الشافعي .

كان فقيهاً فاضلاً متقشفاً منقطعاً عن النَّاس ، سمع الكثير بإفادة أخيه شمس الدِّين^(٤) وحَدَّث بـ (جُزء) ابنِ عَرَفَة عن ابن عبد الدائم ، وكان يكتب في^(٥) الفتوى ، ويُعتمد عليه في نقل المذهب .

وتوفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة تسع وتسعين وست مئة بالمدرسة النَّاصرية ، ودفن بَرَا الباب الصغير .

* الدرر : ٢٤٣/١ ، وقع في (أ) : « أحمد بن محمد بن سليمان » .

(١) نسبة إلى أشُموم . قال ياقوت : « اسم لبلدين بمصر » معجم البلدان : ٢٠٠/١ .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) (أ) : تولَّى قضاء .

** الشذرات : ٤٤٤/٥ .

(٤) محمد بن محمد (ت ٦٨٢ هـ) ، النجوم الزاهرة : ٣٦٠/٧ .

(٥) ليست في (أ) .

١٩٣ - أحمد بن محمد بن قطينة*

الشيخ الجليل العدل شهاب الدين الزُّرْعِي التَّاجِر .

كان تاجراً مشهوراً بدمشق ، ذا أموال ومَتَاجِر وسعادة وبضائع في كلِّ صنف . ذكر أنَّه في سنة قازان بلغت زكاة ماله خمسةً وعشرين ألفاً ، والله أعلم بما تجدد له بعد ذلك .

توفي رحمه الله تعالى في بستانه المعروف بالمدفع في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

وكان في شهر ربيع الأول سنة أربع عشرة وسبع مئة قد أُسِّكَ هو وعبد الكريم الحريري لمرافعة وقعت في حقهما وأنَّهما يكتبان قراسنقر^(١) ، وأنَّ لهما تجارة في السلاح إلى البلاد الشرقية ، ثم ظهر كذب المرافع ، فقطع لسانه وعُزِّرَ ، ثم ضرب^(٢) ضرباً كثيراً ومات وأُفرج عنها . وفي سابع عشري ذي الحجة سنة أربع عشرة وسبع مئة خَلَعَ على صاحب عزِّ الدين بن القلانسي^(٣) باستمراره على نظر الخاص ، وعلى الصاحب شمس الدين غبريال بتولية الأوقاف المنصورية ، وعلى شهاب الدين بن قطينة بوكالة الخواص السلطانية .

١٩٤ - أحمد بن محمد بن محمد بن علي**

ابن محمد بن سليم الصِّدر الرئيس الفاضل شهاب الدين بن قُطْب الدين بن الصَّاحِب تاج الدين بن فخر الدين بن الصَّاحِب بهاء الدين بن حنَّ الشَّافعي العدل .

* البداية والنهاية : ١٠٧/١٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٩٢ ، والدرر : ٢٩٤/١ .

(١) الأمير شمس الدين الجوكندار المنصوري (ت ٧٢٨ هـ) ، وستأني ترجمته .

(٢) (أ) : « وَضْرِبَ » .

(٣) حمزة بن المؤيد بن القلانسي الممشقي (ت ٧٢٩ هـ) ، وستأني ترجمته .

** لم نقف على ترجمة له .

كان فاضلاً رئيساً كبيراً المهمة نفيساً ، مليح الحياء من بيت يتضوع في السيادة رياً ، حسن العبارة جميل الشارة لطيف الإشارة . لم يزل إلى أن حن الموت إلى ابن حنا ، وجعل جسده في البلى شتاً .

وتوفي رحمه الله تعالى في عاشر جادى الأولى سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، ودفن عند أهله بالقرافة ، وكان في عشر الأربعين .

١٩٥ - أحمد بن محمد بن إسماعيل الإربلي *

الشيخ شهاب الدين المعروف بالتعجيزي ، لأنه كان يحفظ (التعجيز) ، وحفظ شيئاً من الحديث وعلومه ، ومعه خطوط الأشياخ بذلك .

كان نوعاً غريباً وشخصاً عجيباً ، وعقله أعجب من كل عجب ، وشعره كما قيل في المثل : « ترى العجب في رجب »^(١) ، ألفاظ لا يقدر الفاضل الذكي على^(٢) أن يأتي لها بنظير ، ولا يتكلف البارع التحرير على أن يجيء بمثلها إلا إن كان في باشة^(٣) وزنجير ، شعر ليس فيه غير الوزن ، وألفاظ ما تحدث بها أهل سهل ولا حزن ، فإذا أنصف العاقل وفكر فيه جد الفكرة علم أن هذا في الوجود قد ، وهو ما ندر وجوده في العالم وشد ، وهذا لو لم يكن طباعاً منه بلا^(٤) تكلف وسجية يوردها على رسله من غير تخلف ، لقدرة الفضلاء على محاكاته وتكلفوا المشابهة له في بعض^(٥) حركاته ، هذا مع صورة جل من خلقها ، ولحية ما ظلم من أخذ موسى وحلقها ، رأيته مرات عديدة ، ولقيته في مظاهر جديدة ، فما كنت أقضي العجب من كلامه ، وأتطفل على سلامه .

* الدرر : ٢٥٥/١ .

(١) أصل المثل : عش رجياً ترى عجياً . انظر الوسيط في الأمثال : ١١٩ .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) كنا ، ولم تتبين معناها .

(٤) (أ) : « لا » .

(٥) ليست في (أ) .

ولم يزل على حاله إلى أن مرض مَرَضاً طويلاً وبقي مدّة يُرى عليلًا ، وهو مع ذلك يتحامل وينعكس ويتخامل ، فأصبح وما أمسى ، وبطل من كلامه ما كان جَهْرًا وهَمْسًا .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث عَشْرِي شعبان سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .
أنشدني من لفظه الشَّيْخ الإمام العالم العلامة صلاح الدِّين العلائي قال : أنشدنا التعجيزي لنفسه^(١) :

يَا سُنَّ يَا شَيْعَ إِنِّي بَيْنَكُمْ وَسَطٌ مُدْبَذِبٌ لَا إِلَى هَوْلًا وَلَا نَمَةً
وَفِي الْقِيَامَةِ فِي الْأَعْرَافِ مَنْقَعِدٌ وَانْتَظَرْتُ مِنْكُمْ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ
فَإِنْ دَخَلْتُمْ فَإِنِّي دَاخِلٌ مَعَكُمْ وَإِنْ صَفَعْتُمْ فَإِنِّي قَاعِدٌ سَكِتٌ

ومعنى هذه الأبيات أنه قال : يا أهل السُّنَّة ويا شيعة أنا في أمرى بينكم متوسِّط لا إلى هَوْلٍ ولا إلى هَوْلٍ ، وفي القيامة أكون على الأعراف قاعدًا ، فمن دخل الجنة دخلتُ معه ، ومن صَفَعَ مِنْكُمْ كُنْتُ فِي مَكَانِي قَاعِدًا سَاكِتًا . فأنت ترى هذه الألفاظ كيف أخذها وَبَتَرَتْ تَرَائِكِبَهَا وَغَيَّرَتْ أُنْبِيَتَهَا وَجَعَلَهَا مِنَ الْمَهْمَلَاتِ الَّتِي لَا مَعْنَى تَحْتَهَا ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٨١٦] .

وكان يحبُّ شخصاً فعَمِلَ فِيهِ أَيْبَاتاً وَأَوْقَفَ عَلَيْهَا الشَّيْخُ نَجْمَ الدِّينِ الْقَحْفَازِي ، وَأَوَّلَ الْأَيْبَاتِ :

أَيُّهَا الْمَعْرُضُ لَا عَنْ سَبَبٍ أَصْلَحَكَ اللَّهُ وَصَالِي الْأَرْبَا
فَكُتِبَ لَهُ الشَّيْخُ نَجْمُ الدِّينِ ، وَتَقَلَّتْ ذَلِكَ مِنْ خَطِّهِ :

يَا شَهَاباً أَهْدَى إِلَيَّ قَرِيضاً خَالِياً مِنْ تَعَسُّفِ الْأَلْفَازِ
جَاءَ نِي مُؤْذِنًا بِرُقَّةٍ طَبْعِ حِينَ رَشَحْتُهُ بِيَابِ الْحِجَازِ
إِنْ تَكُنْ رُمْتُ عَنْهُ مِنِّي جِزَاءً فَأَقْلُنِي فَلَسْتُ مِمَّنْ يَجَازِي

(١) الأبيات في الدرر معرفة .

١٩٦ - أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد*

شهاب الدين ابن الشيخ الإمام أبي عمرو بن سيّد الناس ، أخو شيخنا الحافظ فتح الدين .

توفي رحمه الله تعالى بالمنكوتمرية بالقاهرة في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة ، ودفن عند والده بالقرافة .

ومولده منتصف شعبان سنة ثمانين وست مئة .

١٩٧ - أحمد بن محمد بن إبراهيم بن علي الرقي**

الشافعي الفقيه محي الدين ابن الشيخ شمس الدين .

كان شاباً فاضلاً^(١) ، حفظ عدة كتب ، وكتب جيداً ونظم الشعر ، وجلس بين الشهود ولم يكمل ثلاثين سنة .

وتوفي رحمه الله تعالى بالعدراوية^(٢) في رابع عشر شهر جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وسبع مئة .

١٩٨ - أحمد بن محمد بن أحمد بن محمود بن الزقاق***

المقرئ القاضي بدر الدين بن الجوشي العارض بديوان الجيش^(٣) ، مسند الشام^(٤) .

* لم تقف على ترجمة له .

** لم تقف على ترجمة له .

(١) ليست في (أ) .

(٢) بحارة الغرباء داخل باب النصر ، أنشأتها عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب ، الدارس : ٢٨٣/١ .

*** وفيات ابن رافع : ٢٨٣/١ ، ذيل العبر : ٣٦١ ، البداية والنهاية : ٣٠٢/١٤ ، الدرر : ٢٥٠/١ .

(٣) العارض هو الذي يستعرض فرق الجيش .

(٤) ولد سنة (٦٨٣ هـ) ، وتوفي سنة (٧٦٤ هـ) قبل للصف بشهر واحد .

١٩٩ - أحمد بن محمد بن يوسف*

ابن محمد بن عبد الله الإمام شهاب الدين بن ناصر الدين ابن الإمام المحدث
مجد الدين^(١) بن المهتار الدمشقي .

سمع من شمس الدين بن أبي عمرو^(٢)، وفخر الدين بن البخاري ، وابن الزين ،
وابن الواسطي ، ومن جماعة .

وكان يكتب كتابةً حسنة ، وجوّد عليه الخطّ جماعة ، وكان يشهد تحت
الساعات ، ويؤمّ بالمجاهدية المجاورة لباب الفراديس^(٣) ، ويحضر دار الحديث مع
الجماعة ، وعنده خير وسكون ومدارة واحتمال .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء رابع عشر المحرم سنة خمس وثلاثين
وسبع مئة ، وبلغ من العمر سبعين سنة .

٢٠٠ - أحمد بن مسلم بن أحمد**

ابن بعيشان البصري ، الشيخ الإمام الفقيه العدل شهاب الدين أبو العباس
الحنفي .

كان موصوفاً بالعدالة والفضل الذي ما انتفى^(٤) عن ربوعه ولا بداله ، حجّ مرّاتٍ
وفاز بالخيرات والمبرّات ، وكان يواظب على الشّهادة^(٥) ، وله إلى القضاة بالترّدّد عادة ،

* الدرر : ٣٠٦/١ .

(١) (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥٦/٥ .

(٢) (أ) : « شمس الدين أبي عمرو » ، تحريف .

(٣) تعرف بالمجاهدية البرّانية ، أنشأها مجاهد الدين أبو الفوارس الكردي . الدارس : ٣٤٣/١ .

** لم نقف على ترجمة له ، وخلصت (أ) ، منه .

(٤) في الأصل : « ما أثنى » ، ولا وجه لها .

(٥) تطلق على من يشهد بتمتعات الديوان نفيّاً أو إثباتاً ، أو على من يثبت الأحكام . لدى القاضي في

الكتب والسجلات ، وهي أقرب إلى عمل المحاماة في أيامنا هذه .

ودرّس بالدماغية^(١) في وقت ، وحصل له بها المقة لا المقت ، وكان كثير الاشتغال والمطالعة والمبادرة إلى الأجوبة والمسارة .

ولم يزل على حاله إلى أن حان حينه ، وأن أن يكون تحت الأرض أيّنه .
وتوفي رحمه الله تعالى سادس عشري ذي الحجة سنة أربع عشرة وسبع مئة .
ومولده بالكفر من أعمال بصرى سنة أربع وأربعين وست مئة .

وحدث عن القاضي شمس الدين بن عطا بأحاديث من (المسند)
و (الغيلانيات) . قرأ عليه شيخنا البرزالي في طريق الحجاز لابنه محمد بالزرقاء ،
وبوادي القرى .

٢٠١ - أحمد بن محمود*

الإمام الأديب ، الكاتب البليغ ، الناظم النائر كمال الدين أبو العباس بن
أي الفتح الشيباني الدمشقي ، المعروف بابن العطار .

أجاز له ابن روضة ، وسمع من ابن المقير ، وأبي نصر بن الشيرازي ، والسخاوي ،
وخرّج له مشيخة ، وسمعها الشيخ شمس الدين الذهبي ، وحدث به (صحيح
البخاري) بالكرك بالإجازة سنة سبع مئة .

وكان ديناً وقوراً ، عارفاً بفنّ الترسّل خبيراً ، هو والقاضي محيي الدين بن
فضل الله يكتبان الأسرار ويحفظانها من استراق الشياطين الأشرار ، يقرأ أن البريد ،
ويُدبران الأمر في دمشق بالرأي السديد . ولم يزل كذلك إلى أن تفرد القاضي

(١) داخل باب الفرج بنتها عائشة زوجة شجاع الدين بن الدماغ العادلي سنة (٦٣٨ هـ) . الدارس :
١٧٧/١ .

* الوافي : ١٦٧/٨ ، وتالي وفيات الأعيان : ٢٥ ، والمنهل الصافي : ٢١٠/٢ ، والبداية والنهاية : ٢٧/١٤ ،
وعقد الجمان : ٢٩٠/٤ ، وفيات (٧٠٢) .

محيي الدين بصحابة ديوان الإنشاء ، وهو كبير الديوان يجلس فيه كأنه كسرى في الإيوان ، وخطه يُزري بالحدائق ، والمطالعة تروح إلى باب السلطان بخطه كالريحان فوق الشقائق ، وكان قد أتقن كتابة المطالعة ، وعرف البداءة في ذاك والمراجعة ، وكتب النسخ من أحسن ما يرى ، وأبرز سطورَه كأنها قد رَصَّعه جَوْهَرا .

له ^(١) ردّ على (المعاني المبتدعة) لابن الأثير ^(٢) ، وله رسالة سَمَّاها (رصف الفريد في وصف البريد) ، نظماً ونثراً .

ولم يزل على حاله إلى أن ورد النقص على كاله ، ورَدَّ بَدْرَه إلى سِرار هلاله .
وتوفِّي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وسبع مئة .

ومولده سنة ست وعشرين وست مئة .

وكانت وفاته في ذي القعدة ثالث عشري الشهر المذكور من السنة المذكورة .
ومن شعره :

ولما بدا مُرْحَى الذوائبِ وانثى ضحوكَ الثنايا مسبل الصَّدْعِ في الخدِّ ^(٣)
بدا البدرُ في الظلماء والغُصْنُ في النِّقَا وزَهْرُ الرُّبَا في الرُّوضِ والآسُ في الوردِ ^(٤)

أنشده يوماً القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر :

لا تنكرنَّ على الأقلامِ إنْ قَصُرَتْ لها مساعٍ إذا أبصُرَتْها وخطا
فعارضُ الطُّرسِ في خد الطروسِ بدا من أبيضِ الرَّمْلِ شيبَ منه قدُّ وخطا ^(٥)

(١) (أ) : « كان له » .

(٢) نصر الله بن محمد بن محمد بن الأثير الجزري (ت ٦٣٧ هـ) ، وأشار مترجموه إلى كتاب له سَمَّوه : (المعاني المختصرة في صناعة الإنشاء) ، فلعلَّه المقصود .

(٣) في الوافي والمنهل : « مرسل » .

(٤) في المنهل : « والنقا » .

(٥) (أ) : « الخط في خد » . وفي الوافي : « فيه قد » .

فقال كمال الدين بن العطار :

أقلام فضلك ما شابَتْ ولا قَصُرَتْ لها مساعٍ إذا أنصفتها وخطَا
بل عارضُ الطُّرسِ لَمَّا شابَ عُنْبَرُهُ بعُشْبِهِ قيل شَيْبٌ فيه قد وخطَا

وكتب هو إلى القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر :

سَقَى وَحْيًا اللهُ طيفيًّا أتَى فقامت إجلالاً وقبْلَتْهُ
لشدة الشوق الذي يَتَنَنَّا قد زارني حقاً وقد زُرْتُهُ^(١)

فكتب الجواب عن ذلك :

في النَّوم واليقظة لي راتبٌ عليك في الحالين قرَّرْتُهُ
تَفَضَّل المولى إذا زاره طيفي خيالي منه أن زُرْتُهُ^(٢)

٢٠٢ - أحمد بن محمود بن عبد السيد*

القاضي نظام الدين بن الإمام العلامة الشيخ جمال الدين الحَصِيرِي^(٣) الحنفي .
كان يدرِّس بالنوريَّة إلى حين وفاته^(٤) .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : لا أعرف له رواية . وناب مُدَّة في الحكم بدمشق ،
وكان يكتب في الفتاوى ، وله ذهنٌ جيّد وعِبَارَةٌ طَلْقَةٌ .

وتوفِّي رحمه الله تعالى في شهر المحرم سنة ثمان وتسعين وست مئة .

(١) في المنهل : « وما زرته » .

(٢) كذا في الأصل و (أ) ، وأصل الوافي ، ورأى محقق الوافي أن تكون : (طيف) . وفي المنهل : « طيفي خيال » .

* الوافي : ١٦٥/٨ ، والعبر : ٣٨٧/٥ ، والبداية والنهاية : ٤/١٤ ، والشذرات : ٤٤٠/٥ ، والمنهل الصافي :

٢١٠/٢ ، وعقد الجمان : ٤٧٣/٣ ، ووفيات (٦٩٨ هـ) .

(٣) في البداية والنهاية : الحصري ، وفي الشذرات : الحصور .

(٤) الدارس : ٤٧٦/١ .

٢٠٣ - أحمد بن محمد بن مري*

الشيخ الإمام الفاضل شهاب الدين البعلبي .

كان في مبدأ حاله منحرفاً عن الشيخ تقي الدين بن تيمية ، ومن يحطّ عليه ، فلم يزل به أصحابه إلى أن اجتمع به فال إليه ، وأحبّه ولازمه وترك كلّ ما هو فيه ، وتلمذ له ولازمه مدّة ، وتوجّه إلى الديار المصريّة ، واجتمع بالأمير بدر الدين جنكلي بن البابا ، فأذن له في الجلوس والكلام على الناس بجامع الأمير شرف الدين حسين بن جندر بحكر جوهر النوبي ، لأنّ الأمير بدر الدين كان الناظر في أمر الجامع المذكور ، فجلس وتكلّم مدّة ، إلى أن تكلم في مسألة الاستغاثة والوسيلة برسول الله ﷺ ، فنعه قاضي القضاة المالكي^(١) من الجلوس في سادس عشري شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، ثمّ إنّه أحضر بين يديّ السلطان ، وأحضر بعد ذلك عند النائب في خامس شهر ربيع الآخر وحبسه القاضي المالكي ، ثم غلظ عليه ، وقيدّه ، ثمّ إنّه ضربه نحو خمسين سوطاً في تاسع عشري جمادى الأولى ، وتسلمه والي القاهرة وأقام عنده يومين ، وسفّره هو وأهله إلى بلد الخليل عليه السلام ، ثمّ إنّه حَضَرَ وحده إلى دمشق في شهر رمضان من السنة المذكورة^(٢) . وكان قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة قد أثنى عليه هو والأمير بدر الدين جنكلي وغيره من الأمراء قدام السلطان^(٣) .

٢٠٤ - أحمد بن مسعود بن أحمد**

ابن ممدود بن برشق ، شهاب الدين أبو العباس الضرير السّنهوري - بالسّين المهملة

* الدرر : ٣٠٢/١ .

(١) تقي الدين الأحنائي ، كما في الدرر .

(٢) (أ) : « بين يدي » .

(٣) ثم انترح إلى بلاد الشرق ، وأقام بسنجار وماردين إلى أن مات . ذكره ابن كثير في البداية والنهاية :

١١٧/١٤ .

(٤) كذا ختم المصنف الترجمة خالية من سنة الوفاة ، وأسلوبه فيها مخالف لما عرف عنه في تراجمه الأخرى ،

وكذا لم يذكر سنة وفاته صاحب الدرر ، ولا ابن كثير .

** الوافي : ١٧٩/٨ ، والدرر : ٣١٦/١ ، ونكت الهميان : ١١٥ ، ووقع في الوافي بلفظ : (برسق) .

والنون والهاء والواو والراء ، على وزن منصور - المعروف بالمادح ، لَأَنَّهُ كَانَ ^(١) يكثر من أمداح سيّدنا رسول الله ﷺ .

اجتمعت به غير مرّة عند الصّاحب أمين الدّين ^(٢) في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالديار المصريّة ، وكان قد أضرتّ عَيْنَاه ، وجعلت قلبه الذي ميناه ^(٣) ، حَفْظَةً لَفْظَةً ، يتأثّر بكلامه كلُّ من وَعَظَهُ ، له قدرة زائدة على النّظم ، والنّفس الذي يدوب له اللّحم ، وينخر العظم من الالتزام الذي يأتي به ، ويبدع في أسلوبه ، فينظم قصيدة في كلّ بيت منها حروف المعجم ، أو في كلّ بيت في كلّ كلمة منه ضاد أو حرف ظاء ، أو غير ذلك من الحروف التي مالها في دور الكلام اعتضاد .

ولم يزل على حاله إلى أن سكن جلده ^(٤) التراب ، وفارق من يعزّز عليه من الأتراب .

وتوفّي رحمه الله تعالى في سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

أنشدني من لفظه لنفسه :

إِنْ أَنْكَرْتَ مُقْلَتَاكَ سَفَكَ دَمِي فوردُ خَدْيِكَ لِي بِهِ شَاهِدٌ ^(٥)
يُجَرِّحُهُ نَازِرِي وَيَشْهَدُ لِي أليس ظمأً تجريحِي الشَّاهِدُ
أَطَاعَكَ الْخَافِقَانِ تِسَهُمَا قلبي المعنى وقُرْطِكَ المائد

قلت : هو من قول ابن سناء الملك :

[مَلَكْتَ الْخَافِقِينَ فَتَهْتِ عَجْبًا وليس هما سوى قلبي وقُرْطِكَ] ^(٦)

(١) ليست في (أ) ، (خ) .

(٢) عبد الله بن تاج الرئاسة القبطي الوزير ، وستأتي ترجمته .

(٣) تخفيف (ميناءه) .

(٤) (أ) ، (خ) : «خلده» .

(٥) سقطت «لي» من الأصل .

(٦) سقط من الأصل ، وهو ثابت في : (أ) ، (خ) ، والوافي . والبيت في ديوان ابن سناء : ٤٦٣ .

وأنشدني له :

يامن له عندنا أيادٍ تعجز عن وصفها الأيادي
فيك رجاءٌ وفيك يأسٌ كالحرِّ والبرد في الزنّاد

٢٠٥ - أحمد بن المسلم بن محمد*

ابن المسلم ، الأجلّ عزّ الدين ابن الشيخ شمس الدين بن علّان القيسيّ الدمشقي .
سمع من أبي نصر بن الشيرازي ، وشيخ الشيوخ ابن حمّويه والسّخاوي ،
[وإبراهيم الخشوعي ^(١)] ، ولم ير له سماع من ابن اللّقي ، ولا من ابن الزّبيدي .
وحفظ كتاب (التنبيه) ^(٢) ، وخدم في الجهات السلطانية ، وولّي نظر بعلبك مرّات .
ولم يزل على حاله إلى أن هبط ابن علّان إلى حضيض قبره ، ولحق بن يعامله
بلطفه وجبرّه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وست مئة .
ومولده سنة أربع وعشرين وست مئة .

٢٠٦ - أحمد بن مظفر بن مزهر*

القاضي فخر الدّين النّابلسي ، الكاتب المشهور أخو الصّاحب شرف الدّين بن
مزهر ^(٣) .

* الوافي : ١٨٠/٨ ، والوافي ، والمنهل الصافي : ٢١٦/٢ .

(١) زيادة من (أ) ، والوافي ، والمنهل .

(٢) في فقه الشافعية لإبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي .

** الوافي : ١٨٢/٨ ، وتالي وفيات الأعيان : ٣٦ ، والدرر : ٣١٨/١ .

(٣) هو يعقوب ، وستأني ترجمته .

رُتِبَ أَوَّلُ الدولة المظفرية قُطْرَ مقابل^(١) الاستيفاء بدمشق ، ولما ولي الأمير علاء الدين طيُّبُرس النيابة في أَوَّل الدولة الظَّاهريَّة عزله وجعله ناظر بَعْلَبك .

قال ابن الصَّقاعي^(٢) : فحصل له من جهة الأمير ناصر الدِّين بن التَّبيني^(٣) النائب بها صداع وإخراق^(٤) لَأَمْر تعرَّض إليه بسبب الحرِّيم ، وأرسله مَقَرَّمَا^(٥) إلى النائب بدمشق ، وكان طيُّبُرس يكره بني مزهر من أجل نجم الدِّين أخيه للملازمة^(٦) علاء الدِّين البندقدار ، وكان طيُّبُرس راكباً فَلَمَّا أَقْبَلَ من الركوب ورآه أمر بِرَمِيهِ في البركة وأن يدوسه المماليك بأرجلهم وأن يحمل عشرة آلاف درهم ، ثم إنَّه عاد بعد ذلك إلى مقابلة الاستيفاء ورُتِّبَ الأقرم صاحب الديوان بدمشق .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح ابن مزهر وقد ذوى ، وأمسى فخره المُشْبَخِر وقد هوى .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وسبع مئة .

٢٠٧ - أحمد بن مظفر بن أبي محمد*

ابن مظفَّر بن بدر بن الحسن ، الشَّيْخ الإمام الحافظ الثَّبت المسند الحجة شهاب الدِّين أبو العبَّاس النَّابلسيَّ الأشعري .

كان ثَبْتاً ، حافظاً متقناً تخاله بالدَّر لافظاً ، متحرِّياً لا متجرِّياً ، متحلياً بالقناعة

(١) في الأصل : « معامل » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .

(٢) الكلام الآتي حتى آخره منقول ، من تالي وفيات الأعيان لابن الصَّقاعي بتصرف .

(٣) في الأصل : « البنسي » ، تصحيف .

(٤) الحرق : الشَّق ، وفي (أ) : « إحزاق » ، والحزق : الضعف والتضييق .

(٥) في الأصل : « مقدماً » ، تحريف ، والتقرُّم : الحبس .

(٦) في الوافي : « للملازمة » .

* وفيات ابن رافع : ٣٤١/١ ، وذيل العبر : ٣١٥ ، وطبقات السبكي : ٣١/٩ ، والدرر : ٣١٧/١ ، والذيل

التام : ١٥٩ ، والشذرات : ١٨٥/٦ ، والدارس : ٤٣٦/١ .

عن الدنيا متخلياً ، لا يزاحم الناس في دنياهم ، ولا يسعى مسعاهم ، قد قنع من العيش بالبرص ، وتخيّل^(١) أنّه قد ملك الأرض ، وكان لا يحدث إلا من أصوله ، ولا يتكل إلا على محصوره في محصوره ، وكان جلدأ في أشعريته ، مبالغاً في الانتصار لعقيدته ، قيل : إنّ لم يحدث حنبلياً ، ويرى أنه^(٢) لوفعل ذلك كان بالذمّ ملياً ، وبه تخرّج شيخنا الحافظ الذهبي ، ومنه أصبح^(٣) في علم الرواية وهو غير غبي^(٤) ، على أن ابن مظفر ماسلم من جرح الذهبي ولا طعنه ، وساقه في ركب من جرحه وطعنه^(٥) ، ورماه بما الله به عليم ، وتحمل من إثم ما يثقله ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٦) .

ولم يزل ابن مظفر إلى أن علقت به أطفار شعوب ، وأذن شهابه بعد الطلوع بالغروب .

وتوفي في العشر الأوسط من شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع ، وقيل : سنة خمس وسبعين وست مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى ولم يكن عنده في بيته أحد ، ففقد بعد ثلاثة أيام وأربعة ، ففتح عليه الباب ودخلوا إليه^(٧) ، فوجدوه ساجداً وهو ميت .

أخبرني نور الدّين أبو بكر أحمد بن علي بن المقصّوص الحنفي^(٨) ، وكان به

(١) (أ) : « وتخيّل له » . والبرص : القليل .

(٢) قوله : « ويرى أنّه » ، ليس في : (أ) ، (خ) .

(٣) (أ) ، (خ) : « أصبح غنياً » .

(٤) كذا ، وفي (أ) ، (خ) : « غني » .

(٥) في الأصل : « طعنه » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٦) الشعراء : ٨٨/٢٦ .

(٧) قوله : « ففقد .. » حتى ههنا ليس في (أ) .

(٨) لم تقف على ترجمته ، وأشار إليه ابن كثير في أحداث ٧٦٢ هـ ، البداية والنهاية : ٢٨٠/١٤ .

خَصِيصاً ، قال : كان دائماً يقول : أشتهي أن أموت وأنا ساجد ، فرزقه الله ذلك ، وصَلِّي عليه بالجامع الأموي في العشر الأواخر من شهر ربيع الأول .

وهو سبط الزين^(١) خالد الأشعري ، وكان قد سَمِعَ من خَلْقِ كَأبي الفضل بن عساكر ، وزَيْنَب بنت مَكِّي ، وعبد الخالق القاضي ، وسمعتُ عليه أنا وولدي محمد أبو عبد الله (جُزء) ابن عَرَفَة والمئة حديث انتزاع ابن عساكر من ثلاثيات أحمد بن حنبل بقراءة مولانا قاضي القضاة تاج الدين بن نصر عبد الوهاب السبكي الشافعي ، وأجازنا^(٢) رواية ما يجوز له روايته .

وكان منجماً عن الناس ، مجموع^(٣) ماله في الشهر ما يزيد على العشرين درهماً ، رحمه الله تعالى .

٢٠٨ - أحمد بن مكي قبجق *

الأمير شهاب الدين ابن الأمير سيف الدين ، أحد أمراء الطبلخانات بدمشق .

كان من فرسان الخيل ، ومن أبطال يزدحمون على المعارك ازدحام السيل ، لم يَرِ على ظهر الفرس أخف من حركته ولا أسرع من انتقالاته ، كأننا ركب من زُبُق ، أو وجد ليباري البرق ، وهو على كل حال يفوته ويسبق ، وله أعمال عجيبة على ظهر الفرس إذا جرى وانتقالات إذا رآها المحب تذكر بها قول القائل :

ماذا على برق المصلى لو سرى

وكان أعجوبة زمانه ونادرة أوانه إلى أن عم السكون حركته ، وجاء الأمر الذي لانجاء من دركاته .

(١) (أ) ، (خ) : « ابن » ، تحريف .

(٢) (أ) : « وأجاز لنا » .

(٣) (أ) ، (خ) : « ومجموع » .

* لم تقف على ترجمة له ، وكذا خلّت (أ) ، (خ) من ترجمته .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأحد تاسع عشر ذي الحجة سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

كان شهاب الدين هذا على ما ذكر غير واحد أنه يُصَفّ له ثلاثة أجمال أحماها تب ، وأنه يقف من هذا الجانب ويشبّ في الهواء فيتعدّها إلى ذلك الجانب الآخر ، وأنه كان يسوق الفرس فإذا كان في وسط جرّيه وثب قائماً على السرج ثم يسلّ سيفه ويضرب به في الهواء يميناً وشمالاً وخلفاً وأماماً ، ثم يمسكه بين أصبعيه ، يأخذ القوس ويوتره على ما قيل ، ويرمي به عدّة سهام ، وهذا لم أره بعيني ، ولكنه حكاه لي غير واحد ، وهذا أمرٌ خارق باهر ، سيأتي ذكر أخيه الأمير ناصر الدين محمد بن مكّي قبجق في المحمّدين .

٢٠٩ - أحمد بن منصور بن أسطُوراس*

بفتح الهمزة وسكون السين المهملة ، وضّم الطاء المهملة ، وسكون الواو ، وراء بعدما^(١) ألف وسين مهملة ، شهاب الدين المعروف بابن الجبّاس^(٢) .

اجتمعت به في ديوان الإنشاء بقلعة الجبل بالديار المصرية سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وكان به صم ، وأنشدني من لفظه لنفسه^(٣) :

فَهْمَا تَوَفَّرَ مِنْهُ قِسْمٌ	إِنْ قَلَّ سَمْعِي إِنَّ لِي
وَيُرَوِّقُكَ الرَّمْحُ الْأَصْمُ	يُدْنِي إِلَيَّ مَقَاصِدِي
دُ الْفَهْمُ عِيَّ النُّطْقُ قَدَمٌ	وَلَرَبُّ ذِي سَمْعٍ بَعِي
مُم أَنَّهُمْ صَمٌّ وَبِكُمْ	زَادُوا عَلَى عَيْبِ التَّصَا

* الوافي : ١٩٠/٨ ، والدرر : ٣١٩/١ ، والمنهل الصافي : ٢٢٤/٢ .

(١) في الأصل : « بعد » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) (أ) : « الجبّاش » ، تصحيف .

(٣) الأبيات في الوافي ، والأول والثاني منها في الدرر .

قلت : في البيت الثالث نظر .

وكان مقيماً بدمياط ، وهو خفيف الحركة ، جمُّ النشاط لأنَّه كان خطيبَ
الوَرادة ، يجيء إليها كلَّ جمعة ، ويخطب بها على العادة ، ثم يعود إلى دمياط .

ولم يزل على حاله إلى أن صار ابن الجبَّاس في الجبَّان ، وانتقل إلى رحمة الملك
الدَّيَّان .

وتوفِّي رحمه الله تعالى ... (١) ..

وسألته عن مولده فقال : في سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

وأجاز لي بخطه ما يجوز له تسميعه ، وأنشدني من لفظه لنفسه يصف المور (٢) :

كأنَّ المـوزُ في عراجـِه	وقد بدا يانعاً على شجرِه
فروعُ شَعْرِ برأس غانيـةٍ	عَقِصْنَ من بعد ضمِّ مُنتَشِرِه
وفي اعتدال الخريف أحسن ما	تراه في وِردِه وفي صـدْرِه
كأنَّ مَنْ ضَمَّه وَعَقَصَه	أرسل شَرابـةً على أثرِه
كأنَّ أشجاره وقد نثرتُ	ظلالُ أوراقـه على ثمرِه
حاملةً طفلها على يديها	تظِلُّه بالخـمارِ من شِعْرِه
كأنَّ ساقه الصقيلُ وقد	بدت عليه تقوشُ معتبرِه
ساقُ عروسٍ أميط مئزرُها	فإن وشي الخضاب في حبرِه
يضاغ من جدولٍ خيلاخلها	فتنجلي والنشـارُ من زهرِه (٣)
حدائقُ خَفَّت سناجقُها	كأنَّها الجيـشُ أمَّ في زمرِه

(١) كذا بياض في الأصول ، ووقع في مطبوعة الدرر أنه توفي في صفر سنة (٦٤٢ هـ) ، وهو سهو ، ولعلها

(٧٤٢ هـ) كما في المنهل . وفي الوافي أنه أجاز للصفدي سنة (٧٢٢ هـ) .

(٢) الأبيات في الوافي ، والدرر .

(٣) (أ) : « فتشني » .

زُهِىَ فَرَّاقُ الْعِيُونَ مِنْظَرُهُ فَا تَمَلُّ الْعِيُونَ مِنْ نَظَرِهِ
وَكُلُّ آيَاتِهِ فَبَاهِرَةٌ تَبِينُ فِي وَرْدِهِ وَفِي صَدْرِهِ
كَأَنَّمَا عَمُرُهُ الْحَقِيرُ حَكِي زَمَانَ وَصَلَ الْحَبِيبُ فِي قَصْرِهِ^(١)
كَأَنَّ عُرْجُونَهُ الْمَشِيبُ أَقَى يَخْبِرُ أَنَّ خَانَهُ انْقَضَا عَمُرِهِ
كَأَنَّهُ الْبَدْرُ فِي الْكَالِ وَقَدْ أُصِيبَ بِالْخُسْفِ فِي سَنَا قَمَرِهِ
كَأَنَّهُ بَعْدَ قَطْعِهِ وَقَدْ اصْ فَرَّمَا نَالَ مِنْ أَدَى حِجْرِهِ
مَتَيْمٌ قَدْ أَذَابَهُ كَمَدٌ يَبِيتُ مِنْ وَجْدِهِ عَلَى خَطَرِهِ
مَعْلَقٌ بِالرَّجَاءِ ظَاهِرُهُ يَخْبِرُ عَمَّا أَجَنُّ مِنْ خَبَرِهِ
يَطِيبُ رِيحاً وَيُسْتَلَذُّ جَنَى عَلَى أَدَى زَادَ فَوْقَ مُصْطَبَرِهِ
كَأَنَّهُ الْحَرُّ حَالَ مَحْنَتِهِ يَزِيدُ صَبْرًا عَلَى أَدَى ضَرَرِهِ

قلت : قد تكرر معه لفظ (في وَرْدِهِ) و (في صدره) في موضعين وهو عيب جائز ، وفي بقية الأبيات لا يجوز من حيث العريضة ، ولكن لهذه الأبيات ديباجة لحلاوة هذه القافية .

وأنشدني من لفظه لنفسه في رَمَانَةٍ^(٢) :

كَتَمْتُ هَوَى قَدْ لَجَّ فِي أَشْجَانِهَا وَحَشَتْ حَشَاهَا مِنْ لَظَى نِيرَانِهَا
فَتَشَقَّقَتْ مِنْ حَبِّهَا عَنْ حَبِّهَا وَجَدًا وَقَدْ أَبْدَى خَفَا كِتَابِهَا
رَمَانَةٌ تَرْمِي لَهَا أَيْدِي النَّوَى مِنْ بَعْدَمَا رُمْتُ عَلَى أَغْصَانِهَا
فَاعْجَبْ وَقَدْ بَكَتِ الدُّمُوعُ عَقَائِقًا لَا مِنْ مُحَاجَرِهَا وَلَا أَجْفَانِهَا
وَمِنْ نَظْمِهِ أَيْضًا ، وَالتَزَمَ الْهَاءَ الْأُولَى .

أَفْنَيْتُ مَاءَ الْوَجْهِ مِنْ طُولِ مَا أَسْأَلُ مَنْ لَا مَاءَ فِي وَجْهِهِ^(٣)

(١) (أ) ، والوافي : « القصير حكي » ، وهي أنسب .

(٢) الأبيات في الوافي .

(٣) (أ) : « أسلت ماء » .

أُنْهِى إِلَيْهِ شَرْحَ حَالِي الَّذِي يَالَيْتَنِي مَتَّ وَلَمْ أَنْهِهِ
فَلَمْ يُنِلْنِي كَرَمًا رَفُودَهُ وَلَمْ أَكِدْ أَسْلَمَ مِنْ جَبْهِهِ
الْمَوْتُ مِنْ دَهْرِ جَهَائِيذِهِ مَمْدَّةَ الْأَيْدِي إِلَى بُلْهِهِ
وَمَنْ نَظَّمَهُ أَيْضًا وَقَدْ اشْتَهَرَ :

وَقَائِلَةٌ مَا بِالْ دَمْعِكَ أَسْوَدًا وَقَدْ كَانَ مُحَمَّرًا وَأَنْتَ نَخِيلُ
فَقُلْتُ دَمِي وَالِدَمْعِ أَفْنَاهَا الْبَكَ وَهَذَا سَوَادُ الْمُقْلَتَيْنِ يَسِيلُ
وَأُنْشِدُنِي مِنْ لَفْظِهِ قِطْعَةً خَمْسَ بِهَا قَصِيدَةُ شَيْخِنَا الْعَلَامَةِ أَبِي الثَّوَاءِ فِي مَدْحِ سَيِّدِنَا
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، الَّتِي أَوَّلُهَا :

هَذَا اللَّقَاءُ وَمَا شَفَيْتُ غَلِيلًا كَيْفَ احْتِيَائِي إِنْ عَزَمْتُ رَحِيلًا
وَكُتِبَ بِخَطِّهِ عَلَى كِتَابِي (جَنَّانُ الْجَنَاسِ) :

أَتَظُنُّ قَلْبًا مِنْكَ يَوْمًا قَدْ خَلَا وَهَوَاكَ مَا بَيْنَ الضُّلُوعِ تَخَلَّلَا
وَكِتَابِكَ الْبَحْرَ الْحَيْطُ بِفَضْلٍ مَا عَقَدَ الْجَمَانَ مَعْقَدًا وَمِفْصَلًا^(١)
بِهِرَّ الْعُقُولِ جِنَاسُهُ فَجَنَانُهُ تُدْنِي جَنَاهُ يَانِعًا وَمَذَلَّلَا
رَوْضٍ تَفْتَقُّ زَهْرُهُ وَتَكْهَلَا أَفَقُّ تَأَلَّقَ بَدْرُهُ فَتَكَمَّلَا
يَهْدِي الْمَعَانِي مِنْ مَغَانِيهَا الَّتِي غَنِيَتْ فَأَغْنَتْ كُلَّ فَهْمٍ أُمَحَّلَا
إِنْ قَالَ غَرٌّ مِثْلَهُ فِيمَا مَضَى فَلَقَدْ تَأَوَّلَ بِاطِلًا وَتَقَوَّلَا
فَلِيَهْنِي الْعِلْيَاءُ مَا تَجْرِي بِهِ أَقْلَامُكَ الْغُرَّ الْمِيَامِنَةَ الْعَلَا
وَلِيَهْنِي الْقَرْطَاسُ مَا قَلَدْتَهُ يَا ابْنَ الْكَرَامِ مِنَ الْمَآثِرِ وَالْحَلَا
كَتَبْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَفَاضِلِ سَادَةً مَدْحًا يَرُوقُ مُدَبَّجًا وَمُسَلَّسَلَا
وَرَأَيْتُ أَنِّي عَنْ مَدَاهِمِ قَاصِرٌ فَقَعَدْتُ ثُمَّ أَتَيْتُهُمْ مُتَطَفِّلَا

(١) لَفْظُ الْبَيْتِ فِي (أ) : « الْحَيْطُ مِفْضَلٌ ، فَضْلُ الْجَمَانِ مَعْقَدًا وَمَحَلَّلًا » .

أَيْنَ الثَّرِيَّا والثَّرَى أَيْنَ السَّهَى مِنْ سَهَا أَيْنَ التَّدَانِي وَالْقَلَا
دُمَ فِي سَعُودِكَ يَا خَلِيلَ فَلَا خَلَا مِنْكَ الْمَكَانُ وَلَا سَلَا عَنْكَ الْمَلَا

٢١٠ - أحمد بن مهنا بن عيسى*

الأمير شهاب الدين أمير آل فضل ، يأتي ذكر أبيه وإخوته في مكانهم .

لم يكن في أولاد الأمير حسام الدين مهناً أذنين منه ، ولا أكثر رجوعاً إلى الحق فيما استفاض عنه ، وهو شقيق موسى وسليان ، وكان يرجع في المعاملة إلى أمان وإيمان ، ويستدين على ذمته بلا حجة ولا رهن ولا أيان ، ويفي لمن عاهده ، ويعجب في أحواله من شاهده ، وكان يُباري الغنائم بكرمه ، ويجير الخائف في حرمة ، حُمِلَ إليه يوماً من أنعامه وهو في مشهد عثمان بالجامع الأموي بدمشق مبلغ سبعين ألف درهم ، ففرّقها جميعها بعصى في يده ، ولم يلمس منها درهماً في منتقاه ولا منتقده .

حكى لي حميد نائبه على سلمية^(١) قال : لما جئنا في أيام الصالح إسماعيل إلى دمشق جاءه رجل ونصحه ، وقال له : إنَّ كتاب السلطان جاء إلى طَقْرُتْمَر وفيه أنّه يسك كل من حَضَرَ من أولاد مهنا ، ومتى دخلت أمسكك ، قال : فقلت له : يا أحمد لا تعبر دمشق ، وعد^(٢) من ههنا إلى بيوتك^(٣) ، فقال : ما أروح ، والسلطان حبسه ثلاث ليال ، والباقي بعد ذلك حبس الله ، ولا أعصي الله ، ولا أعصي السلطان ، وإن أخذ خبزي أكلت من أملاكي ، وإن أخذ أملاكي بعت أباعري وخيلي وأكلت منها إلى أن أموت .

* الوافي : ١٩٧/٨ ، والدرر : ٣٢١/١ ، والمختصر في أخبار البشر : ١٥٤/٤ ، والنهل الصافي : ٢٢٥/٢ .

(١) قال ياقوت : « سلمية بفتح أوله وثانيه وسكون الميم .. بليدة من أعمال حماة .. ولا يعرفها أهل الشام إلا بسلمية » . معجم البلدان : ٢٤٠/٣ ، وهي إلى الآن من أعمال حماة .

(٢) (أ) : « وارجع » .

(٣) قوله : « إلى بيوتك » ليس في (أ) .

قال لي أيضاً : وهو لا يتداوى من مرض يكون به ، ولا يأكل من أحد شيئاً فيتهمه ، ولو قيل له : هذا طعام ^(١) مسموم تناوله منه ، وقال : « بسم الله » وأكله ، ولَمَّا ورد في آخر أيام الصالح سنة خمس وأربعين وسبع مئة في أحد شهري جُمادى أمسكه الأمير سيف الدين طُغْتَرَمز واعْتقله بقلعة دمشق ، فبقي فيها مدة ، ثُمَّ إِنَّهُ نُقِلَ إلى قلعة صَفَد وأقام بها مُعْتَقِلاً إلى أن توفي الملك الصالح إسماعيل ، وتولَّى ^(٢) أخوه الكامل ، وطلب أحمد بن مهنا إلى مصر ، وأعطاه الكامل إمرة آل فضل ، ولم يزل فيها إلى أن تولَّى الإمرة سيف بن فضل ابن عمه في أيام المظفر حاجي ^(٣) ، ولَمَّا كان في آخر أيام المظفر أعيدت الإمرة إلى أحمد بن مهنا ، فتولّاها بعدما طُلب إلى مصر . ولم تزل الإمرة بيده إلى أن نزل به القضاء ، وضاق به الفضاء .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

وكان ذكر لي أنّ مولده سنة أربع وثمانين وست مئة .

وفاته بمنزلة كواتل ^(٤) ، ونقل منها إلى مشهد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند رحبة مالك بن طوق ، ودفن هناك .

٢١١ - أحمد بن موسى بن عيسى بن أبي الفتح*

أبو العباس البَطْرَني المالكي الأنصاري ، شيخ القراءات والحديث بتونس .

أخذ القراءات عن أبي محمد عبد الله بن عبد الأعلى الشُّبَارقي ^(٥) صاحب

(١) (أ) : « الطعام » .

(٢) في الأصل : « وتوفي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٣) حاجي بن محمد بن قلاوون السلطان ، وستأتي ترجمته .

(٤) في ياقوت : « الكواتل موضع في أطراف الشام » . معجم البلدان : ٤٨٦/٤ .

* الوافي : ٢٠٤/٨ ، والدرر : ٣٢٢/١ ، وغاية النهاية : ١٤٢/١ .

(٥) (أ) : « الشباري » ، تحريف .

ابن عون الله^(١) ، وعن أبي بكر بن مَشْلُيُون وطائفة . وروى عن صالح بن محمد بن وليد ، ومحمد بن أحمد بن ماجه^(٢) ، وعلي بن محمد الكِنَانِي^(٣) .

وكان صالحاً مباركاً فاضلاً مشاركاً ، له صيت وسُعة ولخشوعه تنفس وذمعه .

ولم يزل على حاله إلى أن أتاه اليقين ودرج إلى المتقين^(٤) .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وسبع مئة ، وتبرك الخلق بجنائزته ، وتوهوا أنهم في كنفه وحيازته .

٢١٢ - أحمد بن موسى بن محمد بن أحمد*

عز الدين بن قُرْصَة الفَيّوْفِي المولد القُوصِي الدار .

تَوَلَّى نظر قُوص والإسكندريّة ، وكان من تلاميذ الشيخ ابن عبد السلام ، وكان قليل الكلام ، بريئاً من الملام ، لا يتكلم إلا بإعراب ، ولا يأنس إلا بمن هو عامر الباطن غير خراب .

أمسكه الأمير علم الدين الشُّجَاعِي واستحضره ، فقال له : المال ، قال : مُبْتَدَأ بلا خبر ، فقال له : تعال إلى هنا ، قال : أخاف أن تضربني بهذه العصا التي^(٥) في يدك ، فتبسم منه .

(١) أبو جعفر أحمد بن علي بن يحيى بن عون الله الداني ثم المرسبي الحصار (ت ٦٠٩ هـ) ، السير : ١٦/٢٢ .

(٢) (أ) : « حامد » ، تحريف ، وابن ماجه هذا هو : أبو عبد الله المقرئ ، أشار ابن الجزري في غاية النهاية : ٨٠/٢ ، إلى قراءة البطرني عليه ، إلا أنه لم يذكر سنة وفاته .

(٣) المرسبي ، لم يذكر صاحب غاية النهاية سنة وفاته ، وأشار إلى قراءة البطرني عليه : ٥٦٤/١ .

(٤) (أ) : « محل للتيقن » .

* الوافي : ٢٠٥/٨ ، والدرر : ٣٢٢/١ ، وللمنهل الصافي : ٢٢٢/٢ ، والطالع السعيد : ١٤٥ .

(٥) في الأصل : « الذي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والمنهل .

وله كتاب سَمَاء (تنف المحاضرة)^(١) ، وله مسائلُ فِقْهِيَّة ونحوِيَّة ولغوِيَّة وأدبِيَّة ،
ودرَّس بالمدرسة الأفرمِيَّة ظاهر قوص .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح تحت جندل وصفائح ، وأقام فيه إلى أن تبعثر
الضرائح .

وتوفي رحمه الله سنة إحدى وسبع مئة .

ومن شعره^(٢) :

إذا تَزَوَّجَ شيخُ الدَّارِ غَانِيَةً مليحةً القَدَّ تَزْهَى ساعةَ النظرِ
فقد تَرافَع في أحوالِهِ وأَتَتْ قافُ القيادةِ تستَقْصِي عن الخيرِ
ومنه :

لا تحقرنَّ من الأعداءِ مَنْ قَصَرَتْ يداهُ عَنكَ وإن كان ابنَ يَوْمَئِينِ
فإن في قُرْصَةِ البرغوثِ معتبراً فيها أذى الجسمِ والتسهيْدُ للعَيْنِ
ومنه :

الشيبُ عَيْبٌ ولكن عينه قُلِعَتْ بالشينِ مِنْ شِدَّةٍ فيه وتعذيبِ
والشيبُ شَيْنٌ ولكنَّ نُونُهُ حذفت بياءِ بُعْدٍ عن اللَّذاتِ والطَّيِّبِ
ومنه :

يامن يعذبُ قَلْبَهُ في صُورة سوداءِ مظلمةٍ كفحمِ النَّارِ^(٣)
أُتِعتَ نَفْسَكَ في سوادٍ مُظْلِمٍ إنَّ السَّوادَ يُضِرُّ بِالْأَبْصارِ
وإذا عدلتَ عن البياضِ وحُسْنِهِ ماذا تَوَمَّل في سوادِ القارِ^(٤)

(١) الكشف : ١٩٢٥/٢ .

(٢) هذه الأشعار ساقها للمصنف في الوافي ، وبعضها في الدرر ، والطالع السعيد ، والمنهل الصافي .

(٣) في الطالع السعيد : « نفسه في .. » .

(٤) (أ) : « من عذاب النار » .

ومنه :

غَن نَسْعَى والسَعْيُ غَيْرُ مَفِيدٍ إِنَّ أَرَادَ الْإِلَهَ مَنَعَ الْمَغَامِ^(١)
وَإِذَا مَا الْإِلَهَ قَدَّرَ شَيْئاً جَاءَ سَعِيّاً إِلَى الْفَقَى وَهُوَ نَائِمٌ
قلت : شعر جيد .

٢١٣ - أحمد بن نصر الله بن باتكين*

محبي الدّين القاهري .

سمع (حرز الأمانى)^(٢) على سديد الدّين عيسى بن أبي الحرم^(٣) إمام جامع الحاكم .
كان شاعراً قادراً ، ناظماً في فن^(٤) الأدب ماهراً ، كتب إلى أدباء عصره ، وراجعهم
شعراً دهره ، وكانت تدور بينهم كؤوس الأدب ، لا كؤوس الحبّ .

أنشدني من لفظه العلامة أثير الدّين ، قال : أنشدني لنفسه

أَقَسَمْتُ بِاللَّهِ وَأَيَّاتِهِ يَمِينَ بَرٍّ صَادِقٍ لَا يَمِينُ
لَوْ زِدْتُ قَلْبِي فَوْقَ ذَا مِنْ أَدَى مَا كُنْتُ عِنْدِي غَيْرَ عَيْنِي الْيَمِينِ^(٥)
وأنشدني ، قال : أنشدني لنفسه :

يَاجِفْنَ مَقْلَتَهُ سَكِرْتُ فَعَرُبِد كَيْفَ اشْتَهَيْتَ عَلَى فُؤَادِي الْكَمَدَ

(١) في الأصل : « المغارم » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والطالع السعيد .

* الوافي : ٢١٤/٨ ، والدرر : ٣٢٤/١ ، والمنهل الصافي : ٢٤٣/٢ .

(٢) حرز الأمانى ووجه التهاني ، وهي القصيدة المشهورة بالشاطبية .

(٣) عيسى بن أبي الحرم مكي بن حسين العامري المقرئ (ت ٦٤٩ هـ) ، السير : ٢٠٣/٢٣ ، وغاية النهاية : ٦١٤/١ .

(٤) ليست في (أ) .

(٥) المنهل الصافي : ٢٤٤/٢ .

وَرَمَيْتَ عَنْ قَوْسِ الْفَتُورِ فَأَصْبَحْتَ
لَمْ تَغْضُضِ الْجَفْنَ الْكَحِيلَ تَغَاضِيًا
عَرَضًا لِأَسْهُمِكَ الْقُلُوبُ فَسَدَّ
إِلَّا لَتَقْتُلُنَا بِسَهْمٍ مُغْمَدٍ ^(١)
مَنْ لَمْ يَبْتَ بَعْدَ حَبِّكَ قَلْبُهُ
مَتَّعًا لَأَفَازَ مِنْكَ بِمَوْعِدٍ ^(٢)
لِلصَّبِّ أَسْوَةٌ خَالِ خَدِّكَ إِنَّهُ
مَتَّعَ فِي جَمْرِهِ الْمُتَوَقِّدِ
قلت : هذا يشبه قولَ عفيف الدين التلمساني ^(٣) :

قَلْبِي الْمُتَّعِمُ فِي هَوَاكَ بِنَارِهِ
لِلصَّبِّ أَسْوَةٌ خَالِ خَدِّكَ إِنَّهُ
إِنْ كَانَ غَيْرِي فِي الْهَوَى مَتَالًا
فِي جَمْرِهِ مُتَوَقِّدًا مُتَّعِمًا ^(٤)
وكتب أبو الحسين الجزار إليه ملغزاً :

وَمَا شَيْءٌ لَهُ تَقَشَّ وَنَفْسٌ
يَوَدُّ بِهِ الْفَقْ إِدْرَاكَ سَوْءٍ
وَيُؤْكَلُ عَظْمُهُ وَيَحْكُ جِلْدُهُ
وَقَدْ يَلْقَى بِهِ مَا لَا يَوَدُّهُ
وَيَأْخُذُ مِنْهُ أَكْثَرُهُ بِحَقٍّ
وَلَكِنْ عِنْدَ آخِرِهِ يَرُدُّهُ

فكتب الجواب إليه محيي الدين المذكور :

أَمْوَلَايَ الْأَدِيبِ دَعَاءُ عَبْدٍ
يَرَى مَحْضَ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ قَرْضًا
وَدُودَ لَا يَحُولُ الدَّهْرَ وَدَّهُ ^(٥)
لَا يَثْنِي عِنَانُ الشُّكْرِ بُعْدَهُ
لَقَدْ أَهْدَيْتَ لِي لُغْزًا بِدِيعًا
يُضِلُّ عَنِ اللَّيْبِ لَدِيهِ رُشْدُهُ
وَقَدْ أَحْكَمْتَهُ دُرًّا نَضِيدًا
يُشَنِّفُ مَسْمَعِي بِالْدَّرِّ عَقْدُهُ
فَشَطَّرَ اللَّغْزَ أَخْمَاسَ ثَلَاثٍ
لِللُّغْزِكَ إِنْ تَرُدُّ يَوْمًا أَحَدَهُ

(١) (أ) ، والوافي : « سيف معمد » .

(٢) (أ) : « راضيا متنعماً » .

(٣) سليمان بن علي بن عبد الله (ت ٦٩٠ هـ) ، والوافي : ٤٠٨/١٥ .

(٤) (أ) ، والوافي : « يتنعّم » .

(٥) (أ) : « لا يخون الدهر » .

وباقية مع التصحيف كَسَبَ
 هـا ضَدَّانِ يَقْتَتَلَانِ وَهْنًا
 هـا جيشَانِ من زَنْجٍ ورومٍ
 تَقُومُ الْحَرْبُ فِيهِ كُلَّ حِينٍ
 وَيَشْتَدُّ الْقِتَالُ بِهِ طَوِيلًا
 وَيَقْتُلُ مَلِكُهُ فِي كُلِّ حِينٍ
 وَمَا يَنْجِي الْهَمَامَ بِهِ حَسَامٌ
 وَنَصْرُ اللَّهِ فِي الْهَيْجَا سَجَالٌ
 وَهَذَا كُلُّهُ حَسَبَ اجْتِهَادِي

إِذَا مَا زِدْتَهُ حَرْفًا تَعُدُّهُ^(١)
 وَيَضْطَجِعَانِ فِي فَرْشِ تَعُدُّهُ
 يُقَابِلُ كُلُّ قَرْنٍ مِنْهُ ضَدُّهُ
 وَلَا تَدُمِي مِنَ الْوَقَعَاتِ جُنْدُهُ
 وَيَحْكُمُ بِالْأَصَاغِرِ فِيهِ عَقْدُهُ
 وَيَبْعَثُهُ النِّشَاطُ فَيَسْتَرِدُّهُ
 وَقَدْ يَنْجِي مِنَ الْإِتْلَافِ بَنْدُهُ
 فَمَنْ شَاءَ الْإِلَهَ بِهِ يَدُّهُ
 وَغَايَةُ فِكْرَةِ الْإِنْسَانِ جَهْدُهُ

ونقلت من خطِّ الحافظ اليعموري^(٢) قال : أنشدني محيي الدين أبو العباس الكاتب المصري لنفسه :

يَانَاظِرًا فِي الْبُيُوتِ أَعْمَى
 عَنْ كُلِّ خَيْرٍ وَكُلِّ بُرٍّ^(٣)
 أَسْوَدَ كَالْفَحْمِ فَهُوَ مَاوَى
 كُلِّ شَرٍّ وَكُلِّ شَرٍّ
 وَنَفَخَ هَذَا الْوَزِيرُ فِيهِ
 أَحْرَقَ كُلَّ الْوَرَى بِجَمْرِ

ولم يزل محيي الدين المذكور على حاله إلى أن فرَّق الموت بينه وبين ذويه ،
 وتصرَّف الوارث فيما كان يحتويه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة عشر وسبع مئة .

وكان المذكور قد تناثرت أطرافه وحاق [به]^(٤) تبذيره وإسرافه ، فأصبح

(١) هذا البيت وما بعده جعل في (أ) من تمة أبيات الجزار السالفة ، وهو سهو .

(٢) يوسف بن أحمد بن محمود (ت ٦٧٣ هـ) ، فوات الوفيات : ٣٣٨/٤ .

(٣) (أ) ، والوافي : « ناظرنا » ، ولعلها أنسب .

وفي الأصل : « عن كل شر » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .

(٤) زيادة من (أ) يقتضيها السياق .

لأعدائه رحمة ، وأثار الحزن عليه كل قلب قد قسا وصار كالفحمة . وهذا يحيي الدين هو الذي نظم ذينك البيتين في ابن بنت الأعز ، يكتب في الكتب اسمه وحده ، وقد ذكرتهما في ترجمة قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز .

٢١٤ - أحمد بن نعمة بن حسن البقاعي الديرمقري الدمشقي *

الصالح الحجار الخياط الرحالة المعمر ، شهاب الدين أبو العباس المعروف بابن الشحنة .

خدم حجاراً بقلعة دمشق سنة ثلاث وأربعين وست مئة ، وكان لما حاصرها جند هولاء ، ولم يظهر أمره للمحدثين إلى أثناء سنة ست وسبع مئة ، فسألوه ، فقال : كنا سميناً ، فوجدنا سماعه في أجزاء على أبي المنجا ابن اللتي ^(١) .

وسمع منه جماعة (جزء) ابن مَخلد ، و (مسند) عمر النجاد ^(٢) ، ثم ظهر اسمه في كراس أسماء السامعين بالجبل ^(٣) (لصحيح البخاري) على ابن الزبيدي سنة ثلاثين ، فحدث بالجامع بضعاً وسبعين مرة بالبلد ، وبالصالحية وبالقاهرة وبجدة وبعليبك وكفر بطنا وحمص .

وطلبه الأمير سيف الدين أرغون الناصري نائب مصر ، وسمع منه البخاري . وسمع منه القاضي كريم الدين الكبير ، والأمير سيف الدين رحمه الله تعالى ، والقضاة والأئمة .

* الوافي : ٢١٨/٨ ، والبداية والنهاية : ١٥٠/١٤ ، والدرر : ١٤٢/١ ، وذيل العبر : ١٦٤ ، والنجوم : ٢٨١/٩ ، وشذرات الذهب : ٩٣/٦ ، والدارس : ٨٣/١ ، والمنهل الصافي : ٢٤٩/٢ .
(١) في الأصل : « ابن أبي المنجا .. » ، وفي الوافي : « ابن المنجا وابن اللتي » ، وكلاهما لا يستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) .

وابن اللتي هو أبو المنجي . انظر السير : ١٥/٢٣ ، وما بعدها .

(٢) كذا في الأصول والوافي . والذي في الكشف : « مسند عمر بن الخطاب لأبي بكر أحمد بن سليمان النجاد » ١٦٨٤/٢ ، وأخذ هذا توفي (٣٤٨ هـ) . البداية والنهاية : ٢٣٤/١١ .

(٣) في الأصل : « بالجبل » تصحيف .

وروى بإجازة ابن رُوزبة وابن بهروز^(١) وابن القطيعي والأنجب الحمامي
وياسمين بنت البيطار^(٢) ، وجعفر الهمذاني ، وخلق كثير .

وكان صحيح التركيب ، دموي اللون أزهر ، له همّة ، وفيه عقل ، يطيل
الإصغاء بلا ضجر ، ويصبر كأن قلبه مما لازمه حجر .

الحق الأحفاد بالأجداد ، وساوى بالسماع عليه بين الآباء والأولاد ، رحل إليه
الناس من الأطراف ، وأخذهم بالسماع عليه الأشراف في الإشراف ، وحصل الذهب
والدراهم والخلع ، ورُتّب له معلوم فأنجبر به وانتفع .

وكان فيه دين وملازمة للملوات الخمس ، ومحافظة في اليوم على ما كان فيه
أمس ، لا يمل من الإسماع وطوله ولا ينعس ، وهو مشغول بإقباله على القارئ وقوله ،
ويحفظ ما يصلي به من القرآن ، وربّما آخر الصلاة في السفر على رأي العوام لاستيلاء
الشیطان ، وصام وهو ابن مئة عام شهر رمضان وأتبعه بست من شوال عملاً بسنة
الإيمان .

قال الشيخ شمس الدين : حَدَّثْتُ أَنَّهُ فِي هَذَا السَّنِ اغْتَسَلَ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ .

ولم يزل على حاله إلى أن جاءه قاطع الأعمار ، والموت الذي ساوى بين أولي
التجارب والأغمار ، ونزل الناس بموته درجة في الرواية ، وحصل للطلبة عليه من
الأسف النهاية .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الاثنين خامس عشرين صفر سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة نيف وعشرين وست مئة .

(١) محمد بن مسعود بن بهروز (ت ٦٣٥ هـ) . سير الأعلام : ٣٠/٢٣ .

(٢) في الأصل « البسطار » تحريف ، وهي ياسمين بنت سالم بن علي البيطار ، (ت ٦٣٤ هـ) ، سير
الأعلام : ١٣/٢٣ .

ولعله حصل له بركة رواية الحديث ما يقارب المئة ألف درهم^(١) . وسمع هو وأخوته الثلاثة في سنة ثلاثين وست مئة . وأجاز لي بخط شيخنا علم الدين البرزالي سنة ثلاثين وسبع مئة ، ولم أسمع منه فخرمته ، وعنفت حظي لذلك ولمته .

وقلت عند موته :

عِلْمُ الزَّاوِيَةِ حِصْنٌ لِلْحَدِيثِ وَبِأَلِّ
إِسْنَادٍ قَدْ سَدَّ أَشْيَاخُ الْوَرَى فُرْجَهُ^(٢)
وكان شاد لنا الحجار منزلة
وحين مات نزلنا بعده درجته

٢١٥ - أحمد بن هبة الله بن أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر*

الشيخ الجليل المُسند شرف الدين أبو الفضل . كان شيخاً مسنداً .

سمع من زَيْن الأَمْنَاء ابن عساكر ، والحسين ابن صَصْرَى ، وأبي المجد القزويني ، وعز الدين بن الأثير ، ومُكْرَم بن الصقر^(٣) ، وابن صَبَّاح ، وابن الزَّيْدي ، وابن اللَّتَّى ، وفخر الدين بن الشيرجي^(٤) ، وأبي نصر بن^(٥) الشيرازي . وأجاز له أبو رَوْح

(١) ليست في (أ) .

(٢) في الأصل : « والإسناد » ، ولا يستقيم بها الوزن .

* البداية والنهاية : ١٢/١٤ ، والنجوم : ١٩٢/٨ ، والشذرات : ٤٤٥/٥ ، والمنهل الصافي : ٢٥٤/٢ ، وعقد الجمان : ٩١/٤ .

(٣) مكرم بن محمد بن حمزة ، (ت ٦٣٥ هـ) ، السير : ٣٤/٢٣ .

(٤) في الأصول : « السيرجي » ، تصحيف ، وهو محمد بن عبد الوهاب الأنصاري الدمشقي ، (ت ٦٢٧ هـ) . الغبر : ١٠٩/٥ ، والشذرات : ١٢٥/٥ .

(٥) ليست في (أ) . وهو محمد بن هبة الله بن محمد ، (ت ٦٣٥ هـ) . السير : ٣١/٢٣ ، والشذرات : ١٧٤/٥ .

عبد المعز المروزي^(١) والمؤيد الطوسي ، وزينب الشَّغرية^(٢) ، وقاسم بن الصفَّار^(٣) ،
وعبد الرحيم بن السمعاني^(٤) ، وجماعة .

قال شيخنا علم الدين : قرأت عليه (صحيح مسلم) ، و (الزهد) للبيهقي ،
(مسند) أبي يعلى الموصلي ، و (موطأ) أبي مصعب^(٥) ، و (مسند) السراج^(٦)
أربعة عشر جزءاً ، و (مشيخة) ابن السمعاني سبعة عشر جزءاً أو أكثر من مئة وعشرين
جزءاً ، وسمعت عليه أكثر (تفسير البغوي) من قوله تعالى في سورة النساء :
﴿ لا يحبُّ الله الجَّهْرَ بالسَّوءِ من القول ﴾^(٧) إلى آخر التفسير .

وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وست مئة . قال :
وجنازته أول جنازة خرجت على العادة من دمشق .

قلتُ : يعني أنه بعد رحيل التتار عن دمشق في أيام قبجق .

(١) في الأصل « أبو زوج عبد العزيز » وفيه تصحيف وسهو ، وهو عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل
الساعدي ، (ت ٦١٨ هـ) . السير : ١١٤/٢٢ .

(٢) وتدعى حرّة بنت عبد الرحمن بن الحسن الجرجاني ، (ت ٦١٥ هـ) . السير : ٨٥/٢٢ ، والوافي :
٦٥/١٥ .

(٣) أبو بكر بن القاسم بن عبد الله بن عمر النيسابوري (ت ٦١٨ هـ) . السير : ١٠٩/٢٢ .

(٤) في الأصل : « عبد الرحمن » ، وأثبتنا ما في (أ) وهو الصواب ، وقد توفي (٦١٧ هـ) . السير :
١٠٧/٢٢ .

(٥) أحمد بن أبي بكر الزهري ، (ت ٢٤٢ هـ) ، الكشف : ١٩٠٨/٢ ، والسير : ٤٣٦/١١ .

(٦) محمد بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري ، (ت ٣١٣ هـ) . الكشف : ١٦٧٩/٢ .

(٧) الآية : ١٤٨ .

٢١٦ - أحمد بن ياسين الرباحي^(١) قاضي القضاة المالكي بحلب *

شهاب الدين قاضي فاض جوده وما غاض ، و غاظ النفوس بشره لما استراب وما استراض^(٢) .

أقدم على تفسيق العدول . ولم يكن له عن ذلك خروج ولا عدول ، ثم تجرأ بعد الإسقاط ، إلى الضرب بالسياط ، وحكم بفسق رفاقه الحكام ، وعدل عن العدل إلى التعدي في الأحكام ، وكفر جماعة ، ووفر على الشر نفسه ومدّ باعه ، فضاقت به أرجاء حلب ، ولم يلق الناس به زبدة لما مخض مخض ماحلب ، فعزل عن القضاء^(٣) ، وانتصف الناس منه بالقدّر والقضاء ، ثم إنه توجه إلى مصر ، وسعى فأعيد قاضياً مرة ثانية ، وعاد إلى ما كان عليه من الإكباب على جمع حطام هذه الدنيا الفاتنة الفانية ، ولم يرجع عن عادة ألفها ، ومادة استمد منها وعرفها ، ففسق وكفر ، وفرق شمل العدل ونفر ، إلى أن استقى نائب السلطنة بحلب عليه ، ووجه وجه اللوم والذم إليه ، وجهز الفتاوي بذلك إلى دمشق ، وتوجهت أسنة الطعن عليه والمشق ، فحكم بخطابه الواضح ، وتبين أنه من أهل الفضائح ، في القبائل والقبائح ، هذا مع ضيق عطن وغين ، وملاءة من الشين وبراءة من الدين ، ولثغة قبيحة إذا بدّل راء الورد بالغين ، وما كان أحقه بقول سلامة الزرّاد السنجاري^(٤) :

ضاق بحفظ العلوم ذرعاً ضيقة كفيّه بالأيادي

(١) في الأصل : « الرباحي » ، تصحيف .

* البداية والنهاية : ٣٠١/١٤ ، والدرر : ٣٢٧/١ ، وذيل العبر : ٣٦٢ ، ووفيات ابن رافع : ٣٨٢/١ ، والذيل التام : ٢٠٠ . وخلصت (أ) و (خ) من ترجمته . وخلصت (أ) و (خ) من ترجمته .

(٢) استراب به : رأى منه ما يريبه ، واستراض : استقر .

(٣) سنة (٧٤٨) كما في الدرر .

(٤) ذكر المؤلف في الوافي أنه كان بعد الخمس مئة ، وأورد له الأبيات المذكورة ، ٣٢٧/١٥ .

قاض ولكن على المعالي والدّين والعقل والسّداد
يعدل في حكمه ولكن إلى الرّشا أو عن الرّشاد

فَعُزِلَ مرة ثانية^(١) ، وتوجّه إلى القاهرة ، وأقام يسعى بالعين إلى أن أصبح بالسّاهرة ، فأكلت الأرض منه خبثاً ، ورأى بالموت أنّ جدّه كان عبثاً .

وتوفي رحمه الله تعالى وعفى عنه في شهر رجب الفرد سنة أربع وستين وسبع مئة ، توفي هو وولده في يوم واحد في طاعون مصر .

كان في أول أمره تاجراً بسوق الرّمّاحين في دمشق ، ثمّ إنه سعى في قضاء حلب ، وأظنه أول مَنْ وليها من القضاة المالكية ، فأساء السيرة ، وظهر أنه خبيث السريرة ، ففسّق العدول وأسقطهم ، وضرب بعضهم بالسياط وحكم بفسق رفاقه الحكام ، وحضرت كتبهم إلى شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وحضّر كتاب النائب بحلب إلى الأمير سيف الدين أيتّش نائب الشام^(٢) ، فقال قاضي القضاة للنائب : الرأي أن تجهز واحداً له دُرْبَة يتوجه إلى حلب ويصلح بينهم ، وعيّني قاضي القضاة لذلك ، ثم لم يتم ذلك ، وبطله مَنْ بطله ، فكتب النائب إلى حلب بمطالعة السلطان ، فكتب ، فورد المرسوم بعزله ، وتولى القاضي زين الدين أبو حفص^(٣) بها إلى أن مات . ثم إنّ الرّباحي سعى في العود إلى حلب فأعيد ، ولم يرجع عن غيّه ، وأقام في قضية الدّيسري وكفره ، وهمّ بقتله ، وحضرت الفتاوى عليه إلى الأمير سيف الدين بيّدمر الخوارزمي^(٤) نائب دمشق من الأمير شهاب الدين القشتري^(٥) نائب حلب ، فأحضر القضاة إلى دار العدل بدمشق ، ووقفوا على ما كتب في حقّه فوجوده مُبطلاً ، وكتبوا إليه بالإنكار

(١) سنة (٧٢٣) كما في الدرر ، وفي كلامه ما يدل على أنه عزل أربع مرات ، ذكر الصفي أولها وآخرها .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) ابن الوردي ، عمر بن المظفر ، وستأتي ترجمته .

(٤) (ت ٧٨٩ هـ) الذيل التام : ٢٤٧ ، والدرر : ٥١٣/١ .

(٥) هو قشّتر المنصوري ، قتل سنة (٧٧٥ هـ) ، الدرر : ٢٤٩/٣ .

عليه ، وتوجه غрмаؤه إلى مصر ، وشكوا عليه فعزل ، وتوجه إلى مصر ، فسعى ، ولم ينجح مسعاه إلى أن طعن هو وولده^(١) وماتوا في يوم واحد ، عفى الله عنه وسامحه .

ولقد كنا يوماً في دار العدل بحلب في أوائل قدوم الأمير بكتر المومني^(٢) ، فقال النائب يوماً كلاماً فيه بعض إنكار على القضاة ، فخرج هو دون رفاقه ، وقال بنفرة وزعارة : أيش بالقضاة يا أمير ؟ فنفر فيه النائب ، وقال له : ماتتكم بأدب ؟ ووضع يده على السيف ، وتوعدّه ، فشغلته أنا بقراءة القصص عليه ، فاشتغل بذلك لحظة ، وقال لتقيب النقباء : ناد في الناس ، من له على هذا القاضي شكوى ، يحضر . فحضر في الوقت الحاضر ثلاثة عشر نفرأ ، وشكوا عليه ، فقال له : يا قاضي ، من تكون هذه سيرته ما يكون هذا نفسه . ثم عقد له ولهم مجلساً ، ووزّنه لهم مبلغ أربعة عشر ألف درهم .

ولما زاد شرّه في المرة الأولى بحلب ، صنع فيه القاضي زين الدين عمر بن الوردي رسالة ، سمّاها (الحُرقة للخرقة) ، ووصّى ابنه ، قال : إن رجع القاضي عن فعله ، اكتمها ، وإن استمر ، فأظهرها . فلم يرجع عن غيّه ، فأظهرها . وهي نظم ونثر ، أبدع فيها ، وأتى فيها بكل معنى بديع . منها قوله رحمه الله تعالى :

حَاكَمْ يَصْدُرُ مِنْهُ خَلَفَ كُلَّ النَّاسِ حَقْرُ
يَتَمَنَّى كُفْرَ شَخْصٍ وَالرُّضَا بِالْكَفْرِ كُفْرُ

وقوله :

امْتَلَأَتْ مِنْ ذَهَبٍ أَكْيَاسُهُ وَقَلْبُهُ مَمْتَلِئٌ مِنْ دَغَلٍ
مَاهُو إِلَّا حَيَّةٌ بَزَقُهَا بِالسَّمِّ ، هَذَا الْمَغْرِبِيُّ الزَّغَلُ

وقوله :

قَاضٍ عَنِ النَّاسِ غَيْرُ رَاضٍ مِبَاهَتْ غَالِظٌ مَخَالِطُ

(١) في الأصل : « ووالده » ، تحريف .

(٢) هو أمير آخور الأشرف (ت ٧٧١ هـ) ، الدرر : ٤٨٨/١ .

يَكْذِبُ عَنْ مَالِكَ كَثِيرًا وَيُسْقِطُ النَّاسَ وَهُوَ سَاقِطٌ

وقوله :

تَلَفَّتْ مَكَاتِيبُ الْأَنْامِ بِفَعْلِهِ وَرَمَى الْأَكْبَرَ وَالْأَصَاغَرَ كَاذِبًا وَأَبَانَ عَنْ عَكْسٍ وَكَثْرَةٍ مَخْرُقَةٍ بِالْكَفْرِ أَوْ بِالْفُسْقِ أَوْ بِالزُّنْدَقَةِ

وقوله :

لَا وَاخِذِ الرَّحْمَنُ مَصْرًا وَلَا وَلَوْ أَعْلَيْنَا قَاضِيًا ثَالِثًا أَزَالَ عَنْهَا حُسْنَ دِيْبَاجِهِ مَا كَانَ لِلنَّاسِ بِهِ حَاجَةٌ

وقوله :

كَثِيرُ الْجُنُونِ مَسِيءُ الظَّنُونِ عَدُوُّ الْفَنُونِ لَطِيٌّ مُحْرَقٌ فَيَصْبُغُ أَصْبَغُ مَنْ بَهْتَهُ وَأَشْهَبُ فِي عَيْنِهِ أَبْلَقُ

وقوله :

إِنَّ الرِّيَاحِيَّ عَلَى جَهْلِهِ إِنَّ لَمْ يَكُنْ فِي حَلَبٍ مُسْلِمٍ وَجَـؤُهُ فِي حَلَبٍ يَحْكُمُ فَمَصْرٌ مَا كَانَ بِهَا مُسْلِمٌ

وقوله :

يَحِبُّ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ حَاشَى الرِّسَالَةِ مِنْهُ السَّيْنُ وَالْقَفَافُ وَالطَّيْلَانُ مَا خَلَقَهُ بِالْمَوْطَانِ

وقوله :

بِاللَّهِ يَا أَوْلِيَاءَ مِصْرَ مَتَى رَأَيْتُمْ وَهْلًا سَمِعْتُمْ خَذَوَهُ مِنْ عِنْدِنَا بَسْتَرِ بِأَنَّ قَاضِيَ الْقَضَاةِ جَمْرِي

وقوله :

يحبس في الردّة مَنْ
لا كان من قَاضِ حَكِي
شاء بغير شاهَد
الفقاع حَدَّ بارد

وقوله :

في حلب قاضٍ على مالك
ومن تَلَكَّامعه قال نعم
قد اجترأ مافيهِ توفيق
قد قيل لي إنك زنديق

وقوله :

قَاضٍ من السوق أتى
ذا الموصى يامايحي
معتادٌ يبع الأكسيه
كيف يعي للاقضيهِ

وقوله :

ياساكني مصر ما عهدنا
فكيف وليتم علينا
منكم سوى رحمة وألفه
من لا تصح الصلاة خلفه

وقوله :

الألثغ الطاغي تولّى القضا
إن سَبَّح الباري حكي سبّه
عدمت هذا الألثغ الطاغي
فقال : سبحانك يا باغي

وقوله :

وليتم جاهلاً جريئاً
مقلقلاً من بني رَبّاح
ألثغ بالمسلمين ضار
نحن له من بني خَسار

وقوله :

كم أسقط شاهداً وعدلاً ضابطاً
من كثرة ما يسقط خافت حلب
فالعالم كلهم عليه ساخط
أن يكتب ظاء حظها بالساقط

٢١٧ - أحمد بن يحيى شمس الدين السُّهُرَوْرْدِي*

الكاتب المشهور ببغداد ، حفظ القرآن ، وتفقه للشافعي ، وقرأ العربية ، ونظر في اللغة والمعقول ، وحفظ (المقامات) الحريرية .

وسمع من رشيد الدين أبي عبد الله المعري^(١) ، وأبي البركات بن الطُّبَّال^(٢) . وأجاز له جماعة .

وكان علماً مشهوراً في الكتابة وعلم الموسيقى ، فكتب على الشيخ زكي الدين عبد الله^(٣) ، وفاق شيخه في الكتابة . وأخذ علم الموسيقى عن الشيخ صفى الدين عبد المؤمن^(٤) ، وأجمع جماعة من أرباب^(٥) هذا الفن أنه ما أتى بعده مثله .

وكان الشيخ شمس الدين المذكور حسن الأخلاق ، كريم النفس في حالتي الغنى والإملاق ، كثير الحياء ، غزير الحبا . شريف النفس كثير الاتضاع ، ذا مروءة يخاف مدى الدهر ألا تُضَاع ، كثير البشاشة سديد المقال ، شديد الحرص على الأشغال والاشتغال ، صاحب رأي وعزم ، ونأي عن الدناءة وخزم ، بليغاً فصيحاً ، مليّ الحياء بالقبول مليحاً ، لطيفاً في حركاته وسكناته ، كثير الرحمة لا يزعم الطير^(٦) في وكناته ، إماماً في الكتابة ، رأساً لهذه العصابة .

كتب المصاحف في القطع الكبير والصغير ، وأتى بها كأنها قطعُ الروض النضير . رأيت منها أنا جملة وافية ، ودلّني على محاسنها العينُ الصافية ، فشاهدت منها ما يؤدّ فم

* الدرر : ٣٣٥/١ .

(١) (أ) : « المقرئ » ، ولم نقف على ترجمة له .

(٢) إسماعيل بن علي بن الطُّبَّال ، (ت ٧٠٨) . الدرر : ٣٦٩/١ ، والشذرات : ١٦/٦ .

(٣) (أ) : « بن عبد الله » .

(٤) (ت ٧٣٩ هـ) ، وليس في ترجمته ما يشير إلى اشتغاله بالموسيقا . الدرر : ٤١٨/٢ .

(٥) (أ) ، (خ) : « أهل » .

(٦) ليست في (أ) .

الثريا لو كان^(١) له لائماً ، وشهد عندي أن كاتبه يكون فوق الكواكب جائئاً ، لا يُطْلَق اسم الكاتب إلا عليه إجماعاً ونصاً ، ولا يرضى أن يكون ياقوت في خاتمه فصّاً ، فقد زعم كثير أنه كتب أحسن من ياقوت ، وأنه لو كان في زمانه لَعَذُرَ^(٢) عليه القوت . وقالوا إنه كتب بخطه ثمانية وسبعين مصحفاً وخمسة ربعات^(٣) ، كل ربعة وقر^(٤) بعير . وكتب بخطه أيضاً (إحياء العلوم^(٥)) للغزالي ، وكتب كتاب (المصاييح)^(٦) ثلاث نسخ ، و (عوارف المعارف) لجدا أبيه^(٧) ثلاث نسخ ، و (مشارق الأنوار) للصغاني^(٨) ثلاث نسخ ، وكتاب (الشفا) لابن سينا في مجلد ، و (المقامات) ثلاث نسخ ، و (مفصل) الزمخشري نسختين ، و (نهج البلاغة) أربع نسخ ، وكتب من الأحاديث والأدعية والدواوين والدروج شيئاً كثيراً .

وكتب عليه جماعة^(٩) ، منهم القان أبو سعيد ، والسلطان أتابك والوزير غياث الدين بن^(١٠) الرشيد ، ونظام الدين بن يحيى بن الحكيم ، وجماعة من أولاد الأئمة والقضاة والوزراء والفضلاء .

وقصد من البلاد لحسن خطّه ، ولعلم الموسيقى . وطبقت مصنفاته الأرض في هذا العلم تطبيقاً . لأنه كان فيها لا يُسارى ، ولا يُساده ولا يجارى . إذا وقع أغرب ، وإذا

(١) (أ) ، (خ) : « يكون » .

(٢) (أ) ، (خ) : « لتعذر » .

(٣) الربعة : صندوق أجزاء المصحف ، مولدة .

(٤) الحمل الثقيل .

(٥) (أ) ، (خ) : « إحياء علوم الدين » .

(٦) مصاييح السنة للبيهقي . الكشف : ١٦٨٨/٢ .

(٧) عمر بن محمد بن عبد الله ، (ت ٦٣٢ هـ) . الكشف : ١١٧٧/٢ ، والسير : ٣٧٣/٢٢ .

(٨) (أ) : « للصغاني » ، تحريف ، الكشف : ١٦٨٨/٢ .

(٩) (أ) ، (خ) : « جماعة كثيرة » .

(١٠) (أ) ، (خ) : « محمد بن » .

تنحج ، قيل إنه من الأوتار أطرب . قد لطف لجسّه ^(١) إِبْرِيْسَمُهُ ^(٢) ، وطَبِعَ على هذه الصناعة مِيسَمُهُ ، إلا أنه أخيراً أَنِفَ من نسبة هذا الفن إليه ، ونفض منه يَدَيْهِ .

وكان حظيَّ الذِّكْر عند الملوك ، تكاد أنبأؤه تنخرط مع الدَّر في السلوك . كاتبه سلطان الهند وصاحب الين وجماعة ليضي إليهم فما وافق ولا رافق ، ولا نافي في الظاهر ولا نافي .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل الكسوف بشمسهِ ، وجعل الموت قُرْبَهُ أبعدَ من أمسه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في أواخر شهر ربيع الآخر ، سنة إحدى وأربعين وسبع مئة ، وصُلِّي عليه بجامع الخليفة ، ودفن عند جدّه .

ومولده ببغداد سنة أربع وخمسين وست مئة . ومات وما في لحيته من الشيب إلا شعرات يسيرة .

ومن شعره :

وبَشَّرَ بالميامن والسعود	بدا نجم السعادة في الصَّعود
بما أولاك من كرم وجود	وحقق فيك آمالَ البرايا
محلَّ الروح من جسم العميد	فلاح لنا الفلاح وحلَّ فينا
يعمُّ الخلق في مُدُن وييد	وأبقينا النفوسَ بظلِّ أمن
لسلطان الزمان أبي سعيد	بعدلٍ شامل في كل أرضٍ

ومنه :

(١) (أ) ، (خ) : « لِحْسَهُ » .

(٢) في القاموس : الإبريسم ، بفتح السين وضمة : الحرير ، أو معرب : مفرح مسخّن للبدن ، معتدل ، مقوٌّ للبصر إذا اكتحل به .

قد قنعنا بجمولٍ عن غنى وبعزّ اليأس عن ذلّ التني^(١)
فكرم القوم لأسألـه فلماذا يُعرض الباخل عني

قلت : إلا أن هذا شعر نازل ، وهو أقرب إلى التوسط .

٢١٨ - أحمد بن يحيى بن فضل الله بن المجلي بن دعجان *

ينتهي إلى عبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
القاضي شهاب الدين أبو^(٢) العباس ابن القاضي يحيى الدين القرشي العدويّ العمري
الدمشقي .

الإمام الفاضل البليغ المّفوّه حجة الكتاب ، إمام أهل الآداب ، الناظم النائر ،
أحد رجالات الزمان كتابة وترسلًا ، وتوصلًا إلى غايات المعالي وتوسلًا^(٣) ، وإقداماً
على الأسود في غاها ، وإرغاماً لأعاديّه بمنع^(٤) رغاها ، يتوقد ذكاء وفطنة ويتلّهب ،
ويتحدّر سئلّه ذاكرةً وحفظاً ويتصبّب ، ويتدفق بحره^(٥) بالجواهر كلاماً ، ويتألّق
إنشأؤه بالبوارق المتسرعة نظاماً ، ويقطر كلامه فصاحة وبلاغة ، وتندى عبارته
انسجاماً وصياغة ، وينظر إلى غيب المعنى من ستر رقيق ، ويغوص في لجّة البيان
فيظفر بكبار الدّر من البحر العميق ، استوت بديته وارتجاله ، وتأخر عن فروسيّته
من هذا الفن رجاله ، يكتب من رأس قلمه بديهاً ما يعجز تروّي القاضي الفاضل أن

(١) (أ) : « وبذل اليأس » ..

* الوافي : ٢٥٢/٨ ، وفوات الوفيات : ١٥٧/١ ، والبداية والنهاية : ٢٢٩/١٤ ، ووفيات ابن رافع :
٢٨٢/٨ ، والدرر : ٣٣١/١ ، وبدائع الزهور : ٥٣٢/١/١ ، والشذرات : ١٦٠/٦ ، والذيل التام : ١٠٥ ،
والمنهل الصافي : ٢٦١/٢ ، وفيه : « المجلي » ، بالحاء .

(٢) في الأصل : « أبي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي ، والمنهل .

(٣) في الأصل « توصلا » ، تحريف . وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٤) (أ) ، (خ) : « في منع » .

(٥) في الأصل : « مجرة » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .

يدانيه تشبيهاً ، وينظم من المقطوع والقصيدة جَوْهراً ، ما ينجل الروض الذي باكره
الحيا مزهراً ، جبل كتابة وأخبار ، وبجر إصابة في المعاني التي ^(١) لا يشق له فيها غبار .
وأما نثره فقلّ من يجاريه ، أو يقارب خطوقلمه في تنسيق دراريه . وأما نظمه
ففي الثريا ، وأبياته تطول في المحاسن رَيّاً ، وتَصَوُّعَ رَيّاً .

قرأ العربية على الشيخ كال الدين ابن قاضي شهبة ، ثم على قاضي القضاة شمس
الدين بن مُسَلَّم ^(٢) ، والفقّه على قاضي القضاة شهاب الدين بن المجد ^(٣) ، وعلى الشيخ
برهان الدين قليلاً ^(٤) ، وقرأ (الأحكام الصغرى) ^(٥) على الشيخ تقي الدين بن تيمية ،
والعروض على شمس الدين الصايغ ^(٦) ، وتأدّب على علاء الدين الوداعي ^(٧) . وقرأ
جملة من المعاني والبيان على شيخنا العلامة شهاب الدين محمود ، وقرأ عليه تصانيفه ،
وجملة من السداوين وكُتُب الأدب . وقرأ بعض شيء من العروض على الشيخ
كال الدين بن الزملكاني . والأصول على الشيخ شمس الدين الأصبهاني . وقرأ بمصر ^(٨)
على الشيخ أثير ^(٩) ، وسمع منه . وسمع بدمشق والقاهرة والحجاز والإسكندرية وبلاد

(١) في الأصل : « الذي » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

(٢) هو محمد بن مسلم بن مالك المزري الدمشقي (ت ٧٢٦ هـ) . (الدرر) .

(٣) في المنهل : « أحمد بن المجد » . وعلق المحقق بقوله : « الملقب شهاب الدين بن المجد اسمه محمد وليس
أحمد كما ورد بالمتن ، وهو محمد بن المجد عبد الله بن الحسين بن علي الإربلي الشافعي ، شهاب الدين
قاضي قضاة دمشق المتوفي (٧٣٨ هـ) ... أما المسمى أحمد بن المجد فلقبه مجد الدين .. » . وانظر
الإعلام : ٣١٢ .

(٤) ليست في (خ) . وهو إبراهيم بن عبد الرحمن بن سباع (ت ٧٢٩ هـ) .

(٥) في الحديث ، لعبد الحق بن عبد الرحمن بن خراط الإشبيلي ، (ت ٥٨٢ هـ) . الكشف : ١٩/١ .

(٦) في المنهل : « ابن الصايغ » . وهو محمد بن حسن بن سباع (ابن الصايغ) (ت ٧٢٠ هـ) .

(٧) علي بن مظفر الكندي ، (ت ٧١٦ هـ) . ستأقي ترجمته في موضعها .

(٨) ليست في (أ) .

(٩) في الوافي : « أثير الدين » ، وهو أبو حيان .

الشام ، ونظم كثيراً من القصائد والأراجيز والمقطعات ودو بيت وأنشأ كثيراً من التقاليد ^(١) والمناشير والتواقيع والأصدة .

كتب الإنشاء بدمشق أيام بني محمود ، ثم ولي والده كتابة السرّ بدمشق ، ثم طلب إلى مصر هو ووالده في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، وباشر والده كتابة السرّ بمصر ، ثم خرج مع أبيه إلى دمشق ، ثم عاد إليها معه في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وأقام إلى بعض سنة ست وثلاثين ، وهو في المرة الأولى والثانية يدخل يقرأ البريد على السلطان ، وفي الثانية جلس في دار العدل ووالده القاضي يحيى الدين كاتب السرّ .

وجرى له ما جرى مع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ولزم بيته . ثم حجّ وحضر ، وغضب عليه السلطان واعتقله بقلعة الجبل ، وأخذ منه مئة ألف درهم ، ولما أمسك الأمير سيف الدين تنكز - رحم الله تعالى - ولأه السلطان كتابة السرّ بدمشق ، فحضر إليها يوم عاشوراء ، فيما أظن ، سنة إحدى وأربعين وسبع مئة ، وباشر ذلك إلى آخر أيام أيّد غمّش نائب الشام ، وتوجّه إلى حماة ليتلقّى ^(٢) الأمير سيف الدين طقّز تمرّ من حلب ، فجاءه الخبر في حماة أنه قد عزل بأخيه القاضي بدر الدين محمد ^(٣) ، فجاء إلى دمشق ، وذلك سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، وبقي في الترسيم بالفلكية ^(٤) قريباً من أربعة أشهر ، وطلب إلى مصر فـا وصل إلى مصر ^(٥) حتى شفع فيه أخوه علاء الدين ^(٦) كاتب السرّ بمصر وردّه من الطريق ، فقال : لا بد من أن أرى وجه أخي ، فدخل مصر ، وأقام أياماً ، وعاد إلى دمشق بطّالاً ، ولم يزل بها مقيماً في بيته إلى

(١) في الأصل : « المقاليد » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والمنهل .

(٢) (أ) ، (خ) : « لتلقّي » .

(٣) ستأتي ترجمته .

(٤) المدرسة الفلكية ، داخل بابي الفراديس والفرج ، أنشأها فلك الدين سليمان . الدارس : ٣٢٧/١ .

(٥) (أ) ، (خ) : « بلبيس » .

(٦) علي ، (ت ٧٦٩ هـ) . وفيات ابن رافع : ٢٤/٢ ، والدرر : ٢١٢/٣ ، والنجوم : ١٠٢/١١ .

أن حدث الطاعون بدمشق فقلق منه ، وتطايير به ، وعزم على الحج ، ثم أبطله ، وتوجّه بأهله إلى القدس ، فتوفيت هناك زوجته ابنة عمّه ، فدفنها هناك ، ومابها قَلْبَةً^(١) غير أنه مروع^(٢) من الطاعون ، فحصل له يوم وصوله حمّى ربيع^(٣) ، ودامت به إلى أن حصل له صَرْع ، فمات منه ، وسكن ذلك الهدير ، ونضب ذلك الغدير ، وكان يوم عرفة سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، ودفن بتربتهم بالصالحية وكانت جنازته حافلة .

ومولده بدمشق ثالث شوال سنة سبع مئة^(٤) .

وصنّف (فواضل السمر في فضائل آل عمر) أربع مجلدات^(٥) ، وكتاب (مسالك الأبصار) في أكثر من عشرين مجلداً^(٦) ، ما أعلم لأحد مثله ، تراجمه مسجوعة جميعها^(٧) ، ولي فيه عمل كثير في اختيار شعره ، و (الدعوة المستجابة)^(٨) ، و (صباية المشتاق) ، مجلد في مدائح النبي ﷺ^(٩) ، و (سفرة السفر)^(١٠) ، و (دمعة الباكي ويقظة الساهر)^(١١) ، وقرأتها عليه بمصر ، و (نفخة الروض)^(١٢) ، وغير ذلك .

(١) القلبة : داء وتعيب .

(٢) في الأصل : « مروع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) أي حمّى دائمة .

(٤) قوله : « ودفن بتربتهم .. » حتى ههنا ، ليس في (خ) .

(٥) الكشف : ١٢٩٢/٢ ، ووقع في الأصل : فضل السمر ، وأثبتنا ما في أصول ترجمته والمصادر الأخرى .

(٦) الكشف : ١٦٦٢/٢ ، وقد طبع منه الجزء الأول . الأعلام : ٢٦٨/١ .

(٧) (أ) ، (خ) : « كلها مسجوعة » .

(٨) الكشف : ٧٥٦/١ .

(٩) الكشف : ١٠٧٠/٢ .

(١٠) في الكشف : « سفرة السافر » : ٩٩٢/٢ ، وفي الوافي : « سفرة السفرة » .

(١١) في الأصل : « البالي » ، تحريف . وانظر الكشف : ٧٦١/١ .

(١٢) الكشف : ١٩٦٨/٢ .

كتب هو إليّ ملفزاً :

أياها الفاضل الذي حاز فضلاً	ما عليه لمثله من مزيد ^(١)
قد تدانى عبد الرحيم إليه	وتنادى إليه عبد الحميد ^(٢)
أي شيء سمي به ذات خدر	تائه بالإما أو بالعبيد
هو وصف لذات سر مصون	وهي لم تحف في جميع الوجود
مذ مضى حينها بها ليس يأتي	وهو يأتي مع الربيع الجديد ^(٣)
وهو مما يبشر الناس طراً	منه مأتى وكثرة في العديد ^(٤)
وحليم إرادة لالـذات	بل لشيء سواه في المقصود
ذاك شيء من ارتجاء سفيه	وهو شيء مخصص بالرشيد

فكتبت أنا الجواب إليه وهو في « زبيدة » :

يا فريداً ألفاظه كالفريد	ومجيداً قد فاق عبد الحميد
وإمام الأنعام في كل علم	وشريكاً في الفضل للتوحيد
علم العالمون فضلك بالعد	م وقال الجهال بالتقليد
من تمنى بأن يرى لك شهباً	رام نقضاً بالجهل حكم الوجود ^(٥)
طال قدري على السماكين لما	جاءني منك عقد درّ نضيد
شابه الدر في النظام ولما	شابه السحر شاب رأس الوليد
هو لغز في ذات خدر منيع	نزلت في العلى بقصر مشيد
هي أمّ الأمين ذات المعالي	من بني هاشم ذوي التأييد

(١) (خ) : « كثره » .

(٢) في (أ) ، (خ) : « لديه عبد » . وعبد الرحيم هو القاضي الفاضل ، وعبد الحميد الكاتب .

(٣) (أ) ، (خ) : « وهي تأتي » .

(٤) (خ) : « يباشر » .

(٥) (خ) : « نقصا » .

حين لوَحَّتْ لي بذكر الرشيد
مأليه في حسنه من فريد^(١)

تَهْدِي لآلي النظم والنثر
معذباً بالبيض والسم^(٢)
وثلثه يَسْبُح في البحر

مثل الذي ألغزت في القدر
لكنها من سكر الشكر
في مطمح الزهر أو الزهر^(٣)
وما أتى إلا مع الفجر
قد جاءني في راحة البحر
بالفجر والليل إذا يسر
شبهه في الجيد والثغر^(٤)
يا حسنه للكوكب الدرّي
مقلوبة كالنظر الشرير
عرفت منه منزل البدر
تقيس ذيل الليل بالشبر

أنت كنت الهادي لمعناه حقاً
دمت تهدي إليّ كل عجب
وكتبت أنا إليه ملغزاً في « نجم » :

ياسيداً أقلامه لم تزل
قل لي ما اسم قلبه لم ينزل
وكله في الأرض أو في السما
فكتب هو الجواب عن ذلك :

دمت خليلي سائر السذكر
بعثتها نجمية قد حلت
تطلع بالنجم فأما الذي
عجبت منه كيف شقّ الدجا
من صنعة البرّ ولكنه
أقسمت منه قسماً بالغاً
لقد أغرت الغيد إذ لم تجد
بعقد درّ ماله قيمة
مسهّد تذكي له مقلّة
وهو إذا حققت تعريفه
بواحد عدّوا له سبعة

(١) : « عجب » .

(٢) : (أ) ، (خ) ، والوافي : « لم يزل قلبه » .

(٣) : (أ) : « الزهراء والزهر » .

(٤) : (أ) ، والوافي : « شبيهه » .

فَاعْذِرْ أَخِيَّ الْيَوْمَ إِنْ قَصُرْتَ بَدِيهَتِي وَأَقْبَلْ لَهَا عَذْرِي
فَلَيْسَ بِالْأَلْفَازِ لِي قُدْرَةٌ وَلَا غَزَا فِي جَيْشِهَا فَكْرِي^(١)
وَكُتِبَتْ أَنَا إِلَيْهِ مَعَ ضَحَايَا أَهْدَيْتُهَا :

يَاسِيدُ أَرْجُو دَوَامَ ظِلَالِهِ عَلَيْنَا وَأَنْ يَمْسِيَ بِخَيْرٍ كَمَا يُضْحِي^(٢)
وَحَقِّكَ مَا هَذِي ضَحَايَا بَعَثْتُهَا وَلَكِنِّي سَقَتُ الْأَعَادِي لِلذَّبْحِ^(٣)
فَكُتِبَ هُوَ الْجَوَابُ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ :

أَتَتْنِي ضَحَايَاكَ الَّتِي قَدْ بَعَثْتُهَا لِتَصْبَحَ كَالْأَعْدَاءِ فِي بَكْرَةِ الْأَضْحَى
وَحَقِّكَ أَعْدَانَا كِلَابٌ جَمِيعُهُمْ وَحَاشَاكَ لَا تُجْزِي الْكِلَابَ لِمَنْ ضَحَّى

وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ أَتْقَاضَاهُ إِنْجَازَ مَا وَعَدَ بِهِ مِنْ قَلْعِ شَجَرَةِ لَيْوَنٍ مَخْتَمٍ وَتَجْهِيْزِهَا ، وَالتَّزَمَتْ
الْيَاءُ قَبْلَ النُّونِ :

يَاسِيدُ فِيهِ لِي وِلَاءٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْوُرَى تَعَيَّنُ
لِلَّهِ لَيْوَنُهُ أَرَاهَا لِي مَوْنَةً غُضُّهَا تَزَيَّنُ
كَأَغْنِ الْحَاسِدِينَ بَغْيَا لِأَجْلِ ذَا قَلْعِهَا تَعَيَّنُ

فَكُتِبَ الْجَوَابُ ، وَالتَّزَمَ نُونًا قَبْلَ النُّونِ :

يَافَاضاً مَا لَهُ عَدِيلٌ لِأَنَّهُ فِي الْوُرَى تَفَنَّنُ
وَكُلَّ شَيْءٍ عَانَاهُ فِينَا عَلَى طَرِيقِ الْهَدَى تَفَنَّنُ
أَمْرُكَ حَكْمٌ فِي كُلِّ عَقْلٍ مَا عَاقَ إِلَّا مَنْ قَدْ تَجَنَّنُ

(١) (أ) ، (خ) ، والوافي : « في الألفاز لي عادة » .

(٢) في الوافي : « أياسيداً » .

(٣) في الوافي : « إلى الذبح » .

وكان قد أهدى إليّ - رحمه الله تعالى - عندما عمرت الدّويرة التي لي بدمشق عشرة
أحمال رخاماً ، فكتبتُ إليه أشكره على ذلك ، وطلبت ذلك فلم أجده وقد عرفته^(١)
الآن عند تعلّقي هذه الترجمة وهو :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَهْدَى سَاحُكَ وَالنَّدَى حُمُولَ رُخَامٍ مِثْلَ رَوْضِ تَنْمِنَا
فَأَمْسَيْتُ مِنْهَا فِي رِخَاءٍ وَفِي غَفَى فَيَا مَنْ رَأَى قَبْلِي رِخَاماً مَرَحِمَا
وَكُتِبَ هُوَ الْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَجِدْهُ الْآنَ .

وأنشدني لنفسه ونحن على العاصي بحجة :

لَقَدْ نَزَلْنَا عَلَى الْعَاصِي بِمَنْزِلَةٍ زَانَتْ مُحَاسِنَ شَطِيهٍ حَدَائِقُهَا
تَبْكِي نَوَاعِيرَهَا الْعَبْرَى بِأَدْمَعِهَا لِكُونِهِ بَعْدَ لِقَايَاهَا يَفَارِقُهَا^(٢)
فَأَنشَدْتُهُ أَنَا أَيْضاً لِنَفْسِي :

وَنَاعُورَةٌ فِي جَانِبِ النَّهْرِ قَدْ غَدَتْ تَعَبَّرَ عَنْ شَوْقِ الشَّجِي وَتَعَرَّبَ
تَرَقَّصَ عَطْفُ الْغَضَنِ تِيهًا لِأَنَّهَا تُغْنِي لَهُ طَوْلَ الزَّمَانِ وَيَشْرَبُ^(٣)
وَأَنشَدَنِي هُوَ أَيْضاً لِنَفْسِهِ :

إِنَّا نَقِیمُ عَلَى حِمَاةٍ حَجَّةٍ فِي حَسَنَتِهَا وَلَهَا جَمَالٌ يَبْهَتُ
وَمِنَ النَّوَاعِيرِ الْفَصَاحِ خُصُومَنَا وَلَهَا لِسَانٌ نَاطِقٌ لَا يَسْكُتُ
فَأَنشَدْتُهُ أَنَا أَيْضاً لِنَفْسِي :

نَاعُورَةٌ أَنْتَ وَحْنَتْ فَقَدْ شَوَّقْتَ الدَّانِي وَالْقَاصِي^(٤)

(١) في الأصل : « غرمته » ، وهي بعيدة ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٢) في الأصل : « يفارقها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) . والبيتان في المنهل .

(٣) في المنهل : « فيرقص » .

(٤) (أ) ، (خ) : « الداني إلى القاصي » .

قَدْ نَهَيْتَنِي لِلْهُدَى وَالتَّقَى لَمَّا غَدَت تَبْكِي عَلَى الْعَاصِي
وَأَنْشَدْتَهُ أَنَا لِنَفْسِي ، وَقَدْ طَالَ عَلَيْنَا الْمُرُكُزُ مِنْ شَمْسِينَ ^(١) إِلَى حِمَصٍ :
مَحْبُوبِ قَلْبِي مِثْلَ بَدْرِ السَّمَاءِ أَدْنِيهِ عَمْرِي وَهُوَ لِي يَقْصِي ^(٢)
بَيْنِي وَبَيْنَ الصَّبْرِ فِي جَبِّهِ مَمَّا بَيْنَ شَمْسِينَ إِلَى حِمَصٍ
[فَأَنْشَدَنِي هُوَ أَيْضاً لِنَفْسِهِ :

لَقَدْ تَمَادَيْتَ مَدًى يَارِسْتَن كَأَنَّمَا قَرَبَكَ مَا لَا يَكُنْ
لَمَّا جَعَلْنَاكَ ضَمِيرَ قَصْدِنَا غَدَوْتَ مَمَّا لَا تَرَاكَ الْأَعْيُنُ ^(٣)
وَكُتِبَ إِلَيَّ مِنْ دِمَشْقٍ وَأَنَا بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ (٧٤١) ^(٤) :

رَحَلْتُمْ فَلَا وَاللَّهِ مَا بَعُدَكُمْ قَلْبِي بِقَلْبِي وَلَا وَاللَّهِ عَقْلِي وَلَا لُبِّي
هَجَرْتُمْ زَمَاناً ثُمَّ شَطَّ مَزَارِكُمْ فَأَهَا عَلَى بُعْدِي وَأَهَا عَلَى قُرْبِي ^(٥)
وَبَدَلْتُمْ غَيْرِي وَاللَّهِ مَا رَأَتْ سَوَى حَسَنِكُمْ عَيْنِي وَلَا غَيْرَكُمْ قَلْبِي
لَنْ كَانَ ذَنْبِي أَنْ قَلْبِي بِحَبِّكُمْ فَيَارَبِّ زِدْنِي مِنْهُ ذَنْباً عَلَى ذَنْبِي
وَلَا تَحْسَبُوا أَنِّي تَغَيَّرْتُ مِثْلَكُمْ فَمَا قَلْبُكُمْ قَلْبِي وَلَا خَبْرُكُمْ حَيِّ
رَحَلْتُمْ وَمَا كُنْتُمْ سَوَى رُوحٍ مَغْرَمٍ قَضَى بِكُمْ وَجْداً وَمَا غَابَ فِي التَّرَبِّ
نَأَيْتُمْ فَلَا وَاللَّهِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا فَمِتْ مَعَ النَّوَامِ جَنْباً عَلَى جَنْبِي
لَنْ عُذْتُكُمْ عَادَ السَّرُورُ جَمِيعُهُ وَإِلَّا فَنَالِي بِالرَّسَائِلِ وَالْكَتَبِ
دَعَّوْا عَنْكُمْ التَّعْلِيلَ بِالْيَوْمِ أَوْ غَدٍ فَلَسْتُ بِنِ يَبْقَى إِلَى الْبَعْدِ وَالْقَرَبِ

(١) شمسين : بليدة قبل حمص من جهة الجنوب .

(٢) في الأصل : « أديته » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٤) (أ) ، (خ) : (٧٤٥) .

(٥) (أ) ، (خ) : « شطت دياركم » .

إذا بانَ حَبِّي كيف لا ينقضي نحي
وما علقتها العين في شرك الهدب
فهلاً وقعتم في القلوب على الحب
سوى ما أفاض الدمع فيه من الحب^(١)
إلى أن تغربتم ففاض من الغرب
وهيهات أن ترجى حياة فتى صَبَّ
وهجركم سقمي ووصلكم طَبِي^(٢)
وأندبها إن كان ينفعها ندبي^(٣)

ولا تعجبوا إن متَّ حين فراقكم
أحبابنا كيف استقلت ركابكم
وطرتم سِراعاً كالطيور مشقة
ووالله ما حدثت نفسي بمجلس
ولا كان شرق الدمع من طبع مقلتي
ونغصم طيب الحياة ببعدمكم
ألبغي سواكم في الهوى أو أريده
دعوني وأطلال الديار أنح بها
فكتبت أنا الجواب إليه :

وناجاكم قلبي على البعد والقرب
وداركم عيني وداركم قلبي
وأحرق قلب الصب من دمه الصب
يقول الجوى ياناراً أشواقه شَبِي^(٤)
محاسنكم تصبي القلوب فلم تسبي^(٥)
ألذَّ إلى قلبي من البارد العذب
فيا حبذا رفعَ يجر إلى نصب
فقلبي لا يرضى به هذا ولا ربِّي
وإحسانكم حسبي بما راقني حسبي

دعوتم على بعد فلبَّاكم لَبِي
ومالي وذكر الدار ياساكني الحشا
وأقسم أن الجفن فيكم جفا الكرى
إذا قلت هُبِّي يانسيمة دارهم
أيا جيرة بالقلب لا الشام خيموا
لأنتم وإن أضرمتم النار في الحشا
رفعتم جرّاً إلى نصب ناظري
أحاشيكم أن يألَف القلب غيركم
وحقكم مـراقني غير حسنكم

(١) (أ) ، (خ) : « الحب » .

(٢) (أ) ، (خ) : « وأريده » .

(٣) (أ) ، (خ) : « ينفعني » .

(٤) (أ) : « أشواقهم » .

(٥) في الأصل : « القلب لا الشام » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

رحلت ولي قلب مقيم على الوفا
أحاول عودي نحوكم ويصّدني
أليس من الأنكاد أن لا مخبر
ولولا المنى أن يجمع الله شملنا
سأجهد في عودي لمطلع حكيم
بعثتم على بخل الزمان لأنكم
غدا خارجاً في النظم عن قدرة الورى
فقلت لدهري زد^(١) عليّ قساوة
لعهدكم حتى أوسّد في التّرب
خيانة دهر راح حربي لاحزي^(٢)
يبلغكم عني سلامي ولا كتي
قريباً لما فارقت نوحى ولا نذبي
ولو أن لي في مصر مملكة الغرب
كرام بنظم فاق منسجم السّحب^(٣)
ولكنّه في حُسنه داخل الضرب
فقد ظفرت كفاي باللؤلؤ الرطب^(٤)

وكتب هو إلّى وقد تواترت الثلوج والأمطار سنة (٧٤٤) : كيف أصبح
مولاي^(٥) في هذا الشتاء الذي أقبل يُرعب مَقْدَمُهُ ، ويُرهّب تَقْدَمُهُ ، ويريب اللبيب
من برقه المومض تبسّمه^(٦) ، وكيف حاله مع رعوده الصّارخة ، ورياحه النافخة ،
ووجوه أيامه الكالحة ، وشرر^(٧) لياليه التي لانبت منها بليلة صالحة ، وسحابه
وأمواجه ، وجليده والمشي فوق زجاجه ، وتراكم مطره الأنيث^(٨) ، وتطاول ليل
فرعه^(٩) الأنيث ، ومواقده الممقوته ، وذوائب جهره ، وأهون به لو^(١٠) أن كلّ حمراء
ياقوته ، وتحذّر نوئه المتصعب ، وتحير نجمه المتصيّب ، وكيف هو مع جيشه الذي

(١) كنا في الأصول ، ولعل الصواب : « رام حربي .. » .

(٢) (أ) : « الصب » .

(٣) في الأصل : « رد علي » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٤) (أ) ، (خ) : « مولانا » .

(٥) في الأصل : « وميض تبسّمه » ، ولا يستقيم مع ما تقدمها من سبعة . وفي (أ) ، (خ) : « المومض
وتبسّمه » .

(٦) في الوافي : « وسرر » .

(٧) في الأصول : « الأنيث » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والأنيث : الخصب .

(٨) في الوافي : « فرع ليله » .

(٩) (أ) ، (خ) ، والوافي : « ولو » .

ما أطلّ حتى مدّ مضارب غمامه ، وظلّل الجو بمثل أجنحة الفواخت من أعلامه ، هذا على أنه خلّ عرى الأبنية ، وحلل ما^(١) تلف في ذمة سالف الأستية^(٢) ، فلقد جاء من البرد بما رضّ العظام وأنخرها ودقّ فخّارات الأجسام وفخّرها ، وجمد في الفم الريق ، وعقد اللسان إلا أنه لسان المنطيق ، وييسّ الأصابع حتى كادت أغصانها تُوقد حطباً ، وقيد الأرجل فلا تمشي إلا تتوقع عطباً ، وأقى الزمهرير بجنود ما للقيوي بها قبل ، وحمل الأجسام من ثقل الثياب ما لا يعصم منه من ﴿ قال ساوي إلى جبل ﴾^(٣) ومدّ من السيل ما استبكي^(٤) العيون إذا جرى ، واجتحف ما أقى عليه وأولّ ما بدا الدمع بالكرى ، فكيف أنت يا سيدي في هذه الأحوال ؟ ، وكيف أنت في مقاساة هذه الأحوال ؟ ، وكيف رأيت^(٥) منها ما شيب بثلجه نواصي الجبال ، وجاء بالبحر فتلقف ثعبانه ما ألقته هراوات البروق من عصي ، وخيوط السحب من حبال ؟ . أمّا نحن فبين أمواج من السحب تزدحم ، وفي رأس جبل لا يعصم فيه [من]^(٦) الماء إلا من رجم ، وكيف سيدنا مع مجامر كانون وشرار برقها القادح ، وهمّ ودقها^(٧) الفادح ، وقوس قزحها المتلّون ردّ الله عليه صوائب سهامه ، وبذل منه^(٨) بوشائع حلل الربيع ونضارة أيامه ، وجعل حظّ مولانا من لوافحه ما يذكى ذهنه من ضرامه ، ومن سوافحه ما يولده فكره من توأمه^(٩) ، وعوّضنا وإياه بالصفيف ، والله يتقلّ ، وأراحنا من هذا الشتاء ومشي غمامه المتبختر بكّه المسبل ، بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

(١) (أ) ، (خ) : « وخلل » . وفي الوافي : « مما تلف » .

(٢) في الوافي : « في دمه الأستية » .

(٣) هود : ٤٣/١١ .

(٤) (أ) ، (خ) : « ما شتكي » .

(٥) في الوافي : « ترأيت » .

(٦) زيادة ثابتة في (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٧) في الوافي : « وقدها » .

(٨) ليست في (أ) .

(٩) في الوافي : « ما يؤكده فكره من نومه » .

فكتبت أنا الجواب :

يقبل الأرض ، وينهي وُرود هذه الرقعة التي هي طراز في حلة الدهر ، وحديقة
ذُكرت بزمَن الربيع ، وما تهديه أيامه من الزهر ، فوقف منها على الروض الذي تهدلت
فروعُ غصونه بالأثمار ، ونظر منها إلى الأفق الذي كلُّ^(١) كواكبه شمسٌ وأقار ،
فأنشأت له أطرابه ، وأعلمته أنَّ قلم مولانا يفعل بالألباب ما لا يفعله نعمة^(٢) الشبابة ،
وأرشفته سَلَفاً كؤوسها الحروف وكل نقطة حبابه ، وشاهد أوصاف هذه الأيام المباركة
القدوم المتصلة الظلام ، فلا أوحش الله من طلعة الشمس وحاجب الهلال وعيون
النجوم ، فمالنا ولهذه السحائب السَّحابة ، والغمام السَّكابة ، والرعود الصَّخابة ،
والبروق اللهبابة ، والثلوج التي أصبحت بمصبائها حصابة ، والبرد الذي أمست^(٣) إبره
لغصون الجلود قَطَّابة ، والزُّميتا التي لا تروي عن أبي ذرٍّ إلا وتروي الغيث^(٤) عن أبي
قلاية^(٥) ، كلِّما أقبلت فحمة^(٦) ظلام قدحت فيها البوارق شرار^(٧) جمرتها ، وكلِّما
جاءت سحابة كحلأ الجفون رجعت مرهاء^(٨) لما أسبلته من عبرتها ، فما هذا شهر
طوبة إنَّ هذا إلا جبل ثلَّان ، وما هذا كانون إنَّ هذا إلا تنور الطوفان ، وإلى متى
قُطنُ هذه الثلوج يُطرَح على جباب^(٩) الجبال ، وإلى متى تُفَاض دلاص الأمطار^(١٠) ،
ويرشقها قوس قزح بالنبال ؟! ، وإلى متى تشقق السحاب وما لها من الحلل والحبر ،

(١) (أ) : « كَان » ، وقد خلا منها الوافي .

(٢) ليست في (أ) ، (خ) .

(٣) (أ) ، (خ) : « أصبحت » .

(٤) في الوافي : « العيب » ، ولا وجه لها .

(٥) عبد الله بن زيد الجرمي التابعي ، (ت ١٠٤ هـ) ، وفي العبارة تورية .

(٦) في الأصل : « لفحة » وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٧) ليست في الوافي .

(٨) في الوافي : « مدها » ، تحريف ، وعين مرهاء : خالية من الكحل .

(٩) في الأصل : « جياب » تصحيف .

(١٠) (أ) ، (خ) ، والوافي : « الأنهار » . والدلاص : المساء البراقة .

وإلى متى ترسل خيوط المزن من الجوّ وفي أطرافها على الغدران إثر^(١) ، وإلى متى تجمد عيون الغمام وتكحلها البروق بالنار ، وإلى متى نثار هذه الفضة وما يرى من النجوم دينار ؟ ، وإلى متى نحن نخنّو على النار « خنّو المرضعات على الفطيم »^(٢) ، وإلى متى تبكي الميازيب :

بكاء الأولياء بغير حزن إذا استولوا على مال اليتيم

وإلى متى هذا البرق تتلوّى^(٣) بطون حيّاته وتقلب^(٤) حماليق العيون المحمّرة من أسود غاباته ؟ ، وإلى متى يزجر غيث^(٥) هذه الرياح العاصفة ، وإلى متى يرسل الزمهرير أعواناً تصبح حلاوة الوجوه بها تالفة ، أترى هذه الأمطار تقلب بالأذيّار أم هذه المواليد التي تنتهي فيها الأعمار ، كم جليد^(٦) يذوب به^(٧) قلب الجليد ، ويرى زجاجة الشفاف أصلب من الحديد ، ووحل لا تمشي فيه هريرة الوحى^(٨) ، وبرد لا تنتطق به نؤوم الضحى ، « اللهم حوالينا ولا علينا »^(٩) ، لقد أضجرنا تراكم الشباب ، ومقاساة ما لهذه الرحمة من العذاب ، وانجماع كلّ عن إلفه ، وإغلاق باب القباب ، وتحلّل الضباب زوايا البيوت ، فالأطفال ضباب الضباب ، كلّ ضبّ منهم قد ألف باطن نافقائه ، وقدم بين يديه الموت بداية بدائه ، قد حُسد على النار من أمسى

(١) قوله : « وإلى متى ترسل .. » حتى ههنا ، ليست في (أ) .

(٢) عجز بيت ، تمامه : « حللنا دوحه فحنا علينا .. » ، يعزى للنّازي الكاتب ، أحمد بن يوسف السليكي ، ت ٤٣٧ هـ ، ويعزى كذلك إلى حدودنة بنت زياد (وفيات الأعيان : ١٤٣/١) .

(٣) في الأصل : « تتلون » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٤) (أ) : « وتقلب » ، والوافي : « وتقلب » .

(٥) في الوافي : « عتب » .

(٦) (أ) ، (خ) ، والوافي : « كم من جليد » .

(٧) في الوافي : « له » .

(٨) الوحى : الإسراع والعجلة .

(٩) من كلامه عليه السلام ، في حديث الاستسقاء . انظر : برواياته مخرّجاً في جامع الأصول : ١٩٥/٦ وما بعدها .

مذنباً وأمسى غاصياً وتمنى أن يرى من فواكه الجنات عنباً من النار وقراصيا ، فإن كانت هذه الأمطار تكاثر مكارم مولانا فيا طول ما تسفح ، وإن كانت العواصف تشبهه بياسه فيا طول ما تلفح ، وإن كانت البروق تحاكي ذهنه المتسرع فيا طول ما تتألق ، وإن كانت قوس قزح تتلون خجلاً من طروسه فيا طول ما تتألق ^(١) ، وإن كانت الرعود تحاكي جوانح أعدائه فيا طول ما تشق وتفحق ، وإن كانت السيول تجري وراء جوده فإنها تجري على طول المدى وما تلحق ، والأولى بهذا النوء الباكي أن لا يحاكي ، والأليق بهذا الفصل المبعض أن لا يتعرض ، فرحم الله من عرف قدره ، وتحقق أن مولانا في الجود نذره ، أنهى ذلك .

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك ، وكتبت جوابه نظماً ، وكتب هو الجواب عن ذلك نظماً .

وكتب إليّ وأنا بالقاهرة وهو يومئذ في دمشق رسالة في الثلج ، وكتبت جوابه ، وكتب هو إليّ رسالة يصف كثرة المطر نظماً ونثراً ، وكتبت جوابه أيضاً كذلك ^(٢) .
وبيني وبينه مكاتبات كثيرة ، وقد أوردت ذلك في كتابي « ألحان السواجع » .

ولما توفي رحمه الله تعالى كتبت إلى أخيه القاضي علاء الدين صاحب دواوين الإنشاء أعزيه ، ونسخته : يقبل الأرض وينهي ما عنده من الألم الذي برّح ، والسقم الذي جرّ ذيول الدمع على الحدود وجرح ، لما قدره الله تعالى من وفاة القاضي شهاب الدين :

سَقَّتْهُ بِالْطَفِ أَنْدَائُهَا وَأَغْرَزَهَا سَارِيَاتُ الْغَيْمِ

فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، قول من غاب شهابه ، وآب التهابه ، وذاب قلبه فصار للدمع قلبياً ، وشاب فوده لما شبّ جمر فؤاده ، ولا غرو فيومه جعل الولدان شيباً ،

(١) (خ) : تتألق .

(٢) (أ) ، (خ) : « عن ذلك » .

فيا أسفي^(١) على ذلك الوجه المَلَّى بالملاحه ، واللسان الذي طالما سحر العقول ببيانه ، فصاحت : يا مملك^(٢) الفصاحه ، واليد التي كم رَوّضت الطروس أقلامها ، وأنشأت أسجاعاً لم تذكر معها بانات الحمى ولا حمامها ، وكأنّ أبا الطيّب ما عني سواء بقوله^(٣) :

تعثرت بك في الأفواه ألسنها والبُرد في الطُرق والأقلام في الكتب

فرحم الله ذلك الوجه ، وبلّغه ما يرجوه ، وضوّاه بالمغفرة يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه . لقد فقد المجد المؤثّل منه ركناً تتكثر به الجبال فما ثقله ولا تستقلّه ، وعدمت الآداب منه بارعاً لو عاصره الجاحظ ما كان له جاحداً ، أو البديع علم أنّ ما فضّ له فضله ، وغاب من الإنشاء منه كاتب ليس بينه وبين الفاضل لولا أخوه مثله ، أترى ابنَ المعتزّ عنه بقوله^(٤) :

هذا أبو العبّاس في نعشه قوموا انظروا كيف تزول الجبال

وما يقول المملوك في البيت^(٥) الكريم ، ألا إنّ كان قد غاب بدره وأفل شهابه ، أو غاص قطره وتشتّع سحابه فإنّ نيره الأعظم باقٍ في أوجه ، وبحره الزاخر متلاطم في موجه ، وفي بقاء مولانا خلفَ عمّن سلف ، وعوّضَ عمّا انهدم ركنه واتقضّ ، وجبرّ لمن عدم الجلد والصبر ، والله يمتع المسلمين^(٦) بحياته ، ويجمع لديه بين ثوابه وثباته ، لأنّه قد عاش الدرّ المفدّى بالذهب وأضاءت شمس المعالي إنّ كان قد خمد اللهب :

علم الله كيف أنت فأعطاك كالحلّ الجليل من سلطانه
جعل الدين في ضمانك والدين يا فعش سالماً [لنا] في ضمانه^(٧)

(١) (خ) : « أسفا » .

(٢) (أ) : « ملاك » .

(٣) ديوانه : ٨٨/١ وفيه : « تعثرت به » . والبُرد : جمع برید .

(٤) ديوان ابن المعتز : ٣٥٨/٢ ، وفيه : « هذا أبو القاسم » .

(٥) في (أ) ، (خ) : « في هذا البيت » .

(٦) (أ) ، (خ) : « الوجود » .

(٧) الزيادة ليست في الأصل ، وهي ثابتة في النسخ الأخرى .

وقد نظم المملوك قصيدة^(٢) في رثاء المشار إليه ، وجعل قوافيها تبكيه ، وألفاظها تنوح عليه ، وهي :

الله أكبر يا ابن فضل الله
كلُّ يقول وقد عرتَه كَلْبَة
فقدت بك الأملاك بحر ترسل
يا وحشة الإنشاء منك لكتاب
وتوجّع الأشعار فيك لناظم
كم أمسكت يمينك طرساً أيضاً
كم قد أدّرت من القريض قوافياً
ورسالة أنشأتها هي حانه
ووضعت في الآداب كل مصنف
كم قد خطرّت على الحجّة رافلاً
شخصت لعلّيك النجوم تعجباً
ما كنت إلا واحد الدهر الذي
من بعدك الكتاب قد كتبوا فما
أقلامهم قد أملت ورمى الردى
وطروسهم لبست حداد مدادها
أما القلوب فإنها رهن الأسى
أبدأ بخيل لي بأنك حاضر
فتعزّ فيهِ واصطبر لمصائبه
فدوام ظلك في البرية نعمة

شغلت وفاتك كل قلب لاه
واهياً لفقدك إن صبري واه
متلاطم الأمواج بالأمواه
ألفاظه زهر النجوم تباهي
من لطفه لشذى النسيم يضاهي
فأعدته في الحال طرزاً باهي
هي شهوة الناشي وزهو الزاهي^(٢)
النباذ حازت حضرة الفكاه
قالت له البلغاء زاه زاه
يوم الفخار بمعطف تياه
ولك السهى يرنو بطرف ساه
يسمو على الأنظار والأشباه
يجدون منجاة لهم من جباه
أدواتهم ودواتهم بدواه
أسفاً عليك مؤكداً بسفاه
تردّ القيامة وهي فيك كما هي
تملي الفوائد لي وأنت تجاهي
يا خير مولى أمر أونساه
ولشكرها حتم على الأفواه

(١) (أ) ، (خ) ، والوافي : « قصيدة مختصرة » .

(٢) في الوافي : « هي نشوة » .

لا زال جدك في المعالي صاعداً رتباً سعادتها بغير تناء^(١)

٢١٩ - أحمد بن يعقوب بن أحمد بن يعقوب*

الإمام جمال الدين أبو العباس بن شرف الدين بن الصابوني . هو من ذرية عبد المحسن بن حمود الأديب^(٢) ، وقد ذكرته في تاريخي الكبير .

كان جمال هذا نزيراً القاهرة ، وبها رأيت . وكان بالحديث قد عني ، وحصل الأصول المليحة فغني ، ودأب واجتهد ، وبلغ الذروة واقتعد . وأسمعه والده من ابن البخاري^(٣) وطبقته ، وطلب هو بنفسه مع لِداته ورفقته^(٤) ، ومهر وتميز ، ومال إلى فئة الأسياف وتحيز .

ولم يزل على حاله إلى أن غُسل ابن الصابوني بماء الحِمَام لا الحَمَام ، ورثاه حتى الساجعات على القضب من الحَمَام .

وتوفي رحمه الله تعالى في مستهل شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة . ومولده سنة خمس وسبعين وست مئة^(٥) .

أجاز لي بخطه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة . وكان مولده بدار الحديث النورية بدمشق ، ومنها كانت على وجه أنوار ، وفي روض الطروس من خطه أنوار .

(١) (أ) ، (خ) : « في البادي » .

* الوافي : ٢٧٦/٨ ، والدرر : ٢٣٦/١ .

(٢) (ت ٦٤٣ هـ) الشذرات : ٢٢٠/٥ .

(٣) في الوافي : « البخاري » ، تصحيف .

(٤) (أ) : « ودفعته » .

(٥) قوله : « ومولده .. حتى ههنا ، ليس في (أ) .

٢٢٠ - أحمد بن يوسف بن هلال بن أبي البركات*

الشيخ الطبيب شهاب الدين أبو العباس الصفدي .

مولده بالشَّغَر وبَكَّاس^(١) ، ثم إنه^(٢) انتقل إلى صفد ، وبها سَمِيَ . ثم إنه انتقل إلى مصر ، وخدم في جملة أطباء السلطان والبيمارستان المنصوري .

رأيتُه بالقاهرة غير مرّة ، واجتمعت به ، وأنشدني من لفظه لنفسه أشعاراً^(٣) كثيرة . وكان شيخاً طويلاً ، أبيض اللحية والحاجب ، لا يَرى له عن الفضل حاجب ، قادراً على النظم المحكم السرد ، قد أثبت فيه على رغم النُظَام الجواهر الفرد ، وله قدرة على وضع المشجّرات فيما ينظمه ، ويؤسس بنيانه ويحكمه ، ويبرز أمداح الناس في أشكال أطيّار ، وعمائر وأشجار ، وماذن وعقد وأخياط ، وصوره مُقَاتِلٌ ونَقَّاطٌ ، بحيث إنه له في ذلك اليد الطوّلى ، والقدرة على إظهار الأعاجيب التي تترك النواظر إليها حَوْلًا .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل بالطبيب الداء الذي أعجزه طِبُّه ، وفارقه بالرُّغم خليله وجِبُّه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وثلاثين وسبع مئة ، فيما أظن .

ومولده سنة إحدى وأربعين وست مئة^(٥)

أنشدني من لفظه لنفسه فيما يكتب على سيف :

* الوافي : ٢٩٥/٨ ، وفيات ابن رافع : ٢٦١/١ ، والدرر : ٣٤١/١ ، والنجوم : ٣١٧/١ ، والمنهل الصافي : ٢٧٩/٢ .

(١) (أ) : الشَّغَر بَكَّاس . وفي معجم البلدان : ٣٥٢/٣ ، أنها قلعتان متقابلتان قرب أنطاكية .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) (أ) : « أنظاما » .

(٤) في (أ) ، والوافي ، والدرر ، والمنهل : ولادته (٧٦١ هـ) .

فأعدتُهُ بالنصر يوماً أيضاً
جعل الذكورَ من الأعادي حِيضاً
وأجولُ في وسط القضايا والقضا^(١)

أنا أيضاً كم جئتُ يوماً أسوداً
ذكرُ إذا ما استُلَّ يومَ كريمة
أختال ما بين النايَا والمنى

ومن شعره :

بأول شهر حلَّ أول عامه
وكنت المنى في برده وسلامه

حُجبتُ وقد وافيت أول قادم
وكان خليل القلب في نار شوقه

ومنه :

بكثرة تردادٍ إلى الروضة الصغرى
من المصطفى المختار في الروضة

وما زلتُ أنت المشتهى متولعاً
إلى أن بلغت القصد في كل مشتهى

وكتب إليَّ وقد وقف على شيء كتبه وزمكته^(٢) :

ذهباً فقلت وقد أتت بوفاق
أم قد أذبتَ الشمسَ في الأوراق
مخضراً بمرائر العشاق

ومزمكٍ باللازورد كتابةً
أأخذتُ أجزاء السماء خللتها
أكتبُ بالوجنات حمراً كما

وكتب هو إليَّ أيضاً :

لكلِّ من الأبواب قد أعطيا حظاً
فكيف أذبتَ الدرَّ صيرته لفظاً

معانيك والألفاظ قد سحر الورى
فهبك سبكتَ التبر معنى وصفته

فكتبتُ أنا إليه :

سُطوراً غدا في وضعها منية النفس
كريم غدت تلقى على صفحة الطرس

وحقَّك لم أكتبُ بتبر كما ترى
ولكننا هذي أشعة وجهك الـ

(١) المنهل الصافي : ٢٧٩/٢ .

(٢) الزمك : المذهب .

٢٢١ - أحمد بن يوسف بن يعقوب*

القاضي الكاتب الفاضل الناظم الناثر^(١) شمس الدين الطيّبي - بكسر الطاء المهملة ، وسكون الياء آخر الحروف ، وبعدها باء موحدة - .

كان فاضلاً أديباً ، عالماً لبيباً ، سامعاً على البديهة مجيباً ، ينظم الدّرر ، ويطلع في طرسه الزهر ، وإن تنازلنا قلنا الزهر ، قادر على النظم ، تنزل سكين فيه إلى العظم ، ويأتي منه^(٢) بما يشرف الأسماع ويشنفها ، ويحكم على المعاني فيتنزل على مراده ويصرفها ، يترسل فلا يعثر له جواد قلم في ميدان إنشائه ، ويستقي المعاني الغويصة من قلب الفكر على قصر رشائه ، رأيت بخطه (الحاجية) ، وقد علق في آذان حواشيها أقرطاً ، وأتى فيها بفوائد تدلّ على أنه كان من أئمة هذا الفن فيما تعاطى .

أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال : أخبرني جمال الدين بن رزق الله^(٣) قال : كان عندنا ليلة في مجلس أنس ، وقد أخذت السلاف منه مأخذها إلى أن صار في غيبة عن وجوده ، وذكرنا له واقعة المسلمين على شقحب ، ونصرتهم على التتار ، وقلنا له : لو نظمت في هذا شيئاً ، فأخذ الدواة^(٤) ، ونظم قصيدة تتجاوز التسعين بيتاً فائية ، ومدح فيها السلطان . قال : فأعجبنا^(٥) وقمنا آخر الليل ورحنا إلى الحمام ، فلما أفاق وصحا وأجرئنا^(٦) له ذكر القصيدة ، فأنكر وقوعها ، وحلف أن هذا أمر لم يبد منه ، فقلنا له : هذه قصيدة فائية أولها :

* الوافي : ٢٩٧/٨ ، والدرر : ٣٤١/٨ ، والشذرات : ٤٣/٦ ، والمنهل الصافي : ٢٨٠/٢ .

(١) ليست في (أ) .

(٢) (أ) : « فيه » .

(٣) في الأصل : « ابن فضل رزق الله » ، وهو سهو .

(٤) (أ) : « الدواة والقلم » .

(٥) في الأصل : « فأعجبنا » ، وأثبتنا ما في « أ » .

(٦) في الأصل : « وأخبرنا » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

برق الصّوارم للأبصار يختطف^(١)

فقال : أروني إيّاها . فأوقفناه عليها ، فأعجبته^(٢) ، وزاد إعجابنا بها . قال ابن رزق الله : وقت وأخذتها وأتيت بها إلى والدك القاضي يحيى الدين ، فلما وقف عليها أعجبته ، وأوقف عليها^(٣) أخاه عمك القاضي شرف الدين بن فضل الله فأعجبته ، وكانت سبباً لأن استخدمه كاتب إنشاء بطرابلس ، انتهى .

قلت : وهذه قصيدة بديعة في بابها ، وسوف أوردّها إن شاء الله تعالى في ترجمة السلطان الملك الأعظم الناصر محمد بن قلاوون .

ولم يزل الطيّبي في طرابلس على حاله إلى أن صار الطيّبي في قبره جيفة ، ولم يجد الحمام من حدّ لسانه خيفة .

وتوفي رحمه الله تعالى بطرابلس في شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبع مئة .

ومولده في عشري الحجة سنة تسع وأربعين وست مئة .

ومن شعره^(٤) :

لست أنسى الأحبابَ ما دمتُ حيّاً	إذا نَوُوا للنوى مكاناً قصيّاً
وتلّوا آيةَ الدموع فخرُوا	خيّفةَ البينِ سَجّداً وبُكيّاً
فبذكراهم تسحّ دموعي	كلّما اشتقت بُكرةً وعشيّاً ^(٥)
وأناجي الإله من فرط حزني	كمناجاة عبّده زكريّا

(١) عجز البيت : « والنقع يحكي سحاباً بالدماء تكسف » . وقد أوردها العيني في عقد الجمان : ٢٧٩/٤ ، حوادث سنة (٧٠٢ هـ) .

(٢) (أ) : « فلما رآها أعجبته » .

(٣) في الأصل « غلبه » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٤) النص في المنهل الصافي .

(٥) (أ) ، والوافي : « يسبح دمعي » .

واختفى نورهم فنأدبت ربّي
 وهنّ العظم بالبعاد فهبّ لي
 واستجب في الهوى دعائي فإني
 قد فرى قلبي الفراق وحقاً
 ليتني متّ قبل هذا وأني
 لم يك الهجر باختيارى ولكن
 يا خليلي خليلي وعشقي
 إنّ لي في الفراق دمعاً مطيعاً
 أنا في هجرهم وصلّت سهادي
 أنا في عاذلي وقلبي وحبّي
 أنا شيخ الغرام من يتبعني
 أنا ميت الهوى ويوم أراهم
 أنا لو لم أعش بمقدم مولى
 الفتى الباسط الجميل جمال الدّين من زار من نداه النديّاً^(١)
 سيّد مرتضى الخلائق أضحي
 صادق الوعد بالوفاء ضمين
 أوحّد في الصفات لم يجعل الله له قطّ في السّموسميّاً
 لا يرى في الصدور أرحب صدرأ
 ما جد أولياؤه في رشاد
 راضياً عند ربّه مرضيّاً
 كالذي كان وعده مأتيّاً
 منه إذ تحضر الصدور جثيّاً^(٢)
 وعده فسوف يلقون غيّاً^(٣)

(١) في المنهل : « في البعاد » .

(٢) في المنهل : « ليس ذا الهجر » .

(٣) في المنهل : « وحي وقلبي » .

(٤) (أ) : « زاد » وهنا آخر ما أورده ابن تغري بردي في المنهل .

(٥) في الأصل : « تحضر الدور » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .

وفى بالسّاح صبّ رشيد أوتي العلم حين كان صبيّاً
 بلّبان الكمال غُذّي طفلاً ونشأ يافعاً غلاماً زكياً^(١)
 لم يزل منذ كان براً تقيّاً وافيّاً كافياً وكان تقيّاً^(٢)
 جعل الله في ادّخار للعالي لعلاه لسان صدق عليّاً
 كم عديم الثراء أثنى عليه وانشى واجداً أثاثاً وريّاً
 وأولو الفضل حين أمّوا قرأه أكلوا رزقه هنيئاً مريّاً

قلتُ : قد اقتبس شمس الدين الطيّبي هذه من سورة (مريم) ، كما اقتبس ابن النّبيه قوله^(٣) :

قمت ليل الصدود إلّا قليلاً ثم رتلّت ذكركم ترتيلاً
 من سورة (الزمّل) .

وكما اقتبس سيف الدين بن قزل المشد^(٤) قوله :

شمت في الكأس لؤلؤاً منشوراً حين أضحى مزاجها كافوراً
 من سورة (الإنسان) .

والاقتباس إذا كان من آية أو من آيتين لا بأس به . وأمّا سورة بكالها ففي^(٥) هذا من إساءة الأدب ما فيه .

ومن شعر الطيّبي رحمه الله تعالى :

النهر وافي شاهراً سيفه ولمعّ فيه يحبس الأعينا
 فاجت البركة من خوفه وارتعدت وادّرت جوشنا

(١) في الأصل : « يانعا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .

(٢) في الأصل « تقياً » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) ديوانه :

(٤) ابن قزل ، علي بن عمر ، (ت ٦٥٦ هـ) . والشذرات : ٢٨٠/٥ .

(٥) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (أ) .

ومنه يصف ثوبه :

لو أن عيني على غيري تُعَاينُهُ
ومن رأيي فيه قال وأعجبا
بكيته أحمرأ أو متّ بالضحك
أرى على البرّ شيخ البحر في الشبك

ومنه في العود :

اشربْ على العود من صهباء جارية
ترنم العود مسروراً ومن عجب
من أين للعود هذا الصوت تطربنا
أظن حين نشأ في الدوح علمه
ومنه لما ألبس الذمة العمائم الملوّنة :

لا تعجبوا للنصارى واليهود معا
كأننا بات بالأصباغ مُنْسَهلاً
والسامريين لمّا عُمّموا الخرقا
نشر السماء فأضحى فوقهم ذرقا

ومنه :

وأصفر أزرع العينين لحيته
ألوانه اختلفت لا تعجبوا فعسى
حمرأ قد سقطت من كفّ دبّاغ
قد كان في أسْت أمّه دكان صباغ

٢٢٢ - أحمد بن يوسف بن عبد الدايم*

الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين الحلبي المعروف بابن السمين .

سمع بآخرة من يونس الدبّوسي^(٢) . وقرأ على ابن الصائغ ، وصنع (تفسيراً
للقرآن) في عشرين سفرأ والإعراب^(٣) . وله شروح على كتب .

(١) في الأصل : « أظنه » ولا يستقيم بها الوزن ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

* الدرر : ٣٣٩/١ ، غاية النهاية : ١٥٢/١ ، والذيل التام : ١٤٦ ، والبغية : ٤٠٢/١ .

(٢) كذا في الأصل والدرر ، والمشهور الدباسي (ت ٧٢٩ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٣) مطبوع .

وتوفي بالقاهرة في سنة ست وخمسين وسبع مئة كهلاً ، رحمه الله تعالى .

٢٢٣ - أحمد شهاب الدين الفاضل المغربي*

رئيس الأطباء بالديار المصرية ، وهو والد الرئيس جمال الدين رئيس الأطباء بالديار المصرية .

أسلم سنة تسعين وست مئة ، وكان اسمه في اليهودية سليمان . قال الشيخ علم الدين البرزالي : ضَبَطَ ذلك عز الدين الإربلي ، ونقلته من خطّه .

كان رجلاً فاضلاً ، إلى الجدّ مائداً ، عن اللهو مائلاً ، يَعْرِفُ الطّب وبه رأسٌ ، وجنى به من ثمر الجاه ما غرس . وله يد طولى في المنطق والهندسة ، وعنده في ذلك فوائد تجلو بُدورها من ظلمة الليل حُنْدُسُه . وأما النجوم فكان في علمها إماماً ، ويده تصرف من أحكامها زماماً .

ولم يزل على حاله إلى أن أعيأ داؤه ، وفقده أصحابه وأودأؤه . وقيل : إنه خَلَف من الذهب العَيْن ما قيمته ست مئة ألف درهم .

ووفاته في أواخر صفر سنة ثمان عشرة وسبع مئة .

٢٢٤ - أحمد هو الشيخ أحمد القَبَّاري الإسكندراني**

زعم أنه ابن أخت الشيخ الكبير أبي القاسم ^(١) .

قدم دمشق ، وتمشّخ فيها ، وأظهر الصلاح ، ومشت له الأيام قويمًا ، واعتقد الناس ولايته ، واغتنموا رعايته ، وجمع عليه الزُّبُون ، ولفَّ الناس له المحبُون . ثم إنه ظهر بهرَجُه ، وانفتح مَدْرَجُه ، فساعات عقباه الخاسره ، وضَيّع دنياه قبل الآخرة ،

* لم تقف على ترجمة له .

** الوافي : ٣٠٣/٨ .

(١) أبو القاسم بن منصور الإسكندراني (ت ٦٦٢ هـ) . العبر : ٢٧١/٥ .

فَوَسَّطَ فِي سَوْقِ الْخَيْلِ ، وَجَعَلَ دَلَوَيْنِ ، وَكَانَ جَسَدًا وَاحِدًا فَأَصْبَحَ شِلْوَيْنِ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِ مِائَةٍ .

وكان قد صادقه الشيخ محمد اليعفوري فقير مشهور ، فانفقاً^(١) على مكرٍ حَاقَ بهما ، ووقع بيد الأفرم ورقة فيها نصيحة على لسان قطز مملوك قبجق لما كان بالشوبك فيها : أنَّ ابن تيمية وابن الحريري يكتبان أميرنا قبجق في نيابة دمشق ، ويعملان عليك ، وأن ابن الزملكاني وابن العطار يطالعان أميرنا بأخبارك ، وأن جماعة من الأمراء معهم ، فتمتر الأفرم لذلك ، وأسرَّ إلى بعض خواصه ، وبحث عن اختلق ذلك ، فوقع الخدس على الفقيرين ، وأمسك اليعفوري ، فوجدوا في حجرته^(٢) مسودة النصيحة ، فضرَب بالمقارع ، فأقرَّ على القباري ، فضرب الآخر ، فاعترف ، فأفقى الشيخ زين الدين الفارقي بجواز قتلها ، فطيف بهما ، ثم وَسَّطًا بسوق الخيل وقطعت يد التاج ابن المناذلي الناسخ ، لأن المسودة كانت بخطه ، وسيأتي ذكره في موضعه من حرف العين ، وهو عبد الرحمن بن موسى .

الألقاب والأنساب

☆ الأحمدي : الأمير ركن الدين بيبرس .

☆ الأحمر : ملك الأندلس محمد بن محمد .

☆ وابن الأحمر : نصر بن محمد بن القاضي^(٣) .

☆ أخوين : محمد بن عمر .

٢٢٥ - إدريس بن علي بن عبد الله*

الأمير عماد الدين الحسني الحَمَزِيّ البُني .

(١) في الأصل « فانفقا » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) في الوافي : « حجزته » .

(٣) كذا ، وهو سهو ، فنصر بن محمد القاضي هو رجل آخر غير نصر بن محمد بن الأحمر . وستأتي ترجمتهما

* الوافي : ٣٢٨/٨ ، والدرر : ٣٤٥/١ ، والبدر الطالع : ٥٢/٤ ، والمنهل الصافي : ٢٨٥/٢ .

كان أحد أمراء الين في دولة الملك المؤيد بصنعاء ، وكان فاضلاً ، فارساً مناضلاً ،
أتقن علوماً ، وأنشأ منشوراً ومنظوماً . وكان زيدي المذهب ، ناشر العلم المذهب ، هم
أهل مذهبه بتلك الناحية أن يقلدوه الزعامة ، ويرشحوه للإمامة ، لأنه جمع بين
الشجاعة والكرم ، ونفخ من السيادة في صَرم ، فامتنع^(١) ونزع يده ، فعظمه لذلك
الملك المؤيد وأيده .

ولم يزل على حاله إلى أن حَمَّ من الحمزي أمره ، وضمَّ عليه قبره .
وتوفي رحمه الله سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومن شعره :

عوجا على الرسم من سامى بذى قار واستوقفا العيس لي في ساحة الدار
وسائلها عسى تنبيكما خبراً يشفي فؤادي فيقضي بعض أوطاري^(٢)
منها :

ياراكباً بَلَّغْنِي عني بني حَسَن وخصّ حمزة قومي عصمة الجار^(٣)
إنَّ المؤيد أسماني وقربني واختارني وهو حقاً خير مختار^(٤)
أعطى وأمطى وأسدى كل عارفة يقصّر الشكر عنها أي إقصار
وخصني بولاءٍ فزرتُ منه به فأصبح الزندُ مني أيما وار^(٥)
قلتُ : شعر متوسط .

(١) : « فتورع » .

(٢) في للنهل : « ويقضي » ، والتصيدة قالها يمدح الملك للمؤيد .

(٣) (أ) : « عصة » .

(٤) (أ) : « واختار لي » .

(٥) في الوافي : « واختصني » .

الألقاب والأنساب

☆ الأذفوي : شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الوهاب .

☆ الأذفوي : كمال الدين جعفر بن تغلب الأذفوي شمس الدين الحسين بن هبة الله ، وعبد القادر بن مهذب .

٢٢٦ - أذينة*

شحنة بغداد ، أقام بها من جهة المغل مدة ، كان مشكور السيرة مسلماً يتوجّه إلى صلاة الجمعة ماشياً .

توفي بالكوفة في أوائل سنة تسع وسبع مئة^(١) .

النسب والألقاب

☆ الأذرعى : صاحب شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عطا . وضياء الدين علي بن سليم . وقاضي القضاة شمس الدين الأذرعى الحنفى محمد بن إبراهيم .

* الدرر : ٢٤٧/١ .

(١) وقع في (أ) بعد هذا مانصّه :

« وكان قد مهّد بغداد ، واختفى الزناطرة في أيامه ، إلى أن لم يظهر منهم أحد . وذلك أنه طلب كبراءهم حين تولى ، وقال : أحضروا لي الجماعة حتى أضيفهم وأتفق أنا وهم على المصلحة ، فاستصوبوا رأيه ، وأحضروا منهم جماعة ، فدّ لهم سباطاً عظيماً ، فأكلوا . وبقي كلما خرج منهم إنسان وسطّة نصفين ، فارتاعوا لذلك ، واختفى الباقون منهم .

ويحكى عنه أن ولده مدّ يده إلى تفاح على رأس بعض الباعة ، فأخذ منه تفاحة ، ودخل إليه وهي في يده ، فقال له : يا بابا من أين لك هذه ؟ قال : أخذتها . وحكى له الصورة ، فرسم بتقثيره ، فجئنت أمه ، وأرسلت إلى كل من في بغداد من الحكام والقضاة والأكابر ، فدخلوا عليه وقالوا : هذا صغير ، والمأخوذ ماله قيمة ، فحلف أنه لا بد أن يعلّق في القنطرة . فأقتناه المفتون أن يوضع في زنبيل ، ويعلّق في القنطرة ، ففعل به ذلك .

وحكاياته مشهورة كثيرة عجيبة . »

٢٢٧ - أراي*

الأمير سيف نائب الكرك .

هو في الأصل مملوك الأمير سيف الدين أرغون الدوادار نائب حلب ، ثم إنه تنقل بالديار المصرية إلى أن حصل له إمرة الطبلخانة ، وهو الذي ورد على الأمير سيف الدين يلبغا^(١) ، وهو بالقصر الأبلق . وقد خرج بدمشق في المرة الثانية على الملك المظفر حاجي ، والأمراء قد التفوا عليه ، فلما جاء قال له : السلطان رسم بطلبك لتتوجه إليه إلى مصر ، والتفت إلى الأمراء وقال لهم : يا أمراء ! نائبكم الأمير سيف الدين أرغون شاه نائب حلب ، فلما سمع الأمراء ذلك تفلّت^(٢) عزائمهم عن يلبغا^(٣) ، وتحلّت عقّد ضمائرهم عنه ، وعاد إلى مصر .

ثم إنه جهّز لنيابة الكرك في سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وأقام بها [نائباً]^(٤) إلى أن طلب إلى مصر في شهر رجب الفرد سنة ست وخمسين وسبع مئة ، فتوجّه إليها وأقام بها ، ومالبت أن^(٥) جاء الخبر إلى دمشق بوفاته في صفر سنة سبع وخمسين وسبع مئة ، رحمه الله تعالى .

وأظنه كان قد باشر أولاً بالديار المصرية أخوريه الصغرى^(٥) ، وكان عاقلاً ساكناً ديناً ، يحب العلماء ، وله رغبة في العلم واقتناء المجلدات . ولما طلب من الكرك إلى

* الدرر : ٣٤٧/١ .

(١) في الأصل : « يلبغا » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ق) .

(٢) (أ) ، (خ) : « انفلّت » .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ق) .

(٤) (أ) ، (خ) : « إلى أن » .

(٥) (أ) ، (خ) : « الأمير أخورية الصغرى » وفي (ق) « الإمراخورية » ، وأمير أخور هو المشرف على إصطبل السلطان وخبوله .

مصر باشر أمير آخور كبيراً ، وتوجّه عوضه نائباً بالكرك الأمير سيف الدين قشتر الحاجب .

٢٢٨ - أَرْبَكُون*

بفتح الهمزة وسكون الراء ، وفتح الباء الموحدة والكاف وبعدها واوان ونون ، سلطان العراق وأذربيجان والروم ، من تربية جنكزخان .

نشأ في غمار الناس ، وكان أبوه قد قتل أولاً . ولما توفي القان بوسعيد رحمه الله تعالى شاور الوزير غياث الدين محمد مُقَدَّمِي التتار^(١) ، وقال : هذا الرجل من العظم ، فبايعوه وأجلسوه على التخت .

يقال : إنه كان نصراني الاعتقاد ، لا يثبت إيمانه على محك الانتقاد ، ألبس التتار السراقوجات الأولى ، وجال في الفتك عرضاً وطولاً ، وأنكر على كبار المغل مهادنة أهل الإسلام ، وملئ قلبه من الظلم والإظلام ، وقتل الخونده بغداد^(٢) رحمه الله تعالى ، وجبى^(٣) الأموال ، وخبط الأحوال ، وقاسى^(٤) الناس منه أمر الأحوال .

وكان قد قصد دخول الشام ، وانتجع^(٥) برق خرابه وشام ، فكفى الله أمره ، وأخذ جره .

وجرت أمور يطول شرحها ، ويعظم سرحها ، إلى أن قتله النوين علي باشا ،

* الوافي : ٣٣٤/٨ ، وذيل العبر : ١٩٣ ، والدرر : ٣٤٨/١ ، والشذرات : ١١٣/٦ ، والمنهل الصافي : ٢٩٠/٢ .

(١) محمد بن فضل الله بن أبي الخير بن غالي الوزير ، (قتل سنة ٧٣٦ هـ) ، وستأني ترجمته .

(٢) هي بغداد بنت جوبان ، زوجة القان بوسعيد ، وستأني ترجمتها .

(٣) في الأصل : « وجنى » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٤) (أ) : « وساس » ، تحريف .

(٥) في الأصل : « وأسجع » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (ق) .

وحاز من الشاء النافح ماشا ، وأغصه السيفُ بِريقه ، واختطف بصره مِنْ بِريقه ،
وذلك في سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، وكانت مدة ملكه شهورات .

٢٢٩ - أَرْتَنى *

بفتح الهمزة وسكون التاء ثلاثة الحروف ، وبعدها نون وألف مقصورة .

الحاكم بالبلاد الروميّة من جهة القان بوسعيد . كَتَبَ السلطان الملك الناصر بعد
وفاة بوسعيد ، وطلب منه أن يكون نائبه ، فأجابه إلى ذلك ، وبعث إليه الخلع
السنيّة ، وكتب له تقليداً بنبابة السلطنة بالبلاد الروميّة ، ولم تزل رسله تتردد إلى آخر
وقت . ووقع ^(١) بينه وبين أولاد قمرتاش ^(٢) ، فجمعوا العساكر وجاءوا إليه ، ومعهم
القان سليمان ، فكسروهم بصحراء أكرنبوك - بكافين ، وبينهما راء ونون وباء ثانية
الحروف وواو ، قبل الكاف الأولى همزة - وأسر جماعة من أمرائهم ، وغنم أموالهم وهزمهم
أقبح ^(٣) هزيمة ، ومنها خمل القان سليمان ، وعظم بذلك أرتنى في النفوس . وكانت هذه
الواقعة في إحدى الجمّادين سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

وكان خيراً فيه ديانة ، وله ميل إلى المسلمين في الظاهر والباطن من غير جناية
ولا خيانة ، ولا يزال أهل العلم عنده ، وبهم يُوري زنده ، وخاتونه تجلس وراءه تسمع
كلامهم ، وترى جدالهم ، وتشاهدهم إذا راموا سهامهم ، ولم يجد المسلمون منه إلّا خيراً ،
ولا عديم قاصدهم منه كرمًا وميراً ^(٤)

* الوافي : ٢٣٧/٨ ، والدرر : ٣٤٨/١ ، والمنهل الصافي : ٢٩٤/٢ .

(١) في الأصل و (أ) و (خ) . « وقع » ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي . وفي المنهل : « إلى أن وقع
بينه .. » .

(٢) قمرتاش بن جوبان ، ستأتي ترجمته .

(٣) في الأصل : « قبح » ، وأثبتنا ما في (أ) (خ) (ق) والوافي ، والمنهل .

(٤) (أ) ، (خ) : « ولا ميراً » .

ولم يزل على حاله إلى أن يَرَق منه البصر ، وجزم الموتُ حياته واختصر ، فعدم الإسلام منه مؤازراً ، ورأوا من بعده من العدو طرفاً متخازراً ، وذلك في سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة .

وقلت أنا فيه :

بمملكة الروم حلّ الردى لأجل النّوئين الذي قد فقَدنا
فَتَبَّأً لصرف الليالي التي أرْتُنَا أرْتُنَى كما لأردننا

٢٣٠ - أرسلان*

الأمير بهاء الدين الدّوَادَار .

كان أولاً عند الأمير سيف الدين سلار أيام النيابة خصيصاً به ، حظياً لديه . ولما جاء السلطان الملك الناصر من الكرك بعساكر الشام ، ونزل بالرّيدانية ظاهر القاهرة ، اطلع بهاء الدين أرسلان على أنّ جماعة قد اتفقوا على أن يهجموا على السلطان ، ويفتكوا به يوم العيد أول شوال ، فجاء إليه وعرفه الصورة ، وقال له : اخرج الساعة ، واطلع القلعة واملكها ، ففتحوا له شرح^(١) الدهليز ، وخرج من غير الباب ، وصعد القلعة ونجا من أولئك القوم ، وجلس على تخت الملك ، فرعى له السلطان تلك المناصحة . ولما خرج الأمير عز الدين أيدير الدوادار^(٢) من الوظيفة رتب بهاء الدين أرسلان فيها .

وكان حسن الشكل ظريفاً ، خلّو الوجه ، لا يزال به الإقبال من القلوب مطيفاً ، خطّه أبهج من الرياض اليانعة ، وآتق من النجوم الساطعة ، يكتب سريعاً ، ويخرج

* الوافي : ٣٤٦/٨ ، والدرر : ٣٤٧/١ ، والمنهل الصافي : ٣٠٠/٢ .

(١) في الأصل « سرح » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والشرح : منفسح الشيء .

(٢) ستأتي ترجمته .

الطَّرْس من تحت قلمه روضاً مريعاً^(١) ، بعبارة سادة ، وإشارة في تنفيذ المهات حادة . رأيت له أوراقاً بخطه ، قد كتبها إلى كتاب السَّر بما يرسم به السلطان ، ويفتقر إلى كتابتها تدبير المَلِك لبلوغ الأوطار في الأوطان ، وهي عبارة مسددة ، وافية بالمقاصد المؤكدة ، لا يفوته فيها فخرٌ مُخِلٌّ ، ولا يأتي فيها بقول مُمِلٌّ . وكان القاضي علاء الدين بن عبد الظاهر^(٢) قد درّبه ، وخرّجه وهذّبه ، ويقال : إنّ الرسالة التي وسمها بـ (مراتع الغزلان)^(٣) أنشأها فيه . وكان قد استولى على السلطان في أيامه وغلب عليه في يقظته ومنامه ، ولم يكن لغيره في أيامه ذِكرٌ ، ولا يُسمع في تلك المدة ثناء على غيره ولا شكر ، ولم يكن لفخر الدين وكريم الدين عظمة إلا بعده ، واجتهدا فما نالا طَرْدَهُ ولا بُعْدَهُ .

وكان قد أنشأ خاتقاه في المنشأة المنسوبة للهرازي^(٤) . وكان كلّ ليلة ثلاثاء ينزل من القلعة يبيت فيها ، ويحتفل الناس للحضور إليها ، والمقام بنواحيها . وترسّل عن السلطان إلى مهنا^(٥) ، وتعيّن لتلك الرسالة وتعنى ، ونفع الناس نفعاً عظيماً ، وقلدّهم من منّته عقداً نظيماً .

ولما مات وُجد في تركته ألف ثوب أطلس ، ونفائس متى رآها غيره أفرد حيرة وأبلس ، وتواقيع جملة ، ومناشير حملة ، مُعَلَّم عليها ، فأنكر السلطان معرفتها وعلمها ، ونسب إليه اختلاسها وظلمها .

(١) في الأصل : « ينيعا » ، وأثبتنا ما في (أ) و (ق) .

(٢) هو علي بن محمد بن عبد الله . (ت ٧١٧ هـ) .

(٣) الكشف : ١٦٥٠/٢ .

(٤) هي فيما بين النيل والخليج ، وعرف موضعها بالكوم الأحمر ، عمّر الظاهر يبدرس بها جامعاً ، ثم أنشأ الأمير سيف الدين بلبان الهرازي داراً وسكنها ، وبني مسجداً ، فعرفت به . (هامش النهل : ٣٠٢/٢) .

(٥) مهنا بن عيسى بن مهنا ، (ت ٧٢٥ هـ) ، وستأتي ترجمته .

ولم يزل على حاله إلى أن أطفأ الموت شرارته ، وأبطل من التواقيع والمراسيم رسالته وإشارته .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة سبع عشرة وسبع مئة . وتوفي هو والقاضي علاء الدين بن عبد الظاهر والقاضي شرف الدين بن فضل الله ^(١) بدمشق في شهر واحد . ووفاة أرسلان المذكور ^(٢) في ثالث عشرين شهر رمضان من السنة المذكورة .

^(٣) كتب إليه شيخنا العلامة شهاب الدين محمود ما أنشدنيه إجازة لنفسه :

بك ماسَ عطفَ الدهرِ في حُللِ البها	وسا مكان الفضل منه إلى السُّها
ولديكَ أدركَ كلُّ راجٍ مَارجا	كرماً وأحرز كلُّ عافٍ ما اشتهى
بَشْرٌ يُبَشِّرُ أَمْلِيه بِسَوْؤِهِمْ	منه ويبدأ هم إذا قيل انتهى
وكما أوصافُ تَعَلَّمَ من رأى	تلك المهابة كيف تُكْتَسَبُ النهى
يحمى حمى الملك الشريف برأيه الـ	عالي فيغدو للسيوف مرفّها
ويصون أطراف الثغور يرأغه	فيشيدها ويسدّ منها ما وهى
متيقّظٌ للبر والإحسان لا	يحتاج في كَسْبِ الثناء منبّها
ضَلَّ الذي لنواله ولباسه	باليث أو بالغيث ظلّ مشبّها
فالليث ما يُردّي الجيوشَ زُئيرة	والغيث ما يروي الممالك كلّها
ياسيدُ الأمراء دعوة مخلصٍ	أضحى بشكركَ والثناء مفوّها
أنتَ المؤمِّلُ للمطالب حين لا	يُدعى سوى إحسانك الوافي لها
وإذا تعقّدت الأمور فما سوى	معروفك المعروف يُحسِّنُ حلّها
لازلتَ تقني الأجر في البر الذي	تولي وترجو الله في بذلِ اللّهي

(١) هو عبد الوهاب ، ستأتي ترجمته .

(٢) (أ) : « وفاته » .

(٣) من هنا حتى آخر الترجمة ، خلت منه (ق) .

٢٣١ - أرسلان الأمير بهاء الدين *

ابن الأمير علاء الدين مغلطاي أمير مجلس^(١) ، سيأتي ذكر والده مغلطاي في حرف الميم .

كان بهاء الدين هذا أمير عَشْرَة بدمشق ، كان بها إلى أن توجه إلى إقطاعه بنواحي نابلس .

وتوفي رحمه الله تعالى هناك في ثامن شعبان سنة ست وأربعين وسبع مئة .

٢٣٢ - أرغون الأمير سيف الدين الدوادار الناصري **

كافل الممالك الإسلامية .

اشتراه الملك المنصور قلاوون وهو صغير لولده الملك الناصر ، فربي معه ، وألّف به ، وكان معه في الكرك ، ولم يفارقه ، وولاه السلطان نيابة مصر بعد الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار في جمادى الأولى سنة اثنتي عشر وسبع مئة .

كان بيبرس تولّاها بعد الأمير سيف الدين بكتّمر الحاجب أمير خازن دار .

سمع (البخاري) من الحجار بقراءة الشيخ أثير الدين ، وكتبه بخطّه في مجلد^(٢) في الليل على ضوء القنديل .

ولم يزل^(٣) في بيت أستاذه كبيراً ، موقراً أثيراً ، هو رأس الحزب ، وكبش ذلك

* لم نقف على ترجمة له ، وقد خلا من ترجمته (ق) والوافي .

(١) في الأصل : « ابن أمير مجلس » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

** الوافي : ٣٥٨/٨ ، وتحفة ذوي الألباب : ٢٧٢/٢ ، والدرر : ٣٥٠/١ ، وذيل العبر : ١٦٧ ، والنجوم :

٢٨٨/٩ ، والشذرات : ١٦٦/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٠٦/٢

(٢) (ق) : « مجلد واحد » .

(٣) (ق) : « ولم يزل معظمها » .

الحرب ، والذين يقولون بقوله ، وييطشون بقوته وحَوْلِه ، هم أكبر الخاصكية وأعيانهم ، وأمراؤهم المذكورون وشجعانهم مثل : قجليس والجمالي ومنكلي بغا وطُرْجي وطشتر والفخري^(١) .

وكان فقيهاً حنفياً ، فاضلاً في مذهبه مُفتياً ، يعرف دقائق مذهبه وينظر ، ويذاكر بغرائبه ويحاضر . لما توجه إلى حلب نائباً ، ونزل بجامع تنكز وصلى العصر خلف الشيخ نجم الدين القحفازي جذبةً وأخرجه من المحراب ، وقال : ما هو مذهبك يا فقيه ؟ يعني بذلك صلاة الطاق ، وهي مسألة معروفة في مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه .

وكانت عنايته بالكتب إليها المنتهى ، وبلغ من جَمْعها ما أراد واشتهى . لما مات قجليس بمصر ، وهو مجلب ، أرسل ألفي دينار^(٢) ليُشترى له بها كتب من تركته ، وجهز إلى بغداد ، واستنسخ (فتاوى) ابن قاضي خان^(٣) ، وعلم الناس رغبته في ذلك ، فحملوا إليه حملاً من أطراف الممالك .

وكان له معرفة بعلم الميقات ، وعنده من ذلك بناكيم وآلات^(٤) . ولم يَر في الترك مثله سكوناً ووقاراً ، وهيبة وشعاراً ، ومَلَكَةً لنفسه عن الغضب واقتداراً ، قلَّ أن عاقب ، وطالما خاف إلهه^(٥) وراقب ، لم يسفك دماً في حلب مدة إقامته ، ولا ظَلَم أحداً من الرعايا في نيابته ، واجتهد في حلب على سياقة نهر السَّاجور^(٦) ، وبذل فيه أموالاً يتحقق بها أنه عند الله مأجور ، وما زال إلى أن أدخله حلب ، وساق به إليها كل خير وجَلَب .

(١) ستأتي تراجمهم في مواضعها .

(٢) أ ، ق : « إلى مصر » .

(٣) هو الإمام فخر الدين حسن بن منصور الأوزجندی الفرغاني ، (ت ٥٩٢ هـ) . الكشف : ١٢٢٧/٢ .

(٤) قوله : « وآلات » ، ليس في (أ) .

(٥) في الأصل : « الهمة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (ق) .

(٦) معجم البلدان : ١٧٠/٣ .

وكان يؤثر أهل العلم ويُدّنيهم ويخصّهم بالذكر ويعينهم ، له حنوٌّ زائد على الشيخ أثير الدين ، وعلى الشيخ فتح الدين بن سيّد الناس ، ولم يَكُنْ أستاذَه مدة مقامه بمصر من خروج عن الواجب ، وأمراء الدولة والخواصّ كلّهم يهابونه ويخافونه ، وللملّك به جمال ، ولبدّر الدولة بنيابته كمال ، وعلى الوجود إضاءة^(١) ، وللنيابة قُعدُد وأناة ، ولما تولّاها أجراها على السداد ، وقرّر قواعدها ووطّد مجدها وساد ، وذلك من أواخر سنة إحدى عشرة فيما أظنّ إلى سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وهي تجري بريح طيّبة الهبوب ، سالمة من شرر الشر والأهوب .

وكان قد توجّه إلى الحجاز في سنة ست وعشرين ، وفي قلب القاضي فخر الدين ناظر الجيش منه قلوب^(٢) ، وهو يودّ أن يرمي أسده في أقلوب^(٣) ، فاعتنم غيبته ، وجدد في كل وقت غيبته ، مع ما كان في نفس السلطان منه ، لأمر ندبه إليه في الباطن لم يُر اعتماده ، وخاف فيه حشره إلى الله ومعاده ، ولما عاد من الحجاز لم يدعه بكثر الساقى يدخل^(٤) إلى السلطان ، ولم يساعد في أمره على ماسوّله الشيطان ، وبقي عنده في بيته ثلاثة أيام بلياليها^(٥) ، والفكرة في أمره تشبّك عواليها ، إلى أن جهّز السلطان الأمير سيف الدين ألجاي الدوادار^(٦) إلى حلب لإحضار نائبها علاء الدين الطنبغا ، وأكد عليه في سرعة التوجه والعود لما أَراده في ذلك وابتغى ، ثم إنه رسم لأرغون نيابة حلب ، وأخرجه مع الأمير سيف الدين أيتش إليها ، وأرسل منه^(٧) سحائب الرحمة عليها ، فاجتمع تنكز والطنبغا وألجاي وأرغون في دمشق في المحرم سنة

(١) (ق) : « به إضاءة » .

(٢) أي داء .

(٣) كذا ، ولم تتبيّن مراده .

(٤) (أ) : « أن يدخل » .

(٥) في الأصل و (أ) : « بليالها » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٦) ستأتي ترجمته .

(٧) (أ) : « معه » .

سبع وعشرين وسبع مئة ، فغرب ذلك وشرق هذا ، ونفذ سهم القدر^(١) بما أَرَادَهُ اللهُ تعالى من ذلك نفاذاً ، فوصل حلب وأقام بها نائباً إلى سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، وطلب الحضور إلى مصر في أواخر هذه السنة ، فأذن له في ذلك ، ولما رآه بكياً طويلاً ، وأبدى كل منهما تأسفاً وعويلاً ، وأقام عنده أياماً ، ثم أعاده إلى نيابة حلب على حاله ، فعاد عود الغيث إلى الروض الذي صَوَّحَ ، أو البدر الذي ابتدر نُورَهُ إلى الساري ولَوَّحَ .

فلم يزل بها على حاله إلى أن أرغم الموتُ من أرغون أنْفَهَ ، وعدم السمع من ذكر حياته شَنْفَهَ .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وكان عمره تقديراً بضعاً وأربعين سنة ، ودفن بتربة اشترت له بحلب ، وكان قد طَوَّلَ في مرضه ، وحسد الناس على سهم أصاب مرمى غرضه ، وجهاز السلطان إليه صلاح الدين محمد بن البرهان الطبيب^(٢) من مصر ، فما وصل إلى دمشق حتى مات ، ونزل به من عَدَّوهِ الشمات .

وهو الذي كَمَلَ سياقة نهر الساجور إلى حلب بعد ما كان قد ساقه الأمير سيف الدين سودي ، ولم يتفق وصوله على ما سيأتي في ترجمته ، ويوم دخوله خرج لتلقّيه هو والأمراء وأهل البلد مشاة ، وشعارهم التكبير والتهليل حمداً لله تعالى ، ولم يمكن أحداً من المغاني والمطربين الخروج^(٣) معهم ، وكان يوماً مشهوداً ، وخرج الناس بوصولهِ ، وأحكم عمله وسياقه في الجبال والسهول واتفق في طريقه واديان وجبلان ، فبنى على كل واحد من الواديين جسراً يعبر الماء عليه ، وأما الجبلان فكان الأول منها سهلاً نُقِبَ في مدة يسيرة ، والآخر كان صخراً أصمّ ، وطَوَّلَ الحفر في هذا الجبل ثلاثئة

(١) (أ) : « العذر » .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) (أ) ، (ق) : « من الخروج » .

ذراع وستون ذراعاً ، وأعمق^(١) موضع^(٢) فيه من الجباب طوله ستة عشر ذراعاً ، وبعضه محفور على هيئة الخندق ، وبعضه جباب مَفْقَرَة ، وكان من هذا القدر نحو عشرين ذراعاً لا يمكن حفره إلا بعد حرقه بالنار مدة أيام ، وانتهى عمل هذا الجبل في ثمانية أشهر ، وكان بعد هذا الجبل سهل ، فظهر بالحفر فيه حجارة سود مدوّرة ، لا يمكن كسرها إلا بالمشقة ، ولما رجع الأمير سيف الدين أرغون إلى المدينة حصل له تشویش ومرض ، ومات رحمه الله تعالى . وقيل : إنه قيل له ياخوند ! بالله لا تتعرض إلى هذا النهر فإنه ما تعرض له أحد إلا ومات ، فقال : أنا أكون فداء المسلمين فيه ، وجعل مشدّه شخصاً من ممالكه اسمه أرغون فاتفق ماجرى^(٣) .

٢٣٣ - أرغون الأمير سيف الدين العلائي *

رأس نوبة الجمداريّة^(٤) من أيام أستاذه . أخرجه الأمير سيف الدين قوصون إلى صفد ، فورد إليها جندياً - فيما أظنّ - وعاد مع الفخري إلى مصر . وهو زوج والدة الصالح^(٥) إسماعيل والكامل شعبان . فأقام بمصر إلى أن خلع الناصر أحمد كما تقدم ، وجلس الصالح إسماعيل على كرسيّ الملّك ، فكان هو مدبّر تلك الدولة ، وحوله في ذاك الجو مدار الجوّله . ولما قتل أحمد زاد تمكّنه ، وعظم تعيّنه ، وظهر تبّينه ، وزهر تزيّنه ، وكثرت إقطاعاته وأمواله . وضماناته وأملاكه وأثقاله ، وأنعامه وأنفاله^(٦) ،

(١) ق : « وأعمق » .

(٢) في الأصل و « ق » : « موضعا » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٣) زاد في (أ) : « وفيه يقول الفاضل الرئيس شرف الدين :

أنا أتى نهر الساجور قلت له كم ذا التّأخر من حين إلى حين

فقال أخبرني ربي ليجعلني من بعض معروف سيف الدين أرغون

والنص في المنهل : ٢٠٧/٢ .

* الوافي : ٣٥٥/٨ ، والدرر : ٣٥٣/١ .

(٤) الجمدار : هو الذي يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه .

(٥) (أ) : « وهو زوج أم للملك الصالح » .

(٦) في الأصل : « وأنفاطه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ق) .

فكان أكبر من النّواب ، وأعظم من المقيم والجوّال والجوّاب ، ودبّر الأمر بسعد قد اطمأن ، وركن حظّه واستكن .

وتوفي الملك الصالح إسماعيل ، وولي الملك أخوه الكامل شعبان ، وأرغون في سعادته ريان شعبان ، إلى أن خرج أمراء مصر على الكامل وخلعوه ، وضرب أرغون^(١) العلائي في وجهه ضربة مهولة بطبر^(٢) ، إلا أنه ثبت لها وتجلّد ، واحتمل وصبر ، وكانت^(٣) جراحة نجلاء واسعة ، رأى الأرض منها خافضة رافعة ، قيل : إنّ الذي جرّحه أرغون شاه . وقيل : غيره ، على ما ذكره النقلة والوشاة .

ثم إنه اعتقل في إسكندرية أول دولة المظفر حاجي ، فأقام في الاعتقال مدة إلى أن قتل الحجازي^(٤) وأقسنقر ، فطلب من إسكندرية ، وخرج إليه الأمير سيف الدين منجك ، فقيل : أنزله العلائي بطن الأرض ، واستعاد العدم ماله عند وجوده من القرض ، وكانت قتلته في سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وكانت سعادته قريباً من خمس سنين .

٢٣٤ - أرغون شاه الأمير سيف الدين الناصري*

كان رأس نوبة المجداريّة أيام أستاذه الناصر ، وكان هو وأرغون العلائي شريكين في هذه الوظيفة ، لكنه هو المقدم ، وكان في أول أمره قد جلبه الكمال الخطائي إلى القان بوسعيد من بلاد الصين هو وسبعة من المماليك وثمائنّة ثوب وبَر خطائي من

(١) ليست في (أ) ، (خ) .

(٢) أي : بفأس .

(٣) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ق) .

(٤) الأمير سيف الدين ملكتر ، ستأتي ترجمته .

* الوافي : ٣٥١/٨ ، وتحفة ذوي الألباب : ٢٧٣/٢ ، والدرر : ٣٥٠/١ ، والشذرات : ١٦٦/٦ ، والمنهل الصافي : ٣١٤/٢ .

أملاك بوسعيد الموروثة له ^(١) عن أبيه وجده من جدهم جنكز خان بتلك البلاد ، فنمَّ على الكمال الخطائي لبوسعيد ^(٢) فصادره ، وأخذ منه مئة ألف دينار ، ثم إنَّ بوسعيد كرهه لذلك ، فأخذه منه [دمشق] ^(٣) خواجا بن جوبان ، فكان ذلك لم يهن عليه ، فتم إلى بوسعيد أيضاً بأمر دمشق خواجا مع الخاتون ^(٤) طقطاي ، وجرى من أمرها ماجرى من حَزَّ رأسيهما وخراب بيت جوبان ، ودكه .

ثم إنَّ بوسعيد ارتجع أرغون شاه ، ثم إنه بعثه إلى الملك الناصر هو والأمير سيف الدين ملكتمر السعدي ^(٥) ، فحظي الأمير سيف الدين أرغون شاه عند الناصر ، وأمره وجعله رأس نوبة ، وزوجه بابنة الأمير سيف الدين أقبغا عبد الواحد الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، ولم يزل بمصر إلى أن خرج مع الفخري لحصار الكرك ، ثم توجه مع العساكر الشامية إلى القاهرة ، وجرى منه في نيابة طشتمر ما أوجب أن ضربه وأراد إخراجه إلى طرابلس ، ثم إنه ^(٦) شَفَعَ فيه .

ولما تولى الملك الكامل حظي عنده ، وجعله أستاذار السلطان . ثم تولى الملك المظفر ، فزادت حظوته عنده ، فما كان بعد ثلاثة أشهر حتى خرج ^(٧) مع النائب الحاج أرقطاي من عند السلطان ، وأخرج له تشریف ^(٨) ، فلبسه ، وطلب الاجتماع بالسلطان ، فنع .

(١) (أ) ، (خ) : « لهم » .

(٢) في الأصل و (أ) و (خ) : « أبو سعيد » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (ق) . وعبرة الوافي : « إلى بوسعيد » .

(٣) زيادة (أ) (خ) (ق) والوافي . وفي للنهل : « فأعطاه لدمشق خجا بن جوبان » .

(٤) في الأصل : « الخواجا » وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

(٥) في الوافي : « البوسعدي » .

(٦) ليست في (أ) و (خ) و (ق) .

(٧) (أ) ، (خ) : « فلما كان بعد .. خرج » .

(٨) (أ) ، (خ) : « وأخرج له تشريفا » .

وأخرج لنيابة صفد ، فوصل إليها على البريد في خمسة أرؤس في أوائل شوال سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، فدبرها جيداً ، وأقام الحرمة والمهابة ، وأمن السبل .
ولم يزل بها إلى أن طُلب إلى مصر في العشر الأواخر من صفر سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، ورسم له بنيابة حلب عوضاً عن الأمير سيف الدين بيدمر البدري ، ودخل دمشق في سادس شهر ربيع الأول من السنة دخولاً عظيماً ، جاء على البريد ^(١) ، وأقام على القصير المعيني ^(٢) إلى أن جاءه طلبه من صفد ، ودخل برخت ^(٣) وأتته زائدة بسروج معرقة مرصعة ، وكنائش ^(٤) زركش ، وغير ذلك من البرك ^(٥) المليح الظريف ، والجميع باسمه ورنكه ^(٦) . وتوجه إلى حلب ، وأقام بها نائباً .

ولما جرى للأمير سيف الدين يلغا يحيوي ما جرى - على ماسيأتي إن شاء الله تعالى في ترجمته - رسم ^(٧) له بنيابة الشام ، فحضر إليه الأمير سيف الدين أقسنقر أمير جاندار ، فدخل إلى دمشق بكرة الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، ولما عاد أقسنقر المذكور أعطاه خمسة عشر فرساً ، منها خمسة عربية بسرجه ^(٨) ولجها وكنائشها ، وعشرة أكاديش ، وجارية بخمسة آلاف درهم ، وأربعين ألف درهم ومئة قطعة قماش ، والتشريف الذي لبسه للنيابة بالكلوتة والطرز والحياصة ، والسيف المَحَلَّى ، وألف إردب ^(٩) من مصر ، وكان قد أعطاه في حلب ألف

(١) قوله : « جاء على البريد » ليس في (أ) .

(٢) في الوافي : « قصر معين الدين » .

(٣) الرخت : فارسية : القماش .

(٤) جمع كنبوش : البرذعة تجعل تحت السرج .

(٥) البرك ، فارسية ، تعني الثوب المصنوع من وبر الجمال ، ثم أطلق اللفظ على أمتعة المسافرين أو مهات الجيش .

(٦) الرنك هو الشعار الذي يتخذه الأمير عند تأميره علامة على وظيفته .

(٧) في الأصل و (أ) و (خ) : « ورسم » وأثبتنا ما في (ق) ، وهي أشبه لأنها جواب لما .

(٨) (أ) ، (ق) : « بسروجها » .

(٩) الإردب : مكيال ضخ بمصر ، ويضم أربعة وعشرين صاعاً .

وخمس مئة دينار ، وغير ذلك ، وشرط له كل شفاعة يشفعها من حلب ، وفي الطريق ، ومدة مقامه بدمشق ، وأقام بها قريباً من ثلاثة أشهر ولم يسأله من عزّل وولاية^(١) إلا أجابه إلى ذلك . وقدّم إليه يوماً وهو في سوق الخيل بدمشق نصرانيّ من الزبداني رمى مسلماً بسهم ، فمات ، فأمر بقتله وتفصيله على أعضائه ، فقطعت يده من كتفه ، ورجلاه من فخديه ، وخرّ رأسه ، وحملت أعضاؤه على أعواد ، وطيف به^(٢) ، فارتعب الناس لذلك ، فقلت له أنا :

لله أرغون شاه كم للمهاباة حصّـل
وكم بسيف سطاها من ذي ضلال تنصّل
ومجّـل الرّعب خلّى بعض النصارى مفصّل^(٣)

واختطف الحرافيش يوماً في الغلاء الخبز من الجوع ، فأمسك جماعة من الحرافيش وقطع أيدي ثمانية عشر رجلاً ، وأرجلهم ، وسمر على الجمال سبعة عشر وهو واقف بسوق الخيل ، وذلك في تاسع عشر ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، فقلت أنا في ذلك :

كان الغلا يغلو فأما إذا أصبح ناراً قلت ذا يغلي^(٤)
وأصبح الحرفوش ذا كسرة عن طلب الكسرة في شغل
من يطلب الخبز ومن يشتهي وهو بقطع اليد والرجل

ولم ينل أحدٌ من السعادة ما ناله ، ولا حصل ما حصله في المدة القريبة من الممالك والجواري ، والخيل والجوهر والأمتعة والقماش ، ولا تمكّن أحد بعد الأمير سيف الدين تنكز تمكّنه ، يكتب إلى مصر بكلّ ما يريده في حلب وطرابلس وغيرها ، وحماة وصفد

(١) (أ) ، (خ) : « ولا ولاية » .

(٢) قوله : « وطيف به » ، ليس في (أ) .

(٣) نقل الأبيات صاحب المنهل الصافي عن الصفدي .

(٤) يغلو : يزداد ، من الغلّو .

وسائر ممالك الشام من تقل وإضافة وإمساك ، وتقل إقطاعات وغيرها ، فلا يرد في شيء يكتبه ، ولا يخالف في جليل ولا حقير إلى أن زاد الأمر ، وأفرط هو في معارضة القضاة الأربع ، وعاكسهم ، وثقلت وطأته على الناس إلى أن حضر الأمير سيف الدين أَلْجُبَيْغا من طرابلس في ليلة يسفر^(١) صباحها عن يوم الخميس ثالث عشرين شهر ربيع الأول سنة خمسين وسبع مئة ، واتفق في الليل هو والأمير فخر الدين أياز السلحدار ، وجاء إليه إلى باب القصر الأبلق ، وهو به مقيم نائم في فراشه ، فدق الباب عليه الثلث الأخير من الليلة المذكورة وأزعجاه ، فكانا كلما خرج طواش أمسكاه ، وسمع هو الغلبة ، فخرج ويده سيف ، فلما رآهما سلم نفسه ، فأخذه على الحالة التي خرج عليها ، وتوجه به إلى دار الأمير فخر الدين أياز ، وقيداه بقيد ثقيل إلى الغاية ، ونقلاه إلى زاوية المُنْبَيْع ، ورسم عليه الأمير علاء الدين طيبيغا القاسمي ، فأقام هناك يوم الخميس إلى العشاء الآخرة ، ودخل مملوكه الذي يخدمه فوجده مذبحاً والسكين في يده ، والدم قد سال ملء مرقده ، فوقف عليه في الليل بالقاضي^(٢) جمال الدين الحسباني ، والشهود ، وكتب بذلك محضر شرعي ، وجّهز إلى الديار المصرية صُحْبَة الأمير سيف الدين تُلُك^(٣) أمير علم ، ودفن بمقابر الصوفية .

وكان شخصاً لطيف الجثة . [مختصر الحبة]^(٤) أسمر الوجه أحمر اللثة ، أبيض اللبة ، ظريفاً حسن العمة ، شديد العزّة عالي الهمة ، ذهنه يتوقد ، ونفسه تراحم الفرقد ، يقترح في الملابس أشكالا غريبة ، ويعمل بيده منها صنائع عجيبة ؛ إلا أنه جبار سفاك ، طالب لثأره دراك ، يده والسيف يمتشقّه ، وغيظه يؤديه إلى العطب وخلقه . لا يشرب الماء إلا من قليب دم ، ولا يتنسم الهواء إلا بشم سم^(٥) ، ومع ذلك إذا

(١) (أ) ، (خ) ، (ق) : « أسفر » .

(٢) في المنهل : « القاضي » .

(٣) في المنهل : « يليلك » .

(٤) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ق) . وفي المنهل : « مختصر اللحية » .

(٥) (أ) ، (خ) ، (ق) : « إلا بسم » . وكذا في المنهل .

ظهر له الحق رجوع في الحال ، وندم على ما فرط منه واستحال ، لكنه تَرُوح في ذلك الغضب أرواح ، وتُجَبّ مذاكير وتقطع أُحْراح^(١) .

وكان في دمشق زمن الطاعون فما طُعن على عادة الملوك ، وإنما طعن بالسيف الذي يذر الدم ، وهو مسفوك . وقلت أنا فيه :

تعجبتُ من أرغون شاهٍ وطيشه الـ لذي كان فيه لا يفيق ولا يعي
وما زال في سكر النياحة طافحاً إلى حين غاضت نفسه في المنيع^(٢)

٢٣٥ - أرغون السلحدار الأمير سيف الدين *

توجه أمير الركب الشامي في سنة ست عشرة وسبع مئة ، وداره عند دار الطراز داخل مدينة دمشق .

لم أعرف من حاله شيئاً فأذكره ، ولا اتصل بي ما يتعلق به فأعرفه به أو أنكره ، خلا أنه رحمه الله تعالى توفي في مستهل شهر رمضان سنة ثمان عشرة وسبع مئة .

٢٣٦ - أرغون الأمير سيف الدين **

مُشيد الزكاة ، ومشد الدواوين بدمشق ، ونائب بعلبك . مملوك الأمير سيف الدين سمر ، وسيأتي ذكر أستاذه في مكانه .

كانت فيه سياسة ، وعنده حشمة ورياسة ، تقرب إلى الأمير سيف الدين تنكز بالكفاية والنهضة ، وساعده القدر كما أحكم إبرامه وتقضه ، فولاه بعد شدّ الزكاة شدّ

(١) في المنهل : « وتتنكد لخلقه من الناس أشباح » .

(٢) (أ) ، (خ) : « بالمنيع » . والنص نقله صاحب المنهل .

* لم تقف على ترجمة له .

** لم تقف على ترجمة له .

الدواوين ، وأقام فيه مدة لينتقد الهاوين ، ويصد^(١) الغاوين ، ثم إنه بعد مدة ولّاه نيابة بعلبك فسدّها ، وعرف رسمها وحدّها^(٢) . ثم إنه بعد ذلك توجه إلى طرابلس أميراً ، وأقام بها .

ولم يجد لعيشه في دمشق نظيراً إلى أن نزل في رسمه ، واستوحش أحبابه من أنسه ، وتوفي رحمه الله تعالى في ...^(٣) .

كان قد باشر الشدّ على الزكاة مدة ، وخلا شدّ الدواوين في دمشق مدة زمانية ، فولاه الأمير سيف الدين تنكزشد الدواوين في آخر^(٤) المحرم سنة ثمان وعشرين وسبع مئة^(٥) هو وعماد الدين بن صصرى ، ثم إنه ولّاه نيابة بعلبك في سادس عشر صفر سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة

وكتبت له مرسوماً بنيابة بعلبك ، ونُسخته^(٦) : أما بعد حمد الله الذي نصر هذا الدين بالسيف ، ورفع بولاة الأمور عن ضعيف الرعيّة ثقل الخيف والحيف ، وأمر الحق في أهله بحسن نظرهم الذي ينتقي الزين وينتقد الزيف ، وعمر البلاد بعدلهم الذي إذا طلعت شمسوه النيرة ، كان الظلم معها سحائب^(٧) صيف . وقع المفسد بمهابتهم التي منعت جفونه أن تجد رجعة هجعة أو ضيف طيف ، وجمع حكمة الإيما بيبأسهم الذي إذا دغاه مَهْم لم يقل له متى ولا كيف .

(١) في الأصل : « ويصد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « وسدّها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) كذا بياض في الأصول .

(٤) (أ) ، (ق) : « وأواخر » .

(٥) زيد بعدها في (أ) ، (ق) : « وإمرة عشرة في جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، هو وعماد .. » .

(٦) ثمة سقط في (ق) من ههنا ، مقداره ورقة ونصف .

(٧) (أ) : « سحابة » .

وصلاته على سيدنا محمد خير من أطعنا نَهْيَه وأمره ، وأشرف من كحل سواد أمته طرفَ الزمان وكان أمره ، وأفضل من ساد بشره زيد الخلق وعَمَرُه ، وأكرم من كان له من الناس على العدل أفضل قوة ، وعلى الإحسان إليهم تمام قدره ، وعلى آله وصحبه الذين أمضوا فضله وأعزّوا نصره ، وأطاعوا من جعلوا له عليهم الأمر والإمرة ، وجبلوا على محبته فما نهى أحدهم عن شيء فكره أن لا يكون فيه ^(١) فكره ، وهجروا الأهل والوطن في طاعته فكم صبروا على هَجِير هَجْرَه ، صلاة يُرْسِلُ غَيْثُهَا في كل قطر من الأرض قَطْرَه ، وينبت روضها الأنف في السماء بين الأنجم الزهر زهره ، وسلّم ومجد وكرم .

فإنه لما كانت مدينة بعلبك والبقاعان أنودج الجنة ، وغاية إذا جرت جياذ الأفكار في ارتياد نزهة ثنت إليها الأعنة ، وبقعة إذا تمت النفوس نفائس شيء كانت لتلك الأمانى مَطْبَةِ ، فهي أصحّ البلاد لأولي الذوق والظرف ، وأحسن مكان سَرَحَ في مدى ميدانه طَرْفُ الطَّرَف ، قد ركبت على الصّحة فما خُطبت بخطب ، وعلى قول النحاة فقد مُنعت من الصرف . أهلها أطوع رعيّة ، وأكثر خيراً والمعيّة ، ينقادون لأمرهم ، وينادون لمشيرهم ، ويتأدب صغيرهم بأدب كبيرهم ، وقد خلت هذه المدة من نائب يستقرّ بها أو يستقلّ ، ويستمد من محاسن هذه الدولة الشريفة أو يشتمل ، وكان المجلس السامي الأميري السيفي أرغون الناصري هو السيف الذي حُمدت مضاربه ، وشُكرت على اختلاف أحواله تجاربه ، وأرضت ، وأين من تُرضى عزائمه ؟ ، وجُرد وجرب « فلا المجد مخفيه ، ولا الضرب ثالبه » ، وأصبح وما كل سيف على عاتق الملك الأغرنجاده ، وفي يد جبار السموات قائمه ، هذا إلى ما اتصف به من كرم الخلال التي قد فعم الخافقين رياها ، والتحق به من علّو الهمم التي ملء فؤاد الزمان إحداها ، وظهر عنه من عز عزم بيعضه يجر طولى القنا وقصرها ، واشتهر به من سجايا لو كفر العالمون أكثرها لما عدت نفسه سجاياها ، فلذلك وقع الاختيار عليه ، ورسم بالأمر العالي

(١) : « له فيه » .

المولوي السلطاني الملكي الناصري لا زالت أوامره بالسيف ماضية ، ومجدّ حجته قاضية ، أن يفوّض إليه نيابة بعلبك المحروسة والبقاعين على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته ، فليتولّ ما فوّض إليه ولاية تحمد منها العواقب ، ويشخص لها طرف الشهاب الثاقب ، ويتساوى في أمنها ومنّا أهل المراقد والمراقب ، وينهض بهمته في أمور الدولة المُهمّة ، ويشترعن ساعد كفايته في الأوقات التي حراسته في جيدها قيمة ، وسياسته لحسنها تتّمة ، وليقيم منار الشّرع الشريف ، ويعضد حكمه ، ويعمل في تنفيذ أمره المطاع فكرة وعزمه ، فإنه الطريقة المثلى ، والحجة التي من نكب عنها لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، حتى يكون هو الذي أقام الحق ، وكان على الذي أحسن تماماً ، وجلا بشمس العدل الشريف من أفق الظلم ظلاماً ، وأعلى الحقّ على المبطل ، لأنّ له مقالاً ومقاماً ، وليردع^(١) الفساد بنكاله ، ويقمع المعتدي بجلاده ، ولا يقال^(٢) مجداله ، وليجتنب أخذ البريء بصاحب الذنب ، ويحذر الميل على الضعيف ، الذي لا جنب له ، ويترك صاحب الجنب ، وعمارة البلاد ، فهي^(٣) المقدم من هذا المهمّ ، والمقصود بكل لفظ تمّ له المعنى أو لم يتمّ ، فليتوخّ العدل فإنه أنفع للبلاد من السحب الماطرة ، وألذّ لأهل القرى من ولوج الكرى في الأعين الساهرة ، فإنه لاغيث مع العيث ، ولا حلم مع الظلم ، وليصلّ باع من لاله إلى الحقّ ووصول ، وليتذكر قوله عليه الصلاة والسلام : « كلّم راع وكلّ راع مسؤول »^(٤) ، فإنه إذا اتصف بهذه المزايا ، والتحف بهذه السجايا تحقق الملك الأمجد لو عاصره أنّ المجد للسيف ، وقال تعجباً من سيرته : من أين اتفقت هذه المحاسن وكيف ، وملاك هذه الوصايا تقوى الله عزّ وجلّ ، فليكن ركنه الشديد ، وذخره العتيد وكنزه الذي يَنمى على الإنفاق ولا يبيد ، والله تعالى يوفق مسعاه ، ويحرس سرّحه ويرعاه ، والاعتماد على الخطّ الكريم أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

(١) في الأصل : « وليرع » وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) قوله . « ولا يقال » ، ليس في (أ) .

(٣) في الأصل : « فهو » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٤) الحديث في جامع الأصول : ٥٠/٤ ، وتخريجه ثمة .

٢٣٧ - أرغون الأمير سيف الدين الكامل*

نائب حلب ، ونائب دمشق ، ذو وجه طَبَعَ البدر على سِكَتِهِ ، وقد لاشك أن قلب المحب يذوب من شكتِهِ ، وعيون سبحان من أبدعها ، عروة ليس لها زرسوى السحر ، وثغر يتمنى لو كان مثله ما يرصع في التاج أو يتحلّى به النحر ، يفتن من يراه ، ويعترف بالربوبية لمن برّاه ، حفظ لإيمانه أيمانه ، وخاف ربّه فما نكث عهده ولا خانته ، ورعى مِنْ وَرَعِهِ سلطانه ، وقع بالمروءة شيطانه ، لأنّ يبيغاروس لما خرج على السلطان وبغى ، وطفّ ماءً تمرده ، وطفى ، راسله في الباطن بالباطل مراراً ، وقتل^(١) في ذروته والغارب نهراً جهاراً ، ووعدّه بأنّه لا يغيّر عليه في دمشق أمراً من النيابة ، وأن يكون شريكه في المهانة والمهابة ، وطالت الرسائل بينهما ، ولم يرفيه مغمراً يلين ، وتحقق ببيغا أنه من الصابرين عليه والصائلين ، فأعياه انقياداً لمرامه ، وعلم أنّ بازيه لا يحوم حول حياه ولا يسف^(٢) على حَمَاه ، فنكص عنه خائباً ، وكر نجمه عنه كاسفاً غائباً .

وكان كثير السكون ، راجح الميل إلى العدل والركون ، لا يدخله في أحكامه غيظ ولا حرج ، ولا يبالي أدخل الحقّ على نفسه أو خرج ، يعرف القضية من أول ما ينهى إليه أمرها ، ويستشف الحقّ في فضلها إذا أشبّ الباطل جمرها ، لا يغيب عن ذهنه واقعة جرت ، ولا يسير عن ذهنه قضية انتقضت أو سدت :

يُحَدِّثُ عَمَّا بَيْنَ عَادٍ وَبَيْنَهُ وَصَدَّغَاهُ فِي خَدَّيْ غَلَامٍ مُرَاهِقٍ
وَمَا الْحَسَنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرْفًا لَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فَعْلِهِ وَالْخُلَائِقِ^(٣)

* الوافي : ٣٥٦/٨ ، وتحفة ذوي الأبواب : ٢٨٦/٢ ، والدرر : ٣٥٢/١ ، والشذرات : ١٨٤/٦ ، والمنهل الصافي : ٣١٩/٢ .

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَ(أ) ، وَفِي (خ) : « فَتَكَ » .

(٢) أَي : لَا يَدْنُو .

(٣) (أ) : « شَرَفَ لَهُ » . وَفِي (أ) وَ(خ) : « فِي وَجْهِهِ » .

ولم يزل أرغون الكامل في محاق وكال ، وزيادة وزوال إلى أن :

قصدتُ نحوهُ النيةَ حقً وهبتُ حسنَ وجهه للتراب

أول ما أنشأه الملك الصالح إسماعيل ، وزوجه أخته من أمه بنت الأمير سيف الدين أرغون العلائي ، وذلك في سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، [وجهه ^(١)] عقيب زواجه إلى الأمير بدر الدين جنكلي ، وقال : انزل ^(٢) إلى الأمير بدر الدين ، وقبل يده ، فحضر إليه وكنت جالساً عنده ، فلما دخل إليه أعظمه وبجله وبش له ^(٣) وهش ، وأجلسه ، وأحضر له قبا بطرز زركش وألبسه إياه ، ولم يكن الأمير بدر الدين ممن يهوى المرد ، ولا يميل إليهم ، فلما خرج من عنده ، قال لي : رأيت ما أحسن وجه هذا وعيونه ^(٤) ، فقلت له : نعم ، رأيت ، ونعمَ مارأيت .

وكان يُعرف في حياة الصالح إسماعيل بأرغون الصُغِير ، فلما مات الصالح رحمه الله تعالى ، وتولَّى المُلْكُ أخوه الملك الكامل شعبان أعطاه إمرة مئة وتقدِّمة ألف ، ونهى أن يدعى أرغون الصُغِير ، وسُمِّي أرغون الكامل .

ولما مات الأمير سيف الدين قُطْلُيْجَا الحموي في نيابة حلب ، رسم الملك الناصر حسن له نيابة حلب ، فوصل إليها يوم الثلاثاء خامس عشر شهر رجب الفرد سنة خمسين وسبع مئة ، وعمل النيابة بها على أحسن ما يكون من الحرمة والمهابة ، وخافه التركان والعرب ، ومشت الأحوال بها ، ولم يزل بها ^(٥) إلى أن جاءه الأمير سيف الدين كُجُك الدوادار الناصري ، بأن يخرج ويربط الطرقات على أحمد الساقى نائب صفد ،

(١) زيادة من (أ) و (خ) .

(٢) في الأصل : « اترك » تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٣) (أ) ، (خ) : « إليه » .

(٤) (خ) : « وعينه » .

(٥) ليست في (خ) والوافي .

فبرز إلى قرنبيا ، فأرجف يامساكه ، فهرب منه الأمير شرف الدين موسى الحاجب بحلب وغيره ، ثم إن جماعة من الأمراء لحقوا بالحاجب ، وأوقدوا النيران بقلعة حلب ، ودقوا الكوسات ^(١) ، ونادوا في الناس لينهبوا طلبه ، ومامعه ، فتوجّه إلى المعرة ، وكتب إلى الأمير سيف الدين طاز يرق نائب حماه ^(٢) ، فلم يجد عنده فرجاً ، فرد طلبه ، ونقله إلى حلب ، وتوجّه على البريّة ^(٣) إلى حصص في عشرة ممالك ، وقاسى من التركان شدة .

ثم إنه ركب من حمص هو ونائبها الأمير ناصر الدين محمد بن بهادر أص في ثلاثة ممالك ، ودخل دمشق يوم الجمعة سابع عشرين الحجة سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، فجهّز نائب الشام الأمير سيف الدين أيتمش الحاجب إليه ، وابن أخته الأمير سيف الدين قرابغا بقاء أبيض فوقاني بطرز زركش ومركوب مليح ، ودخل إليه ، وأقام عنده بدار السعادة إلى بكرة السبت ثاني يوم ، وجهزه إلى باب السلطان صعبة قرابغا المذكور ، والأمير سيف الدين أدمر السليمانى الحاجب ، وكتب على يدها مطالعة بالشفاعة فيه ، ولما وصل إلى لد ^(٤) تلقاه الأمير سيف الدين طشبقا الدوادار ، ومعه له ^(٥) أمان شريف ^(٦) مضمونه ^(٧) أنه ما كتبنا في حقك لأحد ، ولأننا نيّة في أذاك ، فإن انتهيت تستمر في نيابة حلب ، وإن انتهيت نيابة غيرها ، وإن أردت أن تحضر إلينا كيفما أردت عملنا معك . فعاد معه طشبقا الدوادار إلى مصر ، وأقبل السلطان عليه ، وأنعم عليه ، وأعادته إلى حلب .

(١) هي صنوج من نحاس .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) (خ) : البريد ، ولعلها أشبه .

(٤) في المنهل : « لدرملة » .

(٥) ليست في (خ) .

(٦) زاد في (أ) ، (خ) ، والوافي : « ومثال شريف » .

(٧) في الأصل : « مضمومه » تحريف .

فوصل إلى دمشق ومعه طشبقا الدوادار ، وأصبح^(١) يوم الاثنين جلس في دار العدل إلى جانب قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وظهر نائب حلب إلى قاضي القضاة الحنفي وغيره ، وقام^(٢) من الخدمة ، وتوجّه إلى الجامع الأموي ، وصلى فيه^(٣) ركعتين ، ودخل إلى خاتقاه السمساطي . ولما كان عصر الخدمة خلع نائب دمشق عليه قباء بطرز زركش ، وفرساً حسناً بسرجه ولجامه ، وكنفوشة الذهب .

وتوجّه بكرة الثلاثاء إلى حلب ، وصحبته ابن ازدمر^(٤) مفيداً لأنه كان طُلب من حلب لما شكاه للسلطان ، فرّد معه من الطريق ، ولما وصل إلى حلب تلقاه الناس بالشموع إلى قنّشرين وأكثر ، ودخلها دخولاً عظيماً ، ووقف في سوق الخيل ، وعزّى زكري البريدي ، وأراد توسيطه ، ونادى عليه هذا جزاء من يدخل بين الملوك بما لا يعنيه ، فنزل طشبقا وشفع فيه ، فأطلقه ، وأحضر ابن ازدمر النوري ، وقال : قد رسم لي السلطان أن أستمرك وأقطع لسانك ، ولكن ماأواخذك ، وأطلعه إلى قلعة حلب ، وأقام على ذلك إلى أن عزل الأمير سيف الدين أيتش من نيابة دمشق في أول دولة الملك الصالح صالح ، فرسم للأمير سيف الدين أرغون نيابة الشام ، فدخل الشام^(٥) بطلبه في نهار الاثنين حادي عشر شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وكان قد قدم من مصر لإحضاره الأمير سيف الدين ملكبتر المحمدي ، فأقام في نيابة دمشق ، وهو منكدر الخاطر ، ولم يصف له بها عيش ، وجهاز دواذره الأمير سيف الدين ططّق^(٦) يستعفي من النيابة ، وأن يكون في باب السلطان من جملة الأمراء ، فما أجيب إلى ذلك .

(١) كذا ، وعبارة الوافي : « فلما كان يوم الأحد .. وصل .. وأصبح » .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) في الأصل : « عليه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٤) محمد بن ازدمر النوري ، أحد أمراء حلب . (الوافي : ٣٥٧/٨) .

(٥) (أ) ، (خ) ، والوافي : « إلى دمشق » .

(٦) ستأتي ترجمته .

ولم يزل بدمشق مقيماً إلى أن خرج بيبغاروس وأحمد الساقى نائب حماة وبكلمش نائب طرابلس على السلطان الملك الصالح ، واجتمعوا وجروا العساكر وجاءوا إلى دمشق ، فلما بلغه حركة المذكورين حلفَ عسكر دمشق للسلطان^(١) الملك الصالح ولنفسه في العشر الأول من شهر رجب ، وهو مقيم في القصر الأبلق ، وكتب أمر نفسه وما يفعله ، وأظهر أنه يتوجه بعسكر دمشق ، ويقم بهم على خان لاجين ، فوصل إليه الأمير عز الدين طقطاي الدوادار ومعه ملطفات إلى أمراء دمشق وحلب وطرابلس وحماة بعزل نوابها ، وأنهم إن حضروا إلى دمشق مخفّين يجهّزهم نائب الشام إلى باب السلطان ، وإلا فليسكوا ويقيدوا ، وكان وصول الدوادار في سادس عشر شهر رجب سنة ثلاث وخسين وسبع مئة .

وفي حادي عشري شهر رجب نادى في العسكر بالخروج إلى خان لاجين ، وأنهم في بكرة النهار يجتمعون في سوق الخيل ، ليتوجهوا أمامه ، وكان هذا رأياً صالحاً حميداً ، ولم يعلم أحد بما في ضميره ، فلما اجتمع الناس خرج لهم الأمير علاء الدين علي بن بيبرس الحاجب ، وقال : بسم الله ، توجهوا إلى مصر ، فسقط في أيدي الناس ، وتوجهوا أمامه إلى جهة الكسوة ، وهو ساقه لهم ، ولم يزل بهم سائراً ليلاً ونهاراً إلى أن وصل بهم إلى لد ، فخيم بها^(٢) وأقام .

وقلت أنا وقد خرجت معه بغتة :

خَرَجْنَا عَلَى أَنَّا نَلَاقِي عَسَكْرَا أَتَى بَيْنُنَا فِيهَا عَلَى خَانَ لَاجِينَ^(٣)
فَلَمْ نَدْرِمِنْ تَعْتِيرِنَا وَقَطُوعِنَا بَأَنفُسِنَا إِلَّا بِأَرْضِ فِلَسْطِينَ

(١) في الأصل : « السلطان » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٢) في الأصل : « بهم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ق) .

(٣) (أ) ، (ق) : « عساكر » .

وقلت أيضاً أتشوق إلى ولدي^(١) :

أيا ولدي وافاني البينُ بَغْتَةً وبددَ شملاً قد تنظّم كالعقيدِ
فسرتُ وما أعددتُ عنك تجلّداً لقلبي ولا حدثتُ نفسي بالبعد

وفي رابع عُشري^(٢) شهر رجب نزل بيبغا^(٣) بمن معه على خان لاجين ، ودخل دمشق مُطلباً ، ونزل على قبة يلبغا بمن معه بأحمد الساقى نائب حماة ، وبكلمش نائب طرابلس ، وألطنغا بَرناق نائب صفد ، وقراجا بن دُلغادر ومن معه من التركان ، وحيّار بن مهنا^(٤) . وبعد ثلاثة أيام توجه أحمد الساقى بألف وخمس مئة فارس ، وأقام على الزيريب ، وجرى في دمشق ما لاجرى في أيام غازان ، ونهب المرج والغوطة وبلادها^(٥) ، ونهبت بلاد حوران ، ونهبت البقاع ، وسبيت^(٦) الحرير ، وافتضت الأبقار ، وقطعت الأذان بجلقها ، وأخذت الأموال .

ولم يزل الأمير سيف الدين مقبلاً على لدّ بعساكر دمشق إلى أن وصل الأمير سيف الدين طاز في خمسة آلاف من عسكر^(٧) مصر ، وأقام على ظاهر لدّ ، وكثرت الأراجيف بما يفعله من مع بيبغا^(٨) من التركان من الأذى في دمشق ، فقلت أنا أذكر أولادي :

أخرجني المقدور من جلق عن طيب جنّات جنّيات^(٩)

(١) قوله : « أتشوق إلى ولدي » ليس في (أ) .

(٢) (خ) : « عشرين » .

(٣) (أ) : « بيبغاروس » .

(٤) حيّار بن مهنا بن عيسى ، أمير عرب آل فضل بالشام ، (ت ٧٧٦ هـ) . الدرر : ٨١/٢ ، إنباء الغمر ٨٩/١ ، الذيل التام ٢٧٩ .

(٥) (ق) : « وبلادها » . وعبرة (خ) : والغوطة وبلاد حوران .

(٦) (ق) : « وسبي » .

(٧) (خ) : « وعسكر » .

(٨) (أ) : « بيبغاروس » .

(٩) (أ) ، (ق) ، (خ) : « عن جلق » .

فإن أعد يوماً لها سالماً فهو بنيّات بُنيّاتي

وقلت وقد زاد الإرجاف ^(١) بأن يبيغا تقدم بمن معه من العساكر إلى الكتيبة :

قد ضجرنا من المقام بلدٍ بلدٍ ما طباعه مثل طبعي

كلما قيل لي كتيبة جيش قد أتت للكتيبة اضطك سمعي

فتراني مغيراً من سقامي ونحولي وفي المزيريب دمعي ^(٢)

وقلت ، وقد زاد الذباب علينا بلدً من طول مقام العساكر في منزلتها :

لقد أتاننا ذباب لُدُّ بكل حتفٍ وكل حتفٍ

وقيل : هذا ذباب صيف فقلت : لابل ذباب سيف

وفي يوم الجمعة ثاني عشري شعبان وصل السلطان الملك الصالح صالح بالعساكر

المصرية إلى منزلة بدعرش ^(٣) ، وتلقاه الأمير سيف الدين أرغون بالعساكر إلى قرية يُبْنَى ^(٤) .

وفي يوم السبت توجهت العساكر الشامية إلى دمشق في ركاب أرغون الكامل ،

وخرج الأميران سيف الدين شيخو ^(٥) ، وسيف الدين طاز على أثرهم ، ودخل النائب إلى دمشق يوم الثلاثاء .

وفي يوم الخميس مستهل شهر رمضان دخل السلطان إلى دمشق ، وكان يبيغا ومن

معه لما تحققوا خروج السلطان من مصر اتقلبوا على عقبهم ناكسين - على ما تقدم في

(١) (أ) : « زادت الأراجيف » .

(٢) هذا البيت ليس في (أ) .

(٣) (أ) : « بدعرش » ..

(٤) بليّة قرب الرمله . معجم البلدان ٤٢٨/٥ .

(٥) (خ) : « سنجر » ، تحريف ، وكذا في المواضع التي ورد فيها الاسم مما يأتي .

ترجمة أحمد ، وعلى ماسيأتي^(١) في ترجمة بيبغا - ثم إنَّ شيخو وطاز وأرغون الكاملي توجهوا بالعساكر إلى حلب . وورد بعد ذلك كتاب ابن^(٢) دلغادر يقول فيه : إن بيبغا وأحمد وبكلمش جاؤوا عندي^(٣) على فرس فرس ، ولم يكن معي مرسوم بإمساكهم ، وباتوا عندي ليلة ، وتوجهوا إلى البلاد الرومية ، ثم إنَّ العساكر أقامت على حلب ، واتفق الأمير سيف الدين شيخو والأمير سيف الدين طاز على إقامة الأمير سيف الدين أرغون الكاملي في حلب نائباً لصدِّ هذا الثغر في هذا المهم ، وكتبوا إلى السلطان بذلك ، فكتبت له تقليده^(٤) بذلك من دمشق ، وجُهِزَ إلى حلب ، وأمروا جماعة من مماليكه طبلخاناه ، وجماعة عشرة ، وذلك في خامس عَشْرِي شهر رمضان ، وعادت العساكر إلى دمشق ، ودخل شيخو وطاز إلى دمشق يوم الجمعة سلخ شهر رمضان ، وأصبح العيد يوم السبت .

وفي سابع شوال توجه السلطان بالعساكر المصرية إلى مصر ، ولم يزل الأمير سيف الدين أرغون بحلب نائباً إلى أن حضر أحمد وبكلمش إلى حلب مقيدين ، وحُزَّت رؤوسهما ، وجُهِزَتْ^(٥) إلى باب السلطان - على ما تقدّم في ترجمة أحمد ، وسيأتي في ترجمة بكلمش - ثم إنّه بعد ذلك حضر بيبغاروس مقيداً إلى حلب ، وحُزَّ رأسه ، وجُهِزَ إلى باب السلطان - على ماسيأتي في ترجمته - ثم إنَّ الأمير سيف الدين أرغون الكاملي توجه بعسكر حلب ، ومعه الأمير عز الدين طقطاي الدوادار خلفَ ابن دلغادر ، ووصل إلى الأبلستين^(٦) وحرّقها ، وحرّق قراها ، ودخل إلى قيصرية ، وهرب ابن دلغادر ،

(١) قوله : « في ترجمة .. ماسيأتي » سقط في الأصل .

(٢) (أ) : « من ابن » .

(٣) (أ) ، (خ) ، (ق) : « إلى عندي » .

(٤) (أ) ، (خ) ، (ق) : « تقليداً » .

(٥) خ : « رأساها ، وجهزتا » .

(٦) قال ياقوت : « مدينة مشهورة ببلاد الروم ، وهي الآن بيد المسلمين » . معجم البلدان : ٧٥/١ .

واتصل بمحمد بك^(١) بن أرتنا^(٢) ، وعاد الأمير سيف الدين أرغون الكاملي إلى حلب ، ودخلها يوم الثلاثاء خامس شهر رجب سنة أربع وخمسين وسبع مئة ، وقاسى هو والعساكر شدائد وكابدوا أهوالاً ، ومَشَى هُوَ بنفسه في تلك المضائق ، ثم إنَّ ابن دلغادر وصل إلى حلب ، وجَهَّزَ منها إلى مصر مقيداً ، وجَرَى له ما جَرَى ، على ما يأتِي ذِكْرُهُ في ترجمته .

ولم يزل الأمير سيف الدين أرغون على حاله نائباً بحلب إلى أن خلع الملك الصالح صالح ، وأعيد الملك الناصر حسن في بكرة الاثنين ثاني عيد الفطر سنة خمس وخمسين وسبع مئة ، وطَلَبَ الأمير سيف الدين أرغون الكاملي إلى باب السلطان ، وحضر الأمير سيف الدين طاز عوضه نائباً بحلب^(٣) ، وذلك في أواخر شوال . وأقام أرغون الكاملي بالديار المصرية أمير مئة ، مقدم ألف إلى تاسع صفر سنة ست وخمسين وسبع مئة فأمسك بالقلعة ، وجَهَّزَ إلى الاسكندرية ، واعتقل هناك . ولم يزل هناك معتقلاً وعنده زَوْجُهُ إلى أن أُفْرِجَ عنه ، ورُسِمَ له بالحضور إلى القدس الشريف ليكون به مقيماً ، وحصل له ضعف ، وأثقل في المرض ، وعوفي بعد مدة . وبَنَى بالقدس تربة حسنة .

وكان قد عزم على الحج في سنة ثمان وخمسين ، فرض أيضاً ، وأفطر شهر رمضان ، فبطل الحج ، ولم يزل إلى أن توفي رحمه الله تعالى في يوم الخميس خامس عشرين شوال ، ودفن في تربته ، ولم يكمل عمارتها ، وخسف الموت من أرغون الكاملي بדרه الكامل ، وبَتَّ شمل سعده الشامل^(٤) .

(١) (أ) ، (خ) ، (ق) ، والدرر : « بك » .

(٢) صاحب الروم ، أقام بمصر واستعان بالملك الأشرف ، فأعانه على استرداد ملكه في مملكته في بلاد الروم (ت ٧٩٢ هـ) . والدرر : ٣٧٨/٤ .

(٣) (أ) : « إلى حلب » .

(٤) (خ) : « الكامل » . سهو .

وأظن مولده في سنة تسع وعشرين^(١) وسبع مئة .

وكنت قد كتبت إليه قصيدة ، وهو مجلب أذكر فيها انتصاره على بيغنا وأحمد
وبكلمش ، وهي :

قد توالى النصر الذي قد تغالى في ملكٍ أَرْضَى الإله تعالى^(٢)
وحمى الملك والممالك والدين وقاد الجيوش والأبطال
الأمير المهيّب أرغون ذو البأس س الذي عزمه يدك الجبالا^(٣)
سار من جلق إلى لُدْما أن بغى بيغنا ورام القتالا
لم يَسِرْ خِيفَةً وَكَيْفَ يَخَاف الليثُ يوماً إذا تراءى الغزالا
خاف سفك الدماء في رجب الفر د ، وسفك الدماء كان ضلالا
وتأتى في لُدْ يرجو لقاءهم بثبات لا يعرف الترحالا
فهو فيها ليثٌ بغاب سلاح كان يئُضاً بُتْراً وسُترا طوالا
وهم عاجزون لم يتنَحَّوا عن مكان فيه أقاموا كُسالى
فتخلّى الشيطان عن كلّ غاوي وانشى خائباً وولى القذالا
من يخون الإيمان كيف يلقي بَدْرُهُ في دجى النفاق كمالا
نكت العهد مائلاً لفجور هو عندي لو استحى ما استحالا
أضعف الرعب قلوبهم فتولّوا خِوراً ثم زلزلوا زلزالا
ثم باتوا ما أصبحوا مثل ظل نَسَخْتُهُ أيدي الضياء فزالا
قطعوا البید لا يُدَيرون وجهاً ليردّوا الغضنفر الرئبالا
تركوا المال مائلاً لسواهم وأضاعوا الحريم والأموالا
أمطرتهم قسيه وبلّ نبّل ملأت سائر الوهاد وبالا

(١) قوله : « وعشرين » ليس في (أ) .

(٢) (خ) : « قد تعالى » . تصحيف .

(٣) قوله : « ذو البأس » سقط من (خ) ، وفي أ : ذا البأس .

ما استقرّوا في منزل قطّ إلا
 شَبَعُوا غُرْبَةً وفقرًا وذلاً
 وأتوا خاضعين ذلاً وعجزاً
 بوجوه قد سودتها المعاصي
 ثم حُزّت رؤوسهم بسيوف
 فاشتفى المسلمون منهم وقرّت
 هكذا هكذا جزاً من تعدى
 يامليكَ له الإله مراعٍ
 إنّ ربّاً أعطاك نصراً عزيزاً
 هو يُؤليكَ ما تحاول منه
 أوحشت منك جلق فهي تشكو
 أنت باهيت حسنّها بمحيّا
 ثم كثرت شهها بالأيادي
 وكستها أخلاقك الغرّ لطفاً
 هي ذاقت من حكك الفصل عدلاً
 فلك الله حافظ حيثما كنت لتُفني من العدا الآجالا
 وبهم قد نبا وضاق مجالا
 وهواناً وروعاً وسؤالاً
 يحملون القيود والأغلالا^(١)
 نحو وجه من نوره يتللا
 ليس يدري المضاء منها كلالا
 أعينّ مارأت زماناً خيالا
 وبغى هكذا وإلاّ فللا^(٢)
 في جميع الأمور حالاً فحالا
 وكسا وجهك الجميل جالا^(٣)
 في المعالي وتبلغ الأمالا
 فيك شوقاً تراه داء عضالا
 جعل البدر من حياء هلالا
 فلا جودك الأكفّ نوالا
 منه مادّ القضيّب لطفاً ومالا
 صار في قامة الرماح اعتدالا
 فلك الله حافظ حيثما كنت لتُفني من العدا الآجالا

٢٣٨ - أرقطاي*

الأمير سيف الدين المعروف بالحاج أرقطاي . من ممالك الأشرف^(٤) . جعله الملك

(١) (أ) ، (خ) : « صائعين » .

(٢) (خ) : « جزى » .

(٣) (أ) ، (خ) ، (ق) ، « جلالا » .

* الوافي : ٣٦١/٨ ، والبداية والنهاية : ٢٣٢/١٤ ، والدرر : ٣٥٤/١ ، خطط المقرئزي ٤٠/٢ ، والمنهل الصافي : ٣٢٨/٢ .

(٤) في المنهل : « الملك الناصر محمد بن قلاوون » .

الناصر جَمْدَاراً ، وكان هو والأمير سيف الدين آيتش^(١) نائب الكرك بينهما أخوة .
وكانا في لسان الترك القبجاق فيصحين ، وكانا يُرجع إليهما في الياسة التي هي بين
الأتراك .

ولما خرج الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - خرج معه الحاج أرقطاي
والأمير حسام الدين البشمقدار^(٢) ، فحضر الثلاثة على البريد ، ولما كان بعد قليل بلغ
تنكز أن الأمراء بدمشق يتوجهون بعد الخدمة إلى دار الحاج أرقطاي ويأكلون على
سماطه ، فاحمل ذلك تنكز ، وكتب إلى السلطان فأخرجه إلى حصص نائباً في يوم
الأحد سابع شهر رجب سنة ست عشرة وسبع مئة ، وأعطى خبز يبيرس العلاني
وماليكه وحاشيته ، فأخذهم عنده ، وأقام بمحص مدة . ثم إنه رُسم له بنيابة صفد ،
فحضر إليها في سنة ثمان عشرة وسبع مئة في جمادى الأولى بعد إمساك طغاي^(٣) الكبير
بها فيما أظن ، فأقام بها ، وعمر بها دوراً وأملاكاً ، وتوفيت زوجته ابنة الأمير
شمس الدين سنقرشاه^(٤) المنصوري . وبنى لها^(٥) تربة شمالي الجامع الظاهري ، وهي
تربة حسناء بالنسبة إلى عمائر صفد ، وصار بها للجامع رونق لم يكن له أولاً .

وأعطى ولده أمير علي طبلخاناه ، وولده إبراهيم أمير^(٦) عشرة بعد ما طلبها .
السلطان بسفارة الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - وأمرها^(٧) عنده بدمشق ،

(١) في الوافي : « أوتامش » .

(٢) في الوافي : « حسام الدين طُرفطاي البشمقدار » ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في الأصل : (طغا) ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى والوافي . وستأتي ترجمته .

(٤) ستأتي ترجمته .

(٥) في الأصل : (بها) وأثبتنا ما في النسخ الأخرى والوافي .

(٦) (أ) ، (خ) ، (ق) : « إمرة » .

(٧) (أ) : « وأقرها » .

وأقاما عنده^(١) مدة ، ثم إنه جهّزها إلى صفد ، وكان في الآخر قد حنا عليه حنواً كثيراً^(٢) .

ولما كان في سنة ست وثلاثين وسبع مئة طُلب الأمير سيف الدين أرقطاي إلى مصر ، وجُهِز الأمير سيف الدين أيتش [أخوه]^(٣) مكانه نائباً بصفد ، وأقام الحاج أرقطاي بمصر مقدم ألف .

ولما توجه العسكر إلى أيّاس جُهِز إليها في جملة الأمراء ، وحضر من هناك ، وأقام بالقاهرة يعمل نيابة الغيبة إذا غاب السلطان في الصيد ، فلما قدّر^(٤) واقعة تنكز وإمساكه ، حضر مع مَنْ حضر من الأمراء صحبة الأمير سيف الدين بشتاك ، ثم إنه رُسم له بنيابة طرابلس عوض الأمير سيف الدين طينال^(٥) ، فتوجه إليها ، ولم يزل بها مقياً إلى أن توجه ألطنبغا إلى طشتمر نائب حلب ، وكان الحاج أرقطاي بعسكر طرابلس مع ألطنبغا ، وتوجهوا إلى حلب ، وعادوا ، وجرى ماجرى من هروب ألطنبغا إلى مصر ، وكان الحاج أرقطاي معه ، فأمسك واعتقلاً بالإسكندرية . ثم^(٦) أُفرج عن الحاج أرقطاي في أول دولة الصالح إسماعيل بوساطة الأمير سيف الدين ملكتر الحجازي ، وجُعِل كما كان أولاً بالقاهرة من جملة الأمراء المشايخ المقدمين ، وأقام على ذلك إلى أن توفي الملك الصالح ، وتولى الملك الكامل شعبان ، فرسم له بنيابة حلب عوض الأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي ، فحضر إليها في جمادى الأولى سنة ست وأربعين وسبع مئة ، فأقام بها تقدير خمسة أشهر ، ثم طُلب إلى مصر ، وجُهِز إلى حلب .

(١) قوله : « وأقاما عنده » ليس في (أ) .

(٢) (أ) ، (خ) ، والوافي : « كبيراً » .

(٣) زيادة من النسخ الأخرى والوافي .

(٤) في الوافي : « كانت » .

(٥) ستأني ترجمته .

(٦) (ق) : « ثم إنه » .

الأمير سيف الدين طَقْتَمَر طاسه^(١) نائب حماة . فتوجه الحاج أرقطاي إلى مصر ، وأقام بها قليلاً إلى أن خَلَعَ الكاملِي ، وتولى الملك المظفر حاجي ، فرَسَمَ له بناية مصر .

ولم يزل في نيابة مصر إلى أن خَلَعَ المظفر ، وتولَّى الملك الناصر حسن ، فطلب الإعفاء من مصر ، وأن يعود نائباً ، فرسم له بذلك ، فوصل إلى دمشق في رابع عشر شوال سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، ولم يزل بها مقيماً إلى أن قتل أرغون شاه ، فرسم للحاج أرقطاي نيابة دمشق ، ففرح أهل دمشق به ، وتوجهوا إليه إلى حلب وما دونها ، فاستعدَّ لذلك ، وخرج في طُلُبِهِ وحاشيته ، وكان قبل ذلك^(٢) قد حصل له حَمَى ، ثم إنه حصل له إسهال ، فنزل^(٣) إلى منزلة عين المباركة ظاهر حلب ، مرَّةً يركب الفرس ، وإذا أثقل في المرض ركب في المحفَّة ، إلى أن حَمَّ له الأجل ، وتلوَّن له وجه الحياة تارة بالوجل وتارة بالخلجل .

وكانت وفاته - رحمه الله تعالى - عصر الأربعاء خامس جمادى الأولى سنة خمسين وسبع مئة بعين المباركة . فعاد الناس خائبين ، وعاجوا^(٤) بعد الفرح بالترح آيين .

وكان - رحمه الله تعالى - ذكياً فطناً ، محجاجاً لَسِناً ، مع عجمة في لسانه ، وعقدة في بيانه . وله التنديب المطبوع ، والتندير الذي فيه الظرف مجموع ، مع ميل شديد إلى الصور الجميلة ، والقامة المديدة مع الوجنة الأسيلة ، لا يكاد يملك نفسه إذا رأى العين النَّفَّاثَةَ ، والجفون الحَوَّانَةَ النَّكَاثَةَ ، والمباسم الفلج ، والحواجب البلج . ونفسه زائدة الكرم في المأكول ، وسماطه دائماً ممدود لمن أمره إليه موكول . وأظنه عدَّى السبعين .

(١) ويُعرف بطقتمر الأحمد (ت ٧٤٧هـ) . الدرر : ٢٢٤/٢ .

(٢) (أ) ، (خ) : « ذلك الوقت » .

(٣) (أ) ، (خ) : « فوصل » .

(٤) (أ) : « وعادوا » .

وأشددني بحماة من لفظه لنفسه الشيخ شمس الدين محمد بن علي الغزي بحماة^(١) تاسع جمادى الأولى سنة خمسين وسبع مئة :

قالوا: أَرْقُطَاي مات، قلت: وهل في الموت بعد الحياة من عجب
مامات مِن قَرْحَةٍ بنقلته بل مات من حُزْنِهِ على حلب^(٢)

اللقب والنسب

الأرمنتي :

- الحسين بن الحسين .
- وكمال الدين عبد الباري .
- وكمال الدين عبد الرحمن بن عمر .
- وتقي الدين عبد الملك بن أحمد .
- وجمال الدين محمد بن الحسين .
- وشرف الدين محمد بن عبد الرحيم .

الأرموي :

- محمد بن إبراهيم .
- وصدر الدين محمد بن الحسن .
- وصفي الدين محمود بن أبي بكر .

٢٣٩ - أروم بُغا*

الأمير سيف الدين الناصري .

(١) ليست في (أ) ، (خ) . والغزي توفي (٧٦١ هـ) . الدرر : ٨٧/٤ .

(٢) المنهل الصافي : ٢٢٨/٢ .

* الوافي : ٣٦٦/٨ ، والمنهل الصافي : ٣٣٥/٢ ، وفيه : « أرنبغا » .

لَمَّا تَوَفَّى الْمَلِكُ النَّاصِرَ ، وَوُفِّرَ الْأَمِيرُ رُكْنَ الدِّينِ بِيَبْرَسَ الْأَحْمَدِي مِنْ وَظِيفَةِ أَمِيرِجَانْدَارٍ^(١) ، أُقِيمَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَرُومُ بَغَا مَكَانَهُ أَمِيرِجَانْدَارَ ، وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ مَلَكَ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ ، فَرَسَمَ لَهُ بَنِيَابَةَ طَرَابِلُسَ ، فَحَضَرَ إِلَيْهَا عَوْضاً عَنْ الْأَحْمَدِي الْمَذْكُورِ ، وَأَقَامَ بِطَرَابِلُسَ قَلِيلاً ، تَقْدِيرَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرَ ، إِلَى أَنْ بَاتَ فِي الثَّرَى مُوسِداً ، وَأَصْبَحَ عَلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ مُحَسِّداً .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

وجاء بعده الأمير سيف الدين طوغاي الجاشنكير ، الآتي ذكره - إن شاء الله تعالى - في حرف الطاء مكانه .

وكان الأمير سيف الدين أروم بغا شكلاً كاملاً ، إلى الخير مائلاً ، محسناً إلى مَنْ يعرفه ، مجتهداً على مال ينفقه ويصرفه . محبوب الملتقى ، قريب المستقى ، باراً بأصحابه ، فاراً من الأذى واقتربه . وأحد الناس أمره في وظيفته بمصر لَمَّا باشرها ، وخالطها بالحسن وعاشرها ، إلى أن توجه لنيابة طرابلس على ماتقدم .

٢٤٠ - أَرْبُكُ بْنُ طَقْطَايَ*

القان بن القان ، صاحب بلاد أَرْبُكُ ، مملكته شماليّنا بشرق ، وهي من بحر قسطنطينية إلى نهر أَرْبُسَ مسافة ثمان مئة فرسخ ، وعرضها من باب الأبواب إلى مدينة بلغار وذلك نحو ست مئة فرسخ ، ولكن أكثر ذلك مراعي^(٢) وقرى . ولها في أيديهم ما ينيف على المئة سنة .

(١) لقب الذي يستأذن على الأمراء وغيرهم في أيام المراكب عند الجلوس بدار العدل . ويعني اللفظ الأمير المسك للروح ، أي الحافظ للسلطان ، فلا يأذن بالدخول عليه إلا لمن يثق به .

* الوافي : ٣٦٧/٨ ، والدرر : ٣٥٤/١ ، والنهل الصافي : ٣٤٣/٢ .

(٢) كذا في الأصول ، والوافي .

كان ذا بأس وإقدام ، وعبادة في الليل ^(١) في المحراب ، وصف أقدام . لمّا أسلم أسلم بعض رعيته ، وعاملهم بحسن المعية . لم يلبس سراقوجا ولا شيئاً من شعارهم ، ولا رغب في درهمهم ولا دينارهم . يلبس حياصة فولاذ من غير ذهب ، ويقول : الذهب حرام على الرجال وقد وجب . وكان يؤثر الفقراء ويحبهم ، ويحانب من يُعرض عنهم ويسبهم ، يتردد إلى بعض الصوفية ويقول له : أشتي لو قتلت ، فيقول له ذلك الصوفي : لأي شيء ؟ قال : لأنكم تقولون : إن جميع من ^(٢) في ملكي أذاه ^(٣) متعلق بعنقي .

كان السلطان الملك الناصر قد خطب ابنته ، وقيل ^(٤) : أخته ، وأجاب إلى ذلك ، وجعلها في البحر إلى إسكندرية ، وتوجه القاضي كريم الدين لللتقاها إلى الإسكندرية ، وعمل لها ضيافة في الميدان تحت القلعة ، وبعد ذلك طلعت إلى القلعة ، وجرى في أمرها ما جرى ، وتوهم السلطان أنها ليست من بنات أزبك فهجرها وزوّجها بالأمير سيف الدين منكلي بغا السلاح دار ^(٥) ، فتوفي عنها ، فزوّجها بالأمير سيف الدين صوصون ^(٦) أخى قوصون ، فتوفي عنها ، فزوّجها ابن الأمير سيف الدين أرغون النائب .

ولم يزل القان أزبك على حاله إلى أن خانتته أم دَرّ ^(٧) ، وامتلأفه وعينه بالعفر . وكانت وفاته سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة . ومدة ملكه اثنتا عشرة سنة .

(١) قوله : « في الليل » ليس في (أ) .

(٢) (خ) : « ما » .

(٣) ليست في (خ) .

(٤) (أ) : « أو » .

(٥) منكلي بغا بن عبد الله الناصري ، (ت ٧٣١ هـ) .

(٦) توفي سنة (٧٣٤ هـ) .

(٧) هي الدنيا .

٢٤١ - أزدَمَر *

الأمير عز الدين العلائي .

كان أميراً كبيراً ، أثيلاً في المكانة أثيراً ، عديم المعرفة والفهم ، فارس الخيل مامثله شهم ، شرس الأخلاق ، صعب المراس على الإطلاق .

لم يزل بدمشق على حاله ^(١) إلى أن ظفرت به اليد الغالبة ، والداهية التي هي للنعم سالبة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في ذي القعدة سنة ست وتسعين وست مئة . وصلي عليه بجامع بني أمية . وحضر جنازته نائب السلطنة والأمراء ، ودُفن داخل دمشق عند مسجد ابن فريدون ^(٢) من نواحي مؤذنة فيروز .

وهو أخ الحاج علاء الدين طيبرس ^(٣) .

اللقب والنسب

☆ الأزرق : مملوك العادل كتبغا ، اسمه بكتوت .

☆ ابن الأزكشي : الأمير بدر الدين موسى بن أبي بكر .

٢٤٢ - إسحاق بن ألى التركي المصري الشاعر **

قال الشيخ شمس الدين الذهبي - رحمه الله تعالى - : طلب قليلاً ، وارتحل إلى

* الوافي : ٣٧٠/٨ ، والمنهل الصافي : ٣٤٧/٢ .

(١) قوله : « على حاله » ليس في (أ) .

(٢) في المنهل : « ودفن بترته إلى جانب داره عند مؤذنة فيروز » .

(٣) توفي سنة (٦٨٩ هـ) .

** الوافي : ٤٠٥/٨ ، والدرر : ٣٥٧/١ ، والشذرات : ٩٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٥٥/٢ ، وفيه :

« إسحاق بن أبي بكر بن ألى بن أطر بن عبد الله ، المحدث نجم الدين أبو محمد السنجاري » .

الغُرَّافِي وإلى سُنُقَر الزيني^(١) والأبرقوهي ، وأخذت عنه : وهو من أقراني ، ودخل العراق وبلاد العجم ، وأصمرته البلاد بعد العشرين وسبع مئة^(٢) .

٢٤٣ - إسحاق بن إسماعيل *

ابن أبي القاسم بن الحسن بن أبي القاسم المقدادي الكِنُدي ، الفقيه الفاضل نجم الدين أبو الفداء بن القاضي مجد الدين بن الرحي .
كان رجلاً فاضلاً صالحاً ، ولي قضاء الرحبة^(٣) سبعةً وثلاثين سنة ، ووليها والده ، وجده .

قدم إلى دمشق ، ولازم الشيخ تاج الدين الفزاري ، وسمع من ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر وغيرهما ، وكان مشكور السيرة ، يحبه أهل بلده ومَن تقدم إلى الرحبة من الأجناد والفقراء . وقدم إلى دمشق قبل موته بسنة وأشهر ، وولي بها نيابة الخطابة ، وخطب في العيدين ، ومَرَّ الناس به لصلاحه وانقطاعه وعَفَّتْه ، وروى بدمشق وبالرحبة .

توفي بدمشق في ثاني شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وسبع مئة .
ومولده سنة إحدى وخمسين وست مئة .

٢٤٤ - إسحاق بن أبي بكر بن إبراهيم بن هبة الله بن طارق **

الشيخ الفقيه الفاضل المسند المكثُر كال^(٤) الدين أبو الفضل الأزدي الحلبي الحنفي النحاس .

-
- (١) ستأتي ترجمته في موضعها .
(٢) وقد ذكره صاحب الشذرات في وفيات (٧٢٩ هـ) مع قوله : « لم تتحقق سنة وفاته » . وولادته سنة (٦٧١ هـ) كما في المنهل .
* الدرر : ٣٥٦/١ .
(٣) من قرى دمشق . معجم البلدان : ٣٣/٣ .
** الوافي : ٤٠٧/٨ ، والدرر : ٣٥٦/١ ، والشذرات : ٢١/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٥٦/٢ .
(٤) في الأصل (جمال) ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي ، والمنهل .

سمع الكثير من الموفق يعيش ، والعزّ بن رَواحَة ، والمؤتمن بن قَمِيْرة ، وابن خليل ، وأخيه ^(١) الضياء صقر الكلبي ^(٢) و[ابن] ^(٣) أخيه شمس الدين الحضر بن ^(٤) قاضي الباب وأبي الفتح البارودي وهديّة بنت خيس ومحمد بن أبي القاسم القزويني ^(٥) والكمال بن طلحة والنظام محمد بن محمد البلخي ^(٦) ، وعدّة .

وخرّج له جزءاً عنهم المحدث أمين الدين الوافي ، وعنده عن ابن خليل نحو من ست مئة جزء . وقد أكثر عنه المزني ^(٧) والبرزالي وقاضي القضاة العلامة تقي الدين السبكي والمحّب والوافي ^(٨) وشمس الدين الذهبي .

وكان له حانوت وبطلّه ، وشغل بمعاشه وعطّله . وله مدارس كان يحضرها وأوقاف يحصرها ، وفيه تعرّس على الطلبة وشحّ ، وعنده بخل يسك الإفاضة على الطلبة ^(٩) ولا يسح .

وكان قد تنبّه وشارك ، وقالب الأشياخ وعارك ، نسخ بخطه أجزاء كثيرة تركها بعده ، وأولاهها بعد ^(١٠) الموت بعده .

ولم يزل على حاله إلى أن انطبق جفناه ^(١١) على قذى الحين ، وصبر على أذى البين .

(١) (أ) : « وابن أخيه » .

(٢) ضياء الدين أبو محمد صقر بن يحيى الكلبي الحلبي ، (ت ٦٥٣ هـ) . الشذرات : ٢٦١/٥ .

(٣) زيادة من النسخ الأخرى ، والوافي ، والمنهل ، ولكنها جاءت فيه بعد « ابن خليل » .

(٤) ليست في الوافي .

(٥) (ت ٥٦٨ هـ) ، الشذرات : ٢٩٥/٥ .

(٦) (ت ٦٥٣ هـ) ، السير : ٢٩٤/٢٣ .

(٧) في الوافي : « المرسي » ، وكذا في المنهل .

(٨) في الأصل : « الوافي » دون واو ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي ، والمنهل .

(٩) قوله : « على الطلبة » ليس في : (أ) ، (ق) .

(١٠) ليست في (أ) ، (ق) .

(١١) (أ) ، (ق) : « أطبق جفنيه » .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شهر رمضان سنة عشر وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاثين وست مئة .

وكان له دكان بسوق النحاسين^(١) ، ثم إنه تركها أخيراً .

٢٤٥ - إسحاق بن يحيى بن إسحاق بن إبراهيم *

الشيخ العالم الفاضل المسند المعمّر عفيف الدين أبو محمد الأمدي ثم الدمشقي الحنفي ، شيخ دار الحديث الظاهرية بدمشق .

سمع من عيسى بن سلامة^(٢) ، ومجد الدين بن تيمية^(٣) بجرّان ، ومن ابن خليل بجلب ، وأكثر من الضياء صقر^(٤) وجماعة بجلب ، وسمع بدمشق والمعرّة ، وحصل أصول وأجزاء ، وحضر المدارس ، وحج غير مرة ، وشهد على القضاة .

وخرّج له ابن المهندس^(٥) عوالي سمعها الشيخ شمس الدين الذهبي والجماعة منه سنة ثمان وتسعين وست مئة . وأخذ عنه القاضي عز الدين بن الزبير ، وابنه ، وعدة .

وكان طيب الأخلاق ينطبع ، ويتطلب البشاشة ويتّبع . سهل القياد ، واري الزناد ، متّسماً بالعدالة ، محتشماً عن الإزالة^(٦) . تفرّد بأشياء عالية ، وأحيا أسانيد بالية .

(١) (أ) : « النحاس » .

* الوافي : ٤٣٠/٨ ، والبداية والنهاية : ١٢٠/١٤ ، والدرر : ٣٥٨/١ ، والشذرات : ٦٦/٦ ، والنهل الصافي : ٣٦٦/٢ .

(٢) المعروف بالخياط (ت ٦٥٢ هـ) ، السير : ٢٨٠/٢٣ .

(٣) أبو البركات عبد السلام بن عبد الله (ت ٦٥٢ هـ) ، السير : ٢٩١/٢٣ .

(٤) هو صقر بن يحيى بن سالم ضياء الدين الكلبي الحلبي الشافعي . (ت ٦٥٢ هـ) . (المنهل) .

(٥) شمس الدين محمد بن إبراهيم بن غنائم (٧٣٧ هـ) ، الشذرات : ١٠٥/٦ .

(٦) (أ) : « بالإزالة » ، والإزالة : الإهانة .

ولم يزل على حاله إلى أن تعفَى أثر العفيف ، وضَمَّه الموت في ذلك اللفيف .
وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة خمس وعشرين وسبع مئة .
ومولده سنة اثنتين وأربعين وست مئة .

٢٤٦ - إسحاق القاضي الكبير الرئيس

تاج الدين عبد الوهاب ناظر الخاص *

كان من جملة نَظَّار الدولة ، ولَمَّا أمسك السلطان القاضي كريم الدين الكبير ^(١) سِيرَ إليه يقول له : مَنْ يصلح لنظر الخاص ؟ فنصَّ على القاضي تاج الدين إسحاق ، فأحضره السلطان ، وألبسه تشريفة ، وباشرا الخاص من يومئذ إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - بسكون زائد ، وانجماع عن أهل الفتن الذين يرمون الناس من المصايب في مصائد . وساس السلطان بعقله الراجح ، وسدَّ الوظيفة بحسن مقصده الناجح ، ولم يختلَّ عليه نظام ، وقام في تلك المدة بمهمَّات عظام . وجاء بعد كريم الدين ورَهْجُه ، واتساع طريقه ونَهْجُه ، فكان لا يُدرى به ، ولا يعدم العافي قطر سحابه ، وهو على أنموذج واحد وطريق واحدة ، وسُنَّة من السكون جارية على أكمل قاعدة .
ولم يزل على حاله إلى أن نزل به من الموت داوؤه ^(٢) العضال ، والأمر الذي لا يرده طعان ولا نضال .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، يوم الإثنين مستهل جمادى الآخرة .

وكان قد ولي نظر الخاص سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة . وهو والد القاضي

* الدرر : ٣٥٧/١ ، وعبرة (أ) : « إسحاق بن عبد الكريم » . وفي الدرر : « إسحاق بن عبد الكريم القبطي » .

(١) انظر : البداية والنهاية : ١٠٥/١٤ ، أحداث سنة (٧٢٣ هـ) .

(٢) (أ) : « الداء » .

علم الدين إبراهيم ناظر الدولة . والصاحب شمس الدين موسى ناظر الشام^(١) . والقاضي سعد الدين ماجد^(٢) .

وتولّى ولده الصاحب شمس الدين موسى نظر الخاص بعده أشهراً^(٣) ، ثم نُقل إلى نظر الجيش لَمّا توفي القاضي فخر الدين .

٢٤٧ - إسحاق الأمير علم الدين الحاجب*

كان مجلب حاجباً ، قترامى^(٤) إلى الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - فولّاه نيابة حمص ، وأحضر تقليده من مصر ، وألبسه تشريفه بدمشق في ثالث جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وتوجّه إليها فلم تطل مدته في هذه النيابة .

وتوفي - رحمه الله تعالى^(٥) - وكان قد تولّى نيابة حمص بعد الأمير علاء الدين طيغنا قوئين^(٦) باشي ، الآتي ذكره - إن شاء الله تعالى - في مكانه .

٢٤٨ - أسد**

الحكيم اليهودي المعروف بأسيدة ، تصغير أسدة .

(١) (ت ٧٧١ هـ) ، الدرر : ٣٧٤/٤ .

(٢) (ت ٧٧٥ هـ) ، الدرر : ٢٧٥/٣ .

(٣) (أ) : « بعد أشهر » .

* لم نقف على ترجمة له .

(٤) انفردت (أ) بزيادة قبل هذا الكلام نصّها : « إسحاق ، الأمير علم الدين الحاجب ، كان مجلب حاجب

حجاب . وفي مبدأ أمره كان راجلاً في بهُسنى ، وترقى بعقله إلى هذه الوظيفة ، وكان حسن الشكل .

وباشر نيابة عَيْن تاب بعد الحجة ، ثم لَمّا تولّى الأمير سيف الدين أرغون نيابة حلب أعاده إلى

الحجوبية مرة ثانية ، ثم بعد ذلك ترامى .. » .

(٥) زاد في (أ) : « سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة » .

(٦) في الأصل : « طنبغا قرين » تحريف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

** الوافي : ٨/٩ .

كان ذكياً ، له مشاركات في المعقول ، وخير ما يعرفه الإلهي والطبيعي ، ولم يكن يعرف رياضياً ولا منطقياً ، وحرفته التي يتكسب بها الجراح مع مشاركة في الطب والكحل وغير ذلك من الطبيعي . ولم يُرَ أقدم منه على الجراحة في جبر ما يكسر من العظم ويُهَاض . باشر الجراحات العظيمة للأمرء الكبار مثل الأمير بدر الدين بيدرا^(١) ناظر الأشرف على عكا ، ومثل الأمير علم الدين سَنَجَر الدَواداري ، وفيه يقول علاء الدين الوداعي ، وقد عالج سَنَجَر الدَواداري ، ونقلته من خطه :

يا قوم إن الدَواداريَّ مُتَّبِعٌ في فضله أنبياءَ الله مجتهدٌ
كأنه دانيالٌ في كرامته ذَلَّتْ له الأسدُ حتى طَبَّه أسدُ

وكان الملك المؤيد صاحب حماة يحبه ويقربّه . وبلغني أنه - رحمه الله تعالى - أوصى له بشيء من كتبه ، وكان يتردد إلى العلامة تقي الدين بن تيمية ، ويجمع بالشيخ صدر الدين بن الوكيل ، ويبحث معها .

وكان السلطان الملك الناصر قد طلبه إلى القاهرة ليعالج ما بالأمير عز الدين أيدمر الخطيري من الفالج . ورأيتُه هناك في سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وهو آخر عهدي به ، ولم أرَ مَنْ يعرف^(٢) علم [الفراسة]^(٣) أحسن منه بعد الشيخ شمس الدين محمد بن أبي طالب الآتي ذكره - إن شاء الله تعالى - في التَّيَمُّدِينَ .

وقال لي : جَبَرْتُ رَجُلًا ودأويتها بقدوم ومنشار ومثقب .

ولم يزل على حاله إلى أن هلك ، وذاق مرارة^(٤) الموت وعلك .

(١) في الأصل (بيدار ، وهو سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وقد توفي سنة (٦٩٣ هـ) . انظر الوافي : ٣٦٠/١٠ .

(٢) (أ) : « ولم أدر مَنْ يعلم » .

(٣) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في : (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٤) (أ) : « طعم » .

وكانه هلك بعد الثلاثين وسبع مئة^(١) ، واجتمعت به مرات بصفد ودمشق وحلب والقاهرة .

٢٤٩ - أسعد بن حمزة بن أسعد*

الصدر الرئيس مؤيد الدين ، ابن صاحب عز الدين بن القلانسي . وسيأتي ذكر والده في حرف الحاء مكانه .

سمع في صغره من جماعة من أصحاب ابن طبرزد ، منهم الشيخ شمس الدين بن أبي عمر^(٢) ، وابن البخاري ، وغيرها . ولم يحدث .

وكان رئيساً ، وكفه على الإحسان حيساً .

له جماعة من أصحابه وندمائهم ، وعدة ممن يفتخر بارتقائه إليه وانتائهم ، وقطف عيشه غصاً ، وتناول نقده من لذة الشيبية نضاً^(٣) .

ولم يزل إلى أن غص بكأس حتفه ، وذهب من يد والده على رغم أنفه ، وجرعه حسرة أكوى لقلبه من الحجرة ، وتدلى بعد ظهور الأسيرة إلى بطن الحفرة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سابع شهر صفر سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وسبعين وست مئة .

وحصلت له قبل موته إنابة وإخبارات ، نفقه ذلك بعد المات . وكان ناظر ديوان الزكاة بدمشق .

(١) قوله : « وكأنه » حتى ههنا ليس في (أ) .

* تالي وفيات الأعيان : ١٨٨ ، والدرر : ٣٥٩/١ .

(٢) (أ) : « شمس الدين أبو عمر » .

(٣) في القاموس : « نض الماء ينض نضاً ونضياً : سال قليلاً قليلاً ... » .

الألقاب والأنساب

الأسعدي :

زين الدين محتسب القاهرة ، أبو بكر بن نصر .
ونبيه الدين حسن بن نصر المحتسب .
والموقت عبد الله بن يوسف .

٢٥٠ - أسماء بنت محمد بن الحسن *

ابن هبة الله بن محفوظ بن الحسن ، الشیخة الصالحة أم محمد بنت الشيخ
عماد الدين بن صَصْرَى ، أخت قاضي القضاة نجم الدين .

سمعت من السيد مكي بن علان ، وهو عم جدّها للأُم ، خمسة أجزاء ، وهي الأول
والثاني من (بغية المستفيد) لابن عساكر ، و (مجلس في فضل رمضان) من
(أماليه)^(١) ، وحديث إسحاق بن راهويه^(٢) ، ونسخة أبي مسهر . وحدثت بها
مرات ، وتفرّدت بثلاثة منها ، وهي الثاني من (البغية) و (المجلس) وحديث
إسحاق بن راهويه .

قال شيخنا البرزالي : ولم يقع لنا من روايتها سوى الأجزاء الخمسة المذكورة .
قال : قرأت عليها مجلس شهر رمضان في رمضان سنة ثلاث وثمانين ، وقرأت عليها قبل
موتها بأربعة أيام . فبين التاريخين أكثر من خمسين سنة .

وكانت امرأة مباركة متيقظة ، كثيرة البر والصدقة والمعروف ، أصيبت بأولادها

* الوافي : ٥٨/٩ ، وذيل العبر : ١٨٠ ، والدرر : ٣٦٠/١ ، والشذرات : ١٠٥/٦ .

(١) الكشف : ١٦٢/١ .

(٢) قال المصنف في الوافي ، ٢٨٨/٨ : « وله مسند مشهور . وقال : أحفظ سبعين ألف حديث ، وأذاكر

بئة ألف حديث » .

وأولاد أولادها وأقاربها . وحجّت مرات ، وأنفقت كثيراً من مالها في الطاعات ، ووقفت وقوفاً . ولم يكن بقي من أعيان البلد ورواة الحديث أسنّ منها . وكانت تقرأ القرآن في المصحف . ولها أوراد وسُبح ، تذكر الله عليها .

وتوفيت - رحمها الله تعالى - يوم الاثنين حادي عشر الحجة ، سنة ثلاث وثلاثين^(١) وسبع مئة .

ومولدها في آخر سنة ثمان وثلاثين وست مئة .

ودفنت بمجبل قاسيون .

الأسم : محي الدين محي بن سليمان .

إسماعيل

٢٥١ - إسماعيل بن إبراهيم بن سالم بن بركات الأنصاري*

الشيخ الإمام الفاضل المحدث نجم الدين أبو الفداء الدمشقي ، الصالح الحنبلي المؤدب المعروف بابن الحباز .

سمع سنة سبع وثلاثين وست مئة وبعدها من عبد الحق بن خلف^(٢) والحافظ الضياء ، وعبد الله بن أبي عمر . وسمع من المرسى ، والبكري ، وإبراهيم بن خليل ، وابن أبي الجن^(٣) ، وابن عبد الدائم ، وأصحاب الخشوعي ، وأصحاب الكندي ، وابن ملاعب^(٤) ، وابن الزبيدي ، وابن اللّتي ، ثم أصحاب كريمة^(٥) ، والسخاوي ،

(١) في الأصل و (ق) : سنة ثلاثين ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والدرر ، والشذرات .

* الدوافي : ٦٥/٩ ، وذيل العبر : ٢٤ ، ومراة الجنان : ٢٣٩/٤ ، والدرر : ٣٦٢/١ ، والشذرات : ٨/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٨٢/٢ .

(٢) الدمشقي الحنبلي (ت ٦٤١ هـ) ، الشذرات : ٢١١/٥ .

(٣) (أ) : « أبي الحسن » تحريف ، وهو عليّ بن محمد (ت ٦٦٠ هـ) . العبر : ٢٦١/٥ .

(٤) داود بن أحمد بن محمد الأزجي (ت ٦١٦ هـ) . السير : ٩٠/٢٢ .

(٥) بنت عبد الوهاب مسند الشام ، سلفت ترجمتها .

وسمع من المزي^(١) ، والبرزالي ، وعلاء الدين الخراط^(٢) ، والقاضي شمس الدين بن النقيب ، والمقاتلي ، وابن المظفر ، وابن المحب ، وابن حبيب .

وكان يؤدب بمكتب ابن عبد داخل باب توما . وعلى الجملة فقد كتب عن دُبٍّ ودرج وما ترك أحداً يفوز منه بالفرج ، وخرَّج وحصل الأجزاء وتعب ، ومع علمه الكثير ما أنجب ، وسأوى من لعب ، ولا أتقن شيئاً من العلوم ، ولا شارك أهل الفهوم . ولا له إلمام بنحو ولا لغة ، ولا له مادة إلى جهة علم مفزعة ، بل له دربة ، ولم يكن بين أهل هذا الشأن في غربة ، مع الخطأ الكثير فيما خرَّجه وجمعه ، وحدث به وأسمعه .

وكان يؤدب في مكتب ، ولم يكتب خطأ غير خطأ ، ولا كان له في صورة الكتابة ما يرى وسطاً ، وخرَّج لابن عبد الدائم وغيره ، وعمل (سيرة) لشيخنا شمس الدين الذهبي ، وطوَّها .

ولم يزل على حاله إلى أن درج إلى البلى ، وأدبر إلى مسكن الأرض مقبلاً .
وتوفي - رحمه الله تعالى - في حادي عشر صفر سنة ثلاث وسبع مئة^(٣) .

٢٥٢ - إسماعيل بن إبراهيم*

مجد الدين الشارعي المصري المحدث .

كان شاباً فاضلاً ، سمعت بقراءته على الدبائيسي وغيره من أشياخ القاهرة ، وسمع هو أيضاً بقراءتي كثيراً . وكانت له عناية بتحصيل الكتب النظيفة ، وإكباباً على ذلك ، فهي له وظيفة . وعنده ذكاء ونباهة ، وله تقدم بين أهل هذا الشأن ووجاهة .

(١) في المنهل : « المزي » . وهو تحريف .

(٢) علي بن عثمان (ت ٧٣٩ هـ) ، الشذرات : ١٢٢/٦ .

(٣) وكانت ولادته سنة (٦٢٩ هـ) كما في المنهل .

* الوافي : ٨٣/٩ ، والدرر : ٣٦٤/١ .

ولم يزل على حاله إلى أن قُصِفَ^(١) ، ووُضِعَ المدر عليه ورُصِفَ .
وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة يوم عيد الفطر عشاء^(٢) .
ورثاه الشيخ تاج الدين بن مكتوم بقصيدة .
وكان سمع بمكة من رضي الدين الطبري^(٣) ، وبالقاهرة من الواني والختني ، ورحل
مع قاضي القضاة عز الدين بن جماعة . وسمع من ابن الشحنة ، ورحل إلى
الإسكندرية ، وسمع من وجهية^(٤) ، وقرأ على تقي الدين الصائغ^(٥) .

٢٥٣ - إسماعيل بن إبراهيم بن سليمان المقدسي *

ابن الحراني ، الإمام الفاضل الطبيب عماد الدين أبو الطاهر المقدسي المصري .
سمع من العز الحراني^(٦) ، وابن خطيب المزة^(٧) ، وابن الأنماطي^(٨) ، وقاضي
القضاة تقي الدين بن رزين^(٩) ، وقاضي القضاة مجد الدين بن العديم^(١٠) ، والشيخ
قطب الدين بن القسطلاني^(١١) .

- (١) في الأصل (نصف) تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
- (٢) (أ) : « عشاء الآخرة » .
- (٣) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الطبري المكي الشافعي (ت ٧٢٢ هـ) ، ذيل العبر : ١٢٤ ، والدرر : ٥٤/١ .
- (٤) كذا في الأصل و (ق) ، وفي الدرر : « وجهية » ، وهي وجهية بنت علي بن يحيى الإسكندرانية زين الدار (ت ٧٢٢ هـ) ، الدرر : ٤٠٦/٤ . وفي الشذرات : ٩٩/٦ : (وجهية) .
- (٥) (أ) : « ابن الصائغ » .
- * الدرر : ٣٦٢/١ .
- (٦) عبد العزيز بن عبد المنعم بن علي (ت ٦٨٦ هـ) ، النجوم : ٣٧٢/٧ ، ووقع في (أ) : « ابن العز » .
- (٧) عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى (ت ٦٨٧ هـ) ، الشذرات : ٤٠١/٥ .
- (٨) محمد بن إسماعيل بن عبد الله (ت ٦٨٤ هـ) ، العبر : ٣٤٩/٥ ، والنجوم : ٣٦٨/٧ .
- (٩) محمد بن الحسين بن رزين (ت ٦٨٠ هـ) ، العبر : ٣٣١/٥ ، والنجوم : ٣٥٣/٧ .
- (١٠) عبد الرحمن بن عمر بن أحمد (ت ٦٧٧ هـ) ، الجواهر المضية : ٢٨٦/٢ .
- (١١) محمد بن أحمد بن علي (ت ٦٨٦ هـ) ، الإعلام للذهبي : ٢٨٦ . ووقع في : (أ) ، (ق) : « قطب الدين القسطلاني » .

ولم يحدث .

وقرأ الطب على العماد النابلسي ^(١) . وكان طبيباً فاضلاً يعالج علاجاً حسناً .

وتوفي - رحمه الله تعالى - ثالث جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ،
ودفن بمقبرة باب النصر بالقاهرة .

٢٥٤ - إسماعيل بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة*

عماد الدين أخو قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة .

كان رجلاً جيداً .

سمع من ابن البرهان بالقاهرة ، وجلس مدة مع الشهود بدمشق .

وتوفي بحجة في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبع مئة .

٢٥٥ - إسماعيل بن إبراهيم**

القاضي عماد الدين الحلبي المعروف بابن الفرفور .

وأول ما علمت من أمره أنه كان في ديوان الأمير سيف الدين أرغون الدوادار بالشام ^(٢) ، ولما مات أرغون في حلب انتقل هو إلى مصر ، وخدم أولاده بها - فيما أظن - ثم إنه في سنة سبع أو أول سنة ست وثلاثين وسبع مئة ^(٣) ، حضر إلى دمشق ، وخدم في ديوان الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - عاملاً ، ولمّا أمسك تنكز ، خدم هو في ديوان الأمير علاء الدين الطنبغا نائب الشام ، ثم عند الأمير علاء الدين

(١) عبد الحافظ بن بدران بن شبل (ت ٦٩٨ هـ) ، العبر : ٢٨٨/٥ .

* الدرر : ٣٦٣/١ .

** الدرر : ٣٦٣/١ .

(٢) (أ) : « الدوادار الناصري » .

(٣) في الأصل (وستمة) ، سهو ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

أيدغمش نائب الشام ، ثم من بعده عند الأمير سيف الدين طقزقر ، ثم من بعده عند الأمير سيف الدين يلغا ، وهو عند هؤلاء الأربعة ، ناظر ديوان النيابة .

وحصل وثمر وثمر واقتنى الأملاك بدمشق وبحلب .

ثم إنه توجه إلى القاهرة ، وعاد مع الأمير سيف الدين ايتش نائب الشام ، وهو على توقيع الدست ، وعلى أن يكون ناظر ديوان النيابة ، فما اتفق ذلك . ثم إنه باشر الحسبة بدمشق ونظر الخاص المرتجع وغير ذلك .

ثم طلب إلى مصر هو وفخر الدين بن عصفور ، وغرما جملة ، ثم عاد وتوسع في المباشرات .

ولما مات علاء الدين بن الفويرة ، رُسِم له من مصر بتوقيع الدست بدمشق مكانه ، فأقام فيه إلى أن توجه إلى حماة ، وعاد منها مريضاً ، وطالت به العلة إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في يوم الخميس حادي عشر صفر سنة سبع وخمسين وسبع مئة . ودفن بتربة له أنشأها في مقابر الصوفية .

وكان كاتباً جيداً في الحساب ، حسن العمة ، فيه خير وصدقة وملازمة للجامع الأموي إذا كان بمدينة دمشق ، وهو أكبر الأخوة .

٢٥٦ - إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل *

ابن بَرْتَق بن بُزْغَش بن هارون بن شجاع ، الشيخ جلال الدين أبو الطاهر القوصي الحنفي .

أخبرني العلامة شيخنا أبو حيان من لفظه ، قال : كان المذكور رفيقنا في المدرسة الكاملية . اشتغل بالفقه على [مذهب] ^(١) أبي حنيفة ، وأقرأ النحو والقراءات بجامع ابن طولون . أنشدنا من لفظه لنفسه :

* الوافي : ٨٦/٩ ، والدرر : ٣٦٤/١ ، وطبقات القراء : ١٦١/١ .

(١) زيادة من : (أ) ، (ق) ، والوافي .

أَقُولُ لَهُ وَدَمْعِي لَيْسَ يَرْقَا
حُرْمَتِ الطَّيْفِ مِنْكَ بِفَيْضِ دَمْعِي
وَأَنْشَدْنَا لِنَفْسِهِ :

أَقُولُ وَمَدْمَعِي قَدْ حَالَ بَيْنِي
رَدَدْتُمْ سَائِلَ الْأَجْفَانِ نَهْرًا
وَأَنْشَدْنَا لِنَفْسِهِ :

تَخْطُرُ فِي الْقَبَاءِ مَعَ الْقَبَائِلِ
غَزَالٌ كَمْ غَزَا قَلْبِي بَعْضُ
وَأَبْلَى جِدَّتِي وَالْبَدْرُ يَثْلِي
وَحَالَ لَمْ أَحِلْ عَنْهُ وَلُونِي
أُمَثِّلْ شَخْصَهُ بِخَفْيٍ وَهَمٍ
فَيَرْتَعِ نَاطِرِي بِرِيَاضِ حُسْنٍ
وَكَمْ سَمِعَ الْخِيَالَ لَهُ بَلِيلٍ
وَضَاعَ تَسْكِي بِالنَّسْكِ فِيهِ
قُلْتُ : شَعْرٌ جَيِّدٌ صَنَعَ .

وكان متصداً بالجامع الطولوني لإقراء القراءات . وكان له حظ من العربية وإفادات ، ومشاركة في الأدب الغض ، وما ينفعه فيه بين أهله نص . وجمع كراسة في قوله ﷺ : « هُوَ الطَّهُّورُ مَاءُهُ الْحِلُّ مِثَّتُهُ » ^(٢) .

(١) في الأصل (و) (ق) : « وكوني » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (أ) ، والوافي .
(٢) هو حديث ماء البحر ، النهاية : ٥٥/٢ ، واللسان (طهر) . وفي جامع الأصول : ٦٢/٧ ، وتخريجُه ثمة .

ولم يزل على حاله إلى أن تبدد شمله من الجامع ، وفقد شخصه الناظر ولم يفقد ذكره السامع .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بالقاهرة سنة خمس عشرة وسبع مئة .

٢٥٧ - إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن الأثير الحلبي الكاتب*

هو القاضي الرئيس عماد الدين .

ولي كتابة الدرج بعد والده تاج الدين بالديار المصرية مدة ، ثم تركها تديناً وتورعاً وإقبالاً على الآخرة وتسرعاً ، وهو الذي علق الشرح من الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد على (العمدة)^(١) ، وهو الذي أبرز إلى الوجود عقده . وشرح قصيدة ابن عبدون الرائية^(٢) التي رثى بها بني الأفطس - فيما أظن - .

وكانت له رئاسة ، وعنده سيادة^(٣) ونفاسة ، وترك كتابة السّر تورعاً ، ورفضها وخلاها تبرعاً ، واشتغل بما هو الأولى ، والتزم بالتقصير ولم^(٤) يستطع طولى . وله ديوان خطب .

ولم يزل على حاله إلى أن عُدِم في الوقعة ، وقتل شاه مات في وسط الرقعة .

وتوفي في شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وست مئة .

وكتب إليه سراج الدين عمر الوراق ، نقلته من خطه :

* الوافي : ٩٠/٩ ، والمنهل : ٣٩١/٢ ، وعقد الجمان : ٩٤/٤ ، وفيات (٦٩٩ هـ) .

(١) واسمه : عمدة الأحكام عن سيد الأنعام ، لعبد الغني بن عبد الواحد الجماعلي (ت ٦٠٠ هـ) ، وذكر صاحب الكشف ثمة أن لابن دقيق العيد شرحاً عليه . (١١٦٤/٢) .

(٢) هو عبد المجيد بن عبدون (ت ٥٢٠ هـ) ، وقد أورد ابن شاکر قصيدته هذه في الوفيات : ٢٨٨/٢ .

(٣) (أ) : « سياسة » .

(٤) (ق) : « إذ لم » .

مخيلة إسماعيل صادقة الوعد وَفَتْ بِشُرُوطِ الْمَجْدِ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ
وكان لأمالك الزمان ذخيرةً كما أدّخر السيف المهند في الغمد
فعرّ بزند الأشرف الملك الذي يَرى سَيْفُهُ يَوْمَ الْوَعْدِ وَارِي الزند
فهذا صلاح الدين كاتب دَسْتِهِ الـ شريف عماد الدين وَقَفّاً عَلَى سَعْدِ
فلا زال يوليه الخليل محبةً ولا زال إسماعيل يُفْدِي ولا يفدي

٢٥٨ - إسماعيل بن سعيد الكردي المصري*

تظاهر بالزندقة ، وتجاهر^(١) بالمعاصي وصلابة الحَدَقَةِ . وَسُمِعَتْ مِنْهُ كَلِمَاتٌ سَيِّئَةٌ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ وَالْبِرَّةِ الْأَصْفِيَاءِ ، وَرُمِيَ بِأُمُورِ عِظَامٍ ، يَذُوبُ مِنْهَا اللَّحْمُ وَالْجُلْدُ وَتُفَقَّتْ الْعِظَامُ . لَا جَرَمَ أَنَّهُ أَطَاحَ السِّيفَ رَأْسَهُ ، وَجَرَّعَهُ مِنَ الْمَوْتِ الْأَحْمَرَ كَالسَّهْوِ .

وكان المذكور عارفاً بالقراءات ، قرأ على الشطنوفي^(٢) ، والصائغ^(٣) . واشتغل بالفقه والنحو والتصريف ، وكان يحفظ قطعة من التوراة والإنجيل ، وكان طلق العبارة ، سريع الجواب ، حسن التلاوة . وكان لا يزال (الحاوي) في الفقه و (العمدة) في الحديث و (الحاجبية) في كَمِّهِ .

ولكن الله - تعالى - مكر به ، فاجتمع له القضاة الأربعة يوم الإثنين سادس عشرين صفر سنة عشرين وسبع مئة ، وضربوا رقبتَه بين القصرين ، والذي حكم بقتله قاضي القضاء تقي الدين المالكي^(٤) ، وكان يوماً مشهوداً .

* الدرر : ٣٦٧/١ ، وفي (أ) ، (ق) : « المقرئ المصري » .

(١) في الأصل : « وتظاهر » ، ولعله سهو ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

(٢) علي بن يوسف (ت ٧١٣ هـ) .

(٣) في الأصل : « الصانع » ، تصحيف ، وهو تقي الدين محمد الصائغ (ت ٧٢٥ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٤) هو تقي الدين الأخنائي ، وستأتي ترجمته .

٢٥٩ - إسماعيل بن عبد القوي*

ابن الحسن بن حيدرة الحميري ، فخر الدين الأسنائي المعروف بالإمام .
اشتغل بالفقه على الشيخ النجيب ^(١) بن مفلح ، ثم على الشيخ بهاء الدين
القفطي .

كان إمام المدرسة العزّية بأسنا ، وناب في الحكم بمنشئة إخم وطوخ والمراغة .
واتفق له بالمراغة أن بعض أولاد الشيخ أبي القاسم المراغي وقع بينه وبين أولاد ^(٢)
الفقراء ، وكان شديد البأس ، فطلبه الفقير إلى القاضي ، فأعطاه القاضي قلمه ، فقال
الفقير ما يحضر بهذا ، فتوجه إليه ، فحضر ، فادّعى عليه الفقير أنه ضربه ستين جعماً
بهذا الجمجم ^(٣) ، فأخذ القاضي الجمجم ، وقال للفقير : حرردعواك من ثلاثة بهذا ،
ما تعرف كم ضربت ؟ فتبسم الفقير وغريمه ، واصطلحا ، وانفصلا ^(٤) على خير .

ونزل مرة في مركب بصحبة الشيخ بهاء الدين والشيخ النجيب ، فزمر بها
زامر ^(٥) ، فقال الشيخ بهاء الدين : اسكت ، فقال الإمام : الشيخ إمام في هذا وأنت
استقبلت خارجاً ، فرجع وزمر ثانياً ، فقال له الشيخ بهاء الدين : اسكت ، فأعاد
عليه الإمام الكلام ، فأخذ الزامر المزمار وقدمه للشيخ ، وقال : ما يُحسن المملوك غير
هذا ، فعرف الشيخ أنها من الإمام ^(٦) .

* الوافي : ١٤٥/٩ ، والدرر : ٣٦٨/١ ، والمنهل الصافي : ٣٩٧/٢ ، والطالع السعيد : ١٦١ .

(١) في المنهل : « نجيب الدين بن مفلح » . وهو عثمان بن مفلح ، أبو عمرو النجيب ، توفي سنة

(٦٦٨ هـ) . الطالع السعيد : ٣٥٨ .

(٢) (أ) ، (ق) : « بعض أولاد » .

(٣) ضرب من المكاييل من الخشب كبير الحجم .

(٤) في الطالع السعيد : « وانصرفا » . والخبر فيه .

(٥) (أ) ، (ق) : « زامر بها » .

(٦) انظر الخبر في المنهل : ٣٩٧/٢ - ٣٩٨ . والطالع السعيد : ١٦٢ .

وكان قد عمل بنو السديد عليه ، فانتقل إلى قوص ، وأقام بها سنين .
 وكان ظريفاً له نوادر ، وحكايات عجيبة وأجوبة بوارد ، وكَفَّ بصره أخيراً ،
 وأظلم نهاره عليه ، وقد كان منيراً .
 ولم يزل على حاله إلى أن صلى الإمام على الإمام ، ودعاه البلى إلى مأدبة الحِمام .
 وتوفي - رحمه الله تعالى - في حدود عشرين^(١) وسبع مئة .

٢٦٠ - إسماعيل *

الأمير عماد الدين بن الملك المغيث شهاب الدين أبي الفتح عبد العزيز بن الملك
 المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب .
 كان جندياً بحجة ، وسمع من خطيب مردا ، وحدث . وأجاز لشيخنا علم الدين
 البرزالي في سنة ثمان وسبع مئة .
 وتوفي - رحمه الله تعالى - في ثامن عشري شهر ربيع الآخر سنة أربع عشر
 وسبع مئة .

٢٦١ - إسماعيل بن عثمان بن محمد **

الإمام رشيد الدين أبو الفضل بن المعلم التيمائي الحنفي .

(١) في الطالع السعيد : « عشرة وسبع مئة » .

* الدرر : ٣٧١/١ .

** الوافي : ١٥٥/٩ ، وتالي وفيات الأعيان : ٤٨ ، والبداية والنهاية : ٧٢/١٤ ، وذيل العبر : ٧٧ ،
 والدرر : ٣٦٩/١ ، والدارس : ٣٦٩/١ ، والشذرات : ٣٣/٦ ، وللنهل الصافي : ٣٩٨/٢ . وفيه :
 « إسماعيل بن عثمان بن عبد الكريم بن تمام بن محمد » .

سمع من ابن الزبيدي (ثلاثيات البخاري) ، وقرأ بالروايات على السخاوي ، وسمع منه ، ومن العزّ النَّسابة^(١) وابن الصلاح و [ابن]^(٢) أبي جعفر^(٣) .

وكان بصيراً بالعربية ، إماماً في مذهب الحنفيّة . حدّث بدمشق والقاهرة .

وفيه زهد وعفة وإباء ، وعنده جودٌ وحياء ، دينه متين ، وفضله مُبين ، يقتصد في لباسه ، ويتّقيه خصمه في الجدال لِبَاسه . ساء خلقه قبل موته ، وتوحش من أنس الناس قبل فوته .

انهزم وترك تدريس البلخيّة^(٤) لابنه تقيّ الدين . وكان قد انجفل من التتار ، واستوطن القاهرة . وكان قد عرّض عليه القضاء ، فامتنع ، وانكش عن الولاية وانجم ، إلى أن افترش التراب ، ورحل إلى دار العبارة من دار^(٥) الخراب .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع عشرة وسبع مئة .

٢٦٢ - إسماعيل بن علي بن أحمد بن إسماعيل *

المسند عماد الدين أبو الفضل الأزجي^(٦) الحنبلي ، شيخ الحديث بالمستنصرية من بغداد ، المعروف بابن الطّبال .

(١) عز الدين محمد بن أحمد الدمشقي بن عساكر (ت ٦٤٣ هـ) ، السير : ٢١٦/٢٣ .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) ، يقتضيها السياق . وهي ثابتة في المنهل .

(٣) محمد بن أبي جعفر القرطبي (ت ٦٤٣ هـ) ، السير : ٢١٧/٢٣ .

(٤) كانت تعرف قديماً بخبرة الكنيسة ويدار أبي الدرداء ، أنشأها الأمير كلز الدقاق سنة (٥٢٥ هـ) للشيخ برهان الدين البلخي . الدارس : ٣٦٨/١ .

(٥) ليست في (أ) .

* الوافي : ١٦٥/٩ ، وذيل العبر : ٤٥ ، والدرر : ٣٦٩/١ ، والشذرات : ١٦/٦ ، والمنهل الصافي : ٤١٢/٢ .

(٦) (أ) : « الأزدي » .

سمع حضوراً من أبي منصور بن عَفِيْجَةَ^(١) سنة أربع ، وسمع (جامع) الترمذي من عَمْر بن كَرَم^(٢) بإجازته من الكُرُوخي^(٣) ، وسمع ابن أبي الحسن القطيعي^(٤) وابن رُوْزْبِه وجماعة .

وأخذ عنه الفَرَضِي^(٥) ، وابن الفُوطِي^(٦) ، وابن سامة^(٧) ، وسراج الدين القزويني ، وابن خلف . وأجاز لشمس الدين الذهبي . وسمع البخاري من ابن القطيعي ، ولم يزل^(٨) يسمع ويُفيد ، وينيل فوائده القريب والبعيد ؛ إلى أن أسمع داعيه بالرحيل ، وأقام ناعيه بالبكاء والعيول .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وسبع مئة في سابع عشر شعبان .

٢٦٣ - إسماعيل بن علي *

السلطان الإمام والعالم^(١) الفاضل الفريد المَفَنّ الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء بن الأفضل بن الملك المظفر بن الملك المنصور صاحب حماة تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي .

-
- (١) محمد بن عبد الله (ت ٦٢٥ هـ) ، السير : ٢٨٠/٢٢ .
 - (٢) البغدادي ثم الحمّامي (ت ٦٢٩ هـ) ، الشذرات : ١٣٢/٥ .
 - (٣) عبد الملك بن عبد الله (ت ٥٤٨ هـ) ، السير : ٢٧٣/٢ .
 - (٤) (أ) ، والوافي : « وسمع من أبي الحسن بن القطيعي » . وكذا في المنهل .
 - (٥) محمود بن أبي العلاء البخاري ، (ت ٧٠٠ هـ) ، العبر : ٤١٢/٥ .
 - (٦) كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد ، (ت ٧٢٣ هـ) ، ذيل العبر : ١٢٨ .
 - (٧) محمد بن عبد الرحمن بن سامة الطائفي ، (ت ٧٠٨ هـ) ، ذيل العبر : ٤٣ .
 - (٨) ساقطة من الأصل ، ثابتة في النسخ الأخرى .
- * والوافي : ١٧٢/٩ ، وفوات الوفيات : ١٨٣/١ ، وبدائع الزهور : ٤٦٦/١/١ ، والشذرات : ٩٨/٦ ، والدرر : ٣٧١/١ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩٢/٩ ، والمنهل الصافي : ٣٩٩/٢ ، وطبقات الشافعية : ٤٠٣/٩ .
- (٩) (أ) ، (ق) : « العالم » .

كان أولاً أميراً بدمشق ، وخدم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لما كان في الكرك آخر مرة ، وبالع في ذلك ، فوعده بحماة ، ووفى له بذلك ، وأعطاه حماة لما أمر لأسندمر بنيابة حلب بعد موت نائبها قبجق^(١) ، وجعله صاحبها سلطاناً يفعل فيها ما يشاء من إقطاع وغيره ، ليس لأحد معه كلام^(٢) فيها ، ولا يردّ عليه مرسوم من مصر بأمر ولا نهى لأحد من نائب أو وزير اللهم إلا إن جرّد عسكر من مصر والشام جرّد منها .

وتوجّه من دمشق إليها في جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة ، وأركبته في القاهرة بشعار الملّك ، وأبته السلطنة ، ومشى الأمراء والناس في خدمته حتى الأمير سيف الدين أرغون النائب ، وقام له كريم الدين بكل ما يحتاج إليه في ذلك المهم من التشاريف والإنعامات على وجوه الدولة وغيرهم ، ولقبه بالملك^(٣) الصالح ، ثم إنه بعد قليل لقّبه بالملك المؤيد ، وذلك لما حجّ معه في سنة تسع عشرة وسبع مئة ، وعاد معه إلى القاهرة ، وأذن له أن يُخطب له بحماة وأعمالها على ما كان عليه عمّه المنصور ، وكان في كل سنة يتوجّه إلى مصر ومعه أنواع من الرقيق والجواهر والخيول المسومة وسائر الأصناف الغريبة ، هذا إلى ما هو مستمرّ في طول السّنة مما يهديه من التحف والطرف^(٤) .

وتقدم السلطان إلى نوابه بالشام بأن يكتبوا إليه : (يقبل الأرض) ، وكان الأمير سيف الدين تنكر رحمه الله تعالى يكتب إليه : (يقبل الأرض بالمقام الشريف العالي الممولوي السلطاني الملكي المؤيدي العمادي) ، وفي العنوان (صاحب حماة) ، ويكتب السلطان إليه (أخوه محمد بن قلاوون أعزّ الله تعالى أنصار المقام الشريف العالي

(١) قبجق بن عبد الله المنصوري (ت ٧١٠ هـ) .

(٢) عبارة الوافي : « حكم » .

(٣) (أ) ، والوافي : « الملك الصالح » .

(٤) في الأصل : « الطرق » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي .

السلطاني الملكي المؤيّد العمادي ، بلا (مولوي) . وكان الملك المؤيّد يقول : ما أظن أني أكمل من العمر ستين سنة فما في أهل بيتي ، يعني بيت تقي الدين من كملها .

وكان الملك المؤيّد رحمه الله تعالى قد نزل في مكان المكارم ، وعمر في الشجاعة بيتاً في القنا والصوارم ، يتصبّب جوداً سماحه ، ويتصبّب^(١) بالبأس ذُبْلَه وصِفاحَه ، له حنوّ زائد على أهل الفضائل ، وتطلّع إلى إنشاء الفوائد وإثارة المسائل ، آوى^(٢) إليه أمين الدين الأبهري فبهره جوده ، وغمره نائله وعمّته وفوده ، وتصدّر في مجلسه قاعداً ، ووقفت لديه جنوده ، ولوى الحظ للدبر جيده إليه ، ونُشرت بُروده ، ومدحه شعراء عصره ، وحلوا أبقار أفكارهم^(٣) إلى قصره ، ففازوا بالمهور الغالية ، وحازوا^(٤) الأجور العالية ، ورتب لجماعة منهم في كل سنة شيئاً قرره ، وبذلّاً ربّته في ديوانه وحرّره ، منهم شاعره الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة ، كان راتبه في السنة عليه مبلغ ست مئة درهم لا بد من وصوله ودخوله في حوزته وحصوله ، غير ما يهديه إليه في أثناء السنة ، وتتضاعف فيه الحسنة ، ورتب لأسد اليهودي الذي تقدم ذكره راتباً كفاه ، وملاً كفّ رجائه وسدّ فاه .

وكان قد امتزج من العلوم بفنونها ، وأخذ منها نخبة فوائدها ومحاسن عيونها ، فنظم (الحاوي) في الفقه ، ولو لم يعرفه جيداً ماتصرّف معه في نظمه ، ولا اقتدر على تسيير نجمه . وله تاريخ جوده ، ويبيّض به وجه الزمان لمّا سوّده . وكتاب (الكنّاش) مجلدات^(٥) ، وفوائد العلم فيه مغلّدات ، وكتاب (تقويم البلدان)^(٦) ، قال

(١) أي : يلتفت .

(٢) طمست في الأصل .

(٣) في الأصل : « أفكار » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) قوله : « وحازوا » ليس في : (أ) .

(٥) وهو في العلوم من النحو وغيره . إيضاح المكنون : ٢٨٢/٤ ، وهو مخطوط كما في الأعلام : ٣١٩/١ .

(٦) مطبوع .

الإحسان بقوله فيه ودان ، جَدُّوْله وهذَّبَه ، وَجَدَّله فَأَتَقْنَه لَمَّا وَضَعَه وَرَتَّبَه ، وقد أجاد فيه ماشاء ، ونزل تجويده من الأفاضل في صميم الأحشاء . وله كتاب (الموازين) وهو صغير ، وصَوَّبَ إفادته^(١) غزير ، وله غير ذلك .

ونظم القريض والموشَّح ، واستخدم المعاني وأهَّلَهَا ورشَّح . وكان يعرف علوماً جَمَّةً ، وفضائل يستعير^(٢) البدر منها كاله وِثْمَه ، وأجود ما يعرفه الهيئة ، فإذا اشتبك الجدال عليه جعل فرَّه إليها وفيئه .

وكانت عنده كتب نفيسة ملوكية قد حوتها خزانته ، وأمدّه على اقتنائها انتقاؤه وفطانتّه ، فملك منها الجواهر اليتيمة ، والزواهر التي هي في أفقه مقيمة ، وعلى كل حال فكان لسوق الفضل عنده نفاق ، وللعلم عنده تحقيق وصدق دون نفاق ، وللزمان به جملة جمال انسأقت باقيا ، وبدُر بدرٍ لا يزال في مطالع السعود راقياً ، وسلف سُلَاقَة من الجود يطوف بها إحسانه على العفاة ساقياً ، وفضلات فضل طالما أنشدها مؤمّلوه :

وقد يجمع الله الشيتين بعدما يظنان كل الظن أن لاتلاقيا^(٣)

ولم يزل [في]^(٤) ملكه ومسير فلكه إلى أن أصبح المؤيد وقد تحنّذ ، ورئي في معرك المنايا ، وقد تجدّل .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، سحر يوم الخميس الثالث والعشرين من المحرم ، ودفن ضحوة النهار عند تربة والده ظاهر البلد ، في الكهولة ، ولم يكمل الستين .

ولما مات رحمه الله تعالى فرق كتبه على أصحابه ، ووقف منها ، ورثاه الشعراء .

(١) (أ) : « فوائده » .

(٢) سقطت من (أ) .

(٣) للمجنون ، ديوانه : ٢٤٣ .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة^(١) :

ماللندی لا یلبی صوت داعیه أظنُّ أنَّ ابنَ شاذٍ قامَ ناعیه
ماللرجاء قد اشتدَّتْ مذاهبه ماللزمان قد اسودَّتْ نواحیه
نعی المؤید ناعیه فیأسفا للغيث کیف غدتُ عَنَّا غوادیه
ومن شعره ، وقد غنی الناس به مدَّة^(٢) :

اقرأ علی طیب الحیا ة سلام صبُّ ذابَ حزننا
واعلِّمْ بِـذاكَ أحبَّةً بَخِلَ الزمانُ بهم وضنا
لو كانَ یُشرى قُرهم بالمال والأرواح جُذنا
متجرِّع کاسَ الفرا قِ بیبٍ للأشجانِ رهنا
صبُّ قضی وجـدأ ولم یُقضَی لَهُ ما قَدُ تَمَنی
ومنه أیضاً :

کَم مِنْ دَمٍ حَلَلْتُ وَمَا نَدِمْتُ تَفْعَلُ ما تَشْتَهِي وما عُدِمْتُ^(٣)
لو أمکنَ الشمسَ عِنْدَ رُؤیتِها لَمْ مواطي أقدامها لثمتُ
ومنه :

سَرى مَسرى الصِّبا فَعَجِبْتُ مِنْه من المَجرانِ کَیفَ صَبَّا إلَیَّنا
وکیفَ أَلَمَ بِي مِنْ غَیرِ وغَـدٍ وفارِقني ولم یعطِفَ عَلَیَّنا^(٤)

وأنشدني من لفظه جمال الدين محمد بن نباتة ، قال : أنشدني معز الدين محمود بن

(١) ديوان ابن نباتة : ٥٧٠ ، والأبيات في المنهل : ٤٠٣/٢ .

(٢) فوات الوفيات : ١٨٥ .

(٣) (أ) ، (ق) ، والوافي : « فلا » .

(٤) المنهل : ٤٠٥/٢ .

حمّاد الحموي كاتب السّر بحجة لخدمته السلطان الملك المؤيد ، ونحن بين يديه ، وهو مليح غاية :

أحسن به طِرفاً أفوتُ به القضا إن رُمّتْهُ في مطلبٍ أو مهَرَبٍ
مثل الغزاةِ مابدتُ في مشرقٍ إلّا بَدَتْ أنوارُها في المغربِ^(١)
قال : وأنشدني له هذا الموشح أيضاً له^(٢) :

أوقعني العُمُرُ في لعلٍّ وهَلٍّ يا ويح مَنْ قد مضى بهلٍّ ولعلٍّ^(٣)
والشَّيبُ وافيٌ وعنده نَزلا وفرّ منه الشَّبابُ وارتَحَلَا^(٤)
مأوقحَ الشَّيبِ الآتي إذ حلَّ لأعن مَرَضَاتِي^(٥)
قد أضَعَفَتْنِي السَّتونَ لا زمني وخانني تقصُّ قوّةِ الزَّمنِ^(٦)
لكنّ هوى القلبِ ليس ينتقصُ وفيه مع ذا من حِرْصِهِ غُصَصُ^(٧)
يهوى جميعَ اللُّذاتِ كالله من عباداتِ
يا عاذلي لا تطيل ملامك لي فإنَّ سمعي ناءٍ عن العَذْلِ^(٨)
وليس يُجدي الملام والفنْدُ فبين صاباتِ عشقه عَدَدُ^(٩)
دعني أنسا في صبّواتي أنتَ البَري من زلّاتي
كم سرّني السُّدْهُرُ غيرَ مقتصر

(١) طبقات الشافعية : ٤٠٤/٩ ، والمنهل : ٤٠٦/٢ .

(٢) قوله : « له » ليس في (أ) ، (ق) .

(٣) في المنهل : « يا ويح من عمره مضى بلعل » . وهو أشبه بالصواب .

(٤) في الوافي : « واف » .

(٥) في الأصل : « إذ خلا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي ، والفوات ، والمنهل .

(٦) في المنهل : « قوّة البدن » .

(٧) في المنهل : « من جرحه » .

(٨) في الفوات : « نأى » . وكذا في المنهل . وفي الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

(٩) في الفوات والمنهل : « جُدّد » .

يُمزج في طيب عيشنا الرِّغد طرفي وروحي وسائر الجسد^(١)
 وكَم صفت لي خطراتي وطاوعتني أوقاتي^(٢)
 مضى رسولي إلى معذّبتِي وعادَ في بهجة مجدّة
 وقالَ: قالت: تعالَ في عجلِ بمنزلي قبل أن يَجِي رَجلي^(٣)
 واصعد وَجُزْ من طاقاتي ولا تَخَف من جاراتي

قلتُ: وهذه الموشحة جيدة في بابها ، متحيّدة عن^(٤) طلاّها ، وقد عارض بوزنها موشحة لابن سناء المَلِك رحمه الله تعالى وأولّها :

عسى ويا قلماً تفيّدُ (عسى) أرى لنفسي من الهوى نَفْساً
 مُذْبانَ عني مَن قد كُلّفتُ به قلبي قد ذابَ في تقبُّله^(٥)
 وبِى أذى شوقِ عاتِي ومدمعي يومَ شات
 لا أترك اللّهُو والهوى أبداً وإن أطلّت الملامَ والفنّدا^(٦)
 إن شئتُ فاعذلُ فليستُ أستمعُ أنا الذي في الغرام أَتْبَعُ
 وتحتذى صباباتي وبدعي وعاداتي
 بي مَلَك في الجمال لا بشرُ يُظلمُ إن قيل: إنه قمر^(٧)
 يحسُن فيه الولوع والولءُ وعِزُّ قلبي في أن أذلَّ لَهْ
 خديّ هذا لمن ياتي ويرتعي حشاشاتي^(٨)

(١) (ق) ، والفوات والمنهل : « نرح » ، وفي الوافي : « يرح » .

(٢) في الفوات : « وساعدتني » .

(٣) في الوافي والمنهل : « لمنزلي » .

(٤) نقل صاحب المنهل قول الصفدي وفيه هنا : « منيعة على طلاّها » .

(٥) (أ) ، (ق) ، والوافي ، والفوات ، والمنهل : « ليج » .

(٦) (ق) ، والوافي ، والفوات والمنهل : « الغرام » .

(٧) (أ) : « يظلم من قال » .

(٨) في الفوات والمنهل : « إن يأتي » .

لست أذمُ الزَّمانَ معتديا كم قد قطعتُ الأيامَ مُلتهيا^(١)
 وظلْتُ في نعمةٍ وفي نعيمٍ يلتذُّ سمعي وناظري وفي
 ولا قَدَى في كسائي ومرتعي في الجناتِ
 وغادةٍ دينُها مخالفتي ولا ترى في المَوى مخالفتي
 وتستبينني ولستُ أسمعُها فقلتُ قولاً عساهُ يَخدعُها^(٢)
 ماهو كذا يامولائي أجري معي في مأواي

وموشحة السلطان رحمه الله تقصت عن موشحة ابن سناء المَلِك قافيتين ، وهي
 الذال في (كذا) ، والعين في (معي) ، وخرجة ابن سناء المَلِك أحرَّ^(٣) من خرجة
 السلطان وأحلى .

ولشيخنا العلامة شهاب الدين محمود فيه أمداح طنّانة ، فمنها ما أنشدنيه^(٤) إجازة :

مِعَادُ صَبْرِي وسلوي المعاد فالحُ امرأُ يسليه طولُ البعاد
 ولا تَلَمَّ مَنْ دَمَعَ أَجْفَانِه إنْ ظنَّ صرفَ الدهرِ بالقربِ جاد
 فبينَ جَفَني والكرى نفرة وبينَ قلبي والغرامِ اتّحاد
 فلا تَعِدْ بالنُّومِ جَفَني فما يرجعُ يوماً برقائك الرُّقاد
 وإنْ تَرَدَّ علمُ بديعِ الهوى فأتَ لي عندي فعندي المراد
 جانسَ رعيَ النّجمِ مُستيقظاً لي في الدُّجا بينَ السَّها والسُّهاد^(٥)
 وطابَقَ الشُّوقُ لهيبي فما دمعي فظلاً بينَ خافٍ وباد
 وقَسَمَ الوَجْدُ غرامي كما شادَ أعضائي على ما أَراد

(١) في الوافي ، والفوات والمنهل : « الزمان » .

(٢) (أ) : « وتستهيني » . وفي : (أ) ، (ق) ، والوافي ، والفوات : « أمنعها » .

(٣) (أ) : « أحسن » .

(٤) (أ) ، (ق) : « ما أنشدنيه له » .

(٥) (أ) : « مرعى » .

فقلتي للدمع والجسم للأش
 وفرغ الحب الضنى في الحشا
 فما ظبي أرهفها قينها
 يوماً بأمضى من جفون بدت
 وقلت بالوجب في قولهم
 فهو كما قالوا ولكنّه
 ياراكباً يفري جواد الفلا
 يسري فتبديه ظهور الربا
 مدرعاً فوق الربا بالدجا
 معتسفاً ليس له إن خبت
 بلى ونشر عاطر مر من
 قبل تراها إذ تراها وكر
 حيث النداء والفضل بادي السنّا
 أضحت وقد شيد أرجاءها المولى
 حمى حماها بأسه والندى
 وإن يطّل عهد الربا والحيّا
 من حاتم يوم القرى والندّا
 من أحنف في الحلم دع ذكره
 عالي المدا داني الندى باسل
 قام والقلب لحفظ الوداد
 عن مقل فيها منايا العباد
 ليوم حرب من سيوف حداد^(١)
 من كحل خالطها في حداد
 بعد النوى يعرف صدق الوداد
 يعرف من وده في ازدياد^(٢)
 على أمّون جصرة أو جواد^(٣)
 طوراً وتخفيه بطوف الوهاد
 مثل خطيب في شعار السواد
 أشعة النجم سوى الشوق هاد
 حاة في المسرى على خير ناد
 ره فأحلى اللثم لم معاد
 والعدل والمعروف واري الزناد
 المولى عماد الدين ذات العباد
 فأهلها من عدله في مهاد^(٤)
 جدّد بالجوّد عهد العهد^(٥)
 من عامر يوم الوغى والجلاد
 ولا تقس قساً به في إيباد
 أروع بسام طويل النجاد

(١) في الأصل : « أرهفها » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل (ورده) ، وأثبتنا ما في : (ق) .

(٣) (أ) : « أديم الفلا » .

(٤) في المنهل : « فأهله » .

(٥) (أ) ، (ق) : « الثرى بالحبا » .

كأنّا أسيفاًه إن سطا
 رؤوسهم توقن إن عاينت
 من أسرة أغلوا منار الهدى
 واسترجعت أسيفاهم عنوة
 وشيدوا دين الهدى فاعتلى
 وحكمت أيديهم وفداهم
 قد أنشأ الله به ذكرهم
 وزان أيامهم فضله
 يسري على البعد مديحي له
 ما بين فضل وندى سائغ
 يا ملكاً أفحمني فضله
 عذراً فلو أستطيع سطرتهما
 تهنّ عيّد النحر واسعده به
 ودم ثمالاً لعفاة كفوا
 مهما أتوا بابك ألفوا به
 واجتل غيداً من ثناً زفها
 ما مال عطف الغصن أو غرّدت

على العدا في وقعها ریح عاد
 سمر قناه بصعود الصّعاد
 وذللوا أعناق أهل العنّاد
 ما استودعت أعداؤهم من بلاد
 بين جهاد منهم واجتهاد
 فيما رجوا من طارف أو تِلاد
 فقبل عاش الفضل والعدل عاد
 وجوده الهامي فأربي وزاد^(١)
 فيلتقيه الفضل من كل واد
 مع كرم يؤمنه الانتقاد
 فال بي العجز إلى الاقتصاد
 في أبيض الطرف بنقش السّواد^(٢)
 وصل وانخر بالسّطا كلّ عاد
 ببحر نعمان ورود الثّاد
 عين ندى يروى بها كلّ صاد^(٣)
 في حلقي إنشادهما كلّ شاد
 له قيان الورق زهواً وماد

٢٦٤ - إسماعيل بن الفرّج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر*

السلطان أبو الوليد الغالب بالله الأرجوني صاحب الأندلس .

(١) (أ) : « في أيامه » .

(٢) (أ) : « الطرس » .

(٣) الزيادة من : (أ) ، (ق) ، يقتضيها البيت .

* الوافي : ١٨٤/٩ ، والدرر : ٣٧٥/١ ، والمنهل الصافي : ٤١٦/٢ ، وفيه : « بن نصر » .

استولى على الأندلس ثلاث عشرة سنة ، فأبعد الملك أبا الجيوش خاله ^(١) ، وقرر له وادي آش ^(٢) .

وكان أبوه الفرّج متولياً لِمَالِقَة مدة ، فشبَّ إسماعيل ، وعزم على الخروج ، فلامه أبوه فقبض على أبيه مكرماً ، وعاش الأب في سلطنة ولده عزيزاً إلى شهر ربيع الأول سنة عشرين وسبع مئة ، وقد شاخ . وكان الذي نهض بتليك إسماعيل أبو سعيد ^(٣) بن أبي العلاء المَرِينِي ^(٤) وابن أخيه أبو يحيى .

وكان الغالب للناس غالباً ، شجاعاً محارباً ، ناهضاً بأعباء ملكه ، رافضاً لمن لا ينخرط في سلكه ، عديم النظير ، عظيم النكير ، مويّداً على عدوّ الدين ، مشيداً لدين الإسلام بإهلاك الملّحين ، هزم الله جيوش الكفر على يده ، وأباد ملوك الصليب ، وأحرقهم من توقّده ، وكانت وقعة عظيمة ، فتح الله بها ، وأذلّ الفرنج للمسلمين بسببها .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح الغالب بالقدر مغلوباً ، وراح ظفّره مقلوباً ، وصنغ شقيق دمه سوسن الحُسام ، وصالت على وحدته المنايا الجسام ؛ لأن ابن عمّه ، وثب عليه وقتله ، وردّه عن الحياة وقتله ، ثم إن أعوانه وخدمه أخذوا بثأره في يومه ، ونَبَّهوا لذلك الدهر من نومه ، وملّكوا ولده محمداً ، فكان شهماً ممّجداً ، وذلك في ذي القعدة سنة عشرين وسبع مئة .

(١) واسمه : نصر بن محمد ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) من كورة إلبيرة بالأندلس . معجم البلدان : ١٩٨/١ .

(٣) (أ) ، (ق) ، والوافي : « أبو سعيد » .

(٤) عثمان بن إدريس (ت ٧٣٠ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

٢٦٥ - إسماعيل بن عمرو بن المسلم بن الحسن بن نصر*

الشيخ الصدر الكبير العدل الراضي^(١) العابد ضياء الدين أبو الفداء ابن الصدر عز الدين ابن الشيخ رضي الدين أبو^(٢) الفضل الدمشقي المعروف بابن الحموي .

سمع من عثمان بن علي بن خطيب القرافة^(٣) كتاب (المصافحة) للبرقاني^(٤) ، و (المجالس السلماسية)^(٥) ، و (أخبار النحويين) لابن أبي هاشم^(٦) ، وهو جزء لطيف ، وتفرّد برواية ذلك عنه . وسمع (جزء ابن عرفة) من شيخ الشيوخ الأنصاري . وسمع على جماعة من المتأخرين .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : وخرّجت له جزءاً عن ثلاثين شيخاً . وكان شيخاً مباركاً كثير التلاوة ، يصوم الاثنين ويفطر هو وجماعة من الفقراء وغيرهم . وحجّ أربع مرات ، وجاور بمكة سنة ، وأقام بالقدس مدة . وكانت له كتب جيّدة يطالع فيها . وقال : لم أر حماة لأنا ولا والدي . وكان مستوفي الخزانة .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع عشر صفر سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وثلاثين وست مئة . ومثّعه الله بجميع حواسه إلى أن مات رحمه الله ، وقد جاوز التسعين .

* الدرر : ٣٧٤/١ ، والشرذات : ٧٦/٦ .

(١) (أ) ، (ق) : « الرضي » .

(٢) (أ) : « أبي » .

(٣) (ت ٦٥٦ هـ) ، السير : ٢٤٧/٢٣ .

(٤) أحمد بن محمد بن أحمد الخوارزمي (ت ٤٢٥ هـ) . السير : ٤٦٤/١٧ . ووقع اسم الكتاب في الكشف :

« المصافحة » ، ثم قال : وهو أربعون حديثاً . الكشف : ٧٠٤/٢ .

(٥) جاء في الكشف ، ٩٩٧/٢ : « السلماسيات : وهي المجالس الخمسة من أمالي الحافظ أبي طاهر أحمد بن

محمد السلفي الأصبهاني » .

(٦) عبد الواحد بن عمر البغدادي (ت ٣٤٩ هـ) ، السير : ٢١/١٦ .

٢٦٦ - إسماعيل بن محمد بن عبد الواحد*

ابن إسماعيل بن علي بن صدقة ، العدل الرئيس نفيس الدين الحراني ثم الدمشقي ، ناظر الأيتام .

سمع (الموطأ) من مكرّم^(١) . وحدث . وسمع بنفسه من ابن مسلمة وغيره .

كانت له دار مليحة بدمشق ، فوقها مدرسة^(٢) ، وجعل الوقف على أهل الحديث وحبسه ، وهي بدمشق في الرّصيف من سوق الكُفّت مشهورة ، وحسنات واقفها في صُحفه مسطورة ، وليّ مشيختها تاج الدين الجعّبري^(٣) ، وقرأ بها الشيخ علم الدين البرزالي ، ونزل بها الشيخ أبو الحسن الخُتنيّ وجماعة .

ولم يزل نفيس الدين على حاله إلى أن فاضت نفسه ، وضّمه رسمه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وتسعين وست مئة .

ومولده سنة ثمان وعشرين وست مئة .

٢٦٧ - إسماعيل بن محمد بن إسماعيل**

الشيخ الصالح مجد الدين الحراني الحنبليّ .

قدم دمشق شاباً ، واشتغل وبرع في المذهب . وأخذ عن ابن أبي عمر ، وابن عبد الوهاب^(٤) ، والفخر البعلبكي ، وابن المنجّ . وسمع من ابن الصيرفي وغيره .

* الوافي : ٢١٢/٩ ، والمنهل الصافي : ٤٢٨/٢ ، والدارس : ٨٤/١ ، وشذرات الذهب : ٤٣٥/٥ .

(١) هو مكرّم بن محمد بن حمزة القرشي المعروف بابن أبي الصقر (ت ٦٣٥ هـ) ، العبر : ١٤٦/٥ .

(٢) تدعى دار الحديث النفيسية . الدارس : ٨٤/١ .

(٣) صالح بن تامر ، ستأني ترجمته في موضعها .

** الوافي : ٢١٣/٩ ، والبداية والنهاية : ١٤٦/١٤ ، والدرر : ٣٧٧/١ ، والشذرات : ٨٩/٦ ، والمنهل

الصافي : ٤٢٢/٢ .

(٤) محمد بن عبد الوهاب الحراني (ت ٦٧٥ هـ) ، العبر : ٣٠٦/٥ .

وكان في الفقه رأساً . تخرَّج به جماعة ، وكان العلم به في إذاعة من غير إضاعة . وكان يهضم قدره ، ولا يُعرِّف الناس أمره ، فإنه كان في مدارس تلاميذه معيداً ، وقد جعل الله بينهم وبينه بوناً بعيداً . وعنده إخلاص وورع ، وما ترك هضبة من الخشوع حتى اعتلاها وفرع .

ولم يزل على حاله إلى أن فرغ الأجل ، وحلَّ به أمر الله عزَّ وجلَّ .

وتوفي رحمه الله تعالى في تاسع جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، وعاش ثلاثاً وثمانين سنة ، وشيَّعه خلق كثير ، وجمع غزير ^(١) .

٢٦٨ - إسماعيل بن محمد بن عبد الله*

القاضي الكبير الرئيس ، أبو الفداء ، ابن القاضي شرف الدين ابن الصاحب فتح الدين بن ^(٢) القيسراني .

كان موقع الدست بالقاهرة ، ثم إنَّ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أخرجه إلى حلب كاتبَ سِرٍّ في أيام الأمير علاء الدين الطنغا . وصل إليها في أوائل شوال سنة أربع عشرة وسبع مئة ، فباشر الوظيفة على القالب الجائر ، وأجرى الله بسعده فيها الفلَّك الدائر ، وضاق بالنائب عَطْنُه ، وصار فيها كالغريب معه وهي وطنه ، وكثر له الحسدة ، وجاءه ^(٣) كيد أعادييه وحشده ، وأوهوا الأكابر الذين في مصر منه ، وبلَّغُوهم ما اختلقوه عنه ، فساعدوا الحلبيين على عزله ، ونَقَضَ عَزْلَه .

وحضر هو وأولاده إلى دمشق ، ورُتِّبَ فيها موقع الدست كبيراً ^(٤) ، وجُعِلَ ولداه

(١) في المنهل : « مولده سنة ست وأربعين وست مئة » .

* الوافي : ٢١٧/٩ ، والدرر : ٣٧٨/١ ، والشذرات : ١١٣/٦ ، والمنهل الصافي : ٤٢٣/٢ .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) في الأصل : « وجاء » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « كثيراً » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

في كتاب الإنشاء ﴿سراجاً وقمراً منيراً﴾^(١) ، ومال إليه آخر الأمر تنكز وأحبه ، وملّكه خاطره ولّبه .

وكان ديناً خيراً صيناً ، يتعصّب لمن يقصده ، ويراقب عونه ويرصده ، يؤثر الفقراء ويودّهم ، ويقوم معهم إلى أن يُقبلَ حظّهم وجَدّهم .

وكان حسنَ المحاضرة ، متّع المذاكرة ، يستحضر من حكايات الصالحين جمّله ، ويتولى من أمرها حمّله ، لوجّلت معه ثلاثة أيام بلياليها لأورد عليك جملة من أماليها .

وكان وهو بالديار المصرية يحضر السماع ، مع ما عنده من العزلة والانجتماع ، وعليه فيه أنس وحركة ، ويرى الناس منه في ذلك خيراً وبركة .

وروى عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وغيره . وحدث بدمشق .

ولم يزل بدمشق إلى أن نزل الموت بابن القيسراني قسراً ، وجعل العيون بالحزن عليه حسرى .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث عشر ذي القعدة سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، وكانت جنازته حفلة ، ودفن بمقابر الصوفية .

اجتمعت به - رحمه الله تعالى - بدمشق غير مرة ، والتقطت من إنشاده غير دُرّة ، وأولاني من خيره وجبره الإحسان والمبرّة . ولما توفي - رحمه الله تعالى - كنت بالديار المصرية ، فكتبت إلى ولده القاضي شهاب الدين يحيى - رحمه الله تعالى - أعزيه فيه ، يأتي ذكر ذلك فيما بعد .

وكان قد كتب إليّ وأنا بالقاهرة^(٢) :

(١) الفرقان : ٦١/٢٥ .

(٢) (أ) : « وأنا بالقاهرة هذه الأبيات » .

وقد صحّ دونَ الجسمِ فيكَ وِدَادُهُ
إليكِ طوَالِ الدَّهْرِ تجري جِيَادُهُ
وإن كنتَ في مغنى يزولُ فسادُهُ

فكتبتُ أنا الجوابَ إليه :

بعيني بل يعلو عليها مِدَادُهُ
على الخطْبِ حتّى خافَ مِنِّي عِتَادُهُ
إلى أنْ غدا في حُكْمِ أُمري قِيَادُهُ
تَذَكَّرْكُمْ قلبي يزيدُ اتِّقَادُهُ
من الخاطرِ المشتاقِ إلّا رِمَادُهُ
وتمّ لهُ ممّا يرومُ مرَادُهُ
لأنّك منْ دُونِ الأنعامِ عِمَادُهُ
عليه بعيدُ أن يراه فسادُهُ
لِنَيْلِ العُلا يومَ الفخارِ جِيَادُهُ
تَكَلَّ فيه حُلْمُهُ وسَدَادُهُ
وصحّ على زَيْفِ الأنعامِ انتِقَادُهُ
فطارِفُهُ مَجْدٌ عَلا وتِلَادُهُ
عِمَادُهُم دُونِ الأنعامِ مِعَادُهُ
فطالت رَوَايِيهِ وطابتْ وَهَادُهُ
على عاتقِ المَلِكِ الأغرِّ نَجَادُهُ
وما قَصُرَتْ في الدَّارِعينِ صِعَادُهُ^(١)
لبيتكم نِيَاتُهُ واعتِقَادُهُ
وصحّ على طولِ البَعَادِ وِدَادُهُ

إليكِ صلاحِ الدينِ شَوْقُ امرئِ غدا
ترحلتَ عن مغنى دمشق فشوقُنَا
إذا كُنْتَ في أرضٍ يحلُّ صلاحُهَا

أتاني مثالُ منك يُفْدِي سَوَادُهُ
أمنتُ بِهِ دَهْرِي وُصِّلْتُ بِوَصْلِهِ
وصرّفتُ في صرفِ الزَّمَانِ أَنَامِلِي
وأطفأُ جَمْرًا في الجَوَانِحِ كُلِّهَا
ولو لم يَرِدْ هذا المثالُ لما بقي
لقد أصبحَ المملوكُ عبداً مَكَاتِباً
فلا غَرْوُ أن يُوَثَّقَ على الأفقِ مَجْدُهُ
وإنْ صلاحاً نال عَطْفَكَ في الوري
أيا من له سَبَقٌ للعَالِي إذا جَرَتْ
ومن يتحلّى الدَّهْرُ مِنْهُ بِمَاجِدِ
ومَنْ لاقَ في عينِ الكَالِ انتِقَاؤُهُ
ومَنْ فرّعتهُ دوحَةٌ خَالِدِيَّةُ
ليَهْنِي بني مخزومٍ فخرٌ غدا إلى
وفاحتْ خِزَامِي مجدٍ مخزومٍ في الوري
ولم لا وسيفُ الله خَالِدٌ مِنْهُمْ
فكم طَالَ مِنْهُ لِلْعِدَى صَدْرُ أَبْتَرِ
بَقِيَتْ عِمَادُ الدِّينِ ذُخْرُ امرئِ صَفْتِ
وأخلصَ فيكم حُبُّهُ وولاءُهُ

ونسخة الكتاب الذي كتبته إلى ولده القاضي شهاب الدين يحيى أعزّيه في والده من القاهرة^(١) :

أَيُّ خَطْبٍ بِهِ تَلْطَى فُوَادِي وَأَسَالَ الدَّمُوعَ مِثْلَ الْغَوَادِي
وَأَعَادَ الْحَمَامَ يَنْدُبُ شَجَوًا فَوْقَ قَرَعِ الْأَرَاكِةِ الْمِيَادِ
وَكَسَا الْأَنْجَمَ الزَّوَاهِرَ طُرًّا فِي ظِلَامِ الدُّجَى ثِيَابَ الْحِدَادِ
وَأَبَاحَ الْأَسَى حَمْلَ كُلِّ صَبْرٍ مِنْ رُبَا كُلِّ بَلَدَةٍ أَوْ وَهَادِ
قَدْ أَصَمَّ الْأَسْمَاعَ نَعْيُ عَمَادِ السُّدَيْنِ فَالْنَّاسُ بَعْدَهُ فِي جِهَادِ
فِيهِ نَظْمِي يَخُوضُ فِي كُلِّ بَحْرِ وَفُـوَادِي يَهِيمُ فِي كُلِّ وَادِ
أَمْ كَيْفَ الْقَرَارَ فَوْقَ فِرَاشِ مَلَاتَهُ الْأَحْزَانُ خَرُطَ الْقَتَادِ^(٢)
كَيْفَ تَلْتَذُّ بِالْمَنَامِ جَفُونُ قَدْ مَحَاهَا الْبُكَاءُ وَطَوَّلَ السُّهَادِ
كَيْفَ لَا تَلْتَظِي دِمَشْقَ وَلَوْ لَا هَلُمَّا سُمِّيتَ بِذَاتِ الْعِمَادِ^(٣)
أَيْنَ ذَاكَ الْجَلَالَ فِي الْحَفْلِ لَمَّا يَكْتَسِيهِ مِنْ أَنْفَسِ الْأَبْرَادِ
وَالْوَقَارَ الَّذِي يَقْرَأُ رِسْوَخًا حِينَ تَهْفُو الرِّيَّاحُ بِالْأَطْوَادِ
كَمْ حَمَى بِالْيَرَاعِ مُلْكًا فَلَمْ يَخُتِجْ لِبَيْضِ الظُّبَا وَشُرِّ الصَّعَادِ
وَلَكُمْ زَانَ فِي دِمَشْقَ وَمَصْرٍ دَارَ عَذْلِ بِالرَّأْيِ فِي الْأَشْهَادِ
وَلَكُمْ قَدْ أَتَى بَصْدَعَةٍ حَقٌّ خِيفَ مِنْ بَأْسِهَا عَلَى الْأَكْبَادِ
هَكَذَا مَنْ يَكُونُ عِنْدَ مُلُوكِ لِكِ الْعَصْرِ يَهْدِيهِمْ سَبِيلَ الرُّشَادِ
حَمْلُوهُ فَوْقَ الرِّقَابِ وَلَكِنْ بَعْدَمَا أَثْقَلَ الْوَرَى بِالْأَيَادِي^(٤)
مَنْ كَرَامٍ رَأَقَتْ مَعَانِي عُلَامِ وَتَغْنَى بِمَدْحِهِمْ كُلُّ شَادِ
نَسَبٌ بَاهِرُ السَّنَا خَالِدِي قَدْ تَسَاوَتْ غَايَاتُهُ وَالْمِبَادِي

(١) أورد صاحب المنهل الأبيات الثلاثة الأولى .

(٢) في المثل : « دونه خرط القتاد » ، يضرب لما هو مستحيل وقوعه .

(٣) البيت ليس في (أ) .

(٤) (أ) ، والوافي : « على الرقاب » .

يَا ذُمُوعِي بِاللَّهِ رَوِّ ثَرَاهُ إِنَّ تَحْنُ قَبْرَهُ عَهْوُ الْعِهَادِ
 آهَ وَأَوْحَشْتَ لَذَاكَ الْمُحْيَا وَافْتَقَارِي لِنُورِهِ وَافْتَقَادِي
 لَمْ يَغِبْ مِنْ نَأَى وَأَبْقَى شَهَاباً لَمْ يَزَلْ دَائِمَ السَّنَا فِي اتِّقَادِ
 يَتَرَأَى فِي الدَّسْتِ بَيْنَ جَمَالِ وَجَلَالِ وَسُؤْدِ وَسَدَادِ
 فَتَوَاقِعُهُ تَرَاهَا طَرَاً رُمِي الرُّوضُ عِنْدَهَا بِالْكَسَادِ
 وَبِأَقْلَامِهِ يُسَرُّ الْمَوَالِي أَنْ بَرَاهَا كَمَا يَسُوءُ الْأَعَادِي^(١)
 قَدْ تَلَقَيْتُ رَاغِئاً يَا شَهَابَ السُّدَيْنِ خُطْباً يَفُضُّ صَمَّ الصَّلَادِ
 لَسْتُ فِي هَذِهِ الْمَصِيبَةِ فَرْداً وَهِيَ قَدْ أَنْكَأَتْ قُلُوبَ الْعِبَادِ
 فَاصْطَبِرْ وَاحْتَسِبْ عَلَى اللَّهِ أَجْراً تَلَقَّهِ عُدَّةَ لِيَوْمِ الْمَعَادِ
 لَمْ يَخَفْ وَجَدِي بِهِ غَيْرَ ظَنِّي أَنَّهُ فِي الْمَعَادِ خَيْرٌ مَعَادِ
 مَلَأْتُ صُحُفَهُ مِنَ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى فَوَلَّى مِنْهَا بِأَفْضَلِ زَادِ
 فَهُوَ عِنْدَ إِلَهِهِ جَلٌّ مَقِيمٌ فِي نَعِيمٍ مَا إِنَّ لَهُ مِنْ نَفَادِ
 فَالْبُكَاءُ فِي الْوَرَى عَلَى مِثْلِ هَذَا «غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي»^(٢)

يَقْبَلُ الْأَرْضُ ، وَيَنْهِي مَا بَلَغَهُ مِنَ النَّبَأِ^(٣) الَّذِي شَقَّ قَلْبَهُ ، وَزَادَ كَرْبَهُ ، وَأَذْهَلَ
 لُبَّهُ ، وَأَضْعَفَ جَلْدَهُ ، وَقَوَّى مِنَ الْحُزْنِ حُزْبَهُ ، وَأَغَارَ عَلَى الصَّبْرِ فَلَمْ يَدْعِ عِنْدَ حَبَّةِ
 الْقَلْبِ حَبَّةً ، وَشَنَّ عَلَى الْفُؤَادِ حَرْبَهُ لَمَّا أَعْمَدَ فِيهِ حَرْبَةً .

لَمْ يَبْقَ مِنْ بَدَنِي جُزْءٌ عَلِمْتُ بِهِ إِلَّا وَقَدْ حَلَّه جُزْءٌ مِنَ الْحَزَنِ
 كَانَ اللَّحَاقُ بِهِ أَوْلَى وَأَحْسَنَ لِي مِنْ أَنْ أَعِيشَ سَقِيمَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ

(١) (ق) : « المعادي » . وفي الوافي : « كما يساء المعادي » ، وأشار بحقيقته في الحاشية إلى أنه في الأصل :
 « يسوء » .

(٢) فيه تضمين لصدر بيت لأبي العلاء المعري :

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي نُوحٌ بِكَ أَوْ تَرْنُمُ شَادِي

(٣) (أ) : « هذا النبأ » .

﴿ فَإِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ قَوْلُ مَنْ وَهَىٰ عِمَادُهُ ، وَفَقَدَ مَنْ كَانَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَيْهِ ^(١) تَوَكَّلَهُ وَاعْتَمَدَهُ ، وَذَهَبَ مَنْ كَانَ يَفْدِيهِ مِنَ الْقَلْبِ سُوَيْدَاؤُهُ ، وَمَنِ الطَّرْفِ سَوَادُهُ ، وَعَدِمَ مَنْ أَحْزَنَ الْوُجُودَ فَقَدَهُ حَتَّى نَشَرَ مِنَ اللَّيْلِ جَدَادُهُ ، وَذَرَّ مِنَ الصَّبَاحِ رِمَادُهُ :

مَضَى طَاهِرُ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ بَقْعَةٌ غَدَاةَ ثَنَوَى إِلَّا اشْتَهَتْ أَنْهَا قَبْرٌ ^(٢)

فَرَحِمَ اللَّهُ تِلْكَ الرُّوحَ الطَّاهِرَةَ وَزَكَّاهَا ، وَشَكَرَ لَهَا بَرَّهَا الْمُتَنَوِّعَ وَتَقَوَّاهَا ، وَرَفَعَ أَعْمَالَهَا إِلَى دَرَجَاتِ الْأَبْرَارِ وَرَقَّاهَا ، وَأَجْزَلَ لَهَا مَوَادَّ الْغَفْرَانِ وَأَنْمَاهَا ، وَنَوَّلَهَا مِنَ الرِّضْوَانِ مَا لَا يَنْقُطِعُ أَمْدُهُ وَلَا يَتَنَاهَى ، وَجَعَلَ دَارَ الْمَقَامَةِ مَقَامَهَا ، وَفِي جَنَّةِ الْمَأْوَى مَأْوَاهَا ، فَإِنَّهُ كَانَ زَكَّاهَا وَهَذَّبَهَا فِي طَوْلِ مَدَّتِهِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، وَمَا بَقِيَ لِمَوْلَانَا - أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَهُ - غَيْرُ الْأَخْذِ بَسْتَةِ الصَّبْرِ ، وَالتَّأْسِي بِكُلِّ فِرْعٍ تَثْنَى عَلَى الْأَرْضِ ، وَأَصْلَهُ قَدْ ذَوَى عَلَى الْقَبْرِ ^(٣) ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا بَدَّ لَنَا مِنْ شَرْبِ كَلْسِهِ وَبُلُوغِ أَنْفَاسِهِ ، وَنَفُوذِ سَهْمِ الْمَنِيَةِ فِي قَرْطَاسِهِ ، وَهُوَ - أَحْسَنَ اللَّهُ عَزَاءَهُ - أَعْلَمُ بِمَا يَقَالُ وَأَخْبَرُ وَأَجْلُ مَنْ أَنْ ^(٤) يَنْبَغُهُ لِمِثْلِ هَذَا وَأَكْبَرُ :

أَنْتَ يَا فَوْقَ أَنْ تُعْزَى عَنِ الْأَحْبَابِ فَوْقَ الَّذِي يَعْزِيكَ عَقْلًا

وَمَنْ كَانَ مَوْلَانَا خَلَفَهُ فَمَا غَابَ شَخْصُهُ ^(٥) عَنْ غَابِهِ ، وَلَا ظَنَّ سُوْدُدَهُ عَنْ جَنَانِ جَنَابِهِ ، فَيَا هَذَا دَسْتِ أَنْتَ صَدْرُهُ ، وَأَقْفُ مَنْصَبِ [أَنْتَ] ^(٦) بَدْرُهُ ، وَيَا انْتِصَافَاتِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَعَلَى » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي : (أ) ، (ق) .

(٢) مِنْ قَصِيدَةِ أَبِي تَمَامٍ فِي رِثَاءِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمِيدِ الطُّوسِيِّ . وَدِيَوَانُهُ : ٨٤/٤ .

(٣) (أ) : « ثَوَى فِي الْقَبْرِ » . وَفِي (ق) : « ذَوَى فِي الْقَبْرِ » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « مِنْ » ، وَلَا وَجْهَ لَهَا ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي : (أ) ، (ق) .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « شَخْص » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي : (أ) ، (ق) .

(٦) زِيَادَةٌ مِنْ : (أ) ، (ق) .

ظلمات أقلامك الحاكمة بفضلها^(١) ، ويا بشارة دار عدلٍ تواقعك أربابٌ عقدها وحلّها ، فإنّا معشَرَ الأولياء لنضع الجبابة شكراً على الثرى :

وإنّا لتتلو الحمد فيك مكرّراً وإنّا لنرجو فوق ذلك مظهرًا^(٢)
والله يهب مولانا عمراً مديداً ، وعزّاً أكيداً ، ويجعله كجدّه خالداً يرى كلّ يوم وليداً ، بمنّ وكرمه إن شاء الله تعالى .

٢٦٩ - إسماعيل بن محمد بن عبد الكريم*

ابن عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل ، الشيخ الجليل العدل الفقيه الأصيل ، الصدر^(٣) شرف الدين أبو الفداء الأنصاري الحزستاني الدمشقي .

روى عن السّخاوي ، والقرطبي ، والعزّ بن عساكر ، وعتيق حضوراً . وسمع من جدّه ، وعبد الله بن الخشوعي ، وإسماعيل العراقي ، وعثمان خطيب القرافة ، وجماعة . وكان جيّداً حسن الخلق يخدم [في]^(٤) الدواوين ، ويحضر درس الأمانة^(٥) ، وله ملك .

توفي رحمه الله تعالى يوم السبت رابع المحرم سنة تسع وسبع مئة .

ومولده في شهر رجب الفرد سنة تسع وثلاثين وست مئة بالجويرة بدمشق .

(١) (ق) : بفصلها .

(٢) عجز البيت من قصيدة للنايفة الجعدي ، وصدّره :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا

ديوانه : ٥١ و ٦٨ و ٧٣ .

* الدرر : ٢٧٩/١ .

(٣) قوله : « ابن محمد » حتى ههنا ليس في (أ) .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « الأمانة » تحريف .

٢٧٠ - إسماعيل بن محمد بن ياقوت*

الصدر الخواجة مجد الدين السّلامي .

كان من تجّار الخاصّ في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، يدخل إلى بلاد التتار^(١) ، ويتجّر ويتبضع ، ويعود بالريق وغيره من أنواع المتاجر وغرائب البلاد . واجتهد مع التّوين جوبان - رحمه الله تعالى - إلى أن اتفق الصّح بين السلطان الملك الناصر وبين القان بوسعيد ، فانتظم ذلك بسفارته وحسن سعيه ، وازدادت وجاهته عند الملكين ، وكان يسفره الملك الناصر ، ويقرّر معه أموراً يريدّها ، فيتوجّه ويقضيها على وفق مراده بزياداتٍ فأحبّه وقرّبه ، ورثب له الرواتب الوافرة في كل يوم من الدراهم واللحم والغليق والسكر والحلوى والكّاج والرقاق مما لعلّه يبلغ في اليوم مئة وخمسين درهماً ، وأعطاه قرية « أراق » ببلبك ، وأعطى ممالكه إقطاعات في الحلقة ، وكان يتوجه إلى الأرد^(٢) ويقيم فيه الثلاث سنين والأربعة ، والبريد لا ينقطع عنه ، وتجهّز الثّحف والأقشة وغيرها إليه ليفرقها هو على من يراه من أعيان الأردو وخواص بوسعيد^(٣) ثقة بمعرفته ودربته .

وكان النّشوناظر الخاص لا يفارقه ولا يصبر عنه ، ومن أملاكه ببلاد الشرق السّلامية والماحوزة والمراوزة والمناصف . ولمّا توفي الناصر تغيّر عليه الأمير سيف الدين قوصون وأخذ منه مبلغاً يسيراً .

وكان ذا عقل وافر ، وفكر على الإصابة متضافر ، خبيراً بأخلاق الملوك وما يليق

* الوافي : ٢٢٠/٩ ، والدرر : ٣٨١/١ .

(١) في الأصل : « الشام » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ق) ، والوافي .

(٢) في الأصل : « الأرد » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ق) .

وعبارة الوافي : « وكان إذا سافر إلى بلاد تبريز يقيم بالأردو » .

(٣) (أ) ، (خ) ، (ق) : « المقرّين » .

بجواظرها ، درباً بما يتحفه بها من رقيقها وجواهرها ، نُطقه سعيد ، وخلقه من الانحراف بعيد ، حسن الشكالة ، بهيّ الطلعة ، تضيء كالذبالة .

ولم يزل بمصر في آخر الأمر إلى أن افترش الرغام ، وتشعث صفو سائه بالموت وغام .

وتوفي - رحمه الله تعالى - يوم الأربعاء سابع جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وسبعين وست مئة .

ودفن بترتبه برّا باب النصر بالقاهرة .

٢٧١ - إسماعيل بن محمد بن قلاوون*

الملك الصالح بن الملك الناصر بن الملك المنصور عماد الدين ، أبو الفداء .

اختلف الناس من أرباب العقْد والجلّ عندما توجّه الناصر أحمد أخوه إلى الكرك ، وأقام به وأعرض عن مصر - على ما تقدّم في ترجمته - وأرادوا إقامة ملكٍ غيره ، فاجتمع المشايخ من مقدّمي الألوْف والأمرء الخاصكية وأصهار السلطان ، فقال الأمير جنكلي^(١) بن البابا : يا أمرء ! أنتم أصهار السلطان ، وأنتم أخبر بأولاده^(٢) ، فمن علمتوه صالحاً ساكناً عاقلاً ديناً ولّوه^(٣) المُلْك . فقالوا : هذا سيدي إسماعيل . فأقامه الأمير بدر الدين وأجلسه على التخت ، وبايعه ، وخلف له ، وخلف بعده الأمرء على مراتبهم والعساكر . وجَهَّز الأمير سيف الدين طُقْتَمَر الصّلاحي إلى دمشق في البشارة ، وكان ذلك يوم الخميس ثاني عشري شهر المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

* الوافي : ٢١٩/٩ ، والبداية والنهاية : ٢١٦/١٤ ، والدرر : ٣٨٠/١ ، والذيل التام : ٧٦ ، والشذرات : ١٤٨/٦ ، والمنهل الصافي : ٤٢٥/٢ .

(١) (أ) ، (خ) ، (ق) : « بدر الدين جنكلي » .

(٢) (أ) ، (خ) ، (ق) : « بأولاده منّا » .

(٣) (خ) : « فولوه » .

وكان شكلاً حسناً ، وله رونق وُسْتَا ، حُلُوّ الوجه أبيض بصفرة يسيرة ، تعلوه هيبة المُلك المنيرة ، له في خدّه شامة ظاهرة ، تزيده حُسناً في طلعتة السافرة ، كأنها في ذلك الخد تقطة من ند ، أو يوم وصال جاءت فيه ساعة من صد .

وكانت أيامه بالسعادة أهلة ، وبصلة الأرزاق كافلة ، ولكنه لما تولّى استولى النساء عليه ، ومال إليهنّ ، وتزوج ابنة الأمير شهاب الدين أحمد بن بكتمر الساقى التي من ابنة تنكر ، ثم تزوج ابنة الأمير سيف الدين طُقزتمر الناصري نائب الشام ، وحضر الأمير سيف الدين ملكتمر الحجازي إلى دمشق خاطباً لها من أبيها ، وكان يميل إلى السودان من النساء ويؤثرهن ، والمدبر لدولته ^(١) الأمير سيف الدين أرغون العلاني المقدم ذكره .

ولما تولّى المُلك أقرّ الأمير شمس الدين أَقْسُنقر السَلَّاري في النيابة بمصر ، ثم أمسكه وولّى النيابة الأمير سيف الدين الحاج آل ملك ^(٢) . وكانت أيامه سعيدة . ولم يزل على حاله إلى أن ذوى غصن شبابه وقُصِف ، ونُضد الجندل فوقه ورُصِف .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في رابع ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبع مئة .

وقلت أنا مضمناً :

مضى الصّالِحُ المرجو للباسِ والندى ومن لم يزلْ يلقى المُنَى بالمنائح ^(٣)
فيا مُلكَ مصرَ كيف حالُك بعدَه إذا نحنُ أثّينا عليك بصالح

(١) في الأصل : « له وليّه » تحريف ، وأثّينا ما في : (أ) ، (خ) ، (ق) ، والوافي .

(٢) زاد في (أ) ، (خ) ، (ق) : « الآتي ذكره » .

(٣) (خ) : « للناس » ، تصحيف . والبيتان في المنهل .

٢٧٢ - إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن سعد الله ، الحَمَوِي*

الشيخ الفقيه المقرئ النحوي جمال الدين أبو الفداء الحنفي ، المعروف بابن الفقاعي .

كان شيخاً فاضلاً ، مناظراً مناضلاً ، مفتياً مفنناً ، محرزاً مقنناً ، عارفاً بالقراءات والتجويد ، وحسن الأداء والترتيل والترويد ، مع المعرفة بالفقه والنحو والأدب ، وإليه ينسلون من كل حذب .

ولم يزل بحجة إلى أن طرق الموت حِمَاه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وأربعين وست مئة .

وكان مدرّساً بـمدرسة الطواشي بحجة ، وليها بعده قاضي القضاة ناصر الدين بن العديم^(١) ، ومن شعره : ...^(٢)

٢٧٣ - إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن علي**

الأمير عماد الدين بن الملك الأفضل بن الملك المؤيد .

أحد أمراء الطبلخانات بحجة ، تقدّم ذكر جدّه الملك المؤيد صاحب حماة . وسيأتي ذكر والده الأفضل في الحمّدين في مكانه .

كان شكلاً حسناً ، وذو صورة تحجل الأقار منها سناء وسنا ، أشقر يتلأأ وجهه

* الدرر : ٣٧٧/١ ، وغاية النهاية : ١٦٧/١ ، والبغية : ٤٥٤/١ .

(١) محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت ٧٥٢ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) بياض في الأصول .

** الدرر : ٣٧٧/١ .

كالبدْر ، ويحكى نَبْتُ عذاره زعفران الشعر ، عليه خفر أولاد الملوك ، وسلوكه في طريق التَّجَمُّل والحِشْمَة أحسن السلوك .

ولم يزل على إمرته بحِجاء حتى اعتَبَطَ^(١) ، وانحَلَّ من نظام حياته ما كان قد رُبِطَ .
وتوفي - رحمه الله تعالى - شاباً ، ولم يكمل الخمس والعشرين ، في العشر الأواخر من
ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وسبع مئة .
وكان قد حجَّ في سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

٢٧٤ - إسماعيل بن نصر الله*

ابن أحمد بن محمد بن الحسن بن عساكر الشيخ فخر الدين أبو محمد بن تاج
الأمناء .

روى عن ابن اللّتي ، ومُكْرَم ، وعمّ والده عبد الرحيم بن عساكر^(٢) ، وإبراهيم
الخُشوعي ، وإسماعيل بن ظَفَر^(٣) ، وسالم بن صَضْرَى ، وشيخ الشيوخ ابن حَمَوِيه ،
وعبد العزيز الصالحى ، والمخلص بن هلال ، والعزّابن عساكر النسابة وهو عمّه ،
وعتيق السلّاني ، وابن المُقَيَّر ، والسخاوي ، وعمر بن البراذعي^(٤) ، والقاضي
أبي نصر بن الشيرازي ، ومكي ابن علّان ، والقاضي شمس الدين بن سَنِيّ الدولة^(٥) ،
وكريمة القرشيّة .

(١) مات عطية : شاباً صحيحاً .

* الدرر : ٣٨٢/١ ، وتالي وفيات الأعيان : ٣٧ . وذيل العبر : ٥٩ . والشذرات : ٢٥/٦ .

(٢) أبو نصر (ت ٦٣١ هـ) ، العبر : ١٢٦/٥ .

(٣) (ت ٦٣٩ هـ) ، السير : ٨١/٢٣ .

(٤) (ت ٦٤٧ هـ) ، السير : ٢٦٢/٢٣ .

(٥) يحيى بن هبة الله (ت ٦٣٥ هـ) ، السير : ٢٧/٢٣ .

وكانت له إجازة من الحسن بن الأمير السيّد^(١) ، وإسماعيل بن باتكين^(٢) ،
والسهروردي وابن القطيعي ، وابن رُؤزبّة ، وزكريّا العلّبي^(٣) ، وياسمين بنت
البيطار^(٤) ، وأبي بكر بن كمال الحري^(٥) ، وعلي بن الجوزي^(٦) ، وابن بهروز وجماعة .

قال شيخنا البرزالي : قرأت لابني محمد عليه (الصحيحين) ، و (سنن)
ابن ماجه ، و (مسند) الدارمي ، و (مسند) عبد بن حميد ، وكتاب (العوارف)
للسهروردي ، وأكثر من سبعين جزءاً .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الاثنين عاشر صفر سنة إحدى عشرة وسبع مئة بمنزله
بباب الناطقين^(٧) ، وحضر جنازته الأعيان والوزير والخطيب .

ومولده في صفر سنة تسع وعشرين وست مئة بدمشق .

٢٧٥ - إسماعيل بن هارون*

نقيس الدين العبسي الدّشّناوي الصوفي المعروف بابن خَيْطِيّة .

كان صوفياً بالجامع الناصري بمصر ، وكانت له بالقراءات معرفة ، ومشاركة في
النحو والأدب يعرف بها مقدمه ومصرفه .

لم يزل على حاله إلى أن نُزعت نفسه ، وكسفت بعدما بزغت شمسّه .

(١) (ت ٦٣٠ هـ) ، السير : ٣٤٤/٢٢ .

(٢) إسماعيل بن علي (ت ٦٣١ هـ) ، السير : ٣٥٦/٢٢ .

(٣) زكريّا بن علي بن حسان (ت ٦٣١ هـ) ، الشذرات : ١٤٤/٥ .

(٤) ياسمين بنت سالم بن علي (ت ٦٣٤ هـ) ، الشذرات : ١٦٩/٥ .

(٥) هبة الله بن عمر (ت ٦٣٤ هـ) ، السير : ١٢/٢٣ .

(٦) علي بن عبد الرحمن (ت ٦٣٠ هـ) ، السير : ٣٥٢/٢٢ .

(٧) أحد أبواب الجامع الأموي في الجهة الشمالية .

* الوافي : ٢٣٧/٩ ، والدرر : ٣٨٣/١ .

وتوفي رحمه الله تعالى في حدود الثلاثين وسبع مئة .

ومن شعره :

رَفَقاً عَلَى الْمَكْتَبِ	قُلْ لظِبَاءِ الْكُثْبِ
رَفَقاً بِنِ بُلِي بِكُمْ	رَفَقاً بِنِ بُلِي بِكُمْ
كَالْوَابِلِ الْمُنْسَكِ	دَمَوْعَةُ جَارِيَةٍ
لَذَّةُ عَيْشٍ خَصِبِ	عَلَى زَمَانٍ مَرٍّ فِي
يَا لَيْتَهَا لَمْ تَغِبِ	لِذَّةِ أَيَّامِ الصَّبَا
وَنَلْتُ مِنْهَا أَرْبِي ^(١)	قَضَيْتُ فِيهَا وَطْراً
مُنْعَمَاتٍ عُرْبِ	بَيْنَ حِسَانٍ خُرْدِ
عَنْ دَرٍّ ثَغْرِ شَنْبِ	وَشَادَنٍ مُبْتَسِمِ
تَفْعَلُ بِنْتُ الْعَنْبِ	أَلْفَاظُهُ تَفْعَلُ مَا

قلت : شعر مقبول غير مردود .

٢٧٦ - إسماعيل بن هبة الله بن علي بن الصنّيعه*

القاضي عز الدين الإسنائي ، أخو نور الدين ، وهو الأكبر .

سمع الحديث من قطب الدين بن القسطلاني ، واشتغل ببلده على الشيخ بهاء الدين القفطي^(٢) ، ثم إنه جرى بينه وبين شمس الدين أحمد بن السديد^(٣) ما فارق إسنا بسببه . ودخل القاهرة ، وقرأ الأصول والخلاف والمنطق والجَدَل على الشيخ شمس الدين محمد بن محمود الأصفهاني^(٤) ، ولازمه سنين .

(١) في الوافي : « فيها أربي » .

* الوافي : ٢٣٦/٩ ، والطالع السعيد : ١٦٩ . ووقع في الأصل : « ابن عبد الله » وهو سهو .

(٢) هو هبة الله بن عبد الله القفطي .

(٣) أحمد بن علي بن هبة الله بن السديد (ت ٧٠٤ هـ) . الطالع السعيد : ١٠٢ .

(٤) توفي سنة (٦٨٨ هـ) .

وولي الحكم من جهة ابن بنت الأعز^(١) ، ثم ولي من جهة ابن دقيق العيد ، وعمل عليه ، وحصل منه كلام ، فجرّه ذلك إلى أن انتقل إلى حلب ، ناظر الأوقاف ، ودرّس بها ، وظنّ الشيعة مجلب أن يكون شيعياً لكونه من إسنا ، فصنّف كتاباً في فضل أبي بكر رضي الله عنه . وأقام مجلب مدة يستدلّ على فضل أبي بكر^(٢) وصحّة إمامته ، والشيخ نجم الدين بن مَلِيٍّ إلى جانبه معيد لا يتكلم^(٣) . وصنّف كتاباً ضخماً في شرح (تهذيب النكت) . وكان في ذهنه وقفة ، إلاّ أنه كان كثير الاشتغال .

وكان مجلب إلى أن وصل قازان إلى البلاد ، فعاد إلى القاهرة ، وأظنّه جاء إلى صفد قاضي القضاة أيام نائبها الأمير سيف الدين كراي^(٤) ، فامكّنه من الإقامة بها .

وكان كريماً جواداً خيراً ، كم بلغّ آمليه مراداً ، محسناً إلى أهل بلاده ، ومن ورد من تلك الناحية ، واستظل من أعلامه بصعاده^(٥) . اشتهر بالكرم ، وآوى من الفضل إلى حَرَم .

ولم يزل بالقاهرة مقبياً إلى أن نزل به الأمر المكتوب على الرقاب ، وأفضى إلى محلّ الثواب والعقاب .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع مئة .

٢٧٧ - إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن جَهَبَل*

القاضي يحيى الدين الحلبي ، ثم الدمشقي الشافعي .

- (١) في الأصل : « الأعز » تصحيف .
 - (٢) قوله : « وأقام ... » حق ههنا سقط من (أ) .
 - (٣) عبارة الطالع السعيد : « وأخبرني ... الأسناني أن بعض الحلبيين أخبره أنه أقام مجلب شهراً يستدل على إمامة أبي بكر ، ونجم الدين بن ملي إلى جانبه معيداً » .
 - (٤) ستأتي ترجمته .
 - (٥) جمع صعدة : متن القناة أو الرمح .
- * الوافي : ٢٤٠/٩ ، والدرر : ٣٨٢/١ ، والشذرات : ١٢٥/٦ ، والنارس : ٩٩/١ ، وذيول العبر : ٢١٤ .

ربي هو وأخوه الإمام شهاب الدين أحمد المقدم ذكره يتيمين فقيرين ، فاشتغلا وتفقها وتميزا .

وسمع محي الدين من القاضي شمس الدين بن عطا^(١) ، وجمال الدين بن الصيرفي ، وجماعة . وخرّج له^(٢) عنهم علم الدين البرزالي ، وتفقّه بابن المقدسي^(٣) ، وبالشّرخ صدر الدين بن الوكيل . ودّرّس وأفتى ، وناب في القضاء بدمشق ، وولي تدريس الأتابكية^(٤) ، وندب لقضاء طرابلس فباشرها .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : ولم يُحمّد .

قلت : إلّا أنّه كانت له معرفة بالمكاتب^(٥) والأحكام ، ودُرّبة بفصل القضايا المعضلة بين الأنعام . نقيّ بياض الشيب ، ممسكٌ لما في يده والجيب ، مليح البزّة ، مليح الشكل ، عليه وقار ، وله في النفوس عزّة ، حصّل أملاكاً ، ومَلِك دنيا حاولها دراكاً .

ولم يزل على حاله إلى أن قرع الموت صفاته ، وخانه أملّه وفاته .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربعين وسبع مئة^(٦) .

ومولده سنة ست وستين وست مئة .

(١) عبد الله بن محمد (ت ٦٧٣ هـ) ، العبر : ٣٠١/٥ .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن بن نوح الدمشقي (ت ٦٨٩ هـ) ، العبر : ٣٦٤/٥ ، وعنه في الدارس : ٢٠٢/١ .

(٤) بصاحبة دمشق ، أنشأها أخت نور الدين أرسلان بن أتابك صاحب الموصل سنة (٦٤٠ هـ) . الدارس : ٩٦/١ .

(٥) ليست في (أ) .

(٦) في الأصل : « وستمئة » سهو .

٢٧٨ - إسماعيل بن يوسف بن نجم*

ابن مكتوم بن أحمد بن محمد بن سُلَيْم ، الشيخ المقرئ الفقيه المُسْنَد المعمر ،
صدر الدين أبو الفداء السَّوَيْدِي الدمشقي الشافعي .

سمع من ابن اللَّيْث كَثِيراً ، ومن مُكْرَم ، وأبي نصر [بن] ^(١) الشيرازي ،
وإسماعيل بن ظفر ^(٢) ، والسخاوي ، وعدة . وتفرَّد بأشياء .

تكاثر عليه الطلبة ، وتلا على علم الدين السخاوي بحرف أبي عمرو ، وابن كثير ،
وعاصم . ونزل في المدارس ، وكان آخر من قرأ على السخاوي .

حجَّ سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وحَدَّث بالحرم الشريف .

وسمع منه إِبْنُ شمس الدين الذهبي ، والشيخ صلاح الدين العلائي ، والعلامة
قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، والوافي ، وابن الفخر ، وخلق كثير .

وكان حسن الأخلاق ، مائلاً إلى الانقياد والاتفاق ، وله عَقَار يرتزق منه ،
ومُلْكٌ إِذَا ^(٣) عرض له الملك استغنى به عنه .

ولم يزل على حاله إلى أن اشتهرت وفاة ابنِ مكتوم ، وصَحَّ أنه نزل به الأمر
المحتوم .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالثَ عَشْرِي شَوال سنة [ست] ^(٤) عشرة وسبع مئة .

* الوافي : ٢٤٦/٩ ، والدرر : ٢٨٤/١ ، والشذرات : ٢٨/٦ ، والمنهل الصافي : ٤٢٩/٢ ، وذيول
العبر : ٨٩ .

(١) زيادة من : (أ) ، (ق) ، والوافي ، والمنهل ، وذيول العبر .

(٢) في المنهل : « مظفر » .

(٣) (أ) : « وإذا » .

(٤) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في أصول ترجمته .

ومولده سنة [ثلاث و ^(١) عشرين وست مئة .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت عليه (مسند) الدارمي ، و (المنتخب من مسند عبد بن حميد) ، و (جزء أبي الجهم) ، و (الثاني من حديث المخلص) ، و (المئة السريجية) بسماعه لذلك من ابن اللّتي ، و (موطأ) مالك رواية يحيى ابن بكير بسماعه له من مكرم بن أبي الصقر . وكان قد تفرّد به بدمشق . وروى لنا أيضاً عن السخاوي .

٢٧٩ - أسنبغا*

الأمير سيف الدين الحمودي نائب طرابلس .

هو الذي جاء بجلوس المَلِك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد على تخت الملك بعد أن ^(٢) قُتِلَ المظفر حاجي ، ووصل إلى دمشق في رابع عَشْرِي شهر رمضان المعظّم سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وحلّف ^(٣) الأمير سيف الدين أرغون شاه نائب الشام والعساكر ، ورسم له الناصر حسن بنيابة طرابلس عوضاً عن الأمير سيف الدين ^(٤) آقتمُر فيا أظنّ ، وذلك في صفر سنة ستين وسبع مئة . ولم يزل بها نائباً إلى أن عزل بالأمير زين الدين أغلبك ^(٥) الجاشنكير أمير حاجب حلب .

ثم إنَّ الأمير سيف الدين أسنبغا أمسك وجُهِزَ إلى الإسكندرية معتقلاً ، ولما أفرج عنه بعد خلع الناصر حسن ، ووصل الملك المنصور محمد إلى دمشق في واقعة الأمير

(١) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في أصول ترجمته .

* الدرر : ٢٨٢/١ ، والمنهل الصافي : ٤٣٦/٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ٣٧ .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) في الأصل (وكلف) تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٤) ليست في الأصل ، وهي ثابتة في (ق) . وهو آقتمُر الحنبلي الصالح (ت ٧٧٩ هـ) ، الذيل التام :

٢٩٧ ، والشذرات : ٢٦١/٦ .

(٥) ستأتي ترجمته .

سيف الدين يُبْدِمِر الخوارزمي^(١) إلى دمشق رَسِمَ للأمير سيف الدين أسنبغا بطبلخاناه في حلب ، فتوجّه إليها في شوال سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، وأقام بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة ثلاث^(٢) وستين وسبع مئة .

٢٨٠ - أَسْنَدْمَر *

الأمير سيف الدين نائب طرابلس .

كان أولاً فيما أظنّ والي البرّ بدمشق ، ولمّا جاء العادل كتّبغا إلى دمشق في ذي القعدة سنة خمس وتسعين وست مئة عزّله من ولاية البرّ بدمشق ، وولّى مكانه علاء الدين بن الجاكي ، وكان قد وليها في سنة اثنتين وتسعين وست مئة عوضاً عن طوغان لمّا جهّز إلى قلعة الروم نائباً ، وفي الحرّم سنة ست وتسعين أمسكه ، وقيده واعتقله بقلعة دمشق ، وتقل إلى طرابلس نائباً في أيام الأفرم عوضاً عن الأمير سيف الدين قُطْلُوْبَك الكبير في سنة إحدى وسبع مئة ، فهُدّ طرابلس ، وأقام الحرمة ، وسفك الدماء بأنواع من الإزهاق^(٣) ، لمّا جاء السلطان من الكرك حضر إليه ، وتوجّه معه^(٤) إلى مصر فولاه نيابة حماة .

ولمّا توفي الأمير سيف الدين قُبَيْقَق نائب حلب نقله السلطان إلى نيابة حلب ، فأقام فيها مديّدة ، وجهّز السلطان الأمير سيف الدين كراي المنصوري^(٥) في عساكر الشام مجرّداً ، فأقام على حصص مدّة ، ولمّا كان عصر نهار آخر شهر رمضان سنة إحدى عشرة وسبع مئة - فيما أظنّ - ساق كراي بالعسكر جريدة من حصص إلى حلب

(١) (ت ٧٨٣ هـ) ، الدرر : ٥١٣/١ .

(٢) قوله : « اثنتين وستين » حق هنا سقط من الأصل ، ثابت في (ق) .

* الوافي : ٢٤٨/٩ ، والدرر : ٢٨٧/١ ، والمنهل الصافي : ٤٤٣/٢ ، وذيول العبر : ٦٤ .

(٣) في الأصل (الإزهاق) ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) ليست في (أ) .

(٥) ستأتي ترجمته .

في ليلة واحدة ، وما^(١) خرج أسندمر من داره لصلاة العيد إلا وقد أحاطت العساكر بدار النيابة ، ووعروا الباب عليه بالأخشاب وغيرها ، وأمسكه كراي بكرة نهار عيد رمضان ، وجّهزه إلى باب السلطان على البريد مقيداً ، وكان ذلك آخر العهد به رحمه الله تعالى .

وقيل : إنه جهزه إلى الكرك هو والجوكندار^(٢) وبِتَخَاص^(٣) وغيرهم . وجاء الخبر إلى دمشق بوفاة بتخاص وأسندمر في ذي القعدة سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

وكان جباراً يسفك الدماء جهاراً ، ويُجري منها على الأرض أنهاراً . نَوْع الإزهاق ، وعاجل تلاف^(٤) النفوس بالإرهاق . سلخ وسلَق ، ووسَط وشق ، وكحل وقطع الأطراف ، وبالع في هلاك الأجساد ، وتعدى حد الإصراف .

وكان منهوماً في الأكل الذريع ، وكأن ما يأكله نوع من الضريع . قيل : إنه كان يعمل له بعد العشا خروف مطجّن ، سمين موجّن^(٥) ، فيأكله جميعه ، ولا يؤثر به ضجيعه ، ثم إنه بعد ذلك يعمل له بيده من الحلاوة السكب صحناً ، ويأكله سخناً .

وكان يحبّ الفضلاء ، ويؤثر النبلاء ، ويسأل عن غوامض ، ويعترض ويناقض ، حضرت من عنده مرة فتياً إلى دمشق يسأل فيها : أيُّما أفضل الوليّ أو الشهيد ، والمَلِك أو النّبِيّ ؟ فصنّف له الشيخ صدر الدين بن الوكيل في ذلك مجلداً ، وصنّف له الشيخ برهان الدين الفزاري في ذلك جواباً فيما أظن ، وصنّف كال الدين بن الزملكاني في ذلك مجلداً^(٦) مصنفين . وصنّف له الشيخ تقي الدين بن تيمية مجلداً .

(١) (أ) : « فا » .

(٢) الجوكندار : لقب على الذي يحمل الجوكان مع السلطان في لعب الكرة .

(٣) ستأقي ترجمته .

(٤) (أ) : « إتلاف » .

(٥) في الأصل : « خروفاً مطجّناً سميناً موجّناً » ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في الوافي . والمَوْجّن : الغليظ . والمُطجّن : المقلوّ في الطاجن .

(٦) قوله : « في ذلك مجلداً » خلت منها : (أ) ، (ق) ، والوافي .

ولَمَّا كان مجلب طلب الشيخ صدر الدين بن الوكيل - وكان ذلك قبل صلاة الجمعة - وسأله عن تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ﴾ ^(١) فقال : هذا الوقت يضيق عن الكلام على هذه المسألة .

ووهبه (أسد الغاب) ^(٢) لابن الأثير في نسخة مليحة ، وقال له : لازمني . وكان بعد ذلك لا يفارقه إلى أن جرى ما ذكرت من إمساكه ، وما قدره الله تعالى من هلاكه ، رحمه الله تعالى .

وكان قد عمّر بطرابلس حمّاماً جعل الكواكب في سمائه جاماً ، وأحكمه نظاماً حتى طار في البلاد ذكره ، وضاع في الرياض شكره .

وفيه يقول الشيخ شمس الدين أحمد بن يوسف الطيبي :

زُرْ مَنْزِلَ الأفراحِ واللّذاتِ	دارَ النعيمِ ومرتَعِ اللّذاتِ
دارِ النّعيمِ وفي الجحيمِ أساسُها	تجري بها الأنهارُ في الجنّاتِ
فَلَكٌ ومن يبيضُ القبابِ بُروجه	ونجومه من زاهرِ الجاماتِ
مَغْنًى لهُ مَغْنًى يَمازجُ ماءؤه	للنّارِ فهو مُؤلّفُ الأشّاتِ
كالخلدِ مرتفعِ البناءِ فضاءؤه	رحبٌ يُسافرُ فيه باللحظاتِ
يحكي بخورِ العودِ طيبٌ بخارها	والمسكِ والكافورِ ممزجاتِ
وتُضيءُ في غسقِ الدُّجاءِ أكنافها	كإضاءةِ المصباحِ في المشكاةِ
فَرِشتُ بأنواعِ الفصوصِ ورُصّعتُ	بجواهرٍ من فاخرِ الآلاتِ ^(٣)
بِرّكٍ كأفواهِ الملاحِ رضاؤها	عذب شهيّ الرشفِ في الخلواتِ
ومنابعٍ قد فُجّرتُ بمحْدائقِ	ترخيها يغني عن الزهراتِ

(١) النّجم : ١/٥٣ .

(٢) أسد الغابة في تمييز الصحابة ، وهو مطبوع .

(٣) (أ) ، (ق) : « بالوان » .

وجرت أناييب الحياض بفضة مخلولة تنصب في مرآة
 تلقى الربيع من اعتدال هوائها ومياهاها في سائر الأوقات
 ويشم منها من يمر بياها ربا نسيم الروض في الغدوات
 حمامنا يشفي السقام وماؤه عين الحياة تزيل كل شكاة
 بيت تزان به البيوت كأنه بيت القصيد لسائر الأبيات
 وبرسم مولانا الأمير وأمره بنيت على اسم الله والبركات
 المالك المخدم سيف الدين والدين أسندمر الكريم الذات
 قد ساد بانيتها فساد بناءها بأوامر سيفية العزمات
 في دولة الملك الرحيم محمد الناصر المنصور في الغزوات
 تمت الخمس قد غدت من هجرة المختار مع سبع كملن مئات^(١)

٢٨١ - أسندمر*

الأمير سيف الدين العمري ، نائب السلطنة بحماة وطرابلس .

كان شكلاً كاملاً ، مهيباً هائلاً ، حسن الوجه ، يشبه البدر ، ويملاً برؤياه العين والصدور .

باشر نيابة حماة مرات ، ووجد فيها المسرات . وناب في طرابلس مرة ، وكان في وجه المملك غرة .

ولم يزل إلى أن دخل في العدم بعد الوجود ، وقبض وهو بعد الإطلاق في القيود . وكانت وفاته في أوائل سنة إحدى وستين وسبع مئة ، بحبسه في الإسكندرية .

(١) (أ) ، (ق) : « مضت » .

* الوافي : ٢٤٩/٩ ، والدرر : ٢٨٧/١ ، والمنهل الصافي : ٤٤٥/٢ ، وذبول العبر : ٣٣٣ .

كان من ممالك السلطان محمد بن قلاوون . وتزوج ابنة الأمير سيف الدين الحاج بهادر المعزّي .

ولما توجه الأمير سيف الدين طقتمر^(١) الأحدي إلى نيابة حلب خلت عنه حماة فجهز إليها أسندمر العمري ، فكان بها نائباً إلى أن برز يلغا بظاهر دمشق في دولة^(٢) الكامل ، فحضر العمري إليه إلى دمشق ، وأقام عنده ، ولما ملك المظفر حاجي ثقل أسندمر من نيابة حماة إلى نيابة طرابلس بوساطة يلغا له ، فتوجه إليها ، وأقام بها إلى أن حضر إلى طرابلس الأمير سيف الدين منكلي بغا الفخري ، مع ماسيأتي في ترجمته .

وتوجه أسندمر إلى مصر في أواخر المحرم سنة ثلاث^(٣) وأربعين وسبع مئة ، وأقام بها إلى أن ذبح أرغون شاه بدمشق ، ورسم بنيابة دمشق للأمير سيف الدين الحاج أرقطاي ، ورسم للأمير سيف الدين قطلجبا نائب حماة بنيابة حلب ، فرسم لأسندمر العمري بالعود إلى حماة نائباً^(٤) ، فحضر إليها في العشر الأوسط من جمادى الآخرة سنة خمسين وسبع مئة .

وتوجه بالعساكر الإسلامية إلى سنجار في سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، وكان هو المقدم عليها ، وأقام بجماة إلى أن عزل عنها بالأمير سيف الدين طان^(٥) يرق في ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وسبع مئة .

وعاد أسندمر إلى مصر على عادته مقيماً إلى أن خلع السلطان الملك الصالح صالح في ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبع مئة ، وأخرج الأمير سيف الدين طاز إلى حلب ، وعزل طان يرق من حماة ، ورسم لأسندمر العمري بنيابة حماة ، فعاد إليها

(١) (أ) : « طقتمر » ، تحريف ، وسأقي ترجمته .

(٢) (أ) : « آخر الدولة » .

(٣) (أ) : « ثمان » .

(٤) (أ) : « ثانياً » .

(٥) (أ) : « طاز » . وفي المنهل : « طان يرق » . وانظر تعليق المحقق ثمة .

ثالث مرّة نائباً ، فحضر إليها في العشر الأول من ذي الحجة سنة خمس وخمسين وسبع مئة ، وصحبه الأمير سيف الدين طيبغا الماجاري ليقرّه في النيابة بحجة ، ولم يزل بها مقياً إلى أن رسم بعزله ، وتولى النيابة الأمير ركن الدين عمرشاه فوصل العمري إلى دمشق بكرة الأحد سابع عشرين جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وسبع مئة ، فوجد طلب الأمير ركن الدين عمرشاه خارجاً من دمشق أميراً إلى أن أمسك هو والإسماعيلي وابن صبح ، وجّهز إلى الإسكندرية سنة^(١) ستين وسبع مئة ، فأقام بالحبس إلى أن توفي به في التاريخ .

٢٨٢ - أسندمر*

الأمير سيف الدين العمري .

كان أمير خمسين فارساً بالقاهرة .

وتوفي رحمه الله تعالى في خامس عشر ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وسبع مئة . ورثه ابنته وبيت المال ، وكان نصيب بيت المال من تركته خمسة وعشرين ألف دينار .

الألقاب والأنساب

☆ الإسنائي :

☆ القاضي نور الدين إبراهيم بن هبة الله .

☆ وضياء الدين أحمد بن عبد القوي .

☆ وفخر الدين إسماعيل بن عبد القوي .

☆ وعز الدين إسماعيل بن هبة الله .

(١) (أ) : « في أوائل » .

* الوافي : ٢٤٩/٩ ، والدرر : ٢٨٧/١ .

- ☆ وعبد الرحيم بن علي .
- ☆ وتقي الدين عبد الملك بن الأعز .
- ☆ نور الدين ابن الشهاب الإسائي علي بن هبة الله .

☆ الأصفوني :

- ☆ علاء الدين علي بن أحمد .

٢٨٣ - أصلم *

الأمير بهاء الدين السلاح دار .

كان من جملة المشايخ مقدمي^(١) الألوف في أواخر الدولة الناصرية وإلى أواخر^(٢) دولة الصالح إسماعيل .

كان قد جرّد إلى الين ، فلما توجه وعاد وتقلّ عنه كلام إلى السلطان ، فاعتقله ، وبقي في الحبس مدة تقارب الخمس سنين ، ثم أخرجته وأعادته إلى منزلته .

ثم إنه في آخر أيام الناصر جهّزه إلى صفد نائباً . وتوفي الملك الناصر وهو بها نائب . ثم إنَّ الأمير قوصون جرّده مع الطنبغا نائب الشام إلى حلب لإمساك طشتمر ، فلما كان في أثناء الطريق ردّ من قارا^(٣) ، وانضمّ إلى الفخري ، وأقام عنده على خان لاجين ، وتوجّه معه صحبة عسكر الشام إلى مصر ، فرسم له الناصر أحمد بالإقامة في مصر على عادته أميرئة مقدّم ألف ، وعمّر في البرقيّة عند إصطبله مدرسة مليحة إلى الغاية ، وتربة وربعاً وحوضاً للسبيل .

* الوافي : ٢٨٥/٩ ، والدرر : ٣٨٩/١ ، والسلوك : ٧١٩/٣/٢ ، واخطط : ٣٠٩/٢ ، والنهل الصافي : ٤٥٥/٢ .

(١) (خ) : « ومقدّمي » .

(٢) (أ) ، (ق) ، (خ) : « آخر » .

(٣) مدينة في منتصف الطريق بين حمص ودمشق ، إلى الشمال من النبك .

وكان من الأشكال الحسنة ، قد ألقى إلى سلامة الصدر رَسَنه ، ذا شبيبة تقية ،
وهمة فيها من الشبيبة بقية ، بوجه مشرب الحُمرة ، كأنا أريق عليها كأس خمرة .
ولم يزل على حاله إلى أن لبس أكفانه ، وغمض الموت أجفانه .
وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست ^(١) وأربعين وسبع مئة .

٢٨٤ - أصل*

الأمير بهاء الدين بن دمرتاش .
كان من أمراء دمشق ، يسكن العقبيّة .
توفي رحمه الله تعالى في رابع ذي القعدة سنة سبع وسبع مئة . وحضر جنازته
نائب الشام ، ودفن بالصالحية .

٢٨٥ - أصيل الدين**

الصدر الكبير ابن الشيخ الإمام نصير الدين محمد بن محمد الطوسي .
كان ناظر الأوقاف ، ومنجياً عند ملوك التتار ، وله جامكية كبيرة . وحرمة ^(٢)
وافرة .
توفي رحمه الله تعالى في صفر سنة خمس عشرة وسبع مئة ببغداد ، ودفن عند والده
بمشهد موسى الجواد رضي الله عنه .

(١) في للنهل بعد هذا : « وقيل في يوم السبت عاشر شعبان سنة سبع وأربعين .. » .

* الدرر : ٣٨٩/١ ، وعقد الجمان : ٤٤٧/٤ ، وفيه : « أصل بن مرداش » .

** الدرر : ٣٩٠/١ .

(٢) في الأصل : « وحرقة » ، تصحيف .

٢٨٦ - أصوج *

الأمير سيف الدين الواقدي .

أحد أمراء المحسين بالقاهرة .

توفي رحمه الله تعالى فجاءة في شهر رمضان سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بالقرافة .

الأنساب والألقاب

☆ ابن بنت الأعز : القاضي علاء الدين أحمد بن عبد الوهاب .

☆ الأعسر : الأمير شمس الدين سنقر .

٢٨٧ - أغرلو **

الأمير شجاع الدين ملك الأمراء .

عمل نيابة دمشق لأستاذه السلطان الملك العادل كَتَبُغا ، تولّاها عوضاً عن المحوي في ذي القعدة سنة خمس وتسعين وست مئة . وَلَمَّا خَلَعَ^(١) من المُلْك بقي أغرلو بدمشق أميراً كبيراً .

وكان فارساً بطلاً شجاعاً ، أبلى في الحروب تقدماً ودفاعاً ، له في الوقائع صَوَلَات ، وحملات وجولات . وكانت الدول تعظّمه لشجاعته المذكورة وفروسيته المشهورة .

* لم نقف على ترجمته .

** الوافي : ٢٩٤/٩ ، والدرر : ٣٩٠/١ ، ونخبة ذوي الألقاب : ١٩٢/٢ ، والمنهل الصافي : ٤٦٢/٢ ، وفيه :

« أغرلو » ، بالزاي ، وذبول العبر : ١٠٧ ، وفيه : « غرلو » .

(١) (أ) : « خَلَعَ أستاذه » .

ولم يزل على حاله إلى أن اختطفته عُقابُ الموت الكاسر ، ونزل ^(١) النساء يندبنه حواسر .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع عشرة وسبع مئة ، ودفن في تربته المليحة شمالي الجامع المظفري بجبل الصالحية .

٢٨٨ - أَغْرُلُو*

الأمير شجاع الدين السيفي .

كان مملوكَ الأمير سيف الدين بهادر المُعْزِي ^(٢) ، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في مكانه من حرف الباء ، ولما حُبِسَ أستاذُه أخذَه الأمير سيف الدين بَكْتُمَر الساقِي ، وجعله أمير آخور . ولم يزل عنده إلى أن توفي بكثر رحمه الله تعالى ، فانتقل إلى عند الأمير سيف الدين بَشْتَاك على الوظيفة المذكورة . ثم إنه بعد بشتاك تولى ناحية أشموم ، وسفك بها ^(٣) ، ثم إنه جَهَّز نائباً إلى قلعة الشُّوبَك ، ثم تَقَلَّ منها ، وعمل ولاية القاهرة مدةً في أيام الصالح إسماعيل ، ثم إنَّه ولَّاه شدَّ الدواوين ، وتظاهر بعفَّة زائدة ، وأمانة عظمى .

ولمَّا توفي الملك الصالح رحمه الله تعالى كان له في ولاية أخيه الكامل شعبان عنايةً تامَّةً ، فقدَّمه ، وحظيَّ عنده ، وفتح له باب الأخذ ^(٤) على الإقطاعات والوظائف ، وعَمِلَ لذلك ديواناً قائم الذات ومُسمَّى ^(٥) ديوان البذل ، ولمَّا تولَّى الصاحب ^(٦)

(١) (أ) ، (ق) : « وترك » .

* الوافي : ٢٩٤/٩ ، والدرر : ٣٩٠/١ ، والمنهل الصافي : ٤٦٢/٢ ، وفيه : « أغرلو » .

(٢) في الأصل : « للعروف » تحريف ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي ، والمنهل .

(٣) (أ) ، (خ) ، (ق) : « بها الدماء » .

(٤) في الأصل : « الأحد » تصحيف ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي .

(٥) (أ) ، (خ) : « وسماه » .

(٦) (أ) : « الصالح » .

تقي الدين بن مَراجِل^(١) شاحَحه في الجلوس والعلامة والتقدم ، ودخلا إلى السلطان الملك الكامل ، فترجح صاحب تقي الدين ، وعُزِل أغرلو .

ولَمَّا كان في واقعة الملك المظفر حاجي كان أغرلو ممن قام في أمره ، وصَرَب الأمير سيف الدين أرغون العلائي في وجهه وسكَن^(٢) أمره بعد ذلك وخمد . ثم إنه حضر في أيام المظفر حاجي صحبة الأمير سيف الدين مَنكُلي بُغا الفخري ليوصله إلى طرابلس نائباً ، وعاد إلى مصر ، وأمره ساكن إلى أن قام في واقعة الأمراء سيف الدين مَلَكُتُمَر الحجازي ، وشمس الدين أَقْسُنُقَر ، وسيف الدين قَرابغا ، وسيف الدين بُزَلار^(٣) ، وسيف الدين صمغار^(٤) ، وسيف الدين إِيْمَش^(٥) ، فكان هو الذي تولى كِبره ، وأمسك جماعة من أولاد الأمراء ، فعظم شأنه ، وعلا مكانه ، وتفخَّم أمره ، وأسمع زمره ، وخافه أمراء مصر والشام ، ونام في سكرة باطله وغروره وعين الدهر ماتنام . وأقام على ذلك مدة أربعين يوماً ، وأمره يزداد في التعاضم والجبروت سَوماً^(٦) ؛ إلى أن أُتي من مأمنه ، وثار^(٧) إليه الحين من معدنه .

وقيل : إنَّ الحرافيش أخرجوه من قبره ، وأقاموه في زيِّ عظمته وكبره ، وجعلوا يشاورونه كما كان يفعل ، ويترددون بينه وبين السلطان ، وقد أضرم غَيْظَه على الأمراء وأشعل ، ويمسكون الأمراء كما كان يمسكهم ويقيدهم ، ويميل لهم إلى مصارعهم ويحيدهم . ونوَّعوا به النكال والمثلة ، ونصبوه بعد ذلك على أثلة ، فغضب السلطان

(١) علي بن عبد الرحيم ، وستأقي ترجمته .

(٢) طمست في الأصل .

(٣) ستأقي ترجمته .

(٤) ابن سنقر (ت ٧٣١ هـ) ، الدرر: ٢٠٨/٢ ، وفيه : صمان ، تحريف .

(٥) ويقال أيضاً : أَيْمَش ، ويْمَش ، وستأقي ترجمته .

(٦) (أ) ، (خ) : « شوما » .

(٧) في الأصل : « ونار » ، تصحيف .

لذلك ، وأمر الأوشاقية^(١) فنالوا من الحرافيش منالاً عظيماً ، وأذاقوهم من القتل والقطع والضرب عذاباً أليماً ، أخذاً بذلك تِرات تِراته ، وكان مشؤوماً في حياته ومماته .

وقيل : إنَّ السبب في قتله حضور رأس يلبُغا إلى القاهرة ، فإن الخواص من المباليك السلطانية دخلوا إلى السلطان وقالوا : لا بدَّ من قتله ، وجاء الخبر إلى الشام بقتله في مستهلَّ شهر رجب سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وحسب الناس من قتله من الأمراء في مدة أربعين يوماً ، فكان ذلك أحداً وثلاثين أميراً ، وكان في أيامه يخرج من القصر ، ويقعد على باب خزانة الخاص ، ويتحدث في الدولة وفي الخزانة والإطلاق والإنعام ، ويجلس والموقعون عنده ، ويكتبون عنه إلى الولاة ، ولكنه مات هذه الميئة^(٢) القبيحة ، وفُعلت به هذه الأحداثُ الفضيحة .

فقلت أنا مستطرداً :

وعاذل قال : عَمْرِي أَسْعَى لَعَلَّكَ تَسْأَلُو
أَمُوتَ مِنْكَ بَغْيَنِي فَقُلْتُ مَوْتُ أَغْرَلُو

٢٨٩ - أَغْلِبْكَ*

الأمير سيف الدين بن رُمُتاش - بضم الراء وسكون الميم ، وبعدها تاء ثالثة الحروف وألف بعدها شين معجمة - الرومي .

كان أولاً مقيماً بصفد على إمرة عشرة ، فوقع منه كلام في حقِّ نائب صفد الأمير شمس الدين سنقرشاه النصوري ، فضربه قدامه واعتقله ، ثم أفرج عنه ، ونقل إلى دمشق .

(١) هم الخيالة .

(٢) في الأصل : « النية » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي .

* الدرر : ٣٩١/١ .

ولمّا توجّه السلطان إلى مصر سنة تسع وسبع مئة بالعساكر الشامية ، كان هو من جملة الأمراء السلاح دارية .

ولم يزل بدمشق على حاله في الأمرة إلى أن جاء أغلبك^(١) الأمر الذي لا يغالب ، والغريم الذي لا يطالع ولا يطالب .

وتوفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة خمس عشرة وسبع مئة .

وكان لطيف النفس ، شديد الأنس ، تفعل الجفون المريضة فيه ما لا تفعله السيوف الماضية ، وتسكّر الريقة الراقية بخلاف سكر بنت العنقود الصافية ، ويلعب بالقُبُق^(٢) ويحيد ضرب وتره ، ويتبع أرباب الملاهي ، فما منهم^(٣) إلّا مَنْ يعود تابع أثره ، إلّا أنه كان بطلاً مقدماً ، لا تنزل له الحروب أقداماً ، صياداً لا يخرج الصيد عن أوامر سهامه ، ولا يفوته من يمينه أو شماله ، أو من خلفه أو من أمامه ، مع الرشاقة الحلوة ، والحنفة على ظهر مراكيبه التي هي من العيوب خلوة ، وهو أخو صلاح الدين خليل بن رُمّاش .

٢٩٠ - أغلبك *

الأمير زين الدين العادلي مملوك العادل كتبغا .

كان من جملة أمراء دمشق المشهورين ، وأعيانهم المذكورين ، وكان ينظر في أوقاف العادل ، ويجالد عنها ويناطر ويجادل ، فنقل إلى طرابلس أميراً ، وفارق دمشق حسيراً ، فرض هناك ، ووقع من العلة في شرك^(٤) واشتراك ، فحضر إلى دمشق ليتداوى ، فما أقام بها ولا آوى .

(١) في الأصل « بغلبك » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) من ألعاب الرماية ، وهو لفظ تركي .

(٣) (أ) ، (ق) : « فيهم » .

* لم نقف على ترجمة له .

(٤) (أ) : « شَرَك » .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني عشر رمضان سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .
 وكان قد ولي البرّ بدمشق في المحرم سنة ثلاث عشرة وسبع مئة عوضاً عن
 طرنطاي الحموي .

٢٩١ - أفريدون بن محمد بن محمد بن علي *

التاجر الأصباني .

ورد إلى دمشق ، وأعجبه المقام بها ، وشرع في عمارة المدرسة المليحة الطريفة التي
 برّا باب الجابية بدمشق ^(١) سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، وأنفق على عمارتها خارجاً عن
 وقفها مبلغاً يقارب المئة ألف درهم أو يزيد ، ولم [يزل] ^(٢) يجتهد في عمارتها إلى أن
 جاءه الأمر الذي لا يرد ، والخطب الذي لا يصدّ ، وما أغنى عنه ماله ، ولا نفعه
 إلا أعماله .

وتوفي رحمه الله تعالى في أول شهر رجب الفرد سنة تسع وأربعين وسبع مئة في
 طاعون دمشق .

الألقاب والأنساب

☆ الأفرم : نائب دمشق ، اسمه أقوش .

☆ الأفضل : صاحب حماة محمد بن إسماعيل .

* الوافي : ٢٩٧/٩ ، وتحفة ذوي الألباب : ٢٧٢/٢ ، والبداية والنهاية : ٢٢٧/١٤ ، والدرر : ٣٩١/١ ،

والذيل التام : ١٠٥ ، وذيول العبر : ٢٧٧ .

(١) الدارس : ١٧٥/٢ ، وما زالت إلى يومنا هذا .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) ، (خ) .

٢٩٢ - آقبغا*

الأمير سيف الدين الناصري المعروف بآقبغا عبد الواحد .

تنقلت به الأحوال من الجمدارية إلى أن صار أمير مئة مقدم ألف ، أستاذدار السلطان ، مشد العبائر ، مقدم الماليك ، أمير منزل خمس وظائف . وتأمّر ولداه ^(١) ناصر الدين محمد وشهاب الدين أحمد ، وكان أخا الخونده طغاي ، امرأة أستاذه الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى من حرف الطاء في مكانه .

كان في أيام أستاذه في غاية التمكن والقدرة ^(٢) والتسلط والبأس والجبروت ، لوذكر اسمه للماء جمد ، أو مرّ ذكره على الجمر خمد ، ليس لأحد عنده مكانة ، ولا يجد له خضوعاً ولا استكانة .

ولما توفي الملك الناصر ، وتولّى ولده الملك المنصور أبو بكر صادرة وسلّمه إلى الأمير علاء الدين طيبيغا المجدي ، وأخذ منه كلّ ما يملكه ، وأمر برّد كلّ ما اغتصبه ، وأخذه باليد العادية على الناس ، ولم يبق له تصرف في ماله ، إلى أن طلب مئة درهم فأعطاه إياها الأمير علاء الدين طيبيغا المجدي .

ولما تولّى الملك الأشرف كجك أخرج الأمير سيف الدين قوصون إلى دمشق ، فأقام بها قليلاً ، وتوجّه ^(٣) مع الفخري إلى مصر ، فرسم له الناصر أحمد بنياية حص ، فحضر إليها ، وأقام بها إلى جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

ورسم بإحضاره إلى دمشق ، فأتى إليها ، وأقام بها من جملة أمراء المقدمين ، فلما كان في شوال من السنة المذكورة حضر مرسوم الملك الصالح إسماعيل يماسكه فأمسك

* الوافي : ٣٠٤/٩ ، والدرر : ٣٩١/١ ، وبدائع الزهور : ٥٠٤/١/١ ، والمنهل الصافي : ٤٨٠/٢ .

(١) في الأصل : « والداه » تحريف ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي .

(٢) مطموسة في الأصل .

(٣) (أ) : « إلى أن توجّه » .

هو والأمراء الذين اتَّهموا بالميل مع الناصر أحمد وأودع معتقلاً^(١) بقلعة دمشق ، ثم إنه طُلب بعد قليل إلى مصر ، فتوجَّه به الأمير بدر الدين بكتَّاش المنكورسي^(٢) ، وكان ذلك آخر العهد به^(٣) .

٢٩٣ - أَقْبَغَا*

الأمير سيف الدين الحَسَنِي الناصري .

كان رفيع المنزلة والمكانة ، مؤثِّل المرتبة من خاطر أستاذه ، ثابت الركائز ؛ إلا أنه زاد في دلاله ، وأفرط في اعتدائه ، قوامه بالغ في اعتداله ، فما أفاده سحر أجفانه ، ولا نفعه تبسم ثغره عن أقحوانه ، وهَوَّن السلطان على قلبه أمره ، وأخرجته إلى دمشق ؛ ولكنْ على إمرة ، فأقام بها على غير استقامة ، وأصرَّ على غيِّه^(٤) ، ولم يقبل نصحاً ، ولم يُصغِ إلى ملامه ، ولازم الشراب وعاقره ، ونسي أمر تنكز وعواقبه وعواقره ، فكتب إلى السلطان في معناه ، وجعل القلعة مغناه ، ولبث معتقلاً في قلعة دمشق زماناً ، ولم يجد من حادث الدهر أماناً ، ثم إنه فُكَّ صَفَدُهُ ، وجُهِزَ إلى صَفَدٍ ، فأقام بها ، وفدَّاءُ سَعْدِهِ^(٥) ما وفد ، إلى أن أذوى الحِمام زهرته ، وأسكنه حفرتَه .

وتوفي بصفد رحمه الله تعالى .

وكان قد اعتقل بقلعة دمشق زماناً ؛ إلى أن قدم السلطان من الحجاز في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، فأفرج عنه في المحرم ، وجُهِزَ إلى صَفَدٍ .

(١) (أ) ، (خ) : « في الاعتقال » .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) في للنهل : « فلما حضر أرسله إلى الإسكندرية فحبس بها إلى قتل سنة أربع وأربعين وسبع مئة » .

* الدرر : ٣٩٢/١ .

(٤) (أ) : « الغي » .

(٥) (أ) : « وقد أسعده » .

٢٩٤ - أقجبا*

الأمير سيف الدين المنصوري .

كان أحد الأمراء بدمشق . ولي شدّ الدواوين بدمشق بعد الأمير جمال الدين آقوش الرستمي ، وعيّن لتقدّمه الركب الشريف في سنة تسع وسبع مئة ، ودار بالمحمل^(١) في أول الثلاثة أشهر على العادة ، ثم إنه بطل الركب وتوجهه بسبب ما بلغ الناس من تحرك السلطان الملك الناصر من الكرك ، وكانت فيه ديانة ، وعفة في المباشرات وأمانة ، وحفظ للأموال وصيانة ، تنقل في النيابات ، وخرج سالماً مما فيها من الغيابات^(٢) ، وعمل الشد وما حلّ [ولم يتعرّض إلى ما حرّم ولا ما حلّ]^(٣) ، وعمل النياابة بغزة ، وشرف نفسه عن أموال الرعايا ونزه ، ثم إنه أقام على إمرته ، وما أخذ الله ضوء جمرته .

ولم يزل على حاله إلى أن نزلت به أم دفر ، ورحل إلى الآخرة مع ذلك السفر .
ووفاته رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة عشر وسبع مئة . ودفن بتريته خارج باب الجابية .

وكان قد باشر نياابة بعلبك ، ومنها نقل إلى الشد بدمشق ، وبقي مدة ، ثم تولى نياابة غزة مدة عوضاً عن الأمير ركن الدين بيبرس الموققي^(٤) ، ثم عزل وأقام على إمرته إلى أن توفي رحمه الله تعالى .

وكان قد ولي الشد أولاً في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وست مئة .

* الدرر : ٢٩٣/١ .

(١) الحمل : الموكب الذي يقلّ الحجاج .

(٢) غيابة كل شيء ما سترك منه ، ومنه غيابات الحب .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) ستأتي ترجمته .

٢٩٥ - أقجبا*

الأمير فخر الدين الظاهري .

حجَّ بالركب الشامي في سنة ثلاث وسبع مئة .

وكان من أمراء دمشق الأعيان ، ومن قَدِمَتْ هجرتهم في خدمة السلطان ، ثابت^(١) العدالة على الحكام ، ملازم الصلاة في الجامع على مرَّ الليالي والأيام ، شرب كؤوس الصِّبا ؛ فحدَّه الدهر ثمانين ، وتشعَّب به سَعْدُ الإمرة في أفانين .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح الظاهري في باطن الأرض ، وأقام فيها إلى يوم العرض^(٢) ، وحضر جنازته ملك الأمراء وجماعة من الأمراء ، ودفن بسفح قاسيون قبالة زاوية ابن قوام^(٣) ، ووفاته تاسع عشري ربيع الآخر سنة أربع عشرة وسبع مئة .

٢٩٦ - أقجبا**

الأمير فخر الدين الحموي .

تقل من حماة إلى القاهرة ، وأُعطي شدَّ الشراب خاناه بالقاهرة في أيام الملك الصالح إسماعيل ، وعَلَّت عنده رُبَّتُهُ ، وعَلَّت من قلبه محبته ، وسَمَتْ مكانته وتَأَثَّلَتْ ، ووقفت السعود في خدمته وتمثَّلَتْ ، ولم يكن في دولة الصالح^(٤) له نظير غير الوزير^(٥) ، ولا ضاهاه أحدٌ في حسن السياسة والتدبير .

* الدرر : ٣٩٣/١ .

(١) (أ) : « نائب » ، تحريف .

(٢) في الأصل : « باطن العرض » ، وهو سهو .

(٣) تعرف بالزاوية القوامية البالسية غربي جبل قاسيون على حافة نهر زيد ، أنشأها أبو بكر بن قوام

البالسي (ت ٦٥٨ هـ) . الدارس : ١٦٢/٢ .

** الوافي : ٣٠٥/٩ ، والدرر : ٣٩٢/١ ، ولتنهل الصافي : ٤٩٣/٢ .

(٤) (أ) ، (خ) : « عند الصالح » .

(٥) يعني الوزير محمود بن شروين ، كما في الوافي .

وكان يقضي غالب الليل عند السلطان ، وإذا قَرَّرَ عنده أمراً^(١) لا تسمعه آذان الحيطان ، يساهره ويسامره ، ويأخذ بمجامع^(٢) قلبه بوذٍّ يخامرُه . ثم إنه أخرج من مصر بعد الصالح ، وعاد إليها كراتٍ عَوْدَ الطليح ، بل الطَّالِح .

ثم إنه وَلِيَ الحجة آخراً في أيام الملك الناصر حَسَنُ ، واختص بالأمر شيخو فائقاد له بالرَّسَن .

ولم يزل على حاله إلى أن أدناه الجديدان إلى البلى^(٣) ، وولَّى سعدُه مدبراً بعد أن كان مُقْبِلاً .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وسبع مئة .

وكان الأمير فخر الدين متَّصفاً بالمروءة في حقِّ مَنْ يصحبُه ، كثير الوُدِّ ، نفع جماعةً بصحبته .

ولما توفي الملك الصالح إسماعيل أخرجه الملك المظفر إلى حماة ، وبقي فيها إلى أن أُمسِكَ يلبغا وأبوه طابطا ، وجَهَّزَا إلى مصر من حماة ، فتوجَّه الأمير فخر الدين بهما ، ولما وصلوا إلى قاقون^(٤) أتاها الأمير سيف الدين منجك ، وجَرَى ما يأتي ذكره في ترجمة يلبغا ، ثم إن فخر الدين توجه إلى مصر فرسم له المظفر بالإقامة في القاهرة ، فأقام ، وكان قد خَدَم يلبغا في الطريق ، ولأطفه وصبره وسلاهُ وثبَّتته ، ولم يزل مقبياً بالقاهرة إلى أن تولَّى^(٥) الملك الصالح صالح ، فأخرجه إلى حماة ، فأقام بها ، ولما عاد الأمير شيخو وطاز من حلب في واقعة بيبغاروس عاد معها ، ودخل الديار المصرية ، وأقام

(١) (أ) ، (ق) : « أمر » .

(٢) (خ) : « مجامع » .

(٣) في الأصل : « أبلاه الجديدين بالبلى » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

(٤) هو حصن بفلسطين قرب الرملة . معجم البلدان : ٢٩٩/٤ .

(٥) (أ) : « توفي » ، ولا وجه لها .

بها ، واختص بالأمير سيف الدين شيخو ، وولاه الحجة بالقاهرة ، ولَمَّا جَرِحَ ^(١) شيخو انتصب الأمير فخر الدين لخدمته ، وكان يباشر عمل المصلومة ^(٢) له بنفسه ، وقيل : إنه ربما أفطر في شهر رمضان لذلك ^(٣) .

٢٩٧ - أقسنقر *

الأمير شمس الدين السلاري .

سَيَّرَ السلطان الملك الناصر محمد إلى صفد نائباً ، فحضر إليها ، ورأى أهلها منه من العفة والعدل ما لا رآوه من غيره ، ثم نقله إلى نيابة غزة ، فتوجه إليها .

ومات السلطان ، وتولَّى الملك المنصور أبو بكر ، وخَلَعَ ، وتولَّى الأشرف كُجُكُ ، وجاء الفخري لحصار الكرك ، فقام الأمير شمس الدين بنصرة أحمد في الباطن كثيراً ، وتوجَّه الفخري إلى دمشق لَمَّا توجَّه الطَّنْبغا إلى حلب ، ليطرد طَشْتَر نائب حلب ، فاجتمع به ، وقَوَّى عَزْمَهُ ، وقال له : توجَّه أنت ^(٤) إلى دمشق واملكها ، وأنا أحفظ لك غزة . وقام في هذه الواقعة قياماً عظيماً ، وأمسك الدروب ، فما جاء أحد من دمشق ولا من مصر يريدتاً كان أو غير ذلك إلا وحمله إلى الكرك ، وحلَّفَ الناسَ للناصر أحمد ، وقام ببيعته باطناً وظاهراً ، ثم جاء إلى الفخري وهو على خان لاجين ، وقَوَّى عزمه وعضده . ولم يزل عنده ^(٥) بدمشق إلى أن جاء الطَّنْبغا من حلب ، والتقوا ، وهرب الطَّنْبغا ، فاتَّبعه ^(٦) الأمير شمس الدين إلى غزة ، وأقام بها ، ودخلت العساكر الشامية إلى مصر .

(١) في الأصل و (أ) : « خرج » تصحيف .

(٢) هو إنضاج اللحم ونحوه .

(٣) (أ) : « كذلك » .

* الوافي : ٣١٣/٩ ، والدرر : ٣٩٤/١ ، والمنهل الصافي : ٤٩٩/٢ .

(٤) خلت منها (أ) .

(٥) (أ) ، (ق) ، (خ) : « مقياً عنده » .

(٦) في الوافي : « فتبعه » .

ولما أمسك الناصر أحمد طشتر النائب وتوجه به ^(١) إلى الكرك أعطى نيابة مصر للأمير شمس الدين أقسنقر ، وبقي نائباً وأحد في الكرك إلى أن تملك الملك الصالح إسماعيل ، فأقره عليها ، فسار فيها سيرة مشكورة ، وأقام فيها مدة أحاديثها إلى الآن مذكورة ، لا يمنع أحداً شيئاً يطلبه كائناً من كان ، ولا يرُدُّ سائلاً يسأله ، ولو لم يكن ذاك في الإمكان ، وارتزق الناس في أيامه ، وغرق الضعفاء في بحر أنعامه ، وتقدم من كان مؤخرًا ، وجرى رخاء الرخاء بأمره مسخرًا ، حتى كان الناس يطلبون منه ما لا لهم به حاجة ، ولا لهم به ضرورة ، وهو يقضي ما قابل جوده أو واجه .

ثم إنَّ السلطان الملك الصالح إسماعيل أمسكه ، وأمسك الأمير سيف الدين بيغرا أمير جاندار ^(٢) والأمير سيف الدين أولاجا الحاجب الآتي ذكرها في موضعيه ، والأمير زين الدين قراجا الحاجب ، لأنهم نُسبوا إلى المبالأة والمداجاة مع الناصر أحمد ، وذلك في سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، وكان ذلك آخر العهد بأمره ، والله تعالى يتولَّى الباطن من سرِّه ، وأخرج فيما بعد عن بيغرا وأولاجا وقراجا في شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

٢٩٨ - أقسنقر *

الأمير شمس الدين الناصري .

كان في حياة أستاذه أمير شكار ^(٣) وزوجه ابنته ، وجعله أمير مئة مقدَّم ألف . ولما جاء الناصر أحمد من الكرك جعله أمير آخور ، فلم يرضَ فأخرجه إلى غزّة نائباً ، وأقام

(١) ليست في (أ) .

(٢) في الأصل : « خازندار » سهو ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي ، وفي المنهل : « أمير جاندار » . وقد تكررت عبارة : « وأمسك الأمير ... » في الأصل .

* الوافي : ٣١١/٩ ، والدرر : ٣٩٤/١ ، وخطط المقرئ : ٣١٠/٢ ، والمنهل الصافي : ٤٩٦/٢ . ووقع في الأصل : « أقسقا » .

(٣) هو المشرف على طيور الصيد .

بها إلى أن أمسك الفخريّ ، وتسلمن الملك الصالح إسماعيل فطلبه من غزّة ، وجعله أمير آخور ، وعظمت مكانته عنده ، وجهّزه مقدّم العساكر المصرية والشامية لمحاصرة الكرك ، ثم أثبّل ذلك ، وخرج عوضه في التقدمة الأمير سيف الدين تينغرا .

ثم إنه جهّز إلى الكرك فأبلى بلاءً حسناً ، وأنكى في ذلك ، وجرح جراحة مؤلمة ، وعاد إلى مصر ، وأراد التوجه إلى الحجاز بأهله ، فنع من ذلك ؛ لأن والده الملك الأشرف كجك^(١) عنده زوجة ، فخيف منه ، وأخرج إلى طرابلس نائباً ، فورد إلى دمشق على البريد ، وعمل النيابة بطرابلس جيداً ، وظهرت عنه مهابة وبطش وقوة للمفسدين ، وعفّ عن أموال الرعايا ، وأقام نائباً من أوائل شوال سنة أربع وأربعين وسبع مئة إلى بعض شهر ربيع الآخر ، سنة ست وأربعين وسبع مئة ، في أول سلطنة الكامل شعبان ، فطلبه إلى مصر ، وتوجّه إليها ، وعظّم أمره وأمر الحجازي إلى الغاية ، فيقال : إنها أحسّا في الباطن بالغدر من الكامل ، فجهّز في السرّ إلى الأمير سيف الدين يلغا الحيوي ، وقال له : برز أنت إلى ظاهر دمشق ، فإننا قد عزمنا على أمر . وكان يلغا إذ ذاك نائب دمشق ، فبرّز إلى ظاهر دمشق - على ماسيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى - وراحت الأخبار إلى الكامل بخروج يلغا واتفاق^(٢) نواب الشام معه ، فلم ير الكامل بُدّاً من تجهيز عسكر إليه ، فجردّ جملة من عسكر مصر ، وقَدّم عليها أحد الأميرين ، إمّا الحجازي أو أقسنقر ، فخرجا من القاهرة ، وعادا من بعض الطريق ، واجتمع الناس عليهما في قبة النصر ، وخرج الكامل^(٣) ، فجرح^(٤) الأمير سيف الدين أرغون العلّائي ، وانهزم السلطان ، ودخل القلعة ، وطلع الأميران المذكوران إلى القلعة ، وأخذوا أمير حاج ، وأجلساه على كرسي المُلْك وحلّفا له وحلّفا له العساكر ، ولقباه المظفر ، وزادت عظمة الحجازي وأقسنقر في أيام المظفر .

(١) ليست في (خ) .

(٢) (أ) ، (خ) : « وخرج » . وفي الوافي : « وجتمع » .

(٣) في الأصل : « الكلمي » ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي .

(٤) في الأصل و (خ) : « مخرج » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي ، وهي أشبه .

فلما كان في يوم الأحد تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبع مئة جاء إلى السلطان من كان معها في الباطن ، وقال ^(١) : إنهم قد أجمعوا على الركوب غداً إلى قبة النصر ، وأن يفعلوا بك ما فعلوه بأخييك ، فأحضرهم العصر إلى القصر ، وأمسكهم ، وهم الأمير شمس الدين أقسنقر ، والأمير سيف الدين مَلَكْتَمُرُ الحجازي ، والأمير سيف الدين قرايغا الساقى صهر اليحيوي ، والأمير سيف الدين إتمش ، والأمير سيف الدين صغار ، والأمير سيف الدين بزlar ، فأما الحجازي وأقسنقر فإنها قتلا في الوقت الحاضر بالقصر ، والبقية جُهِزُوا إلى الإسكندرية ، وقيل : إن السلطان ضرب قرايغا على كتفه بالنمّج ^(٢) ، ثم إنه أمسك الأمير سيف الدين طبقغا العمري ، وأولاد الأمير علاء الدين أيدغمش وابن الأمير سيف الدين بكثر الحاجب ، وذلك كلّه بتدبير الأمير شجاع الدين أغرلُو .

وكان الأمير شمس الدين المذكور رحمه الله تعالى شكلاً مليحاً ، ووجهاً مع صباه صيحاً . طويلاً ^(٣) فيه هيف ، لورآه الحمام لسجع عليه وغرد وهتف ، يكرم من يودّه ، ويُسلّفه الإحسان ولا يستردّه ، نفسه نفس الملوك في العطاء ، وجوده لأصحابه بارز الشخص ما عليه غطاء .

وكان يكتب خطأ قوياً ، متمكن الحروف سوياً ^(٤) ، وكان إذا كتب لمن يكرمه ويصل جبل وداده ولا يصمره ، كتب : المملوك أقسنقر سلام عليك .

٢٩٩ - أقطاي *

الأمير سيف الدين المجدار .

- (١) (أ) ، (ق) ، والوافي : « وقال له » .
 - (٢) (أ) : « النمّج » ، وكلاهما صواب ، وهو خنجر مقوّس يشبه السيف القصير ، فارسي معرّب .
 - (٣) في الأصل : « طويل » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) ، (ق) ، وهي أحسن .
 - (٤) (أ) : « ستميا » ، ولا وجه لها .
- * الدرر : ٣٩٤/١ .

كان يسكن قبالة المدرسة التقوية داخل باب الفراديس^(١) ، ثم إنه انتقل بعد ذلك إلى العقبة^(٢) ، وكان أمير سبعين فارساً . وكان الأمير سيف الدين تنكر يعظّمه . وهو والد الأمير سيف الدين سلامش .

وكانت بينه وبين الشيخ^(٣) علاء الدين بن غانم صحبة ومودة .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالث عشر شوال سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بسفح قاسيون .

٣٠٠ - أقطاي*

الأمير سيف الدين العمري .

كان من جملة أمراء الطبلخانات بجلب .

توفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة ست وخمسين وسبع مئة .

ورسم بإمرته للأمير شرف الدين موسى بن الأمير ناصر الدين محمد بن شُهري^(٤) .

٣٠١ - أقطُوان**

الأمير علاء الدين^(٥) الكالي الحاجب بصفد .

حضر إليها أول أمره مُشيدُ الدواوين ، ووالي الولاية لما كان الجوكندار نائبها ، ثم

(١) أنشأها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه أيوب سنة (٥٧٤ هـ) . الدارس : ١٦٢/١ .

(٢) في الأصل : « العقبة » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) . والعقبة حي وسط دمشق اليوم .

(٣) في الأصل : « الأمير » ، وهو سهو .

* لم تقف على ترجمة له .

(٤) (ت ٧٨٠ هـ) ، الدرر : ٢٨٠/٤ .

** الوافي : ٣٢٠/٩ ، الدرر : ٣٩٥/١ ، والمنهل الصافي : ٥٠٥/٢ .

(٥) في المنهل : « علم الدين » .

إنه أعطي طبلخاناه ، وأقام على ذلك مدة ، ثم رَسِمَ له بالحجوية^(١) ، وبقي فيها مدة طويلة ، ثم إنه نقل إلى نيابة القلعة بصدد ، وأقام بها مدة ، ثم أعيد إلى الحجوية^(٢) .

وكان أميراً ذا بَرَكٍ وَعَدَّة ، يركب وينزل من مماليكه في عدّة ، زائد التّجمل في السلاح وآلات الحرب والكفاح ، وهو رجل طُوال ، لا يَرْدَ عنده من أحد سؤال ، ذو طلعة بهيّة ، وشيبة سنيّة ، عرف الناس وأحبّوه ، ولبّوه إلى ما يريدوه وأجابوه . وهو والد الأمير سيف الدين قُرْمُشي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف القاف مكانه .

ولم يزل بصدد على حاله إلى أن خرّب الموت ربع حياته ، وقرّر عنده أمر نزل^(٣)ه ونيّاته^(٤) .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

وكتبت أنا إلى ولده الأمير سيف الدين قُرْمُشي أعزيّه :

تعزّ يا مولاي في المذهب	وارض بأمر الطالب الغالب
واصبِرْ تَنَلْ أَجْرَكَ فِي فَقْدِهِ	فليس مَنْ يَصْبِرُ بِالْخَسَائِبِ
قد ركب الأعناقَ لَمَّا مَضَى	لرَبِّهِ أَفْدِيهِ مِنْ رَاكِبِ
وبات مندوباً لأنّ العُلا	أَمَسَتْ بِقَلْبٍ بَعْدَهُ وَاجِبِ
وفازَ لَمَّا حازَ طيبَ الثّنا	والذكرِ في الحاضرِ والغائبِ
بكاهُ حتّى مستهسلُ الحيا	بدمعِهِ المنحدرِ السّاكِبِ
لم تُرَمْ دونَ النَّاسِ مِنْ فَقْدِهِ	فيهِ بسهمٍ للرّدى صائبِ

(١) في المنهل : « وولي نيابة قلعة صفد ، والحجوية الكبرى بها » .

(٢) (أ) : « الحجة » .

(٣) (أ) : « نزوله » .

(٤) في الأصل : « ونيّاته » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

بـلـ الـورـى عـمـهم رزؤه وكم فـؤاد بعـدـه ذائب
وما تـرى في النـاس غير امرئ وعينـه تبكي على الحـاجب

٣٠٢ - أقطوان*

الأمير علاء الدين الظاهري الساقى .

كان صالحاً يقوم الليل ، ويجاهد في المحراب وعلى ظهور الخيل ، ويلازم صلاة الجماعة ، وما لحقوق الله تعالى عنده إضاعة . وكان يحفظ أشياء في الزهد يوردها ، ويأتي بها من حفظه ويسردها .

ناب السلطنة بقلعة الجبل في أيام السعيد بن الظاهر^(١) لما توجه إلى الشام ، ثم إنه نقل إلى الشام ، وأقام به إلى أن صرع الساقى ، وظفر من عمله بالكنز الباقي .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان المعظم سنة ثمان عشرة وسبع مئة . وكان من أبناء الثمانين أو تجاوزها ، ودفن بالقبيبات^(٢) .

٣٠٣ - آقوش**

الأمير جمال الدين الشريفي .

كان والي الولاية بالصفقة^(٣) القبلية بالشام ، تولّاها وهي كثيرة الهرج ، مباحة الدم والفرج ، قد غلب فيها العشير على حكام الدولة ، وكادت قراها تحكي أطلال خولة ، فأطلق فيها سيفه الماضي ، ورفض التغافل والتغاضي ، إلى أن هذب تلك الناحية ، وميّز الفرقة الناجية .

* الدرر : ٣٩٤/١ .

(١) هو للملك السعيد محمد بن الظاهر بيبرس (ت ٦٧٧ هـ) . بدائع الزهور : ٣٤٢/١/١ .

(٢) حيّ في دمشق يطلق عليه الآن الميدان الفوقاني ، وكان قديماً من قرى دمشق .

** الوافي : ٣٢٤/٩ ، والبداية والنهاية : ١٧/١٤ ، وعقد الجمان : ١٥٥/٤ .

(٣) عبارة الوافي : « والي البلاد القبلية بالشام » .

ولم يزل على حاله إلى أن بغته حياهه ، وانقص رحمه ، وصدي حسامه .
وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع مئة .

٣٠٤ - آقوش *

حسام الدين أبو الحمّد الافتخاري الشبلي .

سمع بالقاهرة من ابن رواج ، والساوي ، وجماعة . وسمع بدمياط (الناسخ
والمنسوخ) للحازمي^(١) من الجلال الدميّاطي . وسمع بدمشق من ابن قُميرة ،
وابن مسلمة ، وسمع منه الطلبة .

وكان متميزاً في الأجناد ، موصوفاً بالسداد ، يكتب خطأً فائقاً ، راقياً^(٢) في درجة
الحسن رائقاً ، له عناية بالخطوط المنسوبة وتحصيلها ، وعنده بذل للجمل في تفصيلها .
وحدث قديماً مع أستاذه شبل الدولة كافور^(٣) خزندار قلعة دمشق .

ولم يزل على حاله إلى أن وقع الشبلي في شبكة الموت ، وغرق في بحر الفوت .
وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة .

٣٠٥ - آقوش **

الأمير جمال الدين المطروحي الحاجب بدمشق .

* الوافي : ٣٢٥/٩ .

(١) محمد بن موسى (ت ٥٨٤ هـ) ، واسم كتابه : (الاعتبار في بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار) مطبوع .
الأعلام : ١١٧/٧ .

(٢) في الأصل : « وافيا » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

(٣) الصوابي الصالح (ت ٦٨٤ هـ) . الشذرات : ٢٨٨/٥ .

** الوافي : ٣٢٥/٩ ، وعقد الجمان : ١١٢/٤ ، وشذرات الذهب : ٤٤٦/٥ .

أباعه الكسروانيون للفرنج في واقعة غازان ، ثم شراه ابن سعيد الدولة منهم ، وأعطى طبلخاناه بعد الواقعة .

وكان شيخاً مليح الشيبة ، ظاهر الهيبة ، حاجباً جليلاً ، لا يراه أحد إلا أتخذه خليلاً^(١) ، ناهضاً بالأعباء عاقلاً ، لا تجده الدولة عن مصلحتها غافلاً .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح ابن المطروحي على نعشه مطروحاً^(٢) ، وطحنته من المنية تلك الرحي .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة . باشر الطبلخاناه قليلاً ، ومات رحمه الله تعالى .

٣٠٦ - آقوش *

الأمير جمال الدين الأفرم ، نائب دمشق .

كان من ممالك الملك المنصور قلاوون القُدَم الجراكسة ، وهو من أكبر البُرْجِيَّة السلاح دارية . وكان في البرج مُعَرَّى بالنشاب والعلاج والصراع واللكام والثقاف^(٣) وتأمّر وهو على هذا .

ولمّا كان في أيام أستاذه تحدّث مع بعض الخاصكية أن يخرج إلى الشام ، فعرضوا به للمنصور ، فقال : آقوش الأفرم يريد الرواح إلى دمشق ، لا بدّ له من نيابة دمشق إلاّ ما هو في أيامي .

(١) قوله : « لا يراه ... خليلاً » ، ليس في (أ) .

(٢) في الأصل : « مطروحا » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، وهي أنسب بالسجدة .

* الوافي : ٣٢٧/٩ ، والتحفة : ٢٠٩/٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٨٠ ، والدرر : ٣٩٦/١ ، والمنهل الصافي : ٩/٣ .

(٢) في الأصل : « النفاق » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، والوافي ، والمنهل .

أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله^(١) ، قال : حدثني جلال الدين محمد بن سليمان بن البيّع الموقّع عن الشهاب الرومي أن الأفرم حدّثه أنه قال : كان يتردد إليّ وأنا بمصر فقير مغربيّ ، كان في القرافة الكبرى ، فقال لي يوماً : يا آقوش إذا صرّ نائب الشام أيش تعطيني ؟ فقلت له : يا سيدي ما أنا قدّر هذا . فقال : لا بدّ لك من هذا . أيش تعطيني ؟ فقلت : يا سيدي الذي تقول . فقال : تتصدق بألفي درهم عند السيدة نفيسة ، وبألف درهم عند الشافعي . فقلت : يا سيدي بسم الله . فضحك ، وقال : ما أظنك إلّا تنساها ، وما تعود تذكرها إلّا إذا جئت هارباً إلى مصر . قال : فوالله لقد جعّلتُ كلام المغربيّ ممثلاً^(٢) بين عينيّ حتى وُلّيت النيابة ، فأنسانيه الله ، ثم ما ذكرته حتى دخلت نوبة غازان مصر هارباً ، فبينما أنا أسير هارباً^(٣) إذ مررت بمكان الفقير ، فذكرتُ قولَه ، فأحضرت على الفور الدراهم ، وتصدقت بها .

وكان قد بُقِلَ الأفرم إلى الشام قبل النيابة ، وأقام بها مدة طويلة في مجالس أنس وهو وطرب ، يغشى الناس ويغشونه . ولَمّا كانت أيام العادل كُتِبَغا ، وتقدّم حسام الدين لاجين ، وصار نائب مصر ، اشتدّ عضد الأفرم به ، لأنها كانا ابني خالة^(٤) ، فلما تسلطن لاجين كان الأفرم بدمشق فطلبه ، وجعله حاجباً ، وبقي بمصر مدة على ذلك ، يبيت^(٥) ويصبح بقلعة الجبل . ولما كان يوم الخميس وهو اليوم الذي قُتل فيه لاجين عشيةً ، نزل الأفرم تلك الليلة ، وبات في القاهرة في داره ، وهي دار الشريف ابن ثعلب^(٦) ، وبات بها هو والأمير شرف الدين حسين بن جندربك^(٧) .

(١) هو شهاب الدين أحمد بن علي بن يحيى الدين بن فضل الله ، (ت ٧٧٧ هـ) .

(٢) (أ) : « ممثلاً » .

(٣) (أ) ، (ق) : « أسير في القرافة » .

(٤) في الأصل : « ابنا » .

(٥) في الوافي : « يبيت عنده » .

(٦) هو حصن الدين ثعلب ، ممن ثاروا على الظاهر بيبرس أيام ملكه ، ونادى بالسلطنة لنفسه . البيان

والإعراب للمقريزي ص ١٠ .

(٧) في الوافي : « حيدر بك » تصحيف ، وستأتي ترجمته .

أخبرني من لفظه الأمير شرف الدين حسين بن جندربك . قال : بينا نحن تلك الليلة وإذا بالباب يُطرق وقائل يقول : خَلَوْا الأمير يكلم السلطان ، وآخر في آخر في الحث في طلبه . فهمم الأفرم بفتح الباب ، فقلت له : تَأَنَّ على نفسك ، فخاطري قد حَدَّثني بأمر ، وأخشى على السلطان من أمرٍ حدث ، فانتبه لنفسه ، وقال : ما العمل ؟ قلت : تحيّل على مَنْ يخرج إلى السوق ، ويكشف الخبر . فدَلَّينا مملوكاً من السطح ، فما لبث أن عاد إلينا بالخبر ، فخرجنا على حِمَّة ، وركبنا وطلعنا إلى خيل ^(١) الأفرم ، وكانت خارج البلد ، [فأخذنا الخيل] ^(٢) وانعزلنا إلى القلويّة ، واجتمع عليه مماليكه وأصحابه واللاجينية ، ونشر أعلامه ، ودقّ طبليخاناته ، وبقي يتنقل حول بركة الحجاج ^(٣) إلى عكرشة إلى المرج إلى مادون بُلْبُيس وهو على غاية الحذر ، إلى أن ترددت الرسل بينه وبين أمراء القلعة ، وتأكدت الأيمان بينهم ، فهمم بالطلوع إلى القلعة ، ثم إنه رَدَّ من الشجرة ^(٤) ، وفلّ أكثر من كان معه ، وكاد يؤخذ ، فأقَى الله بالأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح ، والأمراء المجردين مجلب ، فانضمَّ إليه الأفرم ، وكان معه إلى أن قتل كُرْجِي وطُغْجِي ^(٥) ، وتقرر ^(٦) الأمر على طلب السلطان الملك الناصر من الكرك بإجماع رأي سبعة من الأمراء ، كان الأفرم سادسهم ، فتصدّر الكتب بخطوط السبعة والأفرم السادس ، ولما حضر السلطان واستقرت دولته بعثه إلى دمشق كالحافظ لها ، فوصل إليها على البريد في ثاني عشري جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وست مئة ، وحكم فيها بغير تقليد مدة . انتهى ، أو كما قال .

ثم إن الأفرم سعى لها سَعْيَها ، فجاء تقليده بنيابة دمشق ، وكان هو والجاشنكير متظاهرين لما يجمعهما من البرجيّة .

(١) في الأصل : « على جبل » تصحيف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، والواقي .

(٢) زيادة من : (أ) ، (ق) ، والواقي .

(٣) في الأصل : « الحاج » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، والواقي .

(٤) في الأصل : « الثغر » .

(٥) وهما شقيقان . انظر : تحفة ذوي الألباب : ١٨٤/٢ ، وستأتي ترجمة ثانيهما في موضعها .

(٦) في الواقي : « وتقدّر » .

أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، قال حدثني والدي ، قال : دخلت يوماً على الأفرم وهو في بقية حديث [يتشكى] ^(١) فيه من افتئات سَلَّار والجاشنكير ^(٢) وما هما فيه ، ثم التفت إليّ وقال : يا فلان ! والله هذا يببرس ، لَمَّا كُنَّا في البرج كان يخدمني ويحكّ رجليّ في الحمام ، ويصبّ الماء عليّ ، وإذا رأيته ما يقعد إلا إذا قلت له : أقعد . وأما سَلَّار فما هو منّا ولا له قدر ، أيش اعمل في دمشق ؟ والله لولا هذا القصر الأبلق والميدان الأخضر ، وهذا النهر المليح ما خليتهم يفرحون بملك بصر .

وكان الأفرم يقول : لما توجّه الناصر إلى الكرك : والله علموا نحساً ، كان ابن أستاذنا وهم حوله أصلح .

ولم يزل على هذا حتى تحمّ الأمر ، وخاف القتل ، وانصرف إلى الجاشنكير .

ولما كانت كسرة المسلمين ، وجرى من أهل كسروان ما جرى على العساكر أثر ذلك في قلبه ، ولما عاد واستقرت الأمور توجه إليهم بنفسه ، ونازلهم ^(٣) ولم يحصل على طائل ، ووصلت الأراجيف بأحاديث التتار ، فعاد عنهم ، ولما قضى الله تعالى بالنصر في واقعة شقحب جعل كسروان دأبه ، وكتب إلى نائب طرابلس ونائب صفد ، وجمعوا الرجال وأحاطوا بالجبل من كل ناحية ، فأظهره الله عليهم وظفره الله بهم ، وكتب كُتِبَ البشائر بذلك ، وأحسن ما وقع فيها كتاب الشيخ كال ^(٤) الدين محمود بن الزملكاني لأنه افتتحه بقوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ ﴾ ^(٥) .

(١) زيادة من : (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٢) في الوافي : « سَلَّار ويبرس » .

(٣) (أ) : « وحاصرم » .

(٤) (أ) : « جمال » ، سهو .

(٥) سورة طه : ١٠٥/٢٠ .

ومُدح الأفرم في هذه الواقعة بعدة مدائح جمعها شمس الدين الطيّبي هي وكثيراً مما كتب في هذه الواقعة ، وسمّاها (واقعة كسروان) ، وزاد تمكن الأفرم في نيابة دمشق إلى أن كان يكتب تواقيع بوظائف كبيرة ، ويبعثها إلى مصر ؛ ليعلم السلطان عليها .

وكتبت في دمشق عن السلطان بالإشارة^(١) العالية الأميرية الكافلية الجمالية « كافل الشام أعزّها الله تعالى » . وشكا إليه ضوء بن صباح أحد قصّاد الخدمة أن جامكيته تقصّت فقال : مَنْ فعل ذلك ؟ فقال : ابن سعيد الدولة . وكان ابن سعيد الدولة إذ ذاك مشير الدولة وجليس السلطان ، ومكان ثقته ، ولا يُعلم الملك المظفر على شيء حتى يكتب عليه ابن سعيد الدولة : « يحتاج إلى الخطّ الشريف » ، فكتب الأفرم إلى ابن سعيد الدولة هكذا ابتداء : « وَالكَ يَا بِنَ سَعِيدِ الدَوْلَةِ ! مَا أَنْتَ إِلَّا ابْنُ تَعْيِيسِ الدَوْلَةِ ، وَصَلْتَ أَنْكَ تَقْطَعُ جَوَامِكَ الْقَصَادَ الَّذِينَ هُمْ عَيْنُ الْإِسْلَامِ ، وَمِنْ هَذَا وَشَبْهِهِ ، وَاللّٰهُ إِنْ عُدْتُ تَعَرَّضْتُ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الشَّامِ بَعَثْتُ إِلَى مَنْ يَقْطَعُ^(٢) رَأْسَكَ ، وَيَجِيءُ بِهِ فِي مِخْلَاةٍ » ، وجَهَّزَ بِهِ مَمْلُوكًا مِنْ مَمَالِيكِهِ عَلَى الْبَرِيدِ قَصْدًا ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ الْكِتَابَ فِي وَسْطِ الْمَحْفَلِ ، وَيَقُولَ لَهُ مِنْ نِسْبَةِ مَا فِي الْكِتَابِ ، ففعل ذلك ، فدخل إلى السلطان ، وأراه الكتاب فقرأه ، ثم أطرق زماناً ، وقال له : أَرْضِ الْأَفْرَمَ ، وَإِلَّا أَنَا وَاللّٰهُ بِالْبَرَاءَةِ مِنْكَ ، وَاللّٰهُ إِنْ عَمِلَ مَعَكَ شَيْئًا مَا نَقْدِرُ نَنْفَعَكَ !

ولم يزل على حاله إلى أن حضر السلطان الملك الناصر من الكرك ، وقفز الأمراء إليه ، وبقي الأفرم في دمشق وحده ، فهرب هو والأمير علاء الدين بن صباح إلى شقيف بيروت^(٣) ، ثم إن السلطان آمنه فحضر إلى دمشق فأكرمه وأقره على نيابة الشام في الركوب^(٤) والوقوف والخدمة ، وقراءة القصص ، وسافر معه إلى مصر على حاله ،

(١) في الأصل : « بإشارته » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٢) (أ) ، (ق) ، والوافي : « بعثت مَنْ يَقْطَعُ » .

(٣) كذا في الأصول وتحفة ذوي الأبواب ، وفي الوافي : « أنون » ، وهي قلعة مشهورة في جنوب لبنان .

(٤) (أ) ، (ق) ، والوافي : « في الركوب والنزول » .

ولمّا استقر جلوس السلطان على كرسيّ الملك أعطى الأفرم صرخد على عادة العادل كتبغا ، وأخرج سلاّر إلى الشوبك .

ونقل إلى السلطان أن الأفرم وسلاّر يتراسلان فولّى الأفرم نيابة طرابلس ، وقال له : لا تدخل دمشق ، خشية أن تنشب أظافره فيها ، ويقوم أهلها معه بحجة فيه ، فتوجّه إلى طرابلس على مشاريق مرج دمشق في جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة ، وأقام بطرابلس وهو على وِجَل ، ويخرج كل ليلة بعد العشاء هو ومن يثق إليه ^(١) من دار السلطنة ^(٢) إلى مكان ينامون فيه بالنوبة وخیلهم معهم ، وربما هوّموا ^(٣) على ظهور الخيل .

ثمّ إنه أتاه مملوك كان له في مصر ، وقال له : السلطان رسم لك بنيابة حلب ، ورسم لك أن تروح إلى مصر لتلبس تشريفك وتأخذ تقليدك وتعود ، فطار خوفاً ، وكان في مرج ^(٤) ، فأتاه في الحال مملوك صهره أيدمر الزردكاش يعرفه أنه مأخوذ ، ويحرّضه على الخروج ، فخرج في الحال .

أخبرني القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله ، حكى لي عماد الدين إبراهيم بن الشيخ شهاب الدين الرومي أن الأفرم ما خرج إلى مرج لاجين ، إلاّ بنيّة الهروب . قال : وكنت عنده قبل خروجه إلى المرج المذكور يوماً ، فبينما نحن قعود نأكل إذ جاء إليه مملوك من ممالك قراسنقر ، فسلم عليه ، ثمّ قعد يأكل معه حتى فرغنا ، وخرجت الممالك ، ولم يبق عنده أحد إلاّ جمدارية النوبة ، وأنا لاغير ، فتقدم إليه المملوك ، وقال له : أخوك يسلم عليك ، وقد بعث لك معي هدية ، فقال : وأين الكتاب ؟ قال : مامعي كتاب ، قال : فالمشافهة ؟ قال : مامعي مشافهة ؛ ولكن هدية لاغير .

(١) (أ) : « به » .

(٢) في الأصل : « السلطان » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٣) التهويم : هز الرأس من النعاس .

(٤) كذا في الأصول والوافي ، ولعلّه (مرج حسين) . انظر : معجم البلدان : ١٠٠/٥ .

فقال : هاتها ، فأخرج خرقة وحلّها ، وناولها تفاحة ، ثم ناوله بعدها مئزراً أسود ، ثم ناوله^(١) بعدها نصفيّة ، هكذا على الترتيب ، ثم خرج ، فقال له : اقعد ، فقال : مامعي دستور أن أقعد بعد إيصال الهدية ، فوجم الأفرم ، وسارّه في أذنه ، وأعطاه نفقة ، وسفره لوقته . فلما خرج قال لي : أتعرف أيش هي^(٢) الهدية ؟ فقلت له : لا والله يا خوند ، لا يكثر الله له خيراً ، فقال : اسكت ، وآلك ، بعث يقول : إن كنت تريد تشم^(٣) هواء^(٤) الدنيا مثل ما تشم هذه التفاحة فأتبه في الليل الذي هو مثل هذا المئزر ، وإلا فهذه النصفيّة مثل^(٥) كفنك . قال : فعجبت لسرعة فطنة الأفرم لقصده وما رمز عليه .

وخرج الأفرم ولاقاه الزردكاش ، وسارا معاً ، وعبر الأفرم على مرج الأسل وبه العسكر المصري مجرداً لمنعه من اللحاق بقراسنقر ، فلما أشرف على المرج رأى العسكر قال : شدوا لي حِمَاماً ، وكان حصاناً له يعتمد عليه ، فركبه وعليه كبرّ أطلّس أحمر وكوفية ، ورعجه بيده ، ثم قال للثقل يكاسرون ويعبرون ، فلما عبروا لم يتعرض إليهم أحد ، ثم أمر الطلب أن يدخل مفرقاً ، وقال : لأن هؤلاء إذا دخلوا عليهم وما أنا فيهم ظنوا أنني في الصيد ، وما القصد إلا أنا ، فما يعارضونهم لئلاّ أجفل أنا ، وكان الأمر كما قال ، لأنهم عبروا عليهم مرتين ، ولم يتعرضوا إليهم ، ولما تعدّوهم أقبل هو وحده ، وشقّ العساكر ، ولم يفتن له أحد ، ولا عرف أنه الأفرم . ولما خرجوا من المضيق اجتمعوا ، ورفع العصاة فوق رأسه وسار ولم يتبعه أحد ، ولما قرب من قراسنقر ما اجتمعوا إلا بعد مراسلات عديدة وأيمان ومواثيق ، لأن الأفرم تخيّل في نفسه أن

(١) في الأصل : « ناولها » سهو .

(٢) (أ) ، (ق) ، والوافي : « هي هذه » .

(٣) (أ) ، (ق) : « أنك تشم » ، وفي الوافي : « أن تشم » .

(٤) في الأصل : « هذه » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٥) ليست في (أ) ، (ق) ، والوافي .

قراسنقر عمل هذه الفعلة مكيدة عليه ^(١) ، وكان ^(٢) حزماً منه . ولما اجتمعاً سارا في البرية وقصدا مهنا بن عيسى ، وكان قراسنقر قد ترامي إلى مهنا ، وترامي الأفرم إلى أخيه محمد .

وحكى لي القاضي شهاب الدين ، قال : حكى لي سنجر البيروقي ، وكان أكبر ماليك الأفرم ، قال : لما فارقنا البلاد التفت الأفرم إلى بلاد الشام ، وأنشد :

سِيذْ كُرْنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدَّهُمْ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءُ يَفْتَقِدُ الْبَدْرَ ^(٣)

وبكى فقال له قراسنقر : روح بلا فُشار ، تبكي عليهم ولا يكون علينا ^(٤) . فقال والله ما بي إلا فراق موسى ولدي ، فقال له : أيّ بَغَايَة بصُتْ في رحها جاء منه ^(٥) موسى وعلي خليل ، وعدة أسماء . قال : ولم ندخل ميافارقين إلا وقد أملق ونقد ما كان يقوم به إلا قراسنقر ، وألجأتنا الضرورة إلى أني كنت أحطب ، والأفرم ينفخ النار ، والماليك تنام ^(٦) هنا وهنا ، ما فيهم من يرحمه ، ولا من ينفخ النار عنه ، فيقول لي : واللك ياسنجر تُبْصِر ؟! فأقول له : أبصرت ، فيتشهد وتتغرغر عيناه بالدموع ، فلما وصلنا إلى بيوت سوتاي أضافنا ضيافة عظيمة ، ونصب لنا خيمة كبيرة كان كسبها من المسلمين أيام غازان وعليها ألقاب السلطان الملك الناصر . فلما قام الأفرم ليتوضأ قال لي : واللك ياسنجر ، كيف نعانِد القدرة ، ونحن في هذا المكان ، وقد خرجنا من بلاده ، وهو فوق رؤوسنا ، وإذا كان الله قد رفعه ، كيف تقدر نحن نضعه . قال سنجر : ومن حين دخلنا إلى بيوت سوتاي عاد إليه ناموس الإمرة ، ومشت الماليك

(١) في الوافي : « للقبض عليه » .

(٢) (أ) ، (ق) : « وكان ذلك » .

(٣) هو لأبي فراس الحمداني ، ديوانه : ١٤٥ . من قصيدته المشهورة : « أراك عصي الدمع » .

(٤) في المنهل : « امش بلا فُشار تبكي عليهم ولا يكون عليك » .

(٥) في الوافي : « منها » .

(٦) في الوافي : « نيام » .

معه على العادة ، وأُجْري علينا من الرواتب ما لم نحتج معه إلى شيء آخر ، ولم يزل ^(١) كذلك حتى وصلنا الأردو فازداد إكرامنا وتوالى الإنعام علينا .

وركب خَرَبندا يوماً ودار حتى انتهى إلينا ، فوقف ، وخرج له الأفرم وضرب له جوگا ^(٢) وقدم له خيلاً بسروجها ولجها وأشياء أُخر ، فقَبِلها ، واستدعى بشارب فشرب منه ، وأمسك له أياق ^(٣) ، فضرب الأفرم له جوگا وشربه ، فأمر له بخمسين ثوباً ^(٤) ، فقبضناها من خواجا علي شاه ^(٥) ، ثم أعطاه هَمَذان ، فتوجهنا ^(٦) إليها وأقام بها ، وقصدته الفداوية مَرَّات ، ولم يظفروا به ، وقفز عليه واحد منهم مرة ، والأفرم قاعد وقدَّامه بيطار ينعل له فرساً ، فأمسكه بيده وضَمَّه إلى إبطه ، ولم يزل كذلك حتى أخذناه وقرَّره ثم قتله .

قال : وأحضر الأطباء فملَّؤوا في زيتاً وأعطوني محاجم ، وبقيت أمص الجرح ، ثم إنهم عاجوه وبرئ ولم يمِت إلا حتف أنفه بهمَذان .

وحصل له في سنة أربع عشرة وسبع مئة فالج وهو بهمَذان .

قلت : وكان الأفرم ذا قوة ونجدة ، يقاوم في الحروب بعدة ، وما تتمتع [أحد] ^(٧) بالقصر الأبلق كما تتمتع ، ولا ثبت له للهو كما ثبت له ^(٨) وما تتمتع ، وكان مغرى بحب الصيد لا يكاد يملُّه ، يطلع الهلال فيه ويبدر ويستلهه ، وكانت له خيول تُشد للكرِّ ،

(١) في الواقي : « نزل » .

(٢) الجوك : الركوع والجلوس على الركبتين ، وهي عادة المغول في حضرة ملوكهم .

(٣) لم تقف على مدلولها .

(٤) كذا في الأصل ، وفي الواقي ، وتحفة ذوي الألباب : « تومان » ، و« التومان » فرقة من الجيش يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل . وهذا بعيد ، والأظن أنها ضرب من النقد كما يدل عليه السياق .

(٥) ابن أبي بكر التبريزي ، وستأتي ترجمته .

(٦) (أ) : « فتوجَّه » .

(٧) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٨) ليست في (أ) ، (ق) .

وخيل تُشد للَقَنَص ، وهو من هذا السرج إلى هذا السرج يعدُّ ذلك من الفرص ، وكانت أيامه ممتزقة في الصيد ، والقنص بالجوارح ^(١) والكلاب والفهود ، ومع هذا لا يخلُّ بالجلوس للأحكام ، والتصدي لمصالح الإسلام ، وقضاء حوائج الناس ، وإغاثة ذوي اللهفات والعُدْم واليأس ، وتحصين الحصون ، ومَلءُ ^(٢) كل ثغر بما يحتاج إليه من الحاصل المصون ، وترتيب رجاله ، وتفقد أحواله ، وإدرار النفقات عليهم ، ووصول الإنعامات إليهم ، وإدخال السلاح ، وما يحتاج إليه من زرديات ^(٣) وقسيٍّ وجروح ^(٤) ورماح . ولا يزال يتفقد هذا بنفسه ، ويتوكل بأمره في يومه كما كان في أمسه . وقصّاده لا تزال في بلاد العدو ، فرقة داخلين وفرقة خارجين ، وبريد ^(٥) يخفق إلى باب السلطان بمركات العدو إن كانوا متحركين أو ساكنين . إلا أنه كان يسمع كلام كل قائل ^(٦) ، ويميل إلى مَنْ لم يكن بطائل ، ويبقى أثر ذلك في قلبه كامناً ، إلا أنه لا يرتب تحريك أذى يكون ساكناً .

وكان واسع السماط ، كثير الانشراح عليه والانبساط ، يتخرق ريحه كَرَمًا ، ويضيء جوده للسائرين ضمراً ، لكنه قليل العطاء ، ليس لبخل عنده ، ولا لإمساك يوري زنده ، ولكن لضيق ذات يده ، وعُدْم حاصل يضطرب جوده في إنفاق مَدَدِهِ . قال لي مَنْ أطلع على أمره : إنه أكثر ممالك سبعة آلاف دينار ، وكان خيراً عديم الشر والأذى ، لا يجب أن يرى في عين أحد قذى ، لا يؤثر الظلم ، ولا يفارق حِمَى الأناة والحلم ، ماسفك دماً إلا بالشرع ، ولا غلب أصل مأثمة على فرع .

(١) ليست في (أ) .

(٢) في الأصل : « ووصل » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) . وفي الوافي : « وسد » .

(٣) في الوافي : « زردخانات » ، وهو المكان المخصص لحفظ السلاح والعتاد الحربي ، وقد يطلق على السلاح نفسه .

(٤) جمع جرخ ، عربي ، يطلق على آلة حرية تستعمل لرمي السهام والنفط والحجارة .

(٥) (أ) : « وبريده » .

(٦) في الأصل : « عاقل » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

ونادم في دمشق الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، وبدر الدين بن العطار ، والملوك الكامل ، وغيرهم من المطاييع الأفاضل والرؤساء الأماثل ، وأحبه أهل دمشق ، ونقشوا رنكه على أطرزتهم وآلاتهم ، واستعملوه في جميع حالاتهم .

ونظم فيه الشعراء ، ومن أحسن ما جاء فيه قول الشيخ نجم الدين هاشم البعلبكي الشافعي :

سَيُوفٌ سَقَاهَا مِنْ دِمَاءِ عُدَاتِهِ وَأَقْسَمَ عَنْ وَرْدِ الرَّدَى لَا يَرْدَهَا
وَأَبْرَزَهَا فِي أَيْضٍ مِثْلَ كَفِّهِ عَلَى أَخْضَرٍ مِثْلَ الْمِسْنِ يَحْدُهَا^(١)

وكان رنكه غاية في الظرف ، وهو دائرة بيضاء ، يشقها شطب أخضر ، عليه سيف أحمر ، يمر من البياض الذي فوق إلى البياض الذي تحت على الشطب الأخضر .
وقيل : إن النساء الخواطي وغيرهن كنَّ ينقشنه حتى على معاصهنّ وفروجهنّ .

ولم يزل على حاله في همدان داخل البلاد إلى أن جاءه الأمر الذي لا يرد قدومه ، والخطب الذي لا يصد عن القطع قدومه .

وكانت وفاته - رحمه الله تعالى - بهمدان بعد العشرين وسبع مئة^(٢) ، ودفن بها .

وعمرّ الجامع الذي بالصاحية قبالة الناصرية ، والتربة التي إلى جانبه . وجدّد جامع التوبة الذي بالعقبة .

ولما كان بصرخد ، كتب إليه الشيخ صدر الدين بن الوكيل قرين فاكهة جهزها وحلوى :

أَيَا جِيرَةَ بِالْقَصْرِ كَانَ لَهَا مَعْنَى رَحَلْتُمْ فَعَادَ الْقَصْرَ لَفْظاً بِلَا مَعْنَى
وَأُظْلِمَ لَمَّا غَابَ نَوْرُ جَمَالِهِ وَقَدْ كَانَ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نَوْرُهُ أَسْنَى

(١) المنهل الصافي : ١٤/٣ .

(٢) في المنهل : « توفي بالفالج في سنة عشرين وسبع مئة ، وقبل سنة ست عشرة وسبع مئة » .

فلا تحسبوا أن الديار وحسنا زمانكم لا والذي أذهب الحسنى^(١)
لقد كانت الدنيا بكم في غصارة ونعمى فأعمى الله عيناً أصابتنا
ولا رقت الأصال إلا صبابه ولا حرّكت ريح الصبا طرباً غصنا
يعزّز عليهم بُعد داري عنهم وقد كنت منها «قاب قوسين أو أدنى»
وأني ألقى ما لقيت من الذي لقلبي قد أضى وجسمي قد أضى^(٢)
لقد كنتم ياجيرة الحي رحمة أياديكم تمحو الإساءة بالحسنى

فجاءته الأبيات والهدية صحبة قاصده ، وقد خرج إلى الصيد ، فقال للخزندار :
كم معك ؟ قال : ألف درهم^(٣) ، فقال : هذا القدر ما يكفي الشيخ صدر الدين ،
يا صبيان أقرضوني حوائصكم^(٤) ، فأخذ من ممالكه عشرين حياسة وجهازها قرين
الدرهم ، وقال لقاصده : سلّم على الشيخ وقُل له :

على قدر الكيسا مدّيتُ رجلي وإن طال الكيسا مدّيت زاده^(٥)

ولم ينتفع بعده أحدًا بالقصر الأبلق ، لأنّه - سكنه مدّة نيابته ، وهي تقارب
الأربع عشرة سنة ، وبعده سكنه قراسنقر أربعة أشهر ، وخرج منه أقبح خروج ،
وسكنه كراي مدّة يسيرة وأمّسك منه ، وسكنه نائب الكرك دون السنة وعُزل . وأمّا
تنكز - رحمه الله تعالى - فما سكنه ولا بات فيه . وأمّا الفخري فنزل فيه ، فجرى له^(٦)
ما جرى . وأمّا طقزقر فخرج منه في ليلة عجيبة لمّا بلغته وفاة صهره الملك الصالح ،
وبعد قليل عُزل . وأمّا يلغيا الحيوي فمّنه خرج إلى قُبته في المرّة الثانية ، ومنها
هرب ، وجرى له ما جرى ، وأمّا أرغون شاه فمّنه أُخرج وذبح .

(١) (أ) ، (ق) ، والوافي : « وطيبها » .

(٢) (أ) : « قد أظلم » ، تحريف .

(٣) في الوافي : « دينار » ، سهو .

(٤) ما يشدّ على الخصر .

(٥) الخبر مختصراً في النهل ١١/٣-١٢ .

(٦) (أ) ، (ق) : « عليه » .

٣٠٧ - آقوش *

الأمير جمال الدين المنصوري ، المعروف بقتال السبع .

بقي إلى أن عاد السلطان الملك الناصر من الكرك ، وهو أمير كبير ، وعظيم
بالأس والنجدة شهير ، أملاكه موفورة ، ومماليكه^(١) تضاهي شمس الأفق وبدوره ،
وله الحمام التي عند حوض ابن هنس في الشارع ، وانتقلت إلى ملك الأمير سيف الدين
قوصون أخيراً .

ولم يزل على حاله إلى أن جاءه الحمام فما أطاق ردّه قتال السبع ، وبطش به غرب
المنية وهو نبع .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة عشر وسبع مئة ، في تاسع عشري رجب الفرد ، وكان
أمير علم .

٣٠٨ - آقوش **

جمال الدين البيسري ، أحد الأجناد بطرابلس ، كان له شعر ومُلح ، ونوادر وفق
المقترح ، رأى الأكابر وقاسى أهوال الزمان وهو صابر ، وقارب المئة وهو برمح واحد ،
وصحب الدهر فما خانته في المدة إلى أن لحده اللّاحد .

وتوفي رحمه الله تعالى ... وسبعمئة^(٢) .

قال رأيت في النوم مَنْ أنشدني :

لما بدا كقضبِ البانِ مُنعطِفاً وكان يَشْتُمُ ريحَ المسكِ مِنْ فيهِ

* الوافي : ٣٢٥/٩ ، والدرر : ٣٩٩/١ ، والمنهل الصافي : ٢٦/٣ .

(١) (أ) ، (ق) : « أملاك ... ومماليك » .

** الوافي : ٣٣٩/٩ ، والدرر : ٣٩٨/١ ، والمنهل الصافي : ٣١/٣ .

(٢) كذا في النسخ ، وفي للنهل : « توفي رحمه الله في سنة تسع وتسعين وست مئة » .

فقلتُ يالائمتي انظرُنْ واحدةً « فذلكنَّ الذي لُمْتُني فيه »^(١)

قال فحفظتها ، ونظمت :

لامتُ نساءَ زُرودٍ في هوى قَمَرٍ كلُّ الملاحاةِ جزءٌ من معانيه
وقلنَ لَمَّا تَبَدَّى ليسَ ذا بشراً فقلتُ : هذا الذي لُمْتُني فيه^(٢)

وقال ما كتبَ على قبقاب :

كنتُ غُصْناً بينَ الرِّياضِ رَطيبياً مائسَ العطفِ من غناء الحمام^(٣)
صرتُ أحكى رؤوسَ أعداك في السُّدُلِ أيرغمي أداسُ بالاقْدَامِ^(٤)

وقال :

خَوَدٌ من التَّركِ ذاتُ وَجْهِهِ كالْبدرِ في هالةِ الكمالِ
جاءتُ بكيسٍ بغيرِ ياءٍ تَطْلُبُ زُبُوداً بغيرِ دالٍ^(٥)

٣٠٩ - آقوش *

الأمير جمال الدين الرسمني .

كان خبيراً كافياً ، عارفاً بالسياسات وافياً^(٦) ، له بأس ونجدة ، وفي أخلاقه زعارة

(١) في البيت اقتباس من سورة يوسف ، الآية : (٣٢) .

(٢) في الأصل : « بشر » . والآيات في المنهل .

(٣) (أ) ، والدرر : « نضيراً » . وفي المنهل : « بين الأنام » .

(٤) في المنهل : « برغم » .

(٥) جاء بعد هذين البيتين في (أ) مانصه :

وقال :

أفدي صبيّاً غدا في الترب مضجعه وفيه لئذُ لجفني الدمعُ والسهرُ
تحكي نجومُ السما أزهار تربيته لأن طلعته تحت الثرى قر

* الدرر : ٣٧١ .

(٦) في الأصل : « وافياً » ، تصحيف .

وَحِدَّة ، وولي شدِّ الدواوين بدمشق ، فضاقت منه عَطَنُ الكِتَاب ، وبطلَ منهم جماعة ، وانفصل غير واحد منهم وتاب ، وحصلَ أموالاً واستفاد أحوالاً . ثم إنه عَزَلَ وولي والي الولاية بالصفقة القبلية ، فهدَّ البلاد ، وأخذ بشأَر الطارف والتلاد ، وقع أهل العدوان والفساد ، وأصلح الرعايا فساد .

وكانت ولايته بعد الشريفي ، فحمل به ذِكْرُه ، وبطل بذلك حمده وشكره . ولم يزل إلى أن قشَّ الفناء آقوش ، وطفئ نور وجهه بعدما كان كالدينار المنقوش .

ووفاته رحمه الله تعالى في يوم الأحد ثامن عشرين جمادى الأولى سنة تسع وسبع مئة ، ودفن بتربة الشيخ رسلان^(١) .

٣١٠ - آقوش *

الأمير جمال الدين نائب البيرة^(٢) ، نُقل إليها بعد موت الأمير شرف الدين موسى أمير حاجب .

وكان الأمير جمال الدين [أمير]^(٣) حاجب بحلب ، فلما توفي موسى المذكور في نيابة البيرة جُهِزَ الأمير جمال الدين إليها ، وجُعِلَ الأمير ناصر الدين محمد^(٤) بن شهري أمير حاجب مكانه ، أظنه توجه إلى البيرة في جمادى الأولى سنة ست وخمسين وسبع مئة ، فأقام بها قليلاً .

وتوفي رحمه الله تعالى في أواخر سنة ست وخمسين وسبع مئة .

وكان المذكور من ممالك الأمير سيف الدين سُودي نائب حلب .

(١) على مقربة من الباب الشرقي لدمشق .

* الدرر : ٤٠٠/١

(٢) من نواحي حلب . وليست التي في الأندلس .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ق) .

(٤) ليست في (أ) ، (خ) .

٣١١ - آقوش *

الأمير جمال الدين الرّحبي - بالراء والحاء المهملة والباء الموحدة - المنصوري .

تولّى مدينة دمشق أكثر من إحدى عشرة سنة ، كان مشكور السيرة ، خير السيرة ، سهلّ الانتقاد ، لا يزال من الخير في ازدياد ، طالت مدته في ولاية دمشق وكلّ يحبّه ، وإذا رأى عليه سوءاً^(١) يدفعه بجهده ويحبّه ، قلّ أن هتك سترأ ، أو رأى شدة تطول إلّا جعلها بسياسته بترأ^(٢) .

ولم يزل على حاله إلى أن نُقل الرّحبي إلى رجة^(٣) القبور ، ودعا أهله بالويل والثبور .

وتوفي رحمه الله تعالى في حادي عشري جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبع مئة .

وكان قد عزله السلطان الملك الناصر لما توجه من دمشق إلى مصر سنة تسع وسبع مئة ؛ لأنه خرج هو والأمير سيف الدين أقجبا المُشد^(٤) ليودّعا السلطان ، فغابا ليلة ، ولما عاد الرّحبي أدركه شرف الدين قيران بن الرستمي^(٥) متولياً دمشق مكانه فعاد الرّحبي ، ولحق السلطان ، وغاب أياماً ، وعاد إلى مكانه والي المدينة [وذلك]^(٦) دون العشرة أيام ، وفرح به أهل دمشق ، وتلقوه بالشموع .

وأمسكه تنكز في ذي الحجة سنة أربع عشرة وسبع مئة ، وصادره ولم يعزله .^(٧)

* الدرر : ٤٠٠/١ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٨٦

(١) في الأصل : « سواء » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « تبرأ » تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) ليست في (أ) .

(٤) (ت ٧١٠ هـ) ، الدرر : ٣٩٣/١ .

(٥) ستأتي ترجمته .

(٦) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٧) (أ) ، (ق) : « ذي القعدة » .

ثم إنه في صفر سنة تسع عشرة ، عاشر الشهر ، رتبّه تنكز في شد الدواوين عوضاً عن فخر الدين أياس الشمسي^(١) ، فأقام إلى الحادي والعشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة .

وتوفي في التاريخ ، وكان عمره خمساً وخمسين سنة .
وهو من قرية من قرى إربل ، وسبى منها وبيع^(٢) ، فأقام بالرحبة مدة ، وانتقل إلى بيت المنصور .

٣١٢ - آقوش *

الأمير جمال الدين الكنجي ، بالكاف والنون الساكنة وبعدها جيم .
كان من الأمراء أولي الدربة ، والعارفين بما يجلي الكربة ، قد ألف سياسة الباطنية ، ويعلم ما لهم في أمورهم من ظاهر ونيّة ، يعين لكل مهمّ رجلاً يعرفه ، ويُنفذه في ذلك الشغل ويصرفه ، وحصل من الأموال ما يكثر الأمواه ، وأذهل العقول حتى سدّ الأفواه .

ولم يزل على حاله حتى قفز الفداويّ الذي لم يُخطّه ، وخرج إليه كما يقال من تحت إبطه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .
وكان في هذه النياحة بمصيف من الأيام الظاهرية ، وعزل منها مرات ، ويعود إليها ، ولعله بلغ من العمر تسعين سنة .

(١) . ستأتي ترجمته .

(٢) (أ) : « وأبيع » .

* الدرر : ٣٩٩/١ .

٣١٣ - آقوش بن عبد الله*

جمال الدين الشبلي^(١) الشافعي .

سمع من ابن عبد الدايم ، وأجاز لي بخطه في سنة تسع وعشرين وسبع مئة .
وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

٣١٤ - آقوش**

الأمير جمال الدين الأشرفي نائب الكرك .

ولاه الملك الناصر بعد مجيئه من الكرك نيابة دمشق بعد إمساك الأمير سيف الدين كراي المنصوري في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، فأقام قليلاً دون السنة ، وعزله بالأمير سيف الدين تنكرز ، وتوجه إلى مصر ، وأمسكه الملك الناصر ، وبقي في الاعتقال إلى أن أفرج عنه في شهر رجب سنة خمس عشرة وسبع مئة .

كان معظماً إلى الغاية ، يجلس رأس المينة ، ويقوم له السلطان ميزة له عن غيره . وكان لا يلبس مفرّكاً ، ولا مصقولاً ، ويتوجه إلى الحمام بنفسه وهو حامل الطاسة والمئزر ، ويقلب عليه الماء ، ويخرج وحده من غير بابا^(٢) ولا مملوك . فاتفق أن رآه بعض من يعرفه ، فأخذ الحجر ، وحكّ رجليه وغسله بالسدر ، ولم يكلمه كلمة واحدة ، ولما خرج وتوجه إلى داره طلبه وقتله ، وقال : أنا مالي مملوك ، وما عندي غلام ، مالي بايئة ، حتى تتجرأ أنت عليّ .

* الوافي : ٢٤٠/٩ ، والدرر : ٣٩٩/١ ، والمنهل الصافي : ٣٠/٣ .

(١) في الأصل : « الشبلي » ، وفي الدرر : « الشبكي » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، والوافي ، والمنهل .

** الوافي : ٣٣٦/٩ ، والتحفة : ٢٢٦/٢ ، والدرر : ٣٩٥/١ ، والمنهل الصافي : ٢٧/٣ .

(٢) خادم الحمام .

وعمر جامعاً ظاهر الحسينية ، وكان إذا توجه إليه عرف الناس خلقه ، فلا يدخل معه أحد من مماليكه ، ويخرج قومة^(١) الجامع ، ولم يبق معه أحد ، ويدور هو الجامع وحده ، ويتفقده ، ويبصر إن كان تحت الحضر تراب ، أو في القناديل تراب ، فأني خلل رآه أحضر القيم وضربه . فلما كان في بعض الأيام وهو بمفرده في الجامع المذكور ، لم يشعر إلا وجندي من أكراد الحسينية قد بسط سفرة وقصعة لبن ورقاق في وسطها ، وقال : بسم الله . فالتفت إليه وقال : من أعلمك بمكاني أو ذلك علي ؟ فقال : والله لأحد . فطلب مماليكه ، وأكل ذلك وأمر له بمبلغ ست مئة درهم .

فاتفق أن [أتاه]^(٢) كردي آخر في الجامع بعد ذلك الوقت بمثل ذلك ، فرماه ، وضربه ست مئة عصاً ، وكان قد اتخذ له صورة معبد في الجبل الأحمر يتوجه إليه وينفرد فيه وحده يومين وأكثر ، وأقل ، ورؤيا واعده الغلام أن يأتي إليه بالركوب في وقت ، ثم إنه يبدوله فيأخذ ذيله على كتفه ، ويدخل القاهرة إلى بيته ماشياً .

ولاه السلطان الملك الناصر نظر البيارستان المنصوري ، فكان يدخل بعض الأوقات إلى المجانين ، ويدخلهم الحمام ، ويكسوهم قاشاً جديداً ، وأحضر لهم يوماً جماعة من الجوالقية ، فغنوا لهم بالكف ، ورقص المجانين .

وكان يبرّ المباشرين الذين به بالذهب من عنده ، ويطلع في الليل قبل التسبيح المأذنة ، ويتفقده المؤذنين ، وكان للبيارستان به صورة عظيمة ، وأملاكه محترمة لا يرمى على سكانها شيء من جهة الدولة ولا يتعرض لهم أحد بأذية .

أخرجه السلطان في أول سنة أربع وثلاثين وسبع مئة في شهر ربيع الآخر وصل إلى دمشق متوجّهاً^(٣) إلى نياية طرابلس ، فحضر إليها ، وأقام بها مدة ، وبالف في طلب

(١) في الوافي : « قوام » .

(٢) زيادة من المنهل .

(٣) قوله : « وصل ... متوجّهاً » ليس في (أ) .

الإقالة ، وأن يكون مقيماً بالقدس ، فرَّس له بالحضور إلى دمشق ، وخرج الأمير سيف الدين تنكز ، وتلقاه ، وعمل له سباطاً في دار السعادة ، ودخل ليأكل ، وحضر الأمراء فأمسكه على السباط ، وأودع في قلعة دمشق معتقلاً ، فأقام بها يسيراً . ثم إنه جهز إلى صفد ، وحبس بها في برج ، فدخل إليه بعض أهلها ، وقال : يا خوند ! ما تلبث^(١) إلا يسيراً ، وتخرُج منه ، لأنك دخلت في برج منقلب ، فلما كان بعد أيام أخرجوه منه إلى غزة ، فقال : لأي شيء ؟ فقالوا : يا خوند ! البرج قد انشق ، ونخاف أن يقع عليك ، فقال : صدق^(٢) القائل ، كان البرج ينقلب عليّ .

وكانت له أشياء غريبة ، فيما يوقع على القصص بقلبه ؛ كتب إليه إنسان وهو بدمشق : المملوك يسأل الحضور بين يدي مولانا ملك الأمراء لينهي ضرورته ، فوقع على جانبها^(٣) : الاجتماع مقدر .

وكتب إليه بعض من كان بها مليحاً يطلب إقطاعاً ، فكتب له عليها : مَنْ كان يومه بخمسين وليلته بمئة ماله حاجة^(٤) بالجنديّة .

وكتب إليه إنسان وهو بالكرك : إن هؤلاء الصبيان قد كثرت أذيتهم للمملوك . فوقع له : إن لم تصبر على أذى أولادهم ، وإلا فأخرج من بلادهم .

ووقع لآخر ، وكان قد جرت له كائنة في الليل : قد أحصيناك ، وإن عدت إلى مثلها أحصيناك .

وقال للأمير سيف الدين تنكز لما أمسكه : أمّا أنا فقد أمسكت ، ولكن خذ أنت حذرَكَ منه .

(١) (أ) ، (ق) : « تلبث هنا » .

(٢) (أ) ، (ق) : « صدق ذلك » .

(٣) (أ) : « فوقع عليها » . والخبر في النهل .

(٤) (أ) : « أيش يعمل » . والخبر في النهل .

وأقام في قلعة صفد يسيراً ، ثم إنه رُسمَ بتجهيزه إلى الإسكندرية ، فأقام بها قليلاً .
وكان في رأسه سِلعة^(١) ، فطلب قطعها ، وشاوروا السلطان على قطعها ، فرسم له
بذلك ، فقطعوها ، فمات رحمه الله تعالى في الاعتقال بالإسكندرية سنة ست وثلاثين
وسبع مئة فيما أظن .

وكان يضرب الألفَ عصاً وأكثر ، مات ، تحت ضربه جماعة منهم باردار من
باردارية السلطان^(٢) رآه وهو يسير براً باب اللوق ، وقد شتم سقاء كان عنده وشم
أستاذَه ، فأمسكه وأحضره إلى البيت وضربه أكثر من ألف عصاً ، وقال : واليك أنت
والسقاء تخاصمتما ، أنا أيش كنت في الوسط ؟! وكانت هذه الواقعة إحدى الذنوب التي
عدّها السلطان عليه .

ومنها أنه قتل جارية السلطان امرأة بكثر الحجاب بسبب الميراث ، لأن ابنته
كانت زوجة بكثر أيضاً ، فضربها ست مئة عصاً . وأشياء غير ذلك .

إلا أنه كان زائد الكرم والسماح ، تُقصر عن مباراته في ذلك هُوج الرياح .

كان السماط الذي يمه في بيته في العيد نظير سماط السلطان ، وربما يكون أصلف
والذ وأطيب^(٣) وأظرف . وإذا جُرد في مهمّ من الريدانية لا يعرف جنديَه يشترى
طعاماً ولا عليقاً ، ولا يدري كل يوم إلا وقد صُرف له ما يكفيه من ذلك إلى أن يعود
إلى الريدانية تعليقاً ، وإذا مات لجنديَه فرس [حمل]^(٤) كفله إلى مطبخه ، فيصرف له
من ديوانه ست مئة درهم ، وقد صار ذلك عادة لا يشاور عليها ، ولا يشار إليها ،

(١) أي غتّة .

(٢) البردار : من يكون في خدمة مباشري الديوان .

وفي المنهل : « بازدار » وهو الذي يحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد على يده .

(٣) (أ) ، (ق) : « أطعم » .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) ، والوافي .

حتى إن بعضهم تكون فرسه بمئتي درهم ، فيذبحه ، ويأخذ ذلك المبلغ ، وكان في نيابة الكرك من سنة تسعين وست مئة إلى سنة تسع وسبع مئة وله بها آثار حسنة .

٣١٥ - أكرم*

القاضي كريم الدين الصغير ناظر الدولة بالديار المصرية .

كان في الجيش أولاً ، ولما بقي خاله القاضي كريم الدين الكبير ناظر الخاص تولّى هو نظر الدولة . وكان يحبُّ الكاتب الأمين ، ويزيد معلومه وينقله إلى وظيفة أكبر من التي يباشرها ، وكان يحضر مجلس خاله كريم الدين الكبير فيكون واقفاً يرفع رجلاً ويضع أخرى ، وقد يكون في ذلك المجلس جالساً من لا يمكنه الجلوس في دسّته ، وإذا كان في مجلسه هابه الناس وعظّموه .

وحكى لي غير واحد أن أمراء العشرات وغيرهم من الأمراء يزدهمون في المشي قدّامه ، ويقعون زحاماً ، ويقال : إن للملك الناصر كما كان في الكرك قال : أنا أعود إلى مكان يكون فيه أكرم الصغير يضرب الجند بالعصي^(١) وأشفع فيهم ما يقبل شفاعتي ؟!

وكان يضرب الناس ضرباً ستموه المقترح ، وهو أن^(٢) تؤخذ يد الإنسان ويضرب من ورائه على أكتافه^(٣) ، فإذا قصص^(٤) ضربه آخر من قدّامه على صدره .

ولكن عِفّته عن مال السلطان مفرطة إلى الغاية ، وتشدّده على من يخون عن^(٥) خارج الحد .

* الوافي : ٣٤٥/٩ ، والدرر : ٤٠٠/٨ ، والمنهل الصافي : ٣٣/٣ ، وفي الأصل : « إكرم » ، سهو .

(١) (أ) ، (ق) ، والوافي : « بالدبابيس » . وكذا في المنهل .

(٢) في الأصل و (ق) : « وأن » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٣) (أ) ، (ق) ، والوافي : « على ألواح أكتافه » .

(٤) (أ) : « قصص »

(٥) في المنهل : « وتشدّده على من يكون خارجاً عن الحد » .

حكى لي أنه جاء إليه الأمير سيف الدين بكثر الحاجب ، وهو في الوجاهة والعظمة عند السلطان ماهو ، فقام لتلقيه ، وجلس بين يديه ، وقال : ارم ياخوند ! قال : هذا الكاتب صاحبي ، فشغني فيه ، واستخدمته في الوظيفة الفلانية ، فقال : السبع والطاعة ، كم في هذه الوظيفة في كل شهر ؟ قال ذلك الكاتب : مئة وخمسون درهماً ، وثلاثة أراذب قحاً ، فقال لصيرفي عنده : اصرف لهذا في كل شهر مئة وخمسين درهماً ، ويحيى إلى الشونة^(١) في كل شهر ، ويأخذ هذه الأراذب . فقال الكاتب : ما أريد إلا هذه الوظيفة ، فقال كريم الدين : حتى تعلم ياخوند أنه لص ، وما يريد المعلوم ما يريد^(٢) إلا السرقة ، فاستحيا الأمير ومضى .

ولما أمسك كريم الدين أمسك كريم الدين الصغير ، وكاد العوام والناس يقتلونهم ، وأثبت القضاة فيه محاضر ، منها ماهو بالكفر ، ومنها ماهو بقتل النفوس ، فرأى السلطان أنه ذاهب لانهالة ، فقال : إذا قتل هذا من أخذ أنا مالي ؟ اصبروا إلى أن نأخذ مالنا منه ، وتسلموه أنتم . ثم إن السلطان سلمه إلى الأمير ركن الدين بيبرس الأحدي^(٣) ، وبقي عنده مديدة ، ثم إنه أخرجه إلى صفد ناظراً ، فجاء إليها في جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وضبطها ، وحصل أموالها ، ثم إنه ورد المرسوم بإمساكه فأمسك ، وضربت الحوطة على موجوده ، ثم طلب إلى مصر وذلك في سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ثم إنه جهز إلى دمشق ناظراً عوضاً عن صاحب شمس الدين ، فوصل إليها في ثالث عشري شوال من السنة ، فكرهه الأمير سيف الدين تنكز أول حضوره لما كان يبلغه عنه ، ولما باشر عنده ، ورأى عفته وتنفيذه وحسن مباشرته أحبه ومال إليه ميلاً كلياً . ثم إنه طلب إلى مصر فخافه أعداؤه وعملوا عليه ، وبطلوا ما كان تقرّر في أمره ، ورموه بكل داهية ، فأقام في بيته بطالاً .

(١) هي مستودع القلال .

(٢) قوله : « المعلوم ما يريد » ، ليس في (أ) .

(٣) ستأتي ترجمته .

وخرج عليه ليلة وهو خارج من الحمام جماعةً بسيوف ليقتلوه ، فداسهم بفرسه ، وضرب بدبوسه إلى أن خلس منهم بكتفه وهو بمفرده ، ثم عملوا عليه ، فرسم له بالتوجه إلى أسوان ، وجُهِز في البحر ، فأغرق فرعونُه في اليم ، وخُسِفَ عَمُرُ بدره في التم ، وكان ذلك في أواخر سنة ست وعشرين وسبع مئة .

وكان مدبراً مصرّفاً مجملاً للمناصب مشرفاً ، كاتباً ضابطاً ، مقسطاً لا قاسطاً ، ذا مهابة وسطوة ، ورفعة عند الملوك وحظوة ، شديد الانتقام ، تصحُّ بباشرته الأسقام ، وتتوفر السهام والأقسام ، ويريح قلب السلطان بمرض الأقلام والأجسام ، لا يحابي أحداً ولا يحاشيه ، ولا يراعي مَنْ هو من أَلزامه أو حواشيه ، يود الكاتب الخائن أن يرى ملك الموت ولا يراه ، ويود أن يموت جوعاً ولا يعمل إليه سيرة ولا سراه ، إذا هزّ عاملاً قلت : هذا كيّ هزّ عاملاً ، وإذا طلب ناظراً^(١) أنكرته علائمه ، أو مستوفياً لم تحمله من الحساب قوائمه .

وفيه قلت من قصيدة :

فأكرم بديوان به قد تَثَرْتُ بأوراقه غَلَاتِه ودراهمه
وأكرم به يوماً إذا هزّ عاملاً تخوّر له عند الحساب قوائمه^(٢)

وكان طعامه نظيفاً فاخراً شهياً ، ومرأى أوانيه في كل أوان بهياً ، إلا أنه لم يكن في بذخ خاله ، ولا تمييز حاله ، فإن ذاك في عداد الملوك ، وليس كل ما يلبس من الوشي المحوك .

وكنت قد كتبت إليه وهو بصفد :

عساكَ ترقُّ يا ظبي الصَّريم على صبٍّ من البلوى سقيم
وجدتُ هدى على نارٍ تبدَّتْ بطورٍ حشائي من قلبي الكليم

(١) في الأصل : « عاملاً ناظراً » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) ، (ق) : « وأعظم به » .

فكيف تملّ مع مرّ النسيم
 بكهف الخدّ يبدو كالرقيم
 فأبصرنا نعيماً في جحيم
 ثنياه من الدرّ اليتيم^(١)
 فهل للغصن مثلك جيد ريم
 كريم الدّين في الفضل العميم
 وأين اللّيث من ظبي الصّريم
 وأسفرها عن الوجه الوسيم
 فكان على صراطٍ مستقيم
 بأمر الخالق الرّبّ الرّحيم
 تحارّ لذلك الدرّ النّظيم
 يخطّ بنانه وابن العديم
 إذا ما قام في الأمر العظيم
 ولطف ليس يُعْهَد من حلیم
 وأحيا ميّت الجود الرّميم
 فلما تفرّ عن ثغر بسيم
 فتلفيها على العهد القديم
 فتجلو ظلمة اللّيل البهيم
 فلم أر غير ذي نظير سقيم
 لأنّ الدهر قد أضحى غريمي
 إذا كان القُدوم على كريم
 وفخراً بين غادٍ أو مقيم
 ونحن ببرد ظلّك في نعيم

فإنّ أشكّ الغرام نفرت عجباً
 وخطّ عذارك المسكيّ لاماً
 فذاك اخضرّ لما احمرّ هذا
 وأعجب كيف يبسم فيك ثغر
 وهب أنّ القضيبة حكاك قدّاً
 ولكن مثل ما حكت الغوادي
 فتى فاق الورى قدراً وفضلاً
 ودبرّ مُلك مضرٍ فازدهاها
 وحاطَ يراعُه شاماً ومِصرأ
 تُصرفُ كُفّه رزق البرايا
 إذا رَسَمَتْ أنامله سطوراً
 فأين ابن العميد إذا رآه
 وأين كفاءة الوزراء منه
 له بأس تخاف الأسد منه
 أيا من ساد أهل الأرض طراً
 لقدّ وحشت مصر وساكنيها
 ستدخلها وأنت قرير عين
 وتطلع في دجاها بدر تمّ
 أتيتك إذ سبّرت الناس طراً
 وليس لما أروم سواك كفو
 وقلت لمقصدي أبشّر بنجح
 وحسبي المَدح فيك علوّ شان
 فلا برحت بك الأيام تزهى

(١) (أ)، (ق): «منك».

☆ ابن الأكفاني : شمس الدين الطيب ، محمد بن إبراهيم .

٣١٦ - الأكرز *

بضم الكاف وإشباعها لتُنشئ واواً ، ثم زاي ، الأمير سيف الدين الناصري .

كان أولاً جَمُداراً^(١) ، وأمره أستاذة ، وكان يتحقق أمانته ، فجعله مُشدَّ الدواوين ، فعمل الشدَّ أعظم من الوزارة ، وتنوع في عذاب المصادرين وغيرهم ، وضربهم بالمقارع ، وأحمى لهم الطاسات وألبسهم إياها ، وأحمى الدسوت ، وأجلسهم عليها ، وضرب الأوتاد في آذانهم ، ودقَّ القصب تحت أظافرهم^(٢) ، وبالع وشدد .

وجاء لولو غلام فَنَدَش الآتي ذكره - إن شاء الله تعالى - في حرف اللام ، وأقامه السلطان معه مُشدَّ الجهات ، واتفقا على عقاب الناس ، وجمع الله منهما^(٣) بين الحجاج والطاعون ، واستخرجا الأموال ، وأزهقا النفوس ، وتضاعف البلاء ، وعمَّ الأذى ، وزاد الشقاء في أيامهما ، وسكنت روعة^(٤) الأكرز في القلوب ، وكان الكاتب يدخل إليه ميتاً ، ويخرج ميتاً .

ولم يزل كذلك إلى أن لطف الله بالناس ، وقدَّر أنه غضب على لولو المذكور ، فأخذ العصا بيده ، وضربه إلى أن هرب قدامه ، وهو خلفه إلى أن وصل إلى باب القلعة ، ونزل شاشه في رقبته ، فراح لولو إلى القاضي شرف الدين النشوناظر الخاص ، ودخل عليه وعلى قوصون ، وبذل المال ، واتفق أن كان الغلاء في سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، فقال السلطان : يا الأكرز لاتدع أحداً يبيع الأردب بأكثر من ثلاثين درهماً ، وانزل إلى شَوْن الأمراء وألزمهم بذلك .

* الوافي : ٣٤٨/٩ ، والدرر : ٤٠٤/١ ، والمنهل الصافي : ٣٥/٣ .

(١) الجمدار : هو الذي يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير . (صبح الأعشى) .

(٢) الصحيح في جمع الظفر : أظفار .

(٣) في الأصل : « بينها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) في المنهل : « رعية » .

فأول ما نزل إلى شونة الأمير سيف الدين قوصون ، وأمسك السمسار الذي له ، وضربه بالمقارع ، وأخرق بالأستادار ، فطلع إلى قوصون ، وشكا حاله إليه ، فطلبه ، وأنكر عليه ذلك ، فأساء عليه الرد ، فدخل إلى السلطان ، فأخرق السلطان بقوصون ، فأمكنها قوصون^(١) للأكثر ، وعمل عليه باتفاق النشو ، ولم يَزَلا عليه إلى أن غضب عليه السلطان ورماه قدّامه ، وضربه بالعِصي^(٢) ، ورسم عليه أياماً ، ثم إنّه أخرجّه إلى دمشق في شوال سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

حكى لي القاضي ضياء الدين يوسف بن الخطيب^(٣) محتسب القاهرة قبل إمساك الأكثر بأربعة أشهر أو ما يقاربها أنّ بعض المشايخ حدّثه أنّه رأى النّبي ﷺ في النوم وهو جالس في صدر الإيوان والسلطان واقفاً^(٤) أمامه على رأس الدرج وهو ينكر عليه ، ويقول له : ماهؤلاء الظّلّمة الذين أقتهم ، فقال : يا رسول الله من هم ؟ ثمّ توجّه وغاب قليلاً ، وأتى بالأكثر ، فقال : اذبحه ، فاتكاه وذبحه ، فقال له : خلّه الآن . فما كان بعد أربعة أشهر حتى جرى له ما جرى .

وكانت أيامه أيام سَخَطٍ ومحنة ما أسعد من أبعد منزله عن مصر وشحط ، قد تنوع في الظلم والجور ، وتطوّر في القساوة والجبروت طوراً بعد طور ، وبسط العذاب على الكتاب ، وأخذ الصالح بالطالح والبريء بالمرتاب .

وقطع جماعة أشجار غيطانهم ، وخرّبوا ما عمّر^(٥) من حيطانهم هرباً من الخراج الذي قرّر في تلك الأيام على الثّار ، وجباه الظّلّمة من باعة الأزهار ، ولكن الله لطيف ، وما جرى الظلم شوطاً حتى قُطِفَ ، ولا لوى العدل جيده ، وأعرض حتى عطف .

(١) في الأصل : « بقوصون » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « بالعصا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٣) يعني ابن خطيب بيت الآبار ، وستأتي ترجمته .

(٤) (أ) : « واقف » ، ولها وجه .

(٥) (أ) : « عمّروا » .

ولما وصل الأكرز إلى دمشق أقام بها دون السنة ، وكَزَ الموت الأكرز ولكز ، ونكره العيش لَمَّا ساوره أفعوان الحَيْن ونكز^(١) ، وكان ذلك في سنة ثمان وثلاثين^(٢) وسبع مئة فيما أظن .

وكانت مدة مباشرته في القاهرة أكثر من سنتين .

٣١٧ - ألبكي *

الأمير فارس ، أحد مقدّمي الألوَف بالديار المصرية ، أظنه ابن أخي الأمير الكبير سيف الدين المَلِك الآتي ذكره في مكانه إن شاء الله تعالى .

أظنه ورد إلى غزة نائباً بعد الأمير سيف الدين دِلْجِي^(٣) في سنة إحدى وخمسين وسبع مئة . وتوجّه بعسكر غَزّة إلى صفد لما كانت العساكر الشامية بصفد في^(٤) حصار نائبها أحمد الساقى .

ولما أمسك المذكور عاد هو إلى غزة ، وأقام بها إلى أن عُزل بالأمير سيف الدين أرغون الإسماعيلي^(٥) في العشر الأوسط سنة^(٦) اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وتوجّه إلى مصر ، وأقام بها أمير مئة مقدم ألف ، وحضر صحبة الأمير سيف الدين طاز إلى حلب في واقعة ببيغاروس ، وهو الذي حضر معه^(٧) الطنبغا برناق نائب صفد ، والأمير علاء الدين الطنبغا مشدّ الشرايجاناه ، والأمير سيف الدين شادي أخو أحمد الساقى

(١) أي لسعه .

(٢) في الأصل : « وأربعين » ، سهو .

* الوافي : ٣٥٢/٩ ، والدرر : ٤٠٥/١ ، وقد خَلَّت من ترجمته (ق) .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) (خ) ، (ق) « على » .

(٥) (أ) : « أرغون شاه الإسماعيلي » .

(٦) (أ) ، (خ) : « من سنة » .

(٧) (أ) ، (خ) : « ومعه » .

والأمير سيف الدين أسنبغا الرسولي ، وسيف الدين أسن بك بن خليل الطريقي ومهدي مشد حلب ؛ لأنهم جُهِزوا معه من حلب إلى دمشق ، واعتقلوا في القلعة إلى أن وُسِّطوا بسوق الخيل في دمشق .

وعاد الأمير سيف الدين ألبكي صحبة السلطان الملك الصالح إلى الديار المصرية ، وأقام بها على الإمرة والتقدمة إلى أن وصل الخبر بوفاته في مصر إلى دمشق في أواخر شوال سنة ست وخمسين وسبع مئة .

٣١٨ - أَلْبَكِي *

بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الباء الموحدة وبعدها كاف وياء آخر الحروف .

الأمير فارس الدين الظاهري ، من كبار الأمراء وشجعانهم .

كان في السجن ، ويطلبه الملك المنصور ، ويتحدث معه ، ويعيده إلى السجن ، ثم أخرجه وولاه نيابة صفد ، فأقام نحواً من عشرة أعوام .

وكان كلما ركب ونزل حلَّ الجمدار شاشه ، وفتحته وتركه ، فإذا أراد الركوب لفَّ هو شاشه بيده مرة واحدة .

وكان مليح الشكل ، ليس في وجهه شعر . وكان الأمير سيف الدين بلبان الساقى من أمراء صفد يهيم فيه عشقاً ، ويموت صباية ووجداً ، وكان كثير الآداب .

حكى لي عنه شيخنا الإمام الخطيب نجم الدين حسن بن الكمال الصفدي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف الحاء رئاسة كثيرة وحشمة زائدة . وكان يحادثه ويسامرهم إلى نصف الليل . قال : ولم أره بلا خفٍّ قطّ ، ولم يُبَدِّ رجله ولا مدّها ولا كشفها .

* الوافي : ٢٥١/٩ ، والدرر : ٤٠٤/١ ، والمنهل الصافي : ٢٧/٣ ، وعقد الجمان : ٢٩١/٤ .

ولَمَّا غضب الأشرف بن قلاوون على حسام الدين لاجين وهو على عكا جهزه إلى صفد لِيُعْتَقَلَ بالقلعة ، فأخذ المقرعة الأمير فارس الدين وضربه على كتفه وقال له : ماتمشي إلّا خواتيني ، وأخذ خوجة كانت معه وطرطوراً ضمن بقجة ، وضرب الدهر ضرباته ، وجلس حسام الدين لاجين على كرسي المُلْك ، ولَمَّا تَمَّ له الأمر سِيرَ إلى الأمير فارس الدين يقول له : احتفظ بالبقجة والجوخة والطرطور^(١) ، ففرّ من حص وهرب مع الأمير سيف الدين قُبُجَق - على ما يأتي في ترجمته هناك - ومعها بَكْتَمَر السلاح دار ، وتوجهوا إلى قازان لما بلغهم إسلامه فتلقاهم بالإكرام ، وبالع في الإحسان إليهم وزوج الأمير فارس بأخته ، وكان يحكي عنهما لما حضر إلى الشام : هي مثل هذه الشمس ، ولما عاد قازان تأخروا عنه ، وأعطى الأمير فارس الدين نيابة حص .

وكان وَجْهه من الشَّعر خالياً ، وبالحاسن حاليا ، كَأَنَّهُ طلعة القمر إذا سفر الظلام ، وليس حلة الكمال والتمام ، خيراً وإدعاً ، ساكناً بالحق رادعاً ، لطيف الحركات يتجنب مواقع الهلكات ، قريباً من الناس [للخير]^(٢) رقيباً نجيباً في أفعاله الغريبة ، ينقاد إليها مع الإخلاص جنيباً ، معروفاً بالشجاعة والثبات ، موصوفاً بالفروسية في الكرّ والفرّ والالتفات ، أعظمه القان قازان ، وبهره عقله الذي زان ، وقيامه بآداب المغول ، وسياستهم التي يغتال العقول منها غول ، فقرّبه لَمَّا جرّبه ، وردّ به الخطب حين دَرَّبه ، وزوّجه بالخاتون أخته ، وزاد فيما خصّه به من محاسن رخته ، وأفرط في دنوّه حتى كاد يجلسه على تحته .

ولم يزل بمحص على نيابته حتى نزل به ما لا يُسمع معه مُشْتَكى ، وقَرَّح الجفون على ألبكي بالبكا .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة اثنتين وسبع مئة .

(١) الخبر مختصراً في المنهل .

(٢) زيادة من : (أ) ، (ق) .

٣١٩ - ألجاي *

الأمير سيف الدين الأبوبكري .

كان أحد الأمراء بدمشق ، يسكن بدار الأعسر .

فيه خير وصلاح ، وجهاد في رضى الله تعالى ؛ إلا أنه لا يحتاج فيه إلى سلاح .
يتردد إلى الجامع ماشياً بفردٍ مملوك ، ويلزم الصلاة فيه بكرة وعشياً ووقت الدلوك ،
هذا مع تواضع يزينه ، ويحسنه ولا يشينه .

ولم يزل على هذه الطريقة ، والسبيل التي هي مجاز^(١) إلى الحقيقة إلى أن ألجى
ألجاي إلى الدخول في مَنْ غبر ، فأصبح وقد طاب [مبتدا]^(٢) ذكره والخبر .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وتوفي قبله ولده بقليل .

وكان شاباً حسناً ، فذاق فقده ، ورأى الموت بعينه بعده .

٣٢٠ - ألجاي **

الأمير سيف الدين الدوادار الناصري .

كان دواداراً صغيراً مع أرسلان المقدم ذكره . ولما توفي استقل ألجاي بالدوادارية .

وكان شاباً طويلاً ، ظريف الحركة هزلياً تعلوه شقرة ، ولونه يضرب إلى
حُمْرة ، وكان طويل الروح لا يغضب ، وإن غضب فعلى نفسه ، ولا يواجه إلا بما

* الدرر : ٤٠٥/١ .

(١) : « مجازه » .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

** الوافي : ٣٥٣/٩ ، والدرر : ٤٠٥/١ ، والمنهل الصافي : ٣٩/٣ .

أَحَبُّ ، مع عَقَّةٍ وديانة ، وخبرة تامة وصيانة ، وكان عارفاً بأخلاق أستاذه الناصر ،
تُعَقَّد على دُرْبَتِهِ وآدابه الخناصر .

وثق إليه السلطان كثيراً ، وأحلَّه من قلبه مكاناً أثيراً ، ويكتب خطاً من أين
للروض طلاوته ، أو للوشي رقه وإجادته ، وله فضائل ، وعنده من العلم مسائل .
لازمه العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي كثيراً ، وكان يلزمه بالمبيت عنده في
القلعة ؛ ليكون له سميراً^(١) .

وبقي زماناً لا يؤثر الطبلخاناه مدة تزيد على العشرة أعوام^(٢) خوفاً من إخراجهِ
من بيت السلطان . ولما كان قبل موته بسنتين أو ثلاث أعطي طبلخاناه ، واقتنى كتباً
نفيسة إلى الغاية ، وعَمَّرَ له داراً في الشارع ، تأنق في بَوَابَتِها ولم يكمل عمارة^(٣) الدار .
ولما مرض بالقلعة طلب النزول إلى داره لِيَمْرُضَ^(٤) فيها ، فلامه أصحابه وأخصاؤه ،
فقال : أنا أعْرِفُ بِخُلُقِ أستاذي قد يريد^(٥) أن يولي الدوادارية غيري ، فنزل إليها ،
وأقام بها مدة يسيرة ، وفرغ عمره ، وتمَّ نِهيه في الدولة وأمره .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل شهر رجب الفرد سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ،
وكانت جنازته حافلة . ووقع خلاف في وفاته بين الأمير صلاح الدين الدوادار^(٦)
والقاضي شرف الدين بن الشهاب محمود كاتب السر ، فقلت أنا : تُقْرَأُ نصيبة قَبْرِه ،
فقال القاضي شرف الدين : هذا نقش في حجر ، فنظمت أنا ذلك وقلت :

أَخَالَفُ قَوْمًا جَادَلُونِي بِبَاطِلٍ مَتَى مَاتَ أَلْجَاي الدَّوَادَارُ أَوْ غَبَرُ
وَصَدَّقَنِي فِيهِ نَصِيْبَةُ قَبْرِه وَكَانَ الَّذِي قَدَّ قُلَّتُهُ النَّقْشُ فِي الْحَجَرِ

(١) طمست في الأصل .

(٢) (أ) : « أيام » سهو .

(٣) ليست في (أ) .

(٤) في الوافي : « لِيَمْرُضَ » .

(٥) في الوافي : « قد يكون في خاطره » .

(٦) يوسف بن أسعد ، وستأني ترجمته .

٣٢١ - التمر *

الأمير سيف الدين الأبوبكري . أحد أمراء الطبلخانات بدمشق .
 كان شكله تاماً وخيرَه عامّاً ، فيه سكون كثير ، وركون إلى الدعة مثير .
 وكان له ولدان ، كأنها فرقدان ، ففرّق الموت منهم الشمل ، وفاضت الجفون
 عليهم ^(١) بالهمل .
 وتوفي رحمه الله تعالى في أربع ^(٢) وأربعين وسبع مئة . ومات هو وولده الأكبر في
 دون الشهر .

٣٢٢ - الدمر **

بالمهزة واللام الساكنة والبدال المهملة المفتوحة والميم المكسورة وبعدها راء .
 الأمير سيف الدين أحد أمراء القاهرة . أظنه كان مقدّماً .
 توجه إلى الحجاز ، فجرت تلك الفتنة في مكة ، وقتل هو وولده وغيره . وحصل
 للسلطان لما بلغه [الخبر] أذى عظيم ^(٤) ، قام له وقعد ، وبطل السباط ، وجرد من
 مصر ألفي فارس كل واحد بخوذة وجوشن ومئة فردة نشاب وفأس برأسين ^(٥) أحدهما
 للقطع ، والآخر للهدّ ، ومع كل فارس جملان وفرسان وهجين ، ورسم ^(٦) لمقدم الجيش

* الوافي : ٣٥٣/٩ ، والدرر : ٤٠٧/١ ، والمنهل الصافي : ٣٨/٣ .

(١) في الأصل : « عليه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (خ) .

(٢) (أ) ، (خ) : « تعالى سنة » ، وفي (ق) : « في سنة » .

** الدرر : ٤٠٧/١ .

(٣) زيادة من : (أ) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « عظيماً » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « ورأس بفأسين » سهو ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

(٦) (أ) : « ونصب » .

مَتَى وَصَلَ إِلَى الْيَنْبَعِ ^(١) وَعَدَّاهُ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ بَلْ إِلَى الْأَرْضِ ، وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ مِنْ كُلِّ مَنْ يَلْقَاهُ مِنَ الْعَرَبَانِ ، إِلَّا مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ أَمِيرُ عَرَبٍ ، يَقِيدُهُ وَيَسْجُنُهُ ^(٢) مَعَهُ .

وَجَرَّدَ مِنْ دِمَشْقَ سِتْ مِئَةِ فَارَسٍ عَلَى هَذَا الْحُكْمِ . وَمَنْ أَعْجَبَ مَا مَرَّ بِي أَنَّ النَّاسَ تَحَدَّثُوا وَهُمْ فِي صَلَاةِ الْعِيدِ بِالْقَاهِرَةِ بِقَتْلِهِ هَذَا الدَّمْرِ ، وَلَمْ يَقْتُلْهُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ يَوْمَ الْعِيدِ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَسَبْعَ مِئَةٍ .

وَكَانَ أَمِيرُ جَانْدَارٍ ، وَأَظْنَهُ زَوْجُ ابْنَةٍ بَابَنَةِ قَاضِي الْقَضَاةِ جَلَالِ الدِّينِ الْقَزْوِينِيِّ ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُ وَلَدِهِ أَمِيرِ عَلِيٍّ فِي مَكَانِهِ مِنْ حَرْفِ الْعَيْنِ .

٣٢٣ - الدَّمَرُ *

الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ الْمَعْرُوفُ بِالْأَمْرِ عَبْدِ اللَّهِ أَحَدُ أَمْرَاءِ الطَّبِلْخَانَاتِ بِدِمَشْقَ . وَكَانَ قَدْ تَوَجَّهَ أَمِيرُ الرُّكْبِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعَ مِئَةٍ ، وَتَسَخَّطَ بِذَلِكَ كَثِيرًا . وَلَمَّا عَادَ أَقَامَ بِدِمَشْقَ .

وَتَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ رَابِعِ عَشْرِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعَ مِئَةٍ ، وَأَعْطِيَ خَبْزَهُ لِلْأَمِيرِ نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ الْخَطِيرِ ^(٣) .

٣٢٤ - الْجِيْبُفَا **

الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ الْمُظْفَرِيُّ الْخَاصِكِيُّ . تَقَدَّمَ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ حَاجِي بْنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ . لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ أَحَدٌ فِي

(١) (أ) : « الْبَقِيع » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَيَسْجُبُهُ » ، تَصْحِيفٌ .

* الدَّرَرُ : ٤٠٧/١ .

(٣) مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ أَوْحَدٍ ، وَسَيَأْتِي تَرْجُمَتُهُ .

** الْوَاقِي : ٣٥٥/٩ ، وَالْأَمِيرُ : ٤٠٦/١ ، وَبِدَائِعُ الزُّهُورِ : ٥٣٤/١/١ ، وَالْمَنْهَلُ الصَّافِي : ٤٤/٣ .

رتبته ، ولم يزل أثيلاً عنده أثيراً ، إلى أن جرى للمظفر ماجرى ، على ماسيأتي في ترجمته . وتولى السلطان الملك الناصر حسن ، فاستمر معظماً .

وكان أحد أمراء المشور^(١) الذين تصدر عنهم الأوامر والنواهي إلى [أن]^(٢) وقع الاختلاف بين^(٣) هؤلاء الأمراء ، فأخرج إلى دمشق على إقطاع الأمير حسام الدين لاجين أمير آخور ، وطلب^(٤) أمير آخور إلى مصر ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

يقال : إنهم اختلفوا بعد إخراج أحمد الساقى إلى صفد ، فقال لهم : ماتريدون ؟ قالوا : تخرج نائباً إلى^(٥) طرابلس . فقال : إذا كان لابد من خروجي فأكون في حماة . فقالوا له : نعم . وألبسوه تشريقاً ، وخرج . ولما كان في أثناء الطريق ألحقوه بمن قال له : تروح إلى دمشق أميراً . فجاء إليها . ولم يزل بها على إمرته إلى أن حضر الأمير سيف الدين قبا السلاح دار^(٦) في أثناء شعبان سنة تسع وأربعين فأخذه وتوجه به إلى طرابلس نائباً عوضاً عن الأمير بدر الدين أمير^(٧) مسعود بن الخطير ، فأقام بها نائباً إلى أوائل شهر ربيع الأول سنة خمسين وسبع مئة ، وورد كتابه على أرغون شاه نائب الشام ، ويقول فيه : أشتهي أن أتوجه إلى الناعم أتصيد به ، وما يمكنني ذلك إلا بمرسومك . فقال له : بسم الله . المكان مكانك .

فحضر إلى الناعم ، وأقام على بحرة حمص أياماً يتظاهر بالصيد ، ثم إنه ركب ذات ليلة^(٨) بمن معه من العساكر ، وساق إلى خان لاجين ، ونزل به ، وأقام من الثانية في

(١) هو مجلس السلطنة يحضره أمراء اللثين ، ويسمّون أرباب المشورة .

(٢) زيادة من (خ) ، (ق) والوافي .

(٣) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) .

(٤) في النهل : « وطلب لاجين إلى القاهرة » .

(٥) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) ، والوافي .

(٦) ستأتي ترجمته .

(٧) ليست في (خ) . وفي النهل : « الأمير بدر الدين الخطيري » .

(٨) (خ) ، (ق) : « في ليلة » .

النهار إلى أن اصفرت الشمس ، وركب بن معه وجاء إلى أرغون شاه وهو مقيم في القصر الأبلق ، وجرى له ^(١) ما جرى على ما تقدّم في ترجمة أرغون شاه .

ويقال : إنه ما وصل إلى سوق الخيل حتى قضى له الشغل الأمير فخر الدين أياز السلاح دار . ثم إنه لما انفجر الصبح نزل بالميدان الأخضر ، وطلب أمراء الشام ، وأخرج لهم كتاب السلطان ، وقال : هذا مرسوم السلطان بإمساك أرغون شاه ، فما شك أحد في ذلك ، واحتاط على أموال أرغون شاه وجواهره وجميع موجوده ، وذلك في يوم ^(٢) الخميس ثالث عشر شهر ربيع الأول .

ولما كان في يوم الجمعة بكرة ظهر الخبر أن أرغون شاه ذبح روحه .

وكان قد جهز بريداً إلى باب السلطان بإمساكه ، ومعه سيفه ، وأقام والأمراء في خدمته إلى يوم الثلاثاء ، فتحدث الأمراء فيما بينهم : لأنه أراد أن ينفق فيهم ويحلفهم ، فأذكروا ذلك ، ولبسوا السلاح ، ووقفوا بسوق الخيل ، ولبس هو وجماعة من الجراكسة وفخر الدين أياز وماليكه ، وخرجوا إلى العسكر ، وكانت النصرة لأجبيغا ، وقتل جماعة من أمراء ^(٣) الشاميين ، ورموا الأمير بدر الدين أمير مسعود والأمير سيف الدين طيئدر أمير حاجب عن الفرس إلى الأرض ، وقطعت يد الأمير سيف الدين أجبيغا العادلي ، على ماسيأتي ، وأخذ أجبيغا الأموال والجواهر ، وخرج العصر من دمشق على المزة ، وتوجّه على البقاع إلى طرابلس ، وأقام بها ، فما كان بعد أيام إلا وقد جاءت الملطّفات إلى أمراء الشام من باب السلطان بإنكار هذه القضية ، وأن هذا أمر لم نرسم به ولا لنا به علم فتجتهدوا في إمساك أجبيغا وأستاذ داره تمر بغا ^(٤) وتجهيزهما والكتاب الذي ادّعى أنه منا ، وكتب بذلك إلى سائر نواب الشام ، فجردت

(١) (ق) ، (خ) : « له معه » .

(٢) (ق) ، (خ) : « نهار » .

(٣) (خ) ، (ق) : « جماعة » . وعبارة الوافي : « من عسكر الشام » .

(٤) ستأتي ترجمته .

العساكر إليه ، وربطوا الطرقات عليه ، وسدّوا عليه المنافس . فبلغه الخبر ، فخرج من طرابلس ، وخرج عسكر طرابلس خلفه إلى أن جاء إلى نهر الكلب عند بيروت ، فوجده موّعراً ، والعساكر عنده ، فوقف من الثانية في النهار إلى العصر ، وكرّ راجعاً ، فوجد العسكر الطرابلسي خلفه ، فواقفوه . ولم يزل إلى أن كلّ وملّ وسلّم نفسه ، فجاؤوا به إلى عسكر الشام .

وكان أياز قد تركه وانفرد عنه ، وقدم العسكر الشامي بالجبيغا ومعه أياز مقيدين ، واعتقلا بقلعة دمشق ، ثم إنهم جهزوا الجبيغا مقيداً إلى باب السلطان صعبة الأمير سيف الدين باينجار^(١) الحاجب ، فوصل من مصر يوم الأربعاء سيف الدين قُجا السلاح دار ، وعلى يده مرسوم السلطان بأن يُوسَّط الجبيغا وأياز في سوق الخيل بحضور العساكر ، ويُعلَّقَا على الخشب حتى يقعا من نتنها^(٢) .

فلما كان يوم الخميس ركب العسكر الشامي جميعه والأمير شهاب الدين أحمد الساقى نائب صفد ، وأنزلوا الجبيغا وأياز ، وعُلِّقت أشلاؤهما على الخشب بالحبال والبكر على وادي بردى بسوق الخيل ، وذلك في حادي عشري شهر ربيع الآخر سنة خمسين وسبع مئة ، وتألّم بعض الناس على الجبيغا وتحقّقوا أن أياز غرّه وحسن له ذلك الفعل ، والله يعلم حقيقة الحال .

وكان الجبيغا شاباً غصّاً ، طريّاً في شببته بضّاً ، ميس قدّه قضيباً ، ويميل من الصّبا غصناً رطيباً ، مشوق القوام ، مرموق الحسن على الدوام ، كمّا بقل عذاره ، وطرّ شاربه ، بدا في سماء الحسن كالبدّر إذا حفّت به كواكبه .

وكان عمره يوم وُسَّط تسع عشرة سنة . فيأسفا له كيف مات ورّع عما فيه تورط ، ويا عجباً له في أول شبابه كيف توسَّط ، قدّ السيف أضلاعه قدّاً ، وألبس كافور جسمه

(١) ويقال له : بينجار ، وستأتي ترجمته .

(٢) الخبر مختصراً في المنهل .

برداً من عقيق دمه به تردى ، وغُفّر جسده في الثرى ، وغسّل بدموع جماعة من الورى ،
وظهر له ثبات عند الممات ، وقوة جنان أصمت قلوب عداه بالصّمات بخلاف أياز فإنه
أظهر جزءاً شديداً ، وأعلن بالبكاء صوتاً مديداً .

وقلت أنا في الجبيغا :

لما بغى الجبيغا واعتلى إلى السهى في ذبح أرغون شاه
قبل انصلاح الشهر في جلق غلق من عرقوبه مثل شاه

٣٢٥ - الجبيغا*

الأمير سيف الدين العادلي مملوك العادل كتبغا ، من جملة مقدّمي الألوف والكبار
بدمشق .

كان الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - قد أحبّه في آخر الأمر ، ومال
إليه ، واختص به ، فلما أمسك وحضر بُشتاك إلى دمشق أمسك الجبيغا العادلي وطبيغا
حاجي ، واعتقلهما بقلعة دمشق ، وأقاما في الاعتقال إلى أن مرض السلطان المرضة التي
مات فيها فأفرج عنها ، وأعيدت إليه الإمرة والتقدمة ، وبقي على حاله كبيراً مشيراً .

ولما كانت واقعة أرغون شاه وركوب العسكر للجبيغا وقع الأمير سيف الدين
الجبيغا العادلي إلى الأرض عن فرسه ، وتعلّق بالسرج ليركب ، فضربه بعض مماليك
الجبيغا بالطير^(١) أطار يده من نصف زنده .

ولما توجّه العسكر إلى سنجار كان هو المقدم عليه . ولمّا توجهت العساكر إلى
صفد لمحاصرة أحمد كان هو المقدم عليها . ولمّا توجّه الأمير سيف الدين أرغون الكامل

* الدرر : ٤٠٦/١ ، والمنهل الصافي : ٤٧/٣ ، والبداية والنهاية : ٢٤٧/١٤ .

(١) هو الفأس .

إلى جهة^(١) مصر في واقعة بيبغاروس جعله في دمشق نائب الغيبة^(٢) ، وأقام على حاله والملك الصالح في دمشق .

ولم يزل على حاله إلى أن مرض مرضة طوّل فيها ، وزاره الضيف الذي لا يُرد ، والقادم الذي إذا نزل بالملوك لا يُصدّ .

وكانت وفاته في العشر الأول من شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين وسبع مئة . وكان كبير الوجه الحى ، يرى الناظر في محياه حسناً وملحاً ، طويل القامة ، عظيم الهامة ، له رغبة في اقتناء الخيول الثينة ، والمغالاة في أثمانها التي هي في الكثرة مكيّنة .

وله أرب في المتاجر ، ودأب في تحصيل المكاسب التي تبلغ فيها القلوب الحناجر . يقال : إنه لما توفي رحمه الله تعالى خلف من جملة متاجره سكرًا قيمته ثمان مئة ألف درهم ، إلى غير ذلك من الأصناف .

٣٢٦ - الطَّقُصْبَا الناصري*

الأمير علم الدين من قدماء أمراء دمشق . أظنه من مماليك الناصر صاحب الشام . روى عن سبط السلفي .

كان شيخاً عاقلاً ، لا يرى في القيام إلى الخير متشاقلاً ، ساكناً مهيباً ، عارفاً لبيباً ، أصابه زيار^(٣) في ركبته ، وهو في حصار قلاع الأرمن سكن حركاته ، وأزاره هلكاته ، فحمل إلى حلب ، ففارق فيها الحياة ، وبكاه حتى الغمام بدموع المياه . وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وست مئة .

(١) ليست في (خ) .

(٢) هو من محلّ محلّ السلطان أو الأمير في أثناء غيابه .

* الوافي : ٣٦٠/٩ ، والمنهل الصافي : ٥٠/٣ .

(٣) هو اللولب والحبل الذي يجذب به النجنيق حتى ينحطّ أعلاه ليُرْمى الحجر .

٣٢٧ - الطنبغا*

الأمير علاء الدين الحاجب الناصري .

ولاه أستاذه الملك الناصر محمد نيابة حلب بعد سؤدي^(١) ، وصل إليها في أوائل شعبان سنة أربع عشرة وسبع مئة ، فعمل بها النيابة على أتم ما يكون من الدربة ، وأحسن ما يكون من المعرفة التي يغنى بها عن الصمصامة والحربة ، وعمّر بها جامعاً حسناً ، متفرداً بالطلاوة والسنا .

ولم يزل بها إلى أن أتى إليه الأمير سيف الدين أُلجاي الدوادار الناصري في المحرم سنة سبع وعشرين ، وتوجّه به إلى مصر ، وورد إلى حلب الأمير سيف الدين أرغون الدوادار ، على ما مرّ في ترجمته ، وأقام بمصر في جملة الأمراء الكبار إلى أن مات أرغون ، فأعاده السلطان إلى حلب ثانياً^(٢) نائباً ، وفرّج به أهل حلب ، وصل إليها في أوائل جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

ولم يزل بها إلى أن وقع بينه وبين الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى ، فطلبه^(٣) السلطان إلى مصر ، فتوجّه إليها ، وما أقبل السلطان عليه ، وبقي على باب الإصطبل والسلطان يطعم الجوارح بالميدان ، ولم يستحضره حتى فرغ ، وبقي بعد ذلك مقيماً بالقلعة إلى أن حضر تنكز ، وخرج السلطان وتلقاه إلى سرياقوس وبير البيضاء ، على ما يأتي ذكره في ترجمة تنكز ، إن شاء الله تعالى . ولما استقرّ تنكز بباب السلطان أخرج الأمير علاء الدين الطنبغا إلى غزة نائباً .

* الوافي : ٣٦١/٩ ، والتحفة : ٢٤٧/٢ ، والدرر : ٤٠٨/١ ، والمنهل الصافي : ٥٣/٣ .

(١) سؤدي بن عبد الله الناصري ، (ت ٧١٤ هـ) . (المنهل) .

(٢) ليست في (خ) والوافي .

(٣) في الأصل « فطالبه » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) ، والوافي .

وبعد شهر ونصف خرج تنكز من مصر إلى الشام عائداً ، فلما قارب غزة تلقاه الطنبغا ، وضرب له خاماً كبيراً ، وأنزله عنده ، وعمل له طعاماً ، فأكل منه ، وأحضر بناته له فتوجع له ^(١) ، وأقبل عليه لذلك ، وخلع عليه ، وتوجّه إلى دمشق .

ولم يزل بغزة نائباً إلى أن أمسك السلطان تنكز ، فرسم لأطنبغا بنيابة الشام ، فحضر إليها يوم الاثنين سادس المحرم سنة إحدى وأربعين وسبع مئة ^(٢) . ودخلها والأمير سيف الدين بُشتاك والحاج أرقطاي وبرُسبغا ^(٣) وبقية الأمراء الذين كانوا قد حضروا عقيب إمساك تنكز .

ولم يزل بدمشق نائباً إلى أن أمسك السلطان المنصور أبو بكر ، وتولّى المُلك الأشرفُ كجك ، وتنفس الأمير سيف الدين طشتمر بسبب خلع المنصور ومحاصرة الناصر أحمد في الكرك ، فخافه قوصون ، وكان هو القائم بتلك الدولة ، فاستوحى الأميرُ الطنبغا عليه ، وكان في نفس الطنبغا من طشتمر ، فجرت بينهما مكاتبات ومراجعات ، وحمل الطنبغا حظ نفسه عليه زائداً ، فتجهّز إليه بالعساكر ، وخرج بعد صلاة الجمعة من الجامع في مطر عظيم إلى الغاية ، والناس يدعون عليه بعدم السلامة ؛ لأن عوام دمشق كرهوه كراهة ^(٤) زائدة ، وكانوا يسبون في وجهه ، ويدعّون عليه ، ونشب سنان شطْفَتِهِ ^(٥) من خلفه في بعض السقائف ، فانكسر ، ففتاء له الناس بالشؤم . ولم يزل سائراً إلى سلمية ، فورد عليه الخبر بأن طشتمر هرب من حلب ، فساق وراءه إلى حلب ، ونهب أمواله وحواصله وذخائره ، وفرقها على الأمراء والجند نفقةً ، وعند خروجه من دمشق حضر إليها الأمير سيف الدين قُطلوبغا الفخري ، وملكها ،

(١) عبارة الوافي : « فتوجع له تنكز » .

(٢) في المنهل : « ولي نيابة دمشق في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة » .

(٣) ستأتي ترجمته .

(٤) (ق) ، (خ) : « كراهية » .

(٥) الشطفة : شارة ملكية تُحمل كما يُحمل اللواء على رأس أمير الجيش .

وبرز إلى خان لاجين ، وقعد هناك بن معه من العسكر المصري ، وتردّدت الرُّسل بينه وبين الطنبغا . ومال الفخري على قوصون ، ومال الطنبغا إليه .

ولم يزل إلى أن حضر الطنبغا بعسكر الشام وحلب وطرابلس في عُدّة تزيد على خمسة عشر ألف فارس . وتردّد القضاة الأربع بينها ، ووقف الصفان ، وطال الأمر ، وكره العسكر الذين معه مُنابذة الفخري ، وهلكوا جوعاً ، وألحَّ الطنبغا ، وأصرَّ على عدم الخروج عن قوصون ، وأقاموا كذلك يومين . ولما كان بكرة النهار الثالث خامر جميعُ العساكر على الطنبغا ، وتحيزوا إلى الفخري ، وبقي الطنبغا والحاج أرقطساي والأمير عز الدين المرقبي^(١) والأمير علاء الدين طئيغا القاسمي^(٢) والأمير سيف الدين أسنبغا بن الأبوبكري^(٣) ، فعند ذلك أدار الطنبغا رأس فرسه إلى مصر ، وتوجّه هو والمذكورون^(٤) على حِمّة إلى مصر .

ولما قاربوها جهّز دواداره قراقرم إلى قوصون يخبره بوصولهم ، فجهّز إليهم تشاريف وخيولاً ، وبات على أنه يصبح فيركب للملتقاهم ، فأمسكه أمراء مصر ، وقيدوه ، وجهّزوه إلى إسكندرية ، على ماسيأتي إن شاء الله تعالى في ترجمته ، وسيّروا تلقّوا الطنبغا^(٥) ومن معه ، وأطلعوهم القلعة وأخذوا سيوفهم ، وحبسوهم . ثم بعد يومين أو أكثر جهّزهم إلى إسكندرية ، ولم يزالوا هناك إلى مجيء^(٦) الناصر أحمد من الكرك .

(١) واسمه أيلمر ، وستأتي ترجمته .

(٢) في الأصل : « القاضي » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) ، والوافي ، ولم نقف له على ترجمة .

(٣) هو أسنبغا بن بكتر البوبكري (ت ٧٧٧ هـ) ، والدور : ٢٨٦/١ .

(٤) في الأصل : « المذكورين » سهو .

(٥) كذا في الأصول والوافي ، وعبارة التحفة : « وسيّروا من تلقّى الطنبغا » .

(٦) (ق) ، (خ) : « إلى حين مجيء » ، وعبارة الوافي : « إلى أن جاء » .

وجاءت عساكر الشام ، واستقرَّ أمرُ الناصر أحمد ، فجهَّز الأمير شهاب الدين أحمد بن صبح إلى إسكندرية ، فتولَّى خنق قوصون وبرُسْبغا والطنبغا وغيرهم في الحبس في ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة ، أو في شهر شوال .

ويُحكى أنه ما جزع عند الموت بل تَوْضاً ، وصَلَّى ركعتين ، وقعد ولفَّ ذقنه بيده ، ووضعها في فيه ، واستسلم لوضع الوتر في حلقه ، وصبر لأمر الله تعالى وقضائه في خلقه ، وبشَّ للذي أتاه ، وخنق ، وتلقاه بالرضى من غير حتق .

وكان رحمه الله تعالى خبيراً بالأحكام ، طويل الروح على المنازعات والخصام ، قد دَرَبَ الأمور وجَرَّيها ، وعَمَّرَ الوقائع وخرَّيها ، وباشر الحصارات ، ودخل إلى بلاد سِيس^(١) في الإغارات ، ورتَّبَ الجيوش وصفَّها ، وقَدَّمها وقت الفرصة وعند الخطر كَفَّها ، ودخلها مرات يحتلب ماتحويه ويحتلب ، ويجعل عاليها سافلها ، والناس قالوا : سِيس ما تنقلب .

وكان الطنبغا^(٢) رَمَاحاً طَبُجِيّاً^(٣) ، يرمي النشاب ، ويلعب بالرمح ، ويضرب الكرة ، وتنقاد له الفروسية في بَرَّة^(٤) ، ولم يرم أحد في بيت السلطان جَنَّبَه إلى الأرض ، ولا جعل طوله إذا صرعه وهو عَرَضُ^(٥) .

وكان لا يدخر شيئاً ، ولا يستظل من الجمع قِيّاً^(٦) ، ولا يعمر له ملكاً ،

(١) هي سِيسية ، وأهلها يقولون : سِيس ، بين أنطاكية وطرسوس . (معجم البلدان) .

(٢) في الأصول : « أقبجا » ، سهو .

(٣) الطبجي : اللدفي .

(٤) البَرَّة : الخلل وما يَتَّبِدُ به .

(٥) في الأصل : « عرض » ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) .

(٦) في الأصل : « فئة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) .

ولا يُجرى له في المتاجر حيواناً ولا فلکاً ، وانفصلت في أيامه بدور العدل قضايا مرت السنون عليها لظلام أمرها ، وغوض سرّها ، وخفاء الحقّ فيها لدقته ، وغلبة الباطل وعموم مشقته ، وموت الخصوم في تمادي الحال وعدم الناصر ، ورؤية المالك ثمار منافعها وباعه عنها قاصر .

وعلى الجملة كان ^(١) فريداً في أبناء جنسه ، مالکاً بالصبر أمر نفسه ؛ إلا أن [سفك] ^(٢) الدماء عنده أمرهين ، وإزهاق الروح لا يعبأ به بأمر بين أو غير بين ، فلذلك مارزق سعادة في نيابة دمشق ومنها تعكّس ، وتنكد عيشه وتنكّس ، ولو قدر الله تعالى له أن يوافق الفخري ويدخل معه ، وينزله القصر ويجلس هو موضعه لكان الفخري عنده ضيفاً . وما سلّ أحد في وجهه سيفاً ، ولا وجد له ^(٣) من أحد جنفاً ^(٤) ولا حيفاً ، ولكن هكذا ^(٥) قدر ، وهذه العقبى جزاء ما صدر ، فلا قوة إلا بالله .

٣٢٨ - الطنبغا *

الأمير علاء الدين المارداني الساقى الناصري .

أمره السلطان مئة ، وقدمه على ألف ، وزوجه إحدى بناته ، وهو الذي عمر الجامع الذي برّا باب زويلة عند المرحّلين ، وأنفق على ذلك أموالاً كثيرة ؛ لأنه مرض

(١) في الأصل و (ق) : « وكان » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (خ) .

(٢) زيادة من : (ق) ، (خ) .

(٣) ليست في : (ق) ، (خ) .

(٤) الجنف : الضيّل .

(٥) في الأصل : « هذا » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) .

* الوافي : ٣٦٤/٩ ، والدرر : ٤٠٩/١ ، وإعلام الوری : ٢٢ ، وخطط المقرئزي : ٣٠٨/٢ ، والمنهل الصافي : ٦٧/٣ .

مرضة شديدة ، طوّل فيها ، وأعيّا الأطباءَ شفاؤه ، وأنزله السلطان من القلعة إلى الميدان على البحر ، ومَرَضَ هناك قريباً من أربعين يوماً .

وكان ابن المرواني متولّي القاهرة^(١) يقف في خدمته ، ويحضّر له كل ما في بَرٍّ باب اللّوق من المساخر وأرباب الملاهي وأصحاب الحلق ، وهو يُنعم عليهم بالدرهم والخلع والقماش .

ونزل السلطان إليه مرّات ، وكان الخاصكية ينتابونه جماعة بعد جماعة ، ويبيتون عنده ، وتصدّق في تلك الأيام بمئة ألف درهم ، وشرع في عمارة الجامع المذكور . وهو أحد الخاصكية المقرّبين .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي السلطان ، وتولّى الملك المنصور أبو بكر . فيقال : إنه الذي وشى بأمره إلى قوصون ، وقال له : قد عزم على إمساكك ، وجرى ما جرى على ما يذكر في موضعه في ترجمة المنصور أبي بكر .

وكان الأمير علاء الدين الطنبغا المذكور عند المنصور أعظمّ مما كان عند والده ؛ لأنه جعله مودّع^(٢) سرّه .

ولما تولّى الأشرف ، وماج الناس ، وحضر الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري من^(٣) الشام ، وجرى ما جرى على ما تقدم في ترجمة الطنبغا نائب الشام ، وشغّب المصريين على قوصون ، فيقال : إن الطنبغا المارداني كان أصل ذلك كلّّه ، ونزل إلى

(١) هو علي بن حسن المرواني ، وستأتي ترجمته . والخبر في المنهل الصافي : ٦٨/٣ .

(٢) كذا في الأصول ، وفي الوافي : « موضع » .

(٣) في الوافي : « إلى » .

الأمير علاء الدين أيدُغُمِش أمير آخور ، واتفق معه على القبض على قوصون ، وطلع إلى قوصون ، وجعل يشاغله ، ويكسر مجاذيفه عن الحركة إلى بكرة الغد ، وأحضر الأمراء الكبار المشايخ عنده ، وسأهره إلى أن نام ، وهو الذي [حطَّ يده ^(١)] في سيف الطنبغا نائب الشام لما دخل القاهرة قبل الناس كلهم . ولم يجسر أحد أن يدَّ يده إليه .

وكان الأمير سيف الدين بهادر الترتاشي ، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف الباء في الأول ، هو آغا الطنبغا المذكور ^(٢) وهو الذي خرَّجه وربَّاه ، ولما بدَّت منه هذه الحركات والإقدامات قويت نفسه عليه ، فوقف فوق الترتاشي فما حملها منه ، وبقيت في نفسه . ولما ملك الملك الصالح إسماعيل صار الدست كله للترتاشي ، فعمل على الطنبغا المذكور ، ولم يدر بنفسه إلا وقد أُخرج على خمسة رؤس من خيل البريد إلى حماة نائباً في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة فتوجَّه إليها ، وبقي بها نائباً مدة شهرين وأكثر إلى أن توفي أيدغُمِش نائب الشام ، ونقل الأمير سيف الدين طُقُزُتْمَن من نيابة حلب إلى نيابة الشام ، ورسم للأمير علاء الدين الطنبغا المارداني نيابة حلب ، فتوجَّه إليها في أول شهر رجب من السنة المذكورة .

وجاء إلى حماة نائباً الأمير سيف الدين يلغا الحيوي ، فأقام الطنبغا في نيابة حلب مدة يسيرة ، وتمرَّض وقاسى شدة ، وحضر له طبيب من القاهرة .

ولم يزل إلى أن كان القبر لجوهرته صنفاً ، وراح شخصه لسهام المنايا هدفاً .
وتوفي رحمه الله تعالى في مستهل صفر سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

وكان شاباً طويلاً رقيقاً ، يُدير من أجفانه رحيقاً ، بوجه قد حلا ، ومن العيب

(١) زيادة من : (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٢) في الأصل : « هو » ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) ، والوافي .

قد خلا ، وللبدر قد جلا ، ألطف من مرّ النسيم ، وألذّ^(١) ذوقاً من التسنيم ، مَعْشَقَ
الخطرة إذا خطا ، متأنق الفترة إذا سطا ، كريم الكفّ ، حكيم الشروع واللفّ ، حَدْسُهُ
صائب ، ونفسه بالصبر تردّ ناب^(٢) النوائب ، عقله أكبر من سنّه ، وأمره يأقي إليه على
ما يغلب في ظنه .

وكان أستاذه له يتدلل ، وهو يحفو^(٣) عليه ويتدلل ، وبجناحه طار طاجار^(٤) ،
وأصبح وهو دوادار ، ولكن خانه الزمان ، ولم يؤخذ له من الحوادث أمان :
وقلت أنا لما بلغتني وفاته :

خُذْ مِنَ الْعَيْشِ مَا أَتَاكَ بِتَقْوَى وَاعْتَنِهِ مِنْ قَبْلِ صَرَفِ الزَّمَانِ
وَتَأْمَلْ بِعَيْنِ فِكْرِكَ لَمَّا مَارَ^(٥) دَانِي الْفَنَاءِ إِلَى الْمَارِدَانِي

٣٢٩ - الطنبغا*

الأمير علاء الدين بُرناق - بالباء الموحدة والراء والنون والألف والقاف -
الجاهشكير نائب صفد .

لما خرج أحمد الساقى وهو بصفد على الملك الناصر حسن وعصي بقلعتها رُسم لهذا
الأمير علاء الدين بنياية صفد ، فوصل إليها وهو نائب غزّة^(٦) - على ما تقدم في ترجمة

(١) في الأصل : « وألف » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) .

(٢) (خ) : « نائب » .

(٣) في الأصل : « يخنو » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) .

(٤) في الأصل : « طار » ، ولا وجه لها ، وطاجار هذا هو سيف الدين الدوادار ، وستأتي ترجمته .

(٥) مَارَ يَمُورُ : تحرك .

* الدرر : ٤٠٩/١ .

(٦) في الأصل و (ق) : « هو ونائب غزّة » ، وأثبتنا ما في (خ) ، ويؤيدها ما في الدرر من أنه كان نائباً
لغزة قبل نيابته لصفد .

أحمد - واستقل بالنيابة من أوائل المحرم سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وأقام بها إلى أن ورد عليه المرسوم بأن يحضر إلى دمشق ، ويكون مع نائبها الأمير سيف الدين أرغون الكاملي في واقعة بيبغاروس ، فوصل إلى سعسع بالعسكر الصفدي ، وكان نائب دمشق قد خرج منها ونزل على الكسوة ، وجهاز إليه طلبه ، فوعده بالوصول إليه ، لكنه استحوذ عليه جماعة ثنوا عزمه عن ذلك ، وسوّلوا له التوجّه إلى بيبغاروس ، فدخل دمشق ، وشقّها ، وتوجّه إليه ، واجتمع به على خان لاجين ، وجاء معه ، ونزلوا على قبة يلبغا ، وأقاموا هناك مدة أربعة وعشرين يوماً ، ولما هرب يبنغا هرب الطنبغا المذكور معه في جملة من هرب ، ووصلوا إلى حلب ، وحاصروا أهلها ، فأسر الحلبيون منهم جماعة وفيهم الطنبغا بُرناق وعلاء الدين الطنبغا مُشدّ الشراب خاناه والأمير سيف الدين حاجي أخو أحمد الساقى والأمير سيف الدين أسنبغا الرسولي نائب جعبر وعز الدين مهدي مُشدّ حلب^(١) ، وأسْن بك بن خليل الطُرقي وبهادر الجاموس فيما أظن ، وذلك في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، وتسلمهم الأمير فارس^(٢) الدين ألبكي أحد مقدّمي الألوف المصريين ، وأحضرهم إلى دمشق ، واعتقلوا بقلعتها .

ولما كان ثالث شوال طلع السلطان الملك الصالح من القصر إلى قلعة دمشق وجلس في الطّارمة ، واستقبل سوق الخيل ، وأحضر الطنبغا بُرناق ، وعُصر ، وقرر على أمور ، ثم إن الأمير سيف الدين شيخو والأمير سيف الدين طاز وسائر أمراء مصر والشام نزلوا ووقفوا على باب خان الملك الظاهر ، واستقبلوا السلطان ، وقُدّم هؤلاء السبعة^(٣) المذكورون وفيهم برناق ، ووسّط الجميع ، وعلّقوا على نهر بردى في ثالث

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) (خ) : « سيف » ، سهو .

(٣) (ق) ، (خ) : « الأمراء السبعة » .

شوال سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة^(١) ، وكان ذلك في يوم الاثنين ، فسبحان الدائم الباقي بلا زوال ، مقدّر الآجال .

وكان الأمير علاء الدين برناق رجلاً عاقلاً ، ساكناً لا يرى^(٢) قدمه إلى الشرّ ناقلاً ، بعيداً من الظلم ، مفيداً للأناة والحلم ، لم يشكّ منه أحد من رعايا صفد .

وكان يتحوّل^(٣) بعضهم بالعطاء والصفد ، وعمر بصفد عمارة ، تطل على بحر طبرية كان يستروح فيها ويصعد بمن يؤثره ، ويحبّ قُربَه إلى أعاليها .

وكانت له ابنة يحبّها حبّاً زاد حدّه ، ويودّ أن يفرش لها إذا خطت دون الأرض خدّه ، لا يزال قلبه بها معلّقاً ، وخدّه إذا غاب عنها بالدموع مخلّقاً ، يجلس وهي في صدره ، ويعيّزها من الزمان وغدره ، ويجمع لها الذين يعملون الحلق تحت القلعة ، ويصرف لهم لأجلها الخلعة بعد الخلعة .

ولما خرج من صفد ضمّها إلى صدره وودّعها ، وكاد^(٤) من الرّقة عليها أن يخرج كبده ويقطّعها ، وأذرى الدموع دماء وأجراها من الحرقه عندما فارقتها عندهما ، وكان ذلك آخر عهداها به^(٥) ، ولم تشاهده والسيف قد جدّ في تمزيق إهابه .

وقلت أنا فيه :

لَا تَقْرَبِ الشَّرَّ إِذَا مَا بَدَا فَهُوَ لِنَارِ الْمَوْتِ حَرَّاقٌ
فَالسَّيْفُ قَدْ فَرَّقَ الطَّنْبِغَا وَلَمْ يَفِدْ بُرْنَاقَ تَرِيَاقٌ

(١) انظر في هذه الأحداث : البداية والنهاية : ٢٤٦/١٤ ، الذيل التام : ١٢٤ وما بعدها .

(٢) زيادة من (ق) ، (خ) .

(٣) في الأصل : « يتحول » ، وأثبتنا ما في (ق) ، وقد سقط قوله : « وكان ... والصفد » من (خ) .

(٤) في الأصل : « وكان » تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « بها » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) .

٣٣٠ - الطنبغا*

علاء الدين الجاؤلي .

هو مملوك ابن باخل^(١) . كان عند الأمير علم الدين سَنَجَر الجاؤلي^(٢) دوا داراً لما كان في غزة أولاً نائباً ، وكان يحبُّه ويدنيه ويقربُّه ، ويبالغ في الإنعام عليه ، والإحسان إليه .

وكان إقطاعه [عنده]^(٣) يعمل عشرين ألف درهم خارجاً عما يبرّه ، ويعطيه ويأخذه هو من منفوع الدوادارية .

قال لي : امتدحت الأمين^(٤) الأمير مرة بقصيدة كانت ستين بيتاً ، فأمر لي لكل بيت دينار . وقال لي : لو كانت مئة كانت مئة .

أخبرني من أثق بقوله : أنه كان في إصطبله تسعة عشر سَرَجاً زرجونياً^(٥) .

ولما شُنَّع على الجاؤلي أن إقطاعات مماليكه ثلاثون ألفاً وعشرون ألفاً راک الأخباز^(٦) ، وأعطى الطنبغا المذكور إقطاعاً دون ما كان بيده أولاً ، فتركه ومضى إلى مصر بغير رضى الأمير علم الدين ، فراعى الناس خاطر مخدمه ولم يجسر أحد على أن يستخدمه ، فأقام في مصر مدة زمانية ينفق من حاصله ، ثم حضر إلى صفد ، فأقبل عليه الحاج أرقطاي نائبها إقبالاً كثيراً ، وكتب له مَرَبَّةً^(٧) بإقطاع ، وتوجّه بها إلى

* الوافي : ٣٦٦/٩ ، وفوات الوفيات : ٢٠٥/١ ، والدرر : ٤٠٧/١ ، والمنهل الصافي : ٧١/٣ .

(١) هو عماد الدين بن باخل ، كما في حاشية (المنهل) .

(٢) هو سنجر بن عبد الله الجاؤلي ، أبو سعيد (ت ٧٤٥ هـ) . ذيول العبر : ٢٤٧ .

(٣) زيادة من (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٤) ليست في (ق) ، (خ) .

(٥) الزرجون : كلمة فارسية تعني لون الذهب .

(٦) راک الشيء : قدّره ، وعرف كم هو .

(٧) المربعات مراسيم مَرَبَّة تكتب في ورق شاميّ من ديوان الخاص لمنح الإقطاعات .

مصر ، فخرج عنه ، فعاد وجاء إلى دمشق وامتدح الأمير سيف الدين تنكز ، ومدح ناصر الدين الدوادار وناصر الدين الخزندار بقصيدة أولها :

قَد أَيَّدَ الرَّحْمَنُ مَلَّةَ أَحْمَدَ بِالنَّاصِرَيْنِ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٍ

فتوسَّطاً له عند مخدومها فأعطاه إقطاعاً في حلقة دمشق ، وكان أمره أحد الأسباب التي أوقعت بين تنكز والجاوئي ، وبقي الطنبغا بدمشق مقيماً ، وأمسك الجاوئي ، وأقام في الاعتقال مدة ، ولمَّا أفرج عنه توجه إليه^(١) الطنبغا وخدمه مدة ، ثم إنه أخرجه إلى دمشق في أيام الأمير علاء الدين الطنبغا ، وجعله من جهته مشدأ على الوقف المنصوري .

واجتمعتُ به كثيراً بصفد والقاهرة ودمشق ، وبينى وبينه مكاتبات ومجارات ومطارحات ومباراة ؛ لأنه كان ينظم الدُرَّ شعراً ، ويُباهي به النثرة والشَّعْرَى^(٢) ، قد جَوَّدَ المقاطيع ، وأبرزها كأزهار الربيع ، ولكن قصائده دُونُها في الطبقة ، وبروقها ليست في سماء الإجازة مؤتلفة .

وكان يتذهب للشافعي ، وله اجتماع بالشيخ صدر الدين محمد بن الوكيل وغيره من فضلاء العصر ، ويبحث جيِّداً ، ولم يكن عن طرائق الفضل متحيِّداً . وعقيدته للأشعري منسوبة وفي عداد أصحابه محسوبة .

ولما توجهَ معي إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية سال ذهنه إليه ، وأقبل بجملته عليه ، ومال إلى قوله ، ودار من حوله . ثم إنه بعد فراقه تراجع عنه إلّا بقايا ، وادَّكر غدوات قربه والعشايا .

وكان وجهاً في حسنه بديعاً ، وحيّاً يَذَرُ قلب ناظره صريعاً ، مديد القامة ، يرخي على بدر وجهه من شعره ظلامه .

(١) في الأصل : « إلى » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وما يتفق مع عبارة الوافي .

(٢) كوكبان .

وكان بالكيمياء مُغزًى ، قد أنفق فيها مالاً ودهراً . وخرج من الدنيا رحمه الله تعالى وهو يرى كفه صفراً .

وكان صحيحاً وده ، إذا منحك^(١) إخلاصه لا يرده ، قلّ من صحبته فأنصفني مثله في الحضور والغيبة ، لا أسمع منه كلمة جفاء ، ولا يبُلغني عنه غيبة . ولم يزل شلي به مجموعاً ، وقولي عنده ، كما أمره عندي مسموعاً . إل أن استقى على غير ظم . وصافحه في قبره الجور وملائكة السماء .

وتوفي رحمه الله تعالى بعلّة الاستسقاء في شهر ربيع الأول ، ثامننه ، سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

كُتِبَ إِلَيَّ وَقَدْ وَرَدَتْ الْقَاهِرَةُ^(٢) سَنَةَ سِتْ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعَ مِئَةٍ :

إِلَيْكَ صَلاَحَ الدِّينِ أَهْدِي تَحِيَّةً كَنَشْرِ عَبِيرٍ فِي الْجُيُوبِ إِذَا قُضِيَ
وَمِنْ عَجَبِي أَنَّ الدِّيارَ قَرِيبَةً وَمَا قُزْتُ مِنْكُمْ بِالْوَدَادِ الَّذِي أَرْضَى
فَإِنْ بَعْدَكُمْ قَلْبِي تَأَلَّفَ بِالْأَسَى وَمِنْ بَعْدِكُمْ لَمْ أَذِرْ نَوْمًا وَلَا غَمًّا
وَإِنِّي عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي تَعَهَّدُونَهُ مَقِيمًا أَرَى حِفْظَ الْوَدَادِ لَكُمْ قَرْضًا^(٣)
وَأَقْسَمُ قَلْبِي لَا يَقْرُرُ قَرَارُهُ وَلَا يَرْعَوِي حَتَّى يَرَى بَعْضَنَا بَعْضًا
فَكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابُ إِلَيْهِ ارْتِجَالًا :

أَيَا جِيرَةَ قَدْ عَوَّدُوا الْحِلْمَ وَالْإِعْضَا وَحَبَّهُمْ قَدْ مَارَجَ الرُّوحَ وَالْأَعْضَا
وَحَقِّكُمْ مَا أَهْلَ الْعَبْدِ خِدْمَةً لَكُمْ وَجِبَتْ لَكُنْهَا بَعْدَ ذَا تَقْضَى
أَنْسَى جَمِيلًا مِنْكُمْ قَدْ أَلْفَتَهُ وَحُسْنَ وَدَادٍ يُشْبِهُ الزَّهْرَ الْغَضَا
وَلَطْفًا يَحَاكِ نَسْمَةَ الرُّوضِ سُحْرَةً فَإِنَّ لَهَا فِي الْعَاشِقِ الْبَسْطَ وَالْقَبْضَا

(١) في الأصل : « ضحك » تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) .

(٢) (خ) : « من القاهرة » .

(٣) (خ) : « مقيم » .

وأيام لهوٍ قد تَقَضَّتْ بِقُرْبِكُمْ
ألا خَفَّفُوا مِنْ عَتَبِكُمْ عَنْ مُحَبِّكُمْ
فلا بُدَّ أَنْ يَأْتِي وَيَذْكُرْ عُذْرَهُ
وَأُنْشِدَنِي يَوْمًا لِنَفْسِهِ :

انهلْ أدمعها دَرًّا وَفِي فَمِهَا
لأنَّ ذَا جَامِدٍ فِي الثَّغْرِ مُنْتَظَمٍ
فَأُنْشِدْتَهُ أَنَا لِنَفْسِي :

غَانِيَةً فِي فَمِهَا جَوْهَرٌ
فَرَّاحَ ذَا فِي نَظْمِهِ وَاقِفًا
وَأُنْشِدَنِي لِنَفْسِهِ أَيْضًا :

وَسُودٍ صَيَّرَتْهَا السُّودُ بِيضًا
فبعْدَ السُّودِ تَرْجُو الْبِيضَ ظَلَمًا
وَأُنْشِدْتَهُ أَنَا لِنَفْسِي :

عَجِبْتُ لِدَهْرِ سَرَفِي زَمَنِ الصَّبَا
فَبِيضٌ عُمْرِي مِنْ شِبَابِي سَوَادُهُ
وَكَدَّرَ عَيْشِي بِالْمَشِيبِ انْتِفَاضُهُ
وَسَوَدَ دَهْرِي مِنْ مَشِيبِي بِيَاضُهُ

وَكُتِبْتُ أَنَا إِلَيْهِ مِنْ صَفَدٍ وَهُوَ بِدَمَشَقٍ أَتَشَوَّقُ إِلَيْهِ فِي سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةٍ وَسَبْعِ مِئَةٍ مِنْ
جَمَلَةِ قَصِيدَةٍ :

بِاللَّهِ يَا بَارِقًا مِنْ قَاسِيُونَ بَدَتْ
أَعْلَامُهُ خَافَقَاتٍ فِي دِيَاغِيهِ^(٣)

(١) (خ) : « مدمعها » : وكذا في المنهل .

(٢) في للمنهل : « منتشر » .

(٣) في الأصل : « يا قادمًا » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) . وفي (خ) : « في نواحيه » .

قِفْ لي بتلك الرِّبَا إن شئت تُسعِفني
 وبَنِيهِ الْوُرُقَ وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفَةً
 وَخُذْ أَحَادِيثَ مَا تَرْوِيهِ مِنْ خَبَرٍ
 وَقُلْ قَضَى نَحْبَهُ الْعَانِي أَسَى وَجَوَى
 كَأَنَّمَا مَرَّ عَيْشٌ كَانَ غَانِيَةً
 أَحْبَابُنَا إِنْ تَمَادَى الْبَعْدُ وَاتَّصَلَتْ
 فَلَا تَضُنُّوا عَلَى الْمُضْنَى بِطَيْفِكُمْ
 يَكْفِيهِ أَنْ زَارَهُ طَيْفُ الْخِيَالِ وَلَا
 فَالْصَّبُّ إِنْ عَاقَتْ الْأَيَّامُ مَطْلَبَهُ
 وَأَنْشُدْ فَوَادَ شَجَرٍ قَدْ عَزَّ فَادِيهِ
 لِيَلَّا لَتَحْكِي نَوَاحِي فِي نَوَاحِيهِ
 وَحَالُ جَسْمِي ضَنْيٌ إِنْ كُنْتُ تَحْكِيهِ^(١)
 وَمَا قَضَى مَا تَرْجَى مِنْ أَمَانِيهِ^(٢)
 تَجْلِي بِكُمْ وَلَا لِيَهَا لِيَالِيهِ^(٣)
 أَيَّامُهُ وَاسْتَقَلَّتْ فِي تَرَاحِيهِ
 فِيهِ لِلْوَالِيهِ الْمَشْتَاكِ مَا فِيهِ
 يَكْفِيهِ مِنْكُمْ بَلَى وَاللَّهِ يَكْفِيهِ
 يَرْضَى بِدُونِ الْمَنَى أَوْ مَا يَدَانِيهِ

٣٣١ - الطنبغا*

الأمير علاء الدين الخازن الشريفى ، أحد الأمراء الأقدمين بالقاهرة .

لَمَّا كَانَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَرْغَوْنَ الْكَامِلِي عَلَى لَدَى فِي وَاقِعَةِ بِيغَارُوسَ وَرَسَمَ
 السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ صَالِحٌ لِلْأَمِيرِ شَهَابُ الدِّينِ بَنِىَابَةَ صَبَحَ ، نَائِبُ غَزَّةَ بَنِيَابَةَ صَفَدَ
 رَسَمَ^(٤) لِلْأَمِيرِ علاء الدين الطنبغا هذا بَنِيَابَةَ غَزَةَ ، فَحَضَرَ إِلَيْهَا فِي شَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثَ
 وَخَمْسِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، وَأَقَامَ بِهَا نَائِباً إِلَى أَنْ تَوَفَّى يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ رَابِعَ شَهْرِ رَجَبِ الْفَرْدِ
 سَنَةِ سِتِّ وَخَمْسِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ .

وَكَانَ سَاكِناً عَاقِلاً وَادِعاً ، لَا شَرَّ فِيهِ ، طَلَبَ لِبَنَاتِهِ رَاتِباً فِي السَّنَةِ عَلَى مِينَاءِ يَافَا

(١) (ق) : « وَحَالُ جَسْمِي » .

(٢) (خ) : « مَا تَمْنَى » .

(٣) (ق) (ج) : « كَأَنَّمَا كَانَ عَيْشٌ مَرَّ » .

* الدرر : ٤٠٩/١ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « وَرَسَمَ » ، وَلَا وَجْهَ لَهَا ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي : (خ) ، (ق) .

بخمسة آلاف درهم تميزت^(١) في ضفافها ، فأُنعمَ عليهنّ بذلك وما لحق التوقيع يجيء إلى دمشق ويُعلّم عليه نائب الشام ويجهّزه إلى أن مات رحمه الله تعالى .

٣٣٢ - أَلْطَنْقَشْ *

الأمير سيف الدين الجمالي أستاذ الدار .

كان من مماليك الأفرم ، ولما توجّه أستاذّه إلى بلاد التتار وحضر هو إلى مصر حبسه السلطان الملك الناصر ، ثم إنه أخرجه وأمره فيما بعد طبلخاناه ، ثم جعله أستاذ دار صغيراً وأضاف إليه فيما بعد أستاذ داريّة ابنه أنوك^(٢) ، وأقام كذلك إلى أن توفي أنوك وتوفي السلطان .

ثم توفي هو رحمه الله تعالى بالقاهرة في سادس عشري شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

وكان جيداً مشكوراً ، وهو خال الأمير صلاح الدين إيدُغدي الحاجب^(٣) بالشام وأخويه .

٣٣٣ - أَلْلُمِشْ **

بفتح الهمزة ، وكسر اللام الأولى ، وسكون اللام^(٤) الثانية ، وكسر الميم ، وبعدها شين معجمة .

(١) (خ) : « وتميزت » .

* الدرر : ٤١٠/١ ، وفيه : « الطنقش » .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) لم تقف على ترجمته .

** الوافي : ٣٧٠/٩ ، والتحفة : ٢٥٦/٢ ، والدرر : ٤١٠/١ ، وللنهل الصافي : ٨٤/٣ .

(٤) ليست في (خ) .

الأمير سيف الدين الحاجب ، كان الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - قد جَهَّزَهُ إلى جَعْبَرِ نَائِباً ، ثُمَّ إِنَّهُ كَتَبَ فِيهِ وَجَعَلَهُ أَمِيرَ حَاجِبٍ ، فَكَانَ حَاجِباً كَبِيراً^(١) فِي آخِرِ أَيَّامِ تَنكَزٍ ، وَأَمْسِكَ وَهُوَ أَمِيرُ حَاجِبٍ .

كان حسن الشكل ذا مَهَابَةٍ ، سَدِيدِ الرَّأْيِ كَثِيرِ^(٢) الإِصَابَةِ ، مُدَوِّرِ الْوَجْهِ خُلُوعاً ، مَمْلُوءاً مِنَ الْعَقْلِ ، وَمِنَ الْكِبَرِ خُلُوعاً ، فِيهِ سُكُونٌ وَوَقَارٌ ، وَحِشْمَةٌ يَشْكُو النَّاسُ مِنْهَا الْإِفْتِقَارَ .

وَلَمْ يَزَلْ عَلَى حَالِهِ فِي وَظِيفَتِهِ^(٣) إِلَى أَنْ حَصَلَ لَهُ اسْتِسْقَاءُ أَظْمَاهُ إِلَى الْحَيَاةِ ، وَأَمَاتَهُ بِحِسْرَةِ نَظَرِ الْمَيَاةِ . وَقَدْ كَانَ تَوَجَّهَ إِلَى حَوْلَةِ بَانِيَّاسٍ ، فَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى هُنَاكَ وَحُمِلَ إِلَى دِمَشْقَ وَصَلَّى عَلَيْهِ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ عَشْرِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ .

٣٣٤ - أَلْمَاسُ *

بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ ، وَسُكُونِ اللَّامِ ، وَبَعْدَ الْمِيمِ أَلْفٌ وَسِينَ مَهْمَلَةٌ ، «الأمير سيف الدين أمير حاجب الناصري» .

كان من أكبر ممالكك أستاذَه ، وَلَمَّا أَخْرَجَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَرْغُونَ الدَّوَادَارَ إِلَى

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَكَانَ حَاجِبَنَا » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي : (ق) ، (خ) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « كَبِيرٌ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي : (ق) ، (خ) .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَظِيفَتِهِ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي : (ق) ، (خ) .

* الْوَاقِي : ٣٧٠/٩ ، وَالذَّرَرُ : ٤١٠/١ ، وَضَبَطَ مَا فِي مَطْبُوعَةِ الْوَاقِي - ظَبْطَ قَلَمٍ - بِالضَّمِّ . وَلِلنَّهْلِ الصَّافِي : ٨٩/٣ ، وَفِيهِ : « قَلْتُ : وَالْأَلْمَاسُ ، بَضْمُ الْهَمْزَةِ ، وَلَامٌ سَاكِنَةٌ ، وَمِيمٌ مَفْتُوحَةٌ ، وَأَلْفٌ بَعْدَهَا وَسِينَ مَهْمَلَةٌ ، وَمَعْنَاهُ بِالْتَّرْكِيَّةِ : مَا يَمُوتُ » .

نيابة حلب - على ما تقدم في ترجمته - وبقي منصب النيابة فارغاً منه عظمتم منزلة الملك ، وصار هو في منزلة النيابة ، خلا أنه ما يسمى نائباً ، يركب الأمراء الكبار والصغار ، وينزلون في خدمته ، ويجلس في باب القلعة^(١) في منزلة النائب ، والحجاب وقوف بين يديه . ولم يزل مقدماً معظماً إلى أن توجه السلطان إلى الحجاز سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، فتركه في القلعة هو والأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك ، والأمير سيف الدين أقبغا عبد الواحد^(٢) والأمير سيف الدين طشتمر حمص أخضر ، هؤلاء الأربعة لا غير ، وبقي الأمراء إما معه^(٣) في الحجاز وإما أنهم في إقطاعاتهم ، وأمرهم أن لا يدخلوا القاهرة حتى يحضر من الحجاز .

ولما حضر^(٤) من الحجاز نقم عليه أمراً ما صبر عليه ، فأمسكه إماً في أوائل سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، وإما في أواخر سنة ثلاث وثلاثين ، الصحيح أنه في عشر ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة وأودعه في الاعتقال في بيت أقبغا عبد الواحد ، وبقي ثلاثة أيام ، ودخل في العدم ، وتخضب السيف منه بدم .

وأما أخوه الأمير سيف الدين قرأ فإنه قتل بالسيف لوقته صبراً ، فأخذت أموال الملك وجميع موجدوده وموجود أقاربه ، وأخرج أقاربه إلى الشام وفرقوا .

يقال إن السلطان لما مات بكتمر في طريق الحجاز - على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى - احتاط على موجوده ، وكان في جملة ذلك حرمدان^(٥) ، فأخذه السلطان

(١) كذا في الأصول ، وفي الوافي والمنهل : « القلعة » .

(٢) في الوافي : « أقبغا الأوحدي » . وكذلك في المنهل .

(٣) في الأصل : « معهم » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٤) (ق) : « قدم » .

(٥) في المنهل : « جزدان » .

وأودعَه لبعض الجمداريّة ، ثم لما وصل قلعة الجبل واطمأن ذكره السلطان فأحضره فوجد
تَمّ فيه جَوَابَ الأمير سيف الدين ألماس إلى الأمير سيف الدين بكتُمر السّاقِي ، وفيه :
إنني حافظ القلعة إلى أن يردّ عليّ مِنْكَ ما أَعْتَمِدُهُ ، فكان ذلك سَبَبَ قَتْلِهِ ، والله أعلم .

وكان ألماس أَسْمَرَ طَوَّالاً من الرجال ، فيه ثباتُ الشيوخ وخِفّةُ الشباب العجّال
عُتْمِيّاً^(١) لا يَفْهَمُ شيئاً بالعربيّ ، ساذجاً يجلس في بيته فوق بُبَاد على ما اعتاد ورَبِي .
وكان أولاً يباري السّحاب بكرمه ، ويؤوي الناس إلى حرّمه ، ولكنّه فَهَمَ عن السلطان
أنّ ذلك ما يعجبه ولا يراه ، فيقول به ويوجبه ، فتظاهر بعد ذلك بالخِسّة ، وكَبَرَ فيه
حِسّه ، إلى أن شاع ذاك وذاع ، وملأ به المُدَنّ والبقاع . إلّا أنه كان يَعْمُرُ الْمَلِكَ بخمسة
عشر ألف درهم وأكثر ، ويَهَبُهُ لبعض مماليكه ، وهو الذي عمّر الجامع المليح الذي بظاهر
القاهرة في الشارع عند حُدرة البقر ، وفيه رخام مليح فائق ، وعمّر إلى جانبه هناك
قاعة تَأَنَقُ^(٢) فيها ، وكان الرخام يُحْمَلُ إليه من جزائر البحر وبلاد الروم ومن الشام ،
ومن كل مكان ، ولَمَّا أُسِيكَ وجدوا له أموالاً عظيمة تُكَاثِرُ النجوم في اللَّيْلَةِ الداجنة
البهيمّة .

٣٣٥ - الْمَلِكُ *

بفتح الهمزة ، وسكون اللام ، وفتح الميم ، وكسّر اللّام الثانية وبعدها كاف .
الأمير سيف الدين الحاج من كبار الأمراء المشايخ رؤوس مشايخ المشور^(٣) في أيام
السلطان الملك الناصر ، تَرَدَّدَ في الرُّسُلِيَّةِ بين الملك المظفر وبين الملك الناصر وهو في

(١) العُتْمَةُ : العجمة ، ورجل أَعْتَمَ : لا يتفصح .

(٢) في الأصل : « تَأَلَّقَ » ، وأثبتنا ما في (ق) .

* الوافي : ٣٧٢/٩ ، والدرر : ٤١١/١ ، وخطط المقرئزي : ٣١٠/٢ ، والمنهل الصافي : ٨٥/٣ ، وفيه : « آل
مُلْك بن عبد الله » .

(٣) في المنهل : « المشورة » .

الكرك ، فأعجبه عقله وتأتيه ، وسير إليهم يقول : لا يعود يجيء إلي^(١) رسولا غير هذا ، فلما قدم مصر عظمت .

ولم يزل كبيراً موقراً مبجلًا ، عر بالحسينية جامعاً مليحاً إلى الغاية ، وله دار عظمى مليحة عند مشهد الحسين - رضي الله عنه - داخل القاهرة ، ومسجد حسن إلى جانبها .

خرج له شهاب الدين أحمد بن أبيك الدمياطي (مشيخة) ، وقرئت عليه مرات وهو جالس في شبك النيابة^(٢) بقلعة الجبل .

ولما تولى الملك الناصر أحمد أخرجه إلى نيابة حماة ، فحضر إليها وأقام بها إلى أن تولى الملك الصالح إسماعيل ، فأقدمه إلى مصر وأقام بها على حاله الأولى .

ولما أمسك أقسنقر السلاري - نائب مصر المقدم ذكره - ولأه النيابة مكانه ، فشدة في الخمر إلى الغاية ، وحد الناس عليها وجنأهم^(٣) ، وهدم خزانة البنود^(٤) ، وأراق خمورها وبنائها مسجداً وحكرها للناس فعمروها دوراً^(٥) ، وأمسك الزمام زماناً ، وكان يجلس للحكم في الشباك طول نهاره لا يمل من ذلك ولا يسأم^(٦) ، ويروح أصحاب الوظائف ولا يبقى عنده إلا النقباء البطالة .

وكان له في قلوب الناس مهابة وحرمته ، إلى أن تولى السلطان الملك الكامل شعبان فأخرجه أول سلطنته إلى دمشق نائباً عوضاً عن الأمير سيف الدين طقزتمر ، فلما كان في أول الطريق حضر إليه من قال له : الشام بلا نائب ، فسق لتلحقه .

(١) عبارة الوافي : « يجيئي » .

(٢) المعروف أن الكافل للحكم - إذا كان - ثم النائب ، هو الذي يجلس بدار النيابة . (صبح الأعشى) .

(٣) في المنهل : « وجفام » .

(٤) هي خزانة الرايات أو المعائب السلطانية ، وكانت ملاصقة للقصر الكبير .

(٥) قوله : « وحكرها ... دوراً » ليس في (خ) ، والوافي .

(٦) ليس في (خ) .

فخَفَّفَ مِنْ جَمَاعَتِهِ وَسَاقَ فِي جَمَاعَةٍ قَلِيلَةٍ ، فَحَضَرَ إِلَيْهِ مَنْ أَخَذَهُ وَتَوَجَّهَ بِهِ إِلَى صَفَدٍ نَائِبًا ، فَدَخَلَهَا فِي أَوَاخِرِ^(١) شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ . ثُمَّ إِنَّهُ أَرْجَفَ النَّاسَ أَنَّهُ بَاطِنُ^(٢) الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ قَمَّارِي^(٣) نَائِبِ طَرَابُلُسَ عَلَى الْهَرُوبِ أَوْ الْخُرُوجِ^(٤) عَلَى السُّلْطَانِ ، فَحَضَرَ مِنْ مِصْرَ مَنْ كَشَفَ الْأَمْرَ ، وَسَأَلَ هُوَ التَّوَجُّهَ إِلَى مِصْرَ فَرَسِمَ لَهُ بِذَلِكَ ، فَتَوَجَّهَ . فَلَمَّا وَصَلَ غَزَةَ أَمْسَكَه نَائِبُهَا الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَرَاقُ^(٥) ، وَجَهَّزَ إِلَى إِسْكَندَرِيَّةَ فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ سِتِّ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ .

وَكَانَ خَيْرًا فِيهِ دِينٌ ، وَعِبَادَةٌ تُورِثُهَا عَلَى الْجَبِينِ ، يَمِيلُ إِلَى أَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ ، وَيَتَّخِذُ مِنْ أَدْعِيَتِهِمُ السَّلَاحَ ، وَكَانَ بَرُّكَهَ مِنْ أَحْسَنِ مَا يَكُونُ ، وَخَيْلُهُ تَكَادَ^(٦) إِذَا جَرَّتْ^(٧) تَرْمِي الرِّيحَ بِالسَّكُونِ ، وَكَانَ يَقُولُ : كُلُّ أَمِيرٍ لَا يَقِيمُ رُمُوحَهُ وَيَسْكُبُ الذَّهَبَ إِلَى أَنْ يُسَاوِيَ السَّنَانَ مَا هُوَ أَمِيرٌ .

وَقُلْتُ أَنَا فِيهِ :

أَلْمَلِكُ الْحَاجُّ غَدًا سَعْدَةً يَمْلَأُ ظَهْرَ الْأَرْضِ مِمَّا سَلَكُ
فَالْأَمْرَ مِنْ دُونِهِ سَوْقَةً وَالْمَلِكُ الظَّاهِرُ لِي أَلْمَلِكُ^(٨)

- (١) فِي الْأَصْلِ : « أَوَائِل » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي : (خ) ، (ق) ، وَالْوَاقِي ، وَالْمَنْهَل .
- (٢) (خ) (ق) : « قَدْ بَاطِنٌ » وَكَذَا فِي الْمَنْهَلِ ، وَعِبَارَةُ الْوَاقِي : « بِهِ أَنَّهُ قَدْ بَاطِنٌ » .
- (٣) قَمَّارِي بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّاصِرِي (ت ٧٤٧ هـ) .
- (٤) فِي الْأَصْلِ : « الْخُرُوب » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي : (خ) ، (ق) ، وَالْمَنْهَل .
- (٥) أَرَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْفَتْاحِ ، تَرْجَمَتْهُ فِي الْوَاقِي : ٣٣٢/٨ ، وَلَمْ يَذْكُرْ سَنَةَ وَفَاتِهِ . وَفِي الْمَنْهَلِ : ٢٨٩/٢ وَفِيهِ وَفَاتُهُ (٧٤٧ هـ) .
- (٦) لَيْسَتْ فِي (خ) .
- (٧) فِي الْأَصْلِ : « جَرَّدَتْ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي : (خ) ، (ق) .
- (٨) فِي الْمَنْهَلِ : « هُوَ آلُ مَلِكٍ » .

٣٣٦ - أَلْتَأَق *

الأمير سيف الدين الناصري ، كان أميراً من جملة أمراء دمشق يسكن بقرب مسجد الصّفي^(١) بالعقبيّة .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأحد منتصف صفر سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

٣٣٧ - أَمِيرَان **

الأمير الشيخ عزّ الدين ، من بيت الشيخ عديّ بن مُسافر^(٢) .

ورد إلى بلاد الشام فأكرمت الدولة الناصريّة نُزْلَهُ وعظّمت مُثْوَاه ، وأعطى بدمشق إمرةً ، فأقام بها مُدَّةً ، ثم أقام بصفد مُدَّةً ، ثم عاد إلى دمشق وتترك الإمرة وأثر الانقطاع ، وأقام بالميزّة ، وكانت الأكراد تأتيه من كل قطر ، وتقد عليه من كل فجّ بصفايا أموالها ونفائس ما عندها تقرباً إليه . ثم إنّ الأكراد المشارقة أرادوا الخروج على السلطان ، وباعوا أموالهم بالهوان ، واشتروا بها أسلحة وخيلاً ، واعدوا رجالاً ممن تبعهم بالنيابات الكبار ، وكان هو قد نزل بأرض اللجون من مرج بني عامر بصفد ، وبلغ السلطان الملك الناصر أنّهم لم يؤدّوا أحداً في نفس ولا مال ، فكتب إلى الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - بكشف أحوالهم ، وأمسك السلطان من كان بالزاوية العدويّة بالقرافة منهم ، ودرك على أمير طبر ، واختلفت الأخبار عنهم ، فقليل : إنّهم يريدون سلطنة مصر ، وقيل : بل يريدون ملك الين . وقلق السلطان من أمرهم وأهمّه ذلك ، فتقدم الأمير سيف الدين تنكز بإحضار الأمير عز الدين

* لم نقف على ترجمة له .

(١) ذكره صاحب الدارس : ٤٠٨/١ .

** الدرر : ٤١٤/١ .

(٢) الهكاري ، من ذرية مروان بن الحكم ، تنسب إليه الطائفة العدويّة المتصوّفة (ت ٥٥٧) . السير :

٣٤٢/٢٠ .

أَمِيرَانِ الْمَذْكُورِ ، فَأُمْسِكَ وَأَحْضِرْ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّ هَذَا الَّذِي يَفْعَلُهُ هَؤُلَاءِ الْأَكْرَادُ ؟ فَقَالَ : يَا خُونْدُ هَذَا شَيْءٌ تَحْيَلُوهُ فِي نَفُوسِهِمْ ، فَقَالَ لَهُ : لَأَيُّ شَيْءٍ مَا تَمْنَعُهُمْ مِنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : يَا خُونْدُ ، هَؤُلَاءِ يَسْجُدُونَ لِي وَلِغَيْرِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِنَا ، لَوْ قُلْتُ لَهُمْ مَا عَسَى أَنْ أَقُولَهُ مَا يَسْمَعُونَهُ ، وَلَكِنْ يَا خُونْدُ حُطِنِي فِي هَذِهِ الْقَلْعَةِ وَقَدْ تَقَلَّلَ جَمْعُهُمْ ^(١) ، فَعَلِمْتُ تَنْكَزُ أَنْ الَّذِي يَقُولُهُ حَقٌّ ، فَطُلِعَ بِهِ إِلَى الْقَلْعَةِ ، وَطَالَعَ السُّلْطَانُ بِأَمْرِهِ فَانْقَلَبَ أَمْرُهُمْ وَتَفَرَّقُوا شَذَرًا مَذَرًا ، وَتَمَزَّقُوا أَيْدِي سَبَأًا ، وَكَانَ الْأَكْرَادُ يَحْيَوْنَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْبُرْجِ الَّذِي فِيهِ الْأَمِيرُ عَزَّ الدِّينَ وَيَسْجُدُونَ لَهُ ^(٢) .

وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِلَاغٌ وَلَا مَعَاشٌ ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَجْلِبُونَ الْمُحَمَّضَاتِ مِنَ الْأُتْرَجِ وَاللَّيْمُونِ وَالْكَبَادِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ بَانِيَّاسٍ وَالْأَغْوَارِ ، وَأَقْصَابِ السَّكْرِ عَلَى ظُهُورِهِمْ ، وَيَبْيَعُونَ ذَلِكَ بِدِمَشْقَ ، فَرُخِّصَ هَذَا كُلُّهُ بِدِمَشْقَ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ .

وَكَانَ طَلِبُهُ وَحَبْسُهُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ .

وَكَانَ الْأَمِيرُ ^(٣) عَزَّ الدِّينَ الْمَذْكُورَ [مِنْ] ^(٤) أَحْسَنَ الْأَشْكَالِ وَأَتْمَهَا ، وَأَصْبَحَ الْوُجُوهَ وَأَحْلَاهَا .

٣٣٨ - أمير كاتب *

ابن أمير عَمَرُ الْعَمِيدِ بْنِ الْعَمِيدِ أَمِيرُ غَازِي ، الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ قَوَامُ الدِّينِ أَبُو حَنِيفَةَ الْفَارَابِيُّ الْأَتَقَانِيُّ ^(٥) - بِهَمْزَةٍ مَفْتُوحَةٍ وَتَاءٍ ثَلَاثَةِ الْحُرُوفِ سَاكِنَةٍ وَقَافٍ بَعْدَهَا أَلْفٌ وَنُونٌ - الْحَنْفِيُّ .

(١) كَذَا ، وَهِيَ ضَعِيفَةٌ ، وَعِبَارَةُ الدَّرَرِ : حُطِنِي فِي الْقَلْعَةِ يَتَقَلَّلُ جَمْعُهُمْ ، وَهِيَ أَصَحُّ .

(٢) مَطْمُوسَةٌ فِي الْأَصْلِ ثَابِتَةٌ فِي (ق) وَالدَّرَرِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « الْأَقْرَمُ » ، سَهُوٌ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (خ) ، (ق) .

(٤) زِيَادَةٌ مِنْ (ق) .

* الدَّرَرُ : ٤١٤/١ ، وَوَفَيَاتُ ابْنِ رَافِعٍ : ٣٤٥/١ ، وَالذَّيْلُ التَّامُ : ١٥٨ ، وَالْبَدْرِ الطَّالِعُ : ١٥٨/١ ، وَذَيْلُ

الْعَبْرِ : ٣١٣ ، وَالنَّجُومُ الزَّاهِرَةُ : ٣٢٥/١٠ ، وَالشُّذْرَاتُ : ١٨٥/٦ ، وَالْمَنْهَلُ الصَّافِي : ١٠١/٣ .

(٥) سَنَقَلَ الْمُؤَلِّفُ كَلَامَ أَمِيرِ كَاتِبٍ عَنْ فَارَابٍ بَعْدَ قَلِيلٍ .

كان قيمياً بمذهب أبي حنيفة شديدة التعصب على الشافعية ، متظاهراً بالغضّ منهم وبالطعن عليهم ، يودُّ لو حكم فيهم أو حُكِمَ في تلافِيهم دون تلافِيهم ، لا تأخذه فيهم لومة لائم ، ويتمنى لو ناحت على مدارسهم الحمايم ، واجتهد في ذاك بالشام وما أفاد ودخل مِصرَ [وهو مِصرٌ]^(١) على ما عنده من العناد ، وعمل على قذْفهم وقْلْعهم بالقْلَع والمِقْذَاف وطاف عليهم بكؤوسٍ خمرِ خمرها بالسُّم وذاف^(٢) ، فكفاهم الله محذوره ، وجعل الله واقعتهم معه على مرّ الأيام ماثوره ، وبدلَ بغيظهم فيهم سُروره ، وعكس ما دبره فيهم ، ﴿ والله مُتِمُّ نُورِهِ ﴾^(٣) .

وكان شديدة الإعجاب بنفسه ، يجيء بالتعظيم من حسّه وبسّه ، يظن أن إمامه رضي الله عنه لو رآه لجعله إمامه ، وأنّ أبا يوسف كان يتأسّف إذا سمع كلامه ، وأنّ زفر^(٤) له زفريات على لُقيّه وأنّ محمد بن الحسن ما يحسن الوصول إلى رُقيّه ، إلا أنّه شرح الأُخْسيكِيّ^(٥) وعُمرّه دون الثلاثين شرحاً جيداً يُثني عليه فقهاء مذهبه ويُعظّمونه ، وكان عارفاً بالعربية واللغة ، قال في آخر شرح الأُخْسيكِيّ إنه فرغ منه بتسّتر^(٦) سنة ست عشرة وسبع مئة ، وقال قبل هذا : فلو كان الأسلاف في حياة لقال أبو حنيفة : اجتهدت ، ولقال أبو يوسف : نازَ البيان أوقدت ، ولقال مُحَمّد : أحسنت ، ولقال زفر : أتقنت^(٧) ، ولقال الحسن : أمعنت ، ولقال أبو حفص : أنعمت فيما نظرت ،

(١) زيادة من (خ) ، (ق) ، والدرر .

(٢) الدوف : الخلط .

(٣) الصف : ٨/٦١ .

(٤) هو زفر بن الهذيل بن قيس العنبري ، أبو هذيل ، من أصحاب الإمام أبي حنيفة (ت ١٥٨ هـ) ، الشذرات : ٢٤٣/١ .

(٥) محمد بن محمد بن عمر ، حسام الدين فقيه حنفي (ت ٦٤٤ هـ) له : المنتخب في أصول المذهب ، ويعرف بالمنتخب الحسامي ، وقد شرحه غير واحد ، منهم : شرح الأتقاني ، واسمه : التبيين . الكشف : ١٨٤٨/٢ .

(٦) تسّتر : مدينة عظيمة بخوزستان . معجم البلدان ٢٩/٢ .

(٧) في الأصل : « تقنت » ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) ، والدرر .

ولقال أبو منصور : حققت ، ولقال الطحاوي : صدقت ، ولقال الكرخي : بورك فيما نطق ، ولقال الجصاص : أحكت . ولقال القاضي أبو زيد : أصبت . ولقال شمس الأئمة : وجدت ما^(١) طَلَبْتُ ، ولقال فخر الإسلام : مهرت ، ولقال نجم الدين النسفي : بهرت . ولقال صاحب الهداية : يا غَوَاصُّ ، البحرَ عَبَرْتُ ، ولقال صاحب المحيط : فقت فيما أعلنت وأسررت : إلى غير ذلك من كبرائنا الذين لا يحصى عددهم . ولقال المتنبّي : أنت من فصحاء عبارتهم :

مَسْكِيَّةُ النَفَحَاتِ إِلَّا أَنَهَا وَحِشِيَّةُ بَسَواهُمْ لَا تَعْبَقُ^(٢)

تم ما قاله .

ولم يزل القوام إلى أن مال عليه الحين بكلِّكِهِ ، وأصبح الاتقاني وقد تهَدَّم من الحفر منزله^(٣) .

وتوفي بالقاهرة رحمه الله تعالى يوم السبت حادي عَشْرِي شَوَّال سنة ثمان وخمسين وسَبْع مئة .

وكان لما قَدِمَ دمشق اجتمع بنائها الأمير سيف الدين يَلْبُغا - رحمه الله تعالى - وداخله واختصَّ به ، وذكرَ له مَسْأَلَةَ رفع اليدين في الصلاة ، وادَّعى بطلان الصلاة ، فقام في دفاعه قاضي القضاة تقي الدين السبكي - رحمه الله تعالى - وهى ما قاله وأفسده ، واستدل على بطلان دعواه ، فرجع الأمير سيف الدين يَلْبُغا بعد ما كان قد شَرَّيت أعضاؤه ذلك ، ثم إنه طَلِبَ إلى مصر وراح ، فراج عند الأمير سيف الدين صرغتمش وعظَّمه ، وبنى له مدرسته^(٤) بالقاهرة ، وولاه تدريسها ، وكان قد قام في

(١) في الأصل : « فيما » ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) .

(٢) ديوانه ٣٣٨/٢ .

(٣) (ق) ، (خ) : « من الحياة ركن منزله » .

(٤) (خ) : « مدرسة » . وفي المنهل : « وبنى له مدرسة بالصليبية معروفة بصرغتمش المذكور .

أيام الملك الصالح صالح على الشافعية ، وسعى في إبطال المذهب من رأس ، وكاد ذلك يتم ، إلا أن الله تعالى أعان بلطفه ، ومنّ بإخاد ناره .

وأخبرني من أثق به أنه كان يأكل في كل يوم أوقية فوم ، وكان يأكل من الزنجبيل شيئاً كثيراً إلى الغاية .

ونقلت من خطّه ماصورته : تاريخ قدومنا دمشق في الكرّة الثانية في العاشر من شهر رجب سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، ثم لبثنا ثمة إلى أن خرجنا منها في ثامن صفر يوم السبت من سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، وقدمنا مصر يوم الاثنين ثاني شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، قال العبد الفقير إلى الله تعالى أمير كاتب بن أمير عمر المدعو بقوام الفارابي الأتقاني : كان تاريخ ولادتي بأتقان ليلة السبت التاسع عشر من شوال سنة خمس وثمانين وست مئة ، وفاراب مدينة عظيمة من مدائن الترك تسمى بلسان العوام : أوتراد ، وأتقان اسم لقصة من قصباتها ، هذا ما أنشأ^(١) في أيام دولة السلطان مالك رقاب الأمم مولى ملوك العرب والعجم قاهر الكفرة والمشركين ، ناصر الإسلام والمسلمين ، سلطان ابن السلطان ابن السلطان الملك الناصر بن الناصر ابن الملك المنصور حسن بن محمد بن قلاوون ، خلّد الله ملكه ونور مرقد آبائه السلاطين في مدح المقرّ العالي المجاهد المؤيد المظفر ذي اليمن والبركات ، والخير والمبرّات ، فريد الدهر وحيد العصر سيف الدين سيرغتمش^(٢) أدامه الله في عافية وافية حين تمّ بناء مدرسته المخصوصة بالحنفية بالقاهرة المعزية في جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وسبع مئة ، وكان ابتداء العمارة في خامس رمضان سنة ست وخمسين وسبع مئة ، الضعيف أبو حنيفة قوام الدين أمير كاتب بن أمير عمر العميد بن العميد أمير غازي الفارابي الأتقاني يوم أجلس فيها مدرّساً بحضور القضاة الأربعة وجميع أمراء

(١) الأشبه : « ما أنشأه » ، فحذف العائد ، وفاعل (أنشأ) هو قوله فيما بعد : « الضعيف أبو حنيفة » .

(٢) ستأتي ترجمته .

الدولة مثل المقرّ العالي شيخو ، وحاجب الحجاب طشتمر القايمي^(١) . وتوقاي الدوادار وغيرهم في الساعة الثالثة من يوم الثلاثاء التاسع من جمادى الأولى من السنة المذكورة ، والقمر في السنبلة ، والزهرة في الأوج ، وكان تثليث المشتري والقمر :

أرأيتم من ذرأ النوبيا	وأنى قريباً ونفى ريباً
فبدا علماً وسمّاً كرمّاً	ونمّا قدماً ولقد غلباً
يتقى وهدى وندى وجدا	فعدا وشداً وجبى وحبا
أبدى سنناً أحيا سنناً	حلى زمناً عند الأربا ^(٢)
هذاك سيرغتمش سكبت	أيام أمارته السحبا
وأزال الجذب إلى خضب	والضنك إلى رعد قلبا
بإعانة جبار بر	ذي العرش وقد بذل النشا
ملك فطن ركن لسن	حسن بسن ربى الأدبا
ملك الكبرا ملك الأمرا	ملك العلما ملك الأدبا
بحر طام طوؤ سام	غيث هام حامي الغربا
بسياسته وحماسه	وسماحته جلّى الكربا
وصيائته وديانته	وأمانته حاز الرتبا
أبهى أصلاً أسنى نسلاً	أحظى خصلاً بذ العربا
نعم المأوى مصرّ لمّا	شملت قوماً قيّلاً نجبا
فنمت نوراً وسمت نوراً	وعلت دوراً وأرت طربا
نسقت دوراً وسقت دُزراً	ووعت غُزراً وحوّت أربا ^(٣)
وخطاء به افتخرت ونمت	وسمت وزرت وحوّت أدبا ^(٤)

(١) (ت ٧٥٩ هـ) ، الدرر : ٢٢٠/٢ ، وفيه : « الفاس » ، تحريف ، والذيل التام : ١٦٤ .

(٢) في المنهل : « صلى زمناً عند الأدباء » .

(٣) (ق) : « نسقت دُزراً ، وسقت دُزراً » ، والذرة : اللبن .

(٤) كذا ، والوخط : الشيب . وفي الأصل : « أربا » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

خُذْ دَرِّ ثَنَا ثَمَّ اجْنِ جَنِي مِنْهَا وَمُنَى فَتَعِي طَلَبَا
 مِنْ كَانَ عَنَى نَسْبِي عَلَبَا فَارَابُ لَنَا نِعْمَتَ نَسَبَا
 كُنُونُ أَبَا لَحْنِفَةَ ثُمَّ مَ قَوَامِ الدِّينِ بَدَا لَقَبَا
 عِشْ فِي رَجَبٍ تَرَمِنْ عَجَبٍ مِنْ مُنْتَجَبٍ عَجَبَا عَجَبَا

وأعطاني المقرّ العالي سِيرْغَتَشْ أَيْدَهُ اللهُ جائزةً هذه القصيدة يوم أنشدتها عشرة آلاف درهم ، وملاً يوم الدرس بِرُكَّةِ المدرسةِ بالسُّكَّرِ وماءِ اللبّون فسقى بذلك الناسَ أجمعين ، وخَلَعَ عليّ بعد الدرس خلعتين إحداهما فروّ السنجاب ، ظَهَارَتِه صُوفٌ أبيض وكَفَّتِه قندز ، والأخرى فرجيّ من صُوفٍ زيتي ، وخلع على ابني هَمَامَ الدين أيضاً ، ثمّ لَمَّا خَرَجْتُ مِنَ المدرسةِ حملني على بغليّةٍ شهباءٍ مشتراها ثلاثة آلاف درهم مع السرج المُفَصَّصَ واللجام ، كان اليوم يوماً يُورِخُ ، فيهاها قصّةٌ في شرحها طُولُ .

تَمَّ مَا نَقَلْتُهُ مِنْ خَطِهِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ، وتوفّي في التاريخ المذكور ، وما أفاده الطالع الذي تخيّرهُ لجلوسِ الدرس شيئاً ، بل كانت المدة ستة عشر شهراً .

الألقاب والأنساب

أمين الملك :

☆ صاحب أمين الدين : عبد الله ابن تاج الرئاسة .

☆ صاحب تاج الدين بن أمين الدين ، المقدم ذكره : أحمد بن عبد الله .

☆ أمين الدين ناظر الجيش كاتب طشتمر : إبراهيم بن يوسف .

☆ إمام المقام : إبراهيم بن محمد بن إمام المشهد المحتسب محمد بن علي .

الأملي :

☆ عبد الكريم .

☆ ابن الأميوطي قاضي الكرك : محمد بن أحمد أمير سلاح بكتاش .

الأمشاطي :

☆ الأديب : أحمد بن عثمان .

٣٣٩ - أناق *

الأمير سيف الدين الناصري ، أحد الأمراء بالديار المصرية ، تزوج ابنة الأمير سيف الدين أرغون النائب .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشري شهر رمضان سنة [ست]^(١) وثلاثين وسبع مئة ، وكانت زوجته قد توفيت قبله بشهر واحد .

الألقاب والأنساب

☆ ابن الأنباري شيخ المُستنصرية ببغداد : عبد الله بن أبي السعادات .

☆ الأندَرشي أبو العباس : أحمد بن سَعِدِ النحوي .

٣٤٠ - أنسُ بن كتبغا**

الملك المجاهد ابن السلطان الملك العادل كتبغا المنصوري .

كان مليح الشَّكل شجاعاً ، بطلاً في الحروب نفاعاً ، عليه مهابة ووقار ، وله جلالة الملك مع بعض افتقار . كان السلطان الملك الناصر يحبه ويعظمه ويُجلِّه

* الدرر : ٤١٦/١ .

(١) زيادة من (ق) يقتضيها السياق .

** الدرر : ٤١٧/١ .

وَيَقْدِّمُهُ ، وإذا حضر إليه قام لَهُ وَرَحَّبَ بِهِ ، وبالبِشْرَ قابله وأخذ بيده وأجلَسَه إلى جانبه ، ورتباً قَدَّمَ لَهُ بَعْضَ مراكبه ، إلا أَنَّهُ كَانَ قَدْ عَمِيَ ، وبرد حَظُّهُ بعدما حَمَى .
ولم يزل على حاله إلى أَن ابتلَعَهُ الجَدَثُ ، وأخذهُ مَا قَدَّمَ وَمَا حَدَثَ .
وتوفي رحمه الله تعالى في شهر المحرم سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة وقد تجاوز
الخمسين ، وكانت جنازته مشهودة ، ودفن بالقرافة في ^(١) تربتهم .

٣٤١ - أنص *

بفتح الهمزة والنون وبعدها صاد مهملة . الأمير سيف الدين النائب
بشعر بَهْسَنَى ^(٢) .

لَمَّا توجه الأمير بدر الدين أمير ^(٣) مسعود بن الخطير إلى نيابة طرابلس في نوبة
الأمير سيف الدين يلبغا اليَحْيَوِي رُسمَ للأمير سيف الدين أنص بنياية غزة ^(٤) مكانه ،
وحضر إليه مَنْ أَخَذَهُ مِنْ بَهْسَنَى وتوجَّه به إلى غزة ^(٤) ، ثم إنه طَلَبَ عَقِيبَ ذَلِكَ إلى
مصر في جُمَادَى الأولى والآخرة وشهر رجب سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، فأقام قليلاً
وجلس في جُمْلَةِ أمراء المَشُور ، ثم عاد إلى غَزَّة مَقْدَمَ عسكر ، على عادة نَوَاهِيَا .
ثم إنه رُسمَ له بالتوجه إلى قلعة الروم ^(٥) نائباً في ذي الحجة سنة ثمان وأربعين ،
فتوجَّه إليها وأقام بها إلى أَن سكنت حركته وذهبت من عمره بركته .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء ثاني ذي الحجة سنة خمسين وسبع مئة .

(١) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (ق) .

* الوافي : ٤٢٤/٩ ، والدرر : ٤١٨/١ ، والنهل الصان : ١٠٤/٣ .

(٢) من أعمال حلب . معجم البلدان : ٥١٦/١ .

(٣) ليست في (خ) .

(٤) ما بين غزة وغَزَّة سقط من (خ) .

(٥) في الوافي : « قلعة المسلمين » ، وكذا في النهل ، وهي تقع جنوب غرب الفرات ، من جند قنسرين ،

سميت بذلك لما فتحها الملك الأشرف خليل بن قلاوون . صبح الأعشى : ١٢٠/٤ .

وكان شيخاً طَوَّالاً ، وَجْهُهُ بِجُمْرَتِهِ وَبَيَاضٍ شَبِيهِ يَتَلَلَا ، عَظِيمُ الْحَرَمَةِ ، كَانَهُ هِمٌّ وَهُوَ شَهَابُ الْهِمَّةِ ^(١) ، فَسَبَحَانَ مِنْ خَرَبَ جِسْمَهُ وَأَذْهَبَ رَسْمَهُ .

٣٤٢ - آنوك *

بألف ممدودة مفتوحة ، ونون مضمومة ، وواو ساكنة ، وكاف : ابن محمد بن قلاوون هو سيف الدين ابن السلطان الملك الناصر ابن الملك المنصور من الخوندية طُغَيَايَ الْآتِي ذَكَرَهَا فِي مَكَانِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

لم يكن عند أبيه أعزُّ منه على كَثْرَةِ أَوْلَادِهِ ، وَهُوَ أَحْسَنُ الْإِخْوَةِ ، كَانَ أَخُوهُ النَّاصِرُ أَحْمَدُ وَالْمَنْصُورُ أَبُو بَكْرٍ وَإِبْرَاهِيمُ أَكْبَرُ سِنًا مِنْهُ ، وَهُوَ وَحْدَهُ أَمِيرُ مِئَةِ مَقْدَمٍ أَلْفٍ ، وَالْبَاقُونَ أَمْرَاءُ أَرْبَعِينَ ، وَكَانَ يَحْمِلُ رَنْكَ جَدِّهِ الْمَنْصُورِ .

وَزَوْجُهُ السُّلْطَانُ وَهُوَ ابْنُ عَشْرٍ سَنِينَ أَوْ دُونَهَا بِنْتُ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ بَكْتُمُرِ السَّاقِي ، وَكَانَ لَهُ عُرْسٌ عَظِيمٌ لَيْلَةً ^(٢) الْجُمُعَةُ حَادِي عَشَرَ شَعْبَانَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعَ مِئَةِ خَصْرَةَ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ تَنْكَزَ نَائِبُ الشَّامِ ، وَالْأَمِيرُ سَيْفِ الدِّينِ طِينَالُ ^(٣) نَائِبُ طَرَابُلُسَ فِيمَا أَظُنُّ ، وَنَصَبَ الْأَمِيرُ سَيْفِ الدِّينِ قَوْصُونَ صَارِيئِينَ فِي الرَّحْبَةِ قَدَّامَ الْإِيوَانِ ، عَلَيْهِمَا أَنْوَاعٌ مِنَ الصُّورِ وَالْبَارُودِ وَالنَّفْطِ غَرِمَ عَلَيْهِمَا ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَاجْتَمَعَ الشَّمْعُ بِالنَّهَارِ فِي الْإِيوَانِ مِنْ قَبْلِ الظَّهْرِ ، وَعُرضَ عَلَى السُّلْطَانِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ عَلَى الْمِصْطَبَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَأَنُوكَ عَلَى الْمِصْطَبَةِ الْأُخْرَى ، وَإِذَا عَرَضَ الْأَمِيرُ الشَّمْعَ الْمُخْتَصَّ بِهِ بَاسَ الْأَرْضِ وَبَاسَ يَدِ السُّلْطَانِ ثُمَّ يَبُوسُ يَدَ أَنُوكَ فَعَلِ ذَلِكَ أَرْبَعَ خَمْسَ مِرَارٍ ^(٤) ، ثُمَّ مَنَعَ السُّلْطَانُ مِنْ بُوسِ يَدِ أَنُوكَ ، وَلَمْ يَزَلِ الشَّمْعُ يُعْرَضُ إِلَى بَعْدِ الْمَغْرَبِ ، وَلَمْ يَكْمَلْ عَرْضُهُ ، وَكَانَ مَهْمًا عَظِيمًا .

(١) الْهِمُّ وَالْهِمَّةُ : الشَّيْخُ الْفَانِي .

* الْوَاقِي : ٤٣١/٩ ، وَالْدَرَرُ : ٤١٨/١ ، وَبَدَائِعُ الزَّهْوَرِ : ٤٧٧/١/١ ، وَلِلنَّهْلِ الصَّافِي : ١٠٨/٣ .

(٢) (خ) : « يَوْمٌ » .

(٣) لَمْ يَذْكُرْهُ صَاحِبُ النَّهْلِ فِيمَا قَتَلَهُ عَنِ الصَّفْدِيِّ .

(٤) فِي النَّهْلِ : « فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ أَوْ أَرْبَعَ أَمْرَاءَ » .

ورأيتُ أنا أبا العَرُوس وهو الأمير سيف الدين بَكْتُمَر السَاقِي وقد شَدَّ وَسْطَه وفي يده عَصَا ، لا لآلئه أبو العروس ، بل لآلئه عرسُ ابن أستاذِه ، ورأيتُ الجَهَازَ لَمَّا حُمِلَ من دار أبي العَرُوس التي على بَرْكَةِ الفيل ممدوداً على رُؤُوس الحَمَّالين ، وكان ثمانِي مئة حَمَّال وستة وثلاثين قطاراً^(١) ، غير الحَلِيِّ والمصاغ والجواهر ، وسيأتي ذكر ذلك في ترجمة بَكْتُمَر في حرف الباء . ولَمَّا صعدوا الشَّوَار^(٢) المذكور دخل السُلْطَان ورآه^(٣) فما أعجبه ، وقال : أنا رأيتُ شَوارَ بنتِ سَلَّار وهو أكثر من هذا وأحسَنُ ، على أن هذا [يا أمير]^(٤) ما يقابل به آنوك ، والتفت إلى الأمير سيف الدين طُقَزْتُمَر والأمير سيف الدين أَقْبُغا وقال : جَهْزاً بنتيكما ، ولا تتخاساً مثل الأمير .

قلت : أخبرني المهذَّب كاتب بكتمر أن الذهب الذي دخل في الزَّرْكَش والمصاغ ثمانون قنطاراً ، يعني بالمصري . وكان القاضي شرف الدين^(٥) ناظر الخاص كاتب آنوك ، والأمير سيف الدين الطَّنْقَشُ^(٦) أستاذار السُلْطَان أستاذ داره .

وأخبرني من لفظه شرف الدين النشو ناظر الخاص قال : الذي تحت يدي لسيدي آنوك ، ويد خزنداره ست مئة ألف دينار غير ماله تحت يدي من المتاجر في جميع الأصناف .

وكان إخوته الكبار يركبون وينزلون في خدمته ويخلع عليهم ويعطيهم .

وَصِفَ له ابن قيران الأعمى وهو من أهل القاهرة يلعب الشطرنج عاليّة ، فعجب منه وأحضره ولعب قدامه فأعجبه وأثنى عليه ، فقال له يا خوند : لأي شيء ما تلعب

(١) في المنهل : « قطار بغال » .

(٢) الشوار : متاع العروس وزينتها . وفي المنهل : « مدوا الشوار » .

(٣) في الوافي والمنهل : « رآه » .

(٤) ثابتة في (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٥) (خ) : « شرف الدين النشو » .

(٦) سلفت ترجمته .

الشطرنج ؟ فقال : الملوك ما يصلح لهم الشطرنج [حسام الدين لاجين ما قُتل إلا وهو يلعب الشطرنج]^(١) .

وكان كثير الميل إلى اقتناء الأبقار والأغنام والإوز والبط ، وما أشبه ذلك . سمعته وهو يقول لمجد الدين رزق الله^(٢) أخي النشوّ : والله يا رزق الله أنا أحبّ البقر أكثر من الخيل .

وكان كثير الحركة سريع التنقل ماله قرار على الأرض ولا لبث ، وجَدَر^(٣) فتغيّرت محاسنه .

وتوفي قبل والده بما يقارب نصف سنة ، ووَجِدَ عليه وَجْداً كثيراً وذلك في سنة أربعين وسبع مئة .

وكان رحمه الله تعالى ذا صورة تروي الأقمار المحاسن عنها ، ويستمد النهار ضياءه منها ، لم تر عيني مثل حلاوة عينه المجدبة ولا مثل امتداد حواجبه المقوسة - واحتجت لأجل السجع أن أقول : المجدبة - ولا وقع ناظري على مثله في أولاد الأتراك ، ولا دارت في عصره على مثله الأفلاك ، كأنّ محاجره أثّر ظفر في تفاحة ، ونكهته شذا زهرات نقّاحة ، يئسم عن دُرّ صدفه مرّجان ، ويسيل سالفه مسكاً ضمه من كافور خديه مرّجان . إذا خطا قلت : هذا غصن بان ، يمس من أردافه على كثران ، تعلوه مهابة الملك وبهاؤه ، وتلوح عليه عظمته - على صغرسنه - وسناؤه ، هذا إلى شكل قد أتم الله خلقه ، وزينه لما لطّف^(٤) خلقه .

كان جسمه من الزيد مجمّد ، وكال جماله من رآه صلى على محمد ، رأيت ليلة وقد

(١) زيادة من (خ) ، (ق) ، والوافي ، والمنهل .

(٢) ابن فضل الله ، وستأتي ترجمته .

(٣) في الأصل : « وجد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

(٤) مطموسة في الأصل .

أمر السلطان للنشوء أن يعمل له مولداً للنبي ﷺ ويجمع له الفقراء بعد الختم في جامع القلعة فصنع له ذلك [وجاءت مشايخ الصوفية، وعملوا ساعاً على باب دور السلطان ، والنشوء واقف ، وذلك ^(١) في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، ووقف أقبغا عبد الواحد والطنقش الأستاذدار في خدمته طول تلك الليلة ، ودخل هو ورقص ، وحكاه البدر فزاد هو والبدر نقص ، ما خطر إلا وبانت ^(٢) خجلة الأغصان ، ولا تشنى إلا وقُلت : هذا قضيب النقا وأوراقه القمصان ، ورقص إخوته جملة معه . ونظرهم الناس فقالوا : هذه كواكب السماء مجتمعة ، ولم ينم تلك الليلة فرحاً بما رآه ، ولا استقر على الأرض لِمَا فارقه من الحجر عليه ونآه .

وخلع في تلك الليلة على جماعة المغاني ^(٣) والذين قرؤوا القرآن والسبع المثاني ، ونقط بجمل من الذهب ، وفاق الريح لما جاء ووهب ، وكانت ليلة ما عهد الناس مثلها في عصرهم ولا رأوه ذاك الوقت في مصرهم . ولكنه تجدد قبل موته بقليل ، وتحدث ذاك الحب اللؤلؤي على خده الأسيل . فأطلع الله النجوم على صفحة البدر ، وضم ذاك الجوهر على وجهه وكأنه ^(٤) حلي نثر في صدر ، فقيرت من محاسنه شيئاً ، ونسخت من ظلها شيئاً ، ولكن معالم جماله ^(٥) كما هي ، وتخطيط وجهه للشموس والأقمار تضاهي . ولما توفي رحمه الله تعالى وجد أبوه عليه وجداً عظيماً ، وكنتم حزنه وأسفه عليه حتى راح كظيماً ، ونثر عليه عقد دموع كان في عينيه نظيماً .

وقلت أنا فيه :

مضيت وكنت للدينا جالاً وجرعت الكواكب فيك فقذك
ومن عجب الليالي فيك أن لا يموت أبوك يا آنوك بعذك

(١) مابين حاصرتين سقط من الأصل ، وهو ثابت في (خ) ، (ق) .

(٢) (خ) : « إلا ورأيت » .

(٣) (ق) ، (خ) : « الأغاني » .

(٤) (خ) ، (ق) : « فكأنه » .

(٥) في الأصل : « جمالي » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، وفي (خ) : « وجهه » .

وكان ذلك منّي كِهانة في حقّه ، ولم يكمل من السنة نصفها حتى لحقّه ، وصرفه صرف الزمان ^(١) فيما احتاج إليه من النفقة .

٣٤٣ - أوتامش *

الأمير سيف الدين الأشرفي .

كان مملوك الأشرف خليل ، ولآه الملك الناصر نيابة الكرك ، وكان يَرْكَن إلى عقله ويستسيه الحاج ، وأرسله غير مرّة إلى القان بوسعيد ، وتوجه مرّة بطلبه وطبلخاته ^(٢) إلى تلك البلاد ، وكان أولئك القوم يعظّمونه أيضاً ويَرْكَنون إلى عقله لأنه كان يعرف بالمغلي لساناً وكتابةً ، ويذرب آداب المَغُل ويحكم في بيت السلطان [بين الخاصكية] ^(٣) بالياسة واليسق ^(٤) الذي قرره جنكزخان [ويعرف ستره جنكزخان] ^(٥) ويطالعها ويراجعها ، ويعرف بيوت المغل وأنسابهم وأصولهم ، ويستحضر توارينهم ووقائعهم ، وكان إذا جاء من تلك البلاد كتاب إلى السلطان بالمغلي يكتب هو الجواب عنه ^(٥) ، وإذا لم يكن حاضراً كتبه الأمير سيف الدين طابيربغا خال السلطان ^(٦) .

أخبرني مَنْ أثق إليه عن الأمير سيف الدين الحاج أرقطاي - وكان يدّعي أنه

(١) في الأصل : « الدين » ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) .

* الوافي : ٤٤٠/٩ ، والدرر : ٤٢٣/١ ، والمنهل الصافي : ١١٢/٣ ، وفيه في آخر ترجمته : « وقيل إن اسمه أرتامش » بالراء .

(٢) زيادة ثابتة في : (ق) ، والوافي ، والمنهل .

(٣) عبارة الوافي : بين الخاصكية باليسق . واليسق أو اليزق : كلمة مغولية تعني السياسية ، وهي قوانين وضعها جنكزخان ، وقررها من ذهنه ، رتب فيها أحكاماً ، وحدد فيها حدوداً ، وسميت ألياسة الكبرى . وألياسة : تعني القانون في المغولية .

(٤) زيادة من (ق) .

(٥) (ق) والوافي : « عنه بالمغلي » .

(٦) عبارة الوافي : « نسيب السلطان » ، وكذا في المنهل . وطابيربغا توفي سنة (٧٣٨ هـ) . (حاشية المنهل) .

أخوه - قال : كنت ليلة أنا وهو نائمين في الفراش وإذا به قال : أرقطاي لا تتحرك ، مَعْنَا عَقْرَب ، ولم يزل يُهِمُّهُم بِشَفْتَيْهِ ، وقال : قَمْ ، فَقُمْنَا فوجدنا العقرب قد ماتت ، وكان يعرف رُقَى كثيرة منها ما يقوله على العقرب وهي سارحة فموت ، ومنها رُقِيَّة لوجع الرأس . وكان مُغَرَّى بلعب النرد .

أخرجه السلطان إلى صفد نائباً^(١) عن الحاج أرقطاي في سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، فتَوَجَّه إليها وأحسن إلى أهلها ، ووقع بينه وبين الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام .

ولم يزل فيها على حاله إلى أن عطلت حواسه ، وبطلت أنفاسه .

وتوفي رحمه الله تعالى في أواخر سنة سبع وثلاثين وسبع مئة - فيما أظن - ودفن في تربة الحاج أرقطاي ، جوار الجامع الظاهري بصفد .

وكان مشهوراً بالخير ، والسكون الذي لا يرتاع معه الطير ، صاحباً لصاحبه في السرَّاء والضرَّاء ، مالكاً قَلْبَ مَنْ يعرفه بخلائقه الزَّهْرَاء ، ولكنه كان يُنَكِّدُ عَيْشُهُ وَيُشَارُ طَيْشُهُ بِوَجَعِ المفاصل الذي يعتريه ، وتَطَوَّل مدته حتى يقول :

أَلَا مَوْتُ يَبَاعُ فَاشْتَرِيهِ

(٢)

وهو الذي تَوَجَّه إلى دمر تاش وأحضره من البلاد الرُّومِيَّة ، على ماسياتي في ترجمته .

☆ الأُوحد بن الزاهر : شادي ، وولده الأمير صلاح الدين يوسف ، وولده علي بن يوسف .

(١) (ق) ، والوافي : « نائباً عوضاً » .

(٢) صدر بيت ارتجله المهلبى الوزير ، وعجزه : « فهذا العيش ما لا خير فيه » انظر الخبر مفصلاً في أخبار المهلبى في يتيمة الدهر : ٢٢٤/٢ .

٣٤٤ - أَوْرَان *

بَفَتْحُ الْهَمْزَةِ ، وسكون الواو ، وبعدها راء وألف ونون ، سيف الدين الحاجب بدمشق .

أنشأه الأمير سيف الدين بكتر الحاجب ، ثم إن الأمير سيف الدين تنكز أحبه وقربته وأعطاه عشرة وإمرة طبلخاناه ^(١) ، وجعله حاجباً بدمشق . ولم يزل عنده مكيناً إلى أن جرى له ماجرى مع قطلوبغا الفخري - على ماسياتي ذكره إن شاء الله تعالى في ترجمة الفخري - فaghرف عنه وأبغضه وأبعده .

ولم يزل على ذلك إلى أن أطفأ الله مصباحه ، ولم يطلع للحياة صباحه .
وتوفي رحمه الله تعالى - فيما أظن - سنة ثلاث وثلثين وسبع مئة .

وكان قد لبس للإمرة في سنة ست وعشرين وسبع مئة ، وتوجه إلى ولاية الولاية بالقبلية .

٣٤٥ - أَوْرَان **

الأمير سيف الدين السلاح دار ، أحد ^(٢) مقدمي الألوف بدمشق .

ولم يزل على حاله إلى أن ضمت أوران الأرض أوران ، ولم يعد لمائه في ^(٣) الحياة فَوْرَان .

وتوفي رحمه الله تعالى في طاعون دمشق ، في شهر رجب الفرد سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

* الوافي : ٤٤١/٩ ، والدرر : ٤١٩/١ ، والمنهل الصافي : ١١٤/٣ ، وفيه أوران ، ضبط قلم بضم الهمزة .

(١) في المنهل : « وأنعم عليه بإمرة عشرة ، ثم طبلخاناه بدمشق » .

** الوافي : ٤٤٢/٩ وفيه وفاته (٧٣٣ هـ) ، والدرر : ٤١٩/١ ، والمنهل : ١١٣/٣ .

(٢) في الأصل : « إحدى » سهو ، وأثبتنا ما في : (ق) ل والوافي .

(٣) في الأصل : « بعد » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، وهي أولى .

٣٤٦ - أولاجا*

بضمّ الهمزة ، وسكون الواو ، وبعدها لام ألف وجيم وبعدها ألف : الأمير سيف الدين .

كان هو وأخوه الأمير زين الدين قَرَاجَا^(١) في أيام الملك الصّالح إسماعيل حاجبَيْن بمصر ، والنائب شمسُ الدين أَقْسُنُقَر السِّلَارِي المَقْدَم ذكره ، والأمير سيف الدين يَنْعَرَا الآتِي ذكره إن شاء الله تعالى في مكانه من حرف الباء ، فَوُثِي بهم إلى السُّلْطَان ، ونُسِبوا إلى أنهم في الباطن مع الناصر أحمد ، وربّما أنهم يَكاتبونه ، فَأُسْكُوا جميعاً في أول سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، وقضى الله أمره في النائب ، وبقي البقيّة ، فشفع فيهم الأمير طُقْزَنَر^(٢) نائب الشام ، فَأُفْرِجَ عنهم في شهر رجب الفرد سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، وتُرِكَ^(٣) الأمير سيف الدين ، وَجَهَّزَ أولاجا وأخوه إلى دمشق ، فأقاما بها بطّالين إلى أن توفي للملك الصّالح رحمه الله تعالى ، وتولى المُلْكُ الكاملُ شعبان ، فَأُعْطِيَ أولاجا طبلخاناه ، وَجَهَّزَ إلى حمص نائباً ، فأقام بها مدّة ، ثم نُقِلَ إلى نيابة غَزّة ، وفي تلك الأيام بَرَزَ يَلْبُغا اليحيوي نائبُ الشام إلى الجسورة ، وخرج على الكامل وحضر إليه نائبُ حمص ونائبُ حماه ، ونائبُ طرابلس ونائبُ صفد ، والأمير سيف الدين أولاجا طَلَبَتْهُ فلم يحضر إليه ، وأقام في غزّة إلى أن خلع الكامل ووُلِّي المظفر حاجي فَرَسَمَ لأولاجا بالعود إلى حمص نائباً ، فأقام بها .

ولما خرج يلبغا ثانياً^(٤) على المظفر سَيَّرَ إليه وطلّبه فدافعه ومأطله ، ولم يحضر إلى أن انفصلت القضية وأمسك الأمير سيف الدين يلبغا ، ورَسِمَ للأمير سيف الدين

* الوافي : ٤٥٤/٩ ، والدرر : ٤١٩/١ ، والمنهل الصافي : ١١٥/٣ .

(١) في الأصل : « قرا » ، سهو ، وستأتي ترجمته .

(٢) (ق) ، (خ) ، والوافي : « سيف الدين طقزتر » .

(٣) في الأصل : « ونزل » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) ، والوافي .

(٤) في الأصل : « نائباً » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) .

أرغون شاه بنيابة الشام ، ورسم لأولاجا بنيابة صفد ، فتوجّه إليها في أوائل شهر رجب الفرد سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وكان قد تعلّق به وَخَمٌ عظيم من حمص فزاد ضَعْفُهُ بصفد ، وطلب طبيباً من دمشق ، فجَهَّزَ إليه وعالجه وتماثل من الضعف ، ثم إنه نقض عليه الوَخَمَ الحمصي ، فتعلّل ، ولم يزل إلى أن أولج أولاجا في الأرض ، وسكنها إلى يوم العَرَض .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

وأوصى إلى ثلاثة : دوا داره ، وأستاذ داره ، وآخر من مماليكه ، وجعل الناظر عليهم الأمير سيف الدين أرغون شاه نائب الشام ، وباشر هذه النيابات الثلاث مباشرة حَسَنَ فيها الثناء عليه ، وأهديت أنواع الشكر من الأنام إليه ، عفافاً وأمانة وخبرة تامة وديانة ، وعدلٌ في قضاياه وصيانه ، لم يتعرض إلى أموال الرعايا ولم يتغرّض أحداً فيُضيه في الرمايا ، وتأسف عليه أهل البلاد وودوا لو دام لهم بقاؤه ولو كانوا معه في جدالٍ وجلاد . وقَدِمَ على ربّه وترك أودّاءه ، وعَدِمَ شخصه وأبقى ثنائه .

٣٤٧ - أولاق *

الأمير سيف الدين ، كان من جملة أمراء دمشق يسكن فوق المدرسة الشامية البرانية ، وكان قد تزوج ابنة الأمير سيف الدين كوكنجار^(١) ولم يدخل بها . وتوفي رحمه الله تعالى في خامس عشري شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بسفح قاسيون .

٣٤٨ - أيّاز **

بفتح الهمزة ، وبعدها ياء آخر الحروف ، وبعد الألف الثانية زاي : الأمير فخر الدين السلاح دار .

* الدرر : ٤١٩/١ .

(١) ستأتي ترجمته .

** الوافي : ٤٥٩/٩ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٨٩ ، والذيل التام : ١١٠ ، والدرر : ٤٢٠/١ ، والنجوم =

أظنه كان في مِصْرَ قبل خروجه إلى الشام من بعض مُشَدِّي العِباءِ^(١) السُّلْطَانِيَّة ، ثم إنه خَرَجَ في حَيَاة السُّلْطَان إلى طرابلس أَمِيرَ عَشْرَةٍ ، ثم نُقِلَ إلى دِمَشْقَ على عَشْرَةٍ في أَوَاخِرِ أَيَّامِ الأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ تَنْكَزَ ، فَأَقَامَ بِهَا إلى أَنْ تَوَجَّهَ صُحْبَةً الْعَسَاكِرِ إلى مِصْرَ مع الفَخْرِيِّ ، فَرُسِمَ لَهُ هُنَاكَ بِأَمْرَةِ طَبْلَخَانَاهُ ، وَحَضَرَ عَلَيْهَا إلى دِمَشْقَ . ثُمَّ إِنَّهُ وَلِيَ شَدَّ الدَّوَاوِينَ بِالشَّامِ عَوْضاً عَنِ الأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ يَنْجِي^(٢) السِّلَاحَ دَارَ ، وَبَاشَرَهُ جَيِّداً بِمُجْرَمَةٍ وَمَهَابَةٍ .

ثُمَّ إِنَّهُ عُزِلَ فِي أَيَّامِ الأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ طَقْرَمَرٍ وَصَارَ حَاجِباً ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ إلى أَنْ تَوَفَّى الأَمِيرُ سَيْفِ الدِّينِ أَلْمِشَ أَمِيرَ حَاجِبِ المَقْدَمِ ذَكَرَهُ فِي أَيَّامِ الأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ يَلْبَغَا الْيَحْيَوِي ، فَوَلَّى الْحُجُوبِيَّةَ الْكُبْرَى وَأَحْبَهُ يَلْبَغَا ، وَصَارَ حَظِيئاً عِنْدَهُ لَا يَفَارِقُهُ سَفَرًا وَحَضْرًا^(٣) .

وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ إلى أَنْ طَلَبَهُ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ حَاجِبِي إلى مِصْرَ ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا ، وَنَزَلَ عِنْدَ الأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ أَلْبَيْغَا الْخَاصَكِيِّ المَقْدَمِ ذَكَرَهُ ، وَرُسِمَ لَهُ بَنِيَابَةٌ صَفْدَ ، فَوَصَلَ إِلَيْهَا وَأَقَامَ بِهَا ، وَبَعْدَ حُضُورِهِ^(٤) إِلَيْهَا بِقَلِيلٍ خَرَجَ يَلْبَغَا عَلَى الْمُظْفَرِ ، وَجَرَى لَهُ مَا يَأْتِي ذَكَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي تَرْجُمَتِهِ ، وَهَرَبَ ، فَرُسِمَ لِلأَمِيرِ فَخْرِ الدِّينِ بِأَنْ يَرْكَبَ خَلْفَهُ ، فَحَضَرَ بِعَسْكَرِ صَفْدَ إلى دِمَشْقَ وَتَوَجَّهَ بِهِمْ وَبِعَسْكَرِ دِمَشْقَ إلى حِمَصَ ، وَأَقَامَ عَلَيْهَا . وَلَمَّا أُمْسِكَ فِي حِمَاةِ عَادَ بِالعَسْكَرِ وَتَوَجَّهَ إلى صَفْدَ ، وَرُسِمَ لَهُ بَنِيَابَةٌ حَلَبَ فِي شَهْرِ جُمَادَى الآخِرَةِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ تَوَجَّهَ^(٥) إِلَيْهَا وَأَقَامَ بِهَا .

= الزاهرة : ٢٤٥/١٠ ، وللهنل الصافي : ١١٩/٣ .

(١) مشد العباء : هو من يشرف على إعمار البيوت . زغل المناصب : ١٧٥ .

(٢) في الأصل ، و (ق) : « ينجي » ، تصحيف ، ويتأني ترجمته .

(٣) (ق) ، (خ) ، والوافي : « ولا حضرا » .

(٤) (خ) : « وصوله » .

(٥) (ق) : « فوجه » ، (خ) : « فتوجه » .

ولما كانت أول دولة الملك الناصر حسن حضر إليه الأمير ركن الدين عمرشاه^(١) يطلبه إلى مصر على البريد مُخَفّاً ، فقابل ذلك بالطاعة ، فلما كان في الليل بلغ عمرشاه أنه ربما قد عَزَمَ على العصيان ، فأرَكَبَ الأمراء والعسكر الحلبي وأحاطوا بدار النيابة ، فلما أحسَّ بهم خَرَجَ إليهم وسلَّم سيفه بيده إلى عمرشاه وقال : أنا مملوكُ السُّلطان وتحت طاعته الشريفة ، فأمسكوه وقيّدوه واعتقلوه بقلعة حلب ، وطولع السُّلطان بأمره ، وكان ذلك في العشر الأوسط من شوال سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وأحضره^(٢) الأمير سيف الدين بلُجَك^(٣) إلى قلعة دمشق مكبلاً بالحديد ، فأقام بها معتقلاً في القلعة أياماً يسيرة ، ثم إنه طُلِبَ إلى مصر^(٤) ولما وصلها جُهِزَ إلى الإسكندرية .

وحكى لي من أثق به أنه لما وصل إلى دمشق أدخله الأمير سيف الدين أرغون شاه إليه في الليل فقال له : والله يا خوند رأيت في الطريق فلاحاً يسوق حماراً أعرجَ معقوراً وهو في أنحس حال فتمنيتُ لو كنتُ مثله [فَرَّقَ له]^(٥) .

ولم يزل معتقلاً بالإسكندرية إلى أن أُفْرِجَ عنه وجُهِزَ إلى دمشق ليتوجّه إلى طرابلس وقيم بها بطالاً ، فوصل في خامس عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وسبع مئة . وفي أوائل جمادى الأولى أعطي طَبْلُخاناه سُنقر الجُمالي بها ، ثم إنه نُقِلَ إلى دمشق فأقام بها ، وأخذت المراسلات تدور^(٦) بينه وبين الأمير سيف الدين الجبيغا نائب طرابلس إلى أن جرى ماجرى منه ومن الجبيغا ، على ما تقدم في ترجمة الجبيغا . وهرب من دمشق مع الجبيغا ، ولما أمسك الجبيغا فارقه أياز وانفرد عنه في ثلاثة أنفار من مماليكه ، فأمسكه ناصر الدين ابن المعين وبعضَ أجناد بعلبك في قرية العاقورة

(١) عمرشاه التركي (ت ٧٧١ هـ) ، الدرر : ١٩٨/٣ .

(٢) (خ) : « وأحضر » .

(٣) كان حيّاً سنة (٧٥٢ هـ) ، ولم يذكر الصفدي وفاته . الوافي : ٢٨٥/١٠ .

(٤) انظر : البداية والنهاية : ٢٢٥/١٤ .

(٥) زيادة من (خ) ، (ق) ، والوافي .

(٦) ليست في (خ) ٩ .

وقد لبس لبسَ الرهبان ، وأحضره إلى بعلبك فقيّدوه ودخلوا به القلعة ، ولما بلغ الخبر
العسكر الشامي أخذوه من بعلبك وجاؤوا به إلى دمشق هو والجبيغا مكبلين في الحديد
وجرى لهما ما جرى ، ووسّطوه في سوق الخيل بدمشق هو وأجبيغا على ما تقدّم في ترجمة
أجبيغا ، وجزع جزءاً عظيماً وهلع وذل وخضع ، وأخذ سكيناً من واحدٍ كان واقفاً إلى
جانبه وأراد يذبحُ بها نفسه أو يجرح غيره فأعجلوه وضربوه بالسيف ، ووسّط فخاض
السيف في أحشائه واستقى نفسه من قليب قلبه برشائه ، وذلك في شهر ربيع الآخر
سنة خمسين وسبع مئة .

وقلت فيه :

لما أنار أيّاز في أفق العُلا خمدت سريعاً لامعات غلّوه
ببالأمس أصبح نعمة لصديقه واليوم أمسى رحمة لعدوه

وكان رحمه الله تعالى جيداً في حق أصحابه ، مثابراً على تقديمهم قرحاً بهم في رجا به
يبدل مهجته دونهم قبل ماله ، ويجتهد في حق كل منهم حتى يصل إلى بلوغ أماله .
وأحبّه أهل حلب كثيراً ووجدوا به فرش أيامه وثيرا ، لأنه عاملهم بلطفٍ زائد ولين
جانب وخضوع قرنه بجود ، لم يرّد أحد^(١) منهم وهو خائب ، إلا أنه تحامل على أرغون
شاه وزاد ، وغدر به وكاد ، وبعض من اطلع على باطن أمره بسّط عُذره ، والله تعالى
يتولّى ظاهر أمره وسره .

٣٤٩ - أَيَّاس *

الأمير فخر الدين الشمسي مملوك الأمير شمس الدين سنقر الأعسر الآتي ذكره إن
شاء الله تعالى في مكانه .

كانت له معرفةٌ ودُرْبَةٌ ، وقوّة نفسٍ يعدّها أن الناس من رَجَلٍ والأرض من

(١) (خ) : « لم يرّد أحداً » .

* الدرر : ٤٢٠/١ .

تربته ، وحزم يؤديه إلى أن الإنسان كيفما كان فهو في دار غربه ، فلهذا عمل شدّ الدواوين وما حلّ ، وفعل فيه ما حَرَّمَ وما حَلَّ . ثم إنه عَزَلَ وتوجه إلى طرابلس ، وكان فيها مَضَرَعَه ، وترك من دمشق مَرْبَعَه ومَرْتَعَه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

وكان نائباً بقلعة الروم ، ثم نقل منها إلى حِمَاة ، ثم إنه رَسِمَ له بشدّ الدواوين بدمشق ، فوصل إليها وباشر ذلك عوضاً عن الأمير زين الدين كَتَبَغا في شهر رمضان سنة عشر وسبع مئة ، وصلى الجمعة بالخلعة مع نائب دمشق في المقصورة ، ولم يزل به إلى أن عَزَلَ الأمير سيف الدين طوغان .

جاء من القاهرة في ثالث عشر صفر سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وفي ذي الحجة توجه الأمير فخر الدين ألياس المذكور من دمشق إلى طرابلس ليكون بها مقيماً في جملة الأمراء ، وعزل من شدّ الدواوين بدمشق .

٣٥٠ - أَيَان *

بفتح الهمزة ، والياء آخر الحرف ، وبعد الألف نون : الأمير سيف الدين السّاقِي الناصري .

كان أميراً بمصر يَسْكُنُ حِكْرَ جَوْهَرِ النُّوْبِي^(١) ، اشترى دارَ الأمير شرف الدين حسين بن جُنْدَرْبِك^(٢) ، ولما عاد أمير حسين إلى القاهرة أراد ارتجاعها ، فدخل أَيَان على الأمير سيف الدين بَكْتُمَرِ السّاقِي فنعه منها ، وكان السُّلْطَان قد رَسَمَ بإعادتها ، ثم

* الوافي : ٤٦٨/٩ ، والدرر : ٤٢١/١ ، والمنهل الصافي : ١٢٦/٣ .

(١) حكر جوهَر النُّوْبِي : نسبة إلى جوهَر أحد الأمراء في الأيام الكملية ، وكان تجاه الحارة الوزيرية من بر

الخليج الغربي . (الخطط ١١٨/٣ ، عن حاشية المنهل) .

(٢) توفي سنة (٧٢٨ هـ) . الوافي .

إنه أخرج^(١) إلى دمشق أميراً ، فكث بها مدة . ثم إن قوصون طلبه إلى مصر بعد خلع المنصور ، فتوجه إليها ، ولما جرى لقوصون ما جرى عاد إلى دمشق حاجباً صغيراً ، وعظم إلى أن توجه إلى حمص نائباً ، وأقام بها قريباً من تسعة أشهر ، ثم عزل بالأمير سيف الدين قطلقتمر الخليلي^(٢) ، وتوجه أيان الساقى إلى غزة نائباً ، فتوجه إليها مكرهاً ، وأقام بها مدة شهر أو أكثر ، ومرض مدة اثني عشر يوماً فكان بها أيان وفاة أيان ، وأصبح خبراً بعد العيان ، وحمل إلى القدس ودفن به .

وكانت وفاته في ثالث شهر رجب سنة ست وأربعين وسبع مئة .

وكان شديد الوطأة والعبسة ، طويل النفس في الجلسة ، لا يراعي خليلاً ، ولا يحترم من كان جليلاً .

٣٥١ - أيك*

الأمير عز الدين التركي الحموي نائب السلطنة بدمشق ، تولاها بعد الأمير علم الدين الشجاعى في شوال سنة إحدى وتسعين وست مئة ، ثم إنه عزل عنها في سنة خمس وتسعين وست مئة ، وولى العادل مكانه مملوكه أغرلو^(٣) ، وأمسك بالقاهرة في ذي الحجة سنة سبع وتسعين وست مئة وجّهز إلى قلعة صرخد .

ثم إنه ولى نيابة حمص ، فوصل إليها وأقام بها شهراً واحداً إلى أن حم أمر الحموي ، ففقد نخبه ولحق من الأموات صحبه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وسبع مئة في عشرين شهر ربيع الآخر .

(١) (خ) : « خرج » .

(٢) ستأتي ترجمته .

* الوافى : ٤٧٧/٩ ، والتحفة : ١٩١/٢ ، والدرر : ٤٢٢/١ ، وللنهل الصافي : ١٣٢/٣ ، وعقد الجمان : ٣٤٠/٤ ، وفيات سنة (٧٠٣) ، والبداية والنهاية : ٣٠/١٤ .

(٣) في عقد الجمان : « غرلو العادلي » . وفي البداية والنهاية ، ٩٤/١٤ : غرلو بن عبد الله ، توفي سنة (٧١٩ هـ) .

وكان معروفاً بالشهامة ، موصوفاً بالحزم في الظعن والإقامة ، عنده انضاع ، وسكونٌ يألفه^(١) من الرضاع ، ولما توفي في حصن نقل إلى تربته^(٢) التي هي شرقي عَقَبَة دَمَر^(٣) .

٣٥٢ - أُيُبَيْك *

الأمير عز الدين الموصلي المنصوري نائب طرابلس .

كان مهيباً ذا وقار ، كَأَنَّ مَشْيِيَهُ خَلِيطٌ ثَلْجٌ وَقَارٌ ، مجاهداً في الفرنج والتتار ، مباعداً ما يُكْسِبُ الآثام والأوزار . سيرته جميلة ، وثناؤه يحكي نَفْسَهُ زَهْرَ خَيْلَةٍ . من خير أمراء دهره وأشرف أبناء عصره ، ولم يزل إلى أن أبعد الموصلي عن أحبابه ، وانفرد عن لِدَاتِهِ وأترابه .

وتوفي رحمه الله تعالى بطرابلس سنة ثمان وتسعين وست مئة .

أُيُبَيْك **

الأمير عز الدين الطويل المنصوري الخزندار .

كان أميراً دَيِّناً ، مُؤَهَّلاً لِلصَّلَاحِ مُعَيَّناً ، يواظب على التبكير إلى الجمعة ، ويواصل التبكير بالتهليل مع إرسال الدمعة ، تأمر على الحج غَيْرَ مَرَّةٍ ، ولم يظلم أحداً بعصمة الله مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ، طَعَنَ فِي سَنِّهِ ، وَكَمْ طَعَنَ فِي قِرْنِهِ ، ولم يزل على حاله بدمشق إلى أن مضى لِرَبِّهِ حَيِّداً ، وترك ﴿ مَا لَمْ يَمْدُوداً ، وَبَنِينَ شُهُوداً ﴾^(٤) .

(١) (ق) : « ألفه » .

(٢) (ق) : « تربته بدمشق » .

(٣) معجم البلدان : ٤٦٢/٢ . وفي عقد الجمان ، والمنهل : « غربي زاوية ابن قوام » .

* الوافي : ٤٧٨/٩ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٦ ، والمنهل الصافي : ١٣٣/٣ .

** الدرر : ٤٢٣/١ ، وعقد الجمان : ٤٤٧/٤ ، وفيات سنة (٧٠٦ هـ) .

(٤) المدثر : ١٢/٧٤ - ١٣ .

ووفاته رحمه الله تعالى يوم الأربعاء حادي عشر شهر ربيع الأول سنة ست وسبع مئة^(١).

٣٥٤ - أيك *

الأشكري الأمير عز الدين ، أحد الحجاب بدمشق .
كان من جملة أمراء الطبليخانات بها .
وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة أربع عشرة وسبع مئة .

٣٥٥ - أيك **

الأمير عز الدين الزويزاني الحجاب .
تجاوز السبعين ، وتوفي بقرية من قرى الساحل في مستهل شعبان سنة تسع وتسعين أو سنة سبع مئة .

٣٥٦ - أيك ***

الأمير عز الدين الرحالي ، يالحاء المهملة المشددة .
كان بنابلس أظنه والياً .
توفي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة أربع وسبع مئة ، وكان له أولاد ملاح فضلاء .

٣٥٧ - أيك ****

النجبي .

(١) في عقد الجمان : « ودفن بقاسيون » .

* الدرر : ٤٢١/١ .

** لم تقف على ترجمة له .

*** الدرر : ٤٢٢/١ .

**** الدرر : ٤٢٣/١ ، وعقد الجمان : ٢٠٥/٤ ، وفيات سنة (٧٠١) ، والبداية والنهاية : ٢٠/٢٤ .

الأمير عز الدين الدوادار .

كان أحد الأمراء ، وفرداً في الكبراء ، ولي البرّ فصدق في أقواله وبرّ ، فشكّرتُ سيرته وما سكّرت بل صحت ، وصحت سريرته ، ولم تطل مدة الولاية ، ولا امتدت به إلى غاية ، إلى أن خمدت جمرته ، وانجلت من خمار الحياة غمرته .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة إحدى وسبع مئة .

٣٥٨ - أيبك *

الأمير عز الدين الجمالي .

تولّى نيابة قلعة دمشق عوضاً عن الأمير سيف الدين بلبان البدر في ثامن عشر جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، ثم ورد المرسوم بأن يكون الأمير سيف الدين بهادر الشمسي أحد الأمراء بدمشق نائباً بقلعة دمشق ، ويكون الأمير عز الدين أيبك نائباً^(١) بالقلعة ، وذلك في شهر رمضان من السنة المذكورة . ثم إنه ورد المرسوم بأن يتوجه إلى نيابة الكرك في جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وسبع مئة ، فتوجه إليها وعوّض عنه في نيابة دمشق بالأمير سيف الدين بهادر الشمسي .

٣٥٩ - أيبك **

الأمير عز الدين المعروف بكرجي .

من كبار أمراء دمشق ومقدّمهم ، كان شجاعاً فارساً مقدّماً مجاهداً يحفظ أحاديث الجهاد .

توفي رحمه الله تعالى سنة سبع مئة .

* الدرر : ٤٢٣/١ .

(١) (ق) : « واليا » .

** لم تقف على ترجمة له .

٣٦٠ - أَيْبَكْ *

الأمير عز الدين المعروف بالبديوي الظاهري ، الجمدار المُشد على الأملاك
الظاهرية .

كان له فَهْمٌ ومَعْرِفَةٌ .

توفي بدار الحديث الظاهرية في ثاني عَشْرَيَّ المحرم سنة تسع وسبع مئة .

٣٦١ - أَيْتَمَشْ **

الأمير سيف الدين المحمدي .

كان أحدَ أمراء الطبلخاناه بدمشق ، وكان سكنه بظاهر دمشق بناحية مسجد
القصب ، وهو والد خليل الذي يأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

كان الأمير سيف الدين تنكز يكرمه وله عنده منزلة يرعاها .

وتوفي رحمة الله تعالى في يوم السبت سابع شهر رجب الفرد سنة ثلاث وثلاثين
وسبع مئة .

٣٦٢ - أَيْتَمَشْ ***

الأمير سيف الدين الأبو بكري الناصري .

كان أحد الأمراء العشرات بدمشق .

توفي رحمه الله تعالى في ثاني ذي الحجة سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

* الدرر : ٤٢٢/١ .

** الدرر : ٤٢٤/١ .

*** لم تقف على ترجمة له .

٣٦٣ - أَيْتَش *

بفتح الهمزة ، وسكون الياء آخر الحروف ، وتاء ثالثة الحروف ، وميم بعدها شين معجمة : الأمير سيف الدين الجُمُدار الناصري .

كان من ممالك الملك الناصر ، أُمْرَة طبلخاناه هو وستة أمراء في يوم واحد ، وكان هو والأمير ناصر الدين محمد بن أرغون النائب ^(١) ويُدمر البدري ، وذلك فيما يقارب سنة أربع عشرة ^(٢) وسبع مئة .

كان كثير السكون والأناة ، بعيداً من الشر والرداة ، وافر الحشمة والأدب ، حازم الرأي لا يقع في أمر يسوؤه فيه من عَتَبُ ، ليس فيه شرُّ أَلْبَتَه ، إذا رأى دَنَسَ عيبٍ قرصةً وحتّه ، يجود في موضع الجُود ، ويحفظ ما هو في يده موجود .

ولي الوزارة في أيام الصّالح إسماعيل ، ثم غَزَلَ منها ، وولي الحجوبيّة بالديار المصريّة ، وتزوَّج ابنته الأمير علاء الدين مُغلطاي أمير آخور - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف الميم موضعه - ولمّا قُتل أرغون شاه نائب الشام - على ما تقدم في ترجمته أَلَزَمَه الأمراء أرباب الحلّ والعقد بالديار المصريّة أن يتوجّه إلى دمشق نائباً ، فامتنع ، فما فارقه حتى وافق ، ودخل إلى دمشق على خَيْلِه في نفرٍ قليلٍ من جماعته في حادي عشر جمادى الآخرة سنة خمسين وسبع مئة ، وأقام بها لا يَرُدُّ مَرَسُوماً ، ولا يَعْزَل ولا يُوَلِّي طَلَباً للسلامة ، ولم يزل بها إلى أن خُلِع السلطان الملك الناصر حسن ، وتولى الملك الصّالح صّالح ، فحضر إليه الأمير سيف الدين بُزْلاَر ، وحلّفه وحلّف جميع العسكر ، ثم إنه طُلِبَ إلى مصر ، فخرج من دمشق يوم الخميس ثالث عشر ^(٣) شهر رجب الفرد سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وخرج العسكر معه إلى الجسورة ، وودّعه .

* الوافي : ٤٨٢/٩ ، والتحفة : ٢٨٣/٢ ، والدرر : ٤٢٤/١ ، وإعلام الوری : ٢٠ ، وللنهل الصافي : ١٣٧/٣ .

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) كذا في الأصل ، وفي (ق) ، (خ) ، والوافي : « أربع وعشرين » .

(٣) في الوافي : « عشرين » .

ولما وصل مصر دخل إلى السلطان وسلّم وقبّل الأرض ، وسلم على الأمراء ، وتوجّه إلى الأمير سيف الدين قُبلاي - الآتي ذكره - نائب مصر ، فأمسكّه ، وجَهّز إلى الإسكندريّة ، ولم يزل بها إلى أن وردَ المرسوم على نواب الشام ومضمونه أنّ الأمراء ببابنا الشريف ، وقفوا لنا وشفّعوا في الأمير أيتش ، وسألوا الإفراج عنه لأنّ ذنبه كان خفيفاً ، فتعزّفونا ما عندكم في هذا الأمر . فأجاب الجميع بأن هذا مصلّحة ، فأفرج عنه وجَهّز إلى صفد ليكون بها مقيماً بطّالاً إن اشتهى يركب وينزل ، وإن اشتهى يحضر الخدمة ، ووصل إليها في أوائل العشر الأواخر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، فأقام بها إلى أن طلبه يبيغاروس لما ورد دمشق خارجاً على السلطان ، فاعتذر بأنه ضعيف ، فأخذوه في حفّة وأقام عنده على قبة يلبغا ، ونفع أهل دمشق وشفّع فيهم مرات .

ولما هرب يبيغا توجّه هو إلى السلطان الملك الصالح وحضر معه إلى دمشق ، وأقام إلى أن توجّه السلطان إلى مصر في سابع شوال سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة بعد أن خلّع عليه ، وولاه نيابة طرابلس فتوجّه إليها .

ولم يزل بها مقيماً في نيابتها إلى أن جاء إلى دمشق من ينعاه ، وتألّم له من كان يودّه ويرعاه .

وتوفي رحمه الله تعالى في سلخ شهر رمضان بطرابلس ، وذلك في سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

وله بدمشق داران : دار الأمير سيف الدين ينجي التي برّا باب السّلامة ودار طينغا^(١) حاجي التي في الشرف الأعلى الشمالي . وكانت ابنتاه إحداهما مع الأمير علاء الدين مغلطاي القائم في تلك الدولة يامسك النائب يبيغاروس والوزير منجك وغيرها ، والأخرى مع الأمير سيف الدين طشبقا الدودار ، وهو نائب الشام ، فكان هو وصهره عبارة عن تلك الدولة .

(١) في الأصل : « طنبغا » ، تصحيف .

٣٦٤ - أيّدغدي*

الأمير علاء الدين شقير .

لَمَّا كَانَ أَمِيرًا بِدَمَشَق كَانَ عِنْدَ الْأَفْرَمِ حَظِييًا ، مُلَازِمَهُ بُكْرَةً وَعَشِيًا ، وَكَانَ يَنَادِمُهُ وَيَخْلُو مَعَهُ عَلَى شَرَابِهِ ، وَيَشْرِكُهُ فِي لَذَاتِهِ وَنَيْلِ آدَابِهِ ، وَلَمَّا حَضَرَ الْمَلِكُ النَّاصِرَ مُحَمَّدَ بْنَ الْكَرْكِ اسْتَحَالَ عَلَى الْأَفْرَمِ ، وَاخْتَصَّ بِالنَّاصِرِ ، وَكَانَ يَحْرِقُ عَلَيْهِ الْأُرْمَ ^(١) ، وَرَبِّيًا أَنَّهُ الَّذِي أَوْقَدَ جَمْرَ الْغَضَبِ عَلَيْهِ وَأَضْرَمَ . وَصَارَ عِنْدَ النَّاصِرِ مِنَ الْخَوَاصِّ الْمُقْرِبِينَ وَأَمْرَاءَ الْمَشُورِ الْمُدْرِبِينَ ، وَرَبِّيًا أَفْضَى إِلَيْهِ بِأَسْرَارٍ وَتَسَلُّطَ بِهِ عَلَى إِطْفَاءِ شَرَارِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَشْرَارِ ، وَلَكِنَّهُ بَعْدَ قَلِيلٍ جَهَّ ، وَجَادَلَهُ فَجَدَلَهُ لَمَّا حَجَّه ، وَقَبِضَ عَلَيْهِ وَعَلَى غَيْرِهِ وَقَصَّ جَنَاحَ النِّجَاحِ مِنْ طَيْرِهِ ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرَةٍ وَسَبْعٍ مِئَةٍ .

وَكَانَ أَيَّدَغْدِي شَقِيرًا وَبَكْتَرًا الْحَاجِبَ وَشَرَفَ الدِّينَ أَمِيرَ حَسِينِ بْنِ جَنْدَرِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ أَمْرَاءَ عِنْدَ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ ثَلَاثَةَ الْأَثَاثِيِّ وَالْأَصْحَابِ الَّذِينَ لَا يَخْفَى مِنَ السُّلْطَانِ عَنْهُمْ خَافِي ^(٢) ، وَهُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ ، وَجَعَلَ الثَّلَاثَةَ أَمْرَاءَ مَثْنٍ وَمُقَدَّمِي أَلُوفٍ ، وَكَانَ أَكْبَرُهُمْ رَتْبَةً أَيَّدَغْدِي .

حَكَى لِي الْأَمِيرُ شَرَفُ الدِّينِ أَمِيرُ حَسِينِ بْنِ جَنْدَرٍ قَالَ : قَالَ لِي السُّلْطَانُ مَرَّةً : يَا أَمِيرُ شَرَفُ الدِّينِ قَطَّ مَا اسْتَشِيرَكَ ^(٣) فِي أَمْرٍ أَحَدٌ وَإِمْسَاكَه فَتَقُولُ لِي : أَمْسَكَه ، بِخِلَافِ الْأَمِيرِ عَلَاءِ الدِّينِ أَيَّدَغْدِي . قَالَ : قُلْتُ ^(٤) لَهُ : يَا خُونَدَ أَيشَ هُوَ أَنَا وَأَيْشَ هُوَ

* الدرر : ٤٢٥/١ .

(١) فِي اللِّسَانِ : « فَلَانٌ يَحْرِقُ عَلَيْكَ الْأُرْمَ : إِذَا تَغَيَّظَ فَحَكَ أَضْرَاسَهُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ، وَقِيلَ : الْأُرْمُ : أَطْرَافُ الْأَصَابِعِ » .

(٢) كُنَّا فِي الْأَصْلِ يَاجُثَابَ الْبِاءِ لِلْوَقْفِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : قَطَّ اسْتَشِيرَكَ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يُرِيدُ : مَا اسْتَشِيرَكَ قَطَّ .

(٤) (ق) : « فَقُلْتُ » .

أيدغدي حتى تُشاورنا أنت ، ما تعلق في الليل ؟ فقال : بلى والله ، قلت : ذاك الوقت أطلبُ من الله ، ومهما حَسَنه الله تعالى في عقلك افعل به واعمل عليه ، قال : ولم يكن إلا^(١) بعد أيام قلائل حتى أمسكه ، وما أثنى عليه بخير .

وداره بدمشق معروفة تحت مِئذنة فيروز ، وهي دار حَجَّاج بن مَسْلَمَة^(٢) بن عبد الملك بن مروان ، وكثيرٌ من الناس يظنها دارَ الحَجَّاج بن يوسف الثقفي ، وإنَّما هي كانت أولاً للحَجَّاج ، ولما ولد حجاج بن عبد الملك سمَّاه والده حجاجاً باسمه وقال :

سَمَّيْتُهُ الْحَجَّاجَ بِالْحَجَّاجِ بالناصح الْمُعَاوَن الدَّمَّاجِ

نُصْحاً لِعَمْرِي [غير]^(٣) ذي مداجي

فوهب الحجاج بن يوسف داره هذه التي بدمشق له ، وهذه الدار كانت للأمير علاء الدين أيدغدي شقير ، ثم إنها اتصلت للأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ، ثم للأمير سيف الدين بُلْبَان طُرْنًا^(٤) ، ثم للأمير ركن الدين بيبرس الحاجب ، ثم للأمير نور الدين بن الأفضل .

٣٦٥ - أَيْدُغْدِي*

الأمير علاء الدين الظَّهْرِي .

كان أميرَ عشرة ، وكان تَقِيْبَ النِّقْبَاء بدمشق ، وكان شيخاً قد أَسَنَ ، وسَلَكَ كُلَّ

(١) ليست في (ق) .

(٢) كذا في الأصل و (ق) ، والصحيح : حَجَّاج بن عبد الملك ، كما سيأتي . وهذا الخبر حق آخره ساقه الصفدي في ترجمة حجاج بن عبد الملك . في الوافي : ٣١٦/١١ .

(٣) زيادة من (ق) والوافي .

(٤) في الوافي : ٣١٦/١١ : بليان طرفا ، تحريف ، وستأتي ترجمته .

* الدرر : ٤٢٥/١ .

طريق عَنْ ، قد مَخَضَ التجارب ، وعرض للتصالح والتجارب ثَوْر^(١) نعمة طائلة وسَوْر
أملأها هائلة . وكان يحفظ (كفاية الْمُتَحَفِّظ)^(٢) ويسردها ، ويعرف حَلَى الأنبياء
عليهم السلام ويوردها . ولما أُمِسِكَ تَنَكَّرَ أُخْرِجَ من نقابة النقباء وَجَّهَ إلى نيابة قلعة
صَرْخُد ، فأقام فيها مَدَّة ، وحضر إلى دمشق .

ولم يزل على حاله إلى أن لم يجد له الظهيري ظهيراً ، وخَمَلَ ذكره بعد أن كان
شهيراً .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون
دمشق .

٣٦٦ - أَيْدُغْدِي *

الأمير الكبير علاء الدين الخوارزمي ، أمير حاجب بدمشق .
توفي رحمه الله تعالى ليلة الأحد ثاني عشر شعبان سنة تسع وعشرين وسبع مئة .
وكان تَوَجَّه رسولاً إلى الغرب ، وكان شيخاً طَوَّالاً^(٣) تَامَ الهَيْئَةُ ، عنده فهمٌ
ومعرفة ، وله كَتَبٌ يطالع فيها ، وَعَلَى ذهنه أشياء حسنة من تاريخ وغيره .

٣٦٧ - أَيْدُغْمَش **

بفتح الهمزة ، وسكون الياء آخر الحروف ، وَضَمَّ الدال المهملة ، وسكون الغين
المعجمة ، وبعد الميم شين معجمة : الأمير علاء الدين أمير آخُور الناصري .

(١) في الأصل : « نور » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) . وثَوْر : تعني جمع عدداً كبيراً من مال ورجال .

(٢) هو كفاية للتحفظ في اللغة لمحمد بن أحمد الخوئي (ت ٦٩٣ هـ) ، الكشف : ١٥٠٠/٢ .

* الدرر : ٤٢٥/١ .

(٣) (ق) : « طويلاً » .

** الوافي : ٤٨٨/٩ ، والتحفة : ٢٥٨/٢ ، والدرر : ٤٢٦/١ ، وخطط المقرئ : ٤٥/٢ ، والنهل الصافي :

كان أولاً من ممالك الأمير سيف الدين بلبان الطباخي^(١) الآتي ذكره ، ولما جاء الناصري^(٢) من الكرك ولآه أمير آخور عوضاً عن الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب ، وأقام على ذلك إلى أن توفي الملك الناصر .

وكان ممن قام مع قوصون في أمر المنصور أبي بكر ، ثم إنّه وافقه على خلعه ، ولولا اتفاقه معه^(٣) لم يتم لقوصون أمر . ثم إنّه لما هرب من الفخري^(٤) - على ما تقدم في ترجمة الطنبغا - وقارب بليس اتفق الأمراء مع أيدغمش على قوصون وحزبه ، فوافقهم على ذلك ، وقبض على قوصون وجماعته ، وجهّزهم إلى الإسكندرية ، وجهّز من تلقى الطنبغا ومن معه وأمسكهم ، وجهّزهم إلى الإسكندرية أيضاً ، وكان أيدغمش في هذه المرة هو المشار إليه ، وجهّز ولده ومعه جماعة من الأمراء المشايخ إلى الناصر أحمد إلى الكرك . ولما استقر أمر الناصر أحمد في مصر أخرج أيدغمش إلى حلب نائباً ، فلما وصل إلى عين جالوت لحق به الفخري مستجيراً به ، فأكرم نزله وأضافه ونوّمه في خيمة عنده ، واطمان الفخري وخلع آلة سلاحه وماليكه ، و [لما]^(٥) كان بكرة أمسكه وجهّزه إلى الناصر^(٦) . ثم إن أيدغمش توجه إلى حلب ولم يزل بها مقيماً إلى أن تولى الصالح فرسّم له بنيابة الشام ، وحضر إليه الأمير سيف الدين ملكمتر السرجواني^(٧) وأخذه من حلب وأتى به إلى دمشق ، فدخلها بكرة الخميس عشرين^(٨) صفر سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، وأقام بها نائباً إلى يوم الثلاثاء بكرة ثالث جمادى الآخرة من السنة

(١) توفي سنة (٧٠٠ هـ) كما سيأتي في ترجمته .

(٢) (ق) : « الناصر » ، (خ) : « لللك الناصر » .

(٣) في الأصل : « معهم » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٤) هو قطلوبغا .

(٥) زيادة من : (ق) ، (خ) .

(٦) بعد أن جاءه كتاب السلطان بالقبض عليه ، كما في الوافي .

(٧) (ت ٧٤٧ هـ) ، الدرر : ٣٥٩/٤ .

(٨) في الأصل : « عشري » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) ، والوافي ، والمنهل .

المذكورة ، وعاد بعد ما أطمع طيُورَه ، ونزل وجلس في دار السعادة وقرئت عليه قصص يسيرة ، وأكل الطعام وعلم فوطة^(١) العلام ، وعرض طُلبته ومُضاً فيه ، وقدم جماعة [وأخر جماعة]^(٢) ، ودخل ديوانه وقرؤوا عليه مخازيم^(٣) ، فقال لهم : هؤلاء الذين تزوجوا من جماعتي ، اقطعوا مرتبهم ، وأكل بعد ذلك الطاري^(٤) ، وجلس هو والأمير رملة بن جَمَاز^(٥) يتحدثان ، فسمع حسَّ جماعة من جَواريه^(٦) يتخاصمن ، فأخذ العصا ودخل إليهن وضرب واحدة منهن ضربتين وأراد أن يضربها الثالثة فسقط ميتاً ، فجاءه^(٧) الموت فجأة وما سمع له نبأه . فأمهله إلى يوم الأربعاء بكرة ، وغُسل ودفن خارج ميدان الحَصَا في تربة عُمرت له هناك .

وكان زائد الجود بالغ الإكرام للوفود ، قلَّ من سلَّم عليه إلّا وساق وفد الخلعة إليه . وكان الملك الناصر محمد قد أمر أولاده الثلاثة : أمير علي ، وأمير حاج ، وأمير أحمد لعلو مكاتته عنده وما يراه منه إذا^(٨) أوري زنده ، وكان قد بلغ الملك الصالح أنه ربّا يباطن الناصر أحمد ، ويلاحظ دولتك بطرف أُرمد ، فأمر من يحضر للقبض عليه ، فتلقاه الأمير أيان الساقى^(٩) في قُطيا^(١٠) ، وقد توجه للقبض عليه فأعلمه بموته ورده .

ولم أعهد أنا في عمري إلى حين تسطيها في سنة ست وخمسين وسبع مئة أحداً من نواب الشام توفي بدمشق غير هذا الأمير علاء الدين أيدغمش .

(١) في الوافي والتحفة : « علم على فوطة » ، ولم يتضح مراده .

(٢) زيادة من (ق) ، (خ) ، والوافي ، والمنهل .

(٣) كذا في الأصول ، وعبارة الوافي : « فرأوا عليه مخازيم » والمخازيم : سجل القيد اليومي ، ويقوم بعملها

الجهبذ . (عن حاشية المنهل) .

(٤) من أسمطة السلطان ، ومنه مأكوله .

(٥) ترجم له صاحب الدرر : ١١١/٢ ، ولم يذكر سنة وفاته .

(٦) في الأصل : « جواره » ، تحريف .

(٧) (ق) : « فجاءة » .

(٨) (خ) : « إلّا » .

(٩) (ت ٧٤٦ هـ) ، الدرر : ٤٢١/١ .

(١٠) قرية في طريق مصر كما في معجم البلدان : ٣٧٨/٤ .

٣٦٨ - أَيْدِكِين *

الأمير علاء الدين الأركشي^(١) .

كان أولاً بَرْمُج واحد يَسُوق في البريد من جُملة بريديّة مصر ، وكان مُحَذَلَقاً ، توجه إلى البلاد الشرقية وعاد في مهم ، فراج عند السلطان الملك الناصر محمد ، وحكى له أنه مرت به أهوالٌ عظيمة في سفرته وتحيلٌ بجمل كثيرة حتى نجا ، وذكر للسلطان شيئاً يُسْتَحْيَا من ذكره ، فضحك السلطان من ذلك وأمره وولاه القاهرة ، فظلم وجار وأشبّهت أيامه الظلم ، وتاه في الولاية وزاد ، ولم يعبأ بأحد من الخاصكية ، فاتفقوا عليه وشكّوه إلى السلطان ، فعزله .

وما أظنه أقام أكثر من سنة ، وعاد إلى دمشق وكان السلطان قد ولّاه بعدما عزل الأمير ناصر الدين محمد بن المُحسني^(٢) في شعبان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، وكانت من غرائب السلطان عزل مثل هذا وولاية هذا ، وكان قد عزل من ولاية القاهرة في حادي عشرِ جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، وتولاها بعده سيف الدين بلبان الحسامي البريدي .

٣٦٩ - أَيْدَمَر *

الجنّاحي ، الأمير عز الدين .

كان نائباً بغزة ، له أموالٌ كثيرة ، وفُرْشُ سعادته وثيرة ، وفِكْرُته في تحصيل المال للاكتسابٍ مثيرة ، حصّل من الذهب مالمو فرقة على العفاة لمّا ذهب ، وملك من العَيْن جُملة ، تعجز المطايا عن النهوض به وما تطيق حَمَلُه ، إلّا أنّه درب السياسة ، واتّصف بالرياسة .

* الدرر : ٤٢٨/١ .

(١) (ق) ، وبعض أصول الدرر : « الأركشي » .

(٢) ترجم له صاحب الدرر : ٤١١/٣ ، وسقطت سنة وفاته ، ويفهم من كلامه أنّه كان حيّاً سنة ٧٥٤ هـ .

* عقد الجمان : ٤٨٥/٣ ، وفيات (٦٩٨ هـ) .

ولم يزل بغزة إلى أن قصّ الموت من الجناحيّ جناحه ، وأراه في قبره إمّا خيبته وإمّا نجاحه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وست مئة ، وخلف تركة هائلة من جملتها ما لا ورد به ذكر في وصيّة ، ولا علّم به أحد ، بل تبرّع بإحضاره فخر الدين العزازي^(١) وكانت هذه^(٢) الجملة ، ذهباً وغيره ، ما قوّم بستين ألف دينار .

٣٧٠ - أَيْدُمَر *

الزرد كاش الأمير عز الدين .

قفّز^(٣) مع الأفرم لأنه كان صهره ولاقياً قرا سُنقر ، ودخلا بلاد التتار إلى خربندا ، كما تقدم في ترجمة الأمير جمال الدين أقوش الأفرم ، وطلب ابنه وابن الأفرم إلى الديار المصرية فتوجها .

٣٧١ - أَيْدُمَر **

الأمير عز الدين الظاهري .

كان نائب الشام في الأيام الظاهرية .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأربعاء ثاني شهر ربيع الأول سنة سبع مئة برباطيه بالجبل ، ودُفن هناك بالتربة على نهر ثورا قبالة المدرسة الماردانية الحنفية .

وكان السلطان قد ولّاه نيابة الكرك ، فأقام هناك إلى أن حضر السلطان الملك

(١) (ق) : « العزازي » ، ولم تقف على ترجمته . وفي عقد الجمان : « التاجر بقيسارية الشرب » .

(٢) ليست في (ق) .

* لم نقف على ترجمته .

(٣) التقفيز : النقش بالحناءة ، والمراد هنا الملازمة وشدة القرب .

** التحفة : ١٧٢/٢ ، والدرر : ٤٣٠/١ ، وعقد الجمان : ١٥٤/٤ ، وفيات سنة (٧٠٠) .

الظاهر إلى الكرك في المحرم سنة سبعين وست مئة^(١) وعاد منها وأخذ الأمير عز الدين معه إلى دمشق فولاه نيابتها عوضاً عن الأمير جمال الدين النجيب^(٢) فأقام بها .

٣٧٢ - أيدمر *

الأمير عز الدين دُفِّمَاق تَقِيْبُ العساكر المصريّة .
كان محبوباً إلى الناس ، فيه خيرٌ ورحمة .
توفي رحمه الله تعالى في سادس شهر رجب سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بالقرافة .

٣٧٣ - أيدمر **

الأمير عز الدين الرُّقْبِي .
كان من خواصّ الأشرف ، وأقام أميراً بدمشق مُدَّة ، ثم إنَّه نُقِلَ إلى طرابلس على إقطاع إمرة ، فأقام بها إلى أن توفي هناك في سنة أربع وأربعين وسبع مئة رحمه الله تعالى .
وكان شكلاً مليحاً .

٣٧٤ - أيدمر ***

ابن عبد الله عز الدين السَّنَائِي .

(١) في الأصل : « وسبعمئة » ، سهو .

(٢) أبو بكر بن أبيك ، وستأتي ترجمته .

* الدرر : ٤٣٠/١ .

** الدرر : ٤٣٠/١ ، والسلوك : ٥٨٥/٣/٢ .

*** الوافي : ١٥/١٠ ، وفوات الوفيات : ٢١٤/١ ، والدرر : ٤٢٨/١ ، والمنهل الصافي : ١٧٩/٣ ، وفيه

« السنائي » بنونين . وعقد الجمان : ٤٨١/٤ ، في وفيات سنة (٧٠٧ هـ) . وذكر غير الصفدي أن وفاته

سنة (٧٠٧) .

كان جندياً ، كم اعتقل للغزاة ربحاً وتقلد هندية ، وله معرفة بالتعبير^(١) ، وكلامه في ذلك اللفظ من نسمة عير ، وله^(٢) معارف أدبية ، وصوارف إلى النكت العربية ، ولم يزل يصوغ شعره إلى أن أظلم الوجود في عين السنائي ، وقرب إليه من الحنف ماهو نائي .

وتوفي رحمه الله تعالى بدمشق في أول جمادى الأولى سنة سبع مئة^(٣) ، على ما ذكره الأذفوي في تاريخه (البدر السافر) .

وكان عتيق أقطوان الحاجبي^(٤) والي قليوب ، وورثه ابنه إبراهيم بالولاء .
ومن شعره :

تَخِذَ النِّسِيمَ إِلَى الْحَبِيبِ رَسُولَا دَفَعَ حَكَاهَ رَقَّةً وَنَحُولَا
يَجْرِي الْعَيُونَ مِنَ الْعَيُونِ صَبَابَةً فَتَسِيلُ فِي أَثَرِ الْغَرِيقِ سَيُولَا
ويقول من حسد له : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلَا^(٥)
ومنه :

بَعْلُكَ دَارٌ وَلَكِنَّهَا دَارٌ بِأَهْلٍ وَجِيرَانٍ
كَأَنَّهَا لَيْلَةٌ وَضَلَّ مَضَتْ وَأَهْلُهَا لَيْلَةٌ هَجْرَانٍ^(٦)
وأنشدني من لفظه العلامة أبو حيَّان قال : أنشدنا المذكور لنفسه :

-
- (١) في الوافي : « بتعبير الرؤيا » .
(٢) (ق) : « ولديه » .
(٣) في عقد الجمان : « ودفن بمقابر الحمزيين بدمشق » .
(٤) المعروف بالكالي ، ترجم له الصفدي فيما سلف .
(٥) في الوافي : « من جسد » ، ولا وجه لها . وفي البيت اقتباس من قوله تعالى : ﴿ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ﴾ الفرقان : ٢٧/٢٥ .
(٦) المنهل الصافي : ١٨٠/٣ .

سَفَرْتُ فخلتُ الصبحَ حينَ تَبَلَّجَا
 فتانَةً فتَاكةً من طرفها
 نَحَلْتُ نَضِيرَ الغصنِ قامَةً قَدَّها
 تَفْتَرَّ عن بَرْدٍ بقيَّ بَرْدُهُ
 ما إِن دَخَلْتُ رياضَ جَنَّةٍ وجهها
 وَلَمَّا رَشَفْتُ رحيقَ فيها ظامياً
 تعطو برخص طَرَفَتِهِ بَعْنُدم
 أَنَّى نظرتَ إلى رياضِ جمالها
 زارت وعمر الليل في غُلُوَائِهِ
 وسرى نسيم الروضِ ينكر إثرها
 وأنشدني أيضاً قال : أنشدني المذكور لنفسه :

وَرَدَ الْوَرْدُ فَأَوْرَدْنَا الْمَدَامَا
 واجْلُهَا بِكَرّاً على خُطَايَاها
 ذات ثَغْرِ لَوْلُوِي وَصَفُّهُ
 بُرِقِعَت بِاللُّوْلُو الرطب على
 أَقْبَلْتُ تَسْعَى بِهَا شمسُ الضحَى
 يجفون بابلي سِحْرُهَا
 وَأَرِحْ بِالرَّاحِ أَرْوَاحاً هَيَامِي
 بنتُ كَرَمٍ قَدْ أَبَتْ إِلَّا كَرَامَا^(٣)
 في رحيقِ رَشْفِهِ يَشْفِي الْأَوَامَا^(٤)
 وَجَنَّةٍ كَالنَّارِ لَا تَأْلُو ضِرَامَا^(٥)
 تُخْجَلُ الْبَدْرَ إِذَا يَبْدُو تَمَامَا^(٦)
 سَقُمَهَا أَبْدَى إِلَى جِسْمِي السَّقَامَا^(٧)

(١) (ق) : « دجا » . وفي عقد الجمان : « شجا » .

(٢) كذا في الأصل و (ق) والفوات : « ولها » ، وفي الوافي وعقد الجمان : « لما » .

(٣) في عقد الجمان : « الكراما » .

(٤) (ق) ، وعقد الجمان : « ثغر جوهرى » ، وفي الوافي : « جوهرى رصفه » .

(٥) في عقد الجمان : « وجنتها » ولا يستقيم بها الوزن .

(٦) في عقد الجمان : « ضحى » .

(٧) في عقد الجمان : « أهدى إلى » .

ونضيرُ الورد في وجنتها
وَدَّتْ الأغصانُ لَمَّا خَطَرَتْ
قال لي خالٌ على وجنتها
منذ أَلْقَيْتُ بنفسي في لَطَى
تَبَّثُّه أَثْبَتَ في قَلْبِي الغراما^(١)
لو حكت منها التثني والقواما
حين نادَيْتُ: أَمَّا تخشى الضراما
خدَّها أَلْفَيْتُ بَرْدًا وسَلَاما
قلت : شعر متوسط .

٣٧٥ - أَيْدَمَرُ *

الأمير عز الدين الخطيري .

حَبَسَهُ السُّلْطَانُ بعد مجيئه من الكرك ، فسعى له مملوكه بدر الدين بيلبك^(٢)
أستاذ داره مع الأمير سيف الدين طغاي الكبير - الآتي ذكره في حرف الطاء مكانه -
ولما خرج طلب حسابه من مملوكه المذكور ، فقال له : سَعَيْتُ لك به إلى أن خُلِّصْتُ .
ثم إنه عظم شأنه عند السلطان ، وكان يجلس رأس الميسرة ، وأعطاه إقطاع مئة
وعشرين فارساً^(٣) ، وكان لا يَمَكِّنُهُ السُّلْطَانُ من البيت في داره بالقاهرة ، وله دار
مليحة في رُحْبَةِ العيد^(٤) فينزل إليها بكرة ، ويطلعُ إلى القلعة بعد العصر ، كذا أبداً ،
وكانوا يرون ذلك تعظيماً له .

وكان في الأصل مملوكٌ شرف الدين أُوحد بن الخطير والد الأمير بدر الدين
مسعود الآتي ذِكْرُهُ - إن شاء الله تعالى - مكانه ، وكان لا يلبس قِبَاءً مطرّزاً ، ولا يدع
أحداً عنده يلبسُ ذلك . وكان يُخْرِجُ الزكاة .

(١) في الأصل : « ونظير » ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي ، والوفيات ، وعقد الجمان .
* الوافي : ١٧/١٠ ، والدرر : ٤٢٩/١ ، وخطط المقرئ : ٣١٢/٢ ، والمنهل الصافي : ١٨٠/٣ . والدرر :
٤٥٨/١ .

(٢) ت ٧٠٦ هـ ، الدرر : ٥١٥/١ .

(٣) في المنهل : « وأنعم عليه بامرة مئة وتقدمة ألف ، وزيادة عشرين » .

(٤) في الوافي : « رجة العيد » ، وفي المنهل : « رجة باب العيد » . وانظر حاشيتي المنهل والوافي :

وكنت يوماً عند أستاذداره هذا بدر الدين ييلبك وقد زوّج السلطان ابنته بالأمير سيف الدين قوصون وقد ضربوا لدور الأمير عز الدين الخطيري دينارين وزُنْها أربع مئة دينار وعشرة آلاف درهم برسم النقوط خارجاً عن عشرة تفاصيل قماش حرير ملوّنة . وقالوا له : ياخوند هذا السكر الذي [يعمل] ^(١) في الطعام ما يضر أن نعمله غير مكرر ؟ فقال : لا ، فإنه يبقى في نفسي أنه غير مكرر ^(٢) .

وعمر الجامع المشهور في رَمْلَة بولاق على البحر وإلى جانبه الربع المشهور ، يُقال إنه غرم عليها نحواً من أربع مئة ألف درهم ، وأكله البحر في حياته ، ثم إنه رمّه وأصلّحه بجملة من المال .

ولم يزل على حاله إلى أن وقع الخطيري من الموت في خَطَر ، وراح كأنه لم يفز ^(٣) بأمنية ولا وطر .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، فيما أظن ^(٤) .

وخلف ولدين أميرين : علياً ومحمداً .

وكان ذا شيبة مبيضة ، كأنها في النقاء تجسّدت من دموع مرفضة ، أو تكوّنت من أزاهر روضة غضة ، بوجه يُقَطِّفُ الورد من وجناته ، والجلنار من خمائله وجناته ، كريم الكف إذا نول ، كبير النفس إذا أعطى أحداً أو خول ، فيه تجمل وحشمة ، وله همة وعزيمة .

(١) زيادة من (ق) والوافي ، والنهل .

(٢) زاد في النهل : « فلا تطيب » .

(٣) في الأصل : « يقيم » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٤) في النهل : « في أوائل شهر رجب سنة سبع وثلاثين وسبع مئة » .

٣٧٦ - أَيْدَمَرُ *

الأمير عز الدين ^(١) أحد الأمراء بالديار المصريّة .

ولاه الملك الصّالح نيابة غزّة ، فتوجّه إليها وأقام بها مدّة ، ثمّ إنّه استعفى بعد موت الصّالح وعاد إلى القاهرة .

ولما كانت الكائنة على يلبغا اليحيوي في الأيام المظفريّة رُسم له أن يتوجّه إلى دمشق للحوطة على موجود يلبغا والأمراء الذين كانوا معه من إخوته وغيرهم ، فحضر إليها ومعه الأمير نجم الدين بن الزبيق ^(٢) في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وأقام بدمشق مدّة تزيد على الثلاثة أشهر إلى أن أباع ^(٣) موجودهم ، وتوجّه بالأموال جميعها إلى مصر هو والأمير شمس الدين أقسنقر أمير جاندار الذي أحضر أرغون شاه إلى نيابة دمشق ، ولما وصلا بالمال إلى المظفر لم يلبسا إلّا قليلاً ، قريباً من الشهر ، وخرجوا على المظفر ، ولم يكن معه أحد من الأمراء إلا الأمير عز الدين الزرّاق وأقسنقر وأيدمر الشمسي ، فنقم الخاصكية عليهم ذلك ، وأخرجوهم إلى الشام ، فوصلوا إلى دمشق نهار العيد أول شوال سنة ثمان وأربعين وسبع مئة . ورُسم للزرّاق بالمقام في دمشق ، ثم ورد مرسوم الملك الناصر حسن بتوجهه ^(٤) إلى حلب ، فتوجّه إليها في العشر الأوسط من شوال سنة وَرَدَ ^(٥) منشوره إليه فيما بعد بإقطاع الأمير سيف الدين أسندمر الحسني .

وكان دَيْنًا ، وطبيء الجانب لَيْنًا ، فيه خير وِبرّ ، وحِفْظٌ لما عنده من عهد وِسرّ .

* الوافي : ١٨/١٠ ، والدرر : ٤٢٧١ ، والمنهل الصافي : ١٨٢/٣ .

(١) في الوافي ، والدرر : « عز الدين الزرّاق » ، وزاد في الدرر : العلائي المقتدر . وفي المنهل : « المعروف بالزرّاق » .

(٢) هو داود بن الزبيق ، وستأقّي ترجمته .

(٣) في الوافي : « باع » .

(٤) في الأصل : « يتوجه » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) والوافي .

(٥) (ق) ، (خ) : « شوال وورد » ، وفي الوافي : « شوال ثم ورد » .

ولم يزل على حاله إلى أن فرغ أجل الزَّراق ورزُّقه ، واتَّسع عليه من الموت خرقه ، وتوفي رحمه الله تعالى^(١) .

وكنْتُ أنا بالقاهرة - في سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، وكتبتُ تقليده بناية غزة ارتجالاً من رأس القلم وهو :

الحمد لله الذي زاد أولياءَ دولتنا القاهرة عزاً ، وجعل أصفياءَ أيماننا الزاهرة كُفاة تَعُودُ^(٢) للممالك بهم حِرْزاً ، وجردَ مِنْ أنصارنا كلَّ نَصْلٍ رَاعٍ حَدّاً وراق هِزّاً ، ووفَّقَ آراءنا الشريفة لأن يكون مَنْ نَعتمد عليه يُسندُ إليه العز ويُعزِّي . نحمده على نِعَمِهِ الَّتِي عَمَّتْ ، ومِنَنِهِ الَّتِي طَلَعَتْ أَقْمارها وَنَمَتْ ، وعوارِفِهِ الَّتِي نَمَتْ أَزْهارها ففاحت شذىً وَنَمَتْ ، وأياديه الَّتِي قادت^(٣) الألطاف إلى حَرَمنا وَزَمَتْ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً مهدَّ الإيمان قَصْدَها ، وجدَّدَ الإيقان عَهْدَها ، وشيَّدَ الإدمان مَجْدَها ، وأيَّدَ البرهان رُشْدَها .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي هدى به الأُمَّة ، وبدا^(٤) به الأمورَ للمهمَّة ، وجلا بأنوار بعثته من الكفر الدياجي المُدْهَمَّة ، ونفى بإبلاغ رسالاته^(٥) ثبوت كلِّ ثبور ، وألَمَ كلَّ مَلَمَةٍ ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تَلالأت أنوارهم ، وتوضحت في آفاق المعالي أقمارهم وتوشَّحت بلآلي السيادة أزهارهم ، وتفتحت للسعادة بصائرهم وأبصارهم ، صلاةً ظلالَ رُضوانها مديدة ، وخِلالَ غفرانها عديدة ، ما افترَّ ثَغْرُ صُبْحٍ^(٦) في لَعَسِ ظلام ، واهتز في الحرب قدُّ رمح ، وتورد بالدم خَدَّ^(٧) حسام ، وسلم ، وبعد :

(١) كذا ، ولم يذكر سنة وفاته ، وخلا منها الوافي أيضاً . وفي الدرر أنه توفي في حدود الستين وسبع مئة .

(٢) في الوافي : « يقود » .

(٣) في الأصل : « فادت » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٤) سهَّلت المهمة .

(٥) في الوافي : « رسالته » .

(٦) (خ) : « صباح » .

(٧) في الوافي : « قد » .

فإن ممالكنا الشريفة منها ماهو عالي المكانة ، داني المكان موقر الاستكانة ، موفى
 النعمة بالسكان ، موطأ الأكناف ، موطد الأركان ، موسع الأفنية ، موسع الأفنان ،
 وقد جاور الأرض المقدسة ، وبرز رافلاً من خائله في حلله المقدسة^(١) ، ونوه الذكر
 محاسنه لما نوع الاعتدال خيرهِ وجنسه . كم فيه من كتيب رمل أو عس^(٢) ، وحديقة إذا
 بكى الغمام عليها تبسم ثغر زهرها الألس ، وروض حكى القد^(٣) الأملد قضيبه
 الأملس ، قد اكتنفه البر والبحر ، وأحاطت به المحاسن إحاطة القلائد بالنحر^(٤) ، وبرز
 بين مصر والشام برزخا ، وكثرت خيراته فهو لا يزال مهب^(٥) رخاء الرخا ، وإلى غرة
 ترجع هذه الضمائر ، وعلى سرها تدل هذه الأمائر ، كاد النجم ينزل إلى أرضها ليتنزه ،
 وقصر وصف الواصف عنها ولو أنه كثر وهي غزه ، وكانت غرة في وجه الشام فنقطها
 سواد العين بإنسانه فصارت غزه ، وكفاها فخراً بما يروى عنها أن الإمام الشافعي رضي
 الله عنه منها .

ولما كان المجلس العالي الأميري وألقابه ونعوته من أعيان هذه الدولة ، وأعوان
 هذه الأيام التي زانها الصون والصولة ، قد اتصف بالحلم والبأس ، والأناة والإيناس ،
 والمهابة التي طوؤها راسخ راس ، والشجاعة التي مرأها صعب المراس ، طالما جرد منه
 حسام^(٦) حمدت مضاربه ، وجهز في جيش نصره الله على من يحاربه ، وأطلع في^(٧) أفق
 مهم شريف أحدقت به كواكبه اقتضت أراؤنا الشريفة إعلاء رتبته وإدامة بهجته
 وسرور مهجته وتوفير حركته ، وأن نفوض إليه مقدمة العسكر المنصور بغزة المحروسة ،

(١) في الوافي : « المقدسة » .

(٢) أي : سهل لين .

(٣) في الأصل و (ق) : « وروضة حكى القضيب ، وأثبتنا مافي الوافي وهو أنسب .

(٤) في الوافي : « القلادة » .

(٥) في الأصل : « وهب » ، تحريف ، وأثبتنا مافي (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٦) في الوافي : « حساماً » .

(٧) في الأصل : « على » ، وأثبتنا مافي (ق) ، (خ) ، والوافي .

فلذلك رُسِمَ بالأمر العالي^(١) المولوي السلطاني الملكي الصّالحي العمادي أن يستقر فيما أشرنا إليه من ذلك ، اعتماداً على ما قلناه^(٢) من همّته ، واستناداً إلى ما جرّبناه من شيمته^(٣) ، واجتهاداً في وقوع اختيارنا الشريف لِمَا أَحْمَدْنَا في الإخلاص من^(٤) ثبوت قدمه ، واعتقاداً في نهوضه بهذا الأمر الذي ألبسناه حُلَّ نِعْمه ، وارتياًداً لاحتفاله بهذا المهم الذي لا يزال طائعاً طائفاً بجرّمه ، فليستقر فيما قَوَّضناه إليه مجتهداً في رضى الله تعالى ، فإن ذلك أَوْلَى ما نطق به اللسان ، ورضى خواطينا الشريفة ، وهو^(٥) مغدوق برضى الله الذي أمر بالعدل والإحسان ، معتمداً على طلب الحق الجليّ ، والإقبال على المُستغيث به بوجه وَضِيٍّ ، وَخُلُقٍ رَضِيٍّ وعزمٍ مَلِيٍّ ، حتى يُنصف المظلوم من ظالمه ويُرشّد الضالَّ عن الصواب إلى معالمه ، وَيَبْسُطَ العدل في رعايانا ، وَيَجْريهم على ما أَلْفَوْه من الأمن والمَنِّ من سجايانا ؛ لأنّ العدل يُعَمِّرُ البلادَ ، والجَوْرُ يُدَمِّرُ العبادَ ، والحاكمُ العادلُ من المطرِ الوابل ، والأسدُ إذا حَطَمَ خير من الوالي إذا ظَلَمَ ، وهو يَعْلَمُ أمرَ هذه الدنيا وما إليه تَوَوَّل ، ويتحقّق أنّه^(٦) راعٍ وكل راع مسؤول . والشرع الشريف فليتقدّم برفع مناره ، وتعظيمِ شعاره ، فإنه المحجّة السّويّة والحجّة القويّة ، فما شددنا السيف إلاّ لنصرة الشرع ، ولا نعتقد إلاّ أنّه الأصلُ وبقية السياسات قرع . والعسكر المنصور ، فهم منا برأى ومسمع ، وعنايتنا بهم تامّة تمنحهم الخير وللشرّ تدفع^(٧) ، فليُراع حالهم ويُرْعَها ، ويتبع أصول^(٨) أمورهم وفرْعها : إقطاع من مات منهم إلى رحمة الله تعالى لولده أو لقريبه ، وكبيرهم وصغيرهم معامل بتوقيره وتوفير نصيبه

(١) في الوافي : « الشريف العالي » .

(٢) (ق) ، (خ) ، والوافي : « علمناه » .

(٣) في الوافي : « من همه ... من شيمه » .

(٤) ليست في (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٥) ليست في (خ) .

(٦) (ق) ، (خ) ، والوافي : « أنّه الآن » .

(٧) في الوافي : « تمنع » .

(٨) في الوافي : « أصل » .

ولِيَلْزِمَهُمْ بِعَمَلِ الْأَيْزَاكِ^(١) الْمَهْمَّةَ ، وَالرُّكُوبَ فِي كُلِّ مَوْكَبٍ ، وَالنُّزُولَ فِي كُلِّ خِدْمَةٍ ، حَتَّى يَكُونُوا عَلَى أَهْبَةِ لُورُودِ الْمَهْمَّاتِ الشَّرِيفَةِ وَالْحَرَكَاتِ الَّتِي هِيَ فِي كُلِّ وَقْتٍ مُطَيِّفَةٌ ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ ، وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى مِلَّاكِ الْأُمُورِ ، وَفِكَالِ الْأَعْنَاقِ مِنَ الْأَوْزَارِ وَشِبَاكِ الْأَجُورِ ، فَلَا يَبْرَحُ مِنْ حَرَمِهَا الْمَنِيْعِ وَلَا يَسْرَحُ فِي سَوَى رَوْضِهَا الْمَرِيْعِ ، فَإِنَّ مَنْ لَازَمَهَا سَعِدَ دُنْيَا وَآخِرَى ، وَحَازَ فِي الدَّارَيْنِ مَنَقِبَةً وَفَخْرًا ، وَاللَّهُ يَزِيدُهُ مِمَّا أَوْلَاهُ ، وَيُفِيدُهُ الْإِعَانَةَ عَلَى مَا وَلَّاهُ . وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ - أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَعْلَاهُ حُجَّةٌ فِي ثُبُوتِ الْعَمَلِ بِمَا^(٢) اقْتَضَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

٣٧٧ - إِيْرَنْجِي *

بكسرة الهمزة^(٣) وسكون الياء آخر الحروف ، وراء بعدها نون ساكنة وجيم وياء آخر الحروف : النَوَيْنِ التتري خال القان بوسعيد .

لَمَّا تَبَرَّمَ بَوْسَعِيدٍ مِنْ^(٤) نَائِبَةِ جُوبَانِ^(٥) وَاسْتِيلَاةِ عَلَى الْأُمُورِ وَاحْتِجَارِهِ عَلَيْهِ ، تَنَفَّسَ إِلَى مُقَدِّمِينَ يَكْرَهُونَ جُوبَانَ مِنْهُمْ إِيْرَنْجِي هَذَا وَقَرُمُشِي^(٦) وَدَقْمَاقِ^(٧) ، فَقَالُوا لَهُ : إِنْ أَرَدْتَ^(٨) قَتَلْنَاهُ . وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَبِيَّتُوهُ ، وَذَلِكَ فِي جُمَادَى سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةِ وَسَبْعِ مِئَةٍ ، وَوَأَفَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَخُو دَقْمَاقِ وَمُحَمَّدُ هَرِيرَةِ^(٩) وَيُوسُفُ بَكْتَا^(١٠) وَيَعْقُوبُ

(١) جع يزك ، وهي طلائع الجند .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « مِمَّا » ، تَحْرِيفٌ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي : (ق) ، (خ) ، وَالْوَافِي .

* الْوَافِي : ٢٢/١٠ ، وَالدَّرر : ٤٣٠/١ ، وَالْمَنْهَلُ الصَّافِي : ١٨٦/٣ .

(٣) فِي الْمَنْهَلِ : « بَفَتْحِ الْأَلْفِ » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « فِي » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) .

(٥) جُوبَانُ النُّوَيْنِ ، وَسَتَأْتِي تَرْجُمَتُهُ .

(٦) ابْنُ أَقْطُوَانَ ، وَسَتَأْتِي تَرْجُمَتُهُ .

(٧) تَرْجَمَ لَهُ صَاحِبُ الدَّرر : ١٠١/٢ ، وَلَمْ يَذْكُرْ سَنَةَ وَفَاتِهِ .

(٨) فِي الْوَافِي : « إِنْ رَسَمْتَ » . وَفِي الْمَنْهَلِ : « إِنْ شِئْتَ » .

(٩) فِي الْمَنْهَلِ : « أَخُو دَقْمَاقِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ ، وَيُوسُفُ بَكْتَا ، وَيَعْقُوبُ الْمُسَخَّرَةُ » .

(١٠) فِي الْوَافِي : « بَكْتَا » .

السخر^(١) ، فهيّا قُرمشي دَعوّة ، ودعا جوبان إليها فأجاب ، ونَفَذَ له تَقْدِمة سنيّة فقبلها ، فنصَحَه تَتريّ ، فتحفَظ في الهروب ، وترك خيامه ، وأقبل قُرمشي في عشرة آلاف ، وسأل عن جوبان ، فقيل : في مخيمه ، فهجم عليه ، وثار^(٢) أجناد جوبان في السلاح ، والتحم القتال ، فقتِل نحو ثلاث مئة ، ونَهَبَ قُرمشي حَواصل جوبان ، وساق في طلبه ، وهرب هو إلى مَرْنَد^(٣) معه ولدُه حسن وابنان ، فأكرمه صاحب مَرْنَد ، وأمَدَه بخيل ورجال ، وأتى تبريز ، فتلَقاه علي شاه وزيرُ البلد له ، وجاء في^(٤) خدمته إلى بوسعيد ، وأثنى على جوبان وعلى شفقتِه وأنّه والد ، ثم دخل جوبان وبيده كَفَنَ وهو باكٍ وقال : يا خوند قُتِلتُ رجالي ونُهِبَتُ أموالِي ، فإن كنت تريد قتلي فها أنا قد حضرت ، وقد صرت في تصرفك ، فتنصّل القان وتبرّى ممّا جرى ، وقال له : حارِهم فهولاء أعداؤنا قال : فيساعدني القان ، فجهز له جيشاً مع طاز بن النوين كتبغا ومع قراسنقر ، وركب القان مع خواصّه مع العسكر . وأما إيرنجي فإنه قصد تبريز في طلب جوبان ، فأغلق البلد في وجهه ، وخرج الوالي إليهم ، فأهانوه وعلقوه منكوساً حتى وزن أربع مئة [ألف]^(٥) درهم ، ثم ساروا إلى رَنكان ، فالتقى الجمعان ، فلما رأى إيرنجي القان وراياته سَقَطَ في يده وقال لأصحابه : السلطان علينا فما الحيلة ؟^(٦) فقال قُرمشي : لا بد من الحرب ، فالسلطان معنا ، وسيّر قُرمشي إلى جُوبان وقال : أنا معك ، والتحم القتال وانكسر إيرنجي ، وتحولت^(٧) غالب عسكره إلى تحت رايات السلطان ، ثم أُسرَ إيرنجي وقُرمشي ودُقّاق ، وعقد لهم مجلس

(١) (ق) ، والوافي : « للسخرة » .

(٢) في الأصل : « وأثار » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .

(٣) من مدن أذربيجان ، معجم البلدان : ١٠١/٥ .

(٤) في الأصل : « إلى » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، والوافي .

(٥) زيادة من (ق) ، والوافي .

(٦) (ق) ، والوافي : « فما العمل » .

(٧) (ق) ، والوافي : « وتحول » .

بِالسُّلْطَانِيَّةِ^(١) فَقَالُوا : مَا تَحْرِكُنَا إِلَّا بِأَمْرِ الْقَانِ ، فَأَنْكَرَ وَكَذَّبَهُمْ وَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ ، فَقَالَ إِيرَنْجِي : هَذَا خَطُّكَ مَعِيَ أَنَا ، فَأَنْكَرَ وَجَحَدَ ، فَضَرَبَ إِيرَنْجِي بِسَيْخٍ فِي فَهٍ فَهَلَكَ^(٢) ، وَطَيْفٌ بِرَأْسِهِ فِي خِرَاسَانَ وَالْعِرَاقِ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةِ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، وَقُتِلَ قُرْمَشِي وَدَقَّاقٌ وَأَمْسَكَ أَمْرَاؤُهُمْ ، وَتَمَكَّنَ جُوبَانُ وَأَبَادَ أَضْدَادَهُ ، وَكَانَ دَقَّاقٌ مُسْلِمًا يُحِبُّ الْعَرَبَ وَيَكْثُرُ الصَّدَقَةَ ، فَحَلَقُوا ذَقْنَهُ وَطَيْفٌ بِهِ ، ثُمَّ رَمَوْهُ بِالنُّشَابِ ، وَبَادَ مِنَ الْمَغْلُ خَلْقٌ كَثِيرٌ فِي تِلْكَ الْوَاقِعَةِ .

وَكَانَ إِيرَنْجِي هَذَا فِي حَشْمَتِهِ فَرِيدًا ، وَفِي عَظَمَتِهِ وَحِيدًا ، وَفِي أَصْلِهِ مُجِيدًا ، وَفِي إِحْسَانِهِ مُجِيدًا^(٣) ، لَهُ مَهَابَةٌ فِي السِّيَاسَةِ ، وَقُدْرَةٌ عَلَى اتِّبَاعِ الْيَاسَةِ ، وَلَكِنَّ الْبَغِيَّ عَلَى جُوبَانَ صَرَعَهُ ، وَصَرَبَ بَابَ هَلَاقِهِ وَقَرَعَهُ ، وَدَخَلَ السَّيْخُ قَمَهُ قَالَ لَهُ الْبَغِيَّ : قَدْ زِدَتْ قَمَهُ^(٤) .

☆ الْإِيكِيُّ : الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ .

٣٧٨ - أَيُّمَنُ بْنُ مُحَمَّدِ الْبَزُولِيِّ*

بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَالزَّايِ وَالْوَاوِ وَاللَّامِ : الْأَنْدَلُسِيُّ الْأَصْلُ ، التُّونِسِيُّ أَبُو الْبَرَكَاتِ . أَخْبَرَنِي الْعَلَامَةُ أَثِيرُ الدِّينِ قَالَ : هُوَ جَنْدِي ، أَنْشَدَنَا لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِنَا هَجُوعَ أَبِي سَلَامَةَ نَاجِي بْنِ الطَّوَّاحِ التُّونِسِيِّ أَحَدِ الطَّلَبَةِ الْأَدْبَاءِ بِتُونِسَ ، وَكَانَ طَوِيلًا رَقِيقًا ، فِيهِ انْخِنَاءٌ :

نَاجٍ مِنَ النَّجْوِ مُشْتَقٌّ وَمَا الْعَذِرَةُ يَوْمًا بِأَنْجَسَ مِنْ أَرْهَاطِهِ الْقَذِرَةِ^(٥)

(١) عَاصِمَةُ الدَّوْلَةِ الْإِيلَخَانِيَّةِ فِي عَهْدِ بُوْسَعِيدٍ بَعْدَ تَبْرِيزِ .

(٢) فِي الْوَاقِعِ : « فَتَلَفَ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « بُوْجِيدًا » ، تَحْرِيفٌ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) .

(٤) أَيُّ : فَكَفَ ، اسْمُ فِعْلٍ أَمْرٍ .

* الْوَاقِعِ : ٣٢/١٠ ، وَالْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ : ١٦٨/١٤ ، وَالْدُرَرُ : ٤٣١/١ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « مِنْ الْعَذْرَةِ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) ، وَالْوَاقِعِ .

(٥) في الوافي : « بمحي سليلب » ، تحريف .

بها يُبْلَغُ الرَّاجِي ثَوَابَ مُثِيبٍ
بأسعد حظِّ وافِرٍ ونصيبٍ^(١)
وطاب حُضُوري عِنْدَهُ وَمَغِيبِي
فلا طِيبَ في الدنيا يقاس بطِيبِي
ومن شعره أيضاً :

وما أرتجي إلا شفاعتك التي
فقال : لك البشري ظفرت من المنى
فدامت مسرّاتي وزادت بشائري
أنا اليوم جازّ للنبي بطيبة
ومن شعره أيضاً :

مُحَمَّدُ المَحْمُودُ بِالْخُلُقِ وَالْخُلُقِ
عن القصد إلا مالدَيَّ مِنْ العشق
بشوقي وحسنُ العَوْنِ من واهب الرزق
ظمئتُ وَقَدْ وافيتُ بابك أَسْتَسْقِي
وأشفقتُ مِنْ فِعْلي القبيحِ وَمِنْ نُطْقِي
فخذ لي أماناً في القيامة بالعق
على الآلِ والصَّحْبِ الكرامِ أُولِي الصَّدَقِ^(٢)

حللتُ بدارٍ حلّها أشرفُ الخلقِ
وخلّفتُ خلفي كل شيءٍ يعوقني
وما بيّ نُهوضٌ غيرَ أَنِّي طائر
مُحَمَّدُ يا أوفى النّبيينَ ذِمّةً
تعاظمُ إجرامي وجَلّتُ خطيئتي
وأنت شفيعٌ في الذنوبِ مُشَفِّعٌ
صلاةً وتسليمٌ عليك ورحمةً

وجدت ما هو منسوب إليه من تثنين الأبيات المشهورة :

وللعاشقين انكسارٌ	وذلة وافتقارٌ
وللإلحاح افتخارٌ	وعِزّة واقتدارٌ
وأهلُ بدري أشاروا	وودّعوني وساروا ^(٣)
يابدرُ أهلك جاروا	وعَلِمُواكَ التجري
كُتبت والوجدُ يُملي	جدّ الهوى بعد هزلي
وحارَ ذهني وعقلي	ما بين بدرٍ وأهل
يابدرُ فاحكمْ بعذل	إذا أتوك بعذلي

(١) في حاشية (ق) عن ذهبية العصر : « من الرضى » ، وكذا الرواية في الوافي .

(٢) في الوافي : « أولي السبق » .

(٣) في الأصل : « أساروا » ، وثبتنا ما في (ق) .

وَحَلَّلُوا لَكَ هَجْرِي	وَحَرَّمُوا لَكَ وَصْلِي
مَا كُنْتُ مِمَّنْ يُصَادُّ	لَوْلَا هَوَاكَ الْمَرَادُّ
يَا بَدْرُ أَهْلَكَ جَارُوا	وَلَا شَجَانِي الْبِعَادُ
لَكُنْهُمْ بِكَ سَادُوا	غَلَطْتُ جَارُوا وَزَادُوا
فَإِنَّهُمْ أَهْلُ بَدْرٍ	دَعِ يَفْعَلُوا مَا أَرَادُوا

وقد سبقه إلى مثل ذلك أبو عبد الله محمد بن جابر ^(١) ، فقال :

لَمْ يَبْقَ فِي اصْطِبَارٍ	مَنْ خَلَّفُونِي وَسَارُوا
وَلِلْحَبِيبِ أَشَارُوا	جَارَ الْكِرَامُ فَجَارُوا
لِلَّهِ ذَاكَ الْأَوَارُ	بَانُوا فَمَا الدَّارُ دَارُ
يَا بَدْرُ أَهْلَكَ جَارُوا	وَعَلِمُواكَ التَّجْرِي

☆

☆

☆

كَانُوا مِنَ الْوَدِّ أَهْلِي	مَاعَامِلُونِي بَعْدِي
أَصَمُّوا فَوَادِي بَنِي	يَا بَيْنَ يَنْتِ نَكْلِي
يَارُوحَ قَلْبِي قَلَّ لِي	أَهْمُ دَعَاكَ لِقَتْلِي
وَحَرَّمُوا لَكَ وَصْلِي	وَحَلَّلُوا لَكَ هَجْرِي

☆

☆

☆

حَسْبِي وَمَاذَا عَنَادُ	هَمُّ الْمَنَى وَالْمَرَادُ ^(٢)
وَإِنْ عَنِ الْحَقِّ حَادُوا	أَوْ جَامِلُونِي وَجَادُوا
يَا مَنْ بِهِ الْكُلُّ سَادُوا	وَالْكُلُّ عِنْدِي سَادُ
فَلْيَفْعَلُوا مَا أَرَادُوا	فَإِنَّهُمْ أَهْلُ بَدْرٍ

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) في الأصل : « هو المنى » ، وأثبتنا ما في (ق) .

قلت : الأول أحسن وأكثر مناسبة بالأصل .

قلت : وأقام في المدينة الشريفة ينظم كل يوم قصيدة ، ويؤم الضريح الشريف ووصيده ، فيفوز بالصلّات العتيدة ، والهبات التي رياح هباتها مديدة ، فواصل الله له الرضى من عاشق ، وجعل تربته رَوْضاً لناظر ومِسْكَاً لناشق .

ولم يزل على حاله إلى أن دنا من قبره فتدلى ، وأعرض عن الحياة وَوَلَّى .
وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

٣٧٩ - إيوان*

الأمير سيف الدين الناصري ، أخو الأمير سيف الدين بُشتاك .

لَمَّا أُمْسِكَ أَخُوهُ وَقُتِلَ أَخْرَجَ هُوَ إِلَى حَلَبٍ فَأَقَامَ بِهَا أَمِيراً إِلَى أَنْ تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي شَهْرِ صَفْرِ فِي طَاعُونَ حَلَبِ سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعٍ^(١) مِئَةٍ .

٣٨٠ - أيوب**

ابن أبي بكر بن إبراهيم بن هبة الله بن إبراهيم بن طارق بن سالم ، الإمام بهاء الدين أبو صابر بن النحاس الأسدي الحلبي الحنفي ، مدرس القليجية^(٢) ، وشيخ الحديث بها .

قد سمع من مُكْرَم ، والموَفَّق يعيش ، وابن رواحة ، وابن خليل ، وجماعة بحلب ، وقال إنه سمع (الصّحيح) من ابن رُوْزْبَةِ ، وسمع ببغداد من الكاشغري^(٣) .

* لم نقف على ترجمة له .

(١) في الأصل : « وتسعمئة » ، سهو .

** الوافي : ٣٦/١٠ ، والشذرات : ٤٤٥/٥ ، والمنهل الصافي : ٢٢٤/٣ ، وعقد الجمان : ١٠٤/٤ ، وفيات سنة (٦٩٩ هـ) .

(٢) مدرسة القليجية بدمشق ، أوصى بوقفها الأمير علي بن قليج النوري إلى قاضي القضاة ابن سني الدولة ، وعمرت بعد وفاته (٦٥٤ هـ) . (الدارس) .

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن يوسف الكاشغري (ت ٦٤٥ هـ) ، السير : ١٤٨/٢٣ .

لم يزل بمدرسته في الإفادة ، وألفَ هو هذه العادة ، ورأها كما يرى الحبُّ محبوبته الغادة ، إلى أن نحا النحاسَ حينه وتولع به يئنه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شوال سنة تسع وتسعين وست مئة .
ومولده سنة سبع عشرة وست مئة .

٣٨١ - أيوب بن سليمان بن مظفر *

الشيخ المقرئ المعمر نجم الدين ، مؤذن النجبي .

كبير المؤذنين ، كان يخرج بالسَّواد أمام خطباء الجامع الأموي بدمشق ، كان صوته عالياً ، إلا أنه في الطرب غالياً ، وله أخلاق مرتاضة وحركات تُداوي من الصاحب أمراضه ، وله عدة أولادٍ يجمع شملهم ويلتزم حملهم .

ولم يزل على حاله إلا أن تعين النجيب على النجبي ووجب ، وقضى الناس من أمره العجب .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وسبع مئة ، وعاش تسعاً وثمانين سنة .

☆ أيوب : بن أحمد بن النجم ، المعروف بنجم الحطيني ، يأتي ذكره في حرف النون مكانه .

٣٨٢ - أيوب بن نعمة **

ابن محمد بن نعمة بن أحمد بن جعفر ، الشيخ المعمر المُسند زين الدين النابلسي المقدسي الكحال .

اشتغل على طاهر الكحال ، وبرع في الصنعة وتميّز وتكسب بها .

* الوافي : ٤٧/١٠ ، والبداية والنهاية : ٥٧/١٤ ، والدرر : ٤٣٤/١ ، والمنهل الصافي : ٢٢٦/٣ .

** الوافي : ٥٤/١٠ ، والدرر : ٤٣٤/١ ، والشذرات : ٩٣/٦ ، والمنهل الصافي : ٢٢٨/٣ .

سمع من المُرسِي ، والرَّشيد العراقي ، وعثمان بن خطيب القرافة ، وعبد الله بن الحُشوعي ، وجماعة ، وروى الكثير .

وسمع منه الكبير والصغير . وتفرد في مصر والشام بما رواه ، وساد بما عنده مما ضقه من الرواية وحواه ، وانجفل إلى مصر وأقام بها اثنتين وعشرين سنة يعالج الناس بالكحل ويخصّب أنوار العيون بعد الحل ، ثم إنه رجع إلى دمشق وعجز وشاخ ، وطفئ جَمْر شبابه وباخ .

ولم يزل على حاله إلى أن أغمض الكَحَال عَيْنَه فما فُتحت ، وقيد العُدْم حواسه فما سَرحَت .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة أربعين وست مئة . وخُرِجَت له مشيخة ، وأجاز لي بخطه في سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

٣٨٣ - أيوب الملك الصالح*

ابن الكامل بن الموحد بن المَعظَّم توران شاه بن الصالح بن الكامل بن العادل صاحب حصن كيفا .

وصل إلى دمشق في شهر رمضان سنة ست وعشرين وسبع مئة قاصداً الحج ، وتوجّه إلى خدمة السلطان الملك الناصر ، وحجّ وعاد مسرعاً خوفاً على بلده ، وجاء الخبر في ذي القعدة أنه حال وصوله إلى الحصن تلقاه أخوه وهياً له مَنْ قتلَه وقَتَلَ ولده ، واستقل أخوه بُمْلَك حصن كيفا .

٣٨٤ - أيّوب السَّعُودِي*

الشيخ المبارك بزاوية الشيخ أبي السعود بباب القنطرة بالقاهرة .

كان يَذْكُرُ أَنَّهُ رَأَى الشَّيْخَ أَبَا السَّعُودِ^(١) ، وَأَنَّهُ سَلَكَ وَرَّاهُ فِي طَرِيقِ الصَّعُودِ .
وَضَعَفَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ ، وَذَاقَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَبَرِ وَبَالَ أَمْرِهِ ، فَكَانَ يُحْمَلُ لِحُضُورِ
الْجَمَاعَةِ ، وَيَجِدُ لِنَظَرِهِ أَلَمًا أَوْدَعَهُ صُحْفُهُ وَمَا أَضَاعَهُ .

وَلَمْ يَزَلْ عَلَى حَالِهِ إِلَى أَنْ اسْتَوْفَى أَجَلَهُ ، وَظَنَّ أَنَّ الْمَوْتَ جَاءَ^(٢) عَلَى عَجَلَةٍ .
وَتَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَوَّلِ صَفَرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، وَدُفِنَ بِالْقَرَّافَةِ
فِي زَاوِيَةِ الشَّيْخِ أَبِي السَّعُودِ . وَقَالَ جَمَاعَةٌ : إِنَّهُمْ مَارَأُوا مِثْلَ جِنَازَتِهِ ، وَكَانَ قَدْ قَارَبَ
الْمِائَةَ .

* الدرر : ٤٧٠/١ .

(١) أبو السعود بن أبي العشائر بن شعبان الباذيبي شيخ الفقهاء السعودية (ت ٧٤٤ هـ) ، وستأتي ترجمته

(٢) (ق) : « جاءه » .

حرف الباء

٣٨٥ - بِاشْقَرْدُ*

ببَاءٍ مَوْحَدَةٍ ، وبعد الألف شين معجمة وقاف مفتوحة وراء ساكنة ودال مهملة :
الأمير ناصر الدين بن عبد الله الناصري .

سُجِنَ بالديار المصرية عقيب كسرة حمص ، وبقي في الاعتقال إلى أن أُفِرَجَ عنه ،
وحضر إلى دمشق فبقي بها نحواً من عشرة أيام .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد ثالث عشر صفر سنة اثنتين وسبع مئة .

قرأ عليه الشيخ علم الدين البرزالي مجلس (البطاقة) بسماحه من عبد الله بن
علاق ، عن البوصيري .

وكان من أكابر الأمراء وأفاضل النبلاء ، عقله غزير ، وفَضْلُهُ مُثْلُ أدبه كبير ، له
حُرْمَةٌ زائده ، ووجاهة لم تكن عن القبول حائلة ولا حائده ، وله نظم يَرُوقُ ،
وقريض يعلو إلى الأثير إن لم يصل إلى العُيُوق^(١) .

أخبرني شيخنا نجم الدين الصفدي^(٢) عَنْ أَخْبَرَهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : بقيت عشرين سنة
لا أتلفظ باللغة التركية حرصاً مني على إتقان العربية .

* البداية والنهاية : ١١٤/١٤ ، والدرر : ٤٣٥/١ .

(١) العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن .

(٢) حسن بن محمد ، وستأتي ترجمته .

اللقب والنسب

- ☆ البايي : محمد بن عمر .
- ☆ البابري : سيف الدين أبو بكر .
- ☆ البابصيري : عبد العزيز بن أبي القاسم .
- ☆ ابن باتكين : مُحيي الدين أحمد بن نصر الله .
- ☆ البانياسي الكاتب : تقي الدين أبو بكر بن محمد .
- ☆ الباردي : صدر الدين سليمان بن عبد الحليم .
- ☆ الباجريقي : جمال الدين عبد الرحيم بن عبد اللولى ، وولده الشيخ محمد .
- ☆ البارنباري : تاج الدين محمد بن محمد ، وجمال الدين عبد المحسن بن حسن .
- ☆ البارشاه الحنفي : ركن الدين عبيد الله .
- ☆ ابن البارزي : فخر الدين عثمان بن محمد .
- ☆ والبارزي : محمد بن عبد الرحيم ، وقاضي القضاة شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم ، وقاضي القضاة نجم الدين عبد الرحيم .
- ☆ الباجي : الشيخ علاء الدين الأصولي علي بن محمد .
- ☆ البالي : علي بن محمد .
- ☆ البالسي : محمد بن عقيل ، ومحمد بن علي .
- ☆ الباذراي : محمد بن محمد بن حيدرة .

٣٨٦ - بُتْخاص *

بضم الباء الموحدة ، وسكون التاء ثالثة الحروف ، وبعدها خاء معجمة وألف وصاد مهملة : الأمير سيف الدين .

كان بدمشق من جملة أمرائها ، ثم حضر إلى صفد نائباً بعد الأمير سيف الدين كراي النصور ^(١) ، وأقام بها ست سنين ، وعزل ^(٢) وتوجه إلى مصر ، وهو من جملة الأمراء البرجية .

ولما كان بصفد أظهر للهابه ، ومزق من المؤذي إهابه ، وتَنَوَّع في إتلاف النفوس ، وفَصَلَ الأجساد عن الرؤوس ، ومَهَّد جبلَ عامِلَه ، وروى سيفه منهم ^(٣) وعَامِلَه ، أمسك سابق شَيْحَيْن ^(٤) وأذاقه الحَيْن في الحَيْن ، وسَمَّر أولاده تحت القلعة على الخشب ، وأوَّاهم أباهم وقد طار من المنجنيق في الهواء وانقلب ، ووسَّط جماعة كثيرة وشَنَق ، وخنق آخرين من غيظه والحنق ، وسَمَّر جماعة على الجبال وطاف بهم البلد ، وأنزل بهم أنواعاً من النكال والنكد ، قد تَمَّصَّ القساوة والتجبر ، وزاد في التعاضم والتكبر .

ولم يزل بمصر مقيماً من جملة الأمراء إلى أن حضر الملك الناصر من الكرك فعَزَم على إمساكه ، وكان في القلعة ساكناً في برج من أبراجها ^(٥) ، فلما أحسَّ بذلك عَصَى في داره ، وأغلق الأبواب ، ورمى الناس بالنشأب من أعلى داره من شباك ، وكان ذلك بعد مغيب الشمس ، فرسم السلطان بإحراق داره ، وأن يرمى فيها قوارير النفط .

أخبرني من لفظه الأمير شرف الدين أمير حسين بن جندر قال : جئت إليه

* الوافي : ٧٥/١٠ ، والبداية والنهاية : ٦٤/١٤ ، والدرر : ٤٧٢/١ ، والمنهل الصافي : ٢٢٧/٢ .

(١) في الوافي : « المنصوري » ، وكذا في المنهل .

(٢) (ق) : « وعزل منها » .

(٣) (ق) : « من دمهم » .

(٤) لم تقف على ترجمة له .

(٥) (ق) : « بروجها » .

ووقفتُ تحت الشباك وناديتُهُ : يا بُتْخاص ، أنا فلان ، والك ، أيش هذا الذي تعمل ؟ تعال بلا فُشار ، وانزل كَلَم أستاذك ، فإنه يطلبك ليتحدّث معك في أمرٍ يريدُهُ ، ترمي بالنشاب ! تعال انزل ، ونفرتُ في ممالكه ، ونفرت في ^(١) الذين جاؤوا إليه من عند السلطان . قال : فانفعل لِمَا قلته ، ونزل ، فأخذناه وأتيناه به السلطان ، فأمر باعتقاله ، وكان ذلك آخر العهد به ، وذلك سنة عشر أو سنة إحدى عشرة وسبع مئة - فيما أظن - فباد وما أغنى عنه تجبُّره ، ولا دافع عنه تكبُّره .

وجاءت الأخبار أنه توفي في حُس الكرك هو وأسندمر نائب طرابلس في القعدة سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، ولم يبلِّغنا عن أحد من غيره من الأمراء الذين أمسكهم السلطان الملك الناصر من بعد الكرك وإلى أن مات أنه مانعٌ عن نفسه أو دافع .

٣٨٧ - بُتْخاص *

الأمير سيف الدين العادلي مملوك السلطان الملك العادل كتبغا ، قتله حسام الدين لاجين ، وقتل خوشداهش ^(٢) الأمير بدر الدين بكتوت الأزرق في يوم الاثنين ثامن عَشري المُحرّم سنة ست وتسعين وست مئة ، على ماسياتي في ترجمة بكتوت .

☆ البجدي : محمد بن أحمد

☆ ابن بحّيح الحنبلي : زين الدين عمر بن سعد الله .

☆ ابن البخاري : محمد بن علي ، وشمس الدين محمود بن أبي بكر الحنفي .

☆ ابن التخاص : ناصر الدين محمد بن عمر .

(١) ما بين : « نفرت ونفرت » ، سقط من الأصل ، وهو ثابت في (ق) ، والوافي .

* ذكره صاحب عقد الجمان : ٣/٣٤٨ ، في أحداث سنة « ٦٩٦ هـ » .

(٢) فارسية ، تعني الزميل في الخدمة .

٣٨٨ - بدر*

الأمير بدر الدين أبو المحاسن الطّواشي الحبشي الصّوّاي ، وهو منسوب إلى الطّواشي صواب العادلي^(١) .

كان إقطاعه مئة فارس ، حج بالناس غَيْرَ مَرَّة ، وأقام أميراً مقدّماً أكثر من عشرين سنة ، وقرأ عليه الشيخ شمس الدين الذهبي جزءاً سمعه من ابن عبد الدائم ، وكان بالشجاعة موصوفاً ، وبالفروسيّة معروفاً ، قد مارس الحروب ، وعرف الفَرَّ والكَرَّ على الكروب ، يطرق ويتعقل ، ويدور على مَظَان الصّواب بفكره ويتنقل ، مع الثّبت والرزانة^(٢) ، وملازمة الخير والديانة ، ومواصلة البرّ ، وإسداء المعروف في الجهر والسر ، يَعِمُ غلمانه وأصحابه بنواله ، ويغنيهم بمجوده عن سؤاله .

ولم يزل على حاله إلى أن انحق بَذْرُه وانطبق عليه قَبْرُه .

وكانت وفاته فجأة بقرية الخيارة ظاهر دمشق ، وتقل ودفن بتربته التي بناها بلحف الجبل شمالي الناصرية ، وذلك سنة ثمان وتسعين وست مئة في جمادى الأولى ، وقد نيّف على الثّانين .

اللقب والنسب

☆ البَذري : نائب صفد وحمص وغيرها ، الأمير سيف الدين بلبان ، وأولاده : الأمير سيف الدين محمد الحاجب ، والأمير علاء الدين [علي]^(٣) .

☆ البدري : نائب حلب ، الأمير سيف الدين بيدمر .

* الوافي : ٩٥/١٠ ، والشذرات : ٤٤١/٥ ، والمنهل الصافي : ٢٤٣/٣ .

(١) (ت ٦٣٢ هـ) ، الشذرات : ١٤٩/٥ .

(٢) في الأصل : « الدراية » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٣) زيادة من (ق) .

٣٨٩ - بُرَاق*

الشيخ الفقير كبير الطائفة النسويين إليه . وَرَدَ إلى دمشق سنة خمس وسبع مئة ، وقيل : سنة ست في جُمَادَى الْأُولَى في زمن الأفرم ، ومعه جماعة كبيرة من أتباعه بَعْدَ وافرة ، كانوا مئة ، وكان من جملة مريدي شيخ كان في بلاد الروم ، ولما وَرَدَ خرج القاضي قطب الدين ناظر الجيش ^(١) إلى القابون وعرضهم واستسأهم وحلّاهم وعَدَّم ، وَجَهَّزَتْ بِذَلِكَ وَرَقَةً طَيِّ الْمَطَالَعَةِ إلى أبواب السُّلْطَان ، وكان شعاره حَلَقُ الذَّنْ كُلِّهَا ، وَتَرَكَ الشَّارِبَ فَقَطْ ، وَحَمَلَ الْجُوكَانَ ^(٢) عَلَى الْكَتِف ، وَلَكَلَّ مِنْهُمْ قَرْنًا ^(٣) لِبَّادٍ يُشْبِهَانِ قَرْنِي الْجَامُوس ، وَهُوَ مَقْلَدٌ بِجِلِّ كَعَابِ بَقَرٍ ^(٤) قَدْ صَبَغَتْ بِالْحَنَاءِ ، وَعَلَيْهِمُ الْأَجْرَاسُ ، وَكُلُّ مِنْهُمْ مَكْسُورُ الثِّيَّةِ الْعَلِيَا ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يِلَازِمُ الْعِبَادَةِ وَالصَّلَاةِ ، وَكَانَ مَعَهُ مُحْتَسِبٌ يُؤَدِّبُ أَصْحَابَهُ ، كُلُّ مَنْ تَرَكَ مِنْهُمْ ^(٥) سَنَةً مِنَ السَّنَنِ ضَرَبَهُ عَشْرِينَ عَصًا تَحْتَ رِجْلَيْهِ ، وَمَعَهُ طَبْلَخَانَاهُ ، وَقِيلَ لَهُ : يَا شَيْخُ لِأَيِّ شَيْءٍ ظَهَرَتْ بِهَذَا الشَّعَارُ ؟ قَالَ : أَرَدْتُ أَنْ أَكُونَ مَسْخَرَةً لِلْفُقَرَاءِ .

وأول ما ظهر بتلك البلاد ذِكْرُ اللِّقَانِ غَازَانِ ، فَأَحْضَرَهُ وَسَلَّطَ عَلَيْهِ سَبْعًا ضَارِيًا ، فَرَكَبَ عَلَى ظَهْرِهِ ، وَلَمْ يَنْلِ مِنْهُ شَيْئًا ، فَأَعْظَمَ ذَلِكَ غَازَانِ ، وَنَثَرَ عَلَيْهِ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ رَائِحٍ ، فَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَشَيْءٍ مِنْهَا .

ولما أَرَادَ الدَّخُولَ عَلَى الْأَفْرَمِ إِلَى الْمِيدَانِ أَرْسَلُوا عَلَيْهِ نَعَامَةً كَانَ قَدْ عَظُمَ أَمْرُهَا وَتَفَاقَمَ شَرُّهَا ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يَقَاوِمُهَا ، فَلَمَّا عَرَضُوهُ لَهَا قَصَدَتْهُ ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا وَرَكَبَ

* الوافي : ١٠٦/١٠ ، والدرر : ٤٧٣/١ ، والمنهل الصافي : ٣٤٧/٣ .

(١) ابن شيخ السلامة ، موسى بن أحمد ، وستأتي ترجمته

(٢) الجوكان : المحجن أو الصولجان الذي تضرب به الكرة . (صبح الأعشى ٤٥٨/٥) .

(٣) في المنهل : « وفي رأسه قرن لباد » .

(٤) في الدرر : « بفرو » .

(٥) ليست في (ق) ، والوافي .

عليها فطارت به في الميدان تقدير خمسين ذراعاً ، إلى أن قَرَبَ من الأفرم ، فقال له : أطيّر بها إلى فوق شيء آخر ؟ فقال : لا . ثم إن الأفرم أحسن تلقّيه وأكرم نُزله ، وطلب التوجّه إلى القدس ، فرتب له رواتب في الطرقات ، فما قبلها ، وأعطاه الأفرم من خزائنه ألفي درهم ، فما قبضها ، وأخذها جماعته ، وزار القدس ، وأظنه طلب الدخول إلى مصر فما مَكَّن ، وعاد ودخل البلاد وتوجّه صحبة قطليجا نائب غازان إلى جبال كيلان لما حاربهم غازان بسبب ما طلبه منهم من فتح الطريق إلى بلاده وقالوا له : لا سبيل إليه لأنه يضرّنا ، فأمسكوه وقالوا : أنت تقول إنك مُسلم وشيخ من الفقراء ، وتحضر مع هؤلاء أعداء الدين ، وسلّقوه في دُست ، وألقوه بعد ذلك في طُست ، وذلك في سنة سبع وسبع مئة .

وكانوا أشكلاً غريبه ، ولهم أحوال عجيبه . تَفَرَّ العقولُ إذا أقبلوا ، وتتعجب منهم إذا تَقَرَّوا وطَبَّلوا . تتحرك عليهم تلك الكعاب ، ويهول مرآهم العجوز والكعاب ، قرونٌ من اللباد مَعَقَّفه ، وشوارب فوق شفاههم موقَّفه ، وعلى أكتافهم تلك الجواكين ، وهياتهم كما يقال : ما تنقطع بالسكاكين ، إذا خطرُوا صَوَّتت تلك الأجراس وجَعَلُوا ربوع العقول في عداد الأدراس ، قَصَّهم الناس في الخيال ورقصوهم ، وبخسوهم ما قصدوا به ونقصوهم ، واشتغل الناس بهم زماناً بعد ذهابهم ، ونظموا فيهم أشعاراً لم تكن داخله في حسابهم .

أنشدني من لفظه الشيخ يحيى الخبّاز الحموي^(١) قال : أنشدني من لفظه لنفسه سراج الدين الحار^(٢) :

جَنَتْنا عجم من جُؤا الروم صُور تحير فيها الأفكار
لهم قرون مثل الثيران إبليس يصيح منهم زهّار

(١) يحيى بن محمد بن زكريا العامري (ت ٧٧٣ هـ) ، الدرر : ٤٢٦/٤ .

(٢) عمر بن مسعود ، وستأتي ترجمته .

جا كلّ واحد لُو شارب
 كُنُو على فـه غـرّه^(١)
 أقوام خوارج غيريّـه
 شي ما نظرناه في الدنيا
 ما أنزل الله بو [من]^(٢) سلطان
 الشيخ براق آلي اغـواهم
 أكسى المريـد منهم قرنين
 وأمّا الكعاب المـبـوغة
 وأيا مكان حَلّوا فيه
 وإن زَفَرُوا تَسْمَعُ أصوات
 أعـزّ من تبصر فيهم
 خَـذْ من صغرهم عودهم
 ما يعرفوا آداب الناس
 ومحتسبهم قال لي انسان
 تعبْ عليه حتى أنوجا
 جازوا القرم وراموا فيها
 على اللّوايا للعلوفه
 وراح يجردهم مـباغـو
 ويطلب البنـجـك منهم
 وهو يدور بين البلدان

طويل ودقنو مخلوقه
 بلا خياطة ملزوقه
 مثل البهائم مَزُوقه
 ولا سمعناه في الأخبار
 ولا رضى عنُّو المختار
 واختار لهم هذا الحلاس
 وأعطاه قلاده من أجراس
 قال هي سَبَّح هـذي الأجناس
 يسبّحوا تسييح الغفار
 مقارع أهل النار في النار
 قبض الدكاكين في الأسواق
 لحس الزبـادـي والأوراق
 ولا إيش يكون حُسن الأخلاق
 كان يريّيه واحد خـار
 مثلو محارف^(٣) قود بشلار^(٤)
 غارة في سوق الجزارين
 وأكثرها مع ذا السلاخين
 دالّمْ في سوق الطبـاخـين
 الخبوز الخاص والخشكار
 دالّمْ ويعمـل ذا البيكار

(١) في الوافي : « عثره » .

(٢) زيادة من (ق) والوافي .

(٣) في الوافي : « نحارف » .

(٤) في الوافي : « شلار » .

قد جيت في الدنيا بدعة
صليت سوا إن كان جمعة^(١)
لك في بلاد الشام سعة
ظهر عليك فيها إنكار
فقير بسبعين جوكندار
أقف ثقل لك كيف وصفو
وجوكانو من فوق كتفو
والطبلخانه^(٢) من خلفو
والطبل مكه والزممار
وقط ما يرضي الحضار
شغل الفقيري من حقا
واركب طريق أهل الخرقا
والآخرة خير لك وأبقى
حليق وما تخشى من عار
طريق حميد ذاك المَحَار
وَنَا الوحيد جيت في فني
عنك وما يُروى عني
إلا ويطلبها مني

ياشيخ براق والله إنك
وما رأيـناك في جامع
وكان مرادك أن تُشهر
وجئت إليهم^(٣) في حاله
وما رأيـنا من قبلك
يا من لا يتحقق شكلو
إنسان قرونو فوق راسو
وسيف خشب مغمود ماعو
يُصَنِّجُو بالصينية
شي تضحك الناس من فعلو
ياشيخ براق إن كان تعمل
تقو^(٤) من زاد التقوى
ولا تغرك ذي الدنيا
ون كان في عزمك تبقى^(٥)
السوابب إنك تتبع^(٦)
إنت الغريب جيت في فنك
نظمت أحسن ما يُثقل
قطعة ما يسمعها إنسان

(١) في (ق) والوافي : « يوم جمعة » .

(٢) في الوافي : « ليهم » .

(٣) في الوافي : « والطبلخاه » .

(٤) في الوافي : « تقوى » .

(٥) في الوافي : « ماتبرج » .

(٦) (ق) : « تتبع فيها » .

تبقى على مرّ الأزمان تدور على روس الأدوار
وكنيتي ما احلا ماجت مخفية بين هذي الأسطار

قال شيخنا علم الدين البرزالي : كان من قرية من قرى دوقات ^(١) ، وكان أبوه صاحب إمرة وولاية ، وكان عمّه كاتباً مجيداً معروفاً ، وسافر هو - يعني براق - وخدم الشيخ شريق القرمي ^(٢) وتلمذ له ، وهو الذي سَمَّاه بهذا الاسم فإنه أكل من قَيْئِهِ فقال له : أنت برقي ، وهي بالقبحاقية : « كَلْبٌ » . قال : ومَا يثنى به عليه أنه هو وجماعته يلازمون الصلاة ، وَمَنْ فاتته صلاة في وقتها ضُرب أربعين سوطاً ، ولهم ذكر بين العشائين ، وكرَّمهُ زائد .

٣٩٠ - بَرَاق *

الأمير سيف الدين أمير آخور الإسطبل السلطاني بدمشق المحروسة .
أصله من ممالك الأفرم - فيما أظن - وولي هذه الوظيفة بعد شهاب الدين الصوابي لما مات في سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، وأقام فيها إلى أن مرض بعلقة الاستسقاء .
وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الجمعة ثامن عشري شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين .

وكان جيداً خيراً يتغالى في محبة الشيخ تقي الدين بن تيمية وأصحابه ، ويحفظ كثيراً من الأحاديث . وكان كثير الشفقة على خيل البريد إلى الغاية ، لا يسمح بخروج الفرس من عنده إلا بعد شدة شديدة ومدة مديدة . ولما ورد السلطان الملك الصالح صالح إلى دمشق في سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة رسم له بعشرة ، وكان من جملة أمراء

(١) دوقات : ويقال « توقات » : بلدة في أرض الروم ، كانت ذات قلعة حصينة . (معجم البلدان) .

(٢) لم تقف على ترجمته .

* الدرر : ٤٧٤/١ .

العشرات بدمشق ، وهو الذي وقف الحيّا^(١) في جامع الأمير سيف الدين تنكز بدمشق ، ووقف عليه حوانيت بمحص .

☆ البرزالي : الشيخ علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف ، وبهاء الدين محمد بن يوسف بن محمد .

٣٩١ - بَرَسْبَغَا*

الأمير سيف الدين الحاجب الناصري .

ولاه أستاذَه الملك الناصر الحجويّة ، فكان دون الأمير بدر الدين أمير^(٢) مسعود بن الخطير ، ثم إنّه بعد قليل عظم عند السلطان ، وكان يجهّزه كاشفاً . ثم إنّه لما أمسك النشو ناظر الخاص وأقاربَه وجماعته سلّمهم إليه ، فعاقبهم وصادَرهم ، ولم يكن له غرض في إتلافهم ، ولكن أمسكه يوماً الأمير سيف الدين بُشتاك وتوعّده على عدم إتلافهم ، فهلكوا عنده في العقوبة . ثم إنّه حضر مع الأمير بُشتاك إلى دمشق بعد إمساك الأمير سيف الدين تنكز ، وسلّم إليه أهل البلد المصادرون وجماعة تنكز ، فعاقبهم واستخرج الأموال منهم ، وكان مقيماً بالنجبيّة على الميدان ، وكان يعاقب الناس في النهار وفي الليل ، ولم يكن في نفسه ظالماً ولا شريراً ، لأنني أنا كتبتُ عنه إلى الأمير سيف الدين قوصون عدّة مطالعات وهو يقول فيها : يا خوند أدركُ أهلَ دمشق ، واَدْخُلْ فيهم الجنة ، فإنني بَسَطْتُ عليهم العقاب ، وأخذت جميع ما يملكونه ، ولم يبق معهم شيء ، وهؤلاء ما هم مثل أهل مصر بل هم أناس محتشمون ما يحملون إهانة^(٣) ، ويكتب إلى السلطان أيضاً ببعض ذلك .

(١) كنا ولم يتبيّن مراده .

* الوافي : ١١٤/١٠ ، والدرر : ٤٧٤/١ ، والمنهل الصافي : ٢٨٢/٣ .

(٢) ليست في (ق) ، والوافي .

(٣) في الوافي : « إهنة » .

ولما حضر أولاً من مصر حضر معه مقدّم يضرب بالمقارع ، فلما رآه بعد يومين وهو نحس^(١) في حق المصادرين نفاه ، وقال : متى بتّ في دمشق قتلتك .

ولم يَزَلْ يتلطّف إلى أن رُسِمَ له بالعود إلى مصر ، وكان قد أقام بعد بشتاك مدّيّة ، فتوجّه ، ولم يزل على ذلك والسُلطان يسلم إليه المصادرين . وهو الذي ضرب صاحب أمين الدين إلى أن مات .

ومات السلطان وتولّى ولده الملك المنصور أبو بكر ، فانتحس عنده وعند قوصون ، وأريد إخراجَه إلى الشام ، ثم إنّه تدارك أمرَه عند قوصون فرضي عليه . ولما ملك الأشرف كجك بعد المنصور وجاء الفخري إلى دمشق أُخرج برُسْبغا في جماعة من العسكر المصري إلى غزة فوصل إليها ، وأقام بغزة مدة إلى أن وصل إليه الأمير علاء الدين الطنبغا مهزوماً ، فتوجه معه^(٢) ، فلما قاربوا مصر أمسك الأمير سيف الدين قوصون وجَهّز إليهم من أمسكهم^(٣) ، فهرب برُسْبغا إلى جهة الصعيد فجَهّز وراءه^(٤) من أمسكه ، وأحضره ولما وصل إلى القاهرة جَهّز إلى الإسكندرية واعتقل بها ، وبقي هناك إلى أن حضر الناصر أحمد من الكرك ، وجاء الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري ، والأمير سيف الدين طشتر حمص أخضر ، فجَهّز الأمير شهاب الدين أحمد^(٥) بن صبيح إلى الإسكندرية ، فتولى قتل الطنبغا وقوصون وبرُسبغا ، وذلك في شوال سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

وكان برُسبغا - كما تقدم - لَيّن الجانب سليم الباطن ، يُرى وهو للظلم مجانب ، تغلبه الرقة والرحمة ، وتستولي عليه الشفقة على من تنزل به النقمة ، إلّا أنه كان يلجأ

(١) كذا ، ولعلها « يبخس » .

(٢) (خ) : « معهم » .

(٣) في الوافي : « يسكهم » .

(٤) (خ) : « فجهزوا له » .

(٥) ليست في (خ) . وفي المنهل : « أحمد بن صبيح » .

إلى التظاهر بالشر ،. والوثوب على أهل الأموال بالكر دُون الْفَرِّ ، وما أفاده خَيْرُ الباطن شيئاً مع شر الظاهر ، ولا أعاده الدخول في الظلم إلا إلى نجاسة الهلاك دون ما للنجاة من الطاهر . وقابل شخص المنية واعتنق ، وخانه الزمان فأودعهُ السجن إلى أن اختنق .

٣٩٢ - بُرْناق*

الأمير سيف الدين الحمّدي .

كان قد ورد إلى دمشق ، ولما أمسك الأمير سيف الدين جَرَكَتَر المارداني^(١) في دمشق عند قدومه من الحجاز في سنة اثنتين وستين وسبع مئة جَهَّز الأمير سيف الدين بُرْناق معه إلى مصر ، ولما عاد من ذلك رُسم له بناية قلعة دمشق ، فلبس تشريفةً بدار السعادة وتوجه إلى القلعة ، وذلك في يوم الاثنين سادس عشري صفر سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، فأقام بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى في عشية الأربعاء حادي عشر شعبان سنة اثنتين وستين وسبع مئة .

الألقاب والأنساب

☆ ابن برق : والي دمشق شهاب الدين أحمد بن أبي بكر ، والده أبو بكر بن أحمد .

☆ ابن البُرْطاسي : شرف الدين عيسى بن عمر .

☆ البرّسّي : برهان الدين إبراهيم بن أحمد ناظر بيت المال .

☆ ابن البرهان : الطبيب محمد بن إبراهيم .

* الدرر : ٤٧٦/١ ، وبدائع الزهور : ٥٨٦/١/١ .

(١) في الدرر : ٥٣٤/١ ، أنه مات قبيل السبعين .

☆ البرواني : الأمير علم الدين سنجر ، وابنه بهاء الدين محمد بن القاسم .

☆ البزاعي : التاجر الشاعر أحمد بن خليل .

٣٩٣ - بُزْلاَر *

بضم الباء الموحدة وبعدها زاي ساكنة ولام وألف وراء : الأمير سيف الدين أمير سلاح الناصري أحد أمراء المئات ومقدمي الألوف بالقاهرة .

كان قد وَرَدَ إلى دمشق في البريد نهار الجمعة عاشر شهر رجب الفرد سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ليَحْلِفَ الأمير سيف الدين أَيُّمِشُ نائب دمشق والعساكر بها للسلطان الملك الصالح ابن السلطان الملك الناصر محمد ، ونزل بالقصر الأبلق ، وحلّف الناس ، واحتفلوا^(١) بأمره ، وقدموا له أشياء مليحة ، كلّ أحدٍ من الأمراء والمتعممين ، وعاد ومعه شيء كثير من الخيل والقماش وغير ذلك .

ولم يَزَلْ بمصر على حاله إلى أن توفي رحمه الله تعالى ، وورد خبره إلى دمشق في أوائل ذي القعدة سنة ست وخمسين وسبع مئة .

وهو الذي ساعد الأمير سيف الدين طاز على إمساك بيبغاروس في سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة لما كانوا في طريق الحجاز ، وكان يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِنِيَابَةِ دمشق ، فسبقه الأجل وأخذه على عَجَلٍ .

٣٩٤ - بُزْوجِي **

بالباء الموحدة والزاي المفتوحة والواو الساكنة والجيم والياء : الأمير سيف الدين أحد أمراء العشرات بدمشق .

* الدرر : ٤٦٧/١ .

(١) في الأصل : « واحتفلوا » ، تحريف .

** الدرر : ٤٧٧/١ .

كان قد تقدّم في أيام قوصون وأعطاه طبلخاناه ، فلمّا زالت دَوْلَة قُوصون أخرج إلى دمشق بطّالاً ، ورَتَّب له على سَوق الغنم ، في كلّ يوم عشرون درهماً ، وأقام إلى أن حَضَرَ الملك الصالح صالح إلى ^(١) دمشق فأعطي عشرة ، فأقام عليها إلى أن توفي رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء سادس عشر ^(٢) شعبان سنة ست وخمسين وسبع مئة بدمشق ، وتوفي ابنه بعده بجمعة واحدة .

٣٩٥ - بَشْتَاك *

بفتح الباء للموحدة وسكون الشين للمعجمة وتاء ثلاثة الحروف وبعدها ألف وكاف : الأمير سيف الدين الناصري .

قَرَبَة السلطان وأدناه وأعلى مَحَلّه ، وكان يسمّيه بعد موت بكتمر الساقى بالأمير في غيبته ، وكان زائد التيه والصّلف ، لا يُكَلِّم أستاذ داره وكاتبه إلا بترجمان . وكان يَعْرِف بالعربيّ ولا يتكلّم به ، وكان إقطاعه سبع عشرة طبلخاناه ، أكبر ^(٣) من إقطاع قوصون وما يعلم قوصون بذلك .

ولما مات الأمير سيف الدين بكتمر الساقى ورثه في جميع أحواله ، في داره وإصطبله الذي على بركة الفيل ، وفي امرأته أم أمير أحمد ، واشترى جاريتَه خُوبي ^(٤) بستة آلاف دينار ، ودخل معها ما قيمته عشرة آلاف دينار ، وسيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى ، وأخذ ابن بكتمر عنده . وكانت الشرقيّة تُحمى له بعد بكتمر الساقى .

وزاد أمره وعظّم مَحَلّه وثقل على السلطان ، وأراد الفتك به فما تمكّن ، وتوجّه

(١) ليست في (خ) .

(٢) ليست في (خ) .

* الوافي : ١٤٢/١٠ ، والدرر : ٤٧٧/١ ، والمنهل الصافي : ٣٦٧/٣ .

(٣) (خ) : « أكثر » .

(٤) ستأتي ترجمتها .

إلى الحجاز ، وأنفق في الأمراء وأهل الركب والفقراء والمجاورين بمكة والمدينة شيئاً كثيراً إلى الغاية ، وأعطى من الألف دينار إلى الدينار على مراتب الناس وطبقاتهم . ولما عاد من الحجاز لم يَدِرْ به السلطان إلا وقد حضر إليه في نفر قليل من مماليكه ، وقال : إن أردت إمساكي فما أنا قد جئت إليك برقبتي . فكأبره السلطان وطيب خاطره ، ورُمي بأوايد ودواهي من أولاد^(١) الزنا ، وكان السبب في تقدّمه أن قال السلطان يوماً لمجد الدين السلامي : يا مجد الدين ، أريد أن تحضر من البلاد مملوكاً يشبه بوسعيد . يعني ملك التتار . فقال : هذا مملوكك بشتاك يشبهه ، وكان ذلك سبباً لتقدمه^(٢) .

وجزّده السلطان لإمساك الأمير سيف الدين تنكز ، فحضر إلى دمشق بعد إمساكه هو وعشرة أمراء ، ونزلوا القصر الأبلق ، وفي خدمته الأمير سيف الدين أرقطاي وبرسبغا وطاجار^(٣) الدوادار وغيره . وحال نزوله حلف الأمراء كلهم للسلطان ولذريته ، واستخرج ودائع تنكز وعرض حواصله ومماليكه وجواريه وخيله وكل ما يتعلق به ، ووسط طغاي وجُنغاي مملوكي تنكز في سوق الخيل ، ووسط أوران أيضاً بحضوره يوم المواكب ، وأقام بدمشق خمسة عشر يوماً أو حولها ، وعاد إلى مصر ، وبقي في نفسه من دمشق وما يجسر يفاتح في ذلك السلطان ، فلما مرض السلطان وأشرف على الموت ألبس^(٤) الأمير سيف الدين قوصون مماليكه ، فدخل بشتاك وعرف السلطان ذلك ، فقال له : افعل أنت مثله ، ثم إنه جمع بينها وتصالها قدامه ، ونصّ السلطان على أن الملك بعده لولده المنصور أبي بكر ، فلم يوافق بشتاك ، وقال : ما أريد إلا سيدي أحمد .

(١) (خ) ، (ق) : « أمر » .

(٢) (ق) ، (خ) : « لتقريبه » .

(٣) هو طاجار بن عبد الله الناصري (ت ٧٤٢ هـ) . (المنهل) .

(٤) (خ) : « لبس » .

ولما مات السلطان وسُجِّي ، قام قوصون إلى الشُّبَّاك ، وطلب بشتاك ، وقال :
يا أمير تعال ، أنا ما يجيءُ مني سلطان ، لأني كنتُ أبيعُ الطسما^(١) والبرغالي
والكشاتوين . وأنت اشتريت مني ، وأهل البلاد يعرفون ذلك مني ، وأنت ما يجيءُ
منك سلطان لأنك كنت تبيع البوزا وأنا اشتريت منك ، وأهل البلاد يعرفون ذلك
منّا ، ولا يكون سلطاناً من بيع الطسما والبرغالي ولا من عَرِفَ ببيع البوزا ، وهذا
أستاذنا هو الذي أوصى لمن هو أخْبَرُ به من أولاده ، هذا هو في ذمته وما يسعنا إلا
امتثال أمره حياً وميتاً ، وأنا فما^(٢) أخالفك إن أردت أحمد أو غيره ، ولو أردت تعمل
كل يوم سلطاناً ما خالفتك . فقال بشتاك : كل هذا صحيح والأمر أمرُك . وأحضر^(٣)
المصحف وحلفا عليه بعضاً لبعض ، وتعاثقا وتباوسا ، ثم قاما إلى رِجْلَي السلطان
فقبلاهما ووضعاً أبا بكر ابن السلطان على الكرسي ، وبأساً له الأرض ، وحلفا له
وسمّياه المنصور .

ثم إنَّ بشتاك طلب من السلطان الملك المنصور نيابة دمشق ، فرسم له بذلك
وكتب تقليده ، وبرَزَ إلى ظاهر القاهرة ، وبقي هناك يومين ثلاثة ، ثم إنَّه طلع إلى
السلطان ليودّعه ، فوثب عليه الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري ، وأمسك سيفه ،
وتكاثروا عليه فأمسكوه وجَهَّزوه إلى الإسكندرية واعتقلوه بها ، ثم إنَّه قُتِلَ في الحبس
في أول سلطنة الأشرف كُجُك في شهر ربيع الآخر تقريباً^(٤) سنة اثنتين وأربعين وسبع
مئة .

وكان رحمه الله تعالى شاباً أبيض اللون ظريفاً^(٥) ، مديد القامة نحيفا ، خفيف

(١) في الوافي : « الطسما » .

(٢) في المنهل : « ما » .

(٣) (ق) ، (خ) ، والوافي والمنهل : « وأحضرا » .

(٤) ليست في (خ) .

(٥) (ق) : « طريفاً » .

اللحية كأنها عذار ، أوليقة^(١) عنبر دار بها البركار^(٢) ، على حركاته رشاقه ، وفي سكناته لبقاه ، حسن العمّة يتعمّم الناس على أنموذجها ، وكأنهم يتناولون منها^(٣) حلوى فالودجها ، إلا أنه - رحمه الله - كان غير عفيف الفرج ، زائد الهرج والمرج ، لم يعف عن مليحة ولا قبيحة ، ولم يدع أحداً^(٤) يفوته ولو كانت بفرد عين صحيحة ، يسك حتى نساء الفلاحين ، ومن هي من زوجات الملاحين ، واشتهر بذلك ورُمي فيه بأوابد ، وأثار الناس عليه من ذلك لبّوات لوابد .

وكان زائد البذخ ، منهمكاً على ما يقتضيه عنفوان الشبيبة والشرح ، كثير الصلف والته ، لا يُظهر الرحمة ولا الرأفة في تأتيه .

ولما توجه بأولاد السلطان ليفرجهم في دمياط رأيت في كل يوم يذبح لسباطه خمسين رأس غنم ، وفرساً لا بد منه ، خارجاً عن الإوز والدجاج . وأخبرني سيف الدين طغاي مملوك الأمير شرف الدين حسين بن جندر ، وكان أمير مجلس عنده قال : لنا راتب^(٥) في كل يوم من الفحم برسم المشوي مبلغ عشرين درهماً خارجاً عن الطواري ، وأطلق له السلطان في كل يوم بقجة قماش من اللفافة إلى الخف إلى القميص واللباس والملوطة والبغلطاق والقباء ، والقباء الفوقاني بوجه إسكندري على سنجاب طري بطرز زركش رقيق وكتوت وشاش ، ولم يزل يأخذها إلى أن مات السلطان ، وأطلق له في يوم واحد ثمن قرية « بينى » بساحل الرملة مبلغ ألف ألف درهم ، وهو أول أمير أمسك بعد وفاة الملك الناصر ، وما أغنى المسكين عنه ماله ، وأوبقته في السجن أعماله . وقلت أنا فيه :

(١) الليقة : شيء أسود يُجَعَل في الكحل ، والطينة اللّجة .

(٢) (خ) : « البيكار » .

(٣) ليست في (خ) .

(٤) (خ) : « واحدة » .

(٥) في الوافي : « قال لنا : رأيت » ، تحريف .

قالَ الزمانُ وما سَمِعنا قولَه والناسُ فيه رهائنُ الأشرارِ
من ينصر المنصور من كيدي وقد صاد الردى بشتاك لي بشباك^(١)

اللقبُ والنَّسب

☆ البَطْرَفِي : المقرئ أحمد بن موسى .

☆ البَصْرُوي : الأمير نجم الدين ، الوزير محمد بن عثمان ، وأخوه فخر الدين المحتسب سليمان بن عثمان .

☆ ابن البَصَّال : محمد بن محمود .

☆ ابن البَصَّيص : موسى بن علي .

☆ ابن بُصَاقَة : جمال الدين الحيسوب عبد الكافي بن عثمان .

☆ ابن بُصْحان : محمد بن أحمد .

☆ ابن البعلبكي : فخر الدين عبد الرحمن بن محمد .

☆ ابن البُشْطَارِي : عثمان بن محمد ، ومحمد بن عثمان .

٣٩٦ - بَغَا*

الدوادار الناصري .

كان مع الأمير سيف الدين أَلْجاي دواداراً صغيراً ، ولما مات أَلْجاي ظنَّ بَغَا أن السلطان ما يَعْدِلُ عَنْهُ ، لأنَّ بَغَا كان أقدم من أَلْجاي وأكبر في بيت السلطان ، فولَّى

(١) البيتان في المنهل : ٣٧١/٣ .

* الوافي : ١٧٥/١٠ ، والدرر : ٤٧٩/١ .

السلطان الدَّوَادِرِيَّة صلاح^(١) الدين يوسف بن أسعد الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف الياء مكانه ، فيئس بعد ذلك بُغا من هذه الوظيفة . ولما عَزَلَ السلطان صلاح الدين المذكور من الدَّوَادِرِيَّة وأخرجه إلى صفد ، استقل بُغا بالدَّوَادِرِيَّة ، واتفق له^(٢) في دَوَادِرِيَّتِهِ قَدَمَ قَصَّة إلى السلطان على لسان ابن الدجيجاتي^(٣) التاجر ، وكان النشو ناظر الخاص قد رَمَى عليه شيئاً من متجر الخاص ، فلما علم النشو بذلك عمل له عند السلطان ، وسأده غيره على ذلك ممن يكرهه ، وكان على ذهن السلطان منه أنه فيه لعبٌ ، فعزله السلطان وأخرجه إلى صفد ، فأقام بها مدة يسيرة .

وتوفي بُغَا ، ولم ينل من الدنيا مَابَغَى ، وذلك في سنة سبع مئة فيما أظن .

وكان رَحْمَةُ الله تعالى يغلبُ عليه الخير والرأفة ، وعنده من الرحمة التي لا يميل معها على ضعيف ولا يستأصل شأفه ، ساكناً قليل الكلام ، لا يسمع في أحد ما يؤلمه من الملام ، إلا أنه كان يميل إلى الشباب ، ويروقه الثنايا العذاب . وكانت به قرحة تلازمه ، وتشدُّ لها من الألم حيازمه ، فربما انقطع لأجلها عن الخدمه ، وَوَجَدَ الطاعنُ عليه مكان الصدمه ، ويظهر أن الانقطاع لضعفه المعلوم من القرحة ، ويخلو بأولئك الشباب على الشراب لاقتطاف ثمرات المسرة والفرحه ، فما أثار ذلك خيراً عليه ، وذاق ثمرة ما جناه وجلبه إليه ، فَسُلَّ من تلك الوظيفة كالشعرة من العجين ، وتمكن منه من كانوا بإخراجه لهجين ، ولم يكن له إمرة طبلخاناه ، إنما كان أمير عشرة إلى آخر وقت .

٣٩٧ - بَغْدَاد*

بنت النُّوَيْن جوبان^(٤) زوج بوسعيد .

(١) (ق) : « للأمير صلاح » .

(٢) (ق) : « أَنَّهُ » .

(٣) في الأصل : « الدجيجاني » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، والوافي .

* الوافي : ١٧٥/١٠ ، والدرر : ٤٨٠/١ ، والمنهل الصافي : ٣٨١/٣ .

(٤) (ق) : « جوبان الخاتون » .

كان بوسعيد^(١) يحبها ويميل إليها ميلاً عظيماً ، وكان أبوها يفهم ذلك فلا يدعها تقرب الأردو^(٢) ، ولكن تكون غائبة مع زوجها الشيخ حسن^(٣) هُنا وهُنا ، فما كان إلا أن قتل بوسعيد أخاها خواجاً^(٤) ، وهرب أبوها جوبان ، ثم قُتل ، ودخل أخوها تمرناش^(٥) إلى مصر وحصل لبوسعيد الذي كان يرومه من قربها ، فأخذها من زوجها ، وأخذها عنده ، وصارت عنده في مكانة عليا ، وأثرها على مملكة الدنيا ، وكان لا يصبر عنها ، ولا يرى أن الشمس تدنو منها ، لما حازته من الحسن البار ، والجمال الذي لم يقرع السمع بمثله قارع ، تشنى ولاغصن بانية وريق ، وتبسم ولاقلادة جوهر في سَفَط عقيق ، وترنو بعين مائث السحر إلا من جفونها المكحلة ، ولافتكت القواضب إلا من فترتها المفحلة ، وجهها يشبه البدر لولا كلفه ، ورائها يحيا بنظرها إلا أنه يؤديه إلى ما فيه تلفه .

أخبرنا^(٦) الخواجا مجد الدين السَلَامي قال : لم يكن في الأردو لها نظير ، وإذا خطت قلت : هذا غُصْنٌ والقلوبُ عليه تطير ، وكان لها في الممالك القانية الأحكام النافذة ، والمراسيم التي إذا برزت كانت على الأرواح [آتية ، وبالأنفاس]^(٧) أخذه ، ولها هي من النساء وزيرة أيضاً تحكم حكم الوزير ، وتحدث فيما تشاء من الجليل والحقير ، وتركب بغداد في موكب حفل من الخواتين ، وتشد في وسطها السيف ، ولكل نَوِين إليها رحلة الشتاء والصيف . ونفذت أحكامها وجالت ، ومضت أوامرها

(١) (ق) : « السلطان بوسعيد » . وكذا في المنهل .

(٢) في المنهل : « بلاد الأردو » .

(٣) هو حسن بن أرتنا (ت ٧٤٨ هـ) . (المنهل) .

(٤) في الوافي : « دمشق خواجا ، وفي المنهل : « دمشق خجا » ، وقد ذكر دمشق هذا في ترجمة أبيه جوبان في الوافي : ٢٢١/١١ .

(٥) ستأتي ترجمته .

(٦) (ق) : « أخبرني » .

(٧) زيادة من (ق) .

وصالت ، وهرب منها علي باشا خال بوسعيد ، ولم يقرب الأردو خوفاً منها ، فهو بقرابته لذلك بعيد ، ولم تزل على ما هي فيه من الحكم وخد الأردو بها مورد قان ، والناس تحت أوامرها وكيف لا وهي تحكم على نفس القان ، لا يأخذه فيها لومة لائم ، ولا يستع فيها عذلاً ولو كان من أسجاع الحمام ، إلى أن مات القان بوسعيد ، وتولى القان أربكون^(١) المقدم ذكره ، فأغصها بريق حسامه ، وجعل فيها بالدم وردة بعد ما كان كالأقحوان في ابتسامه ، وذلك في سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

وكانت كثيرة التنقيب على أخبار أخيها تمرش .

أخبرني من لفظه الخواجا مجد الدين السلاّمي ، قال : لما كنت بالأردو وعزمت على الحضور إلى خدمة السلطان ، دخلت عليها أخدمها وأودعها ، فقالت : يا خواجا ، سلّم على السلطان وقل له أنا بنته وجاريته ، وأشتهي لا^(٢) يخباني عن حاجة ، فأنت ترى تصرفي وأمري في الأردو والممالك ، فلا يكن يطلب حاجة من غيري ، قال : فضربت لها جوكاً [ودعوت لها ، فقالت : يا خواجا ؛ أريدك تطلب أخي من السلطان حتى أراه . قال : فضربت لها جوكاً]^(٣) ، وبهت حيرة لا أدري ما أقوله ، ثم ألهمني الله أن قلت : والله يا خوندكار ما أنا قدر هذا الكلام ، هذا ما يتحدث فيه إلا قان كبير^(٤) مثله ، فقالت : صدقت إلا يا^(٥) خواجا ما يجيء أحد من عندكم وأسأله عن أخي فيقول إنه رآه ، فقلت : يا خوندكار ، لما خرج^(٦) أخوك إلى المسلمين قال له السلطان : أي البلاد تريد حتى أعطيك ، فخاف أن يطلب دمشق أو

(١) في المنهل : « أربكون » .

(٢) في الوافي : « أن لا » .

(٣) زيادة من (ق) .

(٤) في الأصل : « كثير » ، تصحيف .

(٥) أي : لا بد .

(٦) (ق) : « راح » .

حلب أو غيرها من هذه البلاد التي [هي] ^(١) قرية إلى هذه البلاد فيتهمه أنه يريد العود ، فطلب منه إسكندرية ، وهي خلف مصر من ^(٢) ذلك جانب فالذي يروح من عندكم إلى مصر ما يعبر إلى ^(٣) إسكندرية ولا يصل إليها ، فلهذا ما يراه ^(٤) ، فهزّت رأسها ، وقالت : يكون ..

اللقب والنسب

☆ ابنُ البَقَقي : فتح الدين أحمد بن محمد .

☆ البِقْرَاطُ : محمد بن عبد الرحمن .

٣٩٨ - بُكَاءُ*

الأمير سيف الدين الناصري المعروف ببُكَاءُ الحَضَري ^(٥) .

كان من جملة الأمراء بالديار المصرية ، وكان ممن حضر مع بشتاك إلى دمشق بعد إمساك تنكز وعاد معه ، ولم يزل بالديار المصرية على حاله إلى أن خاض السيف في أحشائه وجعله دَلْوِينَ ، إلا أن كَلًّا منها غَنَّى عن رثائه ، لأنه نُسِبَ إلى الليل مع الناصر أحمد والخروج مع رمضان ^(٦) على الملك الصالح إسماعيل ، فَوَسَّطَ في سوق الخيل هو وثلاثة من ممالك السلطان ، وغلَّقوا على باب زُوَيْله ثلاثة أيام ، وذلك في شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

(١) زيادة من (ق) والواقي .

(٢) في الواقي : « إلى » .

(٣) (ق) ، والواقي : « على » .

(٤) في الواقي : « ما يروونه » .

* الواقي : ١٨٤/١٠ ، والدرر : ٤٨٠/١ ، وللهل الصافي : ٣٨٣/٣ .

(٥) في حاشية (خ) : « الحَضَري » .

(٦) هو رمضان بن الملك الناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤٣هـ) . الدرر : ١١١/٢ .

٣٩٩ - بكار*

ابن الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر بن الواني ، سيف الدين البريدي أخو الأمير علاء الدين بن الفراء ، وسيأتي ذكر أخيه في حرف العين إن شاء الله تعالى .
توفي في رابع عشر جمادى الأولى سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة وعمره ^(١) نحو الستين .

٤٠٠ - بكتاش**

الأمير بدر الدين نقيب النقباء بالديار المصرية ، أظنه تولّاها بعد الأمير صارم الدين صاروجا .
ولم يزل بدر الدين ^(٢) رجلاً جيداً محسناً إلى الناس .
توفي رحمه الله تعالى في آخر جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

٤٠١ - بكتاش***

الأمير بدر الدين المنكورسي أحد المنصوريّة .
كان من قدماء الأمراء . ولي نيابة بعلبك مرات ، وفي آخر مَرّة ^(٣) طلب الإقالة منها في سنة أربع وخمسين ^(٤) ، ورسم لابنه ^(٥) بالتوجه في مقدمة الركب ، فاحتاج أن يكون هو معه ، فتوجه أمير الركب وعمل الإمرة على ما يجب من الحرمة وعلو الهمة .

* الدرر : ٤٨٠/١ .

(١) خ : « وعمر » .

** الدرر : ٤٨٢/١ .

(٢) (ق) ، (خ) : « وكان بدر الدين » .

*** الدرر : ٤٨١/١ ، وذيول العبر : ٣١٢ .

(٣) (ق) ، (خ) : « أمره » .

(٤) (ق) ، (خ) : « وسبعمئة » .

(٥) (خ) : « ورسم له » .

ومتعه الله بجواسه وعقله إلى أن توفي رحمه الله تعالى ، في أوائل شعبان سنة سبع وخمسين وسبع مئة . عن مئة وسبع سنين ، أخبرني [بذلك]^(١) ولده الأمير زين الدين عبد الرحمن .

وكان قد باشر [شد]^(٢) الأوقاف بدمشق في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، وعملها على القالب الجائز بجاه الأمير سيف الدين أرغون الدوادر ، وفي آخر أمره اتحد بالأمير سيف الدين تنكرز رحمه الله تعالى ، ولما أمسك كان المنكورسي أيضاً في جملة من أمسك بسببه ، وصور ، وأخذ منه مئتا ألف درهم ، في غالب ظني ، وكان يبالي في اقتناء المصاحف العالية الغالية الأثمان وغيرها من الكتب ، ونزل^(٣) وهو [في]^(٤) نيابة بعلبك أخيراً عن إقطاع الإمرة لولده .

٤٠٢ - بكتاش *

الأمير بدر الدين أمير سلاح الفخري .

كان من مماليك الأمير فخر الدين ابن الشيخ ، وعاد من أكابر الأمراء الصالحة ، يتردد في الغزوات ، ويجوب إليها الفلوات . وكان بالخير مشهوراً ، وبالصدقات وهو أمير مأمورا ، وأقر الحرمة في كل دؤله ، فارس الجوّ في كل جؤله . لا يعارض من يقدمه سعدّه ، ولا يقارب من آخره حظّه وبُعده . أقام أميراً دهرأ طويلاً ، ورأى من الإقبال حظاً جزيلاً .

ولما كان في سنة ست وسبع مئة طلب النزول عن الإمرة ، ولزم داره إلى أن نزل به الأمر المحتوم ، وأصبح وطن الأرض عليه محتوم ، وذلك في شهر ربيع الآخر من

(١) زيادة من (ق) ، (خ) .

(٢) زيادة من (ق) ، (خ) .

(٣) في الأصل : « وترك » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) .

(٤) زيادة من (خ) .

* الوافي : ١٨٧/١٠ ، وتالي وفيات الأعيان : ٥٦ ، والدرر : ٤٨٠/١ ، والمنهل الصافي : ٣٨٥/٣ .

هذه السنة المذكورة . وكان رحمه الله تعالى لما قُتِلَ السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين في سنة ثمان وتسعين وست مئة قد جُرِدَ إلى سويس هو وجماعة من أمراء مصر ، ولما عادوا منها وقَرَّبُوا من مصر أخبر بما جرى مِنْ طُغْجِي وكُرْجِي في حَقِّ لاجين ، على ماسيأتي إن شاء الله تعالى في ترجمة لاجين^(١) في مكانه من حرف اللام^(٢) . ولما عزم على الدخول إلى القاهرة طلبَ الأمراء الذين معه ، وَمَشَوْا في خدمته ، وركب طُغْجِي لتلقيه ، فلما رآه قال : كان لنا عادة من السلطان أنا إذا قدمنا يَتَلَقَّانا ، وما أعلم ما أوجب تأخيره ، فقال طُغْجِي : ما علم الأمير بما جرى ، وأنَّ السلطان قُتِلَ ؟ فقال : وَمَنْ قُتِلَ ، فقال كرد الحاجب : قتله طغجي وكرجي ، فأنكر عليها ، وقال : كلما قام للمسلمين [سلطان]^(٣) تقتلونه ؟ تقدّم عني لا تلتصق إلي^(٤) ، وساق أمير سلاح ، وتركه ، فتيقن طُغْجِي أَنَّهُ مقتول ، فأراد الهروب ، فانقضَّ عليه بعض الأمراء وأمسكه بدبوقته وضربه بالسيف ، وتكاثروا عليه فقتلوه ومعه ثلاثة آخر ، وركب كرجي في جماعة لنصرته فركب الجيش معه في خدمة أمير سلاح ، وقتلوا كرجي والكرموني ، ودخل أمير سلاح وقعد والأمراء معه ، ورتَّبوا حضور السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك ، وإعادته إلى السلطنة ، وهذه المرة الثانية من حضوره من الكرك .

٤٠٣ - بكتمر *

الأمير سيف الدين الأبوبكري المنصوري .

كان من كبار الأمراء مُقَدِّمِي الألوْف ، وَمَنْ هو للشجاعة حليف ، وللفروسية

(١) (ق) : « السلطان لاجين » .

(٢) في الأصل : « الميم » سهو .

(٣) زيادة من (ق) ، والوافي .

(٤) في الوافي : « بي » .

* الدرر : ٤٨٢/١ .

أُلوْف ، له الوجاهة الكامله ، والنباة التي لم تكن في ذكرها خامله ، يُعَظِّمه وجوه الدولة والسلطان ، وَصِيَّتْه قد ملأ الأوطان .

لم يزل في معارج سُعوده ، ومراقى غُلُوِّه وصعوده ، إلى أن أصابته عين الكمال فهبط ، وجَرَدَ الخطب له سَيْفَه واختَرَطَ ، وذاك أن السلطان الملك الناصر محمد رَسَمَ بأن يتوجّه إلى صفد هو^(١) وأولاده وجماعته وحاشيته ، فقال : أريد أن أعرف ذنبي ماهو ، فتأذى السلطان منه ، وأمسكه وَحَبَسَه في القلعة ، وذلك في ثالث شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ولم يزل في الاعتقال إلى أن توفي بقلعة الجبل في الاعتقال في نصف شعبان سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، وأُخْرِجَ ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى .

٤٠٤ - بکتر*

الأمير سيف الدين السلاح دار الظاهري المنصوري .

كان من الأمراء المشاهير ، ومَن تتشرف بألقابه التقاليد وتتجمل المناشير ، أحد مُقَدِّمي الألوْف ، ومن هو بالإقدام [موصوف]^(٢) ، وبالشجاعة معروف ، خاف من السلطان حسام الدين لاجين ، فنجاً برأس طِمْرَةٍ ولجام^(٣) ، وسكر غَمّاً ولم يطفُ عليه للموت جَام ، وفرّ هو والأمير سيف الدين قَبْجَق والأمير فارس الدين ألبكي ودخلوا إلى عند القان غازان ، وجرى ما يأتي ذكره في ترجمة قبجق ، وكان قد وصل من الديار المصرية إلى دمشق مجرداً في ثلاثة آلاف فارس هو ومقدّمها في ذي القعدة سنة سبع وتسعين وست مئة ، وتوجه بالعسكر وأقام على حمص ، وحضر إليه الأمير سيف الدين

(١) (ق) : « نائباً هو » .

* الدرر : ٤٨٢/١ .

(٢) زيادة من (ق) .

(٣) عجز بيت للحارث بن هشام ، تمامه :

ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجلاً برأس طمرة ولجام

لاجين قبجق وبلغهم ما اعتمده الأمير سيف الدين منكوتر نائب السلطان حسام الدين لاجين ، فتحققوا أنه ما يبقى عليهم ، فتوجهوا إلى بلاد التتار في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وست مئة ، وتأم الناس لذلك ، ووصل الخبر إلى الشام بعد رحيلهم بقتل السلطان ومنكوتر ، وفي جمادى الأولى وصل الأمير سيف الدين بلُغَاق^(١) وذكر أن قبجق وبكتمر وألبكي وصلوا إلى رأس العين ، واحتاط عليهم جمع من التتار ، وأنه قد يُس من رجوعهم إلى بلاد الإسلام .

٤٠٥ - بكتمر*

الأمير سيف الدين الحاجب .

كان أولاً أمير آخور ، ثم قَدِمَ دمشق وتولّى بها شد الدواوين في أيام الأفرم ، ولم يكن لأحد معه كلام في صرف ولا في عزل . ثم وُلّي الحجوِيَّة ، وتوجّه إلى صفد كاشفاً على الأمير ناهض الدين عمر بن أبي الخير والي الولاية . ومُشد الدواوين بصفد ، ونزل بالميدان ، وكان معه القاضي معين الدين بن حشيش وحرّر الكشف ودقّقه ، حتى قال فيه القاضي زين الدين عَمَر بن حلاوات^(٢) [موقع صفد]^(٣) :

يا قاصداً صَفْداً فَعَدَ عن بلدةٍ	مِنْ جَـؤُرِ بكتمر الأمير خرابٍ
لا شافعَ تُغني شفاعتُه ولا	جانٍ لَه تَمَّا جناةً مَتَّابٍ
حَشْرٌ ومِيزانٌ ونَشْرٌ صَحائفٍ	وجرائدٌ معروضةٌ وحسابٌ
وَهَما زبانيةٌ تحثُّ على الوَرى	وسلاسلٌ ومقامعٌ وعقابٌ
ما فاتهم من كلِّ ما وعدوا به	في الحشرِ إلا راحمٌ وهَـبابٌ

(١) ستأتي ترجمته .

الوافي : ١٩٠/١٠ ، والدرر : ٤٨٣/١ ، والنهل الصافي : ٣٨٦/٣ .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) زيادة من (ق) ، والوافي .

قلتُ : وهذه أبيات لسيط التعاويذي ^(١) معروفة في ديوانه وأولها :

يا قاصداً بغداد جُز عن بلدةٍ للجور فيها زخرةٌ وعباب

وهي سبعة عشر بيتاً قالها في الوزير ابن البلدي ^(٢) ، فأتى ابن خلوات بالبيت الأول وليس للفاء في (فَعْدُ) ^(٣) محل .

وكان الأمير سيف الدين خبيراً بالأمر ، بصيراً بحوادث الدهور ، طويل الروح في الأحكام لا يملّ من تطويلها ، ولا يهاب ما يأتي به الخصوم في تهويلها ، لو قعد في الحكم الواحد بين اليهودي والأمير ثلاثة أيام ، لم يلحقه سَأَمٌ ولا يَصْدَهُ احتشام ، مع معرفة تامّة ، وخبرة بالسياسة عامّة ، لم يُر مثله في حقّ أصحابه ، ولا أذكر منه لهم في [حالتي] ^(٤) بُعْدِهِ واقترابه ، يفكر في مصالحهم وهم ^(٥) غَيِّبٌ ، ويتفقدُهم أبداً ، ومن جفاه عتب عليه وعيَّب ، نفع بجأه جماعةٌ كثيرة ، ووفر عليهم أموالاً أثّره ، إلا أنه كان مُبْتَخِلاً ، ساقط المهمة في ذلك وإن كان مَبْجَلاً ، له متاجر وأملاك ، وسعادة لا تدور على مثلها الأفلاك ، وله أموال كالبحر العجاج ، أو التراب الذي تثير الريح منه العجاج ، ومع ذلك فله قُدُور تُكْرَى للحمص والفل ، وغير ذلك من العُدّة والآلات التي يعتري الشمس منها أفول .

ولم يزل على حاله إلى أن ملأ التراب عينه ، واقتضى الأجل منه دينه ، وذلك في سنة سبع وعشرين وسبع مئة ^(٦) .

(١) هو أبو الفتح محمد بن عبيد الله (ت ٥٨٢ هـ) ، والأبيات في وفيات الأعيان : ٤٦٦/٤ .

(٢) هو أحمد بن محمد بن سعيد ، وزير الخليفة المستنجد بالله ، أشار إليه صاحب الوفيات في ترجمة ابن التعاويذي .

(٣) (ق) ، والوافي : « في قوله : فعد » .

(٤) زيادة من (ق) .

(٥) في الأصل : (وهو) ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٦) كذا في الأصل ، وفي (ق) : « ثمان وعشرين » ، وهذا يخالف ما في الوافي أنه توفي سنة (٧٢٨) . وانظر ما في حاشيته ثمة . وكذلك وفاته سنة (٧٢٨) في النهل .

ولما قدم السلطان من الكرك إلى دمشق ولآه الحجوبيّة ودخل مصر وهو حاجبٌ ، ثم أخرجه نائباً إلى غزّة ، فأقام بها قليلاً في سنة عشر وسبع مئة ، ثم إنّه طلبه إلى القاهرة وولّاه الوزارة بالديار المصرية عوضاً عن الصّاحب فخر الدين بن الخليلي^(١) في شهر رمضان سنة عشر وسبع مئة ، ثم إنه قبض عليه في سنة خمس عشرة وسبع مئة مستهّل شهر ربيع الأول لما قبض على أيّدغدي^(٢) شقير ، وبقي في الاعتقال مدة سنة ونصف ، وأخذ له من ماله شيئاً كثيراً ، ثم إنه أفرج عنه وجّهه نائباً إلى صفد في سنة ست عشرة وسبع مئة وأنعم عليه بمئة ألف درهم ، فأقام بها عشرة أشهر ، ثم طلبه إلى مصر وكان من جملة أمراء المشور ، وإذا تكلم السلطان في المشور لا يردّ عليه غيره لما عنده من المعرفة والخبرة .

أخبرني الأمير شرف الدين حسين قال : إذا جلسنا للمشور ما فينا أحد يعترض على السلطان ويرد عليه ويقول : جيّد ، أو ما هو جيّد إلاّ بكتمر الحاجب . قلت له : فأنتم ماتقولون ؟ قال : مهما قاله قلنا : هذا هو الرأي المبارك .

وكان قد تزوّج ابنة الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك ، وعمر له بمصر داراً ظاهر باب النصر على القاهرة ، وعمر هناك مدرسة إلى جانبها ، وفي آخر أمره سرق له مال كثير من خزانته ادّعى في الظاهر أنه مبلغ مئتي ألف درهم ، وكان في الباطن على ما قيل سبع مئة ألف أو أكثر ، فما جسّر يتفوّه^(٣) خوفاً من السلطان ، وكان الأمير سيف الدين قدودار^(٤) والي القاهرة ، فرسم السلطان له بتتبّع هذه العمّلة ، فيقال إن بكتمر الساقى والوزير مغلطاي الجمالي والقاضي فخر الدين ناظر الجيش عاملوا في الباطن عليه ، فشرعوا يُحجّفون^(٥) عن المتهمين ، فإذا قال السلطان للوالي : أيش

(١) عمر بن عبد العزيز ، وستأتي ترجمته .

(٢) في الوافي : « أيّدغوي » ، تحريف . وهو أيّدغدي المنكوتري (ت ٧١٥ هـ) . (الدرر) .

(٣) (ق) : « يتفوّه به » .

(٤) ستأتي ترجمته .

(٥) الحجف : التغطية ، وأصله الترس .

عَمَلت في عَمَلَة الأمير سيف الدين بکتر الحاجب ؟ يقول القاضي فخر الدين :
ياخوند لعن الله ساعة هذه العَمَلَة ، كل يوم يموت الناس تحت المقارع ، وإلى متى يُقتل
المتهم الذي لا ذنب له ، ثم إنه في آخر الحال وقف الأمير سيف الدين بکتر الحاجب في
دار العدل وشكا وتَضَوَّر^(١) ، فأحضر السلطان الوالي وسبّه ، وأظهر^(٢) غضباً عظيماً ،
فقال : ياخوند ، للصوص الذين أمسكتهم وعاقبتهم أقرّوا أنّ سيف الدين بخشي
خزندهاره اتفق معهم على أخذ المال وجماعة من ألزامه الذين في بابه ، فقال السلطان
للجُمالي الوزير : أحضر هؤلاء المذكورين ، وعاقبهم . فأحضرهم وعاقبهم وعَصَر هذا
بخشي ، وكان عزيزاً عنده قد زوجه ابنته وهو واثق بعقله ودينه وأمانته ، فقال
بخشي : ياخوند أنا والله المال الذي تحت يدي لأستاذي ما يدري ما هو فما أخلي^(٣)
غيري يأخذ معي ما أردت أن أسرقه .

ولما بلغ الأمير سيف الدين بکتر عَصُرُ بخشي وجماعته عَلِمَ أنّ ماله قد راح ،
فحصل له غيظٌ عظيمٌ وغمٌّ وغبنٌ ، فمات فجأة من الظهر إلى العصر .

وكان حريصاً على اقتناء الأملاك وإنشاء العماير^(٤) في كل مدينة بالقاهرة والشام
بحيث إنه له في كل مدينة ديوان له مباشرين . وقلتُ أنا أشير إلى كثرة أمواله :
وصاحب أشأم من قاشر من شؤمه يفتقر الصّاحبُ
يذهب ما قد حاز من عينه لو أنه بکتمر الحاجبُ

٤٠٦ - بکتر *

الأمير سيف الدين المنصوري أمير جاندار .

(١) في الأصل : « وتضّر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .

(٢) في الأصل : « وأحضر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .

(٣) عبارة الوافي : « فما احتاج أخلي » ، وهي أنسب .

(٤) (ق) : « العماير ومشتراها » .

* الوافي : ١٩٨/١٠ ، والمنهل الصافي : ٣٩٨/٣ . والدرر : ١٨/٢ .

وكان أولاً جوکنداراً^(١) ، ويدعوه السلطان الملك الناصر ياعَمِّي ، وكان من أولاده أكبرهم يُدعى ناصر الدين محمد ، لم يكن في مصر مَنْ يلعب الكرة مثله ، ويدعوه السلطان : أخي ، وكان لا يفارقه .

وكان بکتر في أيام سلّار والجاشنكير أحد أرباب الحلّ والعقد ، ثم إنَّهما عملا عليه وأخرجاه إلى الصَّيبِية^(٢) نائباً ، فوصل إليها في شهر ربيع^(٣) الآخر سنة سبع وسبع مئة ، فأقام بها مَدَّة .

ولما توفي سنقر شاه^(٤) نائب صفد رُسم له بنيابة صفد في شعبان سنة سبع وسبع مئة ، فحضر إليها ومعه ثمان مئة مملوك^(٥) ، فإذا ركبَ فيهم كانوا قريباً من عسكر صفد ، فأقام بها قريباً من سنتين . ولما خرج السلطان من الكرك لاقاه الأمير سيف الدين بکتر إلى دمشق ، وتوجّه معه إلى مصر ، وأقرّه في النيابة بمصر . ولم يزل في النيابة إلى أن أمسكه واعتقله ، فأخذه إلى الأموات ونَقَلَه .

وكان بکتر الجوکندار خييراً ساكناً ، مائلاً إلى المسألة راکناً ، لا يرى سَفْكَ دَم ، ولا يعتني بالقصاص ولا النقم ، وإذا جاؤوه بقاتل ضربه ضرباً مبرحاً . وقال مصرحاً لاملوحا : الحَيُّ خَيْرٌ مِنَ الْمَيِّتِ ، فليقم هذا من السجن في يَتِّ ، إلا أنه يضر به ما يقارب السبع مئة عَصَا ، إلى أن يلوك من الألم الحصى ، فكثُر بذلك العبث والفساد في بلاد صَفَد ، وزاد المتحرّم وحشَد .

وحجَّ حِجَّةً وأنفق فيها أموالاً عظيمة ، وأعطى الفقراء والمجاورين بالحرمين ماجلًى به لياليهم البهيمه ، وحَمَلَ إلى مكة القمح ، وقرَّقه فيها بكفِّه السّمْح ، وأنشأ

(١) في الأصل : « جوکندار » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٢) قلعة الصبيبة : كانت ولاية صغيرة ، ثم أضيفت إلى بانياس (صبح الأعشى : ١٠٤/٤ ، ٢٠٠) .

(٣) سقطت من الأصل ، وهي ثابتة في (ق) .

(٤) توفي سنة (٧٠٧ هـ) الدرر .

(٥) عبارة الوافي : « وكان له مئة مملوك » .

بصفد مكاناً يعرف بالمغارة والصهريج ، وعَمَرَة بنفسه وبماليكه من غير ترويج ، ودفن به إحدى زوجاته أُمّ بنيه ، ورتّب له على الديوان ما يكفيه .

ولما كان بمصر وهو نائب نزل السلطان إلى المطعم ، خرج من السرج ومال إليه وقال : يا عمّ ما بقي في قلبي من أحد من هؤلاء الأمراء أن أمسكه إلا فلان وفلان ، وذكر له أميرين ، فقال له : ما تطلع من المطعم إلا وتجدي قد أمسكتها ، وكان ذلك يوم الثلاثاء ، فقال السلطان : لا يا عمّ ألا دَعَّهْما إلى يوم الخميس أو يوم الجمعة نسكهما بعد الصلاة ، فقال : السعّ والطاعة .

ثم إنه جَهَّز له^(١) تشريقاً كاملاً ومركوباً هائلاً وإنعاماً من الذهب . فلما كان يوم الخميس قال له : غداً نسكهما ، فلما كان يوم الجمعة ، قال له في الصلاة : أين هما ؟ قال : حاضران ، فقال : بعد الصلاة تَقَدَّمْ بما قلتُ لك . فلما انقضت الصلاة ، قال : والله يا عمّ ما [لي]^(٢) وجه أراهما وأستحي منهما ، ولكن إذا دخلتُ أنا إلى الدُّور أمسكُهما أنت وتوجّه بهما إلى المكان الفلاني ، تجد منكلي^(٣) ، وقجّليس سلّمُهما إليهما وروح . فلما أمسكُهما وتوجّه بهما إلى ذلك المكان وجد الأميرين منكلي بغا وقجّليس هناك ، فقاما إليه وقالوا له : عليك سمع^(٤) وطاعة لمولانا السلطان ، وأخذ سيفه ، فقال [يا]^(٥) خوش داش ، ماهو هكذا الساعة كما فارقتك ، وقال : أمسك هذين وتوجّه بهما إلى فلان وفلان وسلمهما ، فقالا له : والساعة قبل حضورك قال لنا : إذا جاء كما ومعه فلان وفلان فأطلقاهما وأمسكاه . وكان ذلك آخر العهد به ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبع مئة فيما أظن .

(١) (ق) : « إليه » .

(٢) زيادة من (ق) ، والوافي .

(٣) (ق) ، والوافي والمنهل : « منكلي بغا » . وفي المنهل : « وقجّاس » .

(٤) في الوافي والمنهل : « سمعاً » .

(٥) زيادة من (ق) ، والوافي . وفي المنهل : « يا خجداشية » .

ولما كان في صفد كانت كُتِبُ السلطان ترد من الكرك إلى ابنه الأمير ناصر الدين محمد يقول له : يا أخي تقول لعمي كذا وكذا وطول روحك إلى أن يقدر الله الخير .

٤٠٧ - بكتمر *

الأمير سيف الدين الساقى الناصري .

كَانَ أَوَّلًا مِنْ مَمَالِيكِ الْمُظْفَرِ بَيْبَرَسِ الْجَاشَنكِرِ ، وَلَمَّا اسْتَقَرَّ السُّلْطَانُ بَعْدَ مَحْيِيَّتِهِ مِنَ الْكُرْكِ أَخَذَهُ وَدَخَلَ فِي مَمَالِيكِهِ ، وَلِهَذَا كَانَ غَرِيبًا فِي بَيْتِ مَالِهِ ^(١) خَوْش دَاش ، جَمِيعُ الْخَاصَكِيَّةِ مَعَ أَرْغَوْنَ الدَّوَادَارِ ، وَلَمَّا أُمْسَكَ السُّلْطَانُ الْأَمِيرَ سَيْفَ الدِّينِ طُغْيَايَ الْكَبِيرَ ، وَكَانَ تَنَكَّرَ فِي دِمَشْقَ يَتَرَامَى إِلَيْهِ وَيَتَعَلَّقُ عَلَيْهِ ، جَهَّزَ السُّلْطَانُ يَقُولُ لَهُ : هَذَا بَكْتَمَرُ السَّاقِي يَكُونُ لَكَ بَدَلًا مِنْ طُغْيَايَ ، وَاكْتُبْ إِلَيْهِ بِمَا تَرِيدُ مِنْ حَوَائِجِكَ ، وَعَظَّمْ بَكْتَمَرَ وَعَلَا مَحَلَّهُ وَطَارَ ذِكْرُهُ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ لَا يَفَارِقُهُ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا إِلَّا إِنْ كَانَ فِي الدَّوَرِ ، وَهُوَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي بَيْتِ بَكْتَمَرَ أَوْ بَكْتَمَرُ عِنْدَهُ ، وَزَوْجَتُهُ أُمُّ أَحْمَدَ ابْنِهِ وَهِيَ جَارِيَةُ السُّلْطَانِ وَحَظِيَّتُهُ ، وَلَا يَأْكُلُ السُّلْطَانُ إِلَّا فِي بَيْتِ بَكْتَمَرَ مِمَّا تَطْبَخُهُ لَهُ أُمُّ أَحْمَدَ فِي قِدْرٍ فَضَّةٍ وَيَنَامُ عِنْدَهُمْ وَيَقُومُ ، وَكَانَ النَّاسُ مَا يَعْتَقِدُونَ إِلَّا أَنَّ أَحْمَدَ وَلَدَ السُّلْطَانِ مِمَّا يَطِيلُ حَمْلُهُ وَتَقْبِيلُهُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ أَحْمَدَ الْمَذْكُورِ فِي الْأَحْمَدِينَ .

وَلَمَّا شَاعَ ذِكْرُ بَكْتَمَرَ وَقُرْبَةُ مِنَ السُّلْطَانِ ، وَتَسَامَعَ النَّاسُ بِهِ قَدَمُوا لَهُ غَرَائِبَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَأَهْدَوْا إِلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ نَفِيسٍ ، وَمِمَّا حُمِلَ إِلَى السُّلْطَانِ مِنْ نَوَابِ الشَّامِ وَغَيْرِهِمْ كَانَ لَهُ مِثْلُهُ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ ، وَالَّذِي يَجِيءُ لِلْسُّلْطَانِ غَالِبُهُ يَصِلُ إِلَيْهِ ، إِلَى أَنْ عَظُمَتْ أَمْوَالُهُ وَظَهَرَتْ أَعْمَالُهُ .

وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ الْأَشْكَالِ وَأَظْرَفِ الْأَشْخَاصِ الَّتِي تَزُولُ بِرُؤْيَيْهَا الْأَنْكَادُ وَالْأَنْكَالُ ،

* الوافي : ١٩٣/١٠ ، والدرر : ٤٨٦/١ ، وبدائع الزهور : ٤٦٤/١/١ ، والشذرات : ١٠٤/٦ ، والنهل الصافي : ٣٩٠/١٣ .

(١) أي ماله فيه .

طَلَّقَ الْحَيَّا بَسَامَا ، حَلَوِ الْكَلَامُ كَانَ أَلْفَاظُهُ الدُّرُّ نِظَامَا ، كَأَمَّا جِسْمُهُ بُلَّارٌ ، وَخَدَاةُ ذَوْبٌ عَقِيقٌ أَوْ جَلَنَارٌ ، أَشْقَرُ بِحَوَاجِبِ سَوْدٍ وَعَيُونَ مِثْلَهَا ، وَجَفُونَ قَلَمًا يُرَى فِي النَّاسِ مِثْلَهَا ، مُسْتَعْدِبًا^(١) لَطِيفًا بَيْنَ يَقْصَدِهِ ، رُؤُوفًا بَيْنَ يَلْتَجئُ إِلَيْهِ وَيَرْصَدِهِ ، لَا تُرَدُّ لَهُ إِشَارَةٌ ، وَلَا يَعْطَلُ السَّعْدُ عِشَارَهُ ، فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الدَّوْلَةِ وَسُلْطَانِهَا ، وَهُوَ الْمَتَمِّعُ بِنَبِيلِ أَوْطَارِهَا فِي أَوْطَانِهَا ، وَإِذَا رَكِبَ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِئْتَا عَصَا تَقِيبٍ ، وَإِذَا نَزَلَ إِلَى إِصْطَبْلِهِ فَهِيَ زُورَةٌ حَبِيبٌ غَفَلَ عَنْهَا الرَّقِيبُ ، عَمَّرَ لَهُ السُّلْطَانُ إِصْطَبْلًا عَلَى بُرْكَاتِ الْفِيلِ عَلَى الْجِسْرِ الْأَعْظَمِ ، وَفِيهِ دَارٌ قَلَّ أَنْ رَأَتْ مِثْلَهَا الْعَيُونَ^(٢) ، أَوْ اقْتَضَتْهَا مِنَ الْأَمَانِيِّ دِيُونَ .

أَخْبَرَنِي نُورُ الدِّينِ الْفَيَّومِيُّ ، وَكَانَ شَاهِدًا عَلَى هَذِهِ الْعِمَارَةِ وَهُوَ صَاحِبِي ، أَنَّ نَفَقَةَ هَذِهِ الْعِمَارَةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَبْلَغُ أَلْفٍ وَخَمْسِ مِئَةِ دِرْهَمٍ مَعَ جَاءِ الْعَمَلِ . لِأَنَّ الْعَجَلَ مِنْ عِنْدِ السُّلْطَانِ ، وَالْحَجَّارِينَ وَالْفُعُولَ مِنَ الْحَايِسِ ، فَقُلْتُ لَهُ : فَكَمْ^(٣) مَقْدَارُ ذَلِكَ لَوْ لَمْ يَكُنْ جَاءُ ، فَقَالَ لِي : عَلَى الْقَلِيلِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، وَأَقَامُوا يَعْمَرُونَ فِيهَا مَدَّةً^(٤) أَشْهُرَ . وَخَرَجْتُ أَنَا مِنَ الْقَاهِرَةِ وَهُمْ يَعْمَلُونَ فِي الْجُلِّ^(٥) وَلَمْ يَصِلُوا إِلَى الرِّخَامِ وَالْمَنْجُورِ وَعِرْقِ اللَّؤْلُؤِ وَالسَّقُوفِ الْمَدْهُونَةِ بِاللَّازُورْدِ وَالذَّهَبِ .

وَلَمَّا تَوَفَّى فِي طَرِيقِ الْحِجَازِ عَائِدًا فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِئَةٍ^(٦) ، خَلَفَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْقِمَاشِ وَالْأَمْتَعَةِ وَالْأَصْنَافِ وَالزَّرْدِ خَانَاهُ مَا يَزِيدُ عَلَى الْحَدِّ وَيَسْتَحْيِي الْعَاقِلَ مِنْ ذِكْرِهِ .

أَخْبَرَنِي الْمَهْذَبُ كَاتِبُهُ قَالَ : أَخَذَ السُّلْطَانُ مِنْ خَيْلِهِ أَرْبَعِينَ فَرَسًا ، قَالَ : هَذِهِ لِي

(١) (ق) : « مُسْتَعْبِدًا » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْعَيُونَ مِثْلَهَا » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) ، وَهُوَ أَنْسَبُ لِلْسَّجْعَةِ .

(٣) (ق) وَالْوَافِي : « فَكَمْ يَكُونُ » .

(٤) (ق) وَالْوَافِي وَالْمَنْهَلُ : « مَدَّةُ عَشْرَةِ أَشْهُرٍ » .

(٥) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَ (ق) ، وَفِي الْوَافِي : « الْجَرَشِ » . وَفِي الْمَنْهَلِ « الْحَوْشِ » .

(٦) فِي الدَّرَرِ أَنَّهُ تَوَفَّى سَنَةَ (٧٣٦ هـ) .

ما وهبته إياها ، وأَبْعَنَّا الباقي من الخيل ، على ما نهيه الخاصكيّة وأخذوه بثن بخس بما مبلغه ألف^(١) ألف درهم ومئتا ألف درهم وثمانون ألف درهم ، خارجاً عما في الجُشارات^(٢) ، وأنعم السلطان بالزرد خاناه والسلاح خاناه التي له على قُوصون بعد ما أخذ منها سَرَجاً وسيفاً .

قال لي المذهب كاتبه : القِيَمَةُ عن ذلك ست مئة ألف دينار ، وأخذ له السلطان ثلاثة صناديق جوهرأ مثناً لا يُعْلَم قيمة ذلك ، وأبيع له من الصيني والكتب والختم والربعات والحمالييه ونُسَخ البخاري المختلفة ومن الأدوية الفولاذ والمطعمة والبصم^(٣) بسفط الذهب وغير ذلك ، ومن الوبر والأطلس وأنواع القماش السكندري والبغدادي وغير ذلك شيءٌ كثيرٌ إلى الغاية المفرطة ، ودَامَ البيعُ لذلك مُدَّةَ شهور ، وامتنع القاضي شرف الدين النشوناظر الخاص من حضور بيع موجود بكتر واستعفى ، قلت له : لأي شيء فَعَلْتَ ذلك ؟ قال : ما أَقْدِرُ أصبر على غبن ذلك لأن المئة درهم تباع بدرهم .

ولما خرج السلطان^(٤) خرج بتجمل زائد وحشمه عظيمة ، كنت في سريا قوس فرأيت ما هالني ، وخرج ساقه للناس كلهم ، وكان ثقله^(٥) وحاله نظير ما للسلطان ، ولكن يزيد على ذلك بالزرکش وآلات الذهب .

ووجدوا في خزانته في طريق الحجاز بعد موته خمس مئة تشريف منها ما هو أطلس بطرز زركش وحوايص ذهب وكلوتات زركش ، ومادون ذلك من خلع أرباب السيوف وأرباب الأقلام ، وَوَجَدُوا على ما قيل قِيُوداً وزناجير ، والله أعلم بحقيقة الباطن في ذلك .

(١) في الوافي والمنهل : « ألفا » .

(٢) هي المراعي .

(٣) كذا في الأصل ، وفي (ق) ، والوافي : « يسم » ، ولم يتضح مراده .

(٤) (ق) : « مع السلطان » . وفي المنهل : « ولما توجه السلطان إلى الحجاز توجه معه سنة ٧٢٢ » .

(٥) (ق) : « ثقله » . وفي المنهل : « وكان ثقله وبركه نظير .. » .

وَتَنَكَّرَ السُّلْطَانُ لَهُ فِي طَرِيقِ الْحِجَازِ وَاسْتَوْحَشَ كُلُّ مَنْهَا مِنْ صَاحِبِهِ ، فَاتَّفَقَ أَنَّهُمْ فِي الْعَوْدِ مَرَضٌ وَلَدَهُ أَحْمَدُ ، وَمَرَضَ بَكْتَمَرُ وَالِدَهُ ^(١) بَعْدَهُ ، وَمَاتَ ابْنُهُ قَبْلَهُ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . وَعَمِلَ السُّلْطَانُ لِأَحْمَدَ تَابُوتًا وَغَشَاهُ بِجِلْدِ جَمَلٍ وَحَمَلَهُ مَعَهُ . وَلَمَّا مَاتَ بَكْتَمَرُ أَمَرَ السُّلْطَانُ لِلْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ بِهَازِرِ الْمَعْرِي أَنْ يَدْفِنَهُمَا فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ نَخْلٍ ، وَحَثَ السَّيْرَ بَعْدَ ذَلِكَ .

وَكَانَ السُّلْطَانُ بَعْدَ ذَلِكَ ^(٢) فِي تِلْكَ السَّفَرَةِ كُلَّهَا لَا يَنَامُ إِلَّا فِي بَرَجٍ خَشَبٍ وَبَكْتَمَرُ عِنْدَهُ ، وَقَوْصُونَ عَلَى الْبَابِ ، وَالْأَمْرَاءُ وَالْمَشَايخُ كُلُّهُمْ حَوْلَ الْبَرَجِ يَنَامُونَ بِسُيُوفِهِمْ ، فَلَمَّا مَاتَ بَكْتَمَرُ تَرَكَ السُّلْطَانُ ذَلِكَ ، فَعَلِمَ النَّاسُ أَنَّ ذَلِكَ الْإِحْتِرَازَ كَانَ خَوْفًا مِنْ بَكْتَمَرٍ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ دَخَلَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ وَهُوَ مَرِيضٌ فِي دَارِ الْحِجَازِ فَقَالَ ^(٣) : يَبْنِي وَيَبْنِيكَ اللَّهُ ، فَقَالَ : كُلُّ مَنْ عَمِلَ شَيْئًا يَلْتَقِيهِ .

وَلَمَّا مَاتَ صَرَخَتْ أُمُّ أَحْمَدَ وَبَكَتْ وَأَعْوَلَتْ إِلَى أَنْ سَمِعَهَا النَّاسُ تَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ قَبِيحٍ فِي حَقِّ السُّلْطَانِ مِنْ جَمَلَتِهِ : أَنْتِ تَقْتُلِ مَمْلُوكَكَ أَنَا ابْنِي إِيشَ كَانَ ^(٤) ؟ فَقَالَ لَهَا : بَسْ تَفْشِرِينَ ، هَاتِي مِفَاتِيحَ صَنَادِيْقِهِ فَأَنَا كُلُّ شَيْءٍ أُعْطِيْتَهُ مِنَ الْجَوْهَرِ أَعْرِفُهُ وَاحِدًا وَاحِدًا ، فَرَمَتْ بِالْمِفَاتِيحِ إِلَيْهِ فَأَخَذَهَا . وَلَمَّا حَضَرَ السُّلْطَانُ أَظْهَرَ النَّدَمَ عَلَيْهِ وَالْحُزْنَ وَالْكَآبَةَ ، وَأَعْطَى أَخَاهُ قَهْمَارِي إِمْرَةً مِئَةً وَتَقَدَّمَ أَلْفٌ ، وَكَانَ يَقُولُ : مَا بَقِيَ يَجِينُنَا مِثْلَ بَكْتَمَرٍ ، ثُمَّ إِنَّهُ أَمَرَ بِحَمَلِ رَمْتِهِ وَرَمَّةِ وَلَدِهِ مِنْ طَرِيقِ الْحِجَازِ وَدَفَنَهَا فِي تَرْبَتِهِ بِالْقَرَاةِ . وَكَانَ لِلزَّمَانِ بِهِ جَمَالٌ وَعَلَى الْمَلِكِ بِهِ رَوْنَقٌ .

جَاءَ أَحْمَدُ بْنُ مَهْنَأَ ^(٥) بَعْدَ قُدُومِ السُّلْطَانِ مِنَ الْحِجَازِ وَدَخَلَ يَوْمًا إِلَى قَاعَةِ الْإِنْشَادِ وَقَالَ لَنَا سِرًّا : بَيْتُ السُّلْطَانِ الْآنَ يَعْوُزُ شَيْئًا ، وَذَلِكَ الشَّيْءُ كَانَ بِكْتَمَرِ السَّاقِي .

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَلَدَهُ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) .

(٢) قَوْلُهُ : « بَعْدَ ذَلِكَ » خَلَّتْ مِنْهُ (ق) .

(٣) (ق) : « فَقَالَ لَهُ » .

(٤) عِبَارَةُ الدَّرَرِ : « أَنْتِ تَقْتُلِ مَمْلُوكَكَ فَإِنِّي إِيشَ عَمِلَ » .

(٥) هُوَ أَمِيرُ آلِ فَضْلِ (ت ٧٤٧ هـ) . (الْمَنْهَل) .

وقيل : إنّ السلطان كان يسير في طريق الحجاز وراء^(١) محفة بکتر وهو فيها مريض قدّر رمية نشاب ، فإذا وقفوا به وقف وإذا مشوا به مشى ، ويُجهّز إليه بُعَا الدوادار لكشف خبره ، فلما جاء إليه وقال : يا خوند ، مات ، ساق في ممالیکه الخواص ، وقال للحاج بهادر المعزّي : يا أمير قف وغسله وادفنه ، وخلاه وسار یَحْثُ السیر ، فعند ذلك نزل الأمير سيف الدين قوصون عن هجينه بعد ما عرّج عن الطريق ، يُظهر أنه يُريق الماء واستند إلى الهجين وجعل يبكي والمندیل على عينيه ، فقال له المملوك الذي معه : يا خوند ليش تبكي ، ما كان بکتر عدوك ؟ فقال : والك أنا ما أبكي^(٢) إلا على نفسي هكذا یُفعل ببکتر ؟! ومنّ فینا مثل بکتر ؟! ومن بقي بعد بکتر ؟! ما بقي إلا أنا .

وكان قصر بکتر في سرّیا قوس بخلاف قصور بقيّة الأمراء لأنّه قبالة قصر السلطان بحيث إنّها يتحادثان من داخل القصر . وعمر له بالقرافة خاتناه وتربةً ملیحتین ، وكان في إصطبله على البركة مئة سطل نحاس لمئة سائس ، كل سائس على ستة رؤس غير ماله في الجشارات والقرايا ، ومع هذه العظمة والتقدم والتكن لم يكن له حماية ولا رعاية ولا لغلمانہ ذکر ، ومن المغرب يغلق باب إصطبله وما لأحد به حس ، وكان يتلطف بالناس ويقضي حوائجهم ويسوسهم أحسن سياسة ، وما يخالفه السلطان في شيء ، وكان يحجر^(٣) على السلطان ويمنعه من مظالم كثيرة ظهرت من السلطان بعد موت بکتر رحمه الله تعالى .

ولما تزوّج آنوك ابن السلطان - على ما تقدّم في ترجمته - كنت أنا بالقاهرة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، ورأيت الشوار الذي حُمِل من داره التي على بركة الفيل إلى القلعة . وكان عدة الحمالين ثمان مئة حمال ، المساند الزركش عشرة على أربعين حمالاً ،

(١) في الأصل : « رأى » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .

(٢) في الأصل : « نبكي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .

(٣) في الوافي : « يحجز » .

المدورات^(١) ستة عشر حمّالاً ، الكراسي اثني عشر حمّالاً . كراسي لطاف أربعة حمّالين ، فضيات تسعة وعشرين حمّالاً ، سلّم الدكك أربعة حمّالين ، الدكك والتخوت الأبنوس المفضضة^(٢) والموشقة مئة واثنين وستين حمّالاً ، النحاس الكفت ثلاثة وأربعين حمّالاً ، الصيني ثلاثة وثلاثين حمّالاً ، الزجاج المذهب اثني عشر حمّالاً ، النحاس الشامي اثنين وعشرين حمّالاً ، البعلبي المدهون اثني عشر حمّالاً ، الخونجات والخافي والزبادي النحاسي تسعة وعشرين حمّالاً ، صناديق الحوائج خاناه ستة حمّالين ، وغير ذلك تنمة العدّة^(٣) ، والبغال المحمّلة الفرش واللحف والبسط والصناديق التي فيها المصاغ تسعة وتسعين بغلاً .

وقال لي المهذب الكاتب : الزركش والمصاغ ثمانون قنطار ذهب بالمصري .

وكان ممّا لبكر على السلطان من المرتب في كل يوم مخفيتان يأخذ عنهما من بيت المال في كل يوم سبع مئة درهم ، كلّ مخفية ثلاثة مئة وخمسون درهماً . وكان السلطان إذا أنعم على أحد بشيء أو ولاء وظيفة حتى يبوس الأرض ويبوس يده ، يقول له : روح إلى الأمير وبوس يده .

وعلى الجملة فكان أمره غريباً ، ولقد كان رحمه الله تعالى أهلاً لتلك النعم الجمّة لأنّه كان جيّد الطباع حسن الأخلاق لئلاّ الجانب سهل الانقياد ، رحمه الله تعالى .

وكنّت قد قلت :

بذلت مَوجودي إذ زارني حبّي وأدّنت على البَاقِي^(٤)
فقال لي دُم هكذا قلت هل تحسبني بكتّم السَاقِي

(١) (ق) : « الزورات » .

(٢) في الوافي : « والمفضضة » .

(٣) (ق) : « العدّة » .

(٤) (ق) : « من الدّين » ، وفي الأصل : « أدنت » ، ولا وجه لها .

٤٠٨ - بكتمر *

الأمير سيف الدين الحسامي .

كان بدمشق حاجباً ، ثم إنه ولي الشد ، ثم ولي مكانه في الشد الأمير جمال الدين آقوش الرُستمي ، وأُعيد سيف الدين بكتمر إلى الحجويّة بدمشق ، وفرح بإقالته من الشد ، وكان عزله من الشد في ذي الحجة سنة ست وسبع مئة .

ثم إنه توجه لولاية الولاية بالقبلية ورسم بطّلبه إل مصر ، فتوجه في شعبان سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، ولما وصل إلى القاهرة ولآه السلطان ثغر الإسكندرية ، فأقام بها إلى أن ورد البريد إلى دمشق وأخبر بوفاته في ثالث عشر شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وقال ^(١) : وفاته في خامس شهر رمضان ، وتولى عوضه صلاح الدين دوادار قبجق .

٤٠٩ - بكتوت **

بدر الدين بن عبد الله المحمّدي .

أخبرني من لفظه العلامة أثير الدين قال : اشتغل عليّ بيسير من النحو ، وأنشدني لنفسه :

مجلّق لي حبيبٌ بوصله لا يجودُ
فقلّبه قاسيونٌ ودمع عيني يزيدُ

وأنشدني لنفسه أيضاً :

مَنْ لي بظبيٍ غريّرٍ باللحظِ يسبي الممالكُ

* تالي وفيات الأعيان : ١٩٣ ، والبداية والنهاية : ١١٦/١٤ ، والدرر : ٤٨٧/١ .

(١) كذا في الأصل و (ق) ، والأشبه (قيل) ، ومن قالوا بذلك ابن كثير .

** الوافي : ٢٠١/١٠ ، والمنهل الصافي : ٤١٢/٣ ، والدرر : ٤٨٨/١ ، وترجمته فيه أوفى مما عند الصفدي .

إذا تبَدَّى بليلى جلاً سناءَ الحوالمك
من حُور رضوانٍ أنهى لكنه نَجَل مالمك
قلتُ : شعر متوسط فارغ .

٤١٠ - بكتوت *

الأمير سيف الدين شكار ، نائب السلطنة بشعر الإسكندرية .
كان قد عَزَل من النيابة ، وبقي مدةً إلى أن توفي رحمه الله تعالى بالقاهرة في أواخر
شهر رجب سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

٤١١ - بكتوت **

الأمير بدر الدين الأزرق مملوك السلطان الملك العادل كتبغا .
أمسكه حسام الدين لاجين وقتله ، وقتل خوشداهش بْتُخَاص .
وكان الخُلْف قد وقع على اللجون في مَرْج بني عامر ، ولما بلغ ذلك الملك العادل
خرج من الدهليز ولم يفتن به ، وتوجّه إلى جهة دمشق وساق حسام الدين لاجين
للخزانة ، والعساكر بين يديه ، وذلك يوم الاثنين ، ثامن عشرين المحرم ، سنة ست
وتسعين وست مئة .

٤١٢ - بكتوت ***

الأمير بدر الدين القرماني .
كان عنده معرفه ، والتفاتة إلى حُب الدنيا مُسْرِفَه ، وتَهَوَّر يقدم به على الخطر^(١)
قبل أن يعرف مَصْرِفَه .

* الدرر : ٤٨٩/١ .

** انظر : عقد الجمان : ٣/٢٤٧ ، ٢٤٨ ، أحداث سنة (٦٩٦ هـ) ، والبداية والنهاية : ١٣/٢٤٧ - ٢٤٨ ،
أحداث سنة (٦٩٦ هـ) .

*** الدرر : ٤٨٩/١ .

(١) في الأصل : « الخطو » ، وأثبتنا ما في (ق) .

عالم صناعة الكيمياء حتى في الاعتقال ، وكان الأولى به الفكر في الخلاص من تلك الضائقة والانتقال^(١) ، وتنفس على تنكز فما نفس له خناقاً ، وضرب عليه في القلعة من البرج رواقاً .

وكان قد باشر شدّ الدواوين بدمشق سنة إحدى عشرة وسبع مئة في شهر رمضان عوضاً عن الأمير سيف الدين طوغان ، ثم إنه عزل بفخر الدين أياص الشمسي ، وجّهز إلى الرحبة ثانياً في أول سنة ثلاث عشرة وسبع مئة ، وتوجّه إلى نيابة حصّ عوضاً عن الحاج أرقطاي في جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وسبع مئة ، وأقام بها إلى أن حضر الأمير سيف الدين البذري عوضاً عنه في صفر سنة تسع عشرة وسبع مئة .

وحضر إلى دمشق ثم جرّد إلى سيّس صحبة العسكر في سنة عشرين وسبع مئة ، وعاد . ولم يزل بدمشق إلى أن وقع له ما وقع مع الأمير سيف الدين تنكز ، فأمر باعتقاله في قلعة دمشق في آخر يوم من جمادى الأولى سنة ست وعشرين وسبع مئة ، ولم يزل في الاعتقال إلى أن ورد المرسوم بتجهيزه إلى مصر مقيّداً في حادي عشر شوال سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وفي مستهل المحرم سنة أربع وثلاثين أفرج عنه وعن الأمير بهاء الدين أصلم وأخيه قرمشي^(٢) .

٤١٣ - بكتوت*

الأمير سيف الدين الغرزي العزيزي الناصري .

كان حاجباً بالشام مشكور السيرة ، له همة مع كبير سنّه ، مواظباً على المشي إلى الجامع في أوقات الصلوات وحده ويحمل نعله بيده^(٣) ، وسمع من النجيب عبد اللطيف الحرّاني هو وأولاده ، وما روى شيئاً ، وكان من أعيان الأمراء .

(١) في الأصل : « الاعتقال » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٢) في الأصل : « قرمسي » ، تصحيف ، وستأتي ترجمته ن

* الوافي : ٢٠٠/١٠ .

(٣) في الأصل : « وجده » ، وأثبتنا ما في (ق) .

توفي رحمه الله تعالى خامس شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وست مئة ، ودفن بسفح قاسيون .

٤١٤ - أبو بكر بن إسماعيل*

ابن عبد العزيز ، الشيخ الإمام العالم الفقيه البارع المفقي مجد الدين السنكولوني : بالسین المهملّة وبالنون الساكنة والكاف وبعدها لام وواو وميم ، و« سنكلونة »^(١) قرية من أعمال بلبّيس ، والناس يقولون : الزنكلوني .

تفقه على جماعة ، وسمع من الأبرقوهي ، ومحمد بن عبد المنعم^(٢) ، وعليّ بن الصّوّاف^(٣) ، ويحيى بن أحمد الصّوّاف^(٤) ، وعدّة . ولازم الحافظ سعد الدين^(٥) وسمع منه في (المسند) ، وصنّف التصانيف منها : (شرح التنبيه)^(٦) في خمس مجلدات ، و (شرح التعجيز)^(٧) في ثمانية ، و (شرح المنهاج)^(٨) ولم يطوّله ، واختصر (الكفاية) لابن الرفعة^(٩) .

وخرّج له الشيخ تقي الدين بن رافع (مشيخة) ، وحدّث بها ، وأخذ عنه

* الوافي : ٢٢٦/١٠ ، وفيات ابن رافع : ١٠١/١ ، والدرر : ٤٤١/١ ، والشذرات : ١٢٥/٦ ، وحسن المحاضرة : ٢٤٠/١ ، وذبول العبر : ٢١٢ .

- (١) في الوافي : « وسنكلوم » .
- (٢) (ت ٦٨٢ هـ) ، العبر : ٣٤١/٥ .
- (٣) علي بن نصر الله بن عمر (ت ٧١٢ هـ) ، والشذرات : ٣١/٦ .
- (٤) (ت ٧٠٥ هـ) ، الشذرات : ١٢/٦ .
- (٥) لم نهد إلى ترجمته .
- (٦) واسم الشرح تحفة التنبيه . الكشف : ٤٩٠/١ .
- (٧) واسمه الشرح الواضح الوجيز . الكشف : ٤١٨/١ .
- (٨) الكشف : ١٨٧٣/٢ .
- (٩) هو أحمد بن محمد الأنصاري (ت ٧١٠ هـ) ، واسم كتابه : (كفاية النبيه في شرح التنبيه للشيرازي) .
إيضاح للكنون : ١٥٨/١ .

شمس الدين السروجي ^(١) وابن القطب ^(٢) وأبو الخير الدهلي ^(٣) . ومن تفقّه عليه أقضى القضاة بهاء الدين أبو البقاء السبكي الشافعي وغيره .

ودرّس بجامع الحاكم وبالبَيْتَرْسِيَّة ، وأعاد بأماكن ، وعُرض عليه قضاء قوص فامتنع .

وكان قد برع في المذهب وحمل علّمه المذهب ، وشارك في العريّة والأصول ، وجادل لابل جالد بالنُصُول ، مع تصوّن ووقار ، وعبادة ورفض للدنيا واحتقار .

ولم يزل على حاله إلى أن هُدم من المجد ركنه المشيد ، وأصبح بعد ما كان فوق الأرض وهو تحت الصّعيد .

وفاته في سابع شهر ربيع الأول سنة أربعين ^(٤) وسبع مئة .

ومولده سنة بضع وسبعين وست مئة .

٤١٥ - أبو بكر بن عبد الله *

ابن أحمد بن منصور بن أحمد بن شهاب ، الصاحب ضياء الدين النشائي بالنون والشين المعجمة وألف ممدودة بعدها ياء النسبة .

وزر أيام الملك المظفر ركن الدين بَيْتَرْسُ الجاشنكير ، وكان قد وليها في سنة ست وسبع مئة بعد عزل الصاحب سعد الدين محمد بن محمد بن عطايا ^(٥) في شهر المحرم ،

(١) محمد بن علي بن أبييل السروجي ، ت ٧٤٤ هـ ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) محمد بن موسى (ت ٧٦٥ هـ) ، الشذرات : ٢٠٧/٦ .

(٣) سعيد بن عبد الله (ت ٧٤٩ هـ) ، والشذرات : ١٦٣/٦ .

(٤) في الأصل : « سنة ستة وأربعين » ، وهو سهو .

* الوافي : ٢٣٧/١٠ ، وتالي وفيات الأعيان : ٤٧ ، والدرر : ٤٤٤/١ .

(٥) ستأتي ترجمته .

وولي أيضاً تدريس قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه ومشیخة الميعاد بجامع ابن طولون .

ونظر الأحباس في ربيع الأول سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وكان ابن سعيد الدولة^(١) معه مشيراً ، وكان^(٢) الأمر كله لابن سعيد الدولة والاسم لضياء الدين . وولي نظر النظار بالقاهرة ، ثم تولّى نظر الخزانة قبل موته .

وكان صاحب ضياء الدين مشكور السيرة ، طاهر السريره ، فقيهاً فاضلاً ، حبراً مناظراً مناضلاً ، يعرف الفرائض جيداً ، وغالب أقرانه يكون فيها عنه متحيداً ، وهو معروف بصحبة الشيخ شرف الدين الدميّاطي^(٣) ، وله أخذ في الحديث وتعاطي^(٤) .

ولم يزل على نظر الخزانة إلى أن فُكَّ من النَّشائي ختم عمره ، ومُحي من الوجود رَسْم سطره .

ووفاته رحمه الله تعالى في تاسع عشر شهر رمضان سنة ست عشرة وسبع مئة .

وفيه قال :

إن بكى الناسُ بالمدامع حُمراً فهو شيءٌ يُقال من حِناءٍ
فاختم الدُّست بالنَّشائي فإني لأرى الختم دائماً بالنَّشَاءِ

٤١٦ - أبو بكر بن محمد بن قلاوون*

السلطان الملك المنصور سيف الدين ابن السلطان الملك الناصر^(٥) محمد بن السلطان الملك المنصور .

(١) (ت ٧٠٩ هـ) ، والبداية والنهاية : ٥٧/١٤ .

(٢) (ق) : « فكان » .

(٣) عبد المؤمن بن خلف ، وستأتي ترجمته . وفي الوافي : « سيف الدين الدميّاطي » .

(٤) كذا ، لتم السجعة .

* الوافي : ١٠ / ٢٥٠ ، والدرر : ٤٦٢/١ ، والشذرات : ١٣٦/٦ .

(٥) ليست في (خ) ، والوافي .

وَصَّى أبوه الناصرُ له بالملك بعده ، وقام في صفه قوصون ، وقام بشتاك في صف أخيه أحمد ، وجرى ما ذكرته في ترجمة بشتاك . وجلس على كرسي الملك في يوم الخميس عشري^(١) ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبع مئة ، ثاني يوم وفاة^(٢) والده ، واشتمل المنصور على طاجار الدوادار ، فيقال إنه حسن له القبض على قوصون ، وقال له : ما يتم لك أمر وقوصون هكذا ، فتحدثوا في إمساكه وعنده جماعة من خواص والده ، فنقلوا ذلك لقوصون ، فاتفق قوصون مع أيدغش أمير آخور وغيره من الأمراء وخلعوه ، وأراد الركوب فخذله أيدغش ، ولو قدر الله بالركوب لنجا . ولم يرض لقوصون أمر ؛ لأن الناس إذا ركبوا طلبوا السلطان وانضوا عليه .

ثم إن قوصون أجلس الملك الأشرف كجك على كرسي الملك وحلفوا له العساكر ، وكان صغيراً تقدير عمره ست سنين وما حولها ، وجلس قوصون في النيابة ، وجَهَّز^(٣) المنصور إلى قوص ومعه الأمير سيف الدين بهادر [بن]^(٤) جرکتر مثل الترسيم عليه ، ومعه أخويه^(٥) يوسف ورمضان وغرقوا طاجار الدوادار ، وقتلوا بشتاك في السجن ، واعتقلوا جماعة من الأمراء الذين حوله^(٦) .

ثم إن قوصون كتب إلى عبد المؤمن^(٧) متولي قوص ، فقتله وحمل رأسه إلى قوصون سراً في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة ، وكتبوا ذلك ، فلما أمسك قوصون تحقق الناس ذلك ، وجاء من حاقق بهادر ، وطلبوا عبد المؤمن واعترف بذلك ، وسمَّه الملك الناصر أحمد بالقاهرة ، وكان لما استقر أمر المنصور ألبس الأمير سيف الدين طقزتمر تشريف

(١) في (ق) ، (خ) ، والوافي : « عشرين » .

(٢) (ق) ، (خ) : « من وفاة » .

(٣) في الوافي : « وجَّهوا » .

(٤) زيادة من (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٥) أي : وجَّه أخويه ، وفي (ق) و (خ) : « أخوته » ، وهي بعيمة . وعبارة الوافي : « وأخويه » .

(٦) (ق) ، (خ) : « الذين كانوا حوله » .

(٧) هو عبد المؤمن بن عبد الوهاب ، المعروف بابن الحجير التاجر (ت ٧٤٢ هـ) ، الدرر : ٤٢٠/٢ .

النيابة بمصر وهو حموه ، وألبس الأمير نجم الدين محمود بن شروين^(١) تشریف الوزارة ، ومشت الأحوال على أحسن ما يكون ، وانتظمت الأمور ، وحُلف نواب الشام وعساكره ، ولم ينتطح فيها عنزان ، ولا جرى خلاف ولا سُلَّ سيف ، ولا سُفك دم ، « ولو تُرِكَ القُطا ليلاً لنا ما »^(٢) ولكن لما أرادوا خُلْعَه رَمَوْه بأوابد ودواهي ، وادَّعوا أنه يركب في الليل في المراكب على ظهر النيل ، وقالوا أشياء الله أعلم بأمرها .

وكان رحمه الله تعالى شاكراً حُلُو الصورةِ أسمر اللون مليح الكون ، في قوامه هيف ولين ، وحركة داخلية تنتهي إلى تسكين ، وهو أفحل إخوته وأشجعهم ، وأقربهم إلى دواء الملك وأنجعهم ، وكرمه زائد التخرق في العطاء ، والتوسع في كشف الغطاء ، حُمل إليه مال بشتاك ومال أقبغا عبد الواحد ومال برسبغا ، مما يقارب أربعة آلاف ألف درهم ، ففرقة جميعه على خواص أبيه مثل الحجازي ويلبغا وألطنبغا المارداني وطاجار الدوادر .

وكان والده رحمه الله قد زوجه ابنة الأمير سيف الدين طقزقر ، ولما جاء أخوه الناصر أحمد عمل الناس عزاءه ودار في الليل جواريه بالدرادك^(٣) في شوارع القاهرة ، وأبكين الناس ورحموه وتأسفوا على شبابه لأنه خذل وأخذ بَغْتَه وقُتل غصاً طرياً ، ولو ترك لكان ملكاً سؤوساً .

كان في عزمه أن يُحيي رسوم جدّه الملك المنصور قلاوون ، ويجري الأمور في سياسة الملك على قواعده ويُبطل ما أحدثه أبوه من إقطاعات العربان وإنعاماتهم .

وكانت مُدَّة ملكه شهرين وأياماً .

وقلت أنا في عزائه مُضْماً :

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) من أمثال العرب . فصل المقال : ٣٨٤ .

(٣) في الوافي : « الدادرك » ، ولم يتضح معناها .

أقول وقد دارت جوارى الدرداك لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
أبكين عجزاً كونها ما تهلت نواجد أفواه للنايا الضواحك
لقد خذل المنصور ظملاً ومادجا نهراً وغاة من غبار السنايك
فصبأ على ريب الزمان وغدره «فا الناس إلا هالك وابن هالك»^(١)

٤١٧ - أبو بكر بن محمد*

ابن الرضيّ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار التديسيّ الجماعيلي الصالحي القطبان .

الشيخ الصالح المقرئ ، مسند وقته ، أجاز له عيسى الخياط^(٢) ، وسيط السلفي^(٣) ، وسيط الجوزي^(٤) ، ومجد الدين بن تيمية ، وخلّق ، وحضر خطيب مرّدا ، والعماد عبد الحميد بن عبد الهادي^(٥) ، ثم سمع منه في سنة سبع ، ومن إبراهيم بن خليل ، وعبد الله بن الخشوعي ، ومن ابن عبد الدايم والرضية بن البرهان (صحيح) مسلم ، سوى قوّة مجهول يسير . وحضر أيضاً محمد بن عبد الهادي^(٦) ، وتفرد بأجزاء وعوال ، وروى الكثير .

وكان فيه غزير النوال . وكان شيخاً مباركا ، مكباً على التسميع لا تاركا ، حسن الصّحبه ، صادق الحبّه ، حميد الطريقه ، يُجمل بحاسنة فريقه .

(١) ضمن صدر بيت لأبي نواس ، وهو في ديوانه : ٦٢١ ، وروايته فيه :

أرى كل حي هالكا وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق

* الوافي : ٢٥٢/١٠ ، والدرر : ٤٥٩/١ ، وذيول العبر : ٢٠٠ .

(٢) هو عيسى بن سلامة الحراني (ت ٦٥٢ هـ) ، السير : ٢٨٠/٢٣ .

(٣) عبد الرحمن بن مكي (ت ٦٥١ هـ) ، والسير : ٢٧٨/٢٣ .

(٤) يوسف بن قزاعلي (ت ٦٥٤ هـ) ، والسير : ٢٩٦/٢٣ .

(٥) ابن يوسف الجماعيلي (ت ٦٥٨ هـ) ، السير : ٣٤٠/٢٣ .

(٦) (ت ٦٥٨ هـ) ، السير : ٣٤٠/٢٣ .

حَدَّثَ بِأَمَاكُنْ ، وَأَكْثَرَ عَنْهُ ابْنُ الْمُحِبِّ^(١) ، وَأَوْلَادُهُ ، وَأَخُوهُ ، وَالسَّرُوجِي ،
وَالدَّهْلِي ، وَابْنُ السَّفَاقْسِي^(٢) ، وَخَلَقَ .

وَلَمْ يَزَلْ عَلَى حَالِهِ إِلَى أَنْ انْطَبَقَتْ عَلَيْهِ الْعَبْرَا ، وَحُجِبَتْ عَنْهُ الْخَضْرَا .

وَتَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعَ مِئَةٍ .

وَمَوْلَدُهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ^(٣) .

أَجَازَ لِي بِخَطِّهِ فِي دِمَشْقَ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعَ مِئَةٍ .

٤١٨ - أَبُو بَكْرٍ بْنُ يُوسُفَ*

ابْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، الْإِمَامُ لِلدَّرْسِ بَقِيَّةَ الْمَشَايخِ ، زَيْنُ الدِّينِ
الْمِزِّي الدِّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيُّ ، يُعْرَفُ بِالْحَرِيرِيِّ ، لِأَنَّ أُمَّهُ تَزَوَّجَتْ بِالشَّمْسِ الْحَرِيرِيِّ^(٤)
تَقِيبُ ابْنَ خَلِّكَانَ ، فَرَبَّاهُ .

تَلَا بِالسَّبْعِ عَلَى الزَّوَاوِيِّ^(٥) وَغَيْرِهِ ، وَسَمِعَ مِنَ الصَّدْرِ الْبَكْرِيِّ^(٦) ، وَخَطِيبِ مَرْدَا ،
وَجَمَاعَةٍ . وَدَرَسَ (التَّنْبِيهِ) وَغَيْرِهِ ، وَدَرَّسَ بِالْقَلِيجِيَّةِ الصَّغْرَى وَغَيْرِهَا ، وَوَلَّى مَشِيخَةَ
الْقُرَآءَاتِ وَالنَّحْوِ بِالْعَادِلِيَّةِ مَدَّةً ، وَسَمِعَ ابْنَهُ وَابْنَ ابْنِهِ شَرَفَ الدِّينِ .

(١) عبد الله بن أحمد ، وستأتي ترجمته .

(٢) في الأصل : « وابن السفاقسي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي . وابن السفاقسي هما : إبراهيم بن محمد ،
وقد سلفت ترجمته . وأخوه : محمد ، وستأتي ترجمته .

(٣) والأشبه أنه ولد قبيل هذا التاريخ ، يؤنس بذلك تواريخ وفيات مشايخه .

* الوافي : ٢٦٩/١٠ ، والدرر : ٤٦٨/١ ، والشذرات : ٧١/٦ ، وغاية النهاية : ١٨٤/١ ، والدارس :
٢٠٧/٢ ، وذيول العبر : ١٤٦ .

(٤) محمد بن عثمان ، وسيأتي ترجمته .

(٥) عبد السلام بن علي (ت ٦٨١ هـ) ، غاية النهاية : ٨٣٦/١ .

(٦) الحسن بن محمد (ت ٦٥٦ هـ) ، والشذرات : ٢٧٤/٥ .

وسَمِعَ مَنهُ قَاضِي القِضَاةِ عَزَّ الدِّينَ بَنَ جَمَاعَةٍ وَابْنُهُ وَالطَّلَبَةُ .

وَكَانَ وَدَّهُ صَحِيحًا ، وَانْخِرَافَهُ عَنْ أَصْحَابِهِ شَحِيحًا ، يَصْحَبُ النَّاسَ ، وَيُجَانِبُ
الْأَدْنَسَ ، بِأَدْيِ الْخَيْرِ لِمَنْ يَعْرِفُهُ ، يَقْدُرُ عَلَى الشَّرِّ فَيَصْرِفُهُ .

وَلَمْ يَزَلْ عَلَى حَالِهِ إِلَى أَنْ نَعِيَ لِمَعَارِفِهِ ، وَأَنْفَقَهُ الْمَوْتُ فِي مَصَارِفِهِ .

وَوَفَاتِهِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فِي نِصْفِ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتِّ وَعَشْرِينَ وَسَبْعِ
مِائَةٍ .

وَمَوْلِدُهُ سَنَةِ سِتِّ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ .

٤١٩ - أَبُو بَكْرٍ بَنَ أَحْمَدُ*

ابن محمد بن أحمد بن أبي بكر ، الشيخ الصالح العالم العامل الزاهد العابد ،
صفيّ الدين السّلامي .

كَانَ رَجُلًا صَالِحًا سَعِيدًا ، سَافَرَ إِلَى الْبِلَادِ فِي التِّجَارَةِ ، وَكَانَ مُوصُوفًا بِالْأَمَانَةِ
وَالدِّيَانَةِ ، ثُمَّ إِنَّهُ تَرَكَ ذَلِكَ وَاتَّقَطَعَ بِالْقُدْسِ مُدَّةً ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي سَنَةِ
عَشْرِ وَسَبْعِ مِائَةٍ وَاسْتَوَظَنَهَا ، وَيُحْجُ فِي كُلِّ سَنَةٍ وَيَعُودُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَرَبَّمَا أَقَامَ بَعْضَ
السَّنِينَ فِي مَكَّةَ ، وَحَدَّثَ بِالْحِجَازِ (بِجِزَاءِ الْأَنْصَارِيِّ) بِسَمَاعِهِ مِنْ ابْنِ الْبَخَارِيِّ .

وَتُوفِيَ فِي سَادِسِ عَشْرِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ سِتِّ وَعَشْرِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ .

٤٢٠ - أَبُو بَكْرٍ بَنَ أَبِيكَ**

الأمير حسام الدين بن النجيب .

كَانَ آخِرَ أَمْرِهِ أَمِيرَ عَشْرِينَ فَارِسًا بِدَمَشْقَ ، كَانَ مِنْ بَقَايَا النَّاسِ وَمِنْ تَأَخَّرِ فِيهِ

* الدُّرَرُ : ٤٣٩/١ .

** الدُّرَرُ : ٤٤١/١ .

رَمَقَ الإكرام والإيناس ، يصحب أهل العلم ويودّهم ويكرمهم ولا يصدّهم ، ويأنس بالفقراء^(١) والصلحاء ، ويحنو على المساكين والضعفاء ، وكان يعمل المولد النبوي في كل سنة ويدعو لمأدبته لجَفَلَى ، ويحشر إليها الناس من أهل الحضارة والفلا ، ويتنوّع في الأطعمة والمشروب والفواكه ، ويحتفل بذلك فما يَرى له فيه مُشَارِك ولا مشاكِه . وولي عدّة ولايات وبارش في عدة جهات ، إلى أن سرى الفساد إلى كونه . وطَرِدَ الحِفاظ عن صونه .

وتوفي رحمه الله تعالى في خامس عشري ذي القعدة سنة ست وخمسين وسبع مئة . وكان الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى بحبه ويكرمه ، وولاه شدّ الأوقاف بدمشق في يوم السبت تاسع جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، عوضاً عن ناصر الدين بن بكتاش .

٤٢١ - أبو بكر بن أحمد بن عبد الدائم*

ابن نِعْمَة المقدسي الصالحي ، الشيخ الصالح المَعْمَر اليقظ ، مسند الوقت يعرف بالمحتال .

سمع سنة ثلاثين وست مئة على الفخر الإربلي ، وسمع (الصحيح) كلّهُ على ابن الزبيدي ، وسمع من الناصح بن الحنبلي ، وسالم بن صَضْرَى ، وجعفر الهمداني ، والشيخ الضياء وجماعة ، وأجاز له ابن رُوزبه وأقرانه من بغداد .

وحجّ ثلاث مرات ، وأضرّ قبل موته بأعوام ، وثقل سمعه ، ولكن كان ذاهمة وجلادة وفهم .

(١) في الأصل : « الفقراء » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

* الوافي : ٢٢٢/١٠ ، وذيل العبر : ٩٨ ، والنجوم : ٢٤٢/٩ ، والدرر : ٤٣٨/١ ، والشذرات : ٤٨/٦ .

وحدّث في زمان والده ، وروى عنه ابن الخبّاز^(١) ، وابن نفيس^(٢) ، والقدماء ، وعاش كأبيه ثلاثاً وتسعين سنة .

انتهى إليه علوّ الأسناد ، وأصبحت الرواية به واريّة الزناد ، وراج كوالده في الإسناد ، كالرمح أنبوباً على أنبوب ، وكل محدّث إليه يقرع الظنوب^(٣) ، وله أذكار وعبادته ، وفيه رغبة عن الدنيا وزهاده ، وحدّث بـ (الصحيح) غير مرّة ، وصار ذلك له عادةً مُستمرّة .

ولم يزل على حاله إلى أن أقى الفناء إلى ابن عبد الدائم ، واتصل بمن هو على كل نفس قائم .

ووفاته تاسع عشر شهر رمضان سنة ثمان عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة خمس أو ست وعشرين وست مئة .

٤٢٢ - أبو بكر بن عمر*

ابن أبي بكر الشقراوي ، بالشين المعجمة والقاف والراء ، نسبة إلى وادي الشقراء بدمشق .

سمع من ابن عبد الدائم ، وغيره .

وأجاز لي بخطه في سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

٤٢٣ - أبو بكر بن شرف**

ابن مُحسِن بن معن بن عَمّار ، الشيخ الإمام تقي الدين الصالح الحنبلي .

(١) محمد بن عمر ، وستأتي ترجمته . وقع في بعض أصول الوافي : « ابن النجار » .

(٢) علي بن مسعود ، وستأتي ترجمته .

(٣) هو عظم مقدم الساق ، يضرب مثلاً لمن يجِد في الأمر .

* الوافي : ٢٤١/١٠ ، والدرر : ٤٥١/١ .

** الوافي : ٢٣٥/١٠ ، والبداية والنهاية : ١٤٦/١٤ ، والدرر : ٤٤٣/١ .

أخبرني الشيخ شمس الدين محمد بن قِيمَ الجوزيَّة رحمه الله تعالى ، قال : هو رفيق الشيخ تقى الدين بن تيمَّة في الاشتغال ، وله تصانيف .

توفي رحمه الله تعالى في ثاني عشر صفر سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده في شَوَّال سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

وسَمِعَ من ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر وعبد الوهاب بن الناصح ، وجمال الدين بن الصيرفي ، والنجم عبد الرحمن بن الشيرازي ، والشيخ شمس الدين الحنبلي ، وابن البخاري وغيرهم . وله إجازات من جماعة ، وسمع بالقاهرة وحلب ، وكان فقيراً ، وله أولاد ، وكان فاضلاً ، وله كلامٌ وعبارة فصيحة ، ومعرفة بأنواع من الفضائل ، وكان يجلس بجامع حمص ويتكلم وله قدرة على التفهيم وينفع السامعين .

٤٢٤ - أبو بكر بن أحمد بن برق*

السننسي الدمشقي الأمير سيف الدين .

كان أمير عشرة^(١) ، سمع من أبي اليسر ولم يَحْدَثْ بشيء ، ووقف سُبُعاً بجامع^(٢) الأموي ، وكان من أبناء الثمانين .

وتوفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة تسع وسبع مئة ، وهو والد شهاب الدين بن أحمد بن برق متولي دمشق ، وقد تقدّم ذكره .

* الدرر : ٤٣٧/١ .

(١) (ق) : « عشرة بدمشق » .

(٢) (ق) : « بالجامع » .

٤٢٥ - أبو بكر بن عمر ^(١) بن الجزري *

الشيخ الإمام الزاهد الورع تقي الدين المعروف بالمقصّاتي ^(٢) .

كان رجلاً صالحاً ، لا يزال ميزانَ حسناته راجحاً ، عارفاً بالقراءات السبع ، يرمي فيها عن قوس هي من النبع ، واطبَّ على إقراء القرآن بالعراق والشام أكثر من خمسين سنة ، وجاهد على القراءة بها ^(٣) بمقلة وسِنه .

وكان عنده ورَعٌ واجتهاد ، وصَبْرٌ على الطلبَةِ ومتابعة الأوراد ، وكان ينقل من الشواذ كثيراً ، ويروي منها محاسن ، وجوهها في العربية ناضرة ولم تجد لها نظيراً .

ولم يزل على حاله إلى أن قُصَّ جناح المقصّاتي بجَلَم ^(٤) الموت ، ودخل مع من دخل في نسخة الوجود بالفوت .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة السبت حادي عشري جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده بالجزيرة ، وتجاوز الثمانين ، ونشأ بالموصل وأقام ببغداد ودمشق ولازمها إلى أن مات .

وكان يعرف القراءات العشرة وغيرها ، وعندها طرف من العربية ، وروى القراءة و (التيسير) من الشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش البغدادي ، وولي إمامة الرباط

* الدرر : ٤٥٣/١ ، وغاية النهاية : ١٨٣/١ ، والدارس : ٩٠/١ ، وذيول العبر : ٧٤ ، والبداية والنهاية : ٧٠/١٤ .

(١) « ابن المشيع » ، كما في الدارس والدرر ، وفي البداية : « السبع » ، وفي الغاية : « مشيع » . وفي ذيول العبر : « أبو بكر بن محمد بن المشيع » .

(٢) في البداية والنهاية : « المقصاي » .

(٣) (ق) : « التلاوة فيها » .

(٤) الجلم : ما يقص به .

الناصري^(١) والمدرسة الظاهرية ودار الحديث الأشرفية . وناب في الإمامة والخطابة بالجامع الأموي أكثر من عشر سنين ، وبه انتفع جماعة كثيرة^(٢) . وتوفي بمنزله في باب البريد رحمه الله تعالى .

٤٢٦ - أبو بكر بن عبد العظيم*

القاضي الصدر أمين الدين بن وجيه الدين المعروف بابن الرقائي - براء وقافين بينهما ألف - المصري الكاتب .

كانت له مباشرات ، وخلطة بالأكابر ومعاشرات ، وعنده رئاسه ، ولديه في الإحسان نفاسه ، بآشر عدة وظائف بمصر والشام ، وشكره في ذلك جميع الأنام ، وتولّى بمصر نظر بيت المال ونظر البيوت ونظر الدواوين ، وبآشر نظر الدواوين بالشام مدة ، ثم إنه انتقل إلى القاهرة .

ولم يزل إلى أن خانت أمين الدين حياته ، وأتاه بالرغم مماته .

ووفاته رحمه الله تعالى سنة عشر وسبع مئة بالقاهرة .

وعزل من نظر الدواوين بدمشق في شهر رمضان سنة ثمان وسبع مئة . وكان قد وصل إلى دمشق على وظيفة النظر في مستهل جمادى الأولى سنة خمس وسبع مئة .

٤٢٧ - أبو بكر بن محمد**

القاضي الزاهد الورع العابد قطب الدين بن المكرم .

أحد كتّاب الإنشاء بالديار المصرية ، رافقته مدةً بديوان الإنشاء بقلعة الجبل ،

(١) في المدرسة الناصرية . بحلة الفواخير بسفح قاسيون . الدارس : ٨٥/١ .

(٢) (ق) : « كبيرة » .

* الوافي : ٢٣٧/١٠ ، وتالي وفيات الأعيان : ٣٧ ، والدرر : ٤٤٦/١ .

** الوافي : ٢٦٤/١٠ ، والدرر : ٤٦٥/١ .

وكان يَسْرُد الصوم ، ويتعبد في الليلة واليوم ، ويكثر المجاورة بمكة والمدينة والقدس ، ويخلو بنفسه في هذه الأماكن الشريفة فيجد البركة والأنس . وكان ذا شَيْبَةٍ بَيَضَتْهَا الليالي ، ونورتها المعالي . وتَنَجَّرَ توقيعاً من السلطان الملك الناصر بأن يقيم حيثُ شاء من المساجد الثلاثة ويكون [معلومه] ^(١) راتباً من بعده لأولاده ولأولاد أولاده أبداً ، ولم أره يكتب شيئاً ؛ لأنَّ صاحبَ الديوان كان يُجَلِّه لتجليه ، وجاور بمكة وأقام بها أخيراً ، ثم إنه أتى إلى القدس الشريف وأقام به مُدَّةً إلى أن كَرَّمَ الله لقاء ابن المكرم ، وخلصه ممن تَجَرَّأ أو تجرَّم .

ووفاته بالقدس في أواخر شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، عن اثنتين وثمانين سنة وأشهر ، رحمه الله وعفى عنه .

٤٢٨ - أبو بكر بن عمر بن السلار*

بتشديد اللام بعد السين المهملة ، وبعد الألف راء ، الفاضل ناصر الدين .

رَوَى عن ابن عبد الدائم . وكتب عنه الشيخ علم الدين البرزالي وغيره .

وكان ذا جَلَدٍ على الجدال ، وقُدْرَةٍ على المناظرة والاستدلال ، جيّد العبارة ، بديع الكناية والاستعاره ، تفنّن في الفضائل ، وتوسّع في إيراد الدلائل ، ونظم شعراً كثيراً ، وعلا به مَحَلّاً أثيراً ، وهو من بيت حشمة وإماره ، وللرياسة عليه دليلٌ وأماره ، مع عَزَّةٍ في نفسه ، وإعراضٍ عَمَّا في ^(٢) أبناء جنسه ، وهِمَّةٌ تبلغ الثريا ، وعَزْمَةٌ يتضوّع بها المجدريّا .

ولم يزل على حاله إلى أن استجنّه الضريح ، وعدّل الفناء إليه دون الكناية بالصريح .

(١) زيادة من الوافي ، وفي (ق) : « يكون راتبه .. » .

* الوافي : ٢٣٩/١٠ ، الدرر : ٤٥١/١ .

(٢) (ق) : « في يد » .

ووفاته ^(١) رحمه الله تعالى في شهر الله المحرم سنة ست عشرة وسبع مئة .

أخبرني شيخنا نجم الدين بن الكمال ^(٢) قال : جرت بيني وبينه مباحث كثيرة في أصول الدين . وأثنى عليه شيئاً ^(٣) كثيراً .

ومن شعره ما كتبه إلى الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم مع زنبيل أهداه وفيه

تين :

ياسيدي وأجل الناس منزلة	عندي وأرعاهم للعهد والذمم
لا تستقلن شيئاً قد أتاك وقد	علمت أن الهدايا مبلغ الهمم
وقد بعثت بشيء فيه واحدة	تكفي الخلائق من عرب ومن عجم
له الوری لازموا إلا القليل تقى	وضيعوا كل ذي قربي وذی رحم
وغير بدع إذا سرنا مسيرهم	والناس أشبه بالأزمان في الشيم
ولو قد رت على ما أرتضيه لكم	سيرت شمس الضحى والبدر في الظلم
وقد أشرت بزنبيلي إلى صفتي	من كذيتي لذوي الأيسار والعدم

فكتب الجواب إليه في غير الوزن ، وهو تقصير :

يا خير من أمسكت أنامله القرطاس للرقم فيه بالقلم	يا خير من أمسكت أنامله القرطاس للرقم فيه بالقلم
وخير من خصه الإله وإن	عم البرايا بالعلم والعلم
ومن له منطق بلاغته	قد بلغت جوامع الكلم
من ذا يطيق الجواب عن أدب	منثر جواهر منتظم
موجهاً أتعبت غوامضه	مقاصداً كل مذرّه فهم ^(٤)

(١) في الأصل : « وفاته » .

(٢) هو حسن بن محمد الصفي ، وستأتي ترجمته .

(٣) (ق) : « ثناء » .

(٤) المذره : السيد الشريف .

أَلْغَزَفِيهِه مَحَبِّباً وَكُنِيَ
لَفْظٌ لَهُ مَعْنِيَانِ مُشْتَرَكٌ
حَقَّقَ فِكْرِي بِالْحَدْسِ مَقْصِدَهُ
لِلغَيْرِ مَا قَدْ أَقَى مَغَايِرَهُ
فَتَيْنِ حُورَانِ مِنْ مَأْكِلِهِ
أَنْزَلَهُ اللَّهُ بِالْأَثِيرِ إِذَا
مَرْكَزُهُ وَالْحَيْطُ مِنْهُ بِهِ
مِنْ اصْطِكَاكِ الْأَجْرَامِ فِيهِ لَهَا
وَرُبِّيَا عَادَ رَبُّهُ وَلَهُ
لَكِنْ ذَا أَصْفَرَّ وَذَاكَ غَدَا
مَضْمَخاً مِنْ لَطِيْمَةٍ خَلَقَ الْخَلْقُ مِنْهَا لِلْمَعْسَرِ اللَّطْمُ
لَا زَالَ تَيْنُ الْوَتَيْنِ مُلْتَقِطاً لَهُ وَتَيْنِ الْأَشْجَارِ مِنْ قَسَمِي
وَقَدْ اعْتَصَ الزَّنْبِيلُ مِنْ ذَلِكَ التَيْنِ زَبِيْباً تَرَاهُ كَالْعَنَمِ
وَهُوَ كَثِيرٌ مِنْ يَابِسِ صَفَرْتِ
مِنْ ابْنِ هَانِي شَيْخِ الْقَرِيضِ وَمِنْ
وَهُمْ مُلُوكُ الْقَرِيضِ قَادَتِهِ
فَاعَسَى أَنْ يَقُولَهُ رَجُلٌ
عَمَّا تَلَاهُ الزَّيْتُونُ فِي الْقِسْمِ
دَلٌّ عَلَى مَفْعَمٍ وَمُهْتَضَمٍ
وَلَيْسَ فِكْرِي عَنْـدِي بِمَتَّهِمْ
إِلَى فَقِيرٍ أَشْقَى مِنَ الْعَدَمِ^(١)
لَا أَحُورٌ بِالْجَمَالِ مُتَّسِمٌ
مَا دَارَ مِثْلُ الْكُتُبَانِ وَالْأُمِّ
لِرَبِّهِ نَعْمَةً مِنَ النِّعَمِ
بِمُوزَيْرٍ يَاطِيْبِ النِّعَمِ
مِدَارِعُ كَالْمَدَادِ لِلْقَلَمِ
كَالْقَارِ مِنْ حُلْكِةٍ وَكَالْفَحْمِ
مِضْمَخاً مِنْ لَطِيْمَةٍ خَلَقَ الْخَلْقُ مِنْهَا لِلْمَعْسَرِ اللَّطْمُ
لَا زَالَ تَيْنُ الْوَتَيْنِ مُلْتَقِطاً لَهُ وَتَيْنِ الْأَشْجَارِ مِنْ قَسَمِي
وَقَدْ اعْتَصَ الزَّنْبِيلُ مِنْ ذَلِكَ التَيْنِ زَبِيْباً تَرَاهُ كَالْعَنَمِ
وَهُوَ كَثِيرٌ مِنْ يَابِسِ صَفَرْتِ
مِنْ ابْنِ هَانِي شَيْخِ الْقَرِيضِ وَمِنْ
وَهُمْ مُلُوكُ الْقَرِيضِ قَادَتِهِ
فَاعَسَى أَنْ يَقُولَهُ رَجُلٌ

ومنه :

إِنْ عَتَبْنَا فَعُذْرُنَا قَدْ تَحَقَّقُ
كُنْتُمْ رُوحَهُمْ فَصَارُوا جُسُوماً
وَكَذَا الرُّوحُ إِذَا تَفَارَقَ جَسَماً
حِينَ فَارَقْتُمُ الرِّفَاقَ وَجَلَقَ^(٢)
مُزَّقَتٌ بِالْغَرَامِ كُلُّ مَمَزَّقٍ
بَعْدَ وَصْلِ أَوْصَالِهِ تَتَفَرَّقُ

(١) (ق) : « إِلَى فِقَرٍ » .

(٢) أَبُو نَوَاسٍ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ ، وَالْأَعَشَى مَيْمُونُ بْنُ قَيْسٍ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « خَيْرَ فَارَقْتُمْ » ، تَحْرِيفٌ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي : (ق) .

ومنه ، دوبيت :

يا حُسْنَ ذُؤَابَةِ بَدَتْ لِلنَّاسِ في أسمر رمحٍ قَدَّه المِياس
ما وَاَصَلَ إِلَّا قَلْتُ إِنِّي مَلِكٌ أولوه لواءً من بني العَبَّاس^(١)

ومنه :

وشادن زارني ليلاً فقلت له : في حسن وجهك ما يغني عن القمر
فخلنا بك نخلولا سمر لنا ففي حديثك ما يغني عن السمر

وأنشدني شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى ، قال :
أنشدني من لفظه لنفسه ابن السَّلَّار :

لعمرك ما مصرٌ بمصر وإننا هي الجنَّة العُلَيَّا لمن يتفكَّرُ
وأولادها الولدان من نسل آدم وروضتها الفردوس والنيل كوثرُ

ومن نظمها القصيدة الميمية التي سماها (القصيدة المشيعة لعقيدة الشيعة) ، أولها :

سلام على أهل الهدى والتعلّم لطرق الهدى من آخر ومقدّم

٤٢٩ - أبو بكر بن أحمد بن محمد*

ابن النجيب بن سعيد ، الشيخ الأمين المقرئ^(٢) ، شرف الدين الخلاطي الدمشقي
سبط الشيخ أحمد إمام الكلاسة .

سمع من ابن عبد الدائم ، وعمر الكرماني ، وابن أبي اليسر ، وعلي بن الأوح ،
ومحمد بن النشبي ، والمجد محمد بن عساكر ، وغيرهم .

(١) في الوافي : « خلت أي » .

* الدرر : ٤٤٠/٨ .

(٢) في الأصل : « المغزي » ، وأثبتنا ما في : (ق) .

وكان رجلاً جيداً ، ولي إمامة الكلاسة ، وتركها وولي إمامة مشهد ابن عروة^(١) ، وله إثبات وإجازات .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : رافقته في الحج سنة عشر وسبع مئة ، وقرأت عليه بيطن مر^(٢) ، وبمسجد رسول الله ﷺ .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالث عشري شوال سنة ست وعشرين وسبع مئة . وكان ابتداء مرضه في العشر الأواخر من شهر رمضان ، صلى ودعا ، وحضر إلى بيته وهو لا يتكلم ، ثم إنه مرض وتغير ذهنه ، واستمر على ذلك إلى أن مات ، وحرص أهله على أن يجيبهم أو يتكلم معهم فلم يستعوا منه شيئاً ، وكان يظهر عليه أنه يفهم كلامهم ، ويبكي رحمه الله تعالى .

٤٣٠ - أبو بكر بن محمد بن إبراهيم*

ابن أبي بكر بن خلكان : الشيخ القاضي نجم الدين بن القاضي بهاء الدين . سمع (المقامات) من ابن أبي اليسر ، وكتب عنه من شعره ، وحَدَّث بالإجازة عن سبط السلفي .

كان فقيهاً يعرف الفرائض ، ويُجيد ما في مسائلها من الغوامض ، وتولى بيعض البلاد الشامية والنواحي التي يغلب على أهلها العامية ، إلا أنه كان في عقله اضطراب ، بل في عقيدته الباطلة ، ورُمي بأشياء مانجا معها من السيف إلا لما لأجله من المدافعة والمماطلة . وكان يعتقد أنه يكون له دولة ، وأن تسل السيوف إذا مشى حوله .

(١) محمد بن عروة الموصلي (ت ٦٢٠ هـ) ، والمشهد هو دار للحديث في الجامع الأموي ، ويعرف قديماً بمشهد علي . الدارس : ٦١/١ .

(٢) موضع من نواحي حي مكة . معجم البلدان : ٤٤٩/١ .

* الدرر : ٤٥٥/١ .

ولم يزل على ذلك إلى أن مات بغصته ، ولم يحصل له من الملك بعض حصته .
وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث ذي القعدة سنة خمس وعشرين وسبع مئة . وقد
قارب الثمانين ، وكان بالمدرسة الناصرية بالقاهرة .